المقالات الأولى

أ- (قال السلطان سليمان القانوني - رضوان الله عليه : اعلم أن المناط في نظام العالم ، و صلاح أحوال بني آدم ، و الباعث علي تدوين نسخ الخلائق ، و الداعي لإنشاء الدوله و الحقائق ، هو تحصيل المعرفه من جناب رب العالمين و تكميل علوم الأنبياء و المرسلين)

السلطنه في عالمنا كمسلمين قائمه و خادمه لأمر واحد و هذا الأمر هو المعرفه . و أي سلطنه لها قاعده أو غايه محوريه غير ذلك فهي أبلسه و فرعنه . و إن كان لعباره واحده أن تشرح كل الرساله و النبوه و الإمامه على نحو جامع تام فهي عباره السلطان سليمان . و البلاغه المعنويه و المبنويه لها مما يكاد أن يبلغ حد الإعجاز . و لو عقل إنسان معناها و قام به ، فقد حقق ذاته و أصبح خليفه الله و من بني آدم بالفعل . فتعالوا ننظر فيها و عسى الله أن يأتي بالفتح من عنده .

مدار هذه الحكمه العاليه هو العلم . فافتتحها بذكر العلم ، و ختمها بتبيان غائيه العلم ، و ما بينهما هو شرح لقيمه العلم في مختلف المستويات الوجوديه .

أ (اعلم) أمر سلطاني منيف ، و فرمان الخليفه الشريف . و هكذا لن تثبت قيمه العلم في فرد أو دوله إلا بأمر علوي من حضره قاهره ، لا أقل هذا هو مبدأ الأمر . و أصل الأمر من حيث عالم الظهور هو في الكلمه الآدميه . فقصه آدم هي التعبير الأول لحقيقه الإنسان الكامل . و قد بدأ أمر آدم بواقع قوله تعالى " و عَلّمَ ءادم الأسماء كلها " فجاء بفعل أمري علوي و لم يذكر فيه أي ممانعه من ءادم أو تخيير أو استشاره . فالإنسان قبل هذا التعلم جاهل ، و الجاهل لا يختار إلا بناءا على جهله ، و الجهل موت و دمار و قلب للقيم و قبح و فوضى . و كذلك على مستوى الدوله ، فإن الخط العام للأهالي هو بحسب الأمر السلطاني ، و أما الاستثناءات فوق هذا الخط ممن لا يبالي بالأوامر السلطانيه لتحصيل المعرفه أو دون هذا الخط ممن تغلب عليه شقوته بالبقاء على جهله ، فإن الكلام ليس معهم و لا عنهم ، فإن الفريق المتعالي قد وصل ، و الفريق المتسافل قد انفصل . أول الأولويات هو التعليم . و التعليم الحق لا يكون إلا من قابل له . و القابليه قائمه من حيث الإمكان في الإنسان من حيث هو بني آدم بالقوه . و عقل الملك ينعكس في مستوي عقل الخط العام لدولته . و كما قال أبو نواس-رحمه الله في الخمر :

ءأرفضها و الله لم يرفض اسمها و هذا أمير المؤمنين صديقها

فإن الناس لو وجدوا عذرا شرعيا في البقاء على جهلهم بالحقائق العاليه ، ثم انضاف إلى ذلك ذهاب العقل الأعلى عن رأس الدوله و وجوه القوم و أعيانهم ، فيمكن أن تتلو قول الحق سبحانه " لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون " على الأمه . فسكره الأمه قائمه على ركنين اثنين : المشروعيه و المخموريه . المشروعيه يؤسس لها في زماننا هذا بالأخص الخطباء العوام و الكتّاب الطغام و قرده الغرب الحداثي و أنظمه التجهيل - يسمونها تعليم - المستورده من أصحاب القبور . و المخموريه تقوم ببلوغ الضعيف الخائن إلى مواقع السلطه و النفوذ من ناحيه ، و من ناحيه أخرى بالتسويق لنجوميه سكارى و حيارى

العالم السفلي ، و من كانت نجومه من تراب و صخر فليوقن بأنه يعيش في ضنك و قبر . و لولا وجود القابليه في الناس لما أمكن لهؤلاء السكارى أن يتبؤوا أي مرتبه فوق ترابيه . و الناس مجموعه أفراد ، و أنت الفرد الذي به سيقوم الناس . فالأمر الشريف (اعلم) متوجه لك أولا و آخرا .

من أين يستمد أمر (اعلم) قوته ؟ يستمدها من نبع ظاهر سيفي سلطاني ، و من نبع باطن قلمي قرءاني . و الظاهر قائم على الباطن بالنسبه للخلافه ، و الباطن محجوب مكتوم مسجون بالنسبه للفرعنه . فأما سلطنه السيف فهي قهر الدوله ، و أما سلطنه القلم فهي قهر الحقيقه . و أيما حقيقه لا تقهرك ، فهي ليست حقيقه تستحق إلتفات نظرك . الحق واحد قهار . و ظهور الشئ وجوديا هو قهر لكل ما يحول دون ظهوره . فكلما علت الحقيقه كلما ازدادت قوه قهرها و إشعاع نورها و بسط هيمنتها . و بما أن سلطه السيف الشرعيه إنما تستمد شرعيتها حصرا من سلطه القلم العرفانيه ، فإن التركيز على العرفان يصبح هو أولى الأولويات . فالخطاب العرشي (اعلم) متوجه لمريد وجه الحق تعالى ، و من هذه الإراده السنيه يستمد قوه قبوله و ليس قوه صدوره ، فإن قوه صدوره تنبع من الحق تعالى الذي تكلم على لسان نبيه أو وليه ليأمر الناس و يرشدهم لسلوك الطريقه العليه ، " و ألوا استقاموا على الطريقه لأسقيناهم ماءا غدقا " .

(اعلم) بدايه الطريقه و نهايتها و براق السفر بين البدايه و النهايه . بل (اعلم) بوابه الإطلاق الذي هو واقع " و لا يحيطون به علما " . فمنزلتك في الوجود عند ربك هي بحسب منزله (اعلم) عندك . بقدر استجابتك ل (اعلم) تكون استجابه ربك لدعائك ، فافهم . و من شرف (اعلم) أنه حتى من بلغ إلى منزله يزعم فيها أنه في غنى عن العلم ، فإنه بالعلم علم أنه بلغ هذه المنزله ، و هو يقول لك (اعلم) حين يبلغك عن منزلته هذه . فسبحان من إنكاره عين إثباته . " وسع ربي كل شئ علما " .

و حساب جمّل اسم " سلطان " هو نفس جمّل اسم " عليم " . فالسلطنه للعلماء ، و السلاطين عبيد العلماء كما أن سيف الحق عبد و تابع للقلم . كما قال حضره علي عليه السلام صاحب السيف و باب مدينه العلم النبوي " أنا عبد من عبيد محمد " الذي هو أعلم الأولين و الآخرين صلى الله عليه و آله و سلم . فبشرف (اعلم) ارتفع من ارتفع .

...

ب (أن المناط في) مناط الشئ هو علّته و سببه الذي قام به . و المعلول تابع للعله و عبد لها . ترتيب الأسباب و المسببات ، و العلل و المعلولات ، و قيام بعضها ببعض على نسق معين ثابت في الوجود و قائم في الخلق و محقق في الشهود ، هو مدار العلم بالخلق و صلته بالحق . فإن أول ما يدركه العالم من الكون - بعد وجوده - هو نظام السببيه . و السببيه صوره الربوبيه . و هي ذاتيه للكون ، و السببيه الكبرى هي للأسماء الحسنى .

و لا يوجد " صدفه " في الكون ، و ما يقال عنه صدفه إنما هو اقرار ضمني بالجهل بالسبب و العله ، و لكن مع تكبر عن الاقرار بالجهل بذلك . إذ لكل حادثه أسباب و علل بدرجه أو بأخرى ، و الحدوث من حيث هو يتضمن المحدث له سواء كان واحدا أو كثيرا ، بسيطا أو معقدا ، عاليا أو سافلا ، فاعلا أو مستعدا .

و تتسلسل الأسباب و تجد منتهاها في عين ذات الحق و هويته لا إله إلا هو . فلا يوجد في الخلق إلا ما أصله في الحق ، لا يمكن و لا يعقل إلا هذا . و مرجع الخلق إلى المشيئه ، و المشيئه من محض الذات المتعاليه التي لا يحيط بها أحد علما .

و لا يمكن لشئ أن يكون سببا فاعلا لشئ إلا بأن يكون أعلى منه في الدرجه . يستحيل أن يوجد تساوي بين أي شيئين في الوجود . استحاله مطلقه لا استثناء لها . و أقل ما يفرق بينهما هو نفس افتراقهما . و حتى أسنان المشط ، لا يقف اثنين منها في موضع واحد ، و ليس هذا السن هو عين ذلك السن ، و لا يصل إلى كل سن نفس ما يصل للآخر من شعر الرأس و مواضع تسريحه . كل ما قارنت شيئين ببعض ، وجدت لا محاله أنهما متباينان ، و كل ما نظرت إلى فعل شئ في شئ ، وجدت لا محاله أن الفاعل أعلى من القابل ، لا أقل من حيث فاعليته . الفاعليه قوه ، و القوه علو ، و العلو محقق في ذاتيه الشئ . و إن كان القابل يفعل في الفاعل من حيث قبوله عنه ، و هذا القبول يسبب شيئا في الفاعل سواء من حيث الرضا أو الفرحه أو التنفيس عن ما يتضمنه الفاعل و يريد إفاضته أو رؤيته لنفسه في مجالي قوابله ، فكل هذه من فاعليه القابل في الفاعل . بل من حيثيه أخرى ، فاعليه القابل في الفاعل سابقه على فاعليه الفاعل في القابل . لأنه لولا أن الفاعل وجد في ذاته توجها للقابل و إراده للإفاضه عليه من عين الباعث الذي دفعه لذلك و مشيئته القائمه على عين ذاته ، لما فعل و لما أفاض عليه أصلا . و فيما يخص الكون ، فإن الفيوضات تتوجه من عالم الروح إلى النفس إلى البدن و نزولا ، و مستوى أسماء الله الحسنى المتعالي على الثلاثه هو المد المفيض على الكل . فالعلاقه من أعلى إلى أسفل إمداد و إفاضه ، و من الأسفل إلى الأعلى إستعداد و إراده . و الكريم ذاتيا يرضيه العطاء المطلق . و الكرم سمه أهل العلو ، و كلما إزداد العلو إزداد الكرم في العطاء ، و قلّت الرغبه في الأخذ . حتى تصل المرتبه إلى مستوى الألوهيه "و هو يُطعم و لا يُطعَم " و " كُلّا نُمد هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك و ما كان عطاء ربك محظورا " سبحانه سبحانه ما أعلى وجوده .

القوه السببيه للفكره و الكلمه و الأفعال البدنيه ، هذه الثلاثه على الأقل لا يمكن لأحد أن ينكرها. لأنه بنفس إنكارها يكون قد أقر بأن إنكاره - و هو فكره - له أثر ما يترتب عليه ، فهو سبب له أثر ، و هذا الأثر هو الذي دفعه إلى الإنكار بعكس الإقرار ، و كلاهما له ممكن من حيث الإختيار ، الاختيار النظري الإمكاني على الأقل . و هو أيضا قال و أعلن إنكاره - و هو كلمه- لغيره مشكلا إياه في مذهب فكري أو فلسفي أو قاله لنفسه مقنعا إياها ، مما يعني إقراره بأن لكلمته أثر في نفس سامعه

سواء كان السامع غيره أو نفسه . ثم إنه يتحرك و ينام و يأكل و يشرب و ينكح و غير ذلك من أفعال بدنيه كلها يعتقد جزما مهما كابر أن لها آثارا ما ، و إلا لما فعلها أصلا . فالحجه القاطعه حتى لأسفل الذهنيات فيما يخص المناط هو الأفعال الفكريه و البيانيه و البدنيه .

إدراك السببيه فطره عقليه . و الجهل بالسبب المحدث لا ينفي وجوده ، و شده تعقيد العلل الفاعله لا يستدعي إنكارها . و " قل : رب زدني علما " . و ما يكشفه العقل و يطمئن به القلب هو أن المشيئه الإلهيه هي السبب لكل حادث في الكون كائنا ما كان . فالبحث في السببيات له على مستويين ، مستوى " بلى " و مستوى " ليطئمن قلبي " . مستوى "بلى" هو إدراك عوده كل شئ للمشيئه و أنها المقدره لكل شئ . و مستوى " ليطمئن قلبي" هو البحث في الكيفيات و العلل الفاعلات الجزئيات الكونيات و حقائقها الأسمائيه الإلهيه من فوق كل ذلك . و لا ينفي أحدهما الآخر . و لا يدعوا أحدهما إلى الاستغناء عن الآخر . و لا يقل أحدهما في عرض الآخر . فإن السببيه الكونيه صوره سببيه المشيئه الإلهيه . و مله ابرهيم جمع بين الأمرين و إدراك للحضرتين . " و من يرغب عن مله إبرهم إلا من سفه نفسه " .

...

ج (نظام العالم) العالم كل ما سوى الله من خلقه ، من أعلى العرش إلى أدنى فرش . و العالم على طبقات ، بعضها فوق بعض ، و أفلاك بعضها أوسع من بعض ، و كل العوالم التي تشكل هذا العالم الكلي موصول بعضها ببعض إلا أنه بين كل عالم و عالم برزخ يفصل بينهما . و يوجد أبواب في هذه البرازخ ، لا يمكن أن تفتح إلا بإذن الله ، فإذا فتحت تمكن مخلوق من عالم أن يعبر إلى عالم آخر ، و لكن لا يمكن لمخلوق أن يعبر إلى عالم إلا بأن يتشكل بشكل و هيئه أهل ذلك العالم . " و لو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا و للبسنا عليهم ما يلبسون " و "فتمثل لها بشرا سويا ".

(نظام العالم) فالعالم له نظام . فهو ليس عبث ، و لا فوضى . و كما قال أيضا الشيخ البوني- رضوان الله عليه " للحقيقه نظام " . و النظام ظاهري و باطني . ظاهره ترتيب و تسلسل و تدرج . و باطنه المعنى و الروح و السر الذي يربط بين العالم و بين ربه ، و بين مختلف طبقات العالم و ألوانه و صوره .

الفرع بأصله ، و هو ظل له . و حيث أن الأصل و المبدأ هو الحق ، فالخلق ظله ، و حيث أن الحق واحد ، و الخلق كثره ، فلابد أن يظهر سر الواحد في الخلق ، و هذا السر و معنى الوحده هو موضوع المناط الذي به نظام العالم . فمناط نظام العالم هو مظهر و جوهر الوحدانيه في العالم . و هو خليفه الله و قطب الكون الذي ينحدر عنه سيل التكوين و لا يرقى إليه طير أي كائن . و هو المعبر عنه بآدم الأول ، و الإنسان الكامل . و لهذا بدأ السلطان بذكر (نظام العالم) أولا ، ثم ثنى بذكر (بني آدم) ،

قبل أن يذكر آدم تصريحا ، لأنه ذكره ضمنا في الفقره الأولى . فنظام العالم بآدم . و فساد العالم بإبليس . و آدم عباره عن خليفه الله في أرض الخلق كله ، على اعتبار أن السماء رمز على الحق سبحانه الذي منه يتنزل كل شئ . فقول الله تعالى " إني جاعل في الأرض خليفه " حديث عن أرض الخلق كله كأصل ، و ليس الحديث عن أرض الدنيا التي ما هي إلا الطبقه السفلى من العالم . و صدر الخليفه عن إنيه الحق "إني جاعل " ، و بلا واسطه بين الإنيه الإلهيه و بين صدور الخليفه ، و سره في هذا الصدور .

بالخليفه نظام العالم ، بزوال الخليفه فساد العالم . " ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت أيدي الناس " فنظام و صلاح البر و البحر مربوط بالناس ، فدائره تأثير الناس ليست فقط على المحيط البشري البدني الترابي لهم . و لكن لهم دائره تأثير أكبر بكثير ، و ما يصح في الناس إنما يصح فيهم و لهم لأنهم مظاهر للإنسان . فالإنسان هو المثل ، و الناس مظاهره . و من هنا يوجد " ءآدم " و يوجد بالتبعيه له " بني ءآدم " و ذريته . و كذلك يوجد ابليس و ذريته و هم شياطين الجن و الإنس . فالعالم حرب بين حزب الإنسان و الناس ، و حزب الشيطان و الشياطين . بين آدم و ابليس ، ذريه آدم و ذريه ابليس . و كل حزب يعبر عن رؤيه معينه للوجود و منهاج في التعاطي معه . فمن تبلست به هذه الرؤيه الأساسيه و المنهاج النابع منها ، فهو مسمى باسم المثل المعبر عنها . فآدم عباره عن محوريه المعرفه و العقل ، و ابليس عباره عن محوريه الجهل .

(نظام) تعلق النظام بمناط ما ، يعني أنه يمكن أن لا يوجد النظام بزوال مناطه أو غيابه . مما يعني أن العالم يمكن أن يكون في حاله نظام و حاله عبث و فوضى و فساد و انحلال للطبقيه و التراتبيه و التسلسليه أو لغروب شمس المعنى و ارتفاع الروح و مقبوريه العقل . فبما أن الحقيقه هي أن الفرع تابع لأصله ، فالخلق تابع للحق ، فهذا يعني أن ذاتيه الحق من حيث هي تعطي النظام و تعطي الفساد . " و لو شاء الله ما أشركوا " فمشيئته كما تفيض التوحيد تفيض الشرك . فما مرجع ذلك ؟ الجواب : مرجعه إلى أسماء الله الحسنى . فالأسماء الفاعله في الكون ذي الزوجيه " و من كل شئ خلقنا زوجين " هي أسماء الجمال و اللطف و أسماء الجلال و القهر . النظام مظهر لأسماء الجمال و الرحمه و اللطف . الفساد مظهر لأسماء الجلال و القهر و العنف . فآدم من رحمه الله ، و ابليس من قهر الله . و الكل عباد و عبيد الله. و من هنا ترى حتى ابليس يدعو الله ليمده بأسباب القهر و الإضلال ، " رب أنظرني إلى يوم يبعثون . قال إنك من المنظرين " و " اجلب عليهم بخيلك و رجلك و شاركهم في الأموال و الأولاد و عدهم " . و كذلك ترى ءآدم يدعو الله ليمده بأسباب الرحمه و الهدايه ، " فتلقى ءآدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم " و " فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون " . و الخوف و الحزن من القهر الإلهي . فالكون توتر جدلي بين أسماء الرحمه و أسماء القهر . و أما أسماء الكمال و الهويه المحضه للحق تعالى ، كالواحد و الأحد و الصمد ، و هي مضمون سوره الإخلاص العظيمه ، فإنها متعاليه عن الكون و عن التضاد

الظهوري لأسماء الرحمه و القهر ، و هي الحق الذي به كل شئ و كل شئ به ، و هو عين الأعيان كلها . " لله المشرق و المغرب " لله ذاتا ، مشرق الجمال و مغرب الجلال " فأينما تولوا " في مظاهر الجمال و الجلال " فثم وجه الله " الذي هو عين كل شئ " إن الله واسع" بذاته " عليم " أزلا بكل الإمكانات و الاحتمالات المحيطه بكل شئ ، فهو الحق الذي فيه و به و منه و إليه و له كل شئ أزلا و أبدا . فالمخلوق من حيث هو مخلوق لا قيمه فعليه لتعلقه بشئ إلا أسماء الرحمه و مظاهرها إن أراد الرحمه أو أسماء القهر و مظاهره إن أراد التألم و العذاب و الحريق . فنظام العالم مشروط بتعلق الناس بأسماء الرحمه و صورها ، و فساد العالم بالضد من ذلك .

(العالم) هذا هو مدى نظر المسلمين : العالم كله ، من أعلاه إلى أسفله . و أول ما تعرف به قيمه الذات هو مدى رؤيتها ، ما هو العالم في نظرها . و على الضد من رؤيه المسلمين و كل بني آدم ، على الضد تماما ، هو الرؤيه الابليسيه التي ترى أن العالم إنما هو أسفل سافلين. و كل ما يتبع ذلك من مناهج و نتائج إنما هو تفريعات ضروريه لهذه الرؤيه ، فلا قيمه لإضاعه الوقت في التشعب اللامتناهي في التفاصيل الفرعيه مع ذريه إبليس ، لأن أصولنا متناقضه متحاربه متنافيه . و لهذا تجد ابليس لم يرى من ءادم إلا الطين ، و لا من نفسه إلا النار . و كذلك تجد ابليس لم يرى من أمر الله إلا رأيه الذهني الشخصي . و هذه سمات بني ابليس: الطينيه و الذهنيه الشخصيه ، و عليها مدار أمرهم . أما بني ءادم فالطين أحد سماتهم ، و الذهنيه الشخصيه أحد قواهم ، و الأمور عندهم مرتبه و الأولويه للعقل الأعلى في كل شئ و هو الحاكم على ما سوى ذلك مما هو تحته . و أكمل ممثل لبني ابليس في هذين الأمرين في هذا الزمان هم الغرب الحداثي - و حداثي كلمه هجينه لا قيمه لغويه لها و هي كمضمونها شئ بغيض للحس المعنوي للآدميين .

بدايه اختلال نظام العالم هو اختزال معنى (العالم) . الإختزال أساس الإختلال . الرؤيه التامه كالبدر ، و أول معارك المسلمين مع المشركين ، و هي من أمهات المعارك الفاصله أيضا ، هي معركه بدر . و كذلك كل حرب ضد بني ءادم تبدأ حتما من اختزال معنى العالم ، مباشره أو غير مباشره ، بوعي أو بغير وعي ، و غالبا ما تبدأ على نحو غير مباشر و بغير وعي من عموم القابلين . ثم مع التدرّك في الإنحدار يتحول الأمر إلى نفس الإختزال و الكفر بالطبقات العليا ، بل محاربتها من قبل الهمج الرعاع ، و غالبا ما يبدأ الأمر بالكفر العملي ثم ينتقل إلى الكفر النظري ، لأن الكفر العملي يولد اللامبالاه ، و بين اللامبالاه و التنظير للكفر و الاختزال خطوه أو خطوتين . فعلى ذلك ، للإصلاح بدايه و هي توسيع مدى الرؤيه .

(نظام) مدار الناس في حياتهم الأرضيه ، و كذلك السماويه ، هو الإمامه . فمستوى الإمام يعبر عن حال الأنام . و إن كان حال الأنام لم يصل إلى الطور الأقصا الذي يتضمنه إمامهم و يستدعيه ، فإن من يرى بعين البصيره و يكاشف بأنوار الحقيقه يستطيع أن يرى كل أطوار أي شعب أو قبيله بل و فرد بمجرد النظر في أعماق إمامه . فالإمام قلب العالم ، أي عالم . لذلك حساب كل إنسان هو

بحسب إمامه " يوم ندعوا كل أناس بإمامهم " و بحسب قلبه "إلا من أتى الله بقلب سليم " ، و ذلك للعلاقه التناظريه بين القلب و الإمام .

لعقل موضوع الإمامه القرءانيه يجب على الناظر أن يتدرج في هذه المراحل الست : المحل و النظام و المراتب و القطب و الاختيار و المخالف .

أما المحل فهو أن تحدد عن أي إمامه تريد أن تبحث ، أي هل الإمامه في العلم أم الحكم . فآدم إمام علم ، و هو خليفه ، و كذلك داود إمام حكم ، و هو خليفه . فالخلافه علميه و حكميه ، و كل إمامه حكم تتضمن بالضروره إمامه العلم ، أما إمامه العلم فقد تتجرد عن إمامه الحكم . فكل حاكم بحق عالم ، و لكن ليس كل عالم يحكم بين الناس أو يقودهم كملك في شؤونهم الأرضيه كطالوت مثلا . و لكن داود يعبر عن مقام الجمع بين العلم و الحكم ، و هي الخلافه التامه .
أما النظام ، فهو أن تنظر هل القرءآن يؤيد وجود نظام بين الناس أم لا . و قد تعرف ذلك عن طريق النظر المباشر و النظر بالضد . المباشر هو أن تنظر في الآيات التي تدل و تأمر و توحي بالرؤيه النظاميه ، و القرءآن كذلك على طول الخط يكشف عن نظام الوجود كله و التقدير و التدبير و الغائيه فيه . فإذا نظرنا عن طريق التعريف بالضد ، أي أن ننظر في ضد النظام و هو العبثيه و الاقتتال و الاشتجار و التنازع و الاختلاف و التفرق القطعي ، سنجد أن القرءآن ضد كل ذلك و يضع آليات و طرق لإزاله ذلك في حال وقوعه ، فيكشف عن بطلان العبثيه على مستوى الأكوان ، كما أنه يضع الأفكار التأسيسه و الحلول العمليه لعلاج التنازع بصوره المختلفه في حال وقوعه على مستوى الإنسان . فنرى أن القرءآن يؤيد النظام و يعلمه .

أما المراتب ، فهو أن ننظر في هل القرءآن يدل على أن الناس كلهم سواسيه من حيث القيمه الوجوديه العلميه أو الحكميه ، أم أنه يجعلهم على مراتب لها درجات فوقيه و دركات تحتيه . فنرى أن القرءآن يفرق بين الناس و يجعلهم على درجات و دركات . كما أنه يقول " يأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم " فجعل المسلمين على ثلاث مراتب عموما : الرسول و دونه أولى الأمر و دونهم بقيه المؤمنين . و يجعل علاقه الأعلى بالأدنى هي الأمر ، و الأدنى بالأعلى هي الطاعه . فالمؤمنين ليسوا على مستوى واحد و لا تسويه بينهم من هذه الحيثيه . بل في الأمر طبقيه ، و علاقه أمر و طاعه ، إرشاد و إتباع ، تعليم و تلقي .

أما القطب ، فهو أن ننظر في هذا النظام ذو المراتب هي له محور و قطب واحد أم له أكثر من رأس و قائد . فنجد أن القرءآن على طول الخط يجعل الفصل في المحصله لقطب واحد ، و رأس واحد لجسم المسلمين ، و هو الرسول ، بالتالي يجب أن يبقى لحفظ نظام المسلمين رأس واحد وارث لهذا المقام و ينوب عنه ، و يكون مركز دائره النظام ، و الذي بدونه ينحل النظام الذي ثبت في مرحله سابقه ضرورته القرءانيه و وجوبه . بل حتى في حال وجود رسول و نبي في آن واحد ، كموسى و هارون ، فإن الله

جعل الأمر للأعلى منهما و هو موسى ، فقال موسى لأخيه هارون " اخلفني في قومي " ثم لما حصل ما حصل في قضيه العجل قال موسى لهارون "ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري " فكان له سلطه الأمر عليه ، و وجوب الطاعه منه ، و في حال غيابه يخلفه لأنه الأعلى في الدرجه من بعده في قومه . و كذلك مثلا حين سافر موسى ليتعلم من العالِم مجمع بحرين الإخبار و الإعتبار ، فإنه سلّم له بالتسليم التام في مبدأ الأمر " و لا أعصي لك أمرا " فأثبت له السلطه العليا في الإرشاد و إن كان حدث ما حدث بعد ذلك . فلا تكون السلطه القطبيه سواء العلميه أو الحكميه في وقت واحد لأكثر من فرد واحد ، هذا في حال كانت نعمه الله تامه على المسلمين ، و لكن في حال استوجبت الأمه مقتا ما فالأمر لا يكون كذلك - و العياذ بالله . فإن الدائره بلا مركز تنفى . فالإمام القطب واحد .

أما الإختيار ، فهو أن ننظر ما هي الطريقه التي يُعيّن الله بها هذا الإمام القطب . فإذا نظرنا في الحالات العامه ، و هي حالات الرسل و الأنبياء بصوره عامه ، سنجد أن الاختيار دائما يكون عن طريق التعيين من قبل الله تعالى ، و ما على الرسول إلا الإعلان عن نفسه ، فإن أطاعوه اهتدوا و إن عصوه دمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها و لا يخاف عقباها . فإذا نظرنا في بعض الحالات الخاصه سنجد التالي : في قصه ءادم كان الإختيار إلهي و بالتعيين بالإسم فقال الله تعالى للملائكه " إني جاعل في الأرض خليفه " و " اسجدوا لآدم " . فإذا نظرنا في قصه طالوت ، نجد أن الاختيار أيضا من قِبل الله تعالى و لكن بوسيله نبي ، " إذ قال لهم نبيهم إن الله بعث لكم طالوت ملكا " و " إن الله اصطفاه عليكم " . فنبوه هذا النبي ثبتت بطريق ثبوت نبوه الأنبياء و رساله الرسل ، هذه الخطوه الأولى ، ثم ثبت إصطفاء طالوت و إيتاء الله ملكه إياه ليكون ملكا علي الناس بإخبار هذا النبي و هذه الخطوه الثانيه المتفرعه عن الأولى . فإذا نظرنا في قصه هارن ، وجدنا أن موسى اختاره و عيّنه بالإسم ، " و قال موسى لأخيه هارون : اخلفني في قومي " . و لكن حين استعجل موسى شوقا إلى ربه ، و لم يظهر هذا الإستخلاف علنا للقوم ، لم يستطع هارون أن يظهر استخلاف موسى له لأنهم إن طالبوه بالبرهان لن يجده عنده و لهذا لم يذكره لهم ، و كذلك هم لم يذكروه له أو يعلنوا أنهم عصوا موسى في استخلافه له أو يعترضوا على هذه الخلافه ، و كذلك موسى لم يلم هارون على عدم اعلانه لخلافته عنه لأن موسى قد علم من ربه أنه قد استعجل " و ما أعجلك عن قومك يموسى" و العجله لا تكون إلا عن شئ كان يجب أن يتم فحالت العجله بين من وجب عليه إتمامه و بين هذا الإتمام ، فكانت نتيجه استعجال موسى هي " فإنا قد فتنّا قومك من بعدك و أضلّهم السامري " فرجع موسى من بعد ذلك ، و القوم لم يكفروا بموسى ، و لكنهم تُركوا هملا بلا خليفه عنه ، فأضلهم السامري باستغلال نقاط ضعفهم من ميلهم إلى الدنيا ، و لكن برغم كل ذلك فإن تعيين الخليفه لا يكون إلا من المُستخلف نفسه بالإسم و التصريح لمن يجب أن يقبله علنا جهارا نهارا ، فإن كان غير ذلك نشأت ظاهره السامري و عباده العجل و فسد النظام التوحيدي . و كذلك لا يعقل إلا هذا ، لأنه إن كان تنصيب الإمام بغير التعيين بالإسم من قبل صاحب السلطه الأصليه و الصلاحيه الشرعيه ، فإن التنازع و الاقتتال و الاشتجار لا يمكن حله ، لأن كل من يريد نصب نفسه سيكون له نفس الحجيه و القيمه

كغيره ، لا أقل في عين نفسه و طائفته المناصره له ، فيهبط الاختلاف من مستوى العقل و النفس إلى مستوى البدن ، فتنشأ سلطه المال و السلاح و تكون هي الفيصل بين الطوائف المختلفه ، و حتى إن تم أحيانا إرساء إختيار بعيدا عن سلطه السلاح فإن سلطه المال و فروعها ستكون هي المُحكّمه في نهايه المطاف . و في كل حال ، التعيين بالإسم و الإختيار من الأعلى هو الأسلم و الأحكم و الأقوم ، و هو الذي يدور عليه استخلاف آدم و هارون و طالوت على سبيل المثال لا الحصر . و جسم الإنسان لا يكون برأسين ، و لم يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، و " إنما هو إله واحد " و خليفته الأكبر واحد .

أما المخالف ، فهو أن ننظر في كيفيه التعامل مع المخالف لهذا النظام ذو المراتب و الذي تمت دائرته بالقطب الواحد ، فقد يكون مخالفا بالقول أو مخالفا بالفعل السليم الاعتزالي أو مخالفا بالفعل العنيف الاقتتالي . فنجد القرءآن يأمر بالصبر و الإعراض عن المخالف بالقول كائنا من كان و كائنا ما كان قوله ، و نجده يدعوا إلى الإعراض كذلك عمن يلقي إلينا السلم و يعتزلنا و يكف يده عنّا و يعهد معنا المواثيق السلميه و يحافظ عليها و لا ينقصنا منها شيئا و يستقيم لنا ، و يأمر بسلسله من الإجراءات للتعامل مع المقاتل تبدأ من محاوله استمالته و تحويله إلى ولي حميم بعزه ، مرورا بإعداد القوه لإرهابه ، و انتهاءا بالاقتتال معه و دفعه ، و التفصيل في كل ذلك في محله .

فالحاصل أن النظام بكل معانيه و مستوياته هو أمر راسخ في سنّه القرءآن و عمل المسلمين ، و الحمد لله رب العالمين .

إلا أنه يبقى التساؤل الأساسي و هو : لماذا النظام ؟ أي لماذا نُفضل النظام على الفوضى ؟ لماذا نسعى إلى وضع آليات و إجراءات لحل النزاع و كف الشجار و الإصلاح بين المتقاتلين و الحكم بين المتخاصمين ، أليست الحياه ممله بدون هذه الأمور ، ألن يكون فيها ما يعتبر أكبر مصيبه نفسيه بالنسبه للإنسان و هي مصيبه الفراغ ، إن كان الوضع سليما آمنا مطمئنا فارغا من هموم الخوف و الجوع و الخصومه و القتال ، فماذا سيفعل الإنسان ؟

إذا تأملنا في قضيه النظام الحكمي بالأخص ، فإننا سنجد أن الغايه الأولى و لعلها المحوريه فيها هي : الفراغ الظاهري . أي حتى يتفرغ الإنسان من منغصات المعيشه الظاهريه . و حيث إن الفراغ عذاب ، فإن النظام مرفوض ، و سيكون مرفوضا بدرجه أو بأخرى بالنسبه لكل من هذا هو حاله و إعتباره .

و هنا يأتي تفسير سبب الإهتمام بقضيه (نظام العالم) و البحث عن مناطها و تحقيقه . و التفسير هو (تحصيل المعرفه) . هذا هو الشغل الذي يريده من يريد (نظام العالم) من أهل الحق تعالى . و لذلك جاء في التنزيل العزيز " و إذا فرغت فانصب . و إلى ربك فارغب " . فمن لم تكن كعبه حياته

هي (تحصيل المعرفه) ، فإن دائره النظام غير معقوله الرسم في حياته. و إن طالب بالنظام و قام به ، فإنه سيجد شغلا غير (تحصيل المعرفه) يشغله ، و هنا يأتي دور أصنام الدنيا الخمسه " لعب و لهو و زينه و تفاخر بينكم و تكاثر في الأموال و الأولاد " . فلن تجد أحدا يسعى للنظام ، الحكمي بالأخص ، إلا و ستجد أنه يريده لأحد أمرين كأصل و محور . إما " و إذا فرغت فانصب و إلى ربك فارغب " و إما " لعب و لهو و زينه و تفاخر بينكم و تكاثر في الأموال و الأولاد " . طالب الأول هم حزب الله ، و طالب الثاني هم حزب الشيطان . و الناس بعد ذلك على درجات و دركات و ذبذبات .

...

د (و صلاح أحوال بني ءادم) لكل نظام قطب ، و (بني ءادم) هم قطب العالم . و كل ما يمكن صلاحه يمكن فساده ، بغياب عله صلاحه أو ضعفها ، و لو كان الصلاح ذاتيا تلقائيا لما أمكن لشئ أن يبدله و يحوله ، إلا أن أن الصلاح في حاله بني ءادم هو الفطره ، و الفطره لا يمكن أن تتبدل إلا أنه يمكن أن تتغير ، و التغيير غير التبديل و التحويل ، التغيير يصيب القشر، أما التبديل فيصيب اللب . ءآدم خليفه الله ، و بني ءادم ورثه هذه الخلافه بالقوه و إخراج هذه القوه إلى الفعل هو مدار الجهاد . لا يمكن لآدم أن يفسد بذاته ، فالصلاح ليس مطلوبا للذات ، و لهذا قال (صلاح أحوال) و لم يقل : صلاح بني ءادم . الأحوال هي التي يمكن أن تفسد ، فإن الذات كينونه ، و الكينونه فوق المكان و الزمان ، الذات حق ، أما الأحوال فهي صوره في الزمان و المكان ، الأحوال خلق ، و لهذا هي (أحوال) بالكثره المنتميه لعالم الكثره . الأحوال تبع للنفس ، و النفس تبع للقلب ، و القلب تبع للسلطان فإما الفقه و العقل و إما الهوى و الجهل .

كون ءادم خليفه الله المطلق على التحقيق ، فإن هذا يعني أن وجوده مطلق في الكون ، فله مناسبات مع كل الخلق ، و بالتالي فيه جانب عرشي و جانب سماوي و جانب أرضي ، مع التفصيل في الدرجات و الدركات كلها . خليفه المطلق مطلق ، و إن كان إطلاقه دون إطلاق مُستخلفه ، فإن الإستخلاف بالضروره مرتبه دونيه بالنسبه للمُستخلف . و على ذلك ، الفساد إنما هو الإنحصار . إنحصار وجودك يعني فساد أحوالك . الإنحصار لا يكون إلا في مرتبه الوعي ، فإن الخليفه الأصل مطلق ، و بعباره رمزيه ، رأسه فوق العرش و رجله دون الفرش و يده اليمنى في المشرق و يده اليسرى في المغرب و قلبه مركز الكون و هو الكعبه التي "كل في فلك يسبحون" حولها ، و من صور تجلياتها هو " فسجد الملائكه كلهم أجمعون " ، بالدرجات الثلاثه للملائكه ، " الملائكه " للعرشيين ، " كلهم " للسماويين . " أجمعون " للأرضيين . هذا ءادم الكون . و لهذا إسمه في القرءآن من أربعه أحرف - و ليس ثلاثه حسب الشائع في الكتابه - " ءادم " . كمراتب البسمله الأربعه . كالمستويات الوجوديه الأربعه .

المستوى الأول هو عين الذات الإلهيه و سر الأسماء الحسنى الجماليه و الجلاليه "بسم" و يناسبه في ءادم حرف " ء" الهمزه ، و هي الحرف المطلق و سر اللسان العربي و منشأ الحروف و منتهاها . فإن كل حرف ممكن تحليله ، فإذا وصل إلى الهمزه المجرده توقف التحليل. مثلا حرف " الألف " هو : أ ل ف ، و اللام هي ل ا م ، و الميم هي م ي م ، و الياء هي ي ا ء ، و هكذا تستطيع أن تحليل كل حرف من الثلاثه و لكن إذا وصلت إلى الهمزه توقف التحليل فإنه حرف لا يتحلل و لا يتجزأ ، و نطقه شبه مستحيل و لا معنى محدد له كالألف التي معناها فيه كميه الألف و كيفيه التأليف مثلا . سر الآدميه هو الهمزه ، و كل إنسان لا يجد قراره في عين الذات الإلهيه لا يمكن أن يجد لحياته و نفسه قرارا و جنه و ثباتا ، أي لا يكون إنسانا كاملا كان ما كان حاله بعد ذلك .

المستوى الثاني هو المستوى العرشي و خزائن العطاء الرباني و بيت الروح الأعلى و هو مجلى إسم " الله " ، و يناسبه في ءادم حرف " ا " ، الذي هو أول الحروف و أول الأعداد ، و صوره الكون التي ما هي إلا خط مستقيم صعودا و نزولا ، و أحيانا تصور على أنها دائره و الأدق هو الصراط المستقيم الممثل بالألف و المعنى واحد عند من يصوره بالخط و بالدائره ، و المعنى الأساسي هو أنه لا يوجد إلا الأعلى و الأدنى ، و كسر المهدي للصليب إنما هو لأن الصليب يعني فيما يعني عند أهل المعنى وجود مستوى أفقي ، فضلا عن أنه يصور مستوى أفقي واحد ، و هذا باطل في العقل و حقيقه الكون بكلا الوجهين ، فإنه لا يمكن أن يقرن شيئين ببعض إلا كان أحدهما أعلى من الآخر من حيثيه ما ، و لا يمكن أن يُنظر إلى شئ في الكون إلا و هو أعلى من شئ و أدنى من شئ آخر بحيثيه ما ، بإستثناء المبدأ الأعلى الفعال المطلق في الكون و المبدأ الأدنى القابل المطلق فيه ، و المبدأ الأعلى مستمد من الأسماء الحسنى فهو قابل من هذه الحيثيه ، و هذا معنى أن الروح مخلوق و العرش مخلوق ، و المبدأ الأدنى قابليه محضه و لها حيثيه فعاله و هي أنها تفعل بمجرد قابليتها في الفاعل فيها و هذا هو الذي يجعله يفعل و يحثه على ذلك ، فإن القابليه فعل صامت ، و منه قال الحكيم "الإمداد بحسب الإستعداد " . الكون عمودي ، كالسّلم ، صعودا و هبوطا ، فاعليه و قابليه ، تنزيلا و تأويلا ، عروجا و نزولا . و صوره ذلك حرف " ا " . و مبدأ كل كميه و كل كيفيه كونيه هو المستوى العرشي ، فهو " واحد " من حيث جمعيته ، و هو " كثير " بالكثره الكيفيه من حيث مضمونه و محتوى خزائنه ، و ما الأعداد الكميه إلا تكرار للواحد ، و ما الحروف الكيفيه إلا إستمداد من الهمزه بواسطه الألف ، فإن الحروف مبدأ واحد بلسان الجمع و ثلاثه أصول بلسان الفرق ، أما المبدأ الواحد فهو النقطه ، و أما الأصول الثلاثه فهي النقطه و الخط المستقيم الذي هو مجموعه نقاط و الخط المعوج الذي هو كذلك مجموعه نقاط و من حيثيه أخرى هو خط مستقيم إعوج ، فإن الأصاله للإستقامه ، و الفطره الإستقامه ، و الإعوجاج طارئ عارض و هو من شيم الفوضى و الجهل المناسب للطبقات المتدنيه السافله من الخلق . النقطه تناسب الهمزه من حيث إطلاقيتها و قوتها الذاتيه على خلق ما لا يحصى من الأمور و الأشياء ، فالذي يناسب الكون في مبدأ الأعلى هو الألف المستقيم ، و هي هذه الصوره " ا " ، التي هي ثاني طبقه من الوجود الآدمي .

المستوى الثالث هو السماء و هي بدايه الكثره الكونيه من حيث الظهور و التفصيل و هي مجلى إسم " الرحمن " ، و هنا يبدأ ظهور الرحمانيه و القهاريه ، فالمعصيه و الطرد و الرجم حصل في السماء و ذلك لقابليتها للقهاريه ، إلا أن الطرد و الأمر بالهبوط - سواء كان أمرا تكوينيا أو تشريعيا - دليل على أنها مقر أهل الرحمه ، و لهذا قال في الموتى من الكفار " لا تفتح لهم أبواب السماء " ، فالغالب على السماء هو الرحمه و النورانيه ، فلا يدخلها و يبقى فيها إلا من كان كذلك . و السماء أصل النفس كما أن العرش أصل الروح كما قال مولانا قدس الله سره في الشعر الذي يرويه عن شيخه برهان الدين ، و ما يرويه العارف عن غيره بالصوره هو منه هو بالجوهر إذ العارف لا يقتبس حتى حين يقتبس إذ إنما إقتبس لأنه وجد روح الكلام في قلبه ، يقول " الروح من نور عرش الله مبدأوها ". أما النفس ، فإنها سماويه ، و هي في السماء في نفس وقت كون الروح في العرش و في نفس وقت كون البدن في الأرض ، مع البرازخ الواقعه بين هذه الطبقات ، إلا أنه ثمه أبواب و جسور للعبور و تنزلات و معارج بين هذه الطبقات ، و هي كلها حيه في آن واحد في الإنسان الكامل الذي هو خليفه الله بالفعل . و هذا المستوى يوازي حرف " د " . و الدال عباره عن كون السماء هي الداله على الحق و الهاديه بالإرشاء للخلق . فمن كان دليله غير السماء و ما ينزل منها، كان ممن استهوته الشياطين في الأرض حيران.

المستوى الرابع هو الأرض و هي مقر الكثره الظلمانيه و القهاريه حين تستطيع أن تبرز نفسها ، و هي مجلى إسم " الرحيم " بالنسبه للمؤمنين ، و هي مقر دوله القهر حين تكون لها دوله بغياب سلطنه أهل الله و الإمامه العلويه ، و لهذا صح فيها " و إن تتبع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله " فإن سلطنه الإسم الإلهي تقتضي أن أكثريه العبيد الذين هم تحتها هم على نسق مقتضياتها الذاتيه و المعنويه ، و حيث أن الأرض مقر سلطنه أسماء القهر حين تظهر فهذا يجعل أكثريه أهلها في الظلمات و الباطل ، " و لقد جئناكم بالحق و لكن أكثركم للحق كارهون " ، لأنهم في الباطل مقيمون و في الظلم يرتعون . و ما جهنم إلا صوره الأرض النجسه في الآخره ، كما أن الجنه في أحد درجاتها هي صوره الأرض المقدسه في الآخره . جهنم دوله الجهل ، و الجنه دوله العقل . و لهذا حين يكون السلطان هو صاحب مقام أو وارث مقام " بالمؤمنين رؤوف رحيم " فإن دوله العقل تكون قائمه و لها البسط و الحكم و التمكين في الأرض . و يوازي هذه الطبقه في الخليفه حرف " م " و هو عباره عن إسم محمد ، صلى الله عليه و آله و سلم ، و هو السلطان المطلق للأرض بحق ، و من سواه ممن ظهر قبله زمنيا إنما هم نوابه و أشعه نوره ، و من يظهر بعده زمنيا فإنما هم ورثته و ذريته . فالسلطنه الشرعيه محمديه لا غير ، و ما عدى ظهورها التام بحضور نبينا و سيدنا الأعلى محمد صلى الله عليه و آله ، فإنما هو نيابه أو وراثه ، و كل ما عدى ذلك إنما هو فرعنه و عجلنه - نسبه إلى إتخاذ العجل من بعده . لا يرحم المؤمنين حقا إلا المحمدي حقا . " ربنا أخرجنا من هذه القريه الظالم أهلها و اجعل لنا من لدنك وليا و اجعل لنا من لدنك نصيرا " .

فإذن ، ءادم هو العارف بالبسمله . و هو الخليفه المطلق . و أما (بني ءادم) فهم مظاهره و تجلياته و صوره و ألوانه و ألسنته و ثماره . فالصلاح هو بقول - القول الحقاني و ليس اللفظي- " بسم الله الرحمن الرحيم " . و فساد الأحوال له مدخل إلى كل طبقه من هذه الطبقات الأربعه ، الإلهيه ثم العرشيه و السماويه و الأرضيه . أو الهويه ثم الروح و النفس و البدن .

قوله (أحوال) يعني به الروح و النفس و البدن . أما الهويه المطلقه التي هي سر الألوهيه فلا تدخل في الأحوال المتغيره أو التي يمكن حجبها أو أذيتها أو محاربتها أو الكفر بها ، إذ الهويه هي عين الأعيان " و هو معكم أينما كنتم " سواء كنتم في الجنه أو جهنم ، و إن كان الغفله السريه عن الهويه هو كفر بالنسبه للكافر بإعتبار ما ، إلا أن التعالي و التجلي المطلق للهويه الإلهيه يجعلها متعاليه أصلا عن الوعي و اللاوعي ، و كل ثنائيه من هذا القبيل ، و إعتبارها في الصلاح و الفساد و العلم و الجهل إنما هو من حيث الآثار العلميه و العقليه المترتبه على الوعي بها و حدس حقيقتها بالكشف و الفتح المطلق ، و هي لب اللباب و سر الأسرار و أظهر الظواهر.

الإهتمام السلطاني في هذه العباره الشريفه إنما هو في (صلاح أحوال بني ءادم) و ليس شياطين الجن و الإنس و أولياء إبليس من الناريين و عبيد سلطنه الجهل من الكفار . و هذا تفريق مهم . فإن السعي في الإصلاح بوسيله (تحصيل المعرفه) و (تكميل علوم) إنما هو بمن يصدق عليه أولا أنه من (بني ءادم) . و هنا ينقسم البشر إلى ثلاثه أقسام ، حدد القرءان كيفيه التعامل مع كل واحد منهما . القسم الأول هم بني ءادم بالفعل و يمثلهم أهل الجنه، و القسم الثاني هم حزب إبليس بالفعل و يمثلهم أهل النار ، و القسم الثالث هم من يشتركون مع بني ءادم في المساله الفعليه و يشتركون مع أولياء إبليس في عدم محوريه المعرفه و يمثلهم أصحاب الأعراف . و قد حددت الآيه المباركه من سوره النساء ٩٢ هذه الأقسام الثلاثه على مستوى التعامل الإجتماعي الأرضي ف، فذكرت أولا حكم المؤمن ، ثم حكم من بيننا و بينهم ميثاق ، ثم حكم من بيننا و بينهم عداوه . فالأقوام بهذا الإعتبار ثلاثه ، قوم المؤمنين ، و الإعتبار حيث أنه مأخوذ بالنسبه لنا ، فإنهم قوم العداوه ، و قوم الميثاق . و قد فصل القرءآن كيفيه التعامل مع كل من قوم العداوه و قوم الميثاق و فرق بين أحكامهما من حيثيات كثيره . الميثاق يوجد المساله و الإستقامه على الشروط بل حتى إلى درجه أنه إن كان بيننا و بين قوم ميثاق و يوجد في هؤلاء القوم مؤمنين - و هذا يكشف عن أن الإيمان و القوميه المغايره يجتمعان - ثم تم إستضعاف و ظلم هؤلاء المؤمنين و استنصرونا في الدين فإن الله قال " فعليكم النصر إلا على قوم بينكم و بينهم ميثاق " فالأصل هو الإجابه إلى نصره إخواننا ، ثم جاء الإستثناء المانع من ذلك النصر على عظمته و جلاله قدره و أهميته ، و سبب الإستثناء هو الإستقامه على المساله و المتاركه التي يقتضيها الميثاق و قداسته ، و على ذلك يكون الأصل ينطبق فقط على القوم الذين بيننا و بينهم عداوه ، و نشوء العداوه و إعتبارها قرءانيا عند المسلمين هو أمر فصلته الآيات الكريمه و ليس محل بسطها هنا و مجمل القول فيها هو التالي : ثلاثه أعمال تؤدي إلى نشوء العداوه بيننا و بين أي قوم ،

قتالنا في الدين و إخراجنا من ديارنا و المظاهره على إخراجنا . و التفصيل في هذا يطول فحسبنا ذلك . فالمعامله بين الأقوام قائمه على إعتبارات غير المعامله بين الأديان . بين الأقوام المدار هو العمل السلمي الإيجابي و السلبي و حفظ المواثيق و المعاهدات . أما بين الأديان فإنه " لا إكراه في الدين ". فمن بدهيات القرءان أن المعتدي المؤمن يُقاتل ، و المُعتزل الكافر الضال يُسالم . لغه التعامل بين الأقوام هي السلاح و المتاع و المواثيق و المعاهدات ، و لغه التعامل بين الأديان هي الكتب و الكلام و المناظرات و الأسوه الحسنه . و من هنا نشأ ما يسمى أرباب القلم ، و أرباب السيف ، و الجامع بين القلم و السيف هو السلطان الأعظم . القلم جمال ، و السيف جلال ، و السلطان كمال . و يمثل القلم شيخ الإسلام و هو ظل الرحمن ، و يمثل السيف الوزير الأعظم و هو ظل القاهر ، و ظل الله في الأرض هو السلطان . و في ضوء ما سبق ، يكون (صلاح أحوال بني ءادم) مخصوص بقوم الإيمان ، و قوم الميثاق . أما قوم العداوه فليس لهم إلا سيف القهر ممثلا بالسلاح - أي القوه العسكريه - و المتاع - أي القوه الماليه الإقتصاديه . و لهذا قال القرءان محذرا منذرا معلما هاديا كاشفا عن غيب النفوس و أسباب النصر على الأعداء " ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم و أمتعتكم فيميلون عليكم ميله واحده " ، و الشفاء هو " أعدوا لهم ما استطعتم من قوه " . الأسلحه و الأمتعه ، هذه هي وسيله التواصل مع الكفار المعادين المجرمين . الأسلحه عباره عن القوه العسكريه ، و الأمتعه عباره عن القوه الإقتصاديه ، أما القوه العلميه و الروحيه فهي من الرحمه المختصه بالمسالمين و المعتزلين و الطالبين للحقائق و نور خاتم النبيين و سماع كلام رب العالمين .

و على هذا النمط ، تصبح الصوره الكليه لدوله المسلمين هكذا : قطبها هو السلطان الجامع بين فقه القلم و السيف ، و أهم وزاره في الشأن الداخلي هي وزاره التعليم فهي قلب حياه الدوله ، و أهم وزاره في الشأن الخارجي هي وزاره السلام و التي مهمتها إبرام المواثيق و المعاهدات مع كل من يصلح لها ، و وزاره الحرب و التي رأس مهامها إعداد كل القوه العسكريه و الإقتصاديه التي تستطيعها الدوله فيؤدي ذلك إلى إرهاب الأعداء أولا و مقاتلتهم إن أبوا إلا العدوان أخيرا . القلم روح و كعبه دوله المسلمين ، و السيف و المال قوّتهم ، و النظام هو بمنزله الهواء للبدن ، إن إنقطع يوما إنفرطت السبحه .

(صلاح أحوال) كل الأحوال يقتضي وجود سلطنه جامعه للمسلمين ، أما صلاح حال من هذه الأحوال فإنه لا يحتاج إلى ذلك ، فإن أهل الكهف صلح حالهم و هم بضعه فتيه لا حول لهم و لا طول على المستوى القومي الأرضي . الأمه واحده ، و لكن الأقوام متعدده ، و ذلك في المسلمين أنفسهم . الأمه تجعل المؤمن المنتمي لقوم آخرين - اي الذين بيننا و بينهم ميثاق - هو مؤمن منا و أخ لنا كذلك . و لكن إن كان في قوم عدو لنا ، فإنه إن كان من المستضعفين الذين لا يستطيعون حيله للخروج و لا يهتدون سبيلا كان أيضا منا و له حكم إستثنائي ، و الأصل أن كل من كان في قوم عدو لنا فهو منهم ، " و من يتولهم منكم فإنه منهم " . التعاطي مع هذه الأمور يسير دائما على نمط : الأصل و

الإستثناء . و الإستثناء دائما مشروط محدود في ظروف قاهره صعبه . (صلاح أحوال) يقتضي أن يكون الناس ممن أقاموا الآدميه في نفوسهم أولا ، و يعلموا أن السلطنه الظاهريه ليست إلا وسيله ل (تحصيل المعرفه) و (تكميل علوم) . فالدوله للمعرفه ، و المعرفه ليست للدوله . احفظوا الأولويات و لا يضلنكم و يغرر بكم الصم البكم العمي الذين لا يعقلون .

صلاح الحال الروحي هو بالعقل و الفقه القرءآني ، و صلاح الحال النفسي هو بالتزكيه و التطهير و الفرح بالله و الحزن لله ، و صلاح الحال البدني هو بتقدير المعيشه و حفظ الصحه و إقامه السلطنه بنظامها و طاعه أهل الإمره فيها . أما الروحي و النفسي فعلاقته بمحوريه المعرفه ظاهره ، و كونه مناطا بها من الأمور الواضحه . أما البدني فشق تقدير المعيشه و حفظ الصحه ممكن حتى لأهل الكهف و الإنزواء في معظم الأقوام في الأرض ، و هذا واضح و عليه عمل أهل الله في حال غيبه السلطنه الربانيه ، و شق إقامه السلطنه و الطاعه لأهل الإمره هو الذي يتنازع فيه الناس سواء في ضرورته أو في صورته أو في تفاصيل صورته ، و ندع شئ من البحث في هذا النزاع إلى الفقره {و} إن شاء الله . و حسبنا أن نعلم أن كل ما حقق الغايه بكل أبعادها فهو في الحد الأدنى مقبول و إن كان على مضض ، و إن لم تكن قيمته كالذي يقوم بالحق المحض .
(صلاح) الصلاح ليس دواءا يؤخذ مره حتى تذهب عله معينه ثم يتم الإعراض عنه و تركه ، و لكنه عمل مستمر يقتضي الثبات عليه و دوام المجاهده في سبيله . و إن كان من تحقق بجوهر الصلاح لا يجد كلفه في القيام به ، بل يجد كلفه و عنتا في الفساد ككلفه الصلاح عن أهل الفساد . الصلاح كلفه عند غير أهل المعرفه ، و الفساد كلفه عند غير أهل الغفله . فمن اعتاد الطعام الخشن البسيط تعبت بطنه في هضم الطعام اللين المركب ، و من إعتاد حياه الملوك عانى إن عاش كالفقراء . من ذاق لذه حياه التحصيل و التكميل ، لم يؤثر عليها غيرها و لم يبغ عنها حولا . و إن حياه ملوك المعرفه فيها خلاصه شهوات حياه أنعام الغفله ، و العكس غير صحيح . " عند الله حسن ثواب الدنيا و الآخره " ، و لا يسبق الكافر المؤمن ، و لا الجاهل العالم ، و لا المجرم المسلم ، لا يسبقه في دنيا و لا آخره ، و حتى ما يتوهم البعض أنه دنيا إنما هو عذاب يحسبه الأعمى نعيما لكونه مفترقا عنه و بعيدا منه ، فهو كالسراب ، و لا يعلم قيمه دنيا الكفار إلا من عاشها و حصل أعلاها ثم عاش حياه العلماء و حصل لا نقول أعلاها بل مجرد أوساطها ، و إني لم أجد طالبا لدنيا الغرب إلا جاهل بالغرب بكل أبعاده بل بمعظمها بل بالمهم منها ، و إنما يأخذ جوانب قليله و إستثنائيه ، و يختزل أيما إختزال ، و هو دائما و بلا إستثناء من أهل الغفله و السطحيه و السذاجه أي عامي في شؤون أهل الله و وراثه النبيين و ميراث المسلمين و الآداب العربيه و سعه حياه أهل الحقيقه و الطريقه و الشريعه ، بإختصار هو عامي يطلب ما لا يفقه و ما لم يذق ، و إنا في غنى عن هؤلاء في جميع الأحوال ، و كما قال سيدنا رسول الله عليه السلام للجاهليين و المرتد إليهم " من أتانا منكم فنرده إليكم ، و من أتاكم منّا فاختار الكفر على الإيمان فلا حاجه لنا فيهم " . كيف يميز الخبيث من الطيب إن لم يحيا أهل الطيب بما تقتضيه طيبتهم مع ترك الحريه لأهل الخبث ليلحقوا بأشباههم . لا يهمنا كميه من معنا ، و ما أعجبتنا كثرتنا

إلا هُزمنا ، ما يهمنا هو كيفيه من معنا ، و مسلم واحد من أهل التحقيق خير من الدنيا و ما فيها من أهلها ، و هذا هو المسلم الذي قال سلطاننا رسول الله صلى الله عليه و آله " لزوال الدنيا أهون عند الله من دم امرئ مسلم " . فمن مقدمات الصلاح الدائم اللامبالاه بأهل الفساد و تركهم و شأنهم ، و هل يلتفت الملوك أصحاب الموائد المبسوطه إلى زباله فيها جيف يجتمع عليها كلاب مسعوره ، لا يكون ذلك إلا إن كان الظاهر بصوره ملك هو كلب مسعور حن إلى إخوانه . " تشابهت قلوبهم " . و الدنيا بلا روح ، بلا جمال ، بلا معنى ، بلا عقل ، بلا سر ، باختصار ، الدنيا بلا قرءان لا تساوي أكثر من جيفه حمار . و من يراها غير ذلك ، فليغسل عينيه و يذهب إلى الحضره العيسويه و يطلب الشفاء من العمى .

(أحوال) الأحوال تتغير ، و المقام ثابت . و كل متغير إنما هو مظاهر لأصل ثابت ما يمده بهذه التغيرات الصوريه . فمدار الأحوال على المقام ، و تحصيل مقام الصلاح هو وسيله تحصيل (صلاح أحوال) . طلب تغيير المتغيرات ، بدون التحقق بالأصل الثابت ، هو من العبث بل المستحيلات . و ما يفعله أهل الفساد هو ضرب أصل الصلاح و إحلال أصول الفساد محلها ، و غالبا - و من باب المكر - يحاربون أصل الصلاح عن طريق محاربه نفس فكره " الأصل " الثابت . و هذا من عمل السخفاء دائما : يحاربون المبدأ كمقدمه لإزاله مصداق معين لهذا المبدأ ، فإذا نجحوا في إزاله مصادق عدوهم ، انتهى بهم الأمر إلى إحلال مصداق آخر و صوره أخرى لنفس المبدأ ، و جهل خصومهم يحول بين رؤيه هذه الخدعه بل هذا السحر . كمن يقول " لا نريد ثوابت " ، و الواقع أنه يريد محاربه المتغيرات و الأحوال النابعه من هذه الثوابت التي عند من يحاربونهم فكريا و سياسيا . إلا أن مقولتهم هذه باطله من البدء ، فإنه لا يمكن لأحد أن يكون بلا ثواب مطلقا ، هذا مستحيل ، بل نفس محاربه الثوابت إنما هي مقوله قائمه على ثوابت معينه . و سبحان الله على مقدار الغفله التي تسمح بمرور مثل هذه الخدعه البصريه على أعداد كثيره من الناس . لا يحتاج بني إسرئيل للنجاه من فرعون و سحرته ، إلا لمس الحبال و العصي ! فقط لمس ، اذهبوا و المسوها ، لا تخافوا فلن تعضكم ! و كمن يقول أيضا "ارتدوا و اتبعونا و ستنالوا السعاده في الدنيا " ، فلا يحتاج الأمر للكسول إلى أكثر من النظر في تفاصيل حياه أصحاب هذه المقوله ، نظره شامله واعيه ، و الإستماع إلى مختلف طبقات البشر من أهلهم ، و لا بأس بالحياه قليلا عندهم و إن كانت هذه الحياه لا تكشف إلا جانبا شديد الضيق من لوازم و مقتضيات الرؤيه و المنهجيه العامه ، فإن وجود ذهب في جبل لا يعني أن كل الجبال من ذهب ، فإن فعل ذلك تبين له مقدار الصدق في هذه المقوله بغض النظر عن أي إعتبار آخر يأتي بعد ذلك . حققوا ما يقال لكم ، لا تكونوا كفار نعمه الإسلام و بهائم في الإستماع لأعداء الإسلام . و ما شهدناه في هذا المجال هو مصداق حديث سلطاننا رسول الله صلى الله عليه و اله " خياركم في الجاهله خياركم في الإسلام ، إذا فقهوا " ، و العكس صحيح كذلك ، أي : شراركم في الإسلام شراركم في الجاهليه . و هل تجد إلا شرار أهل الإسلام ينبحون وراء عظم الجاهليه الحداثيه الغربيه سواء ظهرت في الحداثيين أو في الهمج المجرميين من العنيفيين المعتديين ممن لا يجاوز

القرءاَن تراقيهم و يقتلون أهل الإسلام قبل غيرهم بل غالبا دون غيرهم و إن كنا نرفض عدوانهم على أهل الإسلام و غيرهم . و هل عبيد الغرب من الحداثيين إلا الصوره المقابله للوحوش المتأسلمين ، كلاهما يريد إباده كل فكره و قيمه و مخالف له ، سواء إباده إختزال و سخريه مع جهل بالمضمون دائما ، أو إباده توسل بالعسكر و الإقتصاد و ضغوطه و السياسه و ألاعيبها . (صلاح أحوال) تقتضي الوعي بالثوابت الوجوديه و العقليه ، تقتضي رسوخ في مقام الرؤيه الإبراهيميه و الكمالات التوحيديه، ثم بعد ذلك تأتي الأحوال الصالحه التي تتعاقب كالثمار الطيبه من الشجره الطيبه التي "تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ".

(بني ءادم) من حيث أنهم (بني) هم كثره ، و هم أقل درجه من (ءادم) ، إذ البنوه و إن كانت صدور عن الأبوه ، و الولد عن الوالد ، إلا أن نفس هذا الصدور يقتضي المغايره ، و هذا الإفتراق يقتضي المباينه ، و إن كانت المغايره و المباينه من جهه ما و حيثيه ما ، فإن أدنى مغايره أو مباينه تثبت الفرقه . و على ذلك تكون معرفه (بني ءادم) و كيفيه أحوالهم و ما يمكن أن يطرأ عليها من فساد أو ما يمكن أن يرجع بها إلى الصلاح ، مشروطه بالعلم بالمقتضيات الوجوديه لشعور المخلوق أنه جزء من كثره ، و أنه دون في الدرجه . بالرغم من أن كل واحد من بني ءادم مشتمل على سر ءادم ، إذ الإبن سر أبيه ، و من شابه أباه فما ظلم ، و ذريه بعضها من بعض ، إلا أنه مع ذلك يشتمل على شعور بالفرقه عن الأصل ، و القطره و إن كانت عين البحر من جهه إلا أنه جزء من البحر من جهه أخرى . فيصح للإنسان أن يقول " أنا حق " من جهه ، و أن يقول " أنا خلق " من جهه أخرى .و حيث أن ءادم هو في الرتبه الثانيه دون الله تعالى من حيث أن الله هو الذي استخلفه ، و الخليفه دون المُستخلف بالضروره ، و هو تابع له ، فهذا يلزم منه أن كل بني ءادم تابع لشئ ما و لابد أن يجعل شئ ما فوقه .

لبني ءادم بالتالي خصائص أساسيه :
أولا، التبعيه للأعلى و الشعور بالدونيه لقاهر متعالي .
ثانيا، الخلافه الذاتيه الموروثه من ءادم .
ثالثا ، صله سريه بالجامعيه التي للأصل الذي هو ءادم .
رابعا ، الشعور بالجزئيه بين الناس .
خامسا ، الشعور بالتدرجيه و المراتبيه في الخلق .

و كل خاصيه من هذه موجوده في كل فرد من بني ءادم بالقوه أو بالفعل . و هذه الخصائص الخمس متمكنه في كل الناس و البشر ، و يستحيل أن تتخلف في واحد منهم ، أيا كان مستوى ظهورها ، و درجه تجليها . فهذه مبادئ إنسانيه ، بأوسع المعاني للإنسانيه التي تشمل الإنسان فعلا أو الإنسان الذي إنحط و صار كالأنعام أو أضل سبيلا . و المبدأ يظهر في مصاديق متعدده ، و الخلاف كل الخلاف في الناس هو في تعيين هذه المصاديق و ألوانها و تفاصيلها . نضرب مثلا واحدا لخاصيه

يختلف فيها الناس بالرغم من أنهم قد يقاتلون بعضهم بعضهم عليها و بعض السفهاء يسعى لهدم المبدأ لأنه يريد أن يهدم مصداق أخيه و يغفل عن أنه هو نفسه يشتمل على مصداق آخر لنفس المبدأ بل في عين قتاله لأخيه !

الخاصيه الخامسه ، الشعور بالتدرجيه و المراتبيه في الناس . أي نظره مراتبيه تعتمد على معيار ما ، ميزان توضع في إحدى كفتيه مثقال معين ، ثم يوضع في الكفه الأخرى ما يُراد معرفه مرتبته . و الخلاف في هذه الدار يكون في معاملات الناس مع بعضهم و تأسيسهم لدولهم و جماعاتهم ، أما في الدار الآخره فإن المثقال هو " الحق " و " القسط " لقوله تعالى "الوزن يومئذ الحق " و " و نضع الموازين القسط ليوم القيامه " ، و الواقع أن المعيار هو الحق، متمثلا في الصدق و العدل ، أي على مستوى القلب و القالب ، الظاهر و الباطن ، أما القسط فهو عباره عن دقه الوزن الرباني حيث " من يعمل مثقال ذره خير يره و من يعمل مثقال ذره شرا يره " فاللهم لطفك . فالآن ، ما هو الحال في هذه الدار بين الناس ؟ الخاصيه التي زعمنا أنها مبدأ إنساني لا يتخلف ، تتوقع أن نرى الإيمان النظري و العملي بالمراتبيه - التي هي نفي للمساواه سواء على المستوى النظري أو العملي ، و لا أقل أن نرى الخاصيه على المستوى العملي فإن من شمائل بعض البشر أن يقولوا ما لا يفعلون و الشعراء حمله الشعارات المزخرفه كثر ، فعلى أقل تقدير لابد أن نرى الخاصيه على المستوى العملي و إلا بطل زعمنا - فهل هذا صحيح ؟ و إن كان صحيحا فما هو المثقال الذي يتخذه الناس لقياس المرتبه المتعينه لكل مقيس ؟ هنا تختلف نظره التقاليد السنّيه و الفلسفه الحداثيه عموما . فالتقاليد السنّيه لكل الأمم ، أيا كانت شرعتها و منهاجها و طريقتها ، قد أجمعت عن آخرها على الإعتقاد النظري و العملي بالمراتبيه ، و أن الناس لهم مراتب سواء في الآخره أو الدنيا ، و لا مساواه قطعا . أما منذ ما يُعرف عند أنصاره بعصر النهضه و التنوير الفرنسي ، أي قبل نحو ثلاثمائه سنه في أوروبا الغربيه خصوصا ، بدأ يطفوا على السطح - لا أقل بالقراءه السطحيه كما سنرى بعد قليل إن شاء الله - إدعاء " المساواه " . و يُقال في هذه الدعوى أن الناس سواسيه ، لا فرق بين إنسان و إنسان كمرتبه ، و إنما الإختلاف بين الناس إختلاف على مستوى واحد و هو تعدد ألوان لا أكثر . فالناس أصبحوا - حسب السطح - على قسمين : أهل مراتب و أهل مساواه . و أهل المساواه في حرب مستمره مع أهل المراتب من ذلك الحين ، و أهل المراتب هم طبعا أهل الدين المتعالي الأصل ، سواء تمثل هذا الدين في الهندوسيه أو الإسلام أو ما بين ذلك . و طبعا بدأ يخرج أناس من داخل الدين و يحاول - بطريقه تجلب الضحك من باب "شر البليه ما يضحك " - و يسعى إلى أن يجعل الدين نفسه يقول بهذه المساواه التي يدعيها أهل الحداثه المبتدعه ، حتى إنك بعد أن تنظر في صوره الدين بعد أن يتولى هؤلاء " المجددون " تشكيله تشعر و كأنك قد انغمست في مستنقع الحداثه و سكنت هناك - إن كانت السكينه ممكنه أصلا - اللهم إلا أن الألفاظ في بعض الأحيان مغايره و الأدله المقدمه صورتها الكتب المكرمه و الناس الكمل بحسب كل دين . فأهل المساواه على قسمين : قسم صريح جبار و قسم ملتوٍ خوار . و سننظر فقط في القسم الصريح مع نفسه و مع الآخرين ، فإنهم هم

وحدهم من يستحقون الإلتفات ، إذ إنهما القسم الملتوي مقتبس حرفي فهو متفرع عنهم و إنما يبني على قواعدهم فهو كالسقف لهم ، و النظر في الأصول أولى من النظر في الفروع . و المجتمعات التي تمثل أهل المساواه أفضل تمثيل هي المجتمعات الغربيه ممثله أفضل تمثيل في أوروبا الغربيه كفرنسا أو إنجلتره و كذلك في أمريكا التي هي سيده الغرب في هذا الزمان ، فإن الحداثه غربيه المولد و جذورها ضاربه في تلك البيئه و تاريخها - مع حفظ الأصول العلويه التي هي الأسباب الحقيقيه لنشوء كل ما ينشأ من فكر و مشاعر و سلوكيات ، إذ الأدنى إنما هو من الأعلى ، و هذا الحفظ ذكرناه تذكيرا للعلماء فقط ، و إلا فإنه لا معنى له عند الخصم إذ هو في حد ذاته موضع نزا ع معه . حسنا ، السؤال الآن هو التالي : هل هذا الغرب قائم على المساواه فعلا ؟ لنأخذ أمريكا سيدتهم كمثال و قس على ذلك ، فإن ما صح في السيد صح في أتباعه .
الجواب : المساواه يفترض أن تظهر في جهات ، كلها أو بعضها ، منها المال و الإهتمام و السلطه و النفوذ و المرجعيه و القيم و الوظيفه و النظره للمغاير . هذه ثمانيه أبواب ، وهي إن لم تكن جامعه مانعه فإنها لا أقل تمثل الأبواب الكبرى التي يمكن القطع بالمعنى الذي ينتج عن النظر فيها .
أولا ، المال . معلوم لكل مطلع أن ١٪ من الشعب الأمريكي يملك ثروه تعادل ما بين ٤٠ إلى ٥٠٪ من الثروه . و الفرق بين ما يأخذه المدير في شركه استثماريه كبرى وبين حارس مبنى هذه الشركه يشبه الفرق بين نار بركان و نار كبريت ، بينما يتعاطى الأول ما يقاس بعشرات الملايين من الدولارات ، فإن الثاني قد يتعاطى ما لا يتجاوز بضعه آلافات . و حيث أن مدار الفلسفه الحداثيه في المحصله هو محوريه جمع المال ، فإن معيار المال هذا كاف لقطع كل كلام عن مساواه أخرى . إلا أننا نكمل للفائده و تكميل الحجه إن شاء الله .

ثانيا ، الإهتمام . و نقصد بهذا مقدار الإهتمام الذي يناله كل فرد في المجتمع . فإن من أكبر مظاهر المراتبيه هي مقدار الأهميه . مثلا ، عندنا نحن أهل المراتب بصراحه ، فإن حياه رأس السلّم سيدنا رسول الله صلى الله عليه و اله تنال القسط الأكبر من الأهميه ، حتى إن كيفيه تسريحه لشعره الشريف - صلى الله عليه و آله - تنال إهتماما و تنقيحا في الروايات و إقتداءا في العمل بل إننا لنعلم من أي جهه كان يبدأ تسريح شعره ، و كل متى ، و ما هي هيئته ، و غير ذلك ، باختصار حتى ما يعتبر أصغر التفاصيل له أهميه و إعتباريه ، ثم تتنزل الأهميه حتى نصل إلى فرد من علماء المسلمين مثلا فإن التركيز يكون حينها مقصورا على إنجازاته العلميه و جهاده في سبيل الله على مستوى الجهاد الأكبر و الكبير و الأصغر و نحو ذلك من كليات و أصول ، و لا أحد يهمه كيف كان فخر الدين الرازي- رحمه الله- يسرح شعره . فالأهميه تكشف عن المرتبه . و الآن ، هل ينال كل فرد من الشعب الأمريكي و الغربي عموما نفس مستوى الإهتمام العام ككل فرد آخر ؟ و أظن الجواب أظهر من أن يُذكر . فإن ساده الإهتمام و " نجوم " سماء عالمهم هم أصحاب التمثيل و الغناء و الرياضه و السياسه ، و الثلاثه الأوائل هم النجوم الكبيره ، و الصنف الرابع دونهم ، إذ الثلاثه الأوائل محور إهتمام عامه الناس سواء من حيث ما ينتجونه من "فن" أو حتى حياتهم الشخصيه كالإهتمام بزوا ج

الممثله الفلانيه من الممثل الفلاني الذي خان زوجته الأولى المغنيه العلانيه في يوم كذا في منتجع كذا في بلده كذا الساعه كذا ثم اكتشفت زوجته أنه خانها فقامت بكذا ثم طلقها و تزوج بعيشقته الممثله التي مثل معها فيلم كذا و الذي فيه مقطع كذا الذي عملوا فيه كذا فانجذبوا لبعض ...الخ ، أظن الفكره وصلت ، بينما الغالبيه الساحقه من الشعب وجودهم كعدمهم ، و الشعور بالتوحد و الإكتئاب من جراء هذه العزله النفسيه ، عزله حتى و هو وسط الحشود الكثيره التي يركب بعضها بعضا ، هي أمر معروف و مرض مشهور . تستطيع أن تعرف مستوى أي فرد أو أمه عن طريق النظر في نجومهم ، فإن النجوم في السماء و بالنجم هم يهتدون ، فنجومك تدل على سماءك ، و سماءك تدل على مرتبتك ، و عالَم نجومه هم الكذابين المحترفين و المغنين الأغاني المقيته معنويا في كثير من الأحيان و الذي يلعبون و السياسيين الذي هم أقرب الخلق إلى أن يكونوا مصداقا ل " شر البريه " ، إن مثل هؤلاء النجوم يخبرونك بذاتهم عن مستوى سماءهم ، و من كانت نجومه ذرات التراب فإن بيته و أرضه حتما القبر .

ثالثا ، السلطه . و المقصد الأساسي هنا هو الأمر و النهي المقترن بالعقوبه . فإنه لا يخفى أن من أظهر مجالي الرتبه هي هذه السلطه . و الفرق الأساسي بين مجلى الأهميه و مجلى السلطه هو أن الأهميه شئ يخرج منك طوعا وفقا لإرادتك الحره بإعتبار ما ، فأنت حر بحب فلان أو علان ، و الإهتمام بتفاصيل حياته و الإقتداء به في إرشاداته في حياتك الفرديه ، أما السلطه فتتمثل في قانون مدعوم بالعنف و الإكراه سواء توجه للمال أو للبدن و النفس ، المال كالعقوبات الإداريه و البدن و النفس كالعقوبات الجنائيه ، فهي متعلقه بالحياه الجماعيه . و وجود مساواه يعني أن كل فرد له نفس مقدار السلطه ككل فرد آخر ، فهو يملك أن يأمر و ينهى و يقرن عصيان أمره أو ركوب نهيه بعقوبه تحل على مال الجاني أو بدنه و نفسه . فهل هذا صحيح ؟ أيضا أظن أن لا حاجه للإجابه ، و الواقع أن كثير إن لم يكن كل أوهام الحداثه يكفي تصوير المسأله المطروحه فيها بدقه حتى تنحل الشبهه . فمن ذا يزعم أن رئيس الدوله و مجلس النواب - ما يسمونه نيابه على الأقل - أو مدير الشركه و رب العمل له نفس السلطه التي لفرد من الشعب أو موظف . " مالكم كيف تحكمون " .

رابعا ، النفوذ . و المقصد الأساسي هنا هو النفوذ الإجتماعي على المستوى الإقتصادي و التجاري خصوصا و تمرير الإراده الخاصه لصاحب النفوذ و تفعيلها . و المساواه تقتضي أن كل فرد في الشعب يملك نفس مستوى نفوذ كل فرد آخر ، فماسح الأحذيه عند باب المحكمه العليا في واشنطن يجب أن يملك نفس نفوذ قاضي المحكمه العليا ، و بائع النقانق في حي الإيطاليين في نيويورك يجب أن يملك نفس نفوذ الأب الروحي للمافيا - لنستعمل صوره يمكن للكثير أن يفهموها ، و كذلك نفوذ أكبر الأسر في الغرب ، كأسره روتشيلد أو بوش أو كندي أو صاحب وول مارت أو العائله المالكه في بريطانيا و السويد و هولندا و النمسا ، كل هؤلاء نفوذهم مساو لنفوذ الخدم الذين في قصورهم و الحراس على أبواب بيوتهم ، فضلا عن نفوذ المشردين الذين لا بيوت لهم في هذه البلاد كلها ، و أيضا

مساو لنفوذ العاهرات في الحانات الرخيصه ، و أيضا مساو لنفوذ طلاب المدارس الثانويه في تلك البلاد . لنكمل رحلتنا مع المساواه .

خامسا ، المرجعيه . و المقصد الأساسي هو المرجعيه العلميه و الثقافيه من ناحيه أو المرجعيه الأخلاقيه و السلوكيه من ناحيه أخرى . أما من حيث المرجعيه العلميه ، فإن المساواه تقتضي أن مراكز علمهم كجامعه هارفارد و ييل و بيركلي مساويه لكل مركز علمي ثقافي آخر حتى لو كان منزو في ولايه ألاسكا أو في أي جحر آخر في طول الولايات الأمريكيه و عرضها ، و المساواه هنا يجب أن تتجلي في أمور ، منها أن معيار قبول الطلاب في كل هذه الجامعات متساو ، و مستوى التعليم و مناهجه و عمقه متساو في نفسه و متساو في أذهان المجتمع و مراكز التوظيف بعد ذلك فإن جاءهم رجل متخرج من هارفاد يتساوى مع رجل آخر متخرج من أي جامعه أخرى مهما كانت طالما أن له نفس المقدار العددي للشهاده فمثلا ٩٠٪ من هارفارد تساوي ٩٠٪ من أي جامعه أخرى ، و كذلك الأبحاث و الكتب التي تنشرها هذه المراكز يجب أن تكون لها نفس القيمه ، فإن نشرت هارفارد دراسه تقول فيها س ، و نشرت أسوأ - طبعا لا قيمه لكلمه أسوأ في ظل دوله المساواه - جامعه في أمريكا دراسه تقول فيها ص ، فيجب أن تكون قيمه س و ص واحده في ظل العمل بها من قِبل السياسه العامه للدوله أو في نفوس الشعب أو في المصداقيه أو غير ذلك ، و يجب أيضا أن تكون الجوائز التي تعطيها المراكز المتخصصه بالتقييم متساويه ، فجائزه نوبل في الرياضيات تساوي قيمه أي جائزه أخرى من أي مؤسسه أخرى . و أما من حيث المرجعيه الأخلاقيه و السلوكيه ، فإن المساواه تقتضي أن كل فرد مرجع تام الأركان في حد ذاته في تعيين ما هو العمل الأخلاقي الحسن و بالتالي يحق له العمل به و القبيح و بالتالي يحق له رفضه ، فكل فرد من الشعب يستطيع أن يعمل كل ما يراه حسنا و يرفض كل ما يراه قبيحا ، بدون أي إعتماد على أي مرجعيه دون ما يراه هو كذلك ، فإن كان يرى أن من الحسن التبول علنا فله ذلك - لعله يبرره بأنه إظهار لحاله طبيعيه و بالتالي يعتبرها تذكيرا للناس بطبيعتهم الأرضيه ، و إن كان يرى من القبيح أن ينظر في وجه من يتكلم معه و يواجهه بل عليه أن يعرض و يصعر خده للناس فله أن يقوم بذلك و على الناس الذين يعتقدون بالمساواه هنا - و هذه النقطه الجوهريه - أن يرضوا منه عمله ذلك تماما ، و إن كان يرى أن من الحسن أن يسبهم و يشتمهم و يلعنهم و يصرخ فله ذلك ، و عليهم أن يرضوه منه ، و لا يقال أن الحريه محدوده بحريه الآخرين لأن هذه القاعده هي عين القاعده التي يستعملها أصحاب المراتب أيضا و الفرق هو في تعريف " حريه الآخرين " و مدى وصول العمل من الفرد إلى الآخرين ، فهذه القاعده التي يظن هؤلاء أنها لهم هي عليهم و هي نقض لرأيهم المحض ، طالما أنه يوجد مساواه في المرجعيه الأخلاقيه ، فهذا يعني أنه لا يمكن لأحد سواء كان فردا أو جماعه - و الجماعه ليست إلا مجموعه أفراد يتكلم بإسمهم فرد منهم أو يصرخوا كلهم بصوت واحد ! - أن يكون مرجعا لأي أحد آخر في أي صغير أو كبير ، كذلك مثلا في اللباس ، يجب أن يكون من الأخلاقي - عند من يراه - أن يلبس إلى إجتماع مجلس الوزراء ورق شجر أو فستان أحمر - و هو رجل - و يتساوى ذلك مع أن يلبس بدله " رسميه " و لا أدرى معنى

كلمه "رسميه" في ظل المساواه في المرجعيه السلوكيه ، و من الغريب أنك تجد في كل هذه المجتمعات الغربيه أنه يوجد زي رسمي شبه موحد ، بل حتى الملابس العامه للجماهير تجدها متقاربه في أصولها ، و كيف إتفق لهم هذا الذوق المتشابه عفويا هو من عجائب المساواه التي لا ينقضي منها العجب . فإذن ، هذا هو حال المساواه في المرجعيه العلميه أو السلوكيه ، و هو كما ترى .

القيم . تساوي القيم يعني كما هو ظاهر أن لا قيمه لها أولويه على أي قيمه أخرى ، و لا إعتبار له تقدم على أي إعتبار آخر ، سواء كانت قيمه متعلقه بالرؤيه الوجوديه أو المنهج في التعاطي معه أو في النتائج الفكريه و الشعوريه و السلوكيه الفرديه و الجماعيه الناتجه عنهما . كل قيمه مساويه لكل قيمه أخرى . فالحريه مساويه للعبوديه ، و الوظيفه مساو للبطاله ، و العقل مساو للجهل ، و الحب مساو للبغض ، و السلام مساو للحرب ، و الدراسه مساويه للفشل ، و الإمتياز مساو للسفل ، و الجمال مساو للقبح ، الرياضي الوسيم مساو للبغل السمين ، و حب الأقرباء مساو لحب الغرباء ، و حب الأقرباء و الغرباء مساو لحب الأعداء، و العلم بالسباكه و النجاره مساو للعلم بالطب و الهندسه ، و السعي للمال مساو للسعي للفقر ، و تدمير المجتمع مساو لبناء المجتمع ، و القانون مساو للفوضى ...الخ . بل لا يكفي أن تقرر أن اليمين مساو لليسار حتى تثبت المساواه ، و لا يكفي أن تبطل المساواه بين الحب و البغض مثلا حتى تبطل المساواه ، يجب أيضا أن تثبت أن الحب أفضل من البغض بالنسبه للأصدقاء ، و أن السلم أفضل من الحرب بالنسبه لغير المعتدين ، و هذا مما يأخذه القوم كمسلمات و ليس كذلك على الإطلاق . لنأخذ مثال العلم و الجهل . قد يقال : العلم غير الجهل في القيمه . و هذا مبطل للمساواه لأنه أثبت الغيريه . و لكن أن تقول : العلم أفضل من الجهل ، هو دعوى منك ، فقد يقال : الجهل أفضل من العلم ، و سيترتب الكثير بناءا على كل قول من الاثنين على كافه المستويات الفرديه والجماعيه و الدوليه . فهنا مسأله المغايره و مسأله الأفضليه ، و ثبوت المغايره أو الأفضليه كاف لإبطال المساواه . مثال آخر ، الحب و البغض . أيضا يوجد مسأله المغايره ، و يوجد مسأله التطبيق . فإن ثبت أنهما متغايران إنتفت المساواه . و لكن تطبيق الحب على الصديق أو على العدو هو مسأله أخرى . فعلى أي أساس أن حب الصديق أولى من حب العدو ، لم ليس العكس تماما ، فيكون بغض الصديق و حب العدو هو الذي عليه العمل ، و يترتب على ذلك على المستوى الدولي مثلا أن روسيا إذا قذفت أمريكا بصواريخ نووريه يجب على أمريكا أن تبعث لها بالورود و وجبات هابي ميل من ماكدونالد ، و إذا أرسلت دول الخليج البترول لأمريكا برخص التراب كهديه و معونه يجب أن تقذفها أمريكا بالصواريخ النووريه ، تطبيقا لمبدأ حب العدو و بغض الصديق .
فالمسأله خطيره كما ترى ، و ليست مجرد إختيارات نظريه في حصص الفلسفه الأخلاقيه - هذه الماده البغضيه . فإختيار الدول - و الدول تمثل مستوى الوعي الجمعي للبشر في أي فتره زمنيه - للتفريق بين معامله الصديق و معامله العدو و معامله المحايد دليل على نفي المساواه في قيمتي الحب و البغض و السلام و الحرب و الهديه و القذيفه ! و كذلك مثال الوظيفه و البطاله ، فأي قيمه للوظيفه بالتحديد حتى يكون الكثير من اللغط و اللغو منصب على محاربه البطاله ، و أسميه لغوا لأنهم لا

يتحدثون عن أصل سبب وجود بطاله و هو ما لا يريدون الحديث عنه لأنه يصيب تنظيماتهم و نظرياتهم في مقتل ، على كل حال ، أي سمو هذا للوظيفه على البطاله ، لماذا ، إن قلت لأن الوظيفه سبب لكسب المال لكسب المعيشه ، فأنت تفرق بين قيمه الحياه و قيمه الموت ، إذ على كلامك البطاله تعني في المحصله الموت ، و هذا إضمار للتفريق بين قيمه الحياه و قيمه الموت ، فلم لا يموت ، دعه يموت، و لعل لهذا تبريرات متعدده بل لعل بعض نظريات الإقتصاديين الغربيين تقترب من هذا القول، فهو ليس أمرا مرفوضا بالكليه ، من يملك الوظيفه يعيش ، من لا يملكها يموت جوعا ، هذا متناسق مع المساواه بين قيمه الحياه و الموت ، و إن أثبتنا المساواه بينهما من هذا الجانب ، فهذا يعني أنها أصبحت قاعده ، أي قاعده المساواه بين الحياه و الموت ، و ينبني على هذه القاعده عدم معاقبه القاتل كما أننا لا نعاقب المُتصدق على الفقراء فيحييهم ، فمن يسبب الموت مساو لمن يسبب الحياه ، إذ لا معنى للجريمه في ظل المساواه في القيم . فتأمل إن كان هذا هو فعلا حال دول الغرب و الذين يرفعون لواء المساوه في القيم . و حسبك أن نابليون - هذا المسخ الفرنسي - لما " اكتشفوا " و " تنوروا " و عرفوا أن أعلى القيم هي المساواه و الحريه و الأخوه ، فإنهم لم يبعثوا بكتب إلى دول العالم لينوروهم كما يتصورون ، و لكنهم ركبوا السفن و حملوا السلاح لتنوير العالم ، فواقع رسالتهم كانت : كل من هو مثلنا فهو مساو لنا ! و من كان غير ذلك فهو دوننا و يجب أن نرفعه لمستوانا ، فمحصله بند المساواه التنويري هو التالي : من كان مساو لنا فهو مساو لنا ! و كذلك الحريه و الإخوه لهما نفس القيمه "التنويريه" التي لبند المساواه ، و هو كما رأيت . فيبدو أن القوم لما رفعوا لواء المساواه اعتقدوا أنهم أعلى في المرتبه ممن لا يعتقد في المساواه فاستباحوا الإعتداء عليهم لجعلهم مساوين لهم - يبدوا أنهم أرادوا أن يسوقوا الناس إلى جنتهم بالسلاسل ! و كل حداثي أعلى من كل تقليدي يعتقد بوجود أعلى و أدنى ، و كل " متفتح " أعلى من كل " منغلق " لأن المنغلق لم يتفتح ليكون مُتفتحا كتفَتح المُتفتح .
سابعا ، الوظيفه . الكلام عن المساواه في الوظيفه من جهات ، منها جهه تقدير المجتمع للوظيفه بالتقدير المعنوي المتمثل بالثناء على صاحبها أو التقدير المالي المتثمل بمقدار الأجر الذي يتقاضاه صاحبها أو التقدير السياسي المتمثل بمقدار الإستشاره لرأي صاحبها أو التقدير العددي المتمثل في عدد النخبه الحائزه على هذه الوظيفه و المؤهلات المطلوبه لذلك ، و من هذه الجهه تكون المساواه في كل الوظائف تعني المساواه في كل ما سبق . و منها جهه مدى توطن الوظيفه ، بمعنى أن الوظائف المهمه في كل دوله و جماعه إنما تُعطى لأهل هذه الدوله و الجماعه ، فمثلا رئيس الدوله لا يكون أن يتم إستيراده من دوله أخرى ليعين في الوظيفه كما يتم تعيين سائق الشاحنه في شركه ما أو الذين يقصون أوراق الشجر في قصور الأثرياء ، فكلما ازدادت أهميه الوظيفه - مع ملاحظه أن كلمه " ازدادت " و " أهميه " لا محل لها في قاموس لغه أهل المساواه هنا إن كان لدعواهم أي مصداقيه و نزعه منطقيه - كلما ازداد الإهتمام في توطينها . و مع ملاحظه أخرى ، و هي أن أهل المساواه يجب أن لا يفرقوا بين الناس في أي مكان و زمان ، فلا فرق بين الأمريكي و المصري في أمريكا ، و لا بين اللورد الإنجليزي و الهندي في لندن ، يجب أن تكون قيمتهم واحده في تولي الوظائف التي لها شروط تتوفر في كلاهما مع فارق الجنسيه الوطنيه بينهما ، فمثلا إن اشترطت الوظيفه أ و ب و ج و د ، فإن

توفر أبجد في اللورد البريطاني و المقيم الهندي في لندن ، فإنه بناءا على المساواه يجب أن يكون الحق مساو لكلاهما تماما ، و إن توفر في اللورد أبج و في الهندي أبجد فيجب أن يتم توظيف الهندي ، حتى لو كانت الوظيفه هي العضويه في " مجلس اللوردات " البريطاني ، كذلك الحال في " مجلس الشيوخ " الأمريكي ، يجب أن يتساوى أي مقيم مع أي مواطن ، بل لا فرق بين الإثنين ، لأن كلاهما من البشر ، و البشر سواسيه ، فالفرق هو المؤهلات الوظيفيه حصرا ، و قل مثل ذلك في فرنسا بلد المساواه و مصدره الفساد الحداثي للعالم من حيث النشأه ، فإنه يجب أن يكفوا عن إختلاق المخاوف ضد المسلمين هناك ليرعبوا الشعب منهم لعلمهم أو توقعاتهم المستقبليه للمسلمين هناك إن شاء الله كخروج موسى من بيت فرعون ، و يجب أن يكون الحق مكفولا لوظيفه رئاسه فرنسا لأي مغربي أو جزائري أو تونسي الأصل ، بل لا معنى لهذا التفريق أصلا ، أليس كل البشر سواسيه و كل الأراضي سواء ، فما معنى "مغربي" أو " جزائري " أو " فرنسي " أو غير ذلك ، طالما أن الكل سواء ، فيجب أن توضع شروط " موضوعيه " لمهام رئيس الجمهوريه ، و تكون موضوعيه بحته متعلقه بالوظيفه من حيثيتها العمليه فقط ، و لا يُذكر أي شئ عن الجنسيه أو المولد أو المنشأ أو غير ذلك ، كوظيفه يُتطلب فيها أن يحمل حمّال حقائب المسافرين من البوابه إلى الطائره ، المهم هو القوه العضليه و لا يفرق إن كان الحامل أبيض أو أسود ، شرقي أو غربي ، بل صحيح ، نسينا أننا أنصار المساواه ، فيجب أن يستوي أيضا كل أصحاب القوه العضليه أيا كانت لأن كل البشر سواء. آه على المساواه ما أعجبها و ما أعجب إختراعات سفله البشر لمحاربه ما يأخذ بأيديهم إلى الجن و ما أشد مسارعه العوام لتقحم هذه النار ، "و لقد جئناكم بالحق و لكن أكثركم للحق كارهون".

ثامنا، النظره للمغاير . و هنا مقطع الحكم و مربط الفرس و فصل الخطاب . كيف ينظر أهل المساواه بغض النظر عن كل ما فات ، فلنفرض أن كل ما فات غير موجود و نتنزل و نقبل بأن كل الأبواب السبعه السابقه مغلقه و الحجه لهم فيها ، و لننظر فقط في هذا الباب. فما هي أول شروط الإعتقاد بالمساواه ؟ الجواب : هي الإعتقاد بالمساواه ! و هذه المساواه حتى يكون لها معنى لابد أن تكون غير مشروطه بأي شرط ، لأن وجود شرط لنيل مقام يعني بالضروره أن الذي لا يقوم بهذا الشرط ليس من أهل ذلك المقام ، بالتالي يثبت الفرق بينه و بينه من قام بالشرط فنال المقام . فحين يقال " الناس كلهم سواء في المرتبه " فهل هذه العباره مشروطه أم لا ؟ أي هل المقصود أنه يوجد مرتبه ما ، و كل إنسان قابل لأن يصل إليها بالقوه ، و لكن البلوغ إليها بالفعل يحتاج إلى علم أو عمل ما ، كمثل القول بأن البذور متساويه في الشجريه ، إذ كل بذره شجره بالقوه ، و أما خروجها إلى الفعل يحتاج إلى دفن و سقي و ضوء و رعايه و غير ذلك من شروط و أسباب ، فإن كان هذا هو معنى المساواه التي يقول القوم بها ، فإن عقيدتهم مدخوله من حيثيتين : الأولى أنها نفت المساواه من حيث قيدتها بشروط ، و الثانيه أنه حتى أهل المراتب يقولون بوجود شروط معينه يمكن للعامي فيها أن يبلغ مبلغ الخاصه - لا أقل عندنا كمسلمين إذ العلم و الإيمان و العمل الصالح و الأثر الطيب هو مدار الدرجه التي يكون فيها الإنسان "يرفع الله الذين ءامنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات " و إن إختلفت طرق ذلك

كطريق الإجتباء و طريقه الإنابه ، أو طريق الوراثه و طريق الكسب ، و كل مجتبى وارث هو أيضا مجاهد منيب مكتسب و زياده - فبهذا الفهم نصبح أيضا ممن يقول بالمساواه فيرتفع الخلاف و الحمد لله على توبتهم و إنابتهم للحق . أما إن كان معنى المساواه عندهم هو أن قيمه كل إنسان تساوي قيمه كل إنسان آخر ، بغض النظر عن علمه أو إيمانه أو عمله و أثره ، أو أي واحده من هذه العناصر الأربعه للتفاوت بين الخلق ، أي بإعتبار محض الذات مع إختزال الصفات ، فإن هذا كاسمه إختزال و الإختزال كفر و الدجال أعور . إن هذه المساواه لا تصح إلا من وجه واحد ، و هو إعتبار محض الذات و الوجود البسيط المشترك بين الجميع ، جميع المخلوقات ، بل جميع الكائنات المعلومات المحتملات في عين علم الحق سبحانه ، و لكن هذا لا يمكن أن يبرر معتقد هؤلاء لأمرين : الأول هو أنهم لا يعتبرون هذه الإعتبارات العرفانيه أصلا ، و هو كان للعرفان إعتبار عندهم لكان الحال حال آخر ، كالفرق بين الحياه في قبر و الحياه في قصر و فهذا الإعتبار إنما هو وجه الحق في هذه المقوله و إنما ذكرناه لأننا نرى الحق في كل شئ مهما كان مدى باطله " فأينما تولوا فثم وجه الله " . الثاني و هو الأهم أن الرؤيه السليمه الراقيه هي الجامعه الشامله لوجوه الأمر ، و ليس المُختزله المبتسره المقتطعه المؤمنه ببعض الكافره ببعض ، و النظر إلى محض الذات و الوجود بدون إعتبار الصفات و الحدود هو من هذا الشق الثاني المُختزل المبتور عن الكمال بل و لا شبه الكمال ، و أشبه شئ به في علم الإلهيات هو الإعتقاد بالذات مع الكفر و الإلحاد بالأسماء و الصفات ، أو الإيمان بالله و الكفر بالرسل الذين هم مجالي نور الله في الخلق . فإن كان هذا هو قصدهم من المساواه ، أي عدم إعتبار أي شئ سوى محض الوجود البشري ، فإن أهم ما ينقض هذه الرؤيه هي ما سبق و ذكرناه ، و التالي - و هو الأهم بالنسبه لمن لا يفهم ما سبق : كيف ينظر هؤلاء إلى غيرهم من البشر ؟ المفترض حسب هذه العقيده أن ينظروا إلى كل البشر على نحو واحد ، و لا يبالون بأي فكره أو عقيده أو لون أو مال أو منطقه أو سلوك أو أخلاق ، و لكن الواقع أن أصحاب الحداثه هؤلاء لا يقومون بذلك ، بل كما قال السيد حسين نصر - علامه الإسلام و حصن العرفان في هذا الزمان - " الحداثه هي الأيدولجيه الأكثر تعصبا و تحجّرا و دوغمائيه جزميه مقززه و تطرفا عرفها التاريخ " و كل حرف من كلامه يمكن إثباته تفصيليا ببحث كامل و لكن حسبنا أن نشير إلى أنها العقيده التي تتوسل أي شئ من الدناءات و الأساليب العاميه و البربريه لفرض نفسها على العالم كله و خداع الجماهير لقبولها بكل أنواع الحيل النفسانيه و الإغراءات المسرحيه ، و هي عقيده لا تقبل إلا أن تضع كل حضارات الناس و تقاليدهم و مناهجهم تحت مبضعها التشريحي و أسلوب نظرها النملي المتحجر الضيق الأفق الكمّي التحليلي التفكيكي بخبث و إختزاليه ، و هي عقيده لا تريد أن تدع خاصيه لأمه و لا لقوم و لا لأتباع طريقه إلا وتحشر أنفها فيه و تسلب الجديه و القيمه عن كل ما يؤمن به غالبيه الناس على مر العصور و القرون كلها و تعتبر أنهم كانوا أطفالا في مستوى الفكر و قرودا في مستوى العقل و سذجا في مستوى معرفه حقيقه الأشياء و بكل صراحه أصحاب خرافات و هذيان نفساني لاشعوري مريض ، و أن الشفاء و الحضاره و النماء و الكمال إنما هو في إتباع عقيده الحداثه و ما بعدها - و ما بعدها ليس إلا أسوأ منها لمن يتأمل فهي كالهوي في جهنم ثم " ما بعدها " و ليس إلا مزيد إنحدار في الدركات . هؤلاء

يسمون الشرق ب " العالم الثالث " ، و هو طبعا العالم الأول ، و هي من التسميات الشائعه ، فهل هذا من المساواه ، و على أي إعتبار قسموا العالم إلى أول و ثالث - و لا ندري أين ذهب الثاني - ؟ إنما قسموه بناءا على معيار التصنيع أو الإعتقاد بما يعتقدونه هم في رؤيتهم للوجود و مناهجهم الفرديه و الجماعيه و الثقافيه في التعاطي معه ، يعني بناءا على الماده و الحداثه ، أي بعباره أخرى ، بناءا على دينهم هم و طريقتهم هم ، فرجعنا إلى نفس ما يقوله من ينكر المساواه و يضع معاييرا من عنده يزن بها الناس و الأفكار و القيم و البلدان و التاريخ و كل شئ .

فالحاصل من هذا التطواف هو : كل إنسان يعتقد بالمراتب ، سواء على المستوى النظري أو العملي ، و إن أنكرها على المستوى النظري - و لا منكر على التحقيق - فإنه على مستوى حياته الفعليه و ممارسته الشخصيه أو الإجتماعيه أو الدوليه منكر لها . فالألسن العمليه كلها مسبحه بحمد المراتب و التدرجيه ، و الألسن النظريه معظمها مسبح أيضا و بعض الألسن التي تعيى عن النطق بهذا التسبيح في بعض الأحيان و المواقف فإنها جبرا تنطق به في أحيان و مواقف أخرى إن إستمعت لها بما فيه الكفايه . إذ كون الوجود الإنساني - ككل الوجود- قائم على مراتب هو أمر فطري و من المبادئ الجوهريه للإنسان بما هو إنسان و التي لا يمكن لها أن تتبدل " فطره الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيّم".

و قس على ذلك بقيه الخواص الأربعه . و لو أخذنا بها واحدا واحدا لطال الأمر ، إلا أنك إذا تأملتها على نسق ما ذكرناه قبل قليل ستجد نفس النتيجه .

و بناءا على ذلك ، حين يتم الكلام عن (صلاح أحوال بني ءادم) يجب أن يتم الأخذ بعين الإعتبار أولا الخواص الجوهريه و المبادئ الفطريه لبني ءادم من حيث ذواتهم و أعيانهم . فأكمل إصلاح ، بل الإصلاح الوحيد الممكن فعلا ، هو الذي يتناغم مع هذه الفطره . و ما الإصلاح الأحسن إلا إظهار الفطره في أحسن مظهر . و من أمثله ذلك ، أنه يجب أن تكون حياه الناس في دولتهم قائمه أيضا على مراتب ظاهره بارزه معترف بها ، و لكن أن يكون معيار هذه التراتبيه هو الأمور العاليه و الإلهيه و النبويه و العرفانيه و الحكميه ، فالفرق بين مصاديق المراتب هو في هذا المعيار ، و نحن كمسلمين لنا معاييرنا الخاصه لذلك ، فحين يحاول أحد العميان الماكرين أن يطبق على المسلمين و دولهم معايير لا تتناغم مع دينهم و طريقتهم فإنه لن يحصد إلا رفضا يؤدي عاجلا أم آجلا إلى إنفجار عنيف ، أو سيؤدي في قله من الأحيان إلى مجتمع ممسوخ عاجز عاطل فاقد للهويه ضعيف الهمه إنتهازي عدمي مشتت متضارب ، و إذا نظرت في كل دوله ذات أغلبيه مسلمه في هذا الزمان و تم فرض معايير و قيم و مناهج و طرق مغايره للإسلام - الإسلام الذي عاشه الناس قبل عصر الحداثه ، و أقول ذلك لأني أسمع صوت متأسلم حداثي يقول " و ما هو الإسلام ! " - فإنك لن تجد إلا أحد هذين النموذجين ، إما دوله عنف و مصدره للعنف أو دوله عاجزه فاشله فاسده أو كلاهما . و هنا نقطه مهمه : إن النظر في هذه الدول و القول بأن " الدول ذات الأغلبيه المسلمه سيئه " و إتخاذ ذلك دليلا على

وجود خلل و العياذ بالله في الدين أو " إحتياج الدين إلى تجديد " كما يقول الصنف الخوار المعتوه أو العبد المأجور ، أو أي شئ غير الحقيقه الوحيده و هي أنه تم فرض أمور على كافه المستويات مخالفه لما يتناغم مع سكان هذه الدول أو غالبيتهم فنشأ ما نشأ ، هذا كله دليل على سخف هذا القائل و ضعف بصيرته - هذا إن كنا سنحسن الظن به و لا سبب لحسن الظن هذا بالمناسبه . و إن العنف أو الفشل الذي تظهره هذه الدول و جماهيرها المسلمه هو نوع من الثوره الشعبيه ، إي والله ، ثوره من لدن الله تعالى هو ألهمها لهذه الجماهير المحبه له و لشرعته و منهاجه . فليفعل ما يريد أن يفعله كل القائمين على "الإصلاح" و حكوماتهم و وزاراتهم و مشاريعهم " التنمويه " ، و ليضعوا أي مناهج يريدونها في المدارس- هذه السجون التي لا يندرس فيها إلا العقل و الحريه ! - و ليفعلوا كل ما يستطيعون، فلن يتحول حال الناس من المسلمين إلا إلى عنف أو فشل ، و لا ثالث ، حتى يظهر الإسلام بكل رؤيته العرفانيه للوجود و منهاجه العلمي و النظري بكل درجاته و ألوانه التي عرفها المسلمون على مر القرون و خلقوا بها أعظم حضاره شامله للمدنيه و البداوه - حضاره بالمعنى الحقيقي للكلمه و ليس هذه البربريه المزوره المعروفه بالحضاره الغربيه - حضاره المسلمين التي تجمع فيها كل درجات ظهور فطره الإنسان و طبيعته بكل ألوانها و ألسنتها و أبعادها المحيطه بالوجود من أعلاه إلى أدناه و ما وراءه ، الحضاره التي تجمع بين شعراء كجلال الدين البلخي و أبو نواس الخمري ، و علماء كإبن عربي و البيروني ، و عرفاء كالجيلي و حافظ ، و أهل فكر كابن سينا و ابن رشد و جابر بن حيان ، التي تجمع بين المساجد و الحانات ، و قوه القلم و قوه السيف ، خلفاء العلم و خلفاء الحكم ، السعي للآخره و المشي للدنيا ، و في خلال كل ذلك تتمحور حول القرءان و مثال رسول الله صلى الله عليه و اله ، فيكون القرءآن يتلى في أذن المولود و على جثه الميت و ما بين ذلك ، القرءان من المهد إلى اللحد ، حضاره تكون محوريتها هي العلوم المائه و الخمسين التي عددها الأستاذ القاضي العثماني طاش كبرى زاده ، و يكون كمال الإنسان هو بتحصيل كل هذه العلوم أو شئ من كل شئ منها ، و تكون العلوم- نعم "العلوم" المعتبره - تشمل علم التفسير و الشعر كما تشمل الكيمياء و السيمياء ، تشمل اللسان العربي كما تشمل السحر و الطلسمات ، تشمل النظر في الملكوت و النظر في تشريح الحيوانات و فوائد الأعشاب ، و أثناء كل ذلك يكون القرءآن هو الكعبه التي من أجل مزيد فهمه يسعى الإنسان لتعلم كل هذه العلوم ، و يدخل بكل علومه إلى القرءآن بقابليه أوسع و شهيه أطلق لينهل منه ، حضاره معرفه و متعه ، حضاره تأله و عربده ، حضاره سلطنه و تصوف ، حضاره جمال و زينه و زخرفه و سحر الشرق بكل معانيه و صوره و تجلياته ، هذه هي حضاره المسلمين في كل وقت تقوم لهم قائمه على المستوى الأرضي . و إن كان يمكن لهذه الحضاره أن تنطلق أول مره في ظرف بضعه عقودمن الزمن في تلك الأيام ، فإن قيامها اليوم من جديد بكل أبعادها - و إن كانت قائمه على المستوى الباطن و الكهفي لم تزل ، فذلك كان نهار و اليوم نحن في ليل و بعد الليل فجر إن شاء الله - ممكن و أيسر و المسلمين قد طبقوا الأرض من شرقها إلى غربها ، و من مشرقها إلى مغربها ، و إن كان يمكن للصهاينه أن يقيموا لأنفسهم دوله يحبونها و تتناسب مع ما يريدونه مع كل هذه الظروف السلبيه المحيطه بهم ، فما ظنك بقيام حضاره المسلمين على مختلف

أقوامهم و ألوانهم و طرائقهم المتعدده في إظهار ذلك ، "و هو أهون عليه " ، خصوصا و أن عزائم الغرب و جماهيرهم قد دخلوا مرحله الوهن و الضعف بل الموت في كثير من الجوانب ، و بدأ أهلهم و جماهيرهم يفقدون الثقه و الإعتقاد بخرافات سادتهم و كبرائهم و الوعود الرنانه التي وعودهم بها من قبل ، و كثير مما كان يحيط بهم كسور قد انهد و بدأ ينهد الباقي منه ، و الجيل القادم أو الإثنين سيكون جيلا من حيث همته و إيمانه و قوته كقشه في مهب الريح ، فإنهم ربوهم فأساءوا التربيه ، و دللوهم فأفرطوا في الدلال ، و نعّموهم فبالغوا في التنعيم ، و رققوهم فسلخوا جلادتهم بالترقيق ، و مستوى عقولهم بعد كل هذا الإعلام و التعليم أصبح في الحضيض من جوانب كثيره ، و لهذا لا تستغرب أن من الغربيين أنفسهم ، بل و من قبل عقود من الزمن ، بدأ يكتب كتبا في سقوط الغرب و إنحلال سيطره أمريكا و غير ذلك مما يسبح في هذا الفلك . و نحن نعلم أن فرعون وهامان و قارون و جنودهما لما استضعفوا بني اسرئيل ، قد حكموا على أنفسهم بالغرق و الخسف و الهلاك . فرعون يرى نفسه الأعلى ، فطغى على المغاير له و المخالف لنهجه ، فلعنه الله و أغرقه و من معه في اليم أجمعين . و الغرب رأى نفسه الأعلى - و لا تحتاج أن تقرأ كثيرا عن بدايات رؤيه الغرب الأوروبي لنفسه و عدم إعتباره لأي شئ خارج أوروبا و من هنا سموا الحرب الأوروبيه بالحرب " العالميه" ! و هذا من " إنفتاحهم " كما هو ظاهر - و بسبب رؤيته لعلوه هذا إستحل لنفسه تجريد السلاح و الأموال و تجنيد العبيد و العملاء في التعليم و الإعلام ليفرض نفسه على العالم الإسلامي و يعبث بدينه و طريقته في الحياه و رؤيته للأمور ، و وضعوا عليه و لا يزالون يضعون و يؤيدون من يحافظ لهم على مصالحهم و أفكارهم و يسوق لما يمكن أن يحول العالم الإسلامي إلى سوق يستهلك بضائعه بلا أي منافس كلما استطاعوا ، و بهذين الأمرين يكون قد وقع عليهم سنت فرعون في رؤيته الكاذبه و طغيانه و جرائمه المفسده ، و لن يتخلف إن شاء الله - و قد شاء سبحانه و سن السنن - وقوع أمرين : إغراق الغرب و إهلاكه و جعله آيه للناس من جهه ، و خروج الإسلام و نوره من الغرب و إنتشار المسلمين في بلاد الغرب بجعل الله تلك البلاد ميراثا لهم بلا أي عنف عدواني أو حرب أو شئ من المسلمين . و تستطيع أن ترى بقيه تفاصيل السنه الفرعونيه في حق الغرب ، و منها مثلا أن فرعون حين أراد أن يبعد الناس عن موسى إرتكب جرائم متكرره في حق بني إسرائيل حتى يكون الرعب و الكره و البغض المتوجه لهم نحو موسى حجابا بينهم و بين إتباعه ، و هو ما يفعله الغرب في كل ما يظن أنه به يشوه صوره الإسلام و المسلمين في أعين أهله و غيرهم ، و هو يظن أنه بذلك سينجح في خلق حجاب بينهم و بين الإسلام ، و العجيب أنه لم يسبق أن تسارع دخول الغربيين في الإسلام كما تسارع بعد هذه الحملات التشويهيه و التخويفيه ، و القادم أعظم و أجل بإذن الله . " و لن تجد لسنت الله تبديلا و لن تجد لسنت الله تحويلا " صدق الله العظيم .

(صلاح أحوال بني ءادم) يتم فعلا حين تكون الخلافه في الأرض لبني ءادم فعلا . " أمن يجيب المضطر إذا دعاه و يكشف السوء و يجعلكم خلفاء الأرض ، ءإله مع الله " لا إله إلا الله.

...

هـ (و الباعث على تدوين نُسخ الخلائق)

بعد أن بيّين في فقره (العالَم) و فقره (بني ءادم) ما بيّنه من شؤون العالم الكبير و العالم الصغير ، و التناظر بين العالَم و بني ءادم ، بين الآفاق و الأنفس ، بين الجسد و الروح ، بين القطر و المركز ، دخل في باب آخر من الكشف و هو أن (الخلائق) كلها - و هذه كلمه تشمل العالَم و بني ءادم إذ الكل مخلوق لله ، من أول فاتح سلسله الظهور و وساطه الفيض و وسيله العطاء إلى آخر السلسله و ختم الدائره الكل مخلوق مربوب عبد مفتقر للحق سبحانه في أصل فطرته و محض ماهيته لا إنفكاك له عن هذه الحاله بحال من الأحوال ، و ليس ثَم إلا عباد أفاض عليهم رحمته و عبيد أفاض عليهم قهره - ديوان و كتاب . الخلائق كتاب كتبه الخالق . و ككل كتاب ، له مبنى و معنى ، أما مبناه فهو العالَم ، و أما معناه فهو بني ءادم ، و ككل كتاب لابد أن يكون ثمه باعث ما على تدوينه ، باعث واحد أو أكثر ، و هو يكشف هذا الباعث بأنه (تحصيل المعرفه) و (تكميل علوم) ، فإن ذهب الباعث إنتشر العبث ، و لا يمكن لكتاب أن يُعقل حقا إلا بالتفقه في الباعث على كتابته ، و إلا يصبح الكتاب طلسمات لا حل لها ، و حين يكون الأمر كذلك يُصبح كل من هب و دب ، و كل من له القدره على الشذ و الشد ، مُخترعا لبواعث من عند نفسه و وساوسه و ما يتفق أن يكون حال ظروفه و مجتمعه و قيوده و مزاجه ، فيصبح الحال كجزيره العرب أيام الجاهليه ، يوجد بها أكثر من كعبه و الكثير من الأصنام ، أما الإسلام فإنه ليس فيه إلا كعبه واحده و مركز واحد يتجه إليه القاصي و الداني ، و يجتهد في التوجه إليه كل قادر و عاجز .

رمزيه الكتب و شؤونها هي من أهم ما يعلمه القرءآن ، بل إن من ينظر إلى شؤون كلمه "كتاب" و مشتقاتها و أحوالها في القرءان يجد عجبا ، و يقترب حد تعشق الكتاب إلى مستوى الهوس به و لله الحمد ، حتى إن الله نفسه هو أول كاتب و أول مكتوب و أول مكتوب عليه ! يقول الحق سبحانه " كتب ربكم على نفسه الرحمه " ، فالكاتب هو " ربكم " و المكتوب عليه هو "نفسه " و موضوع المكتوب هو " الرحمه " التي هي عين ذاته من حيث أنها رأس أسماء تجلياته الكونيه على المخلصين ، و الصفه عين الموصوف بالنسبه للحق ، و الصفه غير الموصوف بالنسبه للخلق، لأن كل صفه في الخلق إنما هي من إفاضات أسماء الحق ، فالعلم مثلا طارئ على العبد "لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم " و كذلك في كل إسم آخر ، فلا قدره لنا إلا ما قدرتنا إنك أنت القدير ، و لا رحمه لنا إلا ما رحمتنا إنك أنت الرحيم ، و هكذا من حيث المعنى و المضمون في كل إسم آخر ، أما بالنسبه للحق فإنه لا شئ فوقه حتى يفيض عليه الصفه ، و الصفه ليست كائنا هوائيا لا ذات لها حتى تكون هكذا مجرد "صفه" مجرده ، إنما الصفه سمه لذات، و الذات الجامعه لكل الصفات الكماليه و الجلاليه و الجماليه هي ذات الله سبحانه و تعالى . و هذا هو حل الإختلاف المشهور بين من يثبت الصفات و من ينفيها عن جناب الحق سبحانه ، فإن من نفاها إنما إعتبر زاويه علاقه الصفه بالخلق فنفى و حق له ذلك ، كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام " لشهاده كل صفه أنها غير الموصوف " فإعتبر إن كمال التوحيد هو "نفي الصفات عنه" ، و المقصود هذا الإعتبار . أما القرءآن فإنه لم يذكر الصفات لله ، و

إنما ذكر التعبير الأدق و هو " الأسماء " ، لأن الإسم عين ذات المسمى بإعتبار ما فيها ، كالعليم و القدير و الباسط و القابض سبحانه . و كم من إختلاف إنما هو في الواقع إتفاق لم يتم التعبير عنه بدقه ، دققوا في الإعتبارات لترفعوا الإختلافات .
ثم إذا نظرنا في كلمه " كتاب " في القرءآن من حيث الكيفيه و الكميه سنجد التالي :
أما الكيفيه ، فوردت الأشكال الآتيه { كَتَبَ ، كَتَبَتْ ، كَتَبْتَ ، كَتَبْنَا ، كتبناها ، فسأكتبها ، تكتبوه، تكتبوها ، نكتب ، يكتب ، يكتبون ، أكتب ، فاكتبنا ، فاكتبوه ، كُتب ، ستُكتب ، أكتتبها ، فكاتبوهم ، كاتب ، كاتبا ، كاتبون ، **الكتاب** ، كِتابا ، كتابك ، بكتابكم ، كِتابُنا ، كِتابه ، كِتابها، كِتابهم ، كِتابي ، كتابيه ، كُتُب ، كُتُبه ، مَكتوبا }
أما الكميه ، فصيغه { الكتاب } وحدها وردت ٢٣٠ مره . و أما مع بقيه الأشكال ، فالحاصل هو : ٣١٩ مره .
و الكتاب بكل صوره السابقه مرتبط بكل مراتب الوجود من أعلاها إلى أدناها ، فالله يكتب على نفسه ، و علم الخلق مكتوب عنده ، و الأجل مكتوب ، و الهدايه بالكتب ، و حفظ المستندات في المعاملات الماليه يجب أن تُكتب ، الحساب في الآخره بناءا على كتاب المرء و كتاب الأمه ، و غير ذلك من شؤون المبدأ و المعاد و الطريق بينهما . و من هذه الأهميه البالغه التي يكشفها القرءآن بخصوص الكتاب و شؤونه نفهم سبب قول السلطان (الباعث على تدوين نُسخ الخلائق) في إحدى معاني هذه العباره الجليله .

و من المعاني الأخرى التي تتفرع عن ذلك هو رد خرافه من خرافات الحداثه و نزعاتها "التاريخيه" و "التأثر السلبي بالمحيط " ، و التي تُخرج مقولات من قبيل : الإنسان صنيعه بيئته و الفكر نتيجه مجتمعه أو إنما يأتي صاحب الفكر ليقنع مجتمعه بما يناسب طبائعهم و عاداتهم ، و ما أشبه . فإن بيئه و مجتمع العرب قبل الإسلام القرءاني المحمدي ، يُمكن أن نقول عنها ألف شئ ، و نتجادل حول خصائصها و نفسياتها و إهتماماتها إلى أبد الدهر ، و لكن الشئ الوحيد الذي يُمكن أن يوقن به الجميع و لا يُعقل أن يوجد فيه نزاع جدّي بل و لا هزلي هو أن العرب و الأعراب لم يكونوا أصحاب كتب و كتاب ، و لا أقل لم يكن ذلك من إهتماماتهم و محبوباتهم ، بل لعله إن لم يكن في آخر قائمه إهتماماتهم و مستوى أذهانهم فإنه ليس فيها البته . فأن يأتي رجل برؤيه وجوديه و منهاج متمحور كل هذا التمحور حول الكتاب ، حتى يأتي بمثله الأعلى و يجعله كاتبا و كتابا و مكتوبا عليه ، بل يصل به المدى إلى أن يحوّل أمته إلى عشاق للكتب و تتفجر أنهار التآليف المتنوعه فيهم من زمانه و مكانه مرورا بمختلف الأزمنه و الأمكنه ، فإن هذا لأمر عجيب . و هذه ملاحظه إستطراديه ليتأملها أهل الفكر ، فلنرجع إلى ما كنا فيه .

(الباعث) هو (تحصيل المعرفه) ، هذا مبني على الحديث القدسي المشهور الذي صدقه أهل الله فهو صادق ، يقول الحق سبحانه " كنت كنزا مخفيا ، فأحببت أن أُعرَف ، فخلقت الخلق ليعرفوني " ، و العلاقه واضحه بين محبه المعرفه و خلق العرفاء . فالباعث على الخلق ثلاثه عناصر متداخله : الذات

و الإراده و المحبه . أما الذات فقوله سبحانه " كنت كنزا مخفيا " هذه ال "كنت" هي للماضي الأزلي ، المتعالي على الزمان ، فهو الحقيقه المحضه ، و "كنزا" الكنز فيه معنى الإكتناز و هو الإمتلاء و مربوط بالجواهر و النفائس ، و المقصد هنا الحقائق الأسمائيه و المثل المطلقه التي تظهر تصريفاتها في الكون ، و " مخفيا " حاله الكمون لهذه الحقائق ، و الخفاء نسبي ، فبالنسبه للحق لا خفاء و لكنه بالنسبه للخلق ، و هو أيضا مخفي بالنسبه للحق و لكن بإعتبار أن ظهور الأشياء له في مرآه خلقه غير ظهورها له في عين ذاته ، و هو ما ذكره الشيخ الأكبر في بدايه الفص الآدمي " لما شاء الحق سبحانه من حيث أسمائه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها ، و إن شئت قلت أن يرى عينه ، في كون جامع يحصر الأمر كله لكونه متصفا بالوجود و يظهر به سره إليه ، فإن رؤيه الشئ نفسه بنفسه ما هي مثل رؤيته نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآه ، فإنه تظهر له نفسه في صوره يعطيها المحل المنظور فيه مما لم يكن يظهر له من غير وجود هذا المحل و لا تجليه له " ، فحاله الخفاء هي تعبير عن هذه الحقيقه ، و هذا لا يعني أنه كان ثمه وقت لم يكن لله فيه خلق ، فإن الله خلّاق ، و الخلّاق إسم ذاته العليه ، فلا ينقطعه فيضه و تجليه ، فإنه لم يزل خلّاقا ، و خلقه دون محض ذاته في المرتبه ، و توهم الشرك في عقيده دوام الخلق باطل ، فإن من أدله بطلانه أنه يفترض أن وجود شئ مع الحق يعني الشرك ، و هذا لازم أيضا في وجود أي شئ مع الحق حتى بعد الخلق الواحد الذي هو الآن ، فضلا عن أنه يلزم منه بالضروره - كضروره اللزوم السابق - أن الإعتقاد بمعلومات الله اللامتناهيه ، و علمه أزلي أبدي لا يتغير و لا يُضاف إليه شئ و لا ينقص منه شئ ، يقتضي أيضا الشرك ، و هو كما ترى ، و إن علم الله سابق على خلقه ، و كل خلق يسبقه علم ، " و هو بكل شئ عليم . هو الذي خلق " و " ألا يعلم من خلق"، فإن كان دوام الخلق يقتضي الشرك ، فإن دوام العلم يقتضي الشرك الأكبر ، حاشا لله ، و هذا التوهم و أمثاله كثير إنما ينشأ حين يحشر المتكلم أنفه فيما لا يخصه ، و إنما جُعل علم الكلام كسلاح يُحارب به الأعداء ، لا كوسيله لتحصيل الحقائق و إفاضتها على الأولياء ، علم الكلام برج لقتال الكافرين ، و ليس مدرسه لكشف المعاني للمؤمنين ، و هو في جميع الأحوال علم ذهني ، و ليس علم عقلي ، و الذهن دون العقل كما أن القمر دون الشمس . فالحاصل ، إن قول الحق " مخفيا " متعلق بذكر مقام عدم الظهور ، و هو مقام خيالي كتقسيمات الذهن التي لا توجد إلا فيه و ليس لها مصداق مطابق لها في الخارج ، و هو تقسيم مفيد من جهه التحليل و تيسير الفكره الكامله بتجزئتها ، كما يتم تشريح البدن ، فعندما تقتطع اليد من البدن لتنظر في تركيبها تعلم أمورا لم تكن لتعلمها من ملاحظه اليد و هي فاعله تامه مرتبطه بالكل ، فيجب أن تقتلها ببترها عن الكل ، ثم تعرف شئ من خواصها و تركيبها ، كذلك التقسيمات الذهنيه إلى حد ما ، فإنها تساعد على رؤيه جانب من الحقيقه لا يتيسر معرفته لمن لم يكن صاحب نظر ثاقب يرى من وراء حجاب و ينفذ إلى بواطن الأمور بالكشف الجمعي و الشهود الكلي ، فيرى الكل في الجزء و الجزء في الكل ، بل يرى الكل كما هو دون الحاجه إلى البتر و التفكيك ثم الوصل و التأليف ، إلا أنه من شأن الوحي أنه " تنزيل " و " تيسير " ، فهو بالضروره يفترض أن القابل له دون في الدرجه و سافل في العقل بالنسبه لمن هو مستغن عن التنزيل لأنه هو بنفسه يعرج إلى

الحقيقه ، فالحقيقه تنزل رحمه بمن لا يستطيع أن يعرج إليها ، كمثل يوسف حين ألقوه في غيابت الجب ، فإنه لو كان عنده سلّم لما انتظر الدلو ، و لو كان عنده أجنحه لما افتقر إلى الدلو ، الذهن الموفق سلّم ، و العقل المكاشف جناح ، و الوحي دلو ، و نفسك يوسف. و قوله " مخفيا " أيضا يشير إلى معنى عدم الظهور الحالي ، بمعنى أن الفيض و إن فاض إلا أنه يمر بالمراتب و " يتنزل الأمر بينهن " مما يقتضي وقت بين بروزه و وصوله إلى آخر درجه في تنزله ، فحين يكون مثلا في الطبقه الثالثه ، يكون ظاهرا معروفا لأهل تلك الطبقه ، إلا أنه بالنسبه لأهل الطبقه السادسه يعتبر "مخفيا" . و من أمثله ذلك تأويل القرءان و اليقين بالآخره . فإن الله تعالى يقول عن الذين كفروا بالقرءآن " يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل : قد جاءت رسل ربنا بالحق " ، و عن الغافلين " لقد كنت في غفله من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد" و هذا يعني أن الذين لم ينسوه ممن يعلمون أنه الحق قد علموا تأويله من قبل أن يأتي ، و الذاكرون قد كُشف عنهم الغطاء و أصبح بصرهم حديد من قبل أن تأتي سكره الموت ، و من هنا يقول حضره علي عليه السلام " لو كُشف الغطاء ما ازددت يقينا" و يقول الأئمه الكمل و أقطاب الأمه أن عندهم علم تأويل القرءآن . فالتأويل من قبل أن "يأتي" في مرتبه ما يكون قائم في مرتبه أخرى ، و مثال ذلك الفكره و الحديث عنها ، فالفكره تكون في ذهنك أولا ثم تتحدث عنها و تبرز على لسانك ثانيا ، و إن كان الفاصل الزمني قصير جدا إلا أنه موجود ، و كذلك حين تكون في نفسك فكره و لكن تسرها فيها و لا تبديها لأحد ، فالطبقه الأعلى هي محل منشأ الفكره أصلا ، ثم دونها محل ظهرر الفكره في ذهنك و نفسك ، ثم دونها محل بروز الفكره في صوره لسان معين و محيط معين ، و بين كل طبقه و أختها فاصل و برزخ ، و باب لا يمر شئ منه إلا بإذن و شروط ، و لذلك في كل لحظه لا يظهر في نفسك و ذهنك من الأفكار و المشاعر إلا جزء من الإحتمالات الممكنه الكامنه فيك ، فالذي يجعل الفكره ب أن تظهر دون الفكره ج هو هذا الإذن و الشرط ، و كذلك في مرور كل شئ من طبقه إلى أخرى . نفس الشئ يقال في الوجود و الكون إذ إنما الإنسان كون صغير ، فالله تعالى يقول " إنا كل شئ أنزلناه بقدر " بالرغم من أنه تعالى " بكل شئ عليم " و " على كل شئ قدير " ، فكل الأشياء حاضره في الطبقه العليا المقدسه عن الكون و الخلق و قيوده ، ثم يأتي أمر " كن " للشئ الذي يريده الحق أن يظهر في التكوين المقيد ، و كذلك " يتنزل الأمر بينهن" من طبقه إلى طبقه بإذن الله ، فالذي يكشف له الحق عن الشئ و هو في الطبقه الأعلى فإنه يكون قد علم مسبقا ما سيصل إلى الطبقه الأدنى قبل أن يعرف أصحاب الطبقه الأدنى هذا الشئ ، و هم يظنونه علما بالغيب ، و هو كذلك من حيثيه ما ، إلا أنه في الواقع مشاهده لواقع ، كمثل لو كان للإنسان عين يرى بها الفكره و هي في ذهن الماثل أمامه قبل أن تنزل إلى طبقه اللسان و يبديها له ، فإنه " يقرأ أفكاره " بالتعبير الشائع ، فهو لم يعلم " الغيب " بقدر ما علم شهاده الفكره في الطبقه التي منها ستتنزل إلى الطبقه الأخرى ، مع العلم أن إعلام الله تعالى للعبد بأن هذا الشئ سيتنزل من طبقه إلى أخرى ضرورري ، إذ قد يكمن في طبقه و لا ينزل منها إلى غيرها ، فمجرد مشاهدها في طبقه لا يتساوق بالضروره مع العلم بتنزلها في طبقه أخرى ، و من هنا قال في الآيه العظيمه ذات الأدب و الكشف الصريح " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن

المسجد الحرام ، إن شاء الله " فبالرغم من أنه أثبت التصديق و أكّد الوعد الإلهي ، إلا أنه مع ذلك إستثنى بالمشيئه ، و قال " إن " و ليس " إذا " شاء الله، و "إن" محتمله للوجهين ، و ذلك لأن المشيئه لا يحدها شئ ، فهي " عرش الذات " بتعبير الشيخ أبو طالب رضي الله عنه ، و كذلك كل تنزل متعلق بالمشيئه ، و المشيئه من عين الذات الإلهيه التي " لا يحيطون بها علما " ، فالخلق أبدا في درجه ما من الحيره بسبب المشيئه ، فمن نفى كل درجه من الحيره فهو التائه الحائر حقا ، و إن كان العالم له حيره المعرفه بالله ، فإن هذا التائه له حيره " استهوته الشياطين في الأرض حيران" ، فالحيره العرفانيه شئ ، و الحيره الشيطانيه شئ آخر . الحيره العرفانيه قائمه حتى مع عين و علم و حق اليقين ، لأنها نابعه من ذات اليقين ، و أما الحيره الشيطانيه فنابعه من الجهل و سوء الظن و خبث النفس و مرض القلب و عدم إدراك لسنن الخلق . فالحاصل ، أن قول الحق سبحانه " كنت كنزا مخفيا " مشتمل على الحقيقه الإلهيه في مستواها المتعالي ، ثم يأتي بعد ذلك مستوى الواسطه ، ثم يأتي مستوى التجلي .

فيقول في مستوى الواسطه " فأحببت أن أُعرف " . ظاهر النص أن "أحببت" سابقه على "أعرف" ، إلا أن الواقع هو أن "أعرف" سابقه على "أحببت " ، فإن المحبه أبدا تابعه لشئ، المحبه دون المحبوب ، لا يوجد محبه محلقه في الجو ، المحبه تعلق بشئ و تابعه له ، و من هنا دونيه من يرى قيمه المحبه على أنها أعلى قيمه ، فضلا عن جهله بواقع الأشياء ، رفع المحبه لتكون أعلى قيمه فضلا عن إستحالته فإنه من عين إستحالته يدل على نزعه عدميه و إن كانت تلبس ثوبا جماليا عاطفيا . ليس كل لفظ جميل حق ، و لكن كل لفظ حق جميل . " الله جميل يحب الجمال " أولا الحق ثم ظهوره ، و قد يوجد مسيح دجال يتنكر على أنه المسيح الحق . فأولا المعرفه ، ثم المحبه . فإن الحق عرف نفسه أولا - من حيث الرتبه - ثم أحب أن يُعرف ، فإن العدم لا يمكن أن يكون موضوعا للحب ، فلولا أن الحق عرف نفسه و عرف عظمه جواهر أسماءه و حال الكون إن ظهرت لما أحب أن يخلقها . فالنص يضمر مقلوبه ، فهو كالمرآه التي تظهر اليد اليمنى للواقف أمامها على أنها شمال و الشمال على أنها يمين . كذلك هنا ، النص يقدم المحبه على المعرفه ، و لكنه يضمر سبق المعرفه بذاته سبحانه على محبته لإظهارها لخلقه . فالواسطه بين مستوى التعالي و مستوى التجلي هو المعرفه و المحبه التابعه لها . المعرفه الذاتيه و محبه بسطها و إظهارها للآخرين . و من هنا قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله " من أحب العلم و العلماء ، لم تُكتب خطيئته قط " لاحظ أنه ذكر الأمرين ، المحبه التابعه للعلم و العلماء الذين هم قوابل فيض العلم من العليم ، فمن قام بذلك فقد أتم قاعده بناء التكوين كلها ، و من تناغم وجوده و باعثه و قلبه مع وجود الحق و باعثه و خلقه فهو في الحق و النور ، و الحق قاهر للباطل ، و الظلمه لا تلصق بالنور ، فالنتيجه أن هذا العارف " لا تُكتب خطيئته قط " كما قال سبحانه عن فاتحه العارفين و خاتم النبيين " ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر " إذ أنّى للتراب أن يمس الشمس .

ثم يقول عن مستوى التجلي " فخلقت الخلق ليعرفوني " . السر كله في حرف الفاء ، فإنه المدد الموصول بين التعالي و الواسطه و بين التجلي ، فكل مفصول عن العلم بهذه الفاء و التحقق بها فإنه

يعتبر غير مخلوق أصلا ، هو في حكم العدم ، و إن كان يمشي و يتنفس و يأكل و يشرب ، بالنسبه لأهل الله هو في حكم العدم الذي لم يُخلق . و من هنا يسعى أمثال هؤلاء إلى "إثبات وجودهم" و "إثبات ذواتهم" بشتى مساعيهم الفارغه و آمالهم التافهه و عنفهم القبيح و كفرهم الصريح . لولا أنهم يشعرون بعدميتهم ، لما سعوا لإثبات وجودهم و ذواتهم ، فسعيهم للوجود مبدوء بالعدم ، و إن كان " من أشرقت بدايته أشرقت نهايته " فإن من كانت بدايته العدم كانت نهايته العدم و عاقبه أمره الندم . أما لأهل الحق ، فإن الخلق هو صوره التعالي و الواسطه ، و كل قيمه في الخلق إنما تستمدها من كونها كذلك ، و الأولى عندهم ما كان أشد ظهورا في هذا المجال . كل من كان حظه من " ليعرفوني " أكبر ، كان في عيون بني ءادم أكبر . و الخلق و كل ما فيه يدور حول محبه المعرفه و أهلها ، و خدمتها و نشرها ، و تيسيرها و بسطها ، و إظهارها و تصويرها .

(الباعث) هل هو في كل دوره خلّاقيه تكوينيه هو نفس الباعث ، أي معرفته سبحانه ، أم أنه قد يختلف فيكون في دوره أخرى شئ آخر ؟ لننظر في الأمر من زاويتين ، الأولى هي كون الأسماء الحسنى كثيره ، و كلها أسماءه تعالى ، فمن هذه الحيثيه هي متساويه ، فقد يكون الحال أن دوره خلاقيه معينه تكون محوريتها هي إظهار إسم ما كالعليم ، و في دوره أخرى تكون المحوريه لإظهار إسم آخر كالقهار . الإحتمال الثاني أن المحوريه دائما هي العلم و حبه. و لا تعارض بينهما ، إذ إن " ليعرفوني " تتسع لكل إسم من الأسماء الحسنى ، فمعرفه الله بقهره - من حيث الذات - هي معرفته بلطفه ، فالمعرفه بالله متحققه أيا كان الإسم المتجلي أو الذي له السلطنه المركزيه في حياه الفرد أو الجماعه أو الطبقه الكونيه أو الكون كله في مبدأه و معاده أو أحدهما أو كلاهما . و لهذا سمى الله أهل الدنيا و الغافلين المغرورين بأهل علم أيضا فقال " ذلك مبلغهم من العلم " ، مع أمرنا بأن نُعرض عنهم . فكل مخلوق عالم بالله و عارف به و لكن الفرق بين المخلوقات كأصل هو من جهتين : الصوره و الدرجه . أما الصوره فالبعض يكون في صوره أسماء الرحمه ، و البعض يكون في صوره أسماء العذاب ، و ما بين ذلك من مراتب . و الدرجه هي مستوى أصحاب كل صوره في صورتهم و فلكهم ، فعلم النبي عليه السلام في الدرجه العليا و علم أدنى فرد من المسلمين في الدرجه الدنيا و إن كان في الجنه و في العلم ، فالجنه على درجات ، و كل قارئ للقرءآن له درجته بالرغم من أن كلهم أهل القرءآن . فما الجواب عن سؤال وحده الباعث أم تعدده ؟ الجواب : الحق هو الحق ، و لأنه هو فهو لا يتغير ، إذ التغير كوني ، و الحق متعالي ، " ما عندكم ينفد و ما عند الله باق " ، و إن كان ما عندنا هو منه سبحانه ، و فرق بين أن يكون " من الله " و بين أن يكون " عند الله " ، كذلك فرق بين أن يكون " من دون الله " و بين أن يكون " من لدن الله " . فالباعث على الخلق دائما أبدا هو " خلقت الخلق ليعرفوني " ، فإن هذا الحديث القدسي كشف عن سر إسم الخالق البارئ المصور الخلّاق العليم ، سر الخلاقيه هو في " ليعرفوني " ، و هذه اللام " ل يعرفوني" هي الكاشفه عن هذا السر . فكما أن إسم القهار لإظهار علو الحق و عبوديه الخلق ، فإن إسم الخلاق لإظهار جواهر أسماء الحق و إكرام الذين سبقت لهم من الله الحسنى من الخلق . فالباعث واحد لا يتغير ، و في كل كون تظهر

أسماء الله الحسنى كلها ، تختلف الصور و يتحد الجوهر . " و من ءاياته اختلاف ألسنتكم و ألوانكم " .

(تدوين نُسخ الخلائق) لماذا سماها " نسخ " و النسخه هي شئ مطابق لشئ آخر يسبقه كما قال الله عن ألواح موسى " و في نسختها " إذ كان موسى قد ألقى الأصل الأول الذي أوتيه لما وجد عباده العجل من قومه ، و التوحيد أساس الشريعه ، فلما أبطلوا التوحيد ألقى موسى ألواح الشريعه إذ ما قيمه الشريعه بلا روح الحقيقه و إنما الشريعه صوره تلك الروح ، فلما سكت عن موسى الغضب أتاه ربه نسخه من تلك الألواح - هذا على اعتبار في الآيات الكريمه . و كذلك في ظهور صوره أعمال الإنسان في الآخره ، يقول الحق " إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون " فالعمل هو الأصل ، و ما سيجده الإنسان حاضرا يوم الحساب هو الصوره المستنسخه عن ذلك الأصل . فالحاصل أن (نُسخ) دائما تكون فرعا لأصل . و السلطان يقول هنا (تدوين نُسخ الخلائق) مما يعني أن الخلق فرع لأصل سابق عليه ، فما هو هذا الأصل ؟ الجواب : هو علم الله المطلق . فكل خلق هو صوره مكونه عن " الأعيان الثابته " أزلا و أبدا لكل شئ ممكن و محتمل و جائز بإطلاق تام . فالمخلوق كالظل ، و عينه الثابته في علم الله المطلق هي الأصل ، فالمخلوق أبدا يشعر أنه ظل ممدود لأصل ثابت الوجود ، و وعيه يتقلب بين هذا التغير و الثبات ، و مهما حصل للجانب المتغير الظلي فيه فإن الجانب الثابت لا يمكن أن يحول أو يزول لأنه من نفس حقيقه علم الله الحق ، و الحق لا يأتيه باطل . و قوله تعالى " إنما قولنا لشئ إذا أردنا أن نقول له كن فيكون " فيه كل ما يتعلق بهذه الحقيقه الجوهريه . لاحظ أولا أن قوله يتوجه " لشئ " مما يعني ثبوت شيئيه الشئ في مرتبه وجوديه ما ، ثم يزيد البيان و يشير إليه " نقول له " تأمل الضمير في " له " و " أردناه " ، ثم أخيرا تأمل أن الحق يأمره بالتكون و أما التكون نفسه فإن هذا الشئ هو الذي يقوم به " فيكون " و لم يقل : فنكوّنه . فهو كمثل أن يقول الملك لأحد عباده : قم . فإن الإراده و الأمر من الملك ، و أما فعل القيام فمن العبد . كذلك شرح المسأله شيخنا ابن عربي - قدس الله نفسه . و هو من قبيل الأوامر الإلهيه " أقم الصلوه " و نحو ذلك . إلا أن المدد بالقوه لتفعيل الأمر الإلهي و الإراده الملكيه العليه يأتي بنفس الأمر و يساوقه ، إذ " لا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها " و " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها " ، فحين يأمر الحق الأشياء بالتكون ، " إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن " ، فالمدد الكامن في "قولنا" و "أردناه" و "نقول" و "كن" كفيل بشحن الشئ بالقوه التي تمكنه من أن "يكون" . و هذه أول النِعم الإلهيه على كل شئ في الكون ، فإنه اصطفاه من بين كل علمه اللامتناهي ليكون ، ليخرج إلى حضره الشهاده بعد أن كان في حضره الغيب ، فكل مخلوق مصطفى باصطفاء خاص ، و هذا أيضا من الأمور الجوهريه التي يشعر بها كل مخلوق أبدا في نفسه ، فهو يشعر أنه مميز و مهم بسبب ذلك الاصطفاء ، و إن لم يكن يعي فعلا أنه بسبب هذا الاصطفاء و قد ينسبه إلى شئ آخر و قد لا ينسبه لشئ و لكنه يشعر بأنه مهم و خاص ، و أصل الافتخار و التكبر هو هذا الشعور . فالمخلوق حين يشعر بأنه ظل فإنه يعكس للحق حقيقه ثبوته المطلق ، إذ الخلق مرآه الحق ، و حين يشعر بأنه فقير

لإمداده يعكس حقيقه الغني المطلق ، و حيث يشعر بأنه مصطفى و مُراد يعكس حقيقه الإراده الفاعليه و القول التكويني الذي هو الشريعه الكبرى لله تعالى ، و هكذا في كل ما يكون في الخلق . الفرق بين التابع لشرائع الأنبياء و تأويلات الأولياء و بين من ليس كذلك ، هو الفرق بين الوعي و اللاوعي ، أو الذكر و الغفله . فالعباد يحيون على بصيره ، و العبيد يعيشون على جهاله ، و لكن كلاهما يقوم بأصل دوره في الكون كمرآه للحق تعالى ، و أما بصيره الأول فتكون سببا للدخول في ظل الرحمانيه ، و جهاله الثاني تكون سببا للدخول في ظل القهاريه ، فبالنسبه للحق الأمر واحد ، و لكن بالنسبه للخلق الأمر مختلف ، فالمخلوق لا يحيق مكره وجهله إلا بنفسه ، و لا يؤول شكره و عقله إلا لنفسه ، " و من شكر فإنما يشكر لنفسه " و " من ضل فإنما يضل عليها " و "ما ربك بظلام للعبيد " .

...

و (الداعي لإنشاء الدوله و الحقائق)

الكلام في هذه الفقره يدور على ثلاثه محاور أساسيه : مناسبتها للفقره التي قبلها ، نظريه الدوله في الإسلام ، صوره الدوله في الإسلام .

أما عن مناسبتها للفقره التي قبلها : فكما أن فقره " صلاح أحوال بني ءادم " تتناسب مع الفقره التي قبلها التي هي " نظام العالم " ، كذلك فقره " الداعي لإنشاء الدوله و الحقائق " تتناسب مع الفقره التي قبلها التي هي " الباعث على تدوين نسخ الخلائق " . فالفقره الأولى في الحالتين متعلقه بالعالم الكبير ، الآفاق ، و أما الفقره الثانيه في الحالتين فمتعلقه بالعالم الصغير ، الأنفس . و كمال العالم الصغير أن يكون متناسبا بوعي مع العالم الكبير . و لذلك قال " ألا له الخلق و الأمر " فالأمر يأتي على نسق الخلق ، و من هنا جاءت عباره العرفاء المميزه بين القرءآن التكويني و القرءآن التدويني . أو قول حضره علي عليه السلام : أتحسب أنك جرم صغير ، و فيك انطوى العالم الأكبر . أو كتاب شيخا ابن عربي سلام الله عليه المسمى : التدبيرات الإلهيه في إصلاح المملكه الإنسانيه . فكلها تدور في نفس الفلك ، الذي هو وجود التناسب بين الإنسان و الأكوان ، بل كون الأكوان أجزاء من الإنسان ، و من هنا رفض ابن عربي المفاضله بين الإنسان و الملائكه ، و ذلك لأن المفاضله لا تكون إلا بين شيئين متغايرين ، و أما الملائكه فإنهم " جزء من الإنسان " ، بمعنى أنهم من قواه المعنويه ، إذ كل عالم من العوالم هو جزء من عالم الإنسان الكامل ، و به فسّر بعض العرفاء قول المصلى المنفرد في صلاته " إياك نعبد و إياك نستعين " بلسان الجمع ، لأن الإنسان عوالم متعدده ، و الصلاه هي توجه كل هذه العوالم إلى الحق سبحانه ، و القلب هو الإمام و هو رسول الله في ذات كل إنسان و عليه تأول بعض أهل الحكمه قوله تعالى " و فيكم رسوله " . هذا فيما يخص العلاقه بين بني ءادم و نظام العالم ، و نفسه يقال فيما يخص العلاقه بين إنشاء الدوله و الحقائق و بين تدوين نسخ الخلائق . فإن الدوله و الحقائق القائمه فيها - و هي ترتيب الدوله و شؤونها الداخليه و سياساتها العامه و التفصيليه ، و ليس القصد الحقائق بالمعنى العرفاني إذ هذه لا يمكن لأحد أن يُنشئها كما يُنشئ دوله ما فإن الدول تزول و الحقائق العاليه لا تزول - هي صوره ديوان الخلائق ،

الصوره الملكوتيه الكامله ، و طبعا حسب الطاقه الإنسانيه ، فالرسول رؤوف و الله الرؤوف ، و أين رأفه العبد من رأفه الرب ، و إنما هو بحسب سعه العبد و طاقته و قابليته .

أما عن نظريه الدوله في الإسلام ، فإن أصل النظريه يدور حول غايتها ، ثم توضع الوسائل المتناسبه مع الغايه لإقامه هذه الغايه ، و الوسيله إن انحرفت انحرفت الغايه معها ، فالغايه لا تبرر الوسيله لأن الوسيله الغير متناغمه مع ذات الغايه ستنحرف عن الغايه و تحرفها كذلك عاجلا آم اجلا . الكل يريد إقامه دوله ، و خصوصا في زماننا هذا بعد أن زالت الدوله العثمانيه العليه ، و بدأ الكلام عن كيفيه اقامه " دوله اسلاميه " من جديد أو عن إن كان ثمه داع لإنشاء مثل هذه الدوله أصلا . فالآراء الموجوده بين المسلمين أو الاسلاميين اليوم يمكن حصرها كلها أو معظمها الجامع للآراء الفاعله في هذه الاحتمالات :

فرقه تقول " لا نحتاج إلى دوله اسلاميه ، و حسبنا أن نعيش تحت ظل أي دوله لا تضطهدنا في اقامه شعائر ديننا و لا تجبرنا على مخالفه الأوامر الشرعيه القاطعه ، و الدول الغربيه اليوم تسمح لنا بذلك ، فإذن لنحيا تحت ظل أي دوله غربيه كمواطنين أو مقيمين صالحين و لا نخالف القوانين و نقيم شعائرنا في بيوتنا أو مساجدنا و حسبنا ذلك " .

و فرقه تقول " نحتاج إلى دوله اسلاميه ، لأنه يجب أن نقيم شرع الله في الأرض و إلا فنحن من الذين يحكمون بغير ما أنزل الله فنكون من الكافرين الظالمين ، و الطريق لإقامه هذه الدوله هو السبل الديموقراطيه الشعبيه و الانتخابات النزيهه و صناديق الاقتراع ، فندعوا إلى مشروعنا الاسلامي باللسان و الاسوه الحسنه حتى تقتنع الشعوب بأهليتنا لقياده الدوله ، فنكوّن أحزاب اسلاميه سياسيه ، و تدريجيا نصل إلى السلطه فنطبق الشريعه " .

و فرقه تقول " نحتاج إلى دوله اسلاميه ، لأنه يجب أن نقيم شرع الله في الأرض و إلا فنحن من الذين يحكمون بغير ما أنزله الله فنكون من الكافرين الظالمين ، و الطريق لإقامه هذه الدوله هو العنف و تكون الخلايا السريه المسلحه ، لأن الدول القائمه لن تسمح بالمشروع الاسلامي لأن يصل عن طريق السلم و أيضا لأن الشعوب عموما مستسلمه للسلطات القائمه و هي خاضعه لكل من يكون في السلطه إذ الناس على دين ملوكهم و هذه السلطات القائمه إنما قامت بالعنف و السلاح و الجيوش و ليس باقناع أحد سلميا و كل دول العالم الموجود قامت في الأصل بالعنف لا يُستثنى من ذلك غربي أو شرقي فالعنف هو الوسيله الوحيده لاقامه الدوله فلا يحق لأحد أن يحتج علينا بأننا نرتكب العنف لاقامه دولتنا من هذه الحيثيه ، فإن كانت الدول الحاليه قامت على العنف فإن سبب قيامها هو سبب سقوطها و مشروعيه وجودها إنما تتحدد بمشروعيه سببها و قوته ، فكما قامت بالعنف الذي ارتكبته على من قبلها كذلك نحن سنزيلها بالعنف جزاءا وفاقا ، فنسعى لزعزعه الأمن في كل مكان حتى تشعر الشعوب بأن حكوماتها عاجزه عن حمايتهم ، فلما نرتقي نحن إلى السلطه ننشر الأمن و نعيد

النظام ، و لا كلام لنا مع العامه و الشعوب كأصل ، و إنما حربنا تتوجه إلى السلطات و النُخب الحاكمه ، فنحن اليوم في فتره الجاهليه و نريد أن نقيم دوله كما أقام النبي دوله في المدينه و لذلك نجاهد و عليه نحيا و نمت مهما كلف الأمر " .

و فرقه تقول " الدول الاسلاميه قائمه اليوم فعلا و هي كل الدول التي اغلبيتها السكانيه من المسلمين ، و لكن ما نحتاجه هو تقويه هذه الدول بالجمع بينها فيما يشبه الاتحاد الفيدرالي في أمريكا ، أو الاتحاد الاوروبي ، فتجتمع قوه هذه الدول إلى بعضها البعض ، و بذلك نكون مجموعه دول اسلاميه و لكن ككتله واحده بدل وضعنا الحالي المفرق المشرذم ، و إنما نريد ذلك حتى تكون لنا قوتنا و هيبتنا في الأرض بين الدول و المجتمعات و نتطور و نترقى بعد ذلك فننافس الأمم الموجوده و نشهد عليهم بوسطيتنا و تطورنا و نعمر الأرض التي استخلفنا الله فيها " .

و فرقه تقول " لا نريد أن نتكلم في الحاجه أو عدم الحاجه إلى دوله اسلاميه ، المهم أن كل مسلم في كل مكان في العالم عليه أن يساهم في بناء و نفع و تطوير مجتمعه و لو بالشئ القليل و في محيطه المباشر ، فيساهم في نظافه الشارع أو تعليم القراءه و الكتابه للأميين أو غير ذلك من الأعمال الصغيره التي تنفع عموم الناس ، و المهم أن تكون أسره مسلمه و تحب الله و رسوله و تقرأ القرءآن و الحديث الشريف و تحاول أن تقرب هذه المفاهيم لبسطاء الناس و نبدأ بالإصلاح من الطبقه الشعبيه كل على قدّه ، و نحاول أن نظهر للغرب أننا لسنا سيئين و لا عنيفين ، بل نحن مسالمين طيبين عندنا أمثله حضاريه تاريخيه رائعه ، و عندنا أفكار في القرءآن و السنه جميله و لطيفه جدا يمكن لأي إنسان في أي مكان في العالم أن يهتدي بها و ينتفع بها في حياته اليوميه و في وظيفته و بلدته أو قريته و مجتمعه الصغير ، فنحن نريد السلام في الأرض و الحب للجميع ، و لا نريد أن نفرق بين الناس بناءا على الايمان و الكفر أو سني و شيعي و صوفي و سلفي أو غير ذلك من تقسيمات ، ففي نهايه المطاف كلنا من بني ءادم و الله غفور رحيم و يعلم ما في القلوب و المهم هو العمل الصالح و الأخلاق الحسنه إذ الرسول إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، و نحن نريد أن نظهر للعالم أن أخلاقنا جميله حتى يقبلونا و نكون على وفاق مع العالم بمختلف شعوبه و فرقه " .

و فرقه تقول " نريد دوله ديموقراطيه على النمط الغربي ، دوله تفرق بين الدين و الدوله ، فيكون الوطن للجميع و الدين لله ، و السياده للقانون الذي يضعه من يمثّل الشعب من النواب المنتخبين، فإن كل ما نعرفه عن الدول الاسلاميه على مر العصور ، باستثناء عصر الخلفاء الراشدين ، فيه ظلمات و طغيان و دكتاتوريه في معظمه مع الاعتراف بالخير الذي قاموا به ، و لكن نحن لا نريد هذا الطغيان أو الحكم الكهنوتي لرجال الدين أو حكم السلاطين الذين يزعمون أنهم ظل الله في الأرض فكل ذلك ما هو إلا صيغ سياسيه يتم التوسل بالدين من أجل فرضها على الشعوب المقهوره المظلومه ، و الدوله الديمقراطيه و فصل السلطات الثلاث و مجلس النواب و سياده القانون و التفريق بين الدين و الدوله هو أفضل نظام أوجده الإنسان إلى يومنا هذا و لا نعرف أفضل منه ، فنحن نريد ذلك ، و يوجد أدله

في القرءان و السنه تثبت أن هذا هو النظام الأفضل فعلا ، فالقرءآن أمر بالشورى و الشورى هي العباره القرءآنيه لما هو مضمون الديمقراطيه ، و كذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يستشير أصحابه و يأخذ برأي الأغلبيه منهم كما فعل في قصه غزوه أحد حين كان رأيه عليه السلام أن يبقى في المدينه و كان رأي أغلبيه أصحابه الخروج فخرج أخذا برأيهم ، و كذلك في التفريق بين الدين و الدنيا جاء حديث تأبير النخل فالنبي قال لهم أنهم هم أعلم منه بأمور دنياهم و أنه هو أعلم منهم في أمور دينهم فأمور الدنيا للناس و أمور الدين للنبي و الشرع ، و غير ذلك من شواهد على النظام الديمقراطي ، فنحن نريد دوله اسلاميه و هذه الدوله هي الدوله الديمقراطيه ، و إن كان يوجد خوف من أن يتم سن قوانين مخالفه للشريعه كما يقول الجهله من الاسلاميين ، فإن هذا الخوف ينحل عندما نعلم أن الديمقراطيه هي اختيار الشعب ، و إن كان الشعب مسلما في معظمه فنوابه سيكونوا من المسلمين ، و إن كان النواب كذلك فإن التشريعات ستكون موافقه للشريعه أيضا ، إذ لا يعقل أن يصوت شعب مسلم على اقرار قوانين مخالفه للشريعه ، فجعل الاختيار بيد الشعب هو أفضل طريقه لضمان تحكيم الشريعه ، و أما جعله في يد نُخب حاكمه فإنهم قد يضعون ما يخالف الشريعه فعلا و حيث أن الشعب المسلم لا حول له و لا قوه فإنه سيقبل العمل بها من حيث لا يعلم . و الطريق إلى مثل هذه الدوله هو توعيه الشعب ، و تعليمه شيئا فشيئا الأمثله السيئه للحكم الدكتاتوري بضرب أمثله من التاريخ الاسلامي كالدوله الامويه و العباسيه و العثمانيه ، و تثقيفه شيئا فشيئا بالأفكار الليبراليه المتعلقه بالحريه و حقوق الانسان و الانتخابات ، ثم حينما تكون أغلبيه الشعب في منطقه ما قد تشربت ذلك بطريقه لا نعرفها سوف يتم قلب الانظمه و تتحول الدول إلى دول ديمقراطيه ، و ما علينا الآن إلا أن نكتب الكتب و نفتح القنوات و المنابر التعليميه و نكتب في الصحف و الجرائد ، حتى يأتي اليوم المناسب بعد تثقيف الشعب " .

و فرقه تقول " نريد دوله اسلاميه و سلطنه كامله تحكم باسم المسلمين كلهم و توحدهم ، و هذه الدوله سيقيمها الإمام المهدي حين يأتي ، و علامات قرب قدومه قد ظهرت فعلا ، و ما علينا إلا الانتظار بسلبيه و مشاهده الحوادث و ارتقاب يوم قيامه ، فنسافر إليه و نجاهد تحت لوائه و نطيعه و الله سينصرنا حتما كما أنبئنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و نريد هذه الدوله حتى يتم تحكيم الشريعه في المسلمين و يتم حكم العالم كله بالاسلام فتكون لنا السيطره على العالم كله تحت ظل دوله واحده فتكون كلمه الله هي العليا ، و أما الان فنعتزل الفرق كلها و نكون حلسا من أحلاس بيوتنا حتى لو دخلوا إلى بيوتنا ليقتلونا فنعض على جذع شجره حتى يأتينا الموت و نحن على ذلك " يقول بذلك فريق من السنه و فريق من الشيعه الاثناعشريه ، و إن اختلف تعيينهم أحيانا للمهدي كشخص و لكن الاتفاق قائم على مضمون سلطته و ما ستصل إليه . و يوجد حتى من يقول أن السلطنه العثمانيه ستنبعث من جديد و سيأتي معها المهدي و عيسى بن مريم عليهما السلام ، و هؤلاء كأتباع الطريقه النقشبنديه و هم يقولون - كما قال شيخهم ناظم حقاني رحمه الله - أن المهدي هو الامام محمد بن الحسن العسكري الذي هو أيضا مهدي الشيعه الاثناعشريه ، و هم من السنه قطعا .

و فرقه تقول " نحن الآن نحيا تحت ظل مملكه تحكم بشرع الله و لله الحمد ، و بيدنا مكه و المدينه و نحن نقوم بخدمتهما و خدمه حجاج بيت الله و ضيوف الرحمن و نسعى لتحسين المرافق و الخدمات لتسهيل الزياره لهم ، فما علينا إلا أن نعيش كذلك بطاعه أولي الأمر ، و التوحد تحت مذهب أهل السنه و الجماعه ، مع دعوه غير المسلمين للإسلام في العالم كله بانفاق الاموال لفتح مراكز الدعوه السلميه و فتح المساجد في كل مكان ، و اذا جاء المهدي في يوم من الايام فعندها ندخل في طاعته كما أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و لكن فيما يتعلق باليوم فنحن نحيا في ظل دوله اسلاميه و يجب أن ندافع عنها بكل ما عندنا من قوه ضد الأعداء الذين يتربصون بنا و يحسدوننا على النعمه التي نحن فيها ، سواء كانوا من الأعداء الذين يظهرون الكفر كالملاحده أو يبطنونه كالمجوس الفرس ، و يجب أن ندعوا المسلمين إلى مزيد تمسك بالشريعه و الاقتداء بالسلف الصالح و ترك البدع و الشركيات كلها كعباره القبور و التوسل بالأنبياء و الأولياء و غير ذلك من خرافات و شعوذات ، و حسبنا ذلك " .

و فرقه تقول " نريد دوله اسلاميه ، لأننا نريد أن نحيا تحت التقليد و السنن الكليه التي تقتضيها المعارف الحقيقيه ، فنريد أن تكون كل حياتنا مصبوغه بصبغه هذه السنه الإلهيه و الفطريه للإنسان بالمعنى الحقيقي للإنسان الذي هو خليفه الله في الأرض ، و حيث أنه دائما النخبه و القله هي التي تحكم و توجه الكثره ، و حيث أننا الآن في نهايه الدوره الزمنيه الظلاميه التي يحكم فيها الغرب العامي الجاهل البربري ، فإن نهايه الدوره ستحل ، و حين تحل و يفنى الغرب - بلا تدخل عنيف من قِبلنا بل بحسب السنن الكونيه و آثارها التي لا نعلمها تحديدا - فإن دوره نورانيه جديده ستحل على الناس ، فمهمتنا نحن أن نحفظ التعاليم التقليديه و أسرارها العليه و نودعها من بعدنا ممن نرى أنهم أهل للانضمام الينا ، فيكونوا نواه النخبه القادمه التي ستشارك في اداره العالم في الدوره النورانيه القادمه ، و الجانب الآخر لمهمتنا هي أن نظهر فساد الفلسفه الغربيه و أعمالها بحسب الحقائق و السنن ، و نكتب الكتب و نقيم المحاضرات المتوجه خصوصا للنخب الفكريه و المثقفه في الغرب ، فباظهار فساد الفلسفه الغربيه و شرح الحكمه الشرقيه يمكن أن نكوّن نخبه شرقيه - بالمعنى المعرفي - تكون هاديه و قائده للعالم القادم ، و المهدي عندنا هو رمز على تعاليمنا هذه التي تجمع الحقائق الكامنه في كل التقاليد الدينيه لكل الحضارات كالهندوسيه و البوديه و الكونفشيوسيه و اليهوديه و المسيحيه و الاسلاميه ، و اظهار الحقيقه الصوفيه المتعاليه التي توحد في جوهرها بين كل هذه الاديان و الطرق ، و إن كنّا سنأخذ الإسلام كصوره لأنها الأفضل من بينها جميعا من حيث الصوره و المظهر و حفظ السلسله السنديه للطريقه و الشريعه انتهاءا على صاحب الرساله نفسه ، و غير ذلك من اعتبارات ، مع الاقرار بوجود قيمه في كل الاديان بشرط النظر الصحيح فيها و اتباع أهل التقليد المحفوظ و الأصيل من أهلها ، و البعد كل البعد عن كل ما هو متعلق بالفلسفه الحداثيه و مشتقاتها كلها كالنزعه الذهنيه و التاريخانيه و غير ذلك . و ما علينا إلا أن نقوم بثلاثه أمور : أن نحيا نحن

بحسب التقاليد الصحيحه في حياتنا الخاصه ، و أن نشرح و نحفظ التقاليد و التعاليم الحقه و ننشر ما يمكن نشره منها ، و أن نظهر فساد الفلسفه الغربيه بكل صورها و مشتقاتها . و أما ما الذي سيحدث بعد ذلك من أجل اقامه دوله تظهر هذه التعاليم و تفعلها على المستوى العام ، فليس من شأننا الدخول فيه إذ لم يحن وقته بعد ، و حين يأتي وقته ستوجد الوسائل الكفيله باقامته ، و عملنا تنوير القلوب و بها تستنير القوالب " .

و فرقه تقول " نريد دوله اسلاميه ، و نحن الآن نعيش تحت ظل أفضل دوله اسلاميه ممكنه في غيبه الإمام المعصوم من آل النبي صلى الله عليه و آله ، فيوجد مستوى أعلى و هو دوله المعصوم و مستوى تحته مباشره و هو دوله الولي الفقيه الممثل للحجج الذين نصبهم الامام المعصوم الغائب و هم الفقهاء و الولي الفقيه هو المُختار من بين هؤلاء الفقهاء ، و حيث أن المعصوم نصب الفقهاء كحجج في غيبته ، و الفقهاء نصبوا الولي الفقيه ، فهذا يعني أن الولي الفقيه هو الحجه و القائد أثناء غياب الحجه صاحب الزمان عجّل الله فرجه ، و في ظل الجمهوريه الإسلاميه التي هي أقوى دوله ذات نظام إسلامي في العالم الإسلامي كله يجب أن يتوحد المسلمين ، فعملنا هو تصدير الثوره و مبادئ التشيع الصحيح ، حتى إذا ظهر الإمام صاحب الزمان سلمنا له الدوله و انضوينا تحت لوائه لتتم دوله العداله الكامله " .

فهذه عشره آراء ، أحسب أنه يمكن أن يدخل تحتها أكثر من تسعه أعشار المسلمين . فتعالوا ننظر في مضمونها .

يمكن أن نقسّم هذه الآراء إلى مجموعات ، حسب معيار التقسيم .
فإن كان المعيار هو "الحاجه إلى دوله إسلاميه" سنجد أن المجموعه فيها فرق تقول " نحتاج " و فرق تقول "لانحتاج" و فرق تقول " هي قائمه فعلا " .
و إن كان المعيار هو "ما الطريق إلى إقامه دوله إسلاميه" سنجد أن المجموعه فيها فرق تقول "الدعوه " و فرقه تقول "القتال" ، و منهم من يرى دعوه " الطبقات الشعبيه " و منهم من يرى دعوه " النخب المثقفه و السياسيه " .و منهم من يرى توجيه القتال نحو "الجسد الشعبي" و منهم من يرى توجيهه نحو " رأس السلطه " .
و إن كان المعيار هو " شكل الدوله الاسلاميه " سنجد أن منهم من يقول "مملكه تقليديه" و منهم من يقول "جمهوريه بولايه فقيه " و منهم من يقول " ديمقراطيه كالغرب " .
و إن كان المعيار هو " غايه الدوله الاسلاميه " سنجد أن منهم من يقول " اقامه الاحكام الشرعيه " ، و منهم من يقول " اقامه النظام الكلي للتقاليد الدينيه " ، و منهم من يقول "إعمار الأرض و إقرار هيبه المسلمين و تطورهم في أعين الأمم " ، و منهم من يقول " السيطره الكليه على العالم و جعله تحت حكم الإسلام و المسلمين " .

أول ما نلاحظه هو أنه لا يوجد رأي واحد للمسلمين في هذه المسأله . بل يوجد على الأقل عشره آراء مختلفه اختلافا بيّنا كما هو واضح . و مما يتفرع عن هذا أن أي اختزال للمسلمين في توجّه واحد ، سواء تم من مسلمين أو غيرهم ، يعتبر من الجهل في أحسن الأحوال و من الغرض السئ في أسوأها و أكثرها . فمثلا ، حين يختزل بعض الجهله و الذين امتلأت صدورهم غيظا من المسلمين ، كل التوجه " الاسلامي " في رأي الفرقه الثانيه التي ترى العنف كطريق تكوين الدوله الاسلاميه ، ففضلا عن أن ما تتدرع به هذه الفرقه - و إن احتسبناها من المسلمين جدلا و تنزلا - له وجهه بحسب واقع الحال و التاريخ الذي يقر به الجميع ، و الأمر ليس بهذا السوء الذي يصوره به أعداء هذه الفرقه - و نحن منهم و إن كان لأسباب أخرى مغايره للحجج العاطفيه السخيفه التي يستعملها غيرنا ممن هم أنفسهم غالبا ما يعيشون تحت ظل دول لم تقم إلا بالحديد و النار و على أنهار من الدماء - ففي جميع الأحوال ما هذه إلا فرقه من عشره فرق أخرى كلها تخالف التوجّه العنيف في إقامه الدوله الاسلاميه ، فهي عُشر المسلمين بحسب التقسيم الكيفي ، و أما بحسب التقسيم الكمّي فإنهم لا يجاوز عددهم عشر معشار المسلمين ، فالمسلمين اليوم نحو مليار و تسعمائه مليون ، و هذه الفرقه العنيفه في أفحش التقديرات و أكثرها غلوا و شططا و مبالغه لا تصل إلى عشره ملايين (العدد الأقرب للواقع هو نحو ٥٠ إلى ٢٠٠ ألف ، بل حتى هذا مبالغ فيه) ، فعلى فرض أنهم عشره ملايين فرد من المسلمين (و ليسوا عملاء الغرب أو الأغرار أشباه الكفار) فإن نسبتهم من بقيه المسلمين هي نحو ١/٢ ٪ فقط ! نصف في المائه من المسلمين ، مع التنزل و غض التطرف عن الوقائع الفعليه و السياسيه و حقيقه أنهم يذبحون المسلمين أكثر سبعين بل سبعمائه مره من ذبح غيرهم - و نحن ضد هذا و ذاك - فإنه مع كل هذه المبالغات و التنزلات لا تصل نسبتهم حتى إلى ١٪ من المسلمين ، و بقيه ال ٩٩.٥ ٪ من المسلمين من أنصار السلام قولا و فعلا و حالا ، بالرغم من كل ما هم تحته من السوء و الاضطهاد و العنف و سرقه الموارد و الاستخفاف بالقيم و الدين و الاستضعاف ، و مع كل ذلك يأتي من لعنهم الله فأصمهم و أعمى أبصارهم من شياطين الإنس بل شياطين الجن فيزعم أن الإسلام يعلّم العنف ! سيعلم هذا الجاهل المعاند ما هو العنف حين يرى مس سقر ، التي لا تبقي و لا تذر . فالحاصل ، كيفيا تسعه أعشار المسلمين لا يرون العنف كطريق لإقامه الدوله الإسلاميه و في شؤون الحكم عموما كأصل . و كمّيا ٩٩.٥ ٪ بل أكثر لا يرون ذلك .

الملاحظه الثانيه هي كيفيه تفاعل المسلمين مع الوضع القائم ، فمن أقصا اليسار يوجد السلبيه المطلقه و هم الذين لا يريدون أن يعملوا شيئا و لا حتى أن يفكروا في مسأله الدوله ، إلى أقصا اليمين و هم الذين يريدون أن يدمروا العالم من أجل إقامه الدوله فإما إقامتها و إما الموت في سبيلها ، و بين هذين الطرفين يوجد الغالبيه من التوجهات في الوسط . و هذه الحاله هي مثال آخر على " التعدديه الاسلاميه " بأوسع معاني التعدديه التي لطالما وجدناها و عايشناها و عاشها أسلافنا في كل القضايا و المواضيع . دائما يوجد في المسلمين من يتخذ موقفا ما ، حتى إذا جمعت كل المواقف وجدت أن كل المواقف الممكنه تقريبا قد امتلأت ، مع وجود الموقف الأسلم عند غالبيه المسلمين و السواد

الأعظم منهم - و لا يستدلّن غافل بقوله تعالى "و إن تتبع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله " استدلال الخوارج الذين يأخذون ما نزل في الكفار فيضعونه في المؤمنين ، فإن الذي " يتبع غير سبيل المؤمنين " له جهنم ، فرق بين سبيل المؤمنين و سبيل الكافرين ، فضع كل شئ في محله تسلم .
و من أمثله التوجه العام للمسلمين في هذه المسأله التي بين أيدينا هو أننا على اختلاف الفرق فيها ، فإنك تجد الخط العام للأغلبيه - كيفيا و كمّيا - غير راض عن الوضع الحالي للمسلمين عموما من حيث السلطنه الأرضيه . فالخط العام للأغلبيه يهمهم أن توجد " دوله اسلاميه " ، هذه الفكره أساسيه عندهم و مرغوبه لهم ، و لكن الفرق يأتي في شكلها و كيفيه الوصول إليها و تحقيقها و غير ذلك من اعتبارات ثانويه . أما الشذاذ فإنهم كالذين يقولون " نريد دوله ديمقراطيه كالغرب " أو "لا نريد دوله اسلاميه و حسبنا أن نُترك أن نمارس شعائرنا و أن تكون أحوالنا الشخصيه محكومه بالشريعه و نراعي الأخلاق " أو " لا نريد أن نفكر في المسأله أصلا " . فإنك لو تأملت مقوله هذه الفرق الثلاثه ستجد أنها كلها تريد دوله اسلاميه كذلك ! فالفرقه الأولى في المحصله تعتبر أن الديمقراطيه هي أفضل تطبيقه لمفهوم الدوله الاسلاميه ، فهم مع المفهوم كمبدأ و لكن لاعتقادهم أن الاسلام لم يحدد شكلا معينا للدوله أو مبادئ تفصيليه لها بل ترك الأمر هملا مع مراعاه بعض القيم العامه كالعداله و الشورى فإنهم توصلوا - مع أسباب نفسيه و تعسفيه أخرى- إلى أن الديمقراطيه في صورتها الغربيه هي التي تمثل أفضل تطبيق للدوله الاسلاميه، فاذن هم أيضا غير راضين عن الوضع الحالي للدول ذات الاغلبيه المسلمه ، و هذا عامل مشترك آخر بينهم و بين الخط العام . و أما الفرقه الثانيه التي تريد أن تمارس شعائرها بسلام، فإنهم انما نظروا إلى الحد الأدنى من الذي توفره الدوله الاسلاميه لو كانت قائمه ، و هو ممارسه الأركان الخمسه مع غير ذلك من قضايا الزواج و الاخلاق و نحو ذلك ، و عوام أي دوله عاده ما لا يتجاوز اهتمامهم هذه الأمور و هو حقهم إذ إنما يفقهون من الحياه الحرفه و الصناعه و الوظيفه من جانب و الشعائر و العلاقه الشخصيه بالله من جانب آخر ، فلما وجدوا أن قضيه الدوله مزعجه و متعبه من ناحيه ، و وجدوا أنهم في البلاد الغربيه أو حتى الشرقيه لهم الحريه في أن يمارسوا كلا الأمرين بلا اضطهاد من الناحيه الأخرى ، كانت النتيجه أن وجود أو عدم وجود دوله اسلاميه سيّان عندهم ، و لو تم اضطهادهم في شعائرهم أو جبرهم على الحكم بقوانين أحوال شخصيه مضاده للشرع الشريف لوجدنا من الصادقين منهم توجها آخرا . و أما الفرقه التي لا تريد أن تفكر في المسأله أصلا ، فإنها أيضا من عوام أهل الاسلام، فهم من ناحيه ضعاف الهمه ، و من ناحيه اهتمامهم منصب على صغائر الأمور و الجزء العاطفي جدا منها ، فرأي مثل هؤلاء أصلا لا اعتبار له حين يتم أخذ قضيه الدوله و تأسيسها ، و حتى هؤلاء إنما يقولون ذلك غالبا لأنهم يجدون حريه في ممارسه شعائرهم و الدعوه في البرامج التلفزيونيه لما يحبونه - و لعل للشهره و المال شئ من المدخليه في قرارهم - و غير ذلك من اعتبارات لا تتعلق بصلب القضيه ، و في جميع الأحوال من لا يريد أن يتعب نفسه حتى بالتفكير في مسأله ليس حجه في شئ مما يتعلق بهذه المسأله ، إلا أنهم أيا كان توجههم لا يزالوا من أهل الإسلام بغض النظر عن رتبتهم فيه . و باستثناء هذه الفرق الثلاث ، أي المستسلمون للنموذج المهيمن في الزمان كأنصار الديمقراطيه

الغربيه و هذا طبيعي إذ دائما يوجد فئه من الناس تريد أن تتبع الغالب أيا كان و لو كان للغرب المهيمن نموذجا قيصريا لوجدنا هؤلاء ينشدون " يحيا قيصر ! " على منابر الجمعه ، وَ المنزوون عن زوايا العالم كمن يريد أن يصلي و يصوم و لا يهز شعره من رأسه في سبيل القضايا العامه للمسلمين ، وَ المتكاسلون عن الاهتمام و التفكير حتى في ذلك ، باستثناء هؤلاء الذين يمثلون ضعف الهمه و قصر النظر و انهزاميه النفس أمام الاوضاع المعاكسه ظاهريا ، البقيه من المسلمين لها توجه آخر ، و هو توجه لا يعرف حجيه للمظاهر و لا " للأمر الواقع " ، بل سيفرض الأمر الحق من الأعلى عاجلا أم آجلا ، باللسان كالخط العام أو بالسنان كالخط الشاذ اليائس ، و الواقع أن أصحاب العنف يمكن إلحاقهم بالمستسلمين و المنزويين و المتكاسلين ، و ذلك لأنهم لولا ضعف همتهم و سوء تقديرهم و خبث طويتهم و فساد توكلهم لما لجأوا إلى ما يخالف السواد الأعظم من المسلمين بل ما يخالف القرءآن و السنه الشريفه مخالفه صريحه - حتى لو سلمنا بما يقولونهم هم عن كوننا نحيا في ما يوازي الجاهليه و هم يريدون أن يقيموا ما يوازي دوله المدينه- حاشا لله ما أفسد قلوب من يرون أنفسهم و ما يريدون أن يقيموه كموازي بل كشبيه بدوله الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم .

فإذن ، يمكن تقسيم الآراء الموجود إلى فرقتين : الخط العام و الخط الشاذ . الخط الشاذ فيه يشتمل على المستسلمين و المنزوين و المتكاسلين و المحاربين . و الخط العام فيه بقيه المسلمين.

و أما بالنسبه لوجود الدوله الاسلاميه من عدمها ، فإن الخط العام يرى أن الدوله غير موجوده بتمامها و كما يجب أن تكون . و الخط الشاذ فيه أجنحه ، جناح يرى أن الدوله الاسلاميه قائمه فعلا ، و جناح يرى أنها قائمه و غير قائمه في آن واحد على مستويين ، و جناح يرى أنها شبه قائمه . أما الذين يرونها قائمه فعلا فهم الذين يعتبرون حكومات بلادهم تمثل الاسلام و تحكم بشرع الله كتوجه عموم سكان الدوله السعوديه خصوصا هيئه علماءها و من يتبع لهم ، و أما الذين يرونها قائمه و غير قائمه فكتوجه العام لسكان الدوله الايرانيه خصوصا العلماء التابعين لنظام ولايه الفقيه قلبا و قالبا و من تابعهم فإنهم يرونها قائمه من حيث ولايه الفقيه بالمعنى الذي شرحناه سابقا و غير قائما من حيث أن الكمال لا يكون إلا لدوله المعصوم صاحب الزمان عليه السلام ، و أما الذين يرونها شبه قائمه فهم الذين يسلمون - و يبدو على مضض- بأن الدول ذات الأغلبيه المسلمه من حيث السكان إسلاميه ، و لكنهم يريدون مزيد من القوه السياسيه عن طريق توحيد هذه الدول في تنظيم فدرالي أو كونفدرالي أو شئ من هذا القبيل أخذا أيضا بنماذج غربيه مع عدم تفكير - فيما يبدو - في مناسبه أو عدم مناسبه هذه النماذج للمسلمين و مقتضيات رؤيتهم و مناهجهم أولا و تاريخهم و العلاقات فيما بينهم ثانيا . و يوجد فريق رابع ، مما فهمته من المتابعه و التأمل - و قد أكون مخطئا في هذا الاستنباط - و هو توجه الأزهر الشريف في مصر ، فلعلهم يرون أن الدوله الاسلاميه الحقه يجب أن تكون سلطنه كدوله آل عثمان أو لعلهم يرون أن الامام المهدي سيأتي بالدوله ، و لكنهم مع ذلك يبتعدون عن السياسه كأصل و يسالمون السلطه القائمه - بشرط اعتبار السلطه لقيمه الأزهر و علماءه و ليس كحزب الاخوان الذي

يرى رأيا سيئا في الأزهر فإنه لا يمكن للأزهر أن يقبل و يرتاح لمثل هذا الحزب و لو وصل إلى السلطه بالانتخابات ، فإن الغبي فقط هو الذي يقر بشرعيه السيف الذي يريد قطع رأسه - فتوجه الأزهر هو التعليم و نشر الإسلام الصحيح الأصيل مع ترك السياسه المسالمه لهم ، فأقرب تشبيه لموقفهم هو أنهم يرون السياسه كالترك الذين قال فيهم النبي عليه السلام " اتركوا الترك ما تركوكم " أو كما قال عليه السلام إن صحت الروايه ، فعلى ذلك يكون الأزهر داخلا تحت فرقه ترى أن الدوله الاسلاميه غير قائمه و لكن أقل ضرر مقبول هو من الدوله التي تترك الأزهر يعمل عمله التعليمي و تقر بقيمته كالقلب الروحي لمصر ، و لعلهم يقبلون اعتبار مثل هذه الدوله " اسلاميه " لهذا الاعتبار كأصل ثم لاعتبارات أخرى الواقع أنها أقرب إلى الاعتذار و التبرير منها إلى التأصيل و التحرير . و الله أعلم . ففي العالم الاسلامي ثلاث مراكز أساسيه للعلم ، اثنان منها لاسباب فعليه و تاريخيه و مضمونيه، و الثالثه لاسباب سياسيه و واقعيه . أما المركز الأول فهو الأزهر السني في مصر، و أما المركز الثاني فهو نظام الملالي الشيعي في ايران ثم العراق ، و أما المركز الثالث فهو هيئه علماء الوهابيه في السعوديه . و العامل المشترك بين هذه المراكز الثلاثه أنها تعتبر الدول التي هي فيها " اسلاميه " سواء مباشره كالوهابيه ، أو حسب المرتبه الأدنى كالشيعه ، أو على مضض و مسالمه كالأزهر . و إن مثل هذه الملاحظه هي التي تدعوا بقيه المسلمين من أصحاب الخط العام الذي لا يرى أنه في العالم اليوم دوله اسلاميه بمعنى الكلمه تمثل الدين و المسلمين حق التمثيل و تكون رمزا للإسلام في العالم و عزه و قوه له ، تجعلهم يقولون أن هذه المراكز أصبحت " سياسيه " و " دنيويه " و نحو ذلك من عبارات سيئه و مسقطه للقيمه . و لسان حالهم يقول : يوم كان للاسلام دوله ، و على مر التاريخ ، كان أهل الاسلام هم الأقوى أو من الأقوى في العالم كله ، و الأعز أو من الأعز في العالم كله ، حتى في سلطنه السلطان عبد الحميد - رحمه الله - التي تعتبر نهايه مرحله الضعف في الدوله العثمانيه كان للمسلمين من القوه و العزه و التوحد ما يكفي لرفع الرأس و نصره اسم النبي عليه السلام مثلا لو تعرض للاهانه كما حدث في سلطنه عبد الحميد لما اراد دوله اوروبيه أن تعمل مسرحيه فيها سخريه من الحضره النبويه الشريفه ، فهددهم ، فاوقفوها ، بينما في ظل هذه الدول كلها تم في حق النبي عليه السلام و القرءان و المسلمين ما لم يجرؤ أحد على مثله على مر ألف و أربعمائه سنه و مع ذلك أقصا ما في الأمر أن تمت مقاطعه بعض البضائع و مشتقات الألبان لبضعه شهور أو شئ من ذلك ثم عادت المياه - العكره - لمجاريها و كأن شيئا لم يحدث ، و غير ذلك من أمثله يضربونها و يذكرونها و يتذاكرها أهل الاسلام فيما بينهم ، بل لعله حتى أفراد من هذه المراكز الثلاثه و أنصارها يذكرون مثل ذلك و يندبون حظ المسلمين و يسألون الله أن يجعل لهم من لدنه وليا و يجعل له من لدنه نصيرا ، بل إن الكثير من الفرقه العنيفه إنما خرجوا من اَفراد الشعب السعودي ، و التأسيس و الدعوه و التمويل في فتره من الفترات كان مصدره أيضا سعودي ، فالحاصل أنه حتى في هذه المراكز لا يوجد رضا تام عن الأوضاع الاسلاميه ، فحين يأتي أحد و يدعي أن الدوله الاسلاميه " موجوده " و ليتوقف البحث عنها أو الكلام في كيفيه اقامتها ، فإنما يهين عقول المسلمين و يطعن في نفوسهم قبل أن يحقر نفسه أمام الناس بمثل هذه المقولات الخرافيه . فمره أخرى ، السواد الأعظم من المسلمين يرون عدم وجود

ما يمكن أن يسمى فعلا و بكل معنى الكلمه " دوله اسلاميه " ، و السواد الأعظم على حق لا ريب فيه ، و هذا لا يعني أنه لا يوجد قيمه لكل الدول القائمه ، ففرق عظيم بين عدم وجود الدوله الاسلاميه و بين اسقاط قيمه كل الدول ، فيوجد اعتبارات متعدده لقضيه الدوله ، و الكلام انما هو عن النظام الأكمل لها .

الملاحظه الثالثه مسأله " الغايه " من اقامه الدوله . و هذا هو أكثر ما يهمنا من بين كل الملاحظات في هذا المقام . فإننا اذا تأملنا كل الاقوال ، سنجد ان الغايات التي يضعونها فيها هذه الامور : اقامه الشريعه ، تبرئه النفس من الكفر و الظلم أمام الله ، اعمار الأرض و تطويرها كالغرب ، اقامه الشعائر بحريه ، العزه أمام الأمم الأخرى ، السيطره على العالم ، الدفاع عن العقيده الصحيحه ، محاربه الغرب المستكبر ، اقامه النظام التقليدي الكامل في كل جوانب الحياه . فهذه تسعه غايات يضعها من يريدون دوله .

أما من يريد إقامه الشريعه ، فإنما ذلك عندهم عذر و ذريعه ، شئ يسوقون به حزبهم السياسي ، و ليس عندهم من علم الشريعه و روحها و حقيقتها شئ يذكر ، و هم من أهل الحداثه من حيث لا يشعرون . و آخر هموم الرساله هو إقامه ما يسمونه " الشريعه " . فهؤلاء عندي لا قيمه لهم .

أما من يريد تبرئه نفسه من الكفر و الظلم أمام الله ، فيرتكبون الجرائم و العنف و الاعتداءات على المسلمين قبل غيرهم ، فألا " في الفتنه سقطوا ، و إن جهنم لمحيطه بالكافرين " .

أما اعمار الأرض و تطويرها كالغرب ، فإن كانوا قد آقاموا الغايه بزعمكم ، فاذهبوا و اسكنوا عندهم ، و إن كنتم ترون افساد البيئه و تشويه المجتمعات و النفوس بهذه الحداثه و معطياتها "تطويرا و اعمارا للآرض " و تتأولون القرءآن على أنه يعني ذلك ، فقد كشفتم عن جهلكم و سوء تقديركم للأمور ، بل إنكم تكشفون عن عدم معرفتكم حتى بالغرب كما هو . فهؤلاء أيضا بلا قيمه عندي ، و هم من الغافلين و المنهزمين في آن واحد .

أما اقامه الشعائر بحريه ، فغايه على قدر همه صاحبها ، و هذه رؤيه و همه لا يُحسد عليها.

أما العزه أمام الأمم الأخرى ، فشرك أمام الله ، و صوره من الضعف المعنوي و عقده النقص المركب الذي تراه غالبا في الرجال فوق الأربعين أو الخمسين ممن طحنت الستينيات و السبعينيات ارادتهم و رؤيتهم ، ثم إنما مقدمه للركوع أمام هذا الذي تريد العزه أمامه ، و هو نزعه دنيويه بأخبث المعاني يتم التوسل إليها بأشرف المباني ، و لذلك يمحق الله البركه في طرح مثل هؤلاء فتسمعهم يقولون مباني الاسلام ، و لكنك لا تشعر إلا بمعاني الشيطان . لن يبارك الله في هؤلاء و طرحهم أبدا ، و سيدب اليأس فيهم بالكليه عما قريب إن شاء الله .

أما السيطره على العالم ، فكما قيل في العزه ، فضلا عن سوء الفهم لمعاني الأحاديث الشريفه التي لها فيها ملامح من هذا الظاهر ، بالإضافه لأنك تجد أهله من المهوسيين بنظريه المؤامره من ناحيه ، و الانزواء الشبه كلي من ناحيه أخرى ، و لو خرج المهدي لما تعجبنا إن كفر به هؤلاء بحجه أنه من صنيعه أرباب المؤامره الصهيونيه أو الأمويه أو لا أدري من غيرهم من أرباب التآمر الشيطاني على العالم . هولاء يريدون السيطره على العالم لأنهم خسروا أنفسهم. و لأنهم يجدون في ذلك شغلا لخواء قلوبهم . و يريدون دمار العالم و يتمنونه حتى يتم لهم ما يريدونه . و لا قيمه لهم عندي .

الدفاع عن العقيده الصحيحه ، يقولوها أصحاب العقيده الفاسده الذين يتوسلون بالحكومه لمساندتهم في حفظ عقيدتهم و سلوكياتهم المعتديه الفاسده .

محاربه الغرب المستكبر ، وسيله جيده لجذب الجماهير ، و كعاده كل غايه تخرج كرده فعل ، أي تكون سلبيه كئيبه بلا قيمه فعليه .

اقامه النظام التقليدي الكامل ، حق لا ريب فيه ، إلا أنه هدف عام بلا طريق واضح .

هذه مقدمه عامه للوضع الحالي و للاحتمالات المكنه في هذه القضيه ، ذكرناها كتمهيد للنظر في رؤيه السلطان في الحكمه التي بين أيدينا .

فإن السلطان قال (و الداعي لإنشاء الدوله و الحقائق) فكلام هنا عن الغايه من انشاء الدوله ، ثم يذكر هذه الغايه فيقول (تحصيل المعرفه) و (تكميل علوم) . و هذا ما لم يذكره أحد من الفرق العشره ، و قد ذهبوا في كل جهه في التعليل ، و السبب الحقيقي لعدم إذن الله في نجاح إقامه الدوله و فساد كل التوجهات الحاليه في ذلك يكمن في هذا الأمر بالذات ، لأن كل هؤلاء الذين ذكرناهم لا يريدون الدوله التي يريدها الله حقا ، الدوله التي اقامها النبي فعلا ، الدوله التي يريدها أولياء الله حقا ، هم يريدون منافسه أمم و محاربه أعداء و بناء ناطحات السحاب و غير ذلك من اعتبارات بعضها ثانوي فرعي و بعضها هامشي و بعضها جاهلي .

لن تقوم للمسلمين دوله ، و لن تبقى دوله بعد أن تقوم ، إلا بحفظ هذا المناط و اتخاذه كجوهر و قاعده و كعبه ، أي (تحصيل المعرفه من جناب رب العالمين و تكميل علوم الأنبياء و المرسلين) ثم جعل كل ما عداه خادم له ، و وسيله إليه ، و مقدمه تمهيديه له ، و ميسره له . فكما أن كل من يصلي من المسلمين يتوجه نحو الكعبه ، كذلك يجب أن تتجه كل القلوب و الهمم نحو هذه الغايه الواحده (تحصيل المعرفه) و (تكميل علوم) . الدوله الاسلاميه دوله معرفه ، و مدينه علم . و هذا هو السبب الفاعل لوجودها ، و الحافظ لبقائها . و ليس العلم كوسيله للقوه ، و لا العلم كوسيله للمنافسه ، و لا العلم كسلاح

للمقاومه ، كل هذا من سمات الغرب الجاهلي و من سمات من يعجبه شأنهم من شر الدواب و ممن حشيت قلوبهم بالرجس و النجس .

عندما يكون حال أكثر المسلمين كذلك ، عندها ستقوم الدوله بإذن الله . و يجب أن تتركز الجهود نحو هذه الغايه . نحو تعليم المسلمين و الناس ما معنى أن تحيا كمسلم ، و لب معنى حضاره المسلمين و دولتهم . لا نريد المعرفه للدوله ، و لكن نريد الدوله للمعرفه . فالدوله هي الصوره الظاهريه للمعرفه . أي حتى يتناغم ظاهريا مع باطننا ، و حياتنا الاجتماعيه مع حياتنا الفرديه. و إلا فإن القاعده هي الاستغناء بالباطن و الحياه الفرديه ، عن كل ما سواها . كأهل الكهف . و لكن حين تتحقق هذه القاعده عند أكثريه الناس في أي مكان ، فإنهم تلقائيا ، و كظهور الفرع عن أصل الشجره ، سيسعوا إلى تكوين دوله اسلاميه . و لهذا النبي عليه السلام لم يهاجر إلى المدينه إلا مع صاحبه ، و لم يكن معه لا جيش و لا سلاح و لا شئ ، بل تم استقباله بالغناء و التهليل ، و ذلك لأن أكثريه أهل المدينه و رؤوسهم قد قبلوا رسول الله و دعوته و أكثرهم بشكل مبدأي ، ثم لما قامت المدينه بدأوا يوغلون في هذا العلم المنزل ، ثم كان ما كان . حقيقه المدينه هي قول النبي عليه السلام " أنا مدينه العلم " . الدوله ليست جدران و لا مباني فخمه و لا مراسم و طقوس ، الدوله معنى و ليست مبنى ، و إنما المبنى صوره للمعنى . فإن لم يتحقق المعنى لا يمكن أن يظهر المبنى . عندما يفسد التوحيد بعباده العجل ، فإن موسى سيلقي الألواح . و هذه الغايات التي يذكرها الغالبيه العظمى من الرؤوس المفكره للمسلمين ، الرؤوس الظاهريين طبعا و إنما ذكرنا رأي الرؤوس الظاهره و أما رجال الباطن و رجال الغيب فلهم عمل آخر و هو عين هذا الذي نذكره هنا ، هذه الغايات التي ذكرها تقريبا كل هؤلاء هي شعائر مختلفه في عباده العجل . و عندما يتم نسف العجل نسفا بذي فقار "إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شئ علما " ستقوم الدوله إن شاء الله أدبا ، فإنه قد وعد بذلك سبحانه .

الاستخلاف لا يكون إلا للخليفه ، فإن لم تكونوا خلفاء الله فلماذا تتعجبون من عدم وجود الاستخلاف . و إن كنتم لا تعرفون حتى معنى " الخليفه " ، فلماذا تغضبون من عدم وجود خليفه . عندما يتأمل كل واحد منكم على هواه معنى الخلافه ، فيكاد بعضهم يجعلها مرادفه للمواطنه الأمريكيه أو لتلميذ مخلص للبدع الحداثيه أو لأن تكون غنمه مخلصه لما يتوهمه البعض أنه عقائد سلفيه أو للاخلاص للنزعه الثورجيه الشبيه بالفاشيه و النازيه أو غير ذلك من أمور ليس الله و رسوله و المؤمنين حقا منها في شئ ، بل يكاد البعض يجعل مثال الانسان الكامل هو المتشكك النسبوي المتساخف الليبرالي ثم يجد جرأه كافيه للقول بأن هذا هو خليفه الله ، إن كانت هذه هي حدود رؤيتكم لحقيقه الخلافه ، أفتعجبون من تسلّط من هم عند الله أقل من ذاك الذي " أخلد إلى الأرض و اتبع هواه " ، فإن كانوا هم بغير قرءان فضلوا ، ألا يكون الغضب عليكم مضاعفا إذ أنزل الله عليكم مائده القرءآن فهجرتموه لمشاركه الكلاب على تلك الجيفه و التنافس معهم في تناولها . لن تقوم دوله في الخارج ما لم تقم في الداخل أولا . فلا تبحث عن خليفه الله في الأرض ، و لكن ابحث عن خليفه الله

في القلب . فإذا وجت المهدي في قلبك ستجده عما قريب أمام وجهك . " الكنز تحت جدارك ، فلا تبحث عنه عند جارك " .

لاحظ أن السلطان أخّر ذلك فقره الدوله و جعلها آخر فقره ، و ذلك لأنها فعلا آخر مرحله . فمن يعرف (نظام العالم) و (صلاح أحوال بني ءادم) و (الباعث على تدوين نُسخ الخلائق) فهذا فقط يمكن أن يصل إلى المرحله التاليه و هي (و الداعي لإنشاء الدوله و الحقائق) . الدوله آخر هموم المسلمين ، و أول هموم المتفرعنين . و فرعون بكل سحرته و دعاته لن يفلح ، و مع كل جنوده سيكون من المغرقين .

لو كان الأمر بيدي ، لأوقفت كل مساجد و مدارس و منابر و إعلام المسلمين من أقصا المشرق إلى أقصا المغرب على تأمل كتاب " جامع بيان العلم و فضله " لمولانا ابن عبد البر - رضوان الله عليه ، و كتاب " مفتاح السعاده و مصباح السياده " لمولانا طاش كبرى زاده - رضي الله عنه - لمده عشر سنوات . لعل بعدها يعي الناس بعض معنى أن يكون مسلما .

إلا أنه مع ما ذكرناه ، لا يزال عمل كل هذه الفرق العشره الظاهره له وجه في الحق . و بيان ذلك هو التالي : عندما يعمل المسلمون على مستوى الظاهر و الباطن بكل الاحتمالات الممكنه للعمل ، فإن هذا يجعل نسبه نجاح العمل أكبر مما لو انحصروا جميعا في عمل واحد لا غير . فالدخول من أبواب متفرقه خير من الدخول من باب واحد إن كان العدو يتربص بالداخل ليفتك به . ثم إن الناس على طبقات ، كل الناس ، و كل فرقه من هذه الفرق التي ذكرناها تتوجه إلى طبقه معينه من الناس ، و الجامع المشترك بينهم جميعا أنهم يحملون القرءآن و يوصلونه للناس مهما اختلفوا بعد ذلك ، فإن هذا الأمر الجامع كاف لاستمراريه الدعوه الإلهيه المحمديه ، و هو الحاصل و لله الحمد . و مع ذلك ، فإن لهذا الوجه من الحق حد ، إن تجاوز الحد صار في حيّز الباطل و الضرر ، و الحد هو التالي : ترك قيمه العلم ككعبه و التفرّق الانفصالي كدعوه و التخاذل عن الحق الأكمل حين يظهر على حين غرّه . أما ترك قيمه العلم ككعبه ، فذلك لأن زوال القطب فساد لكل الطائفين ، فمهما كثر عدد الذين يزورن الحرم المكي الشريف ، فإنك إن نظرت إليهم من الأعلى تجد نظاما عاما و تشعر و كأنك تشاهد الكواكب و هي تدور حول الشمس ، و لكن تصور لو رميت الكعبه بمنجنيق بني أميه السياسي و تهدمت ، فأصبح كل فريق في الحرم يريد أن يتخذ لنفسه كعبه خاصه به ، عندها تعرف شئ عن معنى زوال القطب ، و العلم هو هذه الكعبه بالنسبه للإسلام ، فينبغي على كل فرقه من هذه الفرق ، و كل فرد من المسلمين أن يقوم بذلك في نفسه و يذكّر الآخرين به على الدوام و يتخذه كمحور له إذ هو كذلك إن كان من المسلمين . و أما التفرّق الانفصالي كدعوه ، فإن وجود فرق و سبل ليس أمرا سيئا بحد ذاته ، " سبل السلام " و " الذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا " ، و لكن بشرط أن تكون " سبل " في نفس وقتها كونها " سبيل الله " الواحد ، كمثل المواقيت المتعدده للدخول إلى مكه ، فميقات أهل الشام ليس كميقات أهل اليمين ، فلهم سبل متعدده ، إلا أنهم على سبيل واحد من حيث الباعث لهم على التحرك و من حيث الغايه و من حيثيات كثيره مشتركه من هذا القبيل ، أما التفرّق القبيح فهو أن

يسافر البعض إلى مكه و البعض إلى باريس للحج ! فينبغي أن يكون في وعي كل صاحب سبيل أو طريقه أو فرقه أنه غير مفترق جوهريا عن بقيه المسلمين ممن لهم مشارب أخرى و طبقات أخرى من الناس و المواضع يتوجه لها ، و إن أظهروا التفرق ظاهريا من باب التقيه العامه التي يضطر المسلمون أن يعيشوا فيها حين لا تكون لهم دوله تامه يستظلون بظلها ، و هو من باب " الدعوه السريه " في السيره النبويه ، و ليس من باب النفاق و السياسه الدنيويه ، بل هو من قبيل قول أهل الكهف " إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم و لن تفلحوا إذا أبدا " فالتلطف و عدم إظهار المخالف و الغير على حقيقه الرابطه الكليه التي تجمع بين كل المسلمين ، بل إن كثير من المسلمين أنفسهم لم يؤذن لهم من العلي سبحانه في أن يعرفوا هذا المعنى و و يفقهوه حق الفقه ، و هذا من التدبير الإلهي للدعوه لتصل إلى مشارق الأرض و مغاربها كما وعد سبحانه و رسوله بذلك . و لكن الأفضل أن يعي الناس هذا المعنى و لا يختلقوا مزيدا من المشاكل بسبب الفرقه الظاهريه و اختلاف التوجهات و المشارب ، فإنها كما رأينا متكامله . و أما التخاذل عن الحق الأكمل ، فهو ناشئ عن الانحصار على المذهب الجزئي و حلول الأنا السفليه الضيقه للفرد محل الأنا العلويه الجامعه للمسلم ، و هذا أخطر ما في ظاهره التفرق المظهري التكاملي للمسلمين ، فإنه حين يأذن الله بظهور الحق الأكمل الجامع لن يُعذر أحدا في التخلّف عنه ، و سيكون فرقانا يميز بين الخبيث و الطيب ، و الذي لا يعني فقره الكعبه و فقره التكامل التي ذكرناها قبيل قليل فإن أغلب الظن إن لم يكن عين اليقين أنه سيكون من الخوالف الذي طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون و لا يعلمون " و ما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله و يجعل الرجس على الذين لا يعقلون" .

المسأله الثالثه في هذه الفقره (و الداعي لإنشاء الدوله و الحقائق) متعلقه بصوره الدوله . و جماع القول فيها أنها تشتمل على ما سبق أن ذكرناه من قطبيه و مراتب و نظام و غير ذلك من شؤون صلب الإسلام و الرؤيه القرءانيه للوجود . فصوره الدوله هي صوره قلب المسلم الكامل . و حسبنا أن نعرف هذا في هذا المقام . أما الحقائق فهي تفاصيل ما في الدوله بدايه من الهندسه المعماريه من حيث الكبر إلى كيفيه صنع الأواني و الكؤوس من حيث الصغر ، و الحق أن الكؤوس أقرب إلى الإنسان من غيرها فالاهتمام بها يجب أن يكون أكبر ، إذ ما تمسه كل يوم أكبر أثرا فيك مما تنظر إليه كل سنه . كل ما في دوله الإسلام " حقائق " ، كله ، شرعا ، عملا و سلوكا و ثيابا و نظاما عاما و أدبا خاصا ، لا شئ إلا و له سبب معقول روحاني .

...

ز (هو تحصيل المعرفه من جناب رب العالمين و تكميل علوم الأنبياء و المرسلين)

جوهر الجواهر ، و خلاصه الخلاصات ، و كعبه العالم ، و تاج الإنسان الحسن المحسن ، هذا هو وصف هذه العباره الشريفه ، أو بعض وصفها .

لاحظ أنه قسم العباره إلى فقرتين ، الأولى صله بالمركز و الثانيه صله بالخط الممدود بين المركز و النقاط التي على القطر . فقوله (تحصيل المعرفه من جناب رب العالمين) هو التحصيل المباشر منه سبحانه ، أي بالصله الوجوديه المباشره للطالب مع الحقيقه المقصوده أيا كان مستواها . و أما قوله (تكميل علوم الأنبياء و المرسلين) فهو التحصيل بوسيله أو بواسطه إنسان في الصوره . و ذلك لأن العلم كله من الله ، و لإفاضه العلم من الله تعالى على الإنسان يوجد ثلاث طرق ، يقول تعالى " و ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم " . فقوله " وحيا " متعلق بالقلب المستقبل للروح ، و هو أعلى صفه . ثم قوله " من وراء حجاب " و الحجاب هو صوره الكون و طبقاته من سماء و أرض و ما فيهما ، فالصوره حجاب ، هذه آيات الآفاق و الأنفس ، و من رؤيتها و العبور من صورتها إلى معناها يتبين للإنسان الحق الذي تمثله هذه الآيات أو ترمز له ، و كشف حجاب الآيه هو الطريق الثاني " و تلك الأمثال نضربها للناس و ما يعقلها إلا العالمون " فالعقل الذي هو اكتشاف الصله بين الأدنى و الأعلى ، بين الآيه و الحقيقه ، بين المبنى و المعنى، هذا العقل هو الدرجه الثانيه في التعليم الإلهي . ثم قوله " أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء " و الرسول إما ملاك إلى بشر ، أو بشر موحى إليه إلى بشر غير موحى إليه ، و الأول أصل الثاني في هذه الدرجه من التعليم أو قد يكون الإنسان الذي هو في مقام رسول لإنسان آخر قد نال علمه من رتبه الوحي أو من وراء حجاب فلا يكون له رسول من الملائكه أو رسول من البشر في هذه الحاله بل يكون العرش ذاته رسوله في حاله الوحي أو يكون الكون ذاته رسوله في حاله من وراء حجاب . فكل من ينطبق عليه إسم (الأنبياء و المرسلين) هو أحد هؤلاء الثلاثه لا محاله و لا غير ، ثم الأولياء و العلماء هم ورثه الأنبياء ، فهم في منازل "الصديقين و الشهداء و الصالحين " .

فموسى مثلا سمّي الكليم " و كلم الله موسى تكليما " لأنه كلمه بكل هذه الدرجات الثلاث . فمن حيث درجه الوحي " وواعدنا موسى ثلاثين ليله " ثم قوله " و كلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني " إلى قوله تعالى له " إني اصطفيتك على الناس برسلتي و كلامي فخذ ما آتيتك و كن من الشاكرين " . و من حيث درجه الحجاب قصه النار " فلما آتاها نودي يموسى. إني أنا ربك " و قوله " أن بورك من في النار و من حولها و سبحان الله رب العالمين " . و من حيث درجه الرسول قصته في سوره الكهف المباركه و قوله للعالِم " هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا ". فهو الكليم بامتياز .

و كذلك ذُكرت هذه الدرجات الثلاثه في قوله عن مريم الصديقه " اتخذت من أهلها مكانا شرقيا" و شرق كل تكليم هو الوحي " فاتخذت من دونهم حجابا " و هذه درجه من وراء حجاب ثم " فأرسلنا إليها رسولنا فتمثل لها بشرا سويا " و هذه درجه الرسول . و إن كان هذا الاستنباط اللطيف الذي أفادني به أخي فيصل فيه دقه و يحتاج إلى مقدمات لتبيينه إلا أني أذكره هنا لمن يريد التأمل فيه كما هو .

و لهذا قال السلطان في الفقره الأولى (رب العالمين) و ذلك لأن (تحصيل المعرفه) في هذه الفقره متعلق بدرجه الوحي الروحي و الإلقاء السبّوحي ، و بدرجه من وراء حجاب الأكوان و أنفس الإنسان ، فالوحي عالم و الحجاب عالم ، و تحصيل المعرفه هو تحصيلها من هذين العالمين من (رب العالمين) كما قيل في بعض القرآءات أن " العالمين " ليست جمع و لكنها مثنى عالَم ، و به قال ابن عباس رضي الله عنه أن المعني به الإنس و الجن . و هذا احتمال و هذا وجهه في الحق .

(المعرفه) إلقاء حي من الحي ، و لكن (العلوم) وراثه حي عن ميت . (المعرفه) متعلقه بالوحده ، لكن (العلوم) متعلقه بالكثره ، و لذلك قال (المعرفه) بالمفرد و ليس : المعارف . و لذلك قال (العلوم) بالجمع و ليس : العلم . فالمعرفه بهذا الاعتبار ما تعلق بالواحد المتعالي من حيث ذاته ، و العلوم موضوعها الموجودات و المخلوقات أي الواحد المتعالي من حيث تجلياته و إفاضاته . و العوالم أربعه : الحق بأسماءه الحسنى ، ثم العرش الروحي ، و السماوات النفسيه، و الأرض البدنيه . أما الحق سبحانه فما يكون من تحصل للمعرفه منه إنما يكون بذاته تعالى ، أي هو يعرّف نفسه بنفسه لمن شاء من عباده و خلّص أولياءه ، إذ لا يعرف الله إلا الله ، و لذلك يقال " العارف بالله " فالباء هنا وسيله المعرفه كما أنها مضمونها ، فهو الذي بالله عرف الله و لا يمكن غير هذا أصلا . أما العرش و السموات و الأرض فكل ما يصدق عليه كشف لحقيقه أو إمكان واقعي أو سنه أو فهم أو تفسير أو فن و صناعه و تأثير أو كل ما كان من قبيل انطباع حقائق هذه العوالم في العالِم أو ما كان من تأثير للعالِم في هذه العوالم ، فكل هذا بإطلاق و بلا استثناء أي صنف من العلوم كائنا ما كان ، كله ينطبق عليه إسم (علوم) و لكن (علوم الأنبياء و المرسلين) هي بالأخص العلوم و الصناعات التي تكون متفرعه عن المعرفه الإلهيه ، و أما ما كان منفصلا عنها فإنه يسمى علما شيطانيا أو دنيويا أو سحرا أو عبثا أو كفرا و هو كذلك فقط بالنسبه لمن يمارسه ، و هذا لا ينفي عنه كونه علما عرشيا أو سماويا أو أرضيا ، و من حيث كونه علم فهو مطلوب لورثه الأنبياء و المرسلين لا أقل من باب فرض الكفايه. فحتى تعلّم السحر فرض كفايه على ورثه الأنبياء و المرسلين أي على المسلمين ، فإن تركوه كلهم أثموا كلهم ، إذ لا أقل و على أضعف تقدير أن من لا يعلم ما هو السحر سيقع تحت تأثير السحره . و من أفضل من عدد ، و لعله أفضل من عدّد ، هذه العلوم هو الشيخ الكريم طاش كبرى زاده في كتابه " مفتاح السعاده و مصباح السياده : في موضوعات العلوم " . حتى "الرقص" علم ! فالرقص و اللغه و السحر و الطب البيطري و النجوم و المنطق و مصطلح الحديث الشريف و تفسير القرءآن ، كلها علوم بهذا الاعتبار . و قس على ذلك . إذ موضوع العلم دائما هو الحق أو العمل بمقتضى حق ، فمن حيث هو الحق يكون مطلوبا مطلقا للمسلمين ، و لكن من حيث تطبيقه فإن الأمر يختلف و هنا الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان ، فإن ليس كل معلوم يجب أو يُستحب أو حتى يُباح تطبيقه أو تطبيق بعض مقتضياته ، إذ العلم يعطي قدره أوليه على تطبيق أمر ما يتفرع عن هذه المعلومه التي كشفها ، و لكن تفعيل هذه القدره في صوره أو أخرى أو تفعيلها أصلا هو مسأله أخرى تماما . و مثال بسيط على ذلك ، من يقدر على يعلم كيف يجعل الطفل يتعذب و يبكي بشده دون أن يموت ، هذا

العلم و هو حق لا يعطيه الحق و الصلاحيه بذاته لأن يُفعّل هذه المعلومه و يخرجها إلى حيز التطبيق الفعلي . القدره على تفعيل المعلومه لا يساوي مطلقا تفعيل المعلومه . الكل يعلم هذا ، و لكن القله يعملون بمقتضاه الكلي . و من أكبر مصائب الغرب أنه يميل إلى الاعتقاد بالمساواه بينهما إن لم يكن يراها فعلا ، و معياره في الإخراج للتطبيق هو تقريبا دائما إن لم يكن دائما هو ربح نقود أو كسب نفوذ ، و هذه أمور حين توضع في المحور تصبح قبيحه و تؤدي إلى هلاك الطالب و المطلوب منه و يظهر الفساد في البر و البحر بسببها ، كما أصبح مشاهدا و معروفا على العموم للمطلعين على الآثار القبيحه التي ملأت الأرض بسبب تفعيلهم لمعلومات ما كان يبنغي تفعيلها إن بقي في الناس حس جمال أو عز جلال . كون المعلومه قدره حق ، و لكن تحويل القدره إلى صناعه يحتاج إلى العبور من جسر عليه حارس معه معايير و قيم يزن بها الأمور ، فالكلام كل الكلام عن دين و قيم هذا الحارس الخطير الشان . و يشبه هذا القصه التي يذكرونها عن قارون . يُقال أنه كان صاحب صنعه كيمياء ، و لكن حين فسد قلبه أهلكه الله بحدوث انفجار كيميائي و هو يقوم بتجربه أو عمل معين في داره فخسف الله به و بداره الأرض . و المعنى واضح ، و ينبغي على الغرب - الوريث الممتاز لقارون - أن يتأَمل في هذه القصه و لا يتساخف بالنظر إلى سطحها " التاريخي " . إن الغرب يعبث بكيمياء هذا العالم ، نفسا و بدنا ، من حيث الموازين و من حيث المواد ، و لن تتخلف السنه في أن يحدث انفجارا عظيما بسبب عين عملهم هذا و تجاربهم و ما يحدث من خلافات و مشاكل في عقر دارهم فيما بينهم و بين أضرابهم ، ثم سيؤول الأمر إلى أن ينخسف بهم و بحضارتهم و مدنيتهم البربريه الأرض " و لات حين مناص " .

طلب العلوم بلا معرفه أقرب إلى الإنتحار منه إلى الإزدهار ، و لا يقوم به - خصوصا إن كان مفتخرا " فرحوا بما عندهم من العلم - إلا من كان من الفجّار . أولا (تحصيل المعرفه من جناب رب العالمين) ثم (تكميل علوم الأنبياء و المرسلين) . و كل علم من هذه العلوم الممكنه التي ينظر الناس فيها في القديم و الحديث من الزمان إنما بدأ من نبي أو رسول . و ما هذا الذي يبدو في الظاهر ك "تطوير" إلا (تكميل) أو إظهار لما يكمن في عمق تلك الأصول و المبادئ التي وضعها الأنبياء و المرسلين عليهم السلام . ما في الأرض من ماء إلا و بدايته السماء ، كذلك ما في البشر من علم إلا و بدايته الأنبياء . و هذا معنى (تكميل) . فالتأسيس قد تم للعلوم ، و كل ما بقي هو (تكميل) و هو استخراج القدرات الكامنه و المعاني المستكنه في أعماق كل العلوم ، و هو عمل تلقائي يقوم به كل طالب للعلم سواء عرف هذه الحقائق أم لا ، سواء علم أن ما يقوم به إنما هو (تكميل) أو ظن أنه يأتي بالشئ من الفرا غ المجرد . و لا شئ من لا شئ .

التحصيل يقتضي شعور الطالب بعدم الحصول ، و يقتضي في نفس الوقت أن يشعر الطالب بماهيه المطلوب الذي يريد تحصيله أو شئ من هذا الشعور أو الحدس ، فهو انفصال عن المطلوب من وجه و اتصال به ن وجه ، فطالب التحصيل في حاله برزخيه بين الحدس و الفقد ، فإن جاءه مدد الطاقه

سافر من الفقد إلى الحدس حتى يصل إلى مقام الوجد . فهو انتقال من "الظلمات إلى النور" و لكن الهدايه إلى النور هي بنور " يهديهم ربهم بإيمانهم " ، و يقول تعالى " يهدي الله لنوره من يشاء " فالله يهدي بنوره لنوره ، فيوجد نور هدايه و نور هديه . نور الهدايه به تصل إلى نور الهديه ، و الهديه هي (المعرفه من جناب رب العالمين) .

التكميل يقتضي علم الساعي بالكمال الكامن و الذاتي أو افتراضه لوجود هذا الكمال فيما يسعى لتكميله ، فلولا هذا العلم أو الافتراض على أقل تقدير أي التسليم بالكمال الكامن لما سعى في التكميل بل لما تمكن أصلا . و لهذا الذي يفترض أن علما ما ليس بعلم أو هو خرافه أو جهاله أو يختزله أو أي صوره من صور الكفر بالعلم المعين لن يجد إلا صوره إيمانه فيه على الأعم الآغلب " انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ". و من الوجه الآخر فإن التكميل يعني أن صوره العلم لم تكمل بعد أي لم تظهر و إلا فلا معنى لتكميل الكامل على كل المستويات ، مما يعني أن الساعي في التكميل لا يمكن إلا أن يكون صاحب عين باطنيه ترى بواطن الأشياء قبل ظهورها ، إذ لو ظهر الكمال لما وجد التكميل . و على ذلك يكون وارث الأنبياء و المرسلين هو صاحب القلب الشهيد و البصيره الكاشفه ، أو من يسلّم تسليما على الأقل في البدء ثم يتكشف له الأمر حينا بعد حين إن شاء الله .

فالتحصيل و التكميل من الحالات التي لا تحل إلا في قلب من يجد وضعه الحالي فقيرا أو ضعيفا أو قاصرا عن كمال ما يعيه و يتوجه له . فالراضي عن حاله قبل التحصيل و التكميل هو الكافر و المنافق . و على ذلك يمكن تقسيم الناس كلهم إلى أربعه أقسام : قسم راضي عن نفسه مع كونه محصلا مكملا و هو أهل الله و الحق و ورثه النبوه و الرساله ، و قسم راضي عن نفسه مع جهله و هم الكفار و المنافقين ، و قسم ساخط على نفسه مع كونه ساعيا في التحصيل و التكميل فهم من المؤمنين و المسلمين و المريدين لوجه الله ، و قسم ساخط على نفسه مع كونه مثّاقلا إلى الأرض لا يفقه شيئا عن تحصيل معرفه أو تكميل علوم و هؤلاء هم الذين "خسروا الدنيا و الآخره ألا ذلك هو الخسران المبين " و العياذ بالله أرحمن الراحمين . فانظر منزلتك من هؤلاء الأربعه .

يقول بعض أصحاب التآمل الذهني أن " الرغبه تساوي الألم ، فيجب أن نقتل رغباتنا حتى نتحرر من الألم " و يقيمون مله و طريقه كامله على هذا المفهوم كقاعده ، قاعده لبناء عظيم . و لعلك تسأل : ما علاقه هذا ببحث التحصيل و التكميل ؟ الجواب : كل ما نقوله مرتبط بما قبله و ما بعده سواء ذكرنا الحكمه أم لا ، و قد ندعها لتتبين أقدار القراء و لتثوير عقولهم ، إلا أننا نجيب على هذه المسأله المهمه . السبب الرئيسي هو التالي : بما أن التحصيل و التكميل يتضمن خطوه سابقه و هي الشعور بالقصور الواقعي ، و القصور لا يكون إلا في قِبال تصور معين للكمال و هذا التصور يقتضي جذبا نحوه و ذلك لأن الكمال جذّاب بذاته أيا كان موضوعه عند من يتصوره أو يحدسه أو يجده في أعماقه ، و هذا هو نوع أو درجه من درجات " الرغبه " أو هكذا قد يفسرها العامه . و بما أن معادلتهم تقول "

الرغبه تساوي الألم " فإن النتيجه ستكون رفض للتحصيل و التكميل إذ وجود الدافع نحوهما سيكون " ألما " بسبب وجود "الرغبه" في المعرفه و العلوم أو أي شئ آخر غيرهما . و إن تأملت حال العامه ستجد في كثير من الأحيان أن سبب النفور من طريقه العرفاء أي التحصيل و التكميل قائمه و لو في أعماق نفوسهم التي لا يدركونها تمام الإدراك ، و لكن تظهر للمتوسمين و المتسنبطين ، هو الشعور بهذا الألم حين يتصوروا أن طريقه التحصيل هي " رغبه " ، و ذلك لأنهم حين يسمعون أو يتصورون الكمال الذي يدعوا إليه طريق المعرفه ، يشعرون بالهوه السحيقه بين واقعهم الحالي و بين هذا التصور للكمال و أولئك العظماء الذين حصلوه أو سلكوا في طريقه " و قل رب زدني علما " و كلما اتسعت الهوه بينهما كلما كان الألم أكبر ، و هذا أحد أسباب قتل الأنبياء و الذين يأمرون بالقسط من الناس ، فلولا الألم الذي يشعره القتله أو يتوهموا أنه سيقع لما وجدوا القوه على قتلهم لدعوتهم و طريقتهم . فما هي أقرب طريقه للتخلص من ألم الرغبه هذا ، هذه الرغبه التي عرف العرب العقلاء سرها فجعلوا كلمه جذرها " رغب " هو نفس كلمه "رعب" مع إزاله النقطه ، و هذه النقطه التي على عين " رعب " هي ثقل الرعب الحال فوق رؤوس من عنده رغبه ، و ذلك لأن الألم و الخشيه من عدم تحقيق رغبته يرعبه حتى النخاع ، و خير طريقه للتخلص من هذا الرعب هو - كما يقترح أصحابنا أهل التأمل " السلبي " المناسب للعبيد - هو " قتل الرغبه " . هذا يشبه رجل يسكن الصحراء و يجد أن رمال الصحراء حاره ، فيقرر أن يقطع رجله حتى لا تحترق بالرمال . قتل الرغبه موت صفاتي و ليس موت بالمعنى العرفاني الذي هو انتقال من نفسيه محكومه بالهوى إلى نفسيه محكومه بالعقل . فمن لا رغبه له لا حياه له ، و من لا حياه له فقد وصل إلى آخر درجه من " الألم " أو السقوط في هاويه الموت و السلبيه . إن مجرد كون قاعده بناءهم قائمه على رد فعل ، و ليس على فعل ، دليل على أن صاحبها من العبيد فقراء الروح . الغني بالروح فاعل ، الشحاذ منفعل . و لعل هذا أحد أسباب حبهم للشحاذه و سكب ماء وجوههم على الأرض . عجيب أمر من يريد أن يتحرر من ألم فيقع في جهنم ، فعلا ينطبق عليهم مثل " المستجير من الرمضاء بالنار " . قتل الرغبه ليس "تحرر" و لكنه " انتحار " و فرق بين التحرر و الانتحار . التحرر للأحياء ، الانتحار للأموات . التحرر علو في الفردوس ، الانتحار سقوط في سقر ، و من هنا قول مولانا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أن المنتحر في جهنم ، هذا أحد أبعاد هذا القول الشريف كباقي الأقوال النبويه العاليه .

إلا أن لفكره " قتل الرغبه " وجه في الحق و يحتاج إلى تبيان : فرق بين أن يكون لك "محور" و بين أن يكون لك " هدف ". أن يكون لك " هدف " هو من الرغبه التي قد تؤدي إلى الألم ، و غالبا تفعل ذلك . و لكن أن يكون لك " محور " فأنت واصل و غير واصل في آن واحد ، إذ أنت تدور حول محورك فأنت واصل من هذه الحيثيه ، و لكن دورانك لا ينتهي و طوافك لا ينقضي و من هذه الحيثيه أنت غير واصل ، فالأثر السلبي لعلم الوصول يتحيّد بالأثر الإيجابي للوصول ، فيبقى المضمون المعنوي للمحور و فاعليته في الطائفين إلى الأبد فاعلا بتمامه . و لنضرب مثلا في قضيه التعلم : التعلم حين يكون " هدف " يعني أنه مجرد غايه مؤقته ، يعني أن المطلوب الحقيقي ليس عين العلم و لكن شئ آخر هذا العلم يفترض أن يقوم به أو يحققه ، و كذلك الوسيله المتخذه لهذه الغايه لا يكون لها من

القيمه ما يكفي في ذاتها فتكون قيمتها قاصره جدا بل تكون شبيهه ببلع الدواء المر من أجل كسب الصحه فلا أحد يشرب الدواء المر الخبيث الطعم من أجل أن يتلذذ - إلا لو كان منحرفا نفسيا و هؤلاء قله قليله - و لكن يشربه كوسيله لتحقيق " الهدف " الذي هو الصحه ، فما أن يتخلص من المرض تصبح قيمه الدواء في حكم العدم بل لعله ينتقم منه بالتمزيق و الالقاء في المزابل - كما هو حال ما يسمى مدارس عندنا حين يخرج الطلاب أو المساجين بعد نهايه الاختبارات النهائيه فيحرقون الكتب أو يقطعونها و يلقونها في المزابل في طقس يشبه ما كان يفعله الشامانيون من صنع تمثال لمن يبغضونه و يريدون الانتقام منه ثم يطعنوا هذا التمثال بالسكاكين حين لا يستطيعون أن يطعنوا صاحب التمثال لعجزهم أو عدم حبهم للانتقام بأيديهم هم فيستعينوا بالقوى العاليه لتنتقم لهم . أو كمثل من يتعلم من أجل أن ينال " شهاده دراسيه أو جامعيه " ، ثم هذه الشهاده بدورها ليست لغايه في نفسها أو في نفس الطالب بقدر ما هي من أجل غايه أخرى أبعد منها و هي "الحصول على وظيفه جيده " . أو غير ذلك من " أهداف " تعذب طالبها في الطريق إليها ، لأن الهدف دائما أعلى من الطريق إليه ، و الطريق لا قيمه له بعد بلوغ الهدف . فإن كان هذا هو معنى " الرغبه تسبب الألم " فنعم ، في أصل حياه الإنسان و جل سعيه يجب أن لا يكون صاحب أهداف . و من العجيب - الغير عجيب ! - أن في هذا الزمان المنتكس على رأسه ، أصبح " تحديد الأهداف و تحقيقها " هو الهوس الشاغل المهلك لما لا يحصى من البشر أو أشباه البشر ، و هو نوع من الاستهلاك النفساني المناسب لتكوين نفسيه المستهلك الاقتصادي السوقي . و أما " المحور " فهو أمر آخر . أن يكون لك محور يعني آنك لا تهتم بالوصول إلى شئ معين ، إذ إنك تسبح في عين بحر الوصول ، فأنت في سباحه و لست في سياحه ، السائح يريد أن ينتقل من موضع أ إلى موضع ب ، و أ لا قيمه له عنده إلا من حيث هو جسر إلى ب ، أما السابح فهو في الحاصل و لكنه لا يفرغ من لذته في عين طلبه ، و هنا الفرق الأكبر ، أي اللذه و البسط و التمتع ، و مثال ذلك آي مثال الهدف و المحور يمكن أن يكون عمليه الجماع بين الذكر و الأنثى . فإننا لو فرضنا وجود ذكر همه الوحيد من الجماع إنما هو إنجاب الولد ، و هو يرى الجماع " شهوه جنسيه قبيحه سافله ...إلا أنها ضروريه لبقاء النسل " فمثل هذا سيكون الجماع له عمليه ممله مؤلمه نفسيا و مزعجه له - طبعا إن كان صادقا فعلا في قوله. و لكن إن جاء رجل و قال " حبب إلي من دنياكم ثلاث : الطيب و النساء و جعلت قره عيني في الصلاه " فإن هذا الذي يعتبر النساء في صف الطيب و الصلاه و هما من الأمور المرغوبه لذاتها و لكمالها و جمالها و حسنها الذاتي و العرضي ، و أجرها الدنيوي و الأخروي ، سيكون الجماع له عمليه هي في حد ذاتها لذه و طرب و متعه و بسط ، بينما هي على الضد من ذلك عند من يرى أنها مجرد " جسر لبلوغ هدف معين " ، مع كون الأول الذي يراها كمحور في الحياه أو أحد أبعاد هذا المحور و حيثياته أيضا سيحصّل " الهدف" أي النسل ، و أحد أهم الفروق بينهما هو في مدى البسط و الإحسان و السعاده المصاحبه للعمل و بالتالي مقدار المداومه عليه و مقدار تيسر أو تعسر هذه المداومه . قس ذلك على تحصيل المعرفه و تكميل العلوم . فإن التعلّم إن كان محورا سيكون العلم بسطا لا نهائيا و لن ينقطع عنه الإنسان كما لا ينقطع عن الطعام و الشراب و الجماع و النوم ، بل لعله ينقطع عن كثير من الطعام و

الشراب و الجماع و النوم حبا في التعلم و تلذذا به و اشتهاءا له ، و حين بلوغ مرتبه عشق التعلم يكون قد بلغ درجه " إني جاعل في الأرض خليفه " بحسبه . فالتعلم كالجماع ، و العلم كالنسل ، و نفس عمليه التعلم لذه و طرب فضلا عن أثرها و ما يتولد عنها من مشاهدات و أفكار و مشاعر و قوه و صناعه و فن و ثروه أحيانا و شهره أحيانا كثيره و رفعه في الدرجات عند الله دائما إن صدقت النيه و أخلصت لله فيتعلم لأنه يعلم أن الله يرضى عن المتعلمين و يرفع بالعلم و أنه يقترب من الله بالعقل " و اسجد و اقترب " " و إذا قرئ عليهم القرءآن لا يعقلون" "إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون " فالعقل سجود ، و السجود اقتراب ، و الاقتراب من الحق سبحانه و تعالى هو غايه و وسيله كل شئ "و أن إلى ربك المنتهى " و "أن لنا للآخره و الأولى " .

فمن أوائل المهام أن يتم إزاله كل الهموم عن كاهل الناس في قضيه التعلم و قيمه العلم . أن لا يكون العلم " هدفا " بل يكون " محورا " للحياه . ثم تخرج الأمور منه و ترجع إليه ، و تتوسع الحياه به من حوله دائره فدائره تطوف حول هذا القطب الأعظم و كل ما شذ عن هذا الطواف يُرمى به عرض الجدار و لا كرامه .

لا تحتاج إلى المعرفه من أجل المعيشه ، أي المعرفه المعنى الأعلى التي هي محور و مطلق في الحياه الإنسانيه ، نعم تحتاج إلى " معلومات " أو بعض المعلومات المحدوده دائما فيما يتعلق بوظيفتك التي تكسب بها معيشتك البدنيه في مجتمعك ، و هذه دائما معلومات سانجه مهما كانت و يمكن التعود عليها بعد ممارسه قصيره غالبا أو طويله في بعض الأحيان إلا أنها قاصره في جميع الأحوال عن المعرفه و العلم المتعلق بالأمور العاليه و النفسيه العميقه و المتعلقه بذاتك كإنسان و حياتك الجوانيه و بسطك ، فالمعيشه خارجيه و طلبها خارجي و السعي لها في حدود المجتمعات عموما و المجتمع الحداثي خصوصا هو أمر ذهني خارجي و آلي كذلك أو "روتيني" كما يسمونه . و يوجد قبائل في استراليا و الهنود الحمر في أمريكا و أفريقيا من عاش آلاف السنين بدون أن يهتم بالعلوم المشهوره هذه ، بل لعلهم لم يهتموا بهذه العلوم أصلا و إنما كان همهم هو المعرفه العاليه الروحيه و التعايش بسلام مع الطبيعه ككتاب إلهي و رمز رباني و أمور بسيطه راقيه من هذا القبيل ، فلم يهتموا بما اهتم به اليونان مثلا في القديم أو الغرب في الحديث من شؤون مغرقه في الذهنيات و الاختزالات و العمليات الخارجيه . ثم إنك تجد في مجتمعات اليوم الكثير جدا من الناس شرقا و غربا لا يفهمون و لا يبالون بشئ من المعارف و العلوم بنحو جدي بل قد لا يدركون وجودها و مع ذلك يعيشون و قد يعمّرون أيضا أكثر من الحاصلين على " الشهادات العليا " ممن ذبحه ذهنه و كآبه نفسه و سخف اهتماماته مع حسبانه إياها عين الرقي و النضج و " العلميه " . فمن كل الوجوه ، إن كان اهتمامك مجرد أن تعيش و تتكاثر - من أفقر الناس في العالم كالهند و مصر و آفريقيا هم أشد تكاثرا من حيث النسبه من كل بلاد الغرب التي تعاني من سوء التكاثر و الخوف من الانقراض قرضهم الله كما قرضوا روح العالم - فإن المعيشه و التكاثر لا يحتاجا إلى معرفه و علوم لا كمحور و لا كهدف اللهم إلا

كهدف في بعض الأحيان و في حدود ضيقه جدا أو " متخصصه " كما يقول القوم . و أي حمار يمكن أن يكون " متخصصا " في الوعي بحفره معينه من التراب بعد أن يقبع داخلها فتره معينه .
هذه المقدمه ضروريه لسلاك طريق (تحصيل المعرفه من جناب رب العالمين و تكميل علوم الأنبياء و المرسلين) و ذلك حتى لا يقول : ما الفائده العمليه من هذه المعرفه أو تلك الخلوه أو ذلك الجهاد الفكري أو هذا السهر أو مجادله هؤلاء أو تحرير النصوص أو التدقيق في الحجج أو طول الأوراد و الصلوات و الابتهالات و الصيام و نحو ذلك من شؤون جهاد العلم الذي هو الجهاد الأقدس . فإن الذي يسأل عن الفائده العمليه و يتخذها كشرط لقبول التعليم أو السعي فيه ، فإنه لن يفقه العلم و لن يستفيد الفائده العمليه التي يذكرها منه. فمن يطلب " الفائده العلميه " من المعرفه و العلوم هو من العوام ، و العوام شغلهم الحرف و الصناعات و الوظائف الرتيبه و العضليه ، فيكون طلبه هذا دليل كاف على رتبته فيتم قصره على الضروري من شؤون العقيده و الشريعه الذي له " فائده عمليه " و هي النجاه إن شاء الله بالحد الأدنى من النجاه إن صح أن أكثر أهل الجنه هم البله - بالتفسير الشائع لهذا الحديث، و إن كان الأقرب للعقل النبوي أن المقصود بالبله هنا هم من يعتبرهم الجهال بلها كما قال بعضهم لعقل العقول " يأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون " ، فالبله في الحديث هم أهل العقل الكامل ، و أهل العقل الكلي وسط البله هم البله . و الله أعلم .

قبل (تحصيل المعرفه من جناب رب العالمين) يجب أن تكون لك صله حيه برب العالمين . و هذا هو طريق الذكر ، الذي هو المركز الداخلي لكعبه العلم ، فإن كان العلم كعبه العالم للمسلمين ، فإن الذكر هو كعبه هذه الكعبه . و يتعب و يشقى بل قد ينقطع عن المعرفه و العلوم من لا يبدأ سعيه بالتعمق في حياه الذكر و الانقطاع لها انقطاع شبه كلي أو كلي . فإن الذكر انفتاح على المطلق ، ثم من المطلق الأعلى لا تضيق نفسك بأي شئ من شؤون العلوم المقيده و المحدوده مهما كانت إذ كل ما سوى المطلق فهو مقيد ، فمن وصل قلبه بالمطلق وسع قلبه كل مقيد حسب استعداداته و مزاجه و ذوقه و ما قدره ربه له إذ " كل ميسر لما خُلق له " . و لكن إن بدأت من تحت ، فإن ذهنك سيستولى على مملكه وعيك ، و ستقيدك كثره الصور و الحدود و تجعل الأغلال في عنقك و تحول بك دون الإنطلاق في الآفاق بكل ألوانها و صورها و مستوياتها . من بدأ بالذكر سلك ، و من بدأ بالفكر هلك . ألا ترى أنه وصف صفوه الخلق فقال "أولوا الألباب : الذين يذكرون الله ..و يتفكرون في خلق السموات و الأرض " فبدأ بالذكر ثم ثنى بالفكر ، بدأ بذكر الحق ثم تلاه بالفكر في الخلق . و لكن حيث ذكر أحد العبيد قال "إنه فكر و قدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس و بسر . ثم أدبر و استكبر. فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر " و الجزاء ؟ " سأصليه سقر . و ما آدراك ما سقر . لا تبقي و لا تذر . لواحه للبشر " . فحين بدأ بالفكر آل أمره إلى سقر و محق البشر . و أكبر الفروق بين النمط الشرقي و النمط الغربي الممتاز و الأعلى في كلا الحالتين و ليس العوام و إن كان العوام يشاركون الخواص في ذلك بقدرهم ، هو أن الشرقي يبدأ بالذكر ، و لكن الغربي يبدأ بالفكر . هل علمت الآن أحد أكبر أسباب إن لم يكن أكبر أسباب عيش العالم في سقر و

محق حقيقه البشر . فإن المفكر حين يكون هو أعلى سلطه و ليس الذاكر ، تكون النتيجه أن تغيب الألباب و تعلوا القشور ، و يؤول أمر معيشه الناس إلى سقر التي لا تبقي لهم صفه و امتياز و لا علو و قيمه حقيقيه جوهريه و لا تذر . الفكر قيود تحجب عن مختلف أنواع الفكر و العلوم فضلا عن حجبها عن حقيقه المستوى المطلق الأحدي و المتعالي و الحقائق العاليه للوجود . و لذلك ينشأ " التخصص " بالمعنى الغربي له ، و قد ورثوه أو بعضه من آبائهم الاغريق كما ذكره البعض . فإن الفكر يحجب عن الذكر و عن الفكر الآخر ، لأنه قيد حاصر في موضوع بعينه و تصورات معينه ، و هذا من الطبيعي و لا غبار عليه في حد ذاته ، و لكن حين يكون هو الأساس - و الأساس يؤسس لما يتأسس عليه ! - يحيا الإنسان في ضيق شديد على كافه المستويات و بالضروره . و السر الرئيسي في كون علماء المسلمين دوائر معرفيه و موسوعات في مختلف العلوم ، ليس ما يزعمه أهل الجهل و الحقد من أن العلوم في السابق كانت متداخله و ساذجه و يمكن لأي شخص أن يحيط بها لقله عدد المؤلفات فيها ، هيهات ! فليأتي أحد هؤلاء و نعرض عليه موسوعه الشفاء في الفلسفه لابن سينا فقط لنرى كم يقضي من عمره - و هو " المتحضر العبقري " - فقط لقرائتها و لا أقول عقلها و فهمها فإن هذا أبعد من مدارك أكثر هؤلاء المتعجرفين بلا جوهر يسمح لهم بالتعجرف إن كان يوجد شئ يسمح به أصلا . قال علماءنا من القرون الأولى أن الإحاطه بأي علم واحد مستحيله ، لعمقها و كثره المؤلفات فيها ! هذا و بعض الكتب التي كانت تؤلف للأغبياء و المبتدئين في ذلك الزمان لا يحسن حمله الماجستير بل الدكتوراه مع مرتبه الشرف - و ليس فيها شرف لمن يعرف ما هو الشرف - في زماننا في كثير من الأحيان أن يفكوا ألفاظها و ليس يفهموا أعماقها ، و إن فعلوا في كتاب واحد من هذه الكتب انقضى من عمرهم ما الله به عليم . فأنى لهم أن يزعموا أن أي شخص أو حتى أكثر الأشخاص يمكن لهم أن يحيطوا علما بمختلف العلوم العريقه و الأصيله . كالعاده ، لا يحسن القوم تفسير الأشياء المتعلقه بالحضارات و الجماعات العريقه و الأصيله و التي مجرد وجودها و حقيقته في هذا الزمان فضلا عن تلك الأزمان هو شئ فوق مداركهم و مستويات نظرهم . السبب الرئيسي لهذه الطاقه الجباره و السعه النفسيه و العقليه و الوضوح - و الوضوح كلمه مهمه حتى في باب المقارنه بين الشرق و الغرب - الوضوح الشديد و الفصاحه في الغالب من الأحيان حتى مع صعوبه المضمون من حيث المعاني إلا أن الكتب و التعاليم واضحه المباني و بليغه و مرتبه ترتيبا أحيانا يصل إلى حد يشبه الإعجاز أو يتعلق بأذياله ، هذا السر يكمن في أن المسلمين يبدأون من فوق ، من الذكر ، من العلي العظيم لا إله إلا هو ، و هو حاضر في قلوبهم ليل نهار ، في بدايه كل عمل و نهايته ، في حياتهم كلها ، في زينتهم و في لهوهم ، في أشعارهم الماجنه أحيانا كما في قصائدهم الأخرى ، باختصار ، وعيهم قائم و يقوم و متقوم بالمطلق الواحد المتعالي جل و علا . و لهذا لا يحدهم الفكر ، الفكر من حيث هو ، و بالتالي لا يحدهم فكر بعينه دون فكر آخر ، بل قلوبهم تواقه لمختلف أنواع الفكر و إن حال بينهم و بينها شئ فغالبا يكون سبب خارجي أو رغبه في الإهتمام بما هو أولى ، إذ مفهوم الأولويه أيضا من المفاهيم المهمه جدا و التي بعقلها و عدم إغفالها يمكن إدراك كثير من تفاصيل حياه المسلمين ، و الشرقيين أيضا على العموم ، سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل إن شاء الله . فالنتيجه من هذه الفقره

هي التالي : ابدأ بذكر الله ، و ليكن ذكر الله في وسطك .، و ليكن ذكر الله في آخر أعمالك . هذا سر سعتك المطلقه للسعي اللانهائي في طريق تحصيل المعرفه و تكميل العلوم ، " و كان فضل الله عليك عظيما " بتجلي الله العلي العظيم عليه أمكنه أن يقبل هذا الفضل العظيم منه . بالعظمه من فوق ، تنشأ العظيمه من تحت . " و إنك لعلى خلق عظيم " . و بالحجاره من فوق يصبح الناس قرناء حجاره جهنم الضيق و السفاله بمختلف صورها . " أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين " "فاعلم أنه لا إله إلا الله و استغفر لذنبك و للمؤمنين " إذ بنور سعه التوحيد ترتفع الحجب عن العباد و العبيد .

و لنذكو في هذا المقام اقتباس من الكتاب الجليل لابن عبد البر - رضوان الله عليه - "جامع بيان العلم و فضله " المتوفي سنه٤٦٣ هـ ، و اقتباس من كتاب " دلائل النبوه " للبيهقي رحمه الله المتوفي سنه ٤٥٨ هـ ، بخصوص قضيه سعه العلم كما يرها علماء المسلمين .

آما كتاب جامع بيان العلم و فضله ، فتجد القضيه معروضه بالروايات - و هو كتاب روايات عن النبلاء الأعلام من سيدهم الأعلى رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم نزولا ُإلى المؤلف ابن عبد البر نفسه - فينقل عن ابن شهاب (العلم أوديه ، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه) ، و عن ابن عباس قال (العلم أكثر من أن يحصى ، فخذوا من كل شئ أحسنه) ، و شعر عن ابن أغنس (ما أكثر العلم و ما أوسعه ، من ذا الذي يقدر أن يجمعه / إن كنت لابد له طالبا ، محاولا فالتمس أنفعه) . و عن المسيح عليه السلام أنه قيل له : إلى متى يحسن التعلم ؟ قال (ما حسنت الحياه) و عن ابن المبارك مثله فقال (حتى الممات إن شاء الله) ، و عن أبي عمرو بان العلاء مثله فقال (ما دام تحسن به الحياه) ، و قولهم عن المسيح مأخوذ استنباطا من قول المسيح " و أوصاني بالصلوه و الزكوه ما دمت حيا " و صيغ الاستنباط في قالب قصه أو موقف ، و لعل شهود الرواي الأصلي للموقف عن المسيح قد سمع كلمه ابن العلاء و شهد تجلي قول المسيح القرءاني فيه فنسبها إلى الأصل الأعلى الذي ما العالم المسلم إلا تجلي من تجلياته .

أما كتاب دلائل النبوه ، فيذكر الكاتب رحمه الله في مقدمه الكتاب هذه الفقره المهمه ، يقول (و من وقف على ما أخذه العلماء من القرءآن على إيجازه من أنوا ع العلوم و استنبطوه من معانيه و كتبوه و دونوه في كتب لعلها تزيد على **ألف مجلده** ، عَلِمَ أن كلام البشر لا يفيد ما أفاده القرءآن ، و علم أنه كلام رب العزه ، فهذا بيّن واضح لمن هدي إلى صراط مستقيم) أقول : و قليل ما هم . ثم تأمل أنه في القرن الخامس الهجري ، كان يوجد فقط في العلوم المستنبطه من القرءان فعليا نحو ألف مجلده ، و حتى تكون في الصوره بخصوص معنى " مجلده " ، فإن الشيخ الرئيس ابن سينا - رضوان الله عليه - مثلا قد ألّف موسوعته الفلسفيه " الشفاء " التي جمع فيها كل أجزاء الفلسفه في " ثمان عشره مجلده " ، و ألف موسوعته الطبيه " القانون " التي هي أعظم و أشهر كتاب طبي تم تآليفه في ذلك الزمان و ظل كذلك حتى في الغرب إلى زمن الحداثه تقريبا في " أربعه عشر مجلده " . و ابن سينا توفي سنه ٤٢٧ هـ أي في نفس قرن ابن عبد البر و البيهقي ، و إن كان حجم المجلده قد يختلف إلى

حد ما ، قد ، و لكن مقارنه موسوعات من قبيل " الشفاء " و " القانون " و مجموعهما ٢٢ مجلده ، مع ١٠٠٠ مجلده فقط من علوم القرءان ، ينبغي أن يجعل العين تحتار قليلا . علما أن الشفاء جامع للعقليه الفلسفيه من يوم نشأت تاريخيا بالأخص عند اليونان و انتهاءا بقرن ابن سينا ، و القانون كذلك في الطب ، مع الزيادات و الترتيب و التحقيقات طبعا المختصه بابن سينا ، ثم يأتي رجل من صحراء جزيره العرب بكتاب يتم استنباط " علوم " منه يبلغ تدوينها نحو ٥٠٠ ضعف ! ذلك ، لا نقول الكتب المدونه في تفاصيل هذه العلوم و شروحها و أنواعها و ألوانها فإذن ذلك فوق الحصر ، و لكن فقط العلوم المستنبطه منها تبلغ في ألف مجلده ، يقول أحد العلويين من أهل المغرب في من الأسلاف أنه قرأ ٦٠٠ تفسير للقرءآن ، علما أن تفسير الفخر الرازي مثلا و هو أحد هذه التفاسير حتما يبلغ من المجلدات و الأوراق و الأسطر ما يجعل شهاده الماجستير و الدكتوراه في أفضل جامعات العالم الحديث تبدو و كأنها تسليه للأطفال و لعبهم بالطين . هذا فقط فيما يتعلق بالقرءان !! و أما علم الحديث فيوجد نحو ٦٠ ألف حديث ، لا أقول علوم الحديث و مصنفاتها ، بل فقط الأحاديث ، يعني مثلا حين نقوم نحن بكتابه تعليقات مختصره على حديث من سطر واحد فتبلغ ثلاثين صفحه ، و نحن أقل من حبه رمل بالنسبه لعلماء المسلمين الكبار ، فإنك تستطيع أن تتصور معنى استنباط المعارف و الأفكار على مختلف الأصعده من ٦٠ ألف حديث بعضها يبلغ صفحات و ليس سطرا واحدا . ثم إذا نظرنا في علم الشعر ، سنجد أنه يوجد ما يصل إلى عشرات الآلاف من القصائد ، و غيد ذلك في شتى النواحي المختلفه للمعارف و العلوم .
و ينبغي هنا التذكير بنقطتين لهما أهميه كبرى . الأولى أن ما عددناه قبل قليل هو تعداد من الناحيه الكمّيه و ليس الكيفيه . بمعنى أنه قد يوجد حداثي ما يؤلف قصيده شعريه - أو ما يعتبره شعرا " حرا " أو أي شئ آخر من هذا القبيل - و الفرزدق رحمه الله ألّف قصيده شعريه. فحين ننظر من الناحيه الكمّيه يوجد تساوي بينهما . و هذا عين الاختزال و التساخف. فإن قصيده الفرزدق من الناحيه الكيفيه تساوي ألف قصيده لحداثي . فعندما نقول أن عالما ما ألّف كتابا أو " مجلده " فهذا ليس من قبيل تأليف عموم أهل هذا الزمان الذين تشابه كتبهم ما تنتجه مصانعهم ، مجرد مواد ميته للاستهلاك السريع و السطحي . كما قال أحد العقلاء من المعاصرين " الكاتب الحداثي يؤلف كتابا يمكن تلخيصه في عباره ، الكاتب التقليدي يؤلف عباره يمكن شرحها في كتاب " . فلا تخدعنك الكمّيات ، و تأمل في الكيفيات . فإذا اجتمعا فالله أكبر ! و الثانيه هي الفاعليه و القابليه للتوليد . فالكتب التقليديه ، و كل كاتب عريق الروح و عميق العقل في كل القرون ، من قبيل مولانا عبد الواحد رينيه غينون - رضوان الله عليه- في القرن العشرين ، لها قابليه عظيمه على توليد المعاني و الكتب الأخرى و لها فاعليه عظميه في نفس الإنسان و التأثير في وجوده ككل ، بينما الكتب الحداثيه يغلب عليها الطابع الذهني أو السطحي الميت حتى لو كانت تتناول موضوعا مهما و يفترض أن يؤثر في الوجود و النفس . فكتاب مثل فصوص الحكم أو الحكم العطائيه أو المثنوي أثروا في الناس تأثيرا قد لا تجده حتى لما يسمى " الكتب المقدسه " أحيانا . ففرق كبير بين هذا و ذاك . فإذن ضع هذه الاعتبارات في نظرك إن عقدت مقارنه من قبيل ما ذكرناه .

قد يقال : إن المقصود من ضآله العلوم إنما هو ما تعلق بعلم الطبيعه خصوصا ، و ليس العلوم الإنسانيه و الفنيه و الروحيه و نحو ذلك . فنقول : إن الذي يملك الأعلى يملك الأدنى ، و الذي يقدر أن يتوسع و يتبحر في العلوم العاليه يستطيع أن يفعل ذلك في العلوم الدانيه . فكون القوم - حسب الفرض الغربي - لم يتبحروا في علوم الطبيعه كتبحرهم في سائر العلوم و الفنون ، لا يعني أن فيهم أي قصور و لا يعني أن في المحدثين أي علو عليهم ، هذا أقل ما يقال و هو الفقره الأولى . الفقره الثانيه أن علوم الطبيعه في السابق كان الغالب عليها أنها "سريه" بمعنى أن علومها لا تُعطى لكل أحد كيفما اتفق أو تنشر نشرا ميسرا للجميع . و ذلك لأمرين : لأنها ثانويه بالنسبه للإنسان التقليدي - في كل زمان و مكان - أي الإنسان الذي يحيا بمحوريه القلب و المعرفه الإلهيه و العلوم النافعه بنحو مباشر لحياته الخاصه ، أي الإنسان الذي عنده أولويات ، و هذا حال معظم الناس . و لأنها خطيره ، و ذلك لأن سوء استعمالها قد يؤدي إلى فساد البر و البحر ، و أظن أن التجربه الغربيه هي دليل ما بعده دليل ، و برهان ما فوقه برهان على هذا الفساد ، و حين يكون " العلم قوه ، و العلم للجميع " كما هو شعارهم - حسب تعاريفهم لهذه الأمور طبعا . الغربي الثري حين يريد أن يأخذ إجازه يذهب إلى جزيره نائيه " طبيعيه " أي يذهب إلى " المتخلفين " و يحيى الحياه " البسيطه " ! فما يعتبره نخبه الغرب إجازه و مصيف هو الحاله الطبيعيه لمن يبغضونهم و يترفعون عليهم ! فظاهر من هو الراقي و من هو السافل حين تنظر للأمر من هذه الناحيه . و من ناحيه أخرى ، فإن الأشياء الغاليه التي يملكها النخبه الثريه بصوره شبه حصريه هي الأشياء المصنوعه "يدويا" فيقولون : انظر إلى هذه التحفه ، لقد صنعها فلان الفنان بيده ، و انظر إلى هذه السجاده الإيرانيه الكاشانيه ، لقد نسجها الإيراني خيطا خيطا بيده المجرده ، و ذوق الطعام الفلاني فإنه ليس طعاما معلبا من السبرماركت و لكنه مطبوخ خصيصا لنا و كل شئ فيه عمله الطباخ بيده . تأمل هذا المثال جيدا . و تأمل أن الحاله العامه في الحياه " المتخلفه " هو أن كل الناس يملكون الأشياء المصنوعه يديويا ، و أي إيراني عنده سجاده إيرانيه مصنوعه يدويا على اختلاف في طبقاتهم بالطبع ، و أي طعام يأكله أي أحد لم يتم صنعه بآله حديده و مواد صناعيه تم العبث بمكوناتها بيد شياطين الإنس و إنما بيد طباخ من بني آدم قام بالتقطيع و الترتيب و الطبخ بيده . فنتيجه جعل علوم الطبيعه بيد الجميع هو فساد البيئه من جهه ، و فساد المواد التي يحيا بها الناس و فساد الذوق فيها من جهه ثانيه و تصبح الأقليه فقط هي الي يمكن أن تحيا في مناطق صالحه البيئه إلى حد ما ، و يملكون أشياء جميله و ذات ذوق ، بينما أغلبيه الناس يعيشون في قبح على قبح ، و انعدام الذوق أو شبه انعدامه ، و يصلوا إلى حد لا يمكن حتى إطلاق اسم " السوقه " عليهم ، و أي عاقل مبصر له حس يمكن أن يشبه جمال البازار أو السوق التقليدي بهذا " المول " الحداثي القبيح . فكتب علم الطبيعه و التصرف فيها كانت موجوده منذ آلاف السنين ، و لا أظن أن الأهرامات قد بنيت بجهل ، و من اللطيف في قضيه الأهرامات أن القوم - على نسق أهل الجاهليه في تعصبهم لعقائدهم بغير حق - حين لم يجدوا عذرا في كيفيه وجود العلوم التي مكنت من بناء شئ كالأهرام قال بعضهم "إنما بناه الكائنات الفضائيه

" ! هذه نكته القرن . و أهل الغرب ورثووها من أهل الصلب الذي كانوا يرون أحد أكبر أدله حقانيه دينهم أنهم " انتصروا " على الأرض و السياده كانت لهم في فتره ما ، و جعلوا انتصارهم في المعارك و تأسيسهم لدول أو احتلالهم لأوروبا و إباده أهلها أو جعلهم مثلهم في الديانه ، كل هذا " دليل " على أن الرب الحق معهم ، فلما أذن الله بخروج الإسلام من عندنا نحن العرب و بلغنا ما لم تبلغه أمه معروفه في التاريخ بكل المقاييس ، و إذا وضعت كل المعايير الحكم على الدول و الأمم ، كل المعايير ، ثم جعلت لكل معاير مقياسا كمّيا - نقول ذلك تيسيرا و تقريبا - من ١ إلى ١٠ ، ثم نظرت إلى كل الأمم بهذه المعايير و قستها ثم نظرت في النتائج النهائيه ، فإنه يستحيل أن تجد أمه من الأمم لا أقول مساويه للأمه الإسلاميه بل و لا مقاربه لها في النتيجه ، فما الذي قاله أهل الصلب حين شاهدوا هذه الانتصارات على كافه المستويات ، حين شاهدوا هذه " الأهرامات الإسلاميه " ...
قالوا : الشيطان أعانهم لأن رسولهم هو المشيح الدجال الذي سيحكم العالم ! لا بأس ، أهل الغرب يحيلون على الكائنات الفضائيه ، و أهل الصلب يحيلون على الشياطين و العفاريت . و الكلام تفصيلا على قضيه العلم الطبيعي الغربي و المنهج الحداثي قد خصصنا له كتابا هو (نقد المنهج العلمي الحداثي) .

إن الهنود عاشوا في جنه أمريكا الشماليه و الجنوبه لآلاف السنين ، مسالمين للطبيعه ، و إن كنا سننظر للأمر بمعيار القيمه الكبرى للحياه حسب الرؤيه الغربيه أي " البقاء " و " التناسل - أو نقل الجينات الفرديه كما يقول البعض " فإن هؤلاء الهنود قد بقوا لعشرات الآلاف من السنين ، تناسلوا و " نقلوا جيناتهم " ، و الهنود في بلاد الهند أيضا بقوا و تناسلوا ، و كل ذلك في عمق جمال الطبيعه و العمران المسالم لها ، و كذلك نجد في بعض بلاد المسلمين كنيشابور التي كان فيها نحو مليون ساكن ، و غير ذلك من بقاع العالم الباقيه إلى اليوم ، كل هؤلاء بقوا و عمروا الأرض بسلام و بعباره القرءآن " يمشون على الأرض هونا " و ليس بالدبابات و المدراعات و الآسفلت و الزفت - زفّت الله قلوبهم - و خنق الأرض بالناطحات القبيحه ، و غير ذلك من دمار ، فاعتبار أن الحياه التقليديه " تخلف " و هذه الحياه الحداثيه "تقدم" ، و اعتبار العلوم التي مكنت الناس من الحياه في كل مكان لألوف من السنين و في ذلك السلام مع العالم و العمران المتناغم معه و الحس بالمقدس ، مع وجود المصائب و المشاكل التي لا تفارق أي عالم بالطبع فالأمر ليس "الخير كله في جهه و الشر كله في جهه " ، و لكن "قاعده خير فيها شر ضروري ، و قاعده شر فيها خير بالضروره " كما أشار لهذا المعنى الشيخ عيسى فريثجوف شوون - رضوان الله عليه - فإن اعتبار هذه العلوم قاصره ، و اعتبار العلوم التي معظم ما فيها إما دمار للبيئه أو سلب القوى من الإنسان بجعل عملياتها مفوضه لالكترونيات حصرا أو غير ذلك من شرور يعترف بها عقلاء الغرب قبل عقلاء الشرق ، هو من الشطط الغير مقبول ، بل الاحتجاج الغير مؤدب فضلا عن الذي يدل على صلب ما نشير إليه من مدى انحدار قلوب القوم في هاويه لا مخرج منها إلا أن يشاء الله شيئا .
فمما لاشك فيه أن الاهتمام بالطبيعه كمحور و أولويه هو أمر تفرد فيه الغرب . و من المتوقع و الحاصل أن كل من اتخذ محورا يفرغ فيه كل جهده و همّه سينال فيه ما لم ينله غيره . "لكل مجتهد

نصيب" بقدر اجتهاده ، و توفيق الحق له و إرادته أمر مفروغ منه . الطبيعه في تعريف بعض أهل العلم هي " الجسم بما هو متغير " . و هنا يوجد السبب الرئيسي لقله اهتمام أهل الشرق - المعرفي - في كل التقاليد بالطبيعه بالقدر الذي يهتم به أهل الغرب - المعرفي و الجغرافي . و ذلك لأن مرتبه " الجسم " هي أدنى المراتب في رؤيتهم للوجود ، و هذا ليس سب و لا احتقار للجسم و لكنه واقع و الهندوس الذين يجعل بعضهم الجماع من الشعائر المقدسه - كما هو في مقدس عند أهل المعرفه من المسلمين و النبي قرنه بالطيب و الصلاه و كان يحب النساء عليه السلام بكل مستويات الحب - لم تحل مرتبه الجسم المتدنيه بالنسبه للنفس أو الروح أو الحق سبحانه من كونه مظهرا من مظاهر الحق تعالى كما هو الواقع فعلا عرفه من عرفه و جهله من عمي عنه . و لكن كونه في أدنى المراتب يقتضي أن له أدنى الاهتمامات ، فالحال فيهم هو العكس من حال الغرب مع شؤون الروح و القلب و العقل الأعلى و الحق سبحانه و تعالى و النفس ، فهم لأنهم يرون الأولويه المطلقه أو المقيده للجسم و الطبيعه كانت النتيجه التلقائيه هي تهميش أو رفض ما سوى ذلك . ثم لأن " التغيّر " دون الثوابت و المطلقات و المبادئ العاليه . و لا يُقال عن شئ أنه " علم " عند أهل التقليد إلا ما كان ثابتا أو قريبا من الثبات و مستواه ، و لهذا السبب قال ابن سينا مثلا أن الطب ليس من العلوم ، إذ هو من الأمور الظاهريه في الطبيعه و التي يزداد العلم بها بالممارسه و التجربه و التنميه ، فلها قيمتها و لكن دون قيمه الثوابت . ثم إن الطبيعه تبع للأمور الجوهريه و ليست مستقله و غايه في ذاتها كما هي عند الغرب ، و لذلك تجد الحال في كل الحضارات و المجتمعات ، و الأفراد اليوم على الأغلب الذي يحيون الحياه التقليديه العريقه العاليه ، أن الأمور الطبيعيه عندهم فيها حس المقدس و جمال و بساطه ، و هم يستعملون الطبيعه " كزوجه لها قيمتها و لها حقوقها " كما يقول سيد حسين نصر - بارك الله في عمره و جهده - بينما الغرب يستغل الطبيعه "كعاهره للمتعه الشخصيه المحضه بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى " . فلا يوجد "تقدم و تخلف" في هذه الأمور ، و لكن يوجد "أسلوب و أسلوب " قائم على " رؤيه و رؤيه مغايره " . إذ من سيحكم بين هندي أمريكي و أوروبي محتل في كون الأول يرى الحياه في الأرض بطريقه معينه مسالمه و الآخر يرى أن يحولها إلى مصنع و يملأ الهواء بالدخان السام و الماء بالمخلفات و الطعام بالكيماويات و الملابس بالضيق و المعموره بالحديد و الأرض بالزفت ؟ كل ما يمكن للهندي أن يقوم به هو أن ينظر إلى هذا الأوروبي و يقول له " أنت غير مؤدب مع الطبيعه " ، و الثاني يقول له " أنت غجري عابد للطبيعه و غبي لا تعرف استغلالها " . و لعل الحكم النهائي سيكون حين تتم إباده هذا الأوروبي المتعجرف ، الصبي الذي لم يعقل بعد ، بنفس هذه " التطورات " التي هو فرح جدا بها . " حتى إذا أخذت الأرض زخرفها و ازيّنت و ظن أهلها أنها قادرون عليها ، أتاها أمرنا ليلا أو نهارا ، فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكرون " المصيبه كل المصيبه في هذه الفقره الأخره من العمليه الثلاثيه ، أي فقره " و ظن أهلها أنهم قادرون عليها " ، فإن هذا ليس من "سخر لكم ما في الأرض جميعا " في شئ ، كما يظن أهل النفاق من المتأسلمين . إن الأرض مسخره للإنسان كخليفه الله إذ هو عبد الله ، فالإنسان فقير و سيد ، عبد و ملك ، حين يكون فقير إلى الله و عبد لله ، فإن الله يجعله خليفه و ملك في الأرض ،

و لكن حين يصبح بحكم " ليطغى أن رآه استغنى" فإن الأرض بل العالم كله يصبح عدو لهذا الإنسان ، و كما أن الحوت في البحر يستغفر للخليفه ، فإن الحوت في البحر يلعن الطاغيه . كل خليفه شرقي ، و كل طاغيه غربي . فانظر أين أنت حتى تعلم موقعك " الجغرافي " بالمعنى الرمزي . فالله تعالى " سخر " ما في السموات و الأرض للإنسان كخليفه له ، و حين يكون عبدا له . أما الغرب الحداثي فإنه لا هو عبد فليس هو بالضروره خليفه لله ، بل إن هذه الكلمات لا معنى لها عنده و هي في حكم العدم بل لعله يراها - كالعاده في تعامله في الأمور السنيه - " مؤامره سياسيه و كهنوتيه " ...الخ هذه التفسيرات المبتذله الساقطه التي تشبه اتهام فرعون و هامانو قارون لموسى و هارون أنهم إنما يريدون الكبرياء في الأرض بدعوتهم . و على ذلك ، يكون الغرب - معرفيا و جغرافيا و كل من يواليه بعمل أعماله التي تحرّف و تشوه بل و تحرق القرءان التكويني بممارساتها الفكريه و اليدويه - قد خرجوا عن سلك العبوديه و مُحي اسمهم من ديوان الخلافه . و لذلك ينسلكون في سلك " و ظن أهلها أنهم قادرون عليها " أي باستقلال عن الله تعالى و عن الصله بالعوالم العلويه و اتباع الشرائع الربانيه النبويه المولويه ، فهم " أحرار " ليفعلوا في أموالهم ما يريدون، و في أنفسهم ما يشاؤون ، طبعا ليس من الغريب أن إرادتهم و مشيئتهم تتجه دائما أو غالبا للأمور الساقطه التافهه و لا يسألون أنفسهم لماذا لا يتوجهون و لو بنحو الصدفه و من باب " حريه الاكتشاف " لأمور علويه و متعاليه ، و إنما مثلهم كمثل الكلب المربوط بسلسله حديديه إلى شجره ، و لأنه يجد أنه يستطيع أن يقفز و يتحرك في دائره معينه يستنبط بذهنه الخلاب أنه كلب حر ، أو كالقرد في المعامل البيولوجيه الذي يوفرون له بيئه تشبه الغابه ، فيقول عن نفسه أنه حر لأنه يجد أنه يملك أن يقفز من شجره إلى شجره أو ينام تحت أي شجره يشاء. فالحاصل أن هؤلاء الأحرار ، الذين يظنون أنهم يقدرون على الأرض و فرحوا بما عندهم من العلم ، لن يعجزوا الحق و لن تتخلف عنهم السنن الإلهيه الحاكمه بأنه سيأتيها ما يجعلها "حصيدا كأن لم تغن بالأمس " .

و من اللطيف في هذا المقام أن ننظر في كلمه " حصيدا " في ضوء سياق الآيات و ما ذكرناه في أحد تنزيلاتها . كما هو معلوم في دراسه المعجم العربي ، فإنه يوجد علاقات بين معاني الكلمات الصادره من ماده واحده . فإذا نظرنا إلى ماده " حصد " سنرى المعاني التاليه تأتي من مختلف صورها ، و الاقتباس من القاموس المحيط لمولانا الفيروزآبادي - رضوان الله عليه .

كتب المضمون التالي : حصد الزرع و النبات أي قطعه بالمنجل ، الحصاد أي أوانه وَ نبت يُخبط للغنم وَ الزرع المحصود ، أحصد أي حان أن يُحصد ، استحصد أي فتله ، الحصيده أي أسافل الزرع التي لا يتمكن منها المنجل وَ المزرعه ، المُحصد أي ما جفّ و هو قائم ، الحصَد أي نبات وَ ما جفّ من النبات وَ اشتداد الفتل وَ استحكام الصناعه في الأوتار و الحبال و الدروع ، درع حصداء أي ضيّقه الحَلَقِ وَ مُحكمه ، شجره حصداء أي كثيره الأوراق ، حَصَدَ أي مات ، استحصد أي غَضِبَ ، استحصد القوم أي اجتمعوا وَ تضافروا ، استحصد الحبل أي استحكم ، مِحْصَد أي مِنجَل ، مُحصد الرأي أي سديده .

نقول أحد أهم المعاني العقليه ، إذ لا يوجد "عدد" معين من المعاني الحقيقيه ، هو التالي :
{ حصد الزرع و النبات أي قطعه بالمنجل } فإن مدار هذه الكلمه هو كما في الآيه المباركه يدور على الأرض أو " الطبيعه " كما يقال اتفاقا ، و نستعمل المتفق عليه هنا حتى لا تنصرف الأذهان عن المعاني المقصوده . و لذلك تجد الرمز الأبرز للطبيعه و هو الزرع و النبات هو محور الحديث في معنى ماده "حصد" التي هي جذر "حصيدا " . العالم الذي يحيا فيه الناس في بواطنهم أو ظواهرم يضرب به المثل بالشجره . و الآيه تقول أن عالم الذين يظنون أنهم "قادرون" على الطبيعه سيتم حصده أي { قطعه بالمنجل } و المنجل اداه حاده ، و القطع عمليه قويه عنيفه . فالكلام هنا عن الطريقه التي ستتم بها إزاله هذا العالم الغربي من هذا العالم ، سيكون بآداه حاده و بقوه و عنف . و المنجل يشتمل على معاني ظهور حقيقه الشئ، و تبديد الظلام و الانكشاف و كثره التوليد و فيه معنى من " أبو منجل " و هو طائر مهاجر و هو حيوان قدسه أهل مصر و هو يمثل لديهم إله الحكمه و معلم الكتاب و الحساب و يصور رأسه بصوره أبو منجل . و القطع للغرب سيكون أيضا بوسيله العلماء الذين يهاجرون من الشرق إليهم و سيقطعون أصول شجرتهم بالأفكار و الكتب و الكلمات و الأعمال التي تبدد ظلماتهم و مكرهم . كمثل نوح ، فإن قومه قد حصل فيهم القطع الظاهري بالطوفان و القطع الباطني بالإيمان بنوح و الركوب معه في السفينه ، فمن الناس من تم قطعه بالمنجل ظاهريا و هم الذين غرقوا ، و منهم من تم قطعه بالمنجل باطنيا و هم الذين عرفوا و ءامنوا .
{ الحصاد أي أوانه وَ نبت يُخبط للغنم وَ الزرع المحصود } أما { أوانه } فهو من حيث الوقت ، و التوقيت عند الله تعالى و من علمه الله بالآيات ، فإن نوح جعل الله له آيه التنور ليعلم وقت وقوع الطوفان ، و أولياء الله في هذا الزمان سيتم إعلامهم بآيات من لدن الله لتوقيت و موقع و كيفيه النجاه حين يقع الأمر على أهالي السوء إن شاء الله . و أما {نبت يُخبط للغنم } فهذا هو حال الأفكار و القيم و الأعمال التي يقوم بها الغرب و من شايعهم بوعي أو بدون وعي ، فإن شعوبهم مجموعه من " الغنم " الذين يعيشون بتخبط و الأمور التي يقدمونها إليهم هي في الواقع { نبت يُخبط للغنم } و لا نعرف وصفا أدق من هذا له ، و هذا ليس كلامنا نحن فقط و لكن كلام عقلاء أهل الغرب أولا - و لا تخلو أمه من خير - ممن يلاحظون الأطروحات السياسيه و الاقتصاديه و العلميه و التعليميه و الصناعيه التي يقوم بها القوم . و حسبك لتنظر إلى هذا النبت الذي يُخبط لهؤلاء الغنم أن تنظر في المناهج التعليميه و الدراسيه و الإعلاميه لهم ، و تستطيع أن تقرأ كتب الأستاذ جون تايلور غاتتو في ذلك لترى بعض ما نقصده . و هكذا هو حال كل أمه قبل أن يأتي أجلها ، تتحول إلى مجموعه من الغنم التأتي تأكل ما يُخبط لها خبط عشواء من نبات فكري و شعوري و بدني و عملي و في كل مجال . ألم يقل الحق " أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا " و يقول " فذرهم يأكلوا و يتمتعوا و يلههم الأمل فسوف يعلمون " و قال " يأكلون و يتمتعون كما تأكل الأنعام و النار مثوى لهم " فالخلاصه من هذه الآيات المباركه أن الذين لا يسمعون للوحي و لا يعقلونه ، هم كالأنعام و ستجد أن الثالوث المدنس للغرب - و هو وراثه صوريه لثالوث أهل الصلب - يتمثل في الأكل و التمتع و اللهو بالأمل . هي يوجد وصف أدق لحاله معظم إن لم يكن كل من يقبل الأطروحات الغربيه و

يحياها إلا أنه يدور حول الأكل و التمتع و اللهو بالأمل ، و لا يكاد يعقل مما وراء ذلك شيئًا . و هذا كله من نتيجه النبات الذي خُبط لهم على مر نحو ثلاثمائه سنه ، و كذلك الحال في كثير من أهل الشرق ممن بدأ هذا الفساد يستشري فيهم منذ نحو مائتين سنه. فحين تجد حاله انتشار ل { نبت يُخبط للغنم } فاعلم أن { أوان } الحصاد قد اقترب ، و سيكونوا هم { الزرع المحصود } حتما إن شاء الله .

{ أحصد أي حان أن يُحصد } هنا النظر إلى حاله الزرع نفسه ، ف { أحصد } تشير إلى الحاله الذاتيه للزرع ، و ليس إلى وقت الحصاد كما في { الحصاد } فإن النظر إلى توقيت حدوث الشئ ليس كالنظر في ذات الشئ . و النظر في ذات الشئ دال للعالم بالسنن على ما سيحصل له بعد ذلك . فمراقبه الشجره و أحوالها الذاتيه و الخط الذي تسير فيه سيكشف عن مدى بلوغها للحاله التي تقتضي الحصاد ، و كذلك مراقبه أنماط التفكير و الشعور و الأهداف و الآمال و صوره المجتمعات و الطبيعه تدلك على مدى قربها و بعدها من إتيان أمر الحق لها بالدمار . كالطبيب الذي يراقب حاله المريض فيستدل من هذه المراقبه على حاله و مدى قربه و بعده عن الموت ، مع بقاء نفس وقوع الموت في علم الله تعالى و كشفه الخاص لمن شاء عن ذلك . فالعلاقه بين { أحصد } في ذاته ، و بين { حان أن يُحصد } من قِبل حمله المنجل ، علاقه قويه و فيها سببيه . كالعالِم الذي ينتظر المريد ليبلغ حاله معينه ليلقي عليه علم جديد له ، أو الأم التي تنظر إلى ابنها المستهتر فتتركه يعمل ما يشاء حتى إذا بلغ مدى معين نهته عن الاستمرار على تلك الحاله و قطعته عنها . فينبغي لعلماء المسلمين أن يتنبهوا لهذا الأمر ، و يلاحظوا الحاله العامه للغرب و البلدان التابعه له حتى يعلموا ما عليهم أن يفعلوه و ما عليهم أن يلقوه عليهم من علم و فكر حسب حالتهم بتوفيق الله و ليستمدوا المدد منه في ذلك ، و ليحذروا من الميل إلى أذهانهم القاصره و دوافعهم الهاويه فتهلكهم و تهلك من يدعونه لأمرهم . و الله ولي التوفيق .

{ الحَصْدُ أي الفَتَلُ } الفتل ما يكون مدورا من ورق الشجر غير منبسط هذا كاسم ، و كفعل هو عمليه التدوير بسرعه و أن تلويه و تبرمه و تغزله . و هو عباره عن الفكر الذي يختزل الوجود و الطبيعه فيلويها عن طبيعتها الواسعه المنبسطه ، فيجعلها تنقبض على نفسها - في ذهنه و في عمله بالتبع - فتصغر و تنكمش . فهذا التدوير . أما السرعه فالتدوير و الاختزال و الانكماش المذكور سيتسارع مع الوقت ، حيث يزداد الانحدار و الضيق في المفاهيم ، و أكبر تضييق و فتل ينبع من النظره الكمّيه للطبيعه و الأنانيه الشخصيه السفليه و نظريات المؤامره السياسيه و التجاريه التي تجعل الإنسان يفقد الثقه في كل شئ بلا تمييز بحجه أنه لابد و أن يكن نتيجه مؤامره شيطانيه سياسيه تجاريه حتى حين لا يكون الأمر كذلك . و { الفتل } أيضا هو نفس عمليه { الحصد } فإن الحصد سيكون بجعل الغرب و فلسفته و قيمه تنكمش على نفسها بعد الانبساط في العالم و هذا ما يحدث الآن ، فإنهم كانوا في السابق قد انبسطوا في الأرض و خرجوا من أوروبا و أمريكا ليغزوا العالم و ينشروا مزابلهم في كل مكان ، ثم بدأ الإنكماش من نحو خمسين أو ستين سنه ، و الآن هم في انكماش مستمر على أنفسهم و كل دوله عندها من المشاكل ما يشغلها بنفسها إلى حد ما مع استمرار

التدخلات الخارجيه طبعا و لكنها أقل من السابق بكثير جدا ، بل تجد في نفس بلدان الغرب كل فئه من الناس - بسبب المساواه و حقوقها عندهم - يحاولون أن يثبتوا وجودهم الخاص و أن يتم الاعتراف لهم بكل قيمهم و اختلافهم ، و بدأت تخرج الفلسفات و الأفكار و المشاعر المناهضه و المقاومه لأصل الفكره الحداثيه إلى حد ما ، و إن كان هذا كله لا يزال ضعيفا و في أوله ، و لكن الفتل مستمر إن شاء الله ، حتى يأتي الحصد الكامل و هو بأن تقع " كأن لم تغن بالأمس " .
{ الحصيده أي أسافل الزرع التي لا يتمكن منها المنجل وَ المزرعه } أما { أسافل الزرع التي لا يتمكن منها المنجل } فهؤلاء هم الذين سينجيهم الله تعالى حين يأتي الحصد ، و هؤلاء سيكونوا في مجتمعاتهم في الطبقه السفلى و المضطهده و المنبوذه و المكروهه المعرضه للسخريه ليل نهار من قِبل كل من يريد أن يسخر منهم و يستهزئ بهم ، أي كالمسلمين في أمريكا اليوم إلى حد ما . و من المتوقع أن تكون أبعد الطوائف عن الرؤيه السائده في زمن الحصد و عن ممارساتهم و قيمهم و اعتباراتهم هم { أسافل الزرع } و تكون النجوميه و العلو و الأبهه و الجاه لمن هم في أعالي الزرع . و كلما اقترب الإنسان من العلو في سلّم مثل ذلك الزمان كلما كان أقرب للسقوط حين يأتي المنجل ، و العكس صحيح إن شاء الله . فكل من يريد أن يبرز و يحرف الدين حتى يجد قبولا و شعبيه في الغرب الحداثي و من يوافقهم على طفوليتهم من أهل الشرق ، و كل من يريد أن " يتعايش " كما يقول ، و إنما يريد أن يتوافق معهم و لكنه يتمظهر بالإسلام لأنه يعلم أنه لولا الإسلام لما نظر أحد في وجهه و فكره التافه ، فهؤلاء الحكواتيه و أرباع المفكرين من الذين يظهرون بعض الكلمات الإسلاميه من عشاق الغرب أو التشبه به في فكره و رؤيته و قيمه يعلمون أنهم في الغرب نفسه لا يساوون شيئا ، و لكنهم يريدون الجماهير و يريدون المنابر و البروز في الشاشات و القنوات ، و يريدون احترام الناس الذين لم يحترموهم إلا لأنهم يمثلون في أعينهم شيوخ المسلمين أو أهل العلم فيهم ، فيدعون إلى " التعايش " و "قبول الاخر" و " الاحترام " و نحو ذلك من كلمات لا هم يفهمونها و لا هم يعملون بمقتضاها و لا يعمل الغرب نفسه بها معهم على المستوى الجدي ، فهؤلاء أيضا من هذا الزرع الخبيث النكد الذي سيجد أثر المنجل عاجلا أم آجلا ، و إن شاء الله عاجلا عن يعي الناس مستواهم في مراتب علماء المسلمين . و أما { المزرعه] فأحد الاعتبارات هو أنه على من هم {أسافل الزرع} بالمعنى الذي ذكرناه ، أن يسعوا إلى ضروريات الحياه بالقدر الكافي و الأساسي لهم و إن استطاع منهم أحد أن يشتري مصادر المعيشه كالمزارع ليعيل نفسه بها و يخلو بها عن الجو العام المسموم ، كما يفعل - و يا للعجب - أهل الطبقه العاليه - على سفلها - في الغرب ممن يسكنون في أماكن شبه منعزله عن عموم الناس و كثير منهم إن لم يكن كلهم عنده مزرعه أو جزيره أو مسكنا في جزيره أو مسكنا على البحر أو شيئا بعيدا عن ضجه المدن الحاشده المميته للقلب . فيا حبذا لو يجتمع جماعات من المسلمين في كل مكان في الأرض ، و يكونوا لأنفسهم مجتمعات صغيره في مختلف بقاع الأرض و الجزر و يشتروها كلها لهم و بحر أموالهم و يلتفوا حول العلماء الذين يعرفونهم و يثقون بهم و يقيموا لأنفسهم حياه بسيطه راقيه كما يفعل بعض - مره أخرى و يا للعجب - من أهل الغرب أنفسهم ممن يفر بنفسه من وسخ المدن إلى مناطق من قبيل تايلاند ليحيا حياه بسيطه في المزارع هناك . و حتى في المدن الكبيره ،

ليقيموا لأنفسهم أحياء معينه يكونوا هم أغلبيه سكانها و لا ينعزلوا كليا عن البقيه فإنها هذا ليس من حال المسلمين في شئ ، و لكن الكلام هو أن يكون لهم مراكز تكون حياتهم الخاصه و قيمهم هي الفاعل الأساسي في تكوينها ، و مره ثالثه و يا للعجب ، كما يفعل أهل الصين في بعض ولايات أمريكا مثلا في ما يعرف بالأحياء الصينيه ، و حسب ما بلغنا أنه يوجد بعض هذه الأحياء ممن لا يتحدث أهلها الانجليزيه أصلا بل يتحدثون بلغتهم الأم فقط بالرغم من أنهم يعيشون هناك منذ عقود كثيره جدا من الزمن ، و يعيشون كما يحبون و بحسب ما يرتاحون إليه من حيث الثقافه و القيم و الترتيب و الزينه و نحو ذلك . فهذه ثلاث أمور للمسلمين أن يعملوها في هذا الزمان ، حتى تكون لهم مراكز خاصه بهم و لا يختلطوا اختلاطا مميتا للقلب و كاسرا للهمه و العقل القرءآني بالآخرين بل يكون لهم استقلالهم العقلي و النفسي و يعيشوا أينما كانوا بروؤس مرفوعه و قلوب كعبتها القرءآن و كساده خلفاء لله في الأرض و يكونوا كما آرادهم الله أن يكونوا ، أي روحا للعالم و ملجأ قوي لا يداهن و لا يماري . الأمر الأول شراء المزارع و مصادر صناعه المعيشه . الأمر الثاني بناء مجتمعات قرءانيه محمديه في شتى بقاع الأرض بسلم و سلميه كليه و يشترونها بأموالهم من أصحابها طوعا و على أثرياء المسلمين و أهل النفوذ فيهم أن يساهموا في ذلك و يتكفلوا به ، فإن هذه مسؤوليتهم الأساسيه في هذا الزمان و أجرهم عند الله و رسوله . الأمر الثالث تشكيل أحياء قرءانيه محمديه داخل المدن الغربيه الأوروبيه و الأمريكيه الشماليه و الجنوبيه و يجعلوها مراكز إشعاع للمعرفه و العلم و يبنونها بناءا حسب الهندسه التي يبني بها أهل الإسلام كما هو الحال في المغرب في فاس أو إيران أو الهند أو الحجاز كما كان من قبل و نحو ذلك ، و يستشيرون من له علم بذلك فيصمموا الأحياء كلها على ذلك و لا يجعلوها على النمط الغربي فينقضوا غزلهم من بعد قوه أنكاثا ، بل يجعلوها مواضع جمال الشرق و الحس المقدس و الفن الرمزي البسيط و المعقول . فإن فعلوا ذلك إن شاء الله ، عاشوا كخلفاء و ماتوا كشهداء .

{ المُحصَدْ أي ما جفّ و هو قائم } هذه هي حاله الطبيعه بالنسبه للغربي ، و هي حال الغربي النفسيه كذلك ، و الدقه تقتضي أن نقول : هي حاله الغربي النفسيه و حاله الطبيعه بالنسبه له، إذ إنما رأى ما في نفسه خارجه . فالطبيعه قائمه بجلالها و جمالها و روحها و حياتها و تسبيحها ، و لكن هي جافه بالنسبه للغربي ، كجفاف نفسه و هو قائم في الصوره . و الجفاف النفسي بدايه علامات وقوع الحصد . و الجفاف من عدم الماء ، و لا تنزل الماء على نفس إنسان يسكن في مقبره أو يحول بينه و بين التواصل مع السماء طبقه من الاسمنت المسلح .

{ الحَصَدُ أي نبات وَ ما جفّ من النبات وَ اشتداد الفتل وَ استحكام الصناعه في الأوتار و الحبال و الدروع } أما المعاني الثلاثه الأولى فتكلمنا فيها . و ما يهمنا هو هذا المعنى الرابع أي { استحكام الصناعه } بغض النظر عن الأمثله المضروبه و بعض مصاديق الصناعه . فالعلاقه بين { استحكام الصناعه } و بين المعاني الأخرى ، و معنى الحصد الجوهري ، في ضوء ما ذكرناه من تفسير ، ينبغي أن يجعل جِلد كل من فهم ذلك يقشعّر . { استحكام الصناعه } حين تكون الصناعه مقترنه بما ذكرناه عن الغرب، هو تفسير كافي لا يحتاج إلى تعليق .

{ دِرع حصداء أي ضيقه الحَلَق وَ مُحكمه } هذا يذكرني بالبدله الرسميه للغرب ، بالإضافه لبقيه الدروع الفكريه الخانقه التي تربض على حلوقهم . ضيق اللبس آيه على ضيق النفس . و لذلك لا تجد أهل الشرق عامه إلا بلباس واسع كأصل ، و ما الضيق كالدروع إلا في الحالات الكريهه كالحرب . و بهذا فسّر شيخنا الأكبر ابن عربي قدس الله نفسه معنى لبس الإحرام الغير مخيط وقت الحج . و ذلك لأن الحج هو عوده إلى المركز ، و مركز الوجود هو الواحد المتعالي ، و الحقيقه تقول أنه كلما ازداد الوجود قلّت الحدود ، و المخيط آيه على الحدود ، فعندما تنظر في هذا الضوء إلى اللباس الغربي عموما و اللباس الرسمي خصوصا ، تجد ضيقا و تضييقا لا مثيل له في أي مكان في العالم الشرقي و لا التاريخ المعروف . قوم يحبون أن يخنقوا أنفسهم ، و يضيقوا عليها . وجودهم ضيق ، و لباسهم ضيق مثله . و كلما ازدادت القيود قلّ الوجود ، و تسافل في الرتبه " و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التي كانت عليهم " .

{ شجره حصداء أي كثيره الورق } و ليس كثيره الثمر . بل { كثيره الورق } فهو ما لا يؤكل و يدخل في بطن الإنسان . و { كثره } ضد الوحده ، و هو أفضل تعبير عن "سلطنه الكمّ" التي تمثّل الفكر الغربي و عمله بما لا مزيد عليه ، فهو تشتت لا نهائي في الكثره ، و التعلق بما لا يصل إلى باطن الإنسان و معناه منه خير و نماء ، كثره سفليه خارجيه برانيه . الحياه الغربيه هي هذه الشجره الحصداء ، و الحصد مالها كما هو جذر اسمها .

{ حَصَدَ أي مات } لا تعليق !

{ استحصد أي غَضِبَ } و هنا علاقه مهمه . و ذلك لأن أصل تعامل الغرب مع الطبيعه مبني على " استغلالها " و أن " العلم قوه غايتها السيطره على الطبيعه لمصلحه الإنسان " كما يقولون في فلسفتهم التأسيسيه و يصدقها عملهم - في ضوء رؤيتهم للإنسان و نظرتهم للمصلحه طبعا و التي هي من قبيل " إنما نحن مصلحون " التي يقولها السفهاء و "إن أردنا إلا إحسانا و توفيقا " التي يقولها أهل الدرك الأسفل من النار . و لكن ما يحتاج إلى تأمل هو نفسيه من يفكر بمنطق الاستغلال و السيطره للمصلحه ، هل هذه نفسيه رجل هادئ متزن سليم ، أم نفسيه رجل غاضب حانق حاقد يلاحظ ضعفه و يريد جبره بأي طريقه ، واضح أنه الثاني الغاضب . و الغضب بالإضافه إلى ذلك هو الغالب على الإعلام الغربي و أفلام الإثاره و حاله الأطفال و الصبيان مع أهلهم و غير ذلك من غضب لا ينتهي . و الغضب كنتيجه للجفاف أمر طبيعي . فعلاقه الغربي بالطبيعه يحكمها شعور بالضعف و الفقر مع جفاف في النفس يؤدي إلى رغبه في قهر ما يفتقر إليه ، و تكون النتيجه هلاكه و حصد حياته .

{ استحصد القوم أي اجتمعوا وَ تضافروا } و كذلك حين يجتمع الناس على هذه المفاهيم الحداثيه الميته و يجمعوا عليها ، ثم يتضافروا على العمل بمقتضاها ، فإن ذلك يكون من آيات قرب الحصاد . و أما إن كانت حالات فرديه ، أو وجود مقاومه من بعض الأطراف ، فإن ذلك يكون إيذانا بالصلاح و الإصلاح ، و ما كان الله ليهلك قريه " و أهلها مصلحون " . إنما يقع الهلاك حين يقع مضمون " إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد ءامن " حين يقع الإجماع و التضافر من الغالبيه العظمى على هذا

الطريق و التوجه من جهه ، هذا الشرط الأول و الشرط الثاني هو { استحصد الحبل أي استحكم } فيعتصموا كلهم بحبل واحد هو ذاك الحبل المشؤوم ، و يستحكم فيهم الأمر و يترسخ فيهم الفكر و العمل و العزم على المضي فيه إلى نهاياته المنطقيه ، ثم الشرط الثالث و هو { مُحصد الرأي أي سديده } فيعتقدوا اعتقادا جازما أن رأيهم الظني هذا هو عين السداد و الصواب الذي ليس وراءه شئ ، فإذا وقعت هذه الشروط الثلاثه في آن واحد ، أي الإجماع و الاستحكام و الاستصواب ، فحينها سيأتي ال { مِحصَدْ أي المنجل } "و لات حين مناص " و " سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " .

فلنعد إلى قضيه الإحاطه بالعلوم ، فإن كان هذا هو حال المعرفه و العلوم ، فإن زعم أحد أن بإمكانه أن يحيط بها علما أو يحيط بأكثر من واحده منها " بسهوله " أو " بجهد ما " ، فهو أمر بعيد عن القبول . ثم أضف إلى ذلك أن علماء المسلمين في الغالب الأعم لهم حياه تستحق الحياه ، لهم حياه فيها نظافه و جمال و عزه ، لهم حياه تجمع بين الفرديه و الاجتماع ، بين الآخره و الأولى ، بين الصله بالحق و الخلق ، و حياه فيها طيب و نساء و صلاه أو قبول لهذه الحياه في أضعف التقديرات . هذا هو النمط العام . و لكن إن نظرت إلى " المفكرين " الغربيين مثلا ، فقط من باب المقارنه للشرح و ليس لغير ذلك من أسباب ، ستجد أن النمط العام لهم هو حياه ساقطه أو كئيبه أو سخيفه أو متسخه أو متناقضه متضاربه عشوائيه ، و كثيرا ما يكون تفكيرهم و انغماسهم في فكرهم و توجههم هو السبب المباشر الأكبر لحالتهم المعيشيه هذه . و هذا من أعظم الفروق بين الفريقين . فحين تضيف إلى عظمه العالم المسلم الكامل الذي هو كما سماه البعض و إن كانت عباره فيها ما فيها و لكنها مقبوله عموما " دائره معارف تسير على الأرض " ، فإنه بالإضافه لذلك تجد حياته الخاصه و الاجتماعيه لم تتأثر سلبا و بالبشاعه بسبب معرفته ، بل غالبا ما تزداد حسنا بسبب ذلك . فالمعرفه و العلوم سبب لزياده الحسن في كل مستويات الحياه ، و ليس العكس كما تجده عند " أهل التفكير الذهني " عموما . و بهذا ندع الكلام عن الغرب و شؤونه . و قد أعذر من أنذر ، و استبصر من تفكر .

....

فالحاصل : الإنسان مطلق في عمقه ، و يريد المطلق لا محاله . فإما أن يبحر في المطلق المتعالى فيتسع وجوده و تعلو درجته في جنه رب العالمين ، أو يشتت و يتبعثر في الكثره الكمّيه فيضيق وجوده و يؤول أمره إلى دركه من دركات السافلين . طريق الإبحار في المطلق المتعالي هو (تحصيل المعرفه من جناب رب العالمين و تكميل علوم الأنبياء و المرسلين) و كل ما يتفرع عن ذلك من بناء الحياه الفرديه و الاجتماعيه كلها حول هذه الكعبه ، و طريق التبعثر و التشرذم في جهنم هو كل ما كان بالضد من ذلك أو غير من سبل أهل الغرب و السفاهه . " إنا هديناه السبيل إما شاكرا و إما كفورا " فانظر لنفسك أيها الإنسان . " سبحان ربك رب العزه عما يصفون . و سلام على المرسلين . و الحمد لله رب العالمين " .

....

ب (مسأله : فما قيمه الدول القائمه اليوم في الأرض ، أو التي تريد أن تقوم و منها من يدعي أنه مقيم للخلافه الإسلاميه من جديد أو يريد ذلك ، أي قيمتها بالنسبه للمسلمين ؟)

الجواب : كمقدمه على هذا السؤال المهم نقول التالي .
روي أن النبي عليه السلام قال " اسجد للقرد في زمانه " .

هذه الروايه - التي تروي العقول - مأخوذه من كتاب { الأسرار المرفوعه في الأحاديث الموضوعه } لملّا علي القاري رحمه الله . و إن من شهواتي العميقه التي أسأل الله زياده اشتعال نارها هي البحث عن المعاني الصحيحه في الأحاديث الموضوعه ، ليس الضعيفه ، بل الموضوعه . فكمّ من حديث صحيح و لكنه موضوع ، و كم من حديث موضوع و لكنه صحيح . و على التحقيق ، الميراث الروائي الذي أورثنا الله إياه بأدي أهل الحديث من شتى فرق المسلمين و طوائفهم هو ميراث صحيح المعنى كله ، سندا و متنا ، و كلامنا عن المعنى الحقيقي و الإشاري ، و ذلك لأسباب كثيره ، و يكفي في هذا المجال أن نذكر السبب الأعمق و الأكبر و هو أن كل كلام فيه حق ، كائنا ما كان . و عندما نقول " صحيح المعنى " فإنما نقصد هذا الحق . و هذا يشترك فيه كل كلام على الإطلاق ، و من باب أولى كلام المسلمين و ما رووه من علوم و قصص . ثم إن تعليق الشيخ القاري رحمه الله على هذا الحديث كان فقط بهذه العباره { رواه أبو نُعيم في " الحليه " عن طاووي ، قال " كان يقال : ...فذكره . انتهى . أورده السيوطي } . و لم يعلّق عليه بالكذب الظاهر أو الفحش آو أي عباره مسقطه للحديث بالكليه و إنما ذكر العباره السابقه . و كذلك نحن نعلم أن الأصحاب و الأتباع من أهل العلم المسلمين إنما يأخذون المعاني بالمدد الظاهر أو الباطن ، المدد الظاهر هو سلسله الإسناد الروائيه المعروفه ، و المدد الباطن هو وسيله الإلهام القلبيه و سندها " حدثني قلبي عن ربي " و إن لم يصرّح بالسند الباطن و ذلك لأنه باطن . فهذه هي الأسباب التي جعلتنا نقبل الأخذ بهذه الروايه من حيث المبنى ، و الواقع أن الذي دفعنا إليها هو أهمّيه المعنى الذي تنطوي عليه . فهذا نور على نور . ثم أما بعد فتعالوا ننظر .

(زمانه) الزمن ليس مجرد توقيت كمّي بل هو حاله عقليه تكون هي السائده في توقيت ما . و التوقيت المجرد إنما هو ظرف عرضي لهذه الحاله العقليه ، و لذلك يُنسب لها ، فالزمان حقيقه كيفيه ، و ليست فكره كمّيه . و من هنا تأتي الأحاديث التي تتحدث عن آخر الزمان و أول الزمان ، فتقول أن آخر الزمان سيسود فيه الظلمات ، و بالتالي أول الزمان هو الذي يسود فيه النور ، و الظمات و النور حالات قلبيه للناس ، و الناس هم قلب العالم ، فإن صلحوا صلح العالم و إن فسدوا فسد العالم ، " ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت أيدي الناس " . فالزمان تبع للإنسان ، و الإنسان مُعرّف بقلبه و عقله و حالته النفسيه المتفرعه عن أصل العقل . فالزمان لا يحكم على الإنسان ، بل الإنسان يحكم على الزمان ، ثم بعد أن يتشكل زمان ما بأن تسود فيه عقليه معينه و حاله نفسيه معينه تسيطير على رؤوس الناس و أكثريه عوامهم يبدأ بعد ذلك تأثير الزمان على الإنسان ، فيكون تأثير تأكيدي

كالمرآه بالنسبه لمن يوافق عقله هذا العقل السائد ، أو تأثير هجومي و سلبي و حربي بالنسبه لمن يخالف عقله هذا العقل السائد . فينشأ من جرّاء ذلك أناس " موافقين للعصر " و أناس " متخلفين عن العصر" . و من هنا قال حضره علي عليه السلام " إذا تغيّر السلطان تغير الزمان " ، ثم إذا تغيّر الزمان تغيّرت الأحكام . فإذا تسلسل السببيه هو : السلطان ثم الزمان ثم الأحكام . و من عاده أهل هذا الزمان الحداثي هو أن يطمسوا أهمّيه بل أولويه عنصر السلطان ، و يقولوا للناس " هكذا هو الزمان فعليكم أن تتوافقوا معه " أو عبارات من قبيل " نحن الآن في القرن الواحد و العشرين " ثم يفرعون الفروع على هذه العباره و كأن قيمه كلمه " القرن الواحد و العشرين " لها أي معنى في حد ذاتها فضلا عن أن يكون لها معنى واحد دون المعاني الأخرى أو قيمه واحده دون القيم الأخرى . و هذا من المكر الشائع و السحر البارع الذي يسقط فيه ما لا حصر له من الهمج الرعاع أتباع كل ناعق . السلطان هو رؤيه وجوديه و منهج متفرع عنها ، ثم بعد ذلك تأتي النتائج و الثمار التي تشكل الزمان الذي هو تعبير عن الظرف المحيط بمن يحيا في ظل عرش هذا السلطان و كذلك المكان و ليس فقط الزمان ، فينشأ من جرّاء ذلك " العالم " الذي يعيش فيه هؤلاء . فكل سلطان يولد زمان و مكان ، و حين تجتمع هذه الأركان الثلاثه يقوم " عالم " متميز عن بقيه العوالم التي لها سلطان آخر ، و بالتالي زمان و مكان آخر . و هذا كلام تحقيقي حرفي ، و ليس قصدنا بالزمان و المكان مجرد تعبيرات شاعريه أو رمزيه ، بل نفس الزمان و المكان " يتغيّر " و الهواء الذي يتنفسه الناس يتغيّر ، و من له عين تبصر سيبصر . فالزمان و المكان كيفيات و ليسا فقط كمّيات ميته - كما هو الحال في الرؤيه الحداثيه لهما .

(اسجد) السجود هو القبول لكل ما يفيضه أو يأمر به المسجود له ، بتسليم كامل لذلك . و منه قال الله تعالى " و إذا قُرئ عليهم القرءآن لا يسجدون " و قال " إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون " فالعقل هو حقيقه السجود الذي هو قبول المعنى ، ثم العقل هو بوابه السجود الذي هو إتباع المنهج و الأحكام النابعه من المعنى ، و هذا يحصل تلقائيا إلى حد كبير ، إذ من يعقل أن النار تحرق لن يلقي نفسه فيها إن كان يريد أن لا يحترق . فالعلم سبب اتباع الحكم . العلم الحقيقي ، و ليس العلم كمجرد معلومه مخزونه في الذهن و مفصوله عن بقيه مملكه الإنسان و قلبه و إرادته .

(للقرد) القرد في هذا الزمان يتمثل في الغرب ، و من يقلّد الغرب من أهل الشرق . و حسبك كون الغرب أمثال القرده أنهم الأمه الوحيده من يوم عُرفت الأمم التي جعلت الاعتقاد بأنهم من سلاله القرود أو إخوانهم عقيده علميه بها يُفرق بين العاقل و الجاهل . فضلا عن تحقيق معنى القرد و الذي تستطيع أن تجد أبعاده - كالعاده - في المعجم العربي الشريف .

ثم نقول ما هو أهم من هذه المقدمه التي فيها شئ من الدعابه و الترويح عن النفس ، و إن كان معناها حق .

الأصل هو الاعتماد على الأكبر ، و حين يقع الاختلاف في ما هو أصغر يجب الرجوع إلى ما هو أكبر. كما قال الله تعالى في آيه الكلمه السواء ، فجعل الوحده الإلهيه هي الكلمه السواء مهما كان ما دونها بعد ذلك طالما أنه مستمد منها و قائم بها و ناظر إليها ، و من شروطها أن تقوم الأمه على الشرع و المنهاج و المنسك الذي عندها من لدن الحق تعالى ، و ليس بناءا على الفرعنه البشريه ، فإن من استغنى و قال " هذه الأنهار تجري من تحتي " سيجعل الله الماء يجري من فوقه " و لن تجد لسنت الله تبديلا " . فالأصل هو الأكبر ، و الأصغر في حال الاتفاق عليه أو الاختلاف فيه راجع إلى الأكبر ، فإن وقع الاختلاف أو الحيره كان الرجوع إلى الأكبر و الاعتماد عليه في الاعتصام و عدم التفرق السئ يكون حينها أشد من حيث الأولويه و ضروره اجتماع الهمّه عليه . ثم نسأل : أيهما هو الأكبر في دين الله ، تحصيل المعرفه و تكميل العلوم أي الذكر و الفكر و ما يتفرع عنهما أي الجهاد الأكبر ، أم تكوين دوله معينه أو إقامه حكم ما أي الجهاد الأصغر أو للدقه هو بعض فروع الجهاد الأصغر ؟ لاشك أن طلب العلم هو مدار الأمر ، و هو الجهاد الأكبر . و هذا الأمر عند علماء المسلمين أشهر من الشهير . و من الروايات التي أحبّها بهذا الصدد خصيصا - و هي شاهد استئناس فالأمر أشهر و أثبت من أن يحتاج إلى استدلال مطول - و ما أكثر الروايات الجميله العميقه في قضيه ذكر الله و التعلّم و التفقه و الدراسه و الجهاد فيه ، هي روايه عن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنه ، و هي التالي : جاء رجل اسمه الأزدي إلى ابن عباس و سأله عن الجهاد - يقصد الأصغر - فقال له بان عباس { ألا أدلك على خير من الجهاد ؟ قلت : بلى . قال : تبني مسجدا و تعلّم فيه الفرائض و السنه و الفقه في الدين } إن طلب العلم و تعلّمه أصل ثابت ، و لكن الجهاد الأصغر هو عرض متغيّر بل عمل كريه للنفس السليمه " كُتب عليكم القتال و هو كره لكم " و القيود القرءانيه عليه من أوله إلى آخره كثيره جدا و كلها تعمل على عدم وقوعه و تخفيف حدته و أثره إذا وقع و تسعى إلى إنهائه بأول مبادره فعليه للسلام و غير ذلك من قيود و شروط عسيره طفح بها الكتاب و الحديث الشريف .

فالأصل الثابت الأكبر المطلق ، أي ذكر الله و طلب العلم مطلوب مطلقا و في كل حال و له يُبذل ما يُبذل ، و به تصلح القلوب من جذورها و أما الحرب فهي في أفضل الأحوال دفع للسوء أو انتقام من قاتل ، و إعداد القوه العسكريه هو إرهاب سلبي لقمع شهوه المعتدي أو الذي يُفكر بالاعتداء .

فالقضيه ليست اختيار بين طلب العلم و الحرب ، إذ لا مقارنه بين الاثنين من حيث المستوى و لا القيمه و لا الغايه ، و لكن الكلام عن الأصل الثابت و العرض المقيّد الزائل . هذا أولا .

ثانيا ، إن المسلمين منذ وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ، و يوم السقيفه تحديدا ، بدأت بذور الاختلاف في قضيه الدوله ، فبرزت أولى أعراضها في أيام أبي بكر ، ثم أدت إلى مقتل عمر ، ثم مقتل عثمان و عندها تفاقم أصل الاختلاف و من بعد ذلك حدث ما حدث . إذ إن تعيين رأس الدوله بعد النبي عليه السلام إما أن يكون بتعيين النبي عليه السلام لواحد يخلفه ، أو بترك الأمر لأراء بعض الناس و اجتهادهم أو كشفهم ، أو بترك الأمر لرأي كل الناس . فإن قلنا أنه تركه لكل الناس فهذا لم يحدث و لم يدعه أحد فعلا و لم يحدث من يوم أبي بكر فما بعده أن اتفقت الأمه كلها على واحد ، و

هذا بديهي إذ إنه من باب اختلاف الآراء الشخصيه و السقيفه ذاتها و ما تلاها خير مثال على ذلك . و إن قلنا أنه عيّن فئه من الناس تختار ، كما فعل عمر بن الخطاب مثلا حين اختار السته ، فإن النبي عليه السلام لو قام بذلك لوضع نظاما - استغفر الله من المقارنه المقلوبه - كما فعل عمر حتى يضمن حسن سير الاختيار و ضمان وقوعه ، كما فعل عليه السلام مثلا في معركه مؤته حين عيّن واحدا فإن مات فواحدا بعده فواحدا بعده ثم تركها أو شئ من ذلك ، و هذا ما لم يفعله النبي عليه السلام أيضا بالاتفاق و لو حدث لما وقعت السقيفه و لما كان الأمر فلته غير منظمه و النبي عليه السلام لم يُدفن بعد ، بل لما كان النظام بأقل إحكاما من النظام الأموي أو العباسي أو العثماني أو غيره في تسليم السلطه للطبقه التاليه للحاكم المتوفي - و نستغفر الله مره أخرى من هذه المقارنه المقلوبه . فلا يبقى إلا أحد أمرين ، إما أن النبي ترك الأمر مهملا و إما عيّن واحدا . فإن تركه مهملا فهذا يعني أن الوصول إلى السلطه سيتم عبر القوه العسكريه كأصل ، إذ حين تختلف العقول فيما لابد من وجود قول فاصل فيه تتحول الحجيه إلى العضلات ، و إن لسان السيف يفصل فيما لا يفصل فيه لسان القلم . و هذا ما حدث و يحدث في مشارق الأرض و مغاربها بل ما يحدث في البيت الواحد و الأسره الواحده أيضا . و الذي حصل بعد وفاه النبي عليه السلام مباشره هو هذا ، من حروب أبي بكر مع العرب و المسلمين الذين لم يقبلوا بحكمه و حكم من وافقه من أهل المدينه من أصحاب النبي عليه السلام ، إلى يوم الناس هذا الذي تخرج فيه طائفه من أمثال بن لادن و داعش و نحوهم ممن يريد الأمر بقهر السيف ، و لم يقم سلطان أو يبقى منذ ذلك اليوم إلا بحد السيف ، و حتى إن قام برضا أغلب فئات الأمه من قبيل ما حدث مع حضره علي عليه السلام إلا أن بعض الأمه شذّ عنه كما حدث في معركه الجمل التي كانت فيها عائشه زوجه النبي عليه السلام و طلحه و الزبير ، و ما حدث في صفّين مع معاويه و عمرو و من معهما ، و ما حدث في النهروان مع الحروريه و من شايعهم ، فإن كان قد قام أمر دوله علي عليه السلام بالسلم فإنه احتاج ليبقى إلى الحرب الداخليه فضلا عن الخارجيه التي حدثت مع الدول بعد ذلك . فنظريه الإهمال النبوي تساوي القول بنظريه السيف من باب اللزوم الضروري و الواقعي ، لا أقل هذا ما وقع ، فأي تغيير لآليه العسكر هو أمر لم سيبق أن حدث في تاريخنا كمسلمين ، و التاريخ ليس بحجه في حد ذاته على كل حال . و لا تبقى إلا نظريه التعيين المفرد ، و هي التي تقول أن النبي عليه السلام عيّن حضره علي عليه السلام و أهل بيته من بعده إلى قيام الى أن نرد الحوض عليه عليه السلام إن شاء الله . و النبي عليه السلام ترك من بعده كتاب الله و سنّته و أهل بيته و هم زوجاته و عترته و هم حضره فاطمه و علي و الحسن و الحسين و من يخرج منهما على طبقاتهم و درجاتهم ، و أصحابه . خمسه . فحيث أن البيّنه هي " رسول من الله يتلوا صحفا مطهره فيها كتب قيمه " ، فهذا يعني أنه لابد من إنسان و قرءان ، أي إنسان و كتاب . و هذا عين ما قاله عليه السلام " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا ، كتاب الله و عترتي أهل بيتي و إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض " . أما سنّته عليه السلام و مثال و كلام زوجاته و أصحابه فكل هذا يدّون في الكتب و يعتبر من ضمن الميراث و هو كذلك . فلا يمكن أن تكون الخلافه في شقها الإنساني لزوجات النبي أو لأحد من أصحابه الخواص أو العوام ، لسبب بسيط و مباشر و

يقيني و مجمع عليه و هو أنه بعد نهايه القرن الأول الهجري لم يبق أحد من زوجات النبي و لا أصحابه على قيد هذه الحياه . فلا تكون إذن إلا في عترته أهل بيته ، و من " من كنت مولاه فعلي مولاه " هو رأس هذه العتره الطاهره ، و هو الواقع فعلا ، إذ لا يزال إلى اليوم بيننا و لله الحمد أولاد سيدنا محمد عليه السلام من فاطمه ابنته ، و البنت من الآل " إلا آل لوط فإنا منجوهم أجمعين إلا امرأته " فالمرأه كأصل داخله في الآل و لذلك استثناها بعد أن عمم نجاه الآل ، و من لوط بناته "هؤلاء بناتي" ، و معلوم أنه لم تبق للنبي عليه السلام من بعده ذريه إلا من ابنته السيده فاطمه عليها السلام و علي عليه السلام ، و لم يكن له أي ذريه من أي زوجاته ، بالتالي حين يقول النبي " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا ، كتاب الله و عترتي أهل بيتي ، و إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض " فالكلام هو عن عنصر إنساني مستمر ، متمسك بكتاب الله عالم به ، و الأهم في هذا المقام هو قضيه الاستمراريه لهذا العنصر الإنساني . و إذ قد قال " عترتي أهل بيتي " و معلوم أنه لم يكن له من زوجاته الأخريات ذريه ، و لم يتزوجن بعده فتكون لهم ذريه خاصه بهم فتقع و لو شبهه ساذجه هي أن يكون لأولاد زوجاته من بعده من رجال آخرين داخلين في هذه التركه النبويه في الأمه الإسلاميه ، فإذن النتيجه هي أن " عترتي أهل بيتي " هم آل ابنه السيده فاطمه و هم الحسن و الحسين - على أقل تقدير و كخطوه أولى في البيان . و هذا القدر قائم فعلا ، فبالرغم من كل محاولات إباده عترته أهل بيته ، فإن الله حفظ من أولاد الحسن اثنان ، و من الحسين واحد ، و من هؤلاء الثلاثه بقي إلى يومنا هذا نحو خمسه و عشرين مليون شريف و سيد من آل سيدنا محمد صلى الله عليهم أجمعين ، متفرقين في مشارق الأرض و مغاربها ، ظاهرين و مستترين ، معروفين و مجهولين ، يُعلّمون الناس سرا و علانيه ، و ينشرون روح الإسلام و عقله ليلا و نهارا . فإذن ، التركه النبويه مجملا تتمثل في القرءآن العظيم و هو رأس السلطنه و كعبه المسلمين أجمعين و المرجع المطلق لكل أحد ، ثم سنته و التي دونتها الفرق و المذاهب المتعدده و حفظها الله على الأمه و هي اليوم بأيديهم ، ثم أقوال و سيره أزواجه و أصحابه ، أزواجه بحكم " اذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله و الحكمه " ، و أصحابه بحكم " أصحابي كالنجوم " ، و قد تم تدوين كل هذا أيضا في السطور و وراثته في الصدور و التقاليد التي تسلمتها الأقوام المختلفه على مر القرون و ليس كل موروث مكتوب فبعضه تقاليد من الصدر إلى الصدر و إن لم تمر بحجاب السطر و هذا نادر جدا و حتى إن كان فإن أصله مكتوب . و هذه الأربعه كلها كتب . فبقي العنصر الإنساني و هو " عترتي أهل بيتي " . فلابد أن تكون الإمامه الكبرى هي لآل النبي عليه السلام . ثم إذا نظرنا في أهل البيت ، لوجدنا النبي عليه السلام قسمهم إلى قسمين ، فالقسم الأول هم آل فاطمه و علي ، و القسم الثاني هم من نسمّيهم نحن آل سلمان بحكم " سلمان منّا أهل البيت " و سلمان في عبارتنا مقام و ليس مجرد شخص ، و هذا مقام الإمامه الباطنيه و النسب القلبي . كل حسني أو حسيني هو من آل النبي لا أقل بالقالب و الظاهر ، و لكن قد لا يكون كذلك في القلب و الباطن كأن يكون كافرا أو ملحدا أو نحو ذلك جهارا نهارا و لا يرفع بالقرءآن و لا حتى بجده النبي عليه السلام رأسا و العياذ بالله و هذا و إن كان نادرا جدا إن شاء الله فإنه مع ذلك لا يرفع عنه قيمته الظاهريه ، فالكأس الذهبي حتى و إن كان الشراب الذي فيه

مسموما يبقى كأسا ذهبيا . أما من نسميهم آل سلمان فهم الذين ضمهم رسول الله إلى قلبه و أمدهم بالمدد المحمدي الخاص و نسبهم إليه بذلك ، و هؤلاء لا يُعرفون إلا بأحد ثلاث طرق عموما ، إما أن يكشف الله للإنسان عن أحدهم بالكشف الخاص من قبيل ما أوحى الله به إلى الحواريين "أن ءامنوا بي و برسولي " ، و إما أن يُعرّف بهم أحد علماء آل النبي الفاطميين كأن يقول " فلان منّا أهل البيت" ، و إما أن يُعرّف أحدهم بنفسه على هذا النحو و لكن في هذا باب دعوى قد يتقي صاحبها من إعلانها خشيه من بلبله قلوب الناس ممن لا يتحمّلون مثل هذا الإعلان فلعله لا يظهره إلا لخاصته ممن يؤمن به و يعرف صدقه و استحاله كذبه على الله و رسوله فإن مثل هذا الكذب يحلق الحسنات كما تحلق الموسى الشعر . و لذلك الخلافه الظاهره - لعين هذا السبب - لا تكون كأصل إلا لآل النبي الفاطميين العلويين .

ثم إن من المعروف في الماضي و الحاضر أن العتره بهذا المعنى الواسع الشامل لكل حسني أو حسيني ، لم تتفق في تعيين الإمام من بينها على نحو جامع مانع ، كما حدث مع كبراء الفاطميين من قبيل رفض الإمام جعفر الصادق عليه السلام لمهدويه محمد النفس الزكيه مع اجتما ع الغالبيه على مبايعته بل حتى من شتى الأقطار المسلمه ، ثم كان الحق مع الإمام جعفر عليه السلام . و إذا تأملنا في طبقات أهل البيت بالمعنى الأعم ، سنجد التالي بناءا على حيثيتين : الحيثيه الأولى هي الوهب و الكسب ، و الحيثيه الثانيه هي العلم و الحكم . أما الوهب و الكسب فإن من أهل البيت - بل من المسلمين عموما - من يهبه الله العلم وهبا بالوراثه و منهم من يكتسبه اكتسابا بالدراسه ، و منهم من يجمع بين الأمرين ، فمثلا أئمه الزيديه غالبا من أهل الكسب ، و أما الأئمه الاثنا عشر فمن أهل الوهب . و أما العلم و الحكم ، فإن من أهل البيت من انقطع للتعليم كما حصل من الإمام علي زين العابدين إلى تسعه من أولاده عليهم السلام ، و منهم من سعى لتحصيل الحكم كالأدارسه في المغرب و كالزيديه في اليمن مثلا . و على ذلك ، رفع الخلاف لابد أن يكون بتعيين معصوم من لدن الله تعالى ،و ليس فقط لرفع الخلاف المحتمل بل لإظهار القطب للمسلمين و هو الأولى و الأهم . فإن نظرت إلى الزيديه لم تجد إلا شروطا كسبيه للإمامه بعد الشرط الوهبي الأساسي الذي هو العنصر الفاطمي ، و أما الاسماعيليه فليست فيهم روح الوهب و العلم اللدني فضلا عن حال دولتهم التي أقاموها فعلا على فضلها في بعض الجوانب إلا أنها لا ترقى إلى مستوى القطبيه الكبرى ، و كذلك الأدارسه على فضلهم و روحهم المحمديه كما هو مشاهد في المغرب عموما بالأخص في الجانب الصوفي منه و الجمال العام و النَفَس السائد . و الذي نعتمده هو أن القطبيه الكبرى هي للأئمه الاثنا عشر من علي إلى ابن حضره الحسن العسكري عليه السلام و هو إمام الزمان كما عرفه أهل الله من الساده الصوفيه و الكمّل من علماء الأمه - و لا يختص هذا الأمر بالشيعه الاثنا عشريه كما يظن البعض ، و إن اختص فلا ضير ، فالحق أحق أن يُتبع إلا أنه لا يختص .

يقول الله تعالى " أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم " . و كلمه " أولي الأمر منكم " مقسمه إلى ثلاث أقسام ، و مكونه من ثلاث عشر حرفا ، أربعه و خمسه و أربعه . أما الأربعه الأولى فهم فاطمه و علي و الحسن و الحسين . و هم أظهر أهل البيت ، و الذين جُمع لهم النور الظاهري و الباطني ، و سلطان العلم و الحكم . و هؤلاء يقبلهم كل مسلم مؤمن بالله و رسوله . ثم يبدأ النور في الخفوت و الغروب مع بقاء عنصر الظهور فكان الأئمه الخمسه بعد ذلك هم أئمه عرفهم المسلمون بل و يقبلهم عموم علماء المسلمين كعلماء و أتقياء و أولياء و أقطاب ، و هم علي السجاد و محمد الباقر و جعفر الصادق و موسى الكاظم و علي الرضا عليهم السلام . ثم يخفت النور جدا و يأتي دور أئمه لا يعرفهم أغلبيه المسلمين فضلا عن معرفه قدرهم و مقامهم و هم محمد الجواد و علي الهادي و الحسن العسكري و خاتمهم محمد المهدي عليهم الصلاه و السلام . و آخر حرف من " منكم " هو الميم و هو رمز المهدي عند أهل الله . و هذا هو معنى ورود روايه فيها أن الأئمه ثلاثه عشر ، إذ تم اعتبار فاطمه عليها السلام فيها ، و لكن جُعل الأمر في علي عليه السلام على مستوى الأمه و السيده فاطمه روح علي و هو تابع لها و قد كان كذلك و لذلك لم يقبل بالحدود الظاهريه لسلطه أبي بكر و من بعده إلا بعد وفاتها عليها السلام . فلغير من عيّنه الله و رسوله لا يمكن أن نقبله كحجه مطلقه في آخره أو دنيا . و هذا محصور بأولى الأمر من آل النبي الخواص .

و بهذا الخصوص تحديدا نذكر ما ذكره الشيخ الصوفي السني العلامه الفاطمي القندوزي الحنفي رضوان الله عليه في كتابه " ينابيع الموده " في الباب الرابع و الثمانون ، في إيراد أقوال أهل الله من أصحاب الشهود و الكشوف و علماء الحروف في بيان المهدي الموعود .

{ و قال الشيخ الكبير عبد الرحمن البسطامي ، صاحب كتاب دره المعارف قدس سره و أفاض علينا فتوحه و غوامض علومه :

و يظهر ميم المجد من آل أحمد و يظهر عد الله في الناس أولا
كما قد روينا عن علي الرضا و في كنز علم الحرف أضحى محصلا .

و قال أيضا :

و يخرج حرف الميم من بعد شينه بمكه نحو البيت بالنصر قد علا
فهذا هو المهدي بالحق ظاهر سيأتي من الرحمن للخلق مرسلا
و يملأ كل الأرض بالعدل رحمه و يمحو ظلام الشرك و الجور أولا
و لايته بالأمر من عند ربه خليفه خير الرسل من عالم العلا }

أقول : لاحظ رمزيه حرف الميم . و الأهم من ذلك ، لاحظ أن ولايته بالأمر تأتي من لدن الله و ليست من عند الناس ، فالمهدي ليس " شخصا منتخبا " و لا شئ من شأن البشر و نزواتهم أو اجتهاداتهم المصلحيه ، بل هو من قبيل " سيأتي من الرحمن للخلق مرسلا " فهو أمر واقع يؤمن به من عرف الله كما قال الفرزدق في الإمام السجاد " من يعرف الله يعرف أوليّه ذا " ، و يكفر به من دون ذلك .

{ و قال بعض من أهل الله و أصحاب الكشف و الشهود و علماء الحروف : إنني ناقل عن الإمام علي كرّم الله وجهه : سيأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه ، و يملك من هو بينهم غريب ، و هو المهدي ، أحمر الوجه ، بشعره صهوبه ، يملأ الأرض عدلا بلا صعوبه ، يعتزل في صغره عن أمه و أبيه ، و يكون عزيزا في مرباه ، فيملك بلاد المسلمين بأمان ، و يصفو له الزمان ، و يسمع كلامه و يطيعه الشيوخ و الفتيان ...و تْعدم الفتن و الغارات ، و يكثر الخير و البركان }
أقول : لاحظ قوله عن كيفيه قيام أمر المهدي أنه " بلا صعوبه " و " يملك بلاد المسلمين بأمان و يصفو له الزمان " و تحديدا " و تُعدم الفتن و الغارات " . فحيث وجدت غير ذلك فاعلم أن ليس ثمّ المهدي .

و نقل السيد عن الشيخ الأكبر ابن عربي قدس الله سره هذه العباره من الفتوحات فيما يتعلق بالمهدي { من أبى قُتل و من نازعه خُذل } أقول : لم يقل أن المهدي سيقتله ، بل هو من قبيل " أخذوا و قُتّلوا تقتيلا " و " قاتلهم الله " و القتال الذي عليه قاتل النبي عليه السلام من قاتله . { يظهر من الدين ما هو عليه في نفسه } أقول : أي الدين في حقيقته الذاتيه ، ثم يفسّر الشيخ معنى هذه العباره فيقول {ما لو كان رسول الله - صلى الله عليه و إله و سلم - حيا لحكم به ، يرفع المذاهب من الأرض فلا يبقى إلا الدين الخالص } أقول : فمن الواضح أن المهدي ليس مجرد فرد من علماء المسلمين أو من أهل الاجتهاد أو حتى الولايه عموما ، بل هو مرآه رسول الله صلى الله عليه و سلم و خليفته مباشره ، بل يزيد الشيخ فيقول { و أعداؤه مقلده العلماء أهل الاجتهاد ، فيدخلون كرها تحت حكمه ، خوفا من سيفه و سطوته و رغبه فيما لديه } أقول : خوفهم من محاربته بسبب قذف الله الرعب في قلوبهم ، و لشعورهم بأنه سينتصر عليهم لو حاربوه { يفرح به عامه المسلمون } هذا المعيار الأول فتأمله جيدا ، ثم المعيار الثاني { يبايعه العارفون بالله تعالى من أهل الحقائق ، عن شهود و كشف يتعريف إلهي } و هذا هو المعيار الذي ذكرناه سابقا في التعريف بآل سلمان { و له رجال إلهيون يقيمون دعوته و ينصرونه و هم الوزراء يحملون أثقال المملكه } فهو ملك إذن ، و دعاته هم من أهل الله و هي المرحله التي نحن فيها الآن و هي التعليم بحقائق الألوهيه و الدين و العلوم العاليه كما قال الرضا عليه السلام " رحم الله امرئ أحيا أمرنا ..يتعلم علومنا و يعلمها الناس ، فإن الناس لو عرفوا محاسن كلامنا لاتبعونها " . { و هو خليفه مسدد يفهم منطق الحيوان ، و يسري عدله في الإنس و الجان} و هذا بحكم خلافته المطلقه في الكون { و وزراؤه من الأعاجم ما فيهم عربي ، لكن لا يتكلمون إلا بالعربيه } فهذا يدل على أن حركه عظيمه - و قد بدأت - ستقوم بتعلّم العربيه في كل بلاد العالم الإسلامي من غير بلاد العرب ، و هو يدلّ على أن قوله تعالى " إن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم " سيقع على عموم العرب بحكم إعراضهم الشديد عن الإسلام و ميلهم إلى غيره كما بدأ فعلا منذ قرن من الزمان بالميل إلى الحداثه الغربيه . و الله المستعان . ثم ينقل السيد قصيده عظيمه في بيان مقامات الإمام المهدي عليه السلام عن الشيخ الكبير و مريد الشيخ الأكبر أي صدر الدين القونوي قدس الله سره ، فراجعها إن شئت .

و لكن في الباب السادس و الثمانون ينقل قضيه مهمه و هكذا سمى الباب : في إيراد أقوال ممن صرح من علماء الحروف المحدثين أن المهدي الموعود ولد الإمام الحسن العسكري رضي الله عنهما . و ينقل ذلك عن كمال الدين الشافعي و صلاح الدين الصفدي و الشيخ المحدث الفقيه الكنجي الشافعي و الشيخ المحدث الفقيه محمد الحمويني الشافعي ، و كذلك يذكر ذلك عن شيخ المشايخ العظام أحمد الجامي و النامقي ، و الشيخ عطار النيشابوري و شمس الدين التبريزي و مولانا جلال الدين الرومي و السيد نعمه الله الولي و السيد النسيمي { و غيرهم قدس الله أسرارهم و وهب لنا عرفانهم و بركاتهم، ذكروا في أشعارهم في مدائح الأئمه من أهل البيت الطيبين رضي الله عنهم ، مدح المهدي في آخرهم متصلا بهم . فهذه أدله على أن المهدي ولد أولا رضي الله عنه ، و من تتبع آثار هؤلاء الكاملين العارفين ، يجد الأمر واضحا عيانا } .

ثم يأتي بشرح دقيق لحديث الأئمه الاثني عشر و هو أدق شروح الحديث و أعقلها فيقول في الباب السابع و السبعون ، في تحقيق حديث : بعدي اثنا عشر خليفه . بعد أن يذكر بعض روايات حديث الاثنا عشر يقول التالي :
{ قال بعض المحققين : إن الأحاديث الداله على كون الخلفاء بعده - صلى الله عليه و آله و سلم - اثنا عشر قد اشتهرت من طرق كثيره . فبشرح الزمان و تعريف الكون و المكان ، عُلم أن مراد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من حديث هذا : الأئمه الاثنا عشر من أهل بيته و عترته } ثم يأتي بتفسير ذلك فيكمل :
{ إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء من بعده من أصحابه لقلّتهم عن اثني عشر } و هذا واضح ، لأنك إذا اعتبرت من أي جهه شئت فلن يكونوا اثنا عشر بالتحديد ، فإن قلت كل أصحابه خلفاء زاد العدد عن ذلك ، و إن قلت الذين بشرهم بالجنه قلّ العدد عن ذلك ، و إن قلت الذي تولوا الدوله بعده كانوا أقل من ذلك ، و هكذا انظر من حيث شئت لا يمكن أن يكون الاثنا عشر من أصحابه حصرا . فهذا احتمال ساقط ،
{ و لا يمكن أن تحمله على الملوك الأمويه ، لزيادتهم على اثني عشر } و هذا كاف و لكنه يزيد قوه الحجه فيقول { و لظلمهم الفاحش - إلا عمر بن عبد العزيز } و الله يقول " لا ينال عهدي الظالمين " فضلا عن أن ينال الخلافه الكبرى و القطبيه العظمى ، بل فضلا عن أن يكون مقرونا بكتاب الله تعالى { و لكونهم غير بني هاشم ، لأن النبي صلى الله عليه و سلم قال : كلهم من بني هاشم ، و في روايه عبد الملك عن جابر و إخفاء صوته صلى الله عليه و سلم في هذا القول يرجّح هذه الروايه ، لأنهم لا يحبّون خلافه بني هاشم } فالقوم كانوا يظنونها قبليه ، و لم يعقلوا عن الله تعالى شيئ يذكر . فهذه ثلاثه أسباب تنفي احتماليه قصد الملوك الأمويه ، واحده منها تكفي للإسقاط .
{ و لا يمكن أن يحمله على الملوك العباسيه ، لزيادتهم على العدد المذكور ، و لقله رعايتهم الآيه "قل لا أسألكم عليه أجرا إلا الموده في القربى " و حديث الكساء } أيضا ثلاثه أسباب ، و الأول يكفي .

و لا يمكن حمله على العثمانيين أيضا ولا على أحد غير ذلك بل حتى على عموم آل فاطمه و علي لزيادتهم على العدد المذكور حتى و إن توفرت كل الشروط الباقيه . فالنتيجه ؟
{ فلابد أن يُحمل هذا الحديث على الأئمه الاثني عشر من أهل بيته و عترته صلى الله عليه و سلم ، لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم ، و أجلّهم و أورعهم و أتقاهم ، و أعلاهم نسبا ، و أفضلهم حسبا ، و أكرمهم عند الله ، و كان علومهم عن أبائهم متصلا بجدّهم صلى الله عليه و سلم ، و بالوراثه اللدنيه ، كذا عرفهم أهل العلم و التحقيق ، و أهل الكشف و التوفيق . و يؤيد هذا المعنى - أي أن مراد النبي صلى الله عليه و سلم الأئمه الاثنا عشر من أهل بيته - و يشهد و يرجحه حديث الثقلين و الأحاديث المتكرره المذكوره في هذا الكتاب و غيرها . و أما قوله صلى لاله عليه و سلم : كلهم يجتمع عليه الأمه، في روايه جابر بن سمره ، فمراه صلى الله عليه و سلم أن الأمه تجتمع على الإقرار بإمامتهم كلهم وقت ظهور قائمهم المهدي رضي الله عنهم } انتهى . فتأمله .

فإذن عمل من عرف ما ذكرناه و شرح الله صدره له هو التالي : التعليم و التعليم ثم مزيد من التعليم . و انتظار ظهور الإمام المهدي عليه السلام حين يأذن الله و لسان حالنا هو " و اجعل لنا من لدنك وليّا و اجعل لنا من لدنك نصيرا " . فهذا ثانيا .

و إذ قد فرغنا من الجواب على مستوى العلم و الإيمان الأعلى ، فتعالوا ننظر في جواب المسأله على المستوى الأرضي الاجتهادي .

في غياب دوله النبي و آله ، يصبح معيار الحكم على الدوله و قيمتها عند المسلمين ليس الشرعيه بالمعنى الأعلى فهذا لا يتوفر بحال من الأحوال ، و لكن الممكن هو النظر إلى نفس الدول ليس ككيان يمثّل حقيقه ملكوتيه و " ظل الله في الأرض " بالمعنى العرفاني لهذه العباره ، و لكن كمجرد شيء يشبه الشركه التجاريه ، شركه تجاريه لها غايات محدده ، فلا عبره بلون أو شكل أو دين أو فكر أو أي شئ من ذلك بالنسبه للمدير و لا الموظفين فيها ، و إذ تنتفي القيمه الذاتيه تبقى القيمه الموضوعيه العمليه ، و هي في حال الدوله تتلخص في " أطعمهم من جوع و أمنهم من خوف " أي بعباره أخرى النظام المعيشي أو " الاقتصادي و الاجتماعي " و النظام الأمني أو " السياسي " . و المعيار الثاني هو ما عبّر عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم حين قال لزعماء مكه " خلّوا بيني و بين الناس" أو بعباره أخرى " حريه التعبير و التجمع " بإطلاق ، فالنبي كان ينال من أعظم مقدسات و أصول زعماء مكه و كان يتوقع أن يخلوا بينه و بين الناس و يُطالب بذلك ، ثم إنه كان يجتمع مع أصحابه و يعلّمهم و يتدارسون كتاب الله و حديث رسوله بينهم و يعتبرون أن من الظلم التعرض لهم في ذلك و قد ذكر القرءان أن هذا من عين الظلم ، بالتالي التخليه بين علماء المسلمين و الناس هو شرط أساسي لاعتبار الدوله أو الكيان التنظيمي القائم في أي مكان هو كيان معتبر عندنا و مقبول. و على ذلك تكون للدوله المقبوله عند المسلمين ثلاث شروط جوهريه : توفير أسباب كسب المعيشه ، توفير الأمن داخليا و خارجيا ، و عدم التعرض لحريه التعبير و التعليم و التجمّع . إن توفرت هذه

الثلاثه في مملكه ابليس ، فهي دوله مقبوله . و إن زالت أو نقصت فهي مرفوضه أو لا أقل غير معتبره.
و أما ما سوى ذلك مما تقوم به الدول و الشعوب ، فمن حيث المبدأ هو أمر ثانوي بالنسبه لهذه الشروط الثلاثه و تأتي بعدها في الترتيب . و لا يتدخل العلماء بعد ذلك في شؤون السياسه و الإداره العامه ، لا أقل ليس من باب كونهم علماء مسلمين ، و إنما من باب كونهم يشاركون في الوطن الواحد و هم على قدم المساواه بهذا الاعتبار مع بقيه أهل الوطن و القطر و البلد و القريه . فمن كان عنده مشروع يزيد من تحسين المعيشه أو الأمن أو حريه التعبير و التجمّع للذكر و الفكر فليقدمه و ينفع به الناس ، و أما ما سوى ذلك فليس من شأن علماء المسلمين بل و لا المسلمين أن يشغلوا أنفسهم به فإنه ظل لا قيمه له و لغو . فإنما نريد أن نكسب معيشتنا بكرامه ، و نعيش في ظل أمن عام ، و نتعلّم و نعلّم و ننشر كتبنا و مقالاتنا و نقيم الاجتماعات و الدروس و حلقات الذكر و المساجد بصورها المتعدده ، هذه هي المهمه الأساسيه لعلماء المسلمين في هذه المرحله . و هو الجهاد الأكبر . فإن تمكّن الإسلام في القلوب هو الأصل و المرجع ، و الباقي ظل و خادم . " يوم لا ينفع مال و لا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم " و " من خشي الرحمن بالغيب و جاء بقلب منيب " . هاتان الايتان ، ضع إحداهما في أذنك اليمنى ، و الأخرى في أذنك اليسرى ، و ادخل أحدهما في عينك اليمنى ، و الأخرى في عينك اليسرى ، حتى ترى الله و رسوله في الآخره ، أو ترى الإمام المهدي فى الأولى .

و مما يترتب على هذا ، أن أي دوله أو مجتمع أو جماعه تسعى في أي فقره سنذكرها الآن هي جماعه ساقطه عن الاعتبار :
من سعى في سلب أحد الشروط الثلاثه ، أيا كانت حجّته و أيا كانت ذريعته ، فإن تذرّع بالدين فهو ألعن من غيره .
من زعم أنه المهدي بتنصيب ذاتي من عندياته و سعى في السفك و الاعتداء و التمثيليات الهزليه كالتي يقوم بها أمثال طالبيان أو داعش أو نحوهم ، فإن سفكوا دم مسلم غير محارب واحد أيا كانت ذريعتهم فهم من الذين لعنهم الله و نلعنهم نحن أيضا ، و هم كذلك لعنهم الله و أشباههم و الراضي عنهم .
من زعم أنه يوجد دوله في العالم خير من أي دوله أخرى لأي سبب غير توفير الشروط الثلاثه الجوهريه للتعلم و التعليم الحر و نشر العلوم النبويه و الإسلاميه و تحقيق ميراث المسلمين و تعليم العربيه و غير ذلك ، أي كل من يحكم على الدول بغير معيار المعيشه و الأمن و حريه التعليم و التجمع ، فهو ساقط و غالبا ستراه طاغيه خبيث .

فإذا نظرنا إلى الوضع الحالي للدول ، سنجد أنه من حيث الشرط الثالث تحديدا أي حريه التعليم و التجمع ، أن بلاد الغرب من أوروبا الغربيه و أمريكا هي أكثر البلاد توفيرا لذلك . و لهذا السبب و غيره يذهب الكثير من العلماء إليهم ، و إن كان عملهم غالبا ما يستفيد منه المسلمين في البلاد التي ليس فيها مثل تلك الحريه لظهور العلماء و الأولياء إلى العلن أو حتى للراحه في استقبال الناس في

بيوتهم و في المساجد و إقامه الحلقات و الدروس ، بل غالبا خصوصا في البلدان العربيه يجدون تضييقا حكوميا في ذلك أو لا أقل ارتيابا و شكا - و هو ارتياب مبرر إلى حد كبير بالنسبه لأهل الحكومه إذ من لم يثق في ثقه الناس فيه لا يمكن أن يثق هو فيهم . و لعلم الحكومات في البلاد ذات الأغلبيه المسلمه أن المسلمين لا يرضون بهذا المعيار الضعيف من الحكومات أو الخاضع للغرب أو غير ذلك من نواقص تخدش بل تسفك دم الكرامه الإسلاميه ، فللإنصاف هذا الاضطراب القائم و المعلوم هو اضطراب وجيه و له أسباب فاعله لا يمكن التغاضي عنها . فما الحل لحل هذا التوتر بين الشعوب المسلمه و بين الحكومات التي أفرادها في أنفسهم من المسلمين غالبا إلا أن توجهاتهم سياسيه مصلحيه و بالأخص ترعى مصالح طبقه حاكمه معينه و حاشيتها و تراعي شؤون السياسه الدوليه بنحو يظهر لجماهير المسلمين أنه ضعف و خنوع - و هو الوتر الذي تعزف عليه كل الجماعات التكفيريه المجرمه ، و ما شدّ هذا الوتر إلا سفاله بعض السياسيين و الملاحده من أهل الثقافه الذي لا يراعون قيمه راسخه و لا تقليدا ثابتا و لا حقائق عاليه و لا مشاعر الشعوب و الجماهير التي تُريد أن تُترك و شأنها ، فهل يوجد حل ؟ الحل إما أن يكون في السلطه ، أو في الشعب ، أو في كلاهما . أي إما أن تتغير السلطه لتوائم الشعب ، أو يتغيّر الشعب ليوائم السلطه . الشعب من المسلمين ، السلطه عموما تريد مراعاه اللعبه السياسيه الدوليه و كسب المصالح الاقتصاديه و الماليه . الشعب لا يفهم السياسه و الدبلوماسيه ، و لا يريد أن يفهمها ، و إن فهمها فهو لا يقبلها إما لأنها مخالفه لدينه و قيمه و رموزه أو لأنه لا يستفيد منها أو لكلا السببين . فالشعوب لن تتغير إن شاء الله . و كل فتره و فتره سنجد انفجارات الغضب و الثوره كما حدث فيما يسمى بالربيع العربي ، و سيأتي ما هو أكبر منه إن استمر التوتر و الكبت المتواصل لتوجهات الجماهير بخاصتهم و عامتهم ، بالأخص بسبب التأثيرات الإعلاميه المستمره من الخارج ، فضلا عن الدراسات التي يصدرها العلماء من البلاد التي يعطون فيها الحريه للتعليم و النشر من قبيل ما يقوم به سيد حسين نصر من أمريكا أو غيره ، بالإضافه للكثير من الآسباب الأخرى التي لسنا بصدد ذكرها . فإن كان على أحد أن يتغير لحل التوتر فإن السلطات يجب أن تتوافق مع الجماهير . و أيما سلطه تريد ولاءا مطلقا من شعبها ، ما عليها إلا أن تؤيد قضايا الإسلام و المسلمين ، و في البلاد العربيه أن تهتم فوق ذلك بتعليم العربيه و شؤنها ، و تيسير ذلك كله على الناس و تشجيعه ، و عدم إظهار أو حتى إيجاد ميل بغير قدر الضروره مع الحداثه الغربيه و شؤونها اللهم إلا بالقدر الذي لا يضر بالطبيعه و لا بقيم المسلمين و أحوالهم .

ما الذي سيحدث إن لم تتوافق السلطات مع الجماهير ؟ بالإضافه لما سبق ، فإن الذي حدث و يحدث هو هجرات العلماء و أهل الفكر المعتبرين الذين يجدون مخرجا إلى بلاد المشرق و المغرب التي توفر لهم الشروط الثلاثه ، هذا من جانب . و من جانب آخر هو انكماش العلماء و الأولياء على أنفسهم و على " خويصه " أنفسم أو " خاصه " أنفسهم ، مما يعني بقاء الجمهور العام خاليا من القياده و الإمامه المعنويه و الفكريه ، و هو الحاصل ، و الذي يؤدي إلى مزيد اضطراب و حيره فيهم ، و القاء عبء ظلال حريه عليهم لا يتحملونها و لا يريدونها ، فضلا عن الفقر القلبي و الروحي الذي يعانون

منه، و الذي سينعكس إما بانفجارات مجرمه كالذي نجده أحيانا من تأييد للمجرمين ممن يظهرون لهم القياده القويه باسم الإسلام ، أو بإلحاد و انحراف فكري و نفسي حاد إلى حد يفقد صاحبه حسه بنفسه و هويته و يبتره من جذوره و تاريخه و حضارته و أمته و هذا لن يجعله شرقيا و لا غربيا و هو الصنف الآخر من الجماهير الذي يسود في الشباب و الشابات خصوصا . قمع السلطات للعلماء و الأولياء في البلاد الإسلاميه و العربيه تحديدا سيعود بالدمار على هذه البلاد ، دمار نفسي و دمار دموي أحيانا كما يظهر في العمليات الإجراميه من حين إلى آخر . فرسالتنا إلى حكومات البلاد العربيه ذات الأغلبيه المسلمه : وفروا الشرط الثالث الذي هو حريه التعليم المطلقه من كل قيد أو شرط في بلادكم . و لا تتذرعوا بإمكانيه وقوع تعليم باطل و مدمر ، فإن " الحسنات يذهبن السيئات " ، و في وجه كل فاسق مجرم جاهل سيقوم عشره علماء أبرار عقلاء . و نحن اليوم في زمن يستطيع أن يصل الفاسق المجرم إلى أولادكم في عقر داركم و دارهم ، و بمنعكم لحريه التعليم المطلقه في بلادكم فإن شعوبكم ستعتبر هذا - من باب العناد و المشاكسه و الظن السيئ - دليلا على ضعفكم و تستركم على " الحقيقه " مما يرفع قيمه الأباطيل الفعليه التي يلقيها من يسعى في دماركم و هلاككم و تثوير شعوبكم عليكم . فبقمع حريه التعليم المطلقه ، و حق التجمّع للذكر والفكر في البيوت التي أمرنا الله أن نجعلها قبله و في المساجد التي هي بيوت الله الحره من أي سلطان بشري - أو هكذا ينبغي أن تكون إن كانت بيوت الله فعلا - فإن النتيجه لن تكون إلا سيئات و ظلمات بعضها فوق بعض . فإن كان لهذا الحق في التعليم و النشر سيئه ، فإن في قمعه عشر سيئات . مع أن إحقاق هذا الحق فيه عشر حسنات ، ليس واحد منها في قمعه . ثم إن دعمكم لمشرب واحد من مشارب المسلمين ، و مذهب واحد من مذاهبه يصب في صلب قضيه أعداءكم ، فضلا عن دعوات أولياء الله عليكم و شكواهم إلى ربهم بالليل و النهار منكم و هذه سهام لا يتحملها أحد . عليكم بتوفير الشروط الثلاثه التي ذكرناها ، المعيشه الميسره الواعيه و الأمن العام و الحكم بالعدل و حريه التعليم المطلقه من كل قيد أو شرط ، عندها قد يسلم حالكم و تبقى دولتكم أكثر قليلا مما ستبقى لو لم تقوموا بذلك . و لا يغرنّكم ما تجدونه من قدره قليله الآن ، فأنتم لستم كالرومان و لا الفرس و لا الأمويين و لا العباسيين و لا العثمانيين و لا أنتم كبريطانيا في أوج قدرتها ، و لا نابليون ، و لا غيرهم . بل أنتم و لا ربع ذلك . و قد ذهب هؤلاء أدراج الرياح بسبب عصيانهم لمقتضى الحق و العدل الممكن القيام به ، و قمعوا و قتّلوا ظنا منهم أنهم أذكياء و أصحاب سياسيه و يحافظون على " المصلحه العامه " و النظام و الأمن و نحو ذلك من ذرائع لم تغن عنهم من الله شيئا . ثم إن من الحكومه التي تتعرض لعالم من علماء المسلمين بسوء ، تكون قد وقعّت بنفسها على صك هلاكها . إي والله ، واحد فقط ! انظروا على طول التاريخ و عرضه إلى دوله تعرّضت لعالم من علماء المسلمين بأذى أو قتل أو سجن ، ثم انظروا في عاقبتها العاجله ، أما الآجله فيا رب الستر ! مس شعره من رأس عالم من المسلمين ضمانه لهلاك دنيا المرء ، و أما قتله فتذكره درجه أولى لجهنم خالدا فيها و غضب الله عليه و لعنه و أعدّ له عذابا أليما . و دونكم التاريخ فاقرأوه إن كنتم تحسنون القراءه ، و قبل ذلك فوقكم القرءآن فادرسوه إن كنتم تحسنون الدراسه . و قد أعذر من أنذر . " و لا ينبئك مثل خبير " .

فالحاصل : على السلطات في الدول ذات الأغلبيه المسلمه أن تطلق يد العلماء كلهم في التعليم و النشر . و على العلماء أن يخلصوا جهودهم لتعليم العلوم المعنويه و الأدبيه ، حتى يأتي أمر الله و هم على ذلك إن شاء الله . " و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و إن الله لمع المحسنين " .

...

قد ذكرنا آن تركه النبي عليه - صلى الله عليه و آله و سلم - تتمثل في خمسه ، فهذا من باب الجمع المبدأي ، أي النواه الأساسيه الثابته ، و أما التفصيل على مر الزمن يجعلها سته ، و السادس هو "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله " . إذ مقامات الرسول من قبيل " يتلو عليهم ءاياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمه و يزكيهم " و " يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون " و " ما على الرسول إلا البلاغ المبين" و "جاهد الكفار و المنافقين " و " حرَض المؤمنين " ، بعباره واحده : كل مقام ثبت لرسول الله في القرءآن ، بل كل ما ثبت لأي نبي في القرءآن ، بحكم أن " العلماء ورثه الأنبياء " و الوراثه العامه و المدد الإلهي المطلق ، لابد لهذا المقام أن يكون بدرجه أو بأخرى قائما في الأمه إلى قيام الساعه . فالذين يعلّمون تلاوه القرءآن هم ورثه مقام " يتلوا عليهم ءايتك " ، و الذين يزكّون الناس كأرباب التصوف هم ورثه " و يزكّيهم " ، و هكذا في باقي المقامات الرسوليه . فرسول الله حاضر في الأمه بوسيله كل هؤلاء ، كل حسب درجته و طبقته . فمجموع الأولياء في الأمه في كل زمان هم صوره رسول الله في ذلك الزمان و إن كان مجموعهم دون رتبته المتعاليه عليه السلام بحكم الفرق الذاتي بين الوحده و الكثره ، و إن كانت الكثره صوره الوحده في مرتبه متدنيه . فعلماء الأمه هم امتداد رسول الله فيها و إشراقاته المتعدده عليها ، فحبهم و اتباعهم هو حب و اتباع لرسول الله ، و أذيتهم و سبهم و شتمهم و التعرض لهم بالسوء هو أذيه لرسول الله و العياذ بالله . فإن وجدت من يقول " نؤمن بالرسول و ننبذ العلماء " فهو كافر كذاب ، و إنما يقول " نؤمن بالرسول " لأنها عباره فارغه عنده و لا "تطبيق" لها يؤثر فيه و حوله . و أما من كان من داخل العلماء فإن له شأن آخر ، و إنما التحذير ممن يكون خارجهم أو مفارق لطريقهم ، و مبتور الإسناد الظاهري أو الباطني ، الملكي أو الملكوتي . كل فرقه أو طائفه من أمه محمد لها إسناد يرجع إلى عهد رسول الله و أهل بيته و أصحابه ، بل كل التوجهات و النزعات التي تبرز في الأمه لها أصل في فرد أو جماعه كانت قائمه في عهد النبي عليه السلام ، حتى المنافقين و الملاحده و أرباب السياسه . و هذه الحقيقه من القواعد المهمه لفهم الكثير مما يبرز في الأمه على مر القرون .

و الإمام المهدي هو قطب الزمان الأكبر ، القائم في سماء الأمه كالشمس كقيام النبي عليه السلام . فسواء احتجب أو ظهر ، الشمس هي الشمس . و هذا سبب آخر- بالإضافه لما ذكرناه من قبل من عدم وجود سلطنه على منهاج النبوه في الأمه - لكون العمل في هذا الزمان هو عمل باطني في أصله كما كان ينبغي أن يكون دائما . فلما كان الأنوار ظاهره أعرض عنها الناس ، كما حدث مع حضره فاطمه و علي و الحسن و الحسين ، فغربت قليلا مع الخمسه ، ثم غربت حتى توارت بالحجاب فانتقلت

الدوره إلى الباطن مطلقا ، إذ عندما يكون للناس القلب السليم المنيب ، العاقل عن الله ، حينها يمكن أن يعرفوا النور حين يظهر و يتبعوه حقا ، و الكلام هنا عن النور الأعلى ، و أما الأنوار التي دونه فلله الحمد لم تخلو الأمه منها في يوم من الأيام إلى يومنا هذا و إلى قيام الساعه بإذن الله . و الحمد لله.

...

(المدرسه العرفانيه التقليديه)

أربعه أسماء ينبغي لطالب المعارف الحقه في هذا الزمان من المسلمين بالأخص أن يحيط علما بدراساتهم و كتبهم و مقولاتهم ، أولهم هو شيخهم و قطبهم مولانا عبد الواحد رينيه غينون ، ثم الشيخ عيسى فريثجوف شوون ، ثم الشيخ ابراهيم تيتس بركهاردت ، ثم السيد حسين نصر . لو وجدت نصف ورقه متسخه ملقيه بجانب مزبله و فيها كلام لأحد هؤلاء ، فخذها و اقرأها فإنك ستجد فيها إن شاء الله ما ينفعك . و من المؤسف أن كتبهم لم تترجم و تنشر باللسان العربي المبين بالرغم من أنها موجوده بين الناس منذ أكثر من مائه سنه ، و لا أطيل بمقدمات عنهم و لا تلخيص لأفكارهم ، فالكتب المفصله لا تُفصّل ، و كتب القوم تفصيل و شرح مسهب و لذلك خير من يعلمك عنهم هم هم أنفسهم .
و إن كنت لست خبيرا بالترجمه ، و إن كنت أعقل اللسان الانجليزي بمستوى يجعلني لا أجاهد في قراءه شكسبير أحيانا - إن كنت مرتاح البال و حاضر الذهن - و لكني حاولت أن أترجم بعض فصول من كتاب مولانا عبد الواحد المعروف ب " سلطنه الكم " و إن كان أصل الكتاب بالفرنسيه ، و سأنقل هنا ما ترجمته منه ليكون شئ من التذوق لماهيه هذه المدرسه العاليه . و على من يريد أن يخدم الله و رسوله و الإسلام - و الأقطاب الأربعه لهذه المدرسه كلهم من المسلمين ، ثلاثه أسلموا و الرابع ولد مسلما - و المسلمين ، عليه أن يعمل بنفسه - إن كان من أهل الصنعه و الحس - أو بماله - بأن يوظف من يعمل على ترجمه كتب هؤلاء كلها من اللغه الأصليه التي كتبت بها مباشره إلى العربيه - و ليس بواسطه الترجمه الانكليزيه للكتاب الفرنسي أو الألماني مثلا - بل من اللغه الأصليه إلى اللغه العربيه ترجمه دقيقه و يخرجها بحلّه بديعه راقيه واضحه و لا يخرجها بثمن يحول بين شراء الناس لها و ليطلب الأجر من الله فإن التكسب بالعلم الإلهي و النبوي هو في أضعف الحالات مجلبه للشؤم " اتبعوا من لا يسألكم أجرا و هم مهتدون " . نسأل الله أن يقيض لهذا الجهد العظيم بعض أهل ولايته و حبه و الإخلاص له ، و يمن علينا برؤيه هذا العمل و الانتفاع به . و من باب فعل ما نقول و لو بعض الفعل ، قمت بترجمه المقدمه و أول ثلاثه فصول من كتاب القطب الأكبر لهذه المدرسه المباركه المجاهده مولانا عبد الواحد - قدس الله نفسه . و هو أصعب كتبه و أهمها و أجمعها ، و ما فتحت أعيننا على معرفه ماهيه زماننا - و معرفه الزمان هو الركن الرابع للدين كما ذكره سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في حديث سيدنا جبريل عليه السلام المعروف - إلا بعد أن قرأنا هذا الكتاب و أضرابه من ثمار الشجره الطيبه للمدرسه العرفانيه التقليديه العاليه . و على الله قصد السبيل .

...

سلطنه الكمّ
و خصائص هذا الزمن

رينيه غينون

- المقدمه -

(١)

منذ أن تم تأليف كتاب " أزمه العالم الحداثي " ، فإن تتابع الأحداث لم يفعل إلا تأكيد الرؤيه التي تم تقديمها في الكتاب المذكور عن الحاله المعاصره ، تأكيدا تاما و سريعا ، و إن كان الموضوع قد تم التعاطي معه في ذلك الحين باستقلال تام عن الانشغال ب " الواقع بالفعل " و كذلك عن أي قصد نحو " نقد " فارغ و عقيم .

بالفعل ، فإن النظر في أمور بهذا المستوى لا تساوي شيئا على الإطلاق إلا بالقدر الذي تكون فيه ناتجه عن تطبيق مبادئ عقليه عامه على حالات خاصه . و نشير أيضا إلى أن هؤلاء الذين نظروا في الحاله المعاصره و كوّنوا عنها حكما سليما بخصوص الأخطاء و النواقص المكونه لذهنيه هذا الزمن ، فإن موقفهم لم يتجاوز السلبيه المحضه الغير فاعله ، أو إن كانوا قد تجاوزوا هذه السلبيه إلى حد ما فإنهم قدّموا علاجات قاصره لحل الفوضى المتناميه في كل المجالات ، فإن موقفهما ناتج عن عدم توفر علم حقيقي بالمبادئ لهما ، كما أنه غير متوفر في حاله هؤلاء الذين يواظبون على الإعجاب بما يسمونه " تقدّم " و خداع أنفسهم بخصوص النتيجه الحتميه لهذا الأمر .

(٢)

بالإضافه ، فإنه حتى من زوايه غير متفاعله بالكليه و " نظريه " ، لا يكفي مجرد رفض الأخطاء و إظهارها على ما هي عليه في الحقيقه ، مهما كان هذا الأمر نافعا ، فإن الأكثر جاذبيه و إرشادا هو شرحها ، أي البحث عن كيف و لماذا حدثت و تشكلت ، لأن كل ما له أي نوع من الوجود ، حتى الباطل و الخطأ ، يحوي بالضروره سبب لوجوده و غايه له ، و الفوضى نفسها يجب في نهايه الأمر أن تجد محلها ضمن عناصر النظام العالمي .

لهذا ، بما أن العالم الحداثي يعتبر في حد ذاته شذوذ إنحرافي و مظهر وحشي ، فإنه من الحق - حين يتم النظر إليه بالنسبه للدوره التاريخيه العامه الذي هو جزء منها - أنه يتناسب بدقه مع الظروف المكونه لمرحله معينه من هذه الدوره ، المرحله التي يحدد التقليد الهندي أنها آخر فتره من ال " كالي- يوغا " .

إنها هذه الظروف ، الناشئه كنتيجه لنمو مجريات الدوره ، هي التي حددت صفات هذا العالم الحداثي ، و من هذه الزاويه النظريه يصبح من الواضح أن الحاله الراهنه لا يمكن أن تكون على غير ما هي عليه .

بالرغم من ذلك ، من البيّن أنه إن كان سيتم النظر إلى الفوضى على أنها عنصر من عناصر النظام ، أو إن كان سيتم اختزال الباطل إلى مجرد جزء مشوه لحقيقه ما ، فإنه من الضروري أن يضع الناظر نفسه فوق المستوى الذي تقبع فيه هذه الفوضى و هذا الباطل ، كذلك من أجل أن يتم فهم القيمه الحقيقيه للعالم الحداثي تحت ضوء قوانين الدوره التي تحكم مجريات البشريه الأرضيه الحاليه ، فإنه من الضروري أن ينفصل الناظر كليا عن الذهنيه التي هي خاصيه هذا العالم ، و أن يجتنب التأثر بها و لو بأدنى تأثير .
و يزيد من وضوح أهميه ذلك هو أن هذه الذهنيه تقتضي بالضروره ، و باللازم من مجرد تعريفها ، الجهل التام بتلك القوانين ، و كذلك بكل الحقائق الأخرى التي - بحكم كونها مستنبطه و متفرعه عن المبادئ المتعاليه - تعتبر جوهريا جزء من العلم السنّي ، و كل ما يعتبر من خصائص الأفكار الحداثيه هو - شعوريا أو لاشعوريا - إنكار مباشر و غير مؤهل لذلك العلم .

(٣)

منذ مده و المؤلف يفكر بكتابه كتاب يلحق " أزمه العالم الحداثي " ، و يكون ذو صبغه "مبدأيه" أكثف ، من أجل أن يتم وضع تفسير أكثر دقه لبعض جوانب المرحله الراهنه التي تم عرضها في الكتاب السابق ، متوافقا مع النظره السنّيه حصرا ، و التي سيتم الإلتزام بها دائما ، في القضيه الحاليه ، و لنفس الأسباب التي تم عرضها سابقا ، إنها ليست فقط النظره الوحيده المقبوله المبرره ، و لكن قد يمكن القول بأنها النظره الوحيده الممكنه واقعيا ، لأنه لا يمكن أصلا تصور تفسير آخر من دونها .
عوامل كثيره تدخلت من أجل الحيلوله دون كتابه مثل هذا الكتاب حتى هذه اللحظه ، و لكن هذا الإعتبار بعيد عن نظره كل من يوقن بأن كل ما يجب أن يحدث سيحدث بالضروره في وقته المناسب ، و كثيرا ما يحدث بطريقه غير متوقعه مسبقا و بإستقلال تام عن إرادتنا الشخصيه .
العجله المحمومه المتوتره التي يقدم بها معاصرونا على كل ما يعملونه لا قوه لها في قبال هذا القانون الذي ذكرناه قبل قليل ، و لا يمكن أن تنتج إلا تشويشا و فوضى ، أي آثارا سلبيه بالكليه ، و لكن هل سيبقى هؤلاء " حداثيون " لو استطاعوا أن يفهموا مزايا اتباع الإشارات التي تعطيها ظروف ، أبعد ما تكون عن " الصدفه العابره " - كما يقودهم جهلهم لإفتراض ذلك- هي بدرجه أو بأخرى ليست إلا تعبيرات عن النظام العام ، نظام هو في آن واحد إنساني و كوني ، و الذي نحن مضطرون أن ندمج أنفسنا به طوعا أو كرها ؟

(٤)

من بين الصفات الخاصه بالذهنيه الحداثيه ، التوجه نحو إختزال كل شئ و تخفيضه إلى نظره كمّيه بحته ، سيكون السمه المميزه المحوريه لهذه الدراسه .

هذا التوجه أشد ما يظهر في مجال المفاهيم و التنظيرات " العلميه " للقرون المتأخره ، و لكنها بارزه بالمثل تقريبا في كل المجالات ، بالخصوص فيما يتعلق بالتنظيم الإجتماعي - بارز لدرجه أنه ، بإستثناء واحد طبيعته و ضرورته ستظهر لاحقا ، عصرنا هذا يكاد يمكن تعريفه على أنه جوهريا و مبدأيا " سلطنه الكم " .

هذه الخاصيه تم إختيارها و تفضيلها على غيرها ، ليس لأنها وحدها و لا أنها من حيث المبدأ الخاصيه الأبين التي لا يمكن إنكارها أو التشكيك فيها ، و لكن فوق كل شئ لأنها فعلا الخاصيه التي تشكل بحق القاعده الطبيعيه للسلطنه كلها ، لأن الإختزال للكمّيه هو الصفه المميزه للظروف المكونه للمرحله الدوريه التي وصلت إليها البشريه ، و كذلك لأنها السمه الخاصه في هذا الموضوع و التي تقود منطقيا إلى أدنى نقطه في " الهبوط " الذي يستمر بتواصل و بسرعه متزايده من بدايه إلى نهايه ال " مانافانتارا " ، أي خلال المسيره الكامله لظهور فتره بشريه كفترتنا .

هذا " الهبوط " ، كما تم تبيينه في مناسبات سابقه ، إنما هو تحرك تدريجي مبتعد عن المبدأ، و الذي هو بالضروره كامن في كل سلسله ظهور ، و في عالمنا - بسبب الظروف الخاصه للوجود المتعلقه به - أسفل نقطه هي الكمّيه المحضه ، الفقيره إلى كل سمه كيفيه مميزه ، و مما لا يحتاج إلى قول أن هذه النقطه تشكل حد قاطع ، و لهذا من غير المناسب أن يتم الحديث بعد ذلك عن " توجّه - نزعه " ، لأنه خلال السير الفعلي للدوره ، لا يمكن الوصول إلى الحد القاطع ، لأنه في الواقع وراء و تحت أي وجود ، سواء كان وجود متحقق أو حتى قابل للتحقق .

(٥)

نصل الآن إلى مسأله ذات أهميه خاصه و التي يجب تأسيسها من البدء ، لسببين أحدهما هو تجنّب الفهم الخاطئ الممكن ، و الآخر هو من أجل أن يتم التخلص مقدما من مصدر للتوهم ، تحديدا الحقيقه القائله - بحكم قانون التناظر - أن أسفل نقطه هي الصوره العكسيه المموهه لأعلى نقطه ، و التي يتفرع عنها ما يعتبر متناقضا فقط في الظاهر ، و هو أن الغياب الكلي لأي مبدأ يعتبر " تزويرا " للمبدأ نفسه ، و هو ما تم التعبير عنه بلسان " العقيده " بجمله "الشيطان قرد الرحمن " .

التقدير المناسب لهذه الحقيقه يمكن أن يعين على فهم بعض أهم المعضلات المظلمه للعالم الحداثي ، معضلات ينكرها هذا العالم نفسه لأنه بالرغم من حمله إياها في ذاته إلا أنه غير

قابل لأن يعيها و يفهمها ، و لأن هذا الإنكار هو شرط لا يمكن التفريط به من أجل الحفاظ على الذهنيه الخاصه التي يتواجد هذا العالم بها .
إن كان يمكن لمعاصرينا ككل رؤيه الشئ الذي يقودهم و إلى أين يذهبون فعلا ، فإن العالم الحداثي بصورته الحاليه سيُمحى من الوجود فورا ، لأن " الإصلاح " الذي تم التعبير عنه كثيرا في كتب المؤلف الأخرى لا يمكن أن يتخلف عن التحقق من خلال تحقق شرط الرؤيه المذكوره ; و من ناحيه أخرى ، هذا " الإصلاح " يفترض مسبقا الوصول إلى النقطه التي يتحقق فيها " الهبوط " كله ، إلى مرحله " توقف دوران العجله " - على الأقل في اللحظه التي يتم الإنتقال فيها من دوره إلى دوره أخرى - فإن من الضروري إستنتاج أنه إلى ، أن يتم بلوغ هذه النقطه ، فإنه من المستحيل أن تتم رؤيه و فهم هذه الحقائق بالنسبه لجمهور الناس، و لكن الرؤيه ممكنه فقط للقله التي قُدّر لها أن تُعِد ، بطريقه أو بأخرى ، البذور التأسيسيه للدوره القادمه في المستقبل .
و يبدو أنه من غير الضروري أن يقال أن كل ما ذكره المؤلف في هذا الكتاب أو غيره إنما قُصد به حصرا هؤلاء القله ، بلا أدنى إهتمام لحتميه عدم فهم الأغيار ، و حقا إن هؤلاء الأغيار هم الآن ، و لابد أن يظلوا إلى فتره زمنيه قادمه ، الأغلبيه الساحقه ، و لكن إنه تحديدا في "عصر الكمّيه و سلطنتها" فقط يمكن لرأي الأغلبيه أن يطلب أن يتم إعطاءه أدنى قيمه و إعتبار .

(٦)

أيا كان الحال ، فإن مما يهمنا بالخصوص قبل الإكمال هو أن نطبق المبادئ التي تم تعيينها قبل قليل في مجال أضيق من المجال الذي طبقناها فيه .
مما يخدم غايتنا بالضروره هو أن يتم حلّ أي خلط بين العلم السنّي المقدس و بين العلم المُحدث المدنس ، خصوصا و أن بعض التشابهات الظاهريه قد تؤدي إلى مثل هذا الخلط و التخبط .
غالبا ما تنشأ هذه التشابهات حصرا من تناظر معكوس ، فمن ناحيه العلم المقدس يعتبر جوهريا الأعلى من المفاهيم المتناظره و لا يسمح إلا بقيمه نسبيه محدوده للأدنى منهما ، و حتى حين يسمح فإنما يقوم بذلك من حيث قيمته كنظير يُمثّل المفهوم الأعلى ، أما العلم المدنس من الناحيه الأخرى فإنما يعتبر القيمه كل القيمه للمفهوم الأدنى ، و حيث أنه غير قادر أصلا أن يتجاوز المجال الذي يرتبط به هذا المفهوم الأدنى ، فإنه يدعي بالنتيجه أن الحقيقه كلها مختزله في هذا المجال السافل .
لضرب مثال يرتبط مباشره بموضوع هذا الكتاب ، لنأخذ الأعداد الفيثاغوريه ، المتصوره على أنها مبادئ الأشياء ، هي ليست على الإطلاق أعداد كما يتصور الحداثيون ، سواء كانوا من

الرياضيين أو الفيزيائيين ، كما أن المبدأ الثابت المطلق ليس على الإطلاق ثابتا كثبات الحجر ، و كما أن الوحده الحقيقبه ليست كالتوحيد الظاهري بين الأشياء التي تم سلب كل خاصيه كيفيه و سمه مميزه عنها ، بالرغم من ذلك ، لأن الأعداد هي الموضوع في الحالتين ، أرباب العلم الكمّي حصرا لم يفشلوا في جعل الفيثاغوريين من "سلفهم" .
فإذن حتى لا نتسرع في إستباق النتائج ، يكفينا أن نذكر هذا القدر هنا، تحديدا أن هذا المثال الذي ذكرناه إنما هو حاله واحده من الحالات التي تدل على الحقيقه القائله بأن العلم المدنس-الذي يفتخر به بشده العالم الحداثي - إنما هو في الواقع و الحقيقه إنحطاط " بقيه/مخلفات" العلم العتيق السنّي ، كما أن الكمّيه ذاتها - و التي يجاهدون لإختزال كل شئ لها - هي ، عندما يتم إعتبارها من زاويه نظرهم ، ليست أكثر من " بقيه/مخلفات " وجود تم تفريغه من كل شئ يشكل جوهره ، و لذلك هذه العلوم الدعيّه المزعومه ، بإعراضهم أو بتعمدهم إزاله و محو كل ما هو جوهري حقا ، تثبت بوضوح أنها أمست عاجزه عن القيام بتفسير أي شئ على الإطلاق .

(٧)

كما أن علم العدد السنّي هو أمر مختلف تماما عن علم الحساب المدنس للحداثيين ، و ضمنه كل علم الجبر و التفرعات الأخرى التي يقبلها ، كذلك يوجد فرق شاسع بين علم " الهندسه المقدسه " و العلم " الأكاديمي " المسمى بما يشبه هذا الإسم . لا داعي للإصرار المطول على هذه الفكره ، لأن الذين قرأوا الكتب الأخرى المؤلف ، خصوصا " رمزيات الصليب " ، سيستحضر ذهنهم الكثير من المواضع التي تم تبيين الهندسه المقدسه فيها ، و سيتمكنوا من أن يروا بأنفسهم مقدار قدره هذا العلم على أن يُمثّل الحقائق العاليه ، على الأقل بالقدر الذي تستطيع فيه هذه الحقائق أن تتمثل في صوره حسيه ، بالإضافه لذلك ، أليست الصور الهندسيه من حيث الأصل و الضروره هي القاعده الأساسيه لكل تمثيل "صوري-حسي" في علم الرموز ، من صور الحروف و العدد في كل اللغات إلى الأمور الشديده التعقيد و التي يبدو أنها غريبه في شعائر الولايه لليانترا ؟ من السهل تفهم أن هذا النوع من الرموز يمكن أن يخرج منه تطبيقات لا متناهيه في الكثره ، و يجب أن يكون من الواضح كذلك أن هندسه من هذا القبيل ، و هي أبعد ما يمكن عن الكمّيه المحضه ، هي على النقيض من ذلك كيفيه جوهريا.
نفس الأمر يمكن أن يقال فيما يخص العلم الحقيقي للعدد ، لأن الأعداد المبدأيه المتعاليه ، و إن كان لابد أن تسمى أعدادا من حيث التناظر ، محلها بالنسبه لعالمنا هو على القطب المناقض للمحل الذي تكمن فيه الأعداد المتعلقه بعلم الحساب العامي ، هذا الأخير هو العدد

الوحيد الذي يعرفه الحداثيون ، و له حصرا تتوجه كل همّتهم و أذهانهم ، كمن يعتبر الظل هو حقيقه ذي الظل ، كالمساجين في كهف أفلاطون .

(٨)

الدراسه الحاليه مصممه لتُقدم عرضا إضافيا و أكمل لما هو ، بمعنى شديد العموميه ، الطبيعه الحقيقيه لهذه العلوم السنّيه ، و بذلك إظهار الهاويه السحيقه التي تفصل بينها و بين العلوم المدنسه ، التي تُعتبر مجرد كاريكاتور أو تمثيل تهريجي بالنسبه لها .
و هذا بدوره سيجعل من الممكن قياس مدى الإنحدار الذي عانته الذهنيه الحداثيه عن طريق عبورها من الأول إلى الثاني ، و كذلك سيشير ، عن طريق تعيين المحل المناسب لكل موضوع بالنسبه للعِلمين ، إلى أن هذا الإنحدار يتبع حصرا مسارا هبوطيا في هذه الدوره التي تمر فيها فترتنا البشريه .
و ليكن واضحا أن هذه الأمور لا يمكن لأحد أن يدعي أنه قد أحاط بها علما في شرحه لها ، لأنها من حيث طبيعتها الذاتيه غير قابله للإستهلاك و النفاد ، و لكن ستتم محاوله شرح ما يكفي لجعل كل أحد قادرا على إستنباط النتيجه الضروريه بالنسبه لتحديد "الوقت الكوني" الذي تمر فيه حالتنا الراهنه .
و لكن إن كان جزء من المواضيع التي سيتم شرحها لا يزال غامضا بالنسبه لبعض الناس، فإن سبب ذلك هو أن زاويه نظرنا مخالفه للعادات الذهنيه لهم ، و هي غريبه جدا عن كل ما تم حشوه فيهم عن طريق نظام التعليم الذي تلقوه و عن محيطهم الذي يعيشون فيه ، لا يوجد شئ يمكن أن نفعله بهذا الخصوص ، لأنه يوجد أشياء لا يمكن التعبير عنها إلا بلسان الرموز الحق، و بالتالي لن يستطيع من يرى الرمز كحرف ميت أن يفهم منه شيئًا أبدا .
و يجب أيضا تذكر أن التعبير بلسان الرموز هو الوسيله الضروريه لإيصال كل التعاليم ذات الصبغه الولائيه ، و لكن ، بغض النظر عن العالم المدنس و جهله و عدم قابليته للفهم الواضحه بل إلى حد ما الطبيعيه ، يكفي أن تُعطى نظره لآثار الولايه الباقيه في الغرب من أجل أن تتم رؤيه ما يقوم به بعض الناس ، بسبب عدم " أهليتهم " العقليه ، بالرموز المُقدمه لهم لإعانتهم في تأملهم .
يمكن للإنسان أن يتأكد أن هؤلاء الناس ، مهما كانت الألقاب التي أُسبغت عليهم و أيا كانت درجتهم " الافتراضيه " في الولايه التي حصلوا عليها ، لن يتمكنوا من أن يخترقوا و يصلوا إلى المعنى الحقيقي لأصغر جزء من الهندسه العرفانيه التي صورها " المهندسون العظام للشرق و الغرب" .

(٩)

بما أننا تحدثنا عن الغرب ، فيوجد ملاحظه أخرى تدعونا للنظر فيها ; مهما اتسع مدى انتشار الذهنيه المسماه " حداثيه " ، خصوصا في السنوات المتأخره ، و مهما كانت قوتها في السيطره على ذهنيه العالم كله - لا أقل ظاهريا ، هذه الذهنيه تبقى غربيه خالصه من حيث المنشأ ، ولدت في الغرب ، و لمده طويله كانت محصوره في الغرب ، أما في الشرق فإن تأثيرها لن يكون أبدا إلا غربنه .

مدى انتشار هذا التأثير على الأحداث المقبله هو أمر سيظهر لاحقا ، إلا أن مداه مهما وصل لا يمكن أن يناقض ما تم تبيانه من قبل عن الفرق بين روح الشرق و تلك التي للغرب ، و هذا الفرق ليس إلا الفرق بين الروح التقليديه و الروح الحداثيه ، فإنه من الواضح جدا أنه بقدر ما "يغربن" الرجل نفسه ، أيا كان عرقه و بلده ، بهذا القدر ينقص من كونه شرقيا من حيث الروح و العقل ، أي من الحيثيه الوحيده التي لها قيمه و جاذبيه .

هذه ليست مجرد مسأله جغرافيه ساذجه ، إلا إن كان سيتم فهم كلمه جغرافيا بفهم مغاير للفهم الحداثي لها ، لأنه يوجد أيضا جغرافيا رمزيه ، فعلا ، بهه المناسبه ، يوجد تناسب مهم جدا بين سيطره الغرب و نهايه دوره كونيه ، لأن الغرب هو المكان الذي تغرب فيه الشمس ، أي في المحل الذي تصل إليه بعد رحلتها اليوميه ، و في المحل الذي - بالنسبه للرمزيه الصينيه - "الثمره الناضجه تقع لأسفل الشجره " .

و أما بخصوص الطريقه التي بها أرسى الغرب سيطرته ، و التي " حدثنه " بعض الشرقيين إنما هي من الوسائل المتأخره و المثيره للغضب و السخط ، فإنه قد قام المؤلف بالتوضيح إلى حد الإشباع في كتبه الأخرى أن هذه الوسائل مبنيه حصرا على القوه الماديه وحدها ، و الذي يعني بدوره أن سيطره الغرب هي في حد ذاتها ليست إلا تعبيرا عن "سلطنه الكم".

(١٠)

بالنتيجه ، أيا كانت الوجهه التي يتم النظر من خلالها إلى الأشياء ، فإنها ترجع بنا دائما إلى نفس الاعتبارات الصادقه و تقوم بالتأكيد المستمر لها و إظهار براهينها في كل التطبيقات الممكنه.

لا ينبغي أن يوجد شئ مثير للعجب من هذا الأمر ، لأن الحق بالضروره متناسق و محكم ، و لكن هذا يقينا لا يعني أن الحق " نسقي/ جهازي " ، كما يتخيل الفلاسفه و العلماء المدنسين، محصورين في نظرهم كأنفسهم في حدود ضيقه من المفاهيم الذهنيه و التي عليها وحدها يمكن أن تنطبق كلمه "نسقي/جهازي = سيستماتيك " ، و التي حصرا تعكس قصور الأذهان البشريه حين تُترك لآلياتها الخاصه ; هذا هو الحال أيضا حين تكون الأذهان المقصوده هي

أذهان " العباقره " ، لأن كل التفكير المتبجّح لهؤلاء يقينا لا يساوي قيمه العلم الذي تنطوي عليه أصغر حقيقه سنّيه .
لقد قيل ما يكفي عن هذا الموضوع في موضع آخر ، لأنه قد وجدنا سابقا أنه من الضروري رفض أخطاء " الفرديه الشخصيه " ، فإن هذه أيضا من خواص الذهنيه الحداثيه ، و هنا يمكن أن نضيف أن الوحده الباطله للشخص ، التي تصوره وكأنه يشكل وحده الواحد الكامل، تتناسب في المستوى البشري مع الوحده الباطله لما يسمى " الذره " في المستوى الكوني ، كلاهما مجرد عناصر يتم النظر إليهما على أنهما " بسائط " صوريه من وجهه النظر الكمّيه البحته ، و بهذا يتم افتراض إمكانيه تكرارهما بغير حد ، و الذي هو أمر مستحيل إن كنّا سنتكلم بجديه و دقه لأن هذا لا يمكن أن يتوافق مع طبيعه الأشياء ; بالفعل ، هذا التكرار اللامحدود ليس إلا الكثره البحته الذي يتوجه العالم المعاصر نحوها بكل قوته ، بدون القدره على أن يخسر نفسه كليا في هذا التوجه ، لأن الكثره البحته محلها تحت مستوى الكون الظاهر ، و تمثل الطرف المقابل تماما للمبدأ الواحد المتعالي .
بالتالي يجب أن يتم النظر إلى الحركه الدوريه الهابطه على أن محلها هو بين هذين القطبين ، تبدأ من الوحده ، أو بالأحرى من النقطه الأقرب إلى الوحده في مستوى الظهور ، بالنسبه لمستوى الكون المتصور ، و تدريجيا تتنزّل إلى الكثره ، أي بإتجاه الكثره المنظور إليها تحليليا و بدون أي إرتكاز على الوحده ، فإنه من الواضح بلا قول أنه في العالم المبدأي المتعالي الكثره كلها متحده جوهريا في الوحده نفسها .
يمكن أن يبدو ، بإعتبار ما ، أن الكثره كامنه في القطبين المتناقضين كليا ، كما تم تبيينه قبل قليل من حيث التناظر ، أنه يوجد وحده في طرف و " وحدات " في الطرف الآخر ، و لكن مفهوم التناظر المقلوب و التماثل المعكوس ينطبق هنا أيضا ، فمن ناحيه الكثره المبدأيه متضمنه في الوحده المتعاليه الميتافيزيقيه ، إلا أنه من الناحيه الأخرى الكثره الحسابيه أو "الوحدات" الكميه متضمنه في الطرف المقابل و الكثره السافله .
تلقائيا ، أليس مجرد إمكانيه الكلام عن " وحدات " بلسان الجمع يعبر بوضوح كافي عن مدى بُعد مفهوم هذه الكلمات عن الوحده الحقيقه ؟ كثره المستوى السفلي هي بحسب التعريف كمّيه محضه ، يمكن أن يقال أنها الكمّيه ذاتها ، متجرده عن كل كيفيه ; من الناحيه الأخرى كثره المستوى العلوي ، أو تلك التي يمكن الحديث عنها كذلك من باب التناظر ، هي في الواقع كثره كيفيه ، أي الجمع المعنوي بين الكيفيات أو الصفات المكونه لحقائق الكائنات و الأشياء .
فيمكن القول أن الهبوط المشار إليه يتجه من الكيفيه المحضه إلى الكمّيه المحضه ، و كلاهما يعتبر حدود قاطعه خارج الوجود الظاهر ، الأول فوقه و الثاني تحته .

بالنسبه للوضع الخاص لعالمنا أو مقامنا الوجودي ، هذان الحدّان يعبران عن المبدأين الكونيين و التي تم التعبير عنها في موضع آخر تحت مسمى " الجوهر " و " الماهيه " ، و هما القطبان اللذان ينشأ بينهما العالم كله .
هذه نقطه يجب أن يتم شرحها على نحو أكثر تفصيلا قبل الشروع في أي موضوع آخر ، لأنها توفر مفتاحا ضروريا لفهم أدق للمطالب التي سيتم تنميتها بعد ذلك في الدراسه .

...

١
- الكيفيه و الكميه -

(١)

عاده ما يُنظر إلى مفهوم الكيفيه و الكميه على أن بينهما علاقه تكامل ، و إن كان السبب الدقيق لهذه النظره غالبا ما يتم سوء فهمه ، و السبب الفعلي هو أن بينهما علاقه التناظر القطبيه التي تمت الإشاره إليها في ختام مقدمه هذا الكتاب .
و هذا هو مبدأ كل الثنائيات الكونيه ، و هو نقطه البدء ، لأن محله هو عين مبدأ الوجود أو الظهور الكوني ، و بدونه لا يمكن لأي شيء أن يظهر على الإطلاق : هو ثنائيه بروشا و براكريتي حسب القواعد الهندوسيه ، أو لإستعمال مصطلحات أخرى ، هو " الجوهر " و "الماهيه " .
هذان المفهومان يجب أن يتم النظر إليهما على أنهما مبادئ كونيه ، و على أنهما قطبا الظهور و لكن ، على مستوى آخر ، أو بالأحرى على أكثر من مستوى (لأنه يوجد عِدّه مستويات ، متناسبه مع المجالات الخاصه التي تقل أو تكثر و التي يمكن رؤيتها في باطن الظهور الكوني) ، هذان المفهومان يمكن أيضا أن يُستعملا في باب التماثل و من حيثيه نسبيه للإشاره إلى ما يتناسب مع القطبين الأصليين ، أو على نحو أشد مباشره أن يمثلهما في مجال أضيق و أشد محدوديه في طبقات الوجود .
و هكذا يمكن أن يتم الحديث عن الجوهر و الماهيه بالنسبه إلى عالَم ما ، أي لطبقه وجوديه مخصصه بظروف معينه ، أو بالنسبه إلى كائن ما مُعتَبر كذات منفصله ، أو حتى لكل طبقات وجود هذا الكائن ، أي لتجلياته في مختلف درجات الوجود : في هذه الحاله الأخيره ، يوجد فطريا تناسب بين ما يمثله الجوهر و الماهيه في الكون الصغير و بين ما يمثلاه ، من زاويه نظر الكون الكبير ، في العالم الذي يقع فيه ظهور الكائن : بعباره أخرى ، هما حينها مجرد تخصيصات للمبادئ النسبيه التي تُقيّد الجوهر الكوني و مادته بالنسبه للمستوى العالمي المعين .

(٢)

عن طريق فهمها بهذه النسبيه ، و بالأخص فيما يتعلق بالكائنات المقيده ، الجوهر و الماهيه يوازيان مفهوم " الصوره " و " الماده " في عرف الفلاسفه السكولائيين : و لكن من الأفضل تجنب إستعمال هذه المفاهيم الأخيره لأنها - بلاشك للغه اللاتينيه قصور في هذا المجال - تعبر

بنحو غير دقيق عن المقصود بها فيما يتعلق بهذه الأمور ، و أيضا لأنها مؤخرا قد اكتسبت إبهاما إضافيا بسبب المعاني المختلفه التي نُسِبت إليها في الكلام المعاصر .
أيا كان حال هذا الأمر ، أن يُقال أن كل كائن ظاهر مركب من "صوره" و "ماده" يساوي في المحصله القول بأن وجوده ينتج تلقائيا من كلا الجوهر و الماهيه ، و بالتالي القول بأن في كل كائن يوجد شئ يتناسب مع كل واحد من المبدأين ، على نحو يجعل كل كائن ناتج عن تزواجهما ، أو لنتكلم بدقه أكثر ، ناتج عن العمل الذي يمارسه المبدأ الفاعل ، الجوهر ، على المبدأ القابل ، الماهيه : و إن كان الإنتباه مُتوجه للحاله الخاصه التي للكائنات الفرديه ، ال"صوره" و ال"الماده" التي تُكوّن هذه الكائنات هما بالترتيب متطابقان مع ما يسميه التقليد الهندوسي ناما و روبا .
بما أننا ذكرنا موضوع الإنسجام و الإتفاق بين مختلف الإصطلاحات ، يمكن لهذا أن يُمكِّن بعض الناس من ترجمه الشروحات المعروضه إلى لغه لهم قدم أرسخ فيها من حيث عادتهم ، و نضيف أن التسميه الأرسطوطاليه " بالفعل " و " بالقوه " كذلك تتطابق مع الجوهر و الماهيه . الإصطلاحات الأرسطوطاليه قابله لتطبيقات أوسع من إصطلاحي " الصوره " و "الماده " ، و لكن أن يقال أنه يوجد في كل كائن خليط من الفاعليه و القابليه يؤول إلى نفس الشئ ، فإن الفاعليه هي ما به يتصل بالجوهر ، و القابليه هي ما به يتصل بالماهيه : الفاعليه المحضه و القابليه المحضه لا يمكن أن تتحققا في أي محل وجودي ، لأنهما حقا يساويا للجوهر الكوني و ماهيته .

(٣)

بناءا على أنه قد تم فهم ما سبق جيدا ، من الممكن الحديث عن جوهر و ماهيه عالمنا ، أي ، العالم الذي هو مجال أفراد البشريه ، و يمكن أن يقال أنه بالتوافق مع الشروط الخاصه التي تحدد هذا العالم و تجعله كما هو ، هذين المبدأين يتجليا فيه بالترتيب تحت مظهر الكيفيه و الكميه .
يمكن لهذا أن يبدو واضحا من أول نظره خصوصا فيما يتعلق بالكيفيه ، لأن الجوهر هو المبدأ الجامع لكل الصفات التي تتعلق بكائن ما و يجعله كما هو ، و بما أن الصفات و الكيفيات هما في الحقيقه مترادفان : و يمكن أن يُلاحظ أن الكيفيه ، بإعتبار أنها مضمون الجوهر ، إن جاز هذا التعبير ، ليست محصوره في عالمنا ، و لكنها قابله للتحويل على نحو يجعلها عالميه المدى .
لا يوجد شئ عجيب في هذا ، بما أن الجوهر يمثل المبدأ الأعلى : و لكن في أي عالميه كهذه تكف الكيفيه عن كونها ملازمه للكميه ، لأن الكميه ، خلاف الكيفيه ، مرتبطه حصرا بالظروف

الخاصه لعالمنا : بالإضافه ، من وجهه نظر عقائديه ، أليست الكيفيه مرتبطه بنحو ما بالإله نفسه عندما يتم الحديث عن صفاته ، بينما من الإستحاله الواضحه إظهار نسبه أي تحديد كمّي له .
يمكن أن يُعتَرض على هذا بأن أرسطوطاليس يجعل الكيفيه كالكميه ضمن " مقولاته " ، و التي هي حصرا صبغه خاصه بالكائن و ليست موازيه له : هو يفعل ذلك بدون إحداث التحويل الذي ذكرناه سابقا ، بالفعل هو لا يحتاج إلى إحداثه ، لأن تعداد "مقولاته" يتعلق فقط بعالمنا و ظروفه ، على نحو يجعل المقصود من الكيفيه إنما هو ما يتعلق مباشره بنا في مقامنا كأفراد، المفهوم الذي ، كما شرحنا سابقا ، يبدو متلازما مع الكمّيه .

(٤)

و من المثير للإهتمام من الناحيه الأخرى أن نلاحظ أن " الصوره " عند السكولائيين هي ما يسميه أرسطوطاليس ELOOC و هذه الكلمه الأخيره تُستعمل أيضا لتعني " النوع " ، و التي تعريفها السليم هو طبيعه أو جوهر مشترك بين كثره غير محدده من الأفراد .
الطبيعه الخاصه تنتمي إلى مستوى كيفي محض : فإنها حقا "لا يمكن عدّها " بالمعنى الدقيق للعباره ، أي مستقله عن الكمّيه ، كونها غير منقسمه و كامله في كل فرد منتمي للنوع، بحيث أنها غير متأثره إطلاقا بعدد هؤلاء الأفراد ، "زائد" أو "ناقص" أمور غير قابله للإنطباق عليها.
بالإضافه ، ELOOC ، هي إشتقاقيا " الفكره " ، ليس فقط بالمفهوم الحداثي النفساني ، و لكن أيضا بالمفهوم الوجودي الأقرب - مما يُتوقع عامه - للمفهوم الذي يستعمله به أفلاطون ، فإنه أيا كانت الفروق الحقيقيه في هذا الموضوع بين مفاهيم أفلاطون و أرسطوطاليس ، إذ كما يحدث عاده فإنه قد تمت المبالغه فيها من قِبل التلاميذ و المُعلّقين .
الأفكار الأفلاطونيه هي أيضا جواهر: أفلاطون يُعبر عاده عن الجانب المتعالي و أرسطو عن الجانب المتجلي ، و لكن هذا لا يعني عدم القابليه للتوفيق بينهما : بإستقلال عن أي نتيجه قد تقود إليها الروح " النسقيه/ السيستماتك " ، هي مجرد مسأله إختلاف مستويات : على أيه حال ، هم دائما يهتمون ب " المُثُل " أو المبادئ الجوهريه للأشياء ، هذه المبادئ تمثل ما يمكن تسميته بالجانب الكيفي للظهور .
بالإضافه لذلك ، الأفكار الأفلاطونيه ، تحت إسم آخر و بإرتباط مباشر ، هي نفس الشئ الذي تعبر عنه الأعداد الفيثاغوريه : و هذا يُظهر بوضوح أنه بالرغم من كون الأعداد الفيثاغوريه ، كما تمت الإشاره إليه من قبل ، تسمى أعدادا من باب التماثل ، هي ليست على

الإطلاق أعدادا بالمعنى العادي الكمّي للكلمه : هي على النقيض كيفيات محضه ، متناسبه مع الجوهر عكسيا كعلاقه الأعداد الكميه مع الماهيه .

(٥)

من الناحيه الأخرى ، عندما يقول القديس توماس أكويناس نيوميروس ستات اكس بارتي ماتريا فهو يتحدث عن أعداد كمّيه ، مؤكدا بذلك على نحو قاطع أن الكميه لها علاقه مباشره مع الجانب الماهوي للظهور .
كلمه " ماهيه " مستعمله هنا لأن ماتيريا بالمعنى السكولائي ليست بأي نحو مساويه لمعنى "الماده" كما يفهمها الحداثيون الفيزيائيون ، و لكنه من حيث الدقه " الماهيه " ، سواء أُخذت هذه الكلمه بمعناها النسبي ، كما عندما توضع في قِبال فورما و تُنسب لكائنات مقيده ، أو سواء أُخذت ، عندما تكون الماتيريا برايما هي المسأله المطروحه ، على أنها تعني المبدأ القابل السلبي للظهور الكوني ، أي ، على أنها قابليه محضه ، و بذلك كمساوي لمفهوم براكريتي في القواعد الهندوسيه .
أيا كان ، أول ما تكون " الماده " هي المسأله المطروحه ، أيا كان المعنى الذي تُؤخذ به ، يصبح كل شئ غامض بالخصوص و مرتبك ، و بلاشك ليس بلا سبب : و لذلك ، فتوفر الإمكانيه لتقديم شرح واف عن العلاقه التي تربط الكيفيه مع الجوهر دون الحاجه إلى الإطاله في البرهنه ، لا يغني عن ضروره أن نلج بعمق أكثر بخصوص العلاقه بين الكميه و الماهيه من أجل أن نضع تصورا أوضح للوجوه المتعدده للرؤيه الغربيه لل "ماده " حتى قبل قدوم الإنحراف الحداثي الذي قُدّر فيه لهذه الكلمه أن تلعب دورا عظيما : و من المهم جدا القيام بذلك لسبب إضافي و هو أن هذه المسأله بإعتبار ما متعلقه بالجذر الأساسي لموضوع هذه الدراسه .

...

٢
- ماتيريا سيغناتا كوانتيتت -

(١)

أطلق المدرسيون اسم ماتيريا ، عموما ، لما سماه أرسطوطاليس UAN ، و لكن هذه الماتيريا ، كما قيل من قبل ، ينبغي أن لا تُماهى مع " ماده " الحداثيين ، فإن فكره " الماده " ، المعقده و المتناقضه من بعض الجوانب بما فيه الكفايه ، تبدو غريبه عن الغربيين القدماء كما هي كذلك عند الشرقيين .

حتى مع التسليم بأن ماتيريا يمكن أن تكون "ماده" في بعض القضايا الخاصه ، أو لنكون أكثر دقه ، المفهوم اللاحق يمكن أن يتوافق مع المفهوم السابق ، إلا أن ماتيريا تتضمن أشياءا أخرى كثيره في الآن الواحد ، و إن هذه الأشياء الأخرى هي التي يجب أن يتم فرزها عن "الماده" : و لكن من أجل تسميتهم تحت إسم جامع من قبيل UAN أو ماتيريا ، ليس لدينا في اللغات الغربيه كلمه أفضل من " الماهيه " .

على كل حال ، UAN ، كمبدأ كوني ، هي قابليه محضه ليس فيها شئ مميز أو " مُفَعّل " ، و هي تشكل " دعامه " السلبيه للتمظهر كله : و بالتالي هي ، حين يتم أخذها بهذا الإعتبار ، تحديدا براكريتي أو الماهيه الكونيه ، و كل ما قيل في مواضع أخرى عن براكريتي ينطبق تماما على UAN بهذا الفهم .

الماهيه ، حين يتم فهمها بهذاالإعتبار النسبي على أنها ذلك الذي يُعبّر بالتماثل عن المبدأ الماهوي و تلعب دورها على نحو يزيد و ينقص في مستوى ضيق و مقيد من الوجود ، تضيف معنى آخر على UAN ، خصوصا حين يتلازم هذا المصطلح مع ELOOC ، ليعبّر عن الجانبين ، الجوهري و الماهوي ، للوجودات المخصصه .

(٢)

المدرسيون ، تبعا لأرسطوطاليس ، يفرقون بين هذين الجانبين بالحديث عن ماتيريا برايما و ماتيريا سكوندا ، و لذلك يمكن القول أن ما يسمونه ماتيريا برايما هو الماهيه الكونيه و ما يسمونه ماتيريا سكوندا هو الماهيه بالإعتبار النسبي ، و لكن ، بما أن المصطلحات تصبح قابله لتطبيقات متعدده لمستويات مختلفه في الوقت الذي يُتكلم فيه بالإعتبار النسبي ، ما هو ماتيريا عند مستوى معين يمكن أن يصبح فورما عند مستوى آخر ، و بالعكس ، على نحو يزيد و ينقص حسب تخصيصات هرم درجات الوجود الظاهر المنظور فيه .

و لا في أيه حاله يمكن للماتيريا سكوندا أن تكون قابليه محضه ، بالرغم من أنها يمكن أن تكون الجانب القابل من عالَم ما أو كائن ما : الماهيه الكونيه وحدها هي القابليه المحضه ، و محلها ليس فقط تحت عالمنا (سبستانشيا ، من سب ستار ، هي حرفيا " ما هو تحت " ، و هو معنى مرتبط أيضا مع أفكار من قبيل " دعامه " أو " قوام ") ، بل تحت كل العوالم و كل المقامات المشكله للتمظهر الكوني .

بالإضافه ، لكونها قابليه ، و " غير متميزه " على الإطلاق و الماهيه الكونيه الغير متباينه هي المبدأ الوحيد الذي يمكن أن يقال عنه بدقه " غير معقول " ، ليس فقط لأننا غير قادرين على معرفته ، و لكن لأنه بالفعل لا يوجد شئ فيه ليُعرف : أما بخصوص الماهيات النسبيه ، بالقدر الذي تشترك فيه مع قابليه الماهيه الكونيه ، بنفس القدر تشارك في " غير معقوليتها " .

و لذلك تفسير الأشياء يجب أن لا يُطلب من الجانب الماهوي ، و لكن على النقيض من ذلك يجب أن يُطلب من الجانب الجوهري : بترجمه ذلك إلى الرمزيه المكانيه ، فإن هذا يساوي القول بأن كل تفسير يجب أن ينطلق من الأعلى إلى الأدنى و ليس من الأدنى إلى الأعلى : و هذه الملاحظه لها أهميه خاصه عند هذه المرحله ، لأنها على الفور تُعطي السبب الذي يجعل العلم الحداثي بالفعل لا يحوي أي قيمه تفسيريه .

(٣)

قبل المضي قدما يجب أن يتم التنبيه هنا بأن "ماده" الفيزيائيين لا يمكن أن تكون إلا ماتيريا سكوندا ، حيث أن الفيزيائيين يعتبرونها حاويه لصفات ، و التي عفويا لا يتفقون كليا على تحديد طبيعتها ، ف "مادتهم" ليست قابليه و " لا تميّز " و لا شئ سوى ذلك : أيضا ، بما أن مفاهيم الفزيائيين مرتبطه بالعالم الحسي و لا تتجاوزه ، فإنهم لن يعرفوا ماذا يفعلوا بمفهوم كالماتيريا برايما .

غير أنهم . بحِيره عجيبه ، يتكلمون دوما عن " الماده الجامده " ، دون الإنتباه إلى أنها إن كانت فعلا جامده لما كان لها أيه صفات و لما تمظهرت بأي نحو من الأنحاء ، و بالتالي لما كانت جزءا مما يمكن لحواسهم أن تناله : مع ذلك يصرون على تسميه كل ما يدخل في نطاق حواسهم " ماده " ، بينما الجمود فعليا يمكن أن يُنسب بحق فقط للماتيريا برايما ، لأنها وحدها المترادفه مع السلبيه و القابليه المحضه .

الحديث عن " صفات الماده " مع تقرير أن " الماده جامده " هو تناقض لا يمكن حله : و ، بسخريه غريبه ، " العلمويه " الغربيه ، التي تدّعي إزاله كل " غموض " ، مع ذلك تَنشد بمحاولاتها المغروره التافهه للتفسير الشئ الوحيد الأكثر "غموضا" بالمعنى العامي للكلمه ، أي الشئ الأكثر إبهاما و الأقل معقوليه !

(٤)

يثور الآن السؤال ، بعد أن وضعنا جانبا فرضيه " جمود الماده " التي ما هي في الواقع إلا سخافه غير معقوله ، سواء كانت " الماده " ، و هي المشتمله على صفات محدده تزيد أو تنقص تُمكنها من التجلي لحواسنا ، هي عين الماتيريا سكوندا التي لعالمنا بالمعنى الذي فهمه السكولائيون .

الشك سيثور فورا فيما إن كان ثمه مقبوليه لمثل هذه المماهاه ، إن كنا سنلاحظ أن الماتيريا سكوندا محل النظر ، إن كانت ستلعب دورا في عالمنا يوازي ذاك الذي تلعبه الماتيريا برايما أو الماهيه الكونيه بالنسبه للتمظهر كله ، يجب أن لا تظهر في هذا العالم بنفسها بأي نحو من الأنحاء ، و لكن يمكنها فقط أن تخدم ك "دعامه" أو "جذر" لكل ما يظهر فيه ، و بالتالي ، الصفات المحسوسه لا يمكن أن تكون موروثه فيها ، و لكن على النقيض يجب أن تنمو من "الصور" المزروعه فيها : و هذا مره أخرى يساوي القول بأن كل ما هو صفه كيفيه يجب بالضروره أن يرجع إلى جوهر .

هنا حيره جديده تُبدي نفسها : الحداثيون الفيزيائيون ، في جهادهم لإختزال الكيفيه إلى كميه ، توصلوا عن طريق نوع من " الخطأ المنطقي " إلى نقطه الخلط بين الإثنين ، و من ثَم إلى وصف "مادتهم" بالكيفيه : و يؤول أمرهم إلى تعيين كل الحقيقه في " الماده " ، أو على الأقل كل ما يمكن أن يدركوه كحقيقه : و هذا هو بالضبط ما يشكل الذي يسمى " الماديه " بدقه .

(٥)

مهما كان ، الماتيريا سكوندا التي لعالمنا لا يمكن أن تخلو من كل التحديدات ، فإنها لو كانت كذلك لكانت غير مفترقه عن الماتيريا برايما نفسها في إطلاقيه " لا تميزها " : كذلك لا يمكن أن تكون نوع عام من الماتيريا سكوندا ، لأنها يجب أن تكون محدده حسب الشروط الخاصه التي لهذا العالَم ، على نحو يجعلها تلعب بفعاليه دور الماهيه بالنسبه لهذا العالم بالخصوص ، و ليس بالنسبه لأي شئ آخر .

طبيعه هذا التحديد يجب بالتالي أن يتم تفصيلها ، وهذا ما يقوم به القديس توماس أكويناس عندما يُعرّف هذه الماتيريا سكوندا خصوصا على أنها ماتيريا سغناتا كوانتيتت : الكيفيه بالتالي ليست موروثه فيها و ليست هي ذلك الذي يجعلها على ما هي عليه ، حتى لو كانت الكيفيه إنما ستُعتبر بالنسبه للعالم المحسوس : محلها مأخوذ بالكميه ، و الذي هو في الواقع اكس بارتي ماتيري .

الكميه هي واحده من الشروط الأساسيه للوجود في العالم الحسي أو الجسدي : هو الشرط الذي ينتمي بحصريه أكثر من أي شرط آخر إلى ذلك العالم : بالتالي ، كما قد يكون متوقعا ، تعريف الماتيريا سكوندا محل النظر لا يمكن أن يتعلق بأي شئ سوى هذا العالم ، و لكن يجب أن تكون له صله بهذا العالم ككل ، لأن كل ما يوجد في هذا العالم هو بالضروره موضوعا للكميه .

إذن التعريف المُعطى كافٍ تماما ، و لا توجد حاجه لوسم الماتيريا سكوندا ، كما تم لل "الماده" الحداثيه ، بصفات لا يمكن بأي طريق أن تنتمي لها واقعيا .

يمكن أن يقال أن الكميه ، مأخوذه على أنها تشكل الجانب الماهوي لعالمنا ، هي " أساس " أو شرط رئيسي : لكن يجب أن يتم الحذر من عدم الغلو و وسمها بأهميه من مستوي أعلى مما يمكن تبريره ، و بالأخص عدم محاوله إستخراج تفسير هذا العالم منها .

قاعده المبنى يجب أن لا تُخلط ببنيته الفوقيه : فحيث لا يوجد إلا القاعده لا يزال المبنى غير موجود ، و إن كان المبنى لا يستغني عن القاعده : على نفس النمط ، حيث لا توجد إلا الكميه لا يزال الظهور الحسي غير موجود ، و إن كان الظهور الحسي يجد عين جذره في الكميه .

الكميه ، في حد ذاتها ، إنما هي " استلزام " ضروري ، و لكنها لا تفسر شيئا : هي بالفعل أساس ، و لكن ليس أي شئ آخر ، و يجب أن لا يُنسى أن الأساس هو بحسب تعريفه ذلك الذي يكمن في أسفل مستوى ، فإذن إختزال الكيفيه إلى الكميه هو من حيث اللب ليس إلا "إختزال الأعلى إلى الأدنى " ، و البعض نسب بحق و دقه هذه الخاصيه للماديه : دعوى إستخلاص "الأكبر" من "الأصغر" هو بالفعل واحد من أظهر إنحرافات الحداثه .

(٦)

سؤال أخير يُقدّم نفسه : نحن نلتقي بالكميه تحت أنساق متعدده ، و بالأخص ككميه لامتصله، و هي ليست إلا عددا : و ككميه متصله ، و الممثله كأصل بالمقادير المكانيه و الزمانيه، فضمن كل هذه الأنساق أي واحد يمكن بأدق نحو أن نطلق عليه كميه محضه ؟ لهذا السؤال أهميته ، و بالإضافه لأن ديكارت ، و الذي محله هو نقطه البدايه لكثير من المفاهيم الفلسفيه و العلميه الحداثيه خصوصا ، حاول أن يُعرّف الماده بإعتبار و شرطيه الإمتداد ، و أن يجعل تعريفه مبدأ لفيزياء كميه ، و التي هي ليست " ماديه " كليا ، إلا أنها كانت على الأقل " آليه " ، و قد يكون من المُغري أن نستنتج أن الإمتداد ، على أنه موروث مباشره في الماده، يُمثل النسق الرئيسي للماده .

من الناحيه الأخرى ، القديس توماس أكويناس ، عندما يقول أن نيوميروس ستات اكس بارتي ماتيري ، يبدو أنه يقترح أن العدد يُشكل الأساس الماهوي لهذا العالم ، و بالتالي أن العدد هو الذي يجب للدقه أن يُنظر إليه ككميه محضه : و إسباغ خاصيه "أساسيه" للعدد يتفق تماما مع واقع أنه في القواعد الفيثاغوريه العدد مأخوذ ، بالتناظر المقلوب ، على أنه الرمز المعبر عن المبادئ الجوهريه للأشياء .

يجب أن تتم أيضا ملاحظه أن " ماده " ديكارت ليست بعد ذلك الماتيريا سكوندا التي للسكولائيين : و هي من الناحيه الأخرى مثال ، لعله الأسبق من حيث النقطه الزمنيه ، على "ماده" الفيزيائيين الحداثيين ، بالرغم من أن رأي ديكارت لم يشتمل عندها على كل ما نسبه أتباعه تدريجيا لها ليصلوا إلى النظريات المؤخره جدا حول " بُنيه الماده " .

يوجد بالتالي سبب للتوقع أنه قد يوجد خطأ ما أو خلط في التعريف الديكارتي للماده ، و أن عنصر ما ليس من المجال الكمي المحض يجب أن يكون قد تسلل إليه في تلك المرحله ، لعله غير متوقع من قِبل الذي أنشأه : طبيعه هذا الخطأ ستتوضح في الباب ٤ ، و الذي سنرى فيه أن الإمتداد ، بالرغم من أن كونه من خصاص الماده أمر جلي ، ككل شئ آخر منتمي للعالم المحسوس ، لا يمكن أن يُعتبر ككميه محضه .

و يمكن أن يُلاحظ أيضا أن النظريات التي تسير أبعد بإتجاه الإختزال للكمي هي عموما "ذريه " بطريقه أو بأخرى ، أي إنهم يُقدّمون اللاإتصال لمفهومهم عن الماده بطريقه تجعلها أقرب صله بطبيعه العدد منها إلى طبيعه الإمتداد : و عين واقع أن الماده التي منها تتصور الأجسام لا يمكن بحال من الأحوال أن تُدرك إلا على أنها ممتده هو ليس أبدا إلا مصدر للتناقضات في كل مذهب " الذريه " .

حاله أخرى تعبر عن الخلط هي العاده التي نمت لتعتبر أن " الجسم " و " الماده " تقريبا من المترادفات : فعليا ، الأجسام ليست بأي نحو ماتيريا سكوندا ، و التي لم تتم مقابلتها في أي مكان في الوجودات المتمظهره لهذا العالم ، إنما الأجسام ناميه منها كنموها من مبدأها الماهوي .

لكن العدد ، كالماتيريا سكوندا ، لا يُدرك أبدا مباشره و في حاله محضه في العالم الدنيوي ، و العدد هو الذي يجب بلا شك أن يتم إعتباره أولويا على أنه يمثل النسق الرئيسي لمجال الكميه : الأنساق الأخرى للكميه إنما هي مستمده من العدد ، أي إنهم كميه فقط بحكم صلتهم بالعدد : و هذا مُدرك على نحو مطلق و متضمن في أي موضع يُنال فيه ، كما هو الأمر في الواقع دائما ، أن كل شئ كمي يجب أن يكون قابلا للتعبير عنه عدديا .

في تلك الأنساق الأخرى ، حتى حين تكون الكميه هي العنصر الأبرز ، تبدو دائما على أنها بنحو يزيد أو ينقص مختلطه مع الكيفيه : لذلك إن مفاهيم المكان و الزمان ، بغض النظر عن

مجاهدات الحداثيين الرياضيين ، لا يمكن أبدا أن تكون حصريا كميه ، إلا بالفعل إن كان سيُقبل أنها يجب أن تُختزل إلى مفاهيم فارغه بالكليه ، بدون أن تمس أي نوع من الحقيقه الواقعيه : و أليس علم اليوم في الواقع الفعلي مصنوع إلى حد كبير من مثل هذه المفاهيم الفارغه ، " إصطلاحيه / إتفاقيه " بالكليه في شخصيتها و بدون أدنى أهميه فعّاله ؟ هذا السؤال الأخير يجب أن يُعامل بتماميه أكثر ، خصوصا فيما يتعلق بطبيعه المكان ، فإن هذا الوجه من السؤال له صله وثيقه بمبادئ الرمزيه الهندسيه ، مع كونها في نفس الوقت تُوَفر مثالا ممتازا على الإنحطاط الذي ينبغي على المفاهيم السنّيه أن تمر به من أجل أن تمسي مفاهيم نجسه ، الطريقه ستكون أن ننظر أولا كيف يمكن لمفهوم " القياس " ، عين قاعده الهندسه ، أن ينتقل ، بإعتبار سنّي ، بطريقه ما تعطيه أهميه مغايره تماما لما يربطه به علماء الحداثه ، فإنهم إنما يرون في " القياس " وسيله للوصول إلى أقرب ما يمكن من " مثلهم الأعلى" المنكوس المضطرب الفوضوي ، الذي يسعى للبلوغ تدريجيا إلى إختزال كل شئ إلى كمّيه .

...

٣

- القياس و الظهور -

(١)

إستعمال كلمه " الماده " ، بإستثناء عندما تكون المفاهيم الحداثيه بالخصوص تحت الفحص ، سيتم إجتنابه للأفضليه : و يجب أن يُفهم أن سبب ذلك يكمن في الخلط الذي حتما تؤدي إليه، إذ من المستحيل إستعمال الكلمه بدون الإثاره الفوريه ، حتى للذين يعون المعنى المختلف المرتبط بالكلمه من قِبل السكولائيين ، لفكره ما يطلق عليه الفيزيائيون الحداثيون " ماده " ، فإن هذا المعنى هو الوحيد الذي يُعتبر ذو قيمه في اللغه المعاصره .

هذه الفكره ، كما رأينا ، لا نجد لها مصداقا في أي قواعد سنّيه سواء كانت شرقيه أو غربيه: هذا يدلنا على الأقل أنه ، حتى بالقدر الذي يمكن أن يُقَر بها بعد تهذيبها من المعاني الغير مناسبه بل حتى العناصر المتناقضه بصراحه ، فإنها لا تحتوي على أي شئ بالحقيقه جوهري و هي متعلقه فقط بوجهه نظر واحده شديده التحديد في رؤيه الأشياء .

في نفس الوقت ، حيث أن الفكره جديده جدا ، فإنها لا يمكن أن تكون متضمنه في الكلمه نفسها ، القديمه جدا بالمقارنه ، فإذن لابد أن المعنى الأصلي للكلمه شديد الإستقلاليه عن المعنى الحداثي المنسوب لها .

إلا أنه يجب أن يُعترف أن الإشتقاق الأصلي لهذه الكلمه يصعب جدا تحديده - و كأنه يجب بدرجه تكثر أو تقل أن يُحاط بغموض غير قابل للإختراق كل شئ له صله ب " الماده " - و من النادر بهذا الخصوص أن يمكن عمل شئ غير تمييز بعض المفاهيم المقترنه بجذرها : هذا حتما لن يكون بلا فائده ، إلا أنه من المستحيل أن يُحدد بالضبط أي هذه المفاهيم المتعدده هو الأقرب إلى المعنى البدائي للكلمه .

(٢)

الصله التي يبدو أنها لوحظت في أكثر الحالات هي تلك التي تربط ماتيريا بماتر ، و هذا يتلائم جيدا مع فكره أن الماهيه هي المبدأ السلبي و أنها رمزيا أنثويه : يُمكن أن يقال أن براكريتي تلعب دور " الأم " بالنسبه للظهور وَ بوروشا " الأب " : نفس الشئ صحيح على كل المستويات التي التعالق بين الجوهر و الماهيه يمكن أن يُتصور فيها من حيث التماثل .

من الناحيه الأخرى ، يمكن أيضا أن تُربط نفس كلمه ماتيريا بالفعل اللاتيني ميتيري " أن تقيس " (و سيظهر لاحقا أنه يوجد في السنسكريتيه صوره أقرب منها) : " القياس " بأي

طريقه يعني التحديد ، و التحديد لا يمكن أن ينطبق على الماهيه الكونيه المطلقه عن التحديدات أو الماتيريا برايما ، و لكن يجب بالأحرى أن يرتبط بمفهوم ما غيرها أشد تحديدا ، و هذه النقطه نقترح الآن أن نفحصها عن قرب أكثر .
قال أناندا ك. كومارسوامي عن هذا الموضوع :

لكل شئ يمكن أن يُفهم أو يُنظر إليه (في العالم الظاهر) لدى السنسكريتيه فقط صيغه ناما-روبا ، المصطلحان الموازيان ل " المعقول " و " المحسوس " ، بإعتبار أنهما وجهان متكاملان يرجعان بالترتيب إلى جوهر و ماهيه الأشياء . من الحق أن كلمه ماترا ، و التي تعني حرفيا "قياس"، هي المساوي اللغوي الاشتقاقي لماتيريا : و لكن ذلك الذي "يُقاس" على هذا النحو ليس "ماده" الفيزيائيين ، إنه الممكنات الظهوريه الكامنه في الروح (أتما) .

فكره " القياس " ، حين توضع بهذه الطريقه في علاقه مباشره بالظهور نفسه ، هي مهمه جدا ، و هي بالإضافه بعيده جدا عن أن تكون مختصه بالتقليد الهندوسي ، و الذي كان محل النظر خصوصا لكومارسوامي هنا .
يمكن بالفعل حقا أن يقال أن الفكره موجوده في كل القواعد التقليديه بصوره أو بأخرى ، و ، مع أنه من المستحيل طبيعيا محاوله تعداد كل الإتفاقات المتعلقه بهذا الموضوع التي يمكن الإشاره إليها ، إلا أنه يمكن أن يقال ما يكفي لتبرير هذه المقوله ، و في نفس الوقت أن نوضح ، بأوسع مدى ممكن ، رمزيه " القياس " ، و التي تلعب دورا مهما جدا في بعض التشكيلات الولائيه .

(٣)

القياس ، مأخوذا بإعتبار حرفي ، يهتم كأصل بمجال الكميه المتصله ، أي ، أنه مهتم بنحو مباشر جدا بالأشياء المختصه بالمكان ، (لأن الزمان ، و إن لم يكن أقل إتصالا من المكان ، فإنه لا يمكن قياسه إلا بنحو غير مباشر ، عن طريق ربطه بالمكان بواسطه الحركه ، و بذلك توجد علاقه بين الإثنين) .
المحصله أن القياس إما أنه مختص بالإمتداد نفسه ، أو بما يصطلح عليه إتفاقا ب "ماده الفيزياء"، من حيث خاصيه الإمتداد التي يشتمل عليها هذا الأخير بالضروره : و لكن هذا لا يعني أنه من الممكن لطبيعه الماده ، كما اقترح ديكارت ، أن تُختزل لمجرد إمتداد لا غير .
في القضيه الأولى ، قد قيل بحق أن القباس " هندسي " : و في القضيه الثانيه ، من المعتاد أكثر أن يُطلق عليه " فيزيائي " بالمعنى العادي للكلمه : و لكن في الحقيقه القضيه الثانيه تندمج في الأولى، إذ إنما من حيث واقع أن الأجسام قابعه في الإمتداد و تحتل موضعا معينا منه يُمكن قياسها مباشره ، بينما خصائصها الأخرى غير قابله للقياس ، إلا بالدرجه التي ترتبط فيها بنحو ما بالإمتداد .

نحن عند هذه النقطه ، كما سبق التوقع ، على بعد شديد من الماتيريا برايما ، و التي في لا تمايزها المطلق ، لا يمكن لها أن تُقاس بأي طريق كان و لا أن تُتخذ كمقياس لأي شئ آخر : و لكن من الضروري أن نبحث إن كان مفهوم القياس بدرجه أو بأخرى ذو علاقه أقرب بأيا كان الذي يُكوّن الماتيريا سكوندا التي لعالَمنا ، و يتضح أنه يوجد علاقه بواسطه واقع أن الماتيريا سكوندا هي سيغناتا كوانتيتَت .
بالفعل ، إن كان القياس يرتبط مباشره بالإمتداد و ما يشتمل عليه ، فإنما من حيث الجانب الكمّي لهذا الإمتداد يُصبح القياس ممكنا : لكن الكم المتصل من حيث ذاته هو ، كما شرحنا ، فقط نوع مشتق من الكميه ، أي إنما هو كم من حيث إشتراكه في الكميه المحضه : و التي بدورها موروثه في الماتيريا سكوندا التي للعالم الجسدي : و بالإضافه ، مجرد كون الإتصال المستمر ليس كميه محضه، يجعل القياس دائما قاصر بدرجه ما في التعبير العددي عنه ، كما أن اللاإتصال العددي يجعل التطبيق الكامل للعدد في تحديد الأحجام المتصله مستحيلا .
العدد هو بالفعل الأساس لكل قياس ، لكن ، طالما أن العدد مأخوذ بالإعتبار وحده فلا يمكن أن توجد مسأله القياس ، لأن القياس هو تطبيق العدد على شئ آخر .
تطبيق من هذا النوع ممكن دائما في حدود معينه ، لكن فقط بعد الأخذ بعين الإعتبار "عدم الصلاحيه " المشار إليها آنفا ، و هذا ينطبق على كل شئ خاضع للحاله الكمّيه ، بعباره آخرى، لكل شئ متعلق بمجال الظهور الجسدي .
فقط - و هنا ترجع الفكره التي عبّر عنها كومورسوامي - يجب أن يتم الإنتباه بدقه شديده إلى أن ، بغض النظر عن بعض الإساءات الشائعه للغه العاديه ، الكميه ليست في الحقيقه أبدا ما يقع عليه القياس ، لكنها بالعكس ذلك الذي به يتم القياس : و أيضا ، يُمكن أن يقال نسبه القياس إلى العدد تتناسب ، بإعتبار التناظر المقلوب ، لنسبه الظهور إلى مبدأه الجوهري .

(٤)

من الثابت أنه من أجل أن نأخذ فكره القياس إلى ما يتجاوز حدود العالم الجسدي ، يجب أن ننقلها بحسب قانون التناظر و التماثل .
ظهور الإحتمالات الكامنه للمستوى الجسدي يقع في المكان ، فإذن المكان يمكن أن يُستعمل كمُمثل لكل مجال الظهور الكوني ، و الذي بغير ذلك لا يمكن أن " يتمثل " : ففكره القياس ، حين تُطبق على هذا المجال الشامل ، هي جزء جوهري في الرمزيه المكانيه التي يتم استعمالها بكثره .
إذن كقاعده ، القياس هو " تخصيص " أو " تحديد " مُتضمن بالضروره في كل الظهور ، في كل طبقه و في كل نسق : كتحديد ، هو يتناسب طبيعيا بحسب ظروف كل مستوى وجودي ، و هو أيضا بإعتبار ما متماهي مع هذه الظروف ذاتها ، كونها كميه حقه فقط في عالمنا إذ الكميه ، كالمكان و الزمان ، هي ليست أكثر من واحده من الظروف الخاصه بالوجود الجسدي .

و لكن يوجد في كل عالَم تحديد ما يمكن أن يتمثل لنا بالتحديد الكمي الذي نعرفه ككقياس ، لأنه التحديد الذي يتناسب في عوالم أخرى مع القياس في عالمنا ، بما بتوافق مع الظروف المختلفه لكل منهما : و يكن أن يقال أنه بهذا التحديد هذه العوالم الأخرى ، مع كل ما تحتويه ، مُدركه أو "مُفعّله" ، إذ إنها كامنه في عين عمليه الظهور .
يذكر كومورسوامي أن " المفهوم الأفلاطوني و الأفلاطوني الجديد ل "القياس" (UETPOV) يتوافق مع المفهوم الهندي : ال " غير مُقاس " هو ذلك الذي لم يتحدد بعد : ال " مُقاس " هو المحدد أو المحتوى المحدود للكون ، أي هو ، للكون " المُنَظّم " : ال " غير قابل للقياس " هو المطلق ، الذي هو مصدر كلا الغير مميز و المحدود ، و يبقى غير متأثر بتقييد كل ما يمكن أن يتحدد " أي بتحقيق إحتمالات الظهور التي يحملها في ذاته .

(٥)

فالواضح من هذا أن فكره القياس مرتبطه ارتباطا وثيقا بفكره " النظام " (بالسنسكريتيه "ريتا") ، و "النظام" هو بدوره مرتبط بانتاج الكون الظاهر ، حيث أن الكون ، حسب المعنى الاشتقاقي للكلمه الاغريقيه KOOUS ، نتيجه " النظام " و ليس " الفوضى " ، الأخير هو الغير محدد حسب الاعتبار الافلاطني ، و " الكون " المحدد .
إنتاج " النظام " أيضا مستوعب في كل التقاليد لل " إشراق " (الفيات لكس الذي في سفر التكوين)، إذ "الفوضى" متماهيه حسب التناظر مع الظلمات : حيث أن " الفوضى " هي حاله الكمون التي منها كنقطه بدايه " سيتفعّل " الظهور ، أي ، هي في الواقع الجانب الماهوي للعالَم، و الذي بالتالي يوصف بأنه القطب المظلم للوجود ، بينما الجوهر هو القطب المنير بما أن أثر الجوهر هو الذي ينير " الفوضى " التي في النظام ليستخرج منه " الكون " : كل هذا يتفق مع شبكه المعاني المتضمنه في الكلمه السنسكريتيه سريشتي ، التي تدل على انتاج الظهور ، و تحتوي معا أفكار "التعبير" ، " تصور " ، و "الاشعاع النوراني " .
الأشعه الشمسيه تُظهر الأشياء التي تنيرها حتى تصبح مشاهده ، فالأشعه بالتالي يقال رمزيا أنها "أظهرتها" : و إن تم الاخذ بعين الاعتبار نقطه مركزيه في المكان ، مع الشعاع الذي يشع منها ، يمكن أيضا أن يقال أن هذه الأشعه " تدرك " المكان بجعله يعبر من الكمون إلى الفعاليه ، و أن امتدادها الفعّال هو في أي لحظه مقياس المكان المُدرَك .
هذه الأشعه تتناسب مع جهات المكان حسب التعبير الصحيح (هذه الاتجاهات يتم التعبير عنها رمزيا في كثير منها بصوره " الشَّعر " ، و تمثيل مشابه يُستعمل بما يرتبط بالأشعه الشمسيه): المكان يْحدد و يُقاس بالصليب ذي الثلاثه أبعاد ، و في الرمزيه التقليديه ل "أشعه الشمس السبعه"، سته من هذه الأشعه مرتبه بازدواجيه متضاده تُشكل الصليب ، بينما " الشعاع السابع " ، الشعاع الذي يمر من " البوابه الشمسيه " ، يمكن أن يتم تمثيله صوريا بالمركز نفسه .

كل هذا مفهوم متسق تماما ، و مرتبط مع بعضه البعض بأصرم ما يمكن : و يمكن أن نضيف أن، في التقليد الهندوسي ، " الخطوات الثلاثه " لفيشنو ، الذي طبيعته "الشمسيه " معروفه جيدا ، تقيس " العوالم الثلاثه " ، و الذي يصل إلى القول بأنها " تُفعّل " الظهور الكوني بكُليّته .
نحن نعلم أيضا أن العناصر الثلاثه التي تُكوّن الكلمه المقدسه ذات المقطع الواحد **أُم** تُحَدد بمصطلح ماترا ، مُظهره بذلك أنها أيضا بالترتيب تُعبّر عن مقياس العوالم الثلاثه : و بواسطه هذه المانتراس، الموجود يدرك في ذاته المقامات أو الدرجات المتناسبه مع الوجود الكوني و بالتالي يصبح هو ذاته "مقياس كل الأشياء " .

(٦)

الكلمه السنسكريتيه ماترا تتطابق مع الكلمه العبريه ميدّا : و الميدوث توازي في الكابالا الصفات الإُلهيه ، و التي يقال أن الإله خلق بها العالم ، و هذا المفهوم يدخل مباشره في علاقه مع رمزيه النقطه المركزيه و جهات المكان .
و مما يتصل بهذا المقوله البيبليه ، و التي تقول أن الإله " رتّب الأشياء كلها بالمقياس و العدد و الوزن " : هذه الأنواع الثلاثه تمثل بوضوح طرق متعدده لظهور الكمّيه ، و لكن إنما تنطبق حرفيا على هذا النحو على العالم الجسماني لا غير ، و لكن بالنقل المناسب للمعنى يمكن أن تُعتبر كتعبير عن " النظام " الكوني . كذلك الأمر في الأعداد الفيثاغوريه، و لكن الظهور الكمّي المعين المرتبط كأصل بالقياس ، تحديدا ، الإمتداد ، هو نوع الظهور الكمّي الذي يؤتى به غالبا و مباشره بعلاقه مع إجراءات الظهور ذاته ، بحكم نوع ما من التسلط الطبيعي للرمزيه المكانيه بهذا الخصوص ، النابع من واقع كون المكان يعتبر " الساحه " (بمعنى الكلمه السنسكريتيه كشيترا) و التي يتم فيها نمو الظهور . باعتبار أن الظهور الكوني بالضروره يمثّل رمزيا كل الظهور الكوني .

(٧)

فكره القياس تبعث فورا فكره " الهندسه " ، إذ ليس فقط كل قياس من حيث الجوهر هندسه كما رأينا من قبل ، و لكن أيضا الهندسه نفسها يمكن أن يُطلق عليها علم القياس : و من الغني عن القول أن الهندسه المعتبره هنا هي المفهومه كأصل على نحو رمزي و ولائي ، و ما الهندسه المدنسه إلا انحطاط لهذه ، مُفرغه من المعنى الأصلي العميق ، و الضائع كليا عن الرياضيين الحداثيين .
هذه هي القاعده الجوهريه لكل التصورات التي تجعل الفعل الإلهي ، المفهوم على أنه ينتج و يرتّب العالم ، يظهر في " الهندسه " ، و بالتبع في البناء ، إذ لا يفترقان . (في الهامش : في العربيه ، كلمه الهندسه و التي معناها الأولي هو " القياس " ، تُستخدم للدلاله على القياس و البناء ، إذ الأخير هو في الحقيقه تطبيق للأول) : و من المعلوم أن هذه المفاهيم حُفظت و نُقلت بلا انقطاع في التسلسل من الفيثاغوريه (و التي لم تكن بنفسها إلا " تبني " و ليست في الحقيقه " إبداع ") نزولا

إلى ما لا يزال باقيا من التنظيمات الولائيه الغربيه ، بغض النظر عن مدى اللاوعي الذي تكون عليه هذه التنظيمات فيما يتعلق بهذه المفاهيم .
و يتعلق بهذه النقطه تحديدا هو مقوله أفلاطون بأن " الإله يقيس دائما " (AEI O OEOC YEWUETPEI) ، الرجوع إلى المفهوم الجديد "يقيس" ضروري حتى نترجم هذا بدقه ، إذ لا يوجد كلمه أصيله لوصف عمل الذي يقيس: و يقال أن مقوله " لا يدخل هنا إلا الذي يحسن القياس " كانت موضوعه على باب مدرسته ، مشيرا إلى أن تعليمه ، على الأقل من حيثيته الباطنيه ، يمكن أن تُفهم حقا و فعليا فقط عن طريق " الولايه " المدخله إلى الفعل الإلهي ذاته .
نوع من الصدى الأخير لهذا في الفلسفه الحداثيه (حداثي فقط من حيث تاريخه ، لكن في الحقيقه هو رد فعل مضاد لبعض الأفكار الحداثيه) يوجد في هذه المقوله للايبنيتز " في حال كون الإله يحسب و يمارس علمه { أي ، يضع خططه } يتم صُنع العالم " (دام ديوس كالكولات إت كوجيتاتيونيم اكسركت ، فيت موندوس) ، لكن ، كان لكل هذه الأشياء دقه و وضوح أبعد مدى بكثير بالنسبه لرجال السلف ، إذ في التقليد الإغريقي " الإله الذي يقيس " لم يكن إلا أبولو الشمسي الشمالي ، و بذلك يُرجعنا هذا مره أخرى إلى الرمزيه " السماويه " ، و في نفس الوقت إلى اقتباس مباشره نسبيا من التقليد الأول الأصيل : و لكن هذه مسأله أخرى ، و التي لا يمكن تنميتها هنا بدون الخروج كليا عن الموضوع : كل ما يمكن أن يُعمل الآن هو إعطاء ، حسب حدوث الفرصه ، بعض النظرات القليله داخل العلم التقليدي الذي تم نسيانه بالكليه من قِبل معاصرونا .

...

انتهت المقاله و الترجمه . و الحمد لله رب العالمين .

(النكاح و السفاح)

الأصل هو الرجل ، و و على رغبات الرجال تقوم الدول ، فلنتكلم في هذا المقال من زاويه الرجل . و من الظاهر أن اهتمامات الرجال فيما يتعلق بالدنيا يدور على أمرين ، يتوسل إليها بشيئين . الأمر الأول هو الولد ، و الآخر هو المرأه . و الشئ الأول هو المال ، و الآخر هو السلطه . و يُطلب المال و السلطه بعد ذلك لأسباب معنويه نفسانيه لسنا منها في شئ في هذه المقاله . فإن أرجعنا الفروع إلى الأصول ، سيظهر أن المال و السلطه يرجع - نعم بالمفرد لأن المال صوره سلطه و السلطه تطلب فاعليه المال و قيمته الغذائيه و الحكومه المفلسه ساقطه لا محاله - إلى الولد و المرأه ، و الولد بدوره يرجع إلى المرأه إذ هي وسيلته في نفس وقت كونها غايه لمطلب آخر هو المحبه و الشهوه و المتعه بالنسبه للعامه و الخاصه ، و لمطلب شهود التجلي الإلهي بالنسبه لأهل المعرفه أي حصرا الخاصه . و كل رتبه نعمه . و على ذلك ، كانت المرأه هي كعبه اهتمام الرجال على مر الزمان و في كل مكان ، حتى حين يتم لعن المرأه و حرقها و تعذيبها و شيطنتها فإنها لولا أهميتها الشديده في أعين هؤلاء الحاقدين ، و لو كانت فعلا كما يزعمون "غير مهمه " بالنسبه لهم ، لما نالت كل هذا الاهتمام منهم حتى تكون أهلا ليتوجهوا عليها بأصناف القهر ، و الإنسان لا يسعى لقهر أحد إلا إن شعر أن وجوده مقهور لهذا الأحد . فإن سعى لقهره فهو ليتخلص من قهره . و أما اللامبالاه فلا تنتج إلا ما يقتضيه اسمها و هو "اللامبالاه " . فأهميه المرأه للرجل ، واضحه ظاهره ، مباشره أو من وراء حجاب.

الذي وصلنا إليه في ما يخص هذه الرابطه يمكن جمعه في هذه الفقرات :

إنما يهمنا معرفه الأحسن بالنسبه للمسلم ، أي الرجل طالب العلم و العالم حصرا ، فإن الإنسان خليفه الله بالعلم ، و لذلك قال النبي عليه السلام " الناس اثنان : عالم و متعلم ، و سائر الناس همج". فلسنا من التنظير للهمج في شئ ، و ندع ذلك للفلسفات الغربيه و ما شاكلها . و بحسب نوعيه الإنسان الذي توضع القواعد له ، ستكون هذه القواعد ، فإنما يعمل كل إنسان على شاكلته . فالطالب العلم ، أي من يرى أن طلب العلم و شؤونه هو مركز الحياه و السعي ، ستكون له حياه منتظمه ، واضحه المعالم ، مرتبه السنن ، معقوله المعاني . بينما الهمج ستكون لأعمالهم غايات و أهداف في كثير من الأحيان إن لم يكن كلها إن دققنا النظر في كل عمل من أعمالهم ، مغايره لغايات طالب العلم أي الإنسان المسلم الذي لا يكون إلا " عالم أو متعلم " كما قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم . بغض النظر عن طبقته و درجته في ذلك . فإذن القاعده الأولى : تنظيرنا يختص بالعالمين و المتعلمين .

فإذا نظرنا في حياه المسلم ، سنجد أنها تدور - باستثناء قضيه المرأه و الولد التي هي محل البحث هنا - على أربعه أشغال . اثنان من الآخره العليا ، و اثنان من الدنيا و لأنه يعملهما في ظل الشريعه الإلهيه و الطريقه النبويه فهما من الآخره بالتبعيه . أما شغل الآخره فهو الذكر و الفكر ، كما قال تعالى عن أولى الألباب " الذين يذكرون الله ..و يتفكرون في خلق السموات و الأرض " فذكر الحق و التفكر في الخلق ، و كل ما سوى ذلك يتفرع عنهما أي ما سوى ذلك من فن و أدب . أما شغل الدنيا فهو الصحه و الأمن ، كما قال تعالى " الذي أطعمهم من جوع و أمنهم من خوف " و قال في آدم "إن لك ألا تجوع فيها و لا تعرى ، و أنك لا تظمأ فيها و لا تضحى " و قلنا صحه و ليس معيشه ، لأن العيش قد يتوفر مع المرض خصوصا حين يتم اكتسابها من طرق الحرام الذي يجلب الشؤم و العادات السيئه التي تضر بالجسم و النفس ، فالصحه هي المعيشه الطيبه . و كل التنظيمات الاجتماعيه و العمرانيه و السياسيه هي من شؤون الأمن . و يتميز أهل الله عن أهل الدنيا باقتصار أهل الدنيا على طلب المعيشه و الأمن ، و أحيانا - و هم خاصتهم - عندهم شئ من الفكر المتعلق بالمستويات الدنيا من الوجود حصرا كما هو شأن الغرب مثلا الذي لا يتجاوز تخوم ظواهر الأرض فضلا عن أن يكون ممن يتفكرون في نفس " خلق السموات و الأرض " ، و أما الذكر فحظهم منه كحظ الخنزير من معرفه حقائق الكواكب و صور الأبراج . فإذن القاعده الثانيه : المسلم الكامل من كان شغله في يومه مقسم على الذكر و الفكر و الصحه و الأمن . كل بحسبه . و الأولويه المطلقه للذكر و الفكر إذ الآخره خير من الأولى و أبقى .

لكن الرجل الذي امتلأ وجوده بالحيويه بحكم سيره على سنه العلماء التي ذكرناها في القاعده الثانيه، سيجد في جسمه رغبه ، صوره هذه الرغبه بغض النظر عن موضوعها و معانيها و أحكامها ، أي الصوره المجرده لهذه الرغبه هي أن يقذف المني . فكما أن العقل يقرأ و يكتب ، كذلك الجسم يأكل و يقذف . و القذف مطلب ذاتي بحكم الامتلاء ، و الامتلاء يؤدي إلى الفيض . العالم قد يزهد في الولد ، و قد يزهد في كل ما يمكن أن يستغني عنه في سبيل ذكره و فكره ، فإن في الذكر و الفكر انشغالا و تفكها و بسطا و أيضا تلبيه لعمق كبرياء الإنسان فأي مقام أكبر من أن تكون في حضره الله " أنا جليس من ذكرني " و أن تحصر الخلق في عقلك بواسطه أفكارك القابله أي التي تتصور الخلق أو الفاعله أي التي تنظم الخلق و تؤثر فيه بالأحكام و الدعوه و التعليم و التظيم . و لكن مهما زهد العالم في المرأه و الولد ، فإن لجسمه حكم طبيعي يدعوه إلى القذف . فالكلام الآن بخصوص هذا المستوى حصرا ، أي في كيفيه معاجله العالم لهذه الرغبه الطبيعيه لجسمه . أمامه كما هو أمام أي رجل آخر من أي طبقه احتمالات ، تعالوا ننظر فيها واحده تلو الأخرى .
إما أن يطلب امرأه أو أي مخلوق آخر ليضاجعها فقط رغبه في قضاء هذه الحاجه .
و إما أن يستمني ، سواء كان يتخيل الصوره المثيره أو لا أو يشاهدها أمامه .
و إما أن ينتظر حتى يحتلم .

و إما أن يختصي ، سواء بعمليه جراحيه أو بأكل قاتلات الشهوه من قبيل الكافور و ما شابه من طرق.
فهذه هي الاحتمالات الأربعه بالنسبه لمن يريد أن يتعامل مع رغبه جسمه في القذف ، كمجرد طريق للتخلص من باعث القذف .
أما طريق المرأه ، فإن الإنسان أكرم من أن يكون مجرد وسيله لمثل ذلك العمل ، و ليس هذا لدناءه القذف و الرغبه فليس هذا من قول أهل الله و الإسلام في شئ " حُبب إلي من دنياكم ثلاث..النساء". ثم إنه لا يمكن أن يوجد تنظيم عام لمجتمع المسلمين قائم على ذلك ، و الشرع جاء لمجتمع المسلمين و ليس لفرد منعزل بعينه . و إن كان في مجتمع ما - كالغرب مثلا - فشو شديد للنيك للنيك فقط ، أي حصرا للشهوه بلا تنظيم أسري و لا رغبه في ولد ، فإن النتيجه الحتميه ستكون فشو الأمراض إلى حد أن وصل الأمر بهم إلى أن يضطروا إلى لبس الواقي الذكري إما اتقاءا للولد أو اتقاءا للمرض ، و النيك بالواقي الذكري يشبه شمّ الورود و هي مغطاه بكيس من البلاستيك ، فالإباحيه في النيك أدت إلى إفساد لذته العاجله فضلا عن التناقص السكاني العالي عندهم بسبب قله التوالد نسبيا و انتشار العجزه فوق الحد السليم . فمقوله " النيك للنيك " قائمه على الرغبه في القذف للقذف و لماسه الذكر و الأنثى لبعضهم بعضا لغايه المتعه المصاحبه للمماسه ، و هذه المقوله تنقض نفسها بنفسها إن انتشرت انتشارا واسعا . و لهذا نحن نفرق بين " النكاح و السفاح " ، فالسفاح من سفح الماء لمجرد السفح ، و النكاح ما اشتمل على ميثاق و غايه التوالد و حسن الوفاق . فالسفاح لا ميثاق فيه ، اللهم إلا ما يجده الأطراف في أنفسهم في اللحظه القائمه ، فإن تغيرت هذه الأحاسيس تغيرت العلاقه بالكليه معها ، فلا استقرار . و أيضا لا غايه للتوالد فيه في الغالب ، بل ظهور الولد عرضي له. و حسن الوفاق ليس شرطا ضروريا إذ هو أقصر من أن يحتاج إلى وفاق فإنما الوفاق لمن يعيشون سويه أو توجد بينهما رابطه مستمره . فطريق القذف للقذف بواسطه امرأه ليس بطريق سوي و لا جميل عند من له حس و ينتمي إلى أمه الإسلام .
أما طريق الاستمناء ، فهو ذل ، فضلا عن أنه إسراف و تبذير . فالمني كالبذور ، و إلقاءها في المزابل تبذير " و إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين " .
أما طريق الخصاء ، فهو كفر بنعمه الله على مستوى الفرد ، و ليس من شأن أهل الله أن يكفروا برتبه من رتب الظاهر و الباطن بل إنهم ينمون كل مراتب وجودهم فهم أهل بسط لا قبض و سعه لا ضيق . و أما على مستوى الأمه فمصيبته أظهر من أن تجتاج إلى تدليل ، و هل الخصاء و اعتزال النساء تحديدا بالنسبه لكبراء الأمه و أهل النبل و العقل فيها إلا انتحار ، و إلا تضييق من عدد أبناء الأشراف و انتشار لعدد أبناء العوام ممن لا يتوفر عاده على التفرغ للعوالي . فأولى الناس بالتكاثر هم أبناء الساده و الأشراف و العلماء و الأولياء ، أي خلاصه أهل الوهب و الكسب . و منه منع رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم أصحابه من الخصاء ، مع أن الذين سألوه عن ذلك كانوا في حكم الأفراد . بل منع النبي عليه السلام حتى خصاء العبيد و جعل القصاص حكم السيد الذي يقتل

أو يجدع أو يخصي عبده . فالخصاء ممنوع على جميع طبقات الأمه . و لسنا أمه إضعاف قوى أنفسنا و أجسامنا ، بل العكس تماما . مع ملاحظه أن نصيحه سيدنا النبي عليه السلام للشباب بالتزوج في حال الاستطاعه ، و بالصيام في حال عدمها لأن الصيام "وجاء" يدخل في باب الخصاء و لكنه خصاء مؤقت و يمكن إزاله سببه و إعاده الفاعليه مع رفع علّته . و إن كان فقه هذا الحديث الشريف لم يدركه الكثير الذين لم يراعوا حقائق القرءآن و الزمان النبوي ، من قبيل أن الباءه في زمان النبي لم تكن تلك التي لهذا الزمان الفاسد ، فإن النبي زوج بعض أصحابه ممن لم يملك حتى خاتما من حديد ، و لسنا بصدد تفصيل فقه هذا الحديث و لكن أشرنا إشاره لأولي الألباب .
فلا يبقى إلا طريق الاحتلام . أي أن لا يلتفت لباعث الشهوه ، و يترك الطاقه المنتجه للمني - و هي طاقه عظيمه بها يتولد إنسان تام - تعيد انتشار ذاتها في الجسم كله ، و بذلك يزداد قوه إلى حد ما ، و أما الاحتلام فحين يأتي بحكم الضروره فإنما يأتي باردا مخففا عن الجسم ، و إنما يُخرج الفائض الغير لازم بالمره ، و هو وسيله طبيعيه للتفريغ .
فإذن القاعده الثالثه : بالنسبه للرجل المسلم الذي لا يريد تكوين أسره ، فلينشغل انشغالا لا يتلفت معه إلى رغبه جسمه في قذف المني ، و الفائض سيخرج بالاحتلام .

أما بالنسبه لمن يريد تكوين أسره ، و هو السنه و الذي يجب أن تُنظم الحياه العامه على أساسها و تيسيرها ، فإن الرجال في هذا الخصوص إما أن يكونوا في مجتمع ينظم شؤون النكاح على حدود الشرع و آدابه الميسره ، و إما أن يكونوا في ما سوى ذلك من مجتمعات و حالات . فإن كانوا في دار إسلام ، فإن دار الإسلام تسعى إلى التكاثر و تيسر سبله ، و قائمه على ما ييسر وجود الأسر و يحميها ، و لننظر الآن فقط من جانب التكاثر من الحيثيه الجسمانيه و الماليه حصرا .

بما أن الأجسام متفاوته في قوتها و صحتها و جمالها ، بالنسبه للذكور و الإناث على حد سواء ، فإن أفضل تزاوج هو ما يقوم بين ذكر و أنثى يملكون حظا من القوه و الصحه و الجمال . و بما أن القابليه على توفير الغذاء الجيد و التعليم الواسع بالتفرغ له و بتوفير مواده من كتب و أساتذه و نحو ذلك ، يكون المال غالبا شرط فيه ، فإن أفضل تزاوج هو ما يقوم بين ذكر أو أنثى يملك أحدهما ما يكفي من المال لتوفير ذلك . فالأولى هي الشروط النفسيه ، و الثانيه هي الشروط الماليه . فكلما علت درجه النفس و المال ، كلما كان الزواج أفضل كما ذكرناه .

و بما أن حياه المسلمين في هذا العالم ستكون دائما عرضه للجهاد الأصغر بحكم وجود أعداء للحق و هذا الأمر " و لكن أكثركم للحق كارهون " ، أو لا أقل أنه سيوجد عداء للإسلام و المسلمين بحكم الاختلاف في القيم و المناهج و الرؤيه أي الدين ، فإنه - و كما هو مشاهد على مر التاريخ و في يومنا هذا تحديدا - فإن أشد الناس عرضه للقتل و الحروب هم المسلمين ، و لذلك نحتاج إلى التكاثر أكثر من غيرنا من باب التعويض و التوسع . فإنما يعلو الإسلام في الأرض - بحسب أسباب الناس-

بالتواصل و التفاعل و التكاثر . التواصل هو الدعوه الناطقه بكل صورها ، و التفاعل هو الأسوه الحسنه أي الدعوه الصامته ، و التكاثر هو ازدياد عدد المسلمين في الأرض . فالتكاثر ثلث النصر . و كما نرى في الغرب مثلا ، فإن قله تكاثرهم - بغض النظر عن السبب - هو أحد أهم عوامل ضعفهم المستقبلي ، و هم يحاولون تصدير هذه الذهنيه الميته العقيمه لبلاد المسلمين ، فليحذر أهل العقل من ذلك العقم بشتى وسائله و ذرائعه السخيفه . إلا أن التكاثر المعتبر ليس فقط بالكميه و لكن بالكيفيه . فالنبي عليه السلام قال " بل أنتم كثير و لكنكم غثاء " فأثبت الكثره الكمّيه ، و نفى الكثره الكيفيه . و هذه مصيبه ، فإن كل فرد ينقلب إلى الكفر النظري أو العملي هو انتصار للعدو و عضو جديد نقدمه إلى حزب الشيطان . فيبنغي أن يصاحب تيسير التكاثر الكمّي ، تيسير التكاثر الكيفي ، و ذلك بالعلم و الإيمان و طرق ذلك كما هي مبسوطه عند علماء الأمه و أولياء الله فيها .

كيف نيسّر التكاثر الكمّي ؟ الجواب : يبدأ استعمال الرئه عند الإنسان عندما تنضج الرئه و تصبح لها قابليه على العمل ، و يبدأ استعمال العين عندما تنضج العين ، و استعمال اللسان و الأكل عندما ينضج الجهاز الهضمي و تصبح له قابليه على البلع و الهضم ، و هكذا في بقيه أعضاء بدن الإنسان و قابلياته ، و لكن الغريب أن كل أجهزه الإنسان يقر الجميع بوجوب استعمالها عندما تتفعل قابلياتها و يصبح عنده الاستطاعه على استخدامها ، و كذلك الذهن و التعليم مثلا ، اللهم إلا جهازا واحدا ينال من التعسف و القمع ما لا تناله الأجهزه الأخرى ، و هو الجهاز التناسلي - و نستعمل كلمه " جهاز " ليس بالمعنى الآلي الميكانيكي و إنما من باب تنظيم العباره عن مجموعات الأعضاء في بدن الإنسان و إن كانت كلها متصله ببعضها إلا أن بينها تمايزا واضحا يسمح بالحديث عن كل واحد منها بانفصال عن أخيه . فأول خطوه لتيسير التكاثر الكمّي هي تغيير نظرتنا للجهاز التناسلي، و إعطائه حقه في العمل و الفاعليه من يوم وجود الاستعداد فيه كما نفعل مع بقيه الأجهزه و الأعضاء في البدن . فإن كان الناظر من القائلين بالصانع سبحانه الذي أحسن كل شئ خلقه ، فإنه يكفيه أن يرى قابليه عضو على الفعل و النمو و العطاء ليدرك أن الصانع سبحانه يريد فاعليته . و إن كان الناظر من القائلين بالطبيعه ، فإن الطبيعه تقتضي أن يتم تفعيل العضو أيضا و تركه على "طبيعته" بغض النظر عن الاعتبارات الأخري - لا أقل في بادئ الرأي . فلا يوجد عقيده كائنه ما كانت تقتضي أن يتنفس الإنسان حينما يستطيع ، و يأكل حين يستطيع ، و لكن لا يضاجع حين يستطيع . هذا تحكم و تعسف ناشئ عن أمراض سنأتي على ذكر بعضها لاحقا إن شاء الله إن سنح المجال . و لكن يكفينا الآن لتغيير نظرتنا ملاحظه واحده تتعلق بأي عضو بدني و هي الملاحظه التاليه : حينما يستطيع يجب أن يفعل .

هل يمكن تعيين عمر معين يتم تعميمه على الكل بأنه سن البلوغ أي الاستطاعه البدنيه على الجماع سواء من الذكر أو الأنثى ؟ الجواب : الأصل أن البلوغ قضيه واقع ، و ليست قضيه قانون . و القانون في أفضل الأحوال يأخذ متوسط ما عليه الحال العام و يجعله معيارا تتذبذب حوله الشواذ و

النوادر ، مما يعني بالضروره أن القانون سيظلم الشاذ عن المعيار الذي وضعه - هذا في حال كان المعيار قائم فعلا على " المتوسط " و على فرض أن استخراج مثل هذا المتوسط ممكن أصلا فالقضيه ليست رياضيه كمّيه كما يتوهم عبيد الكم . القانون ظالم بطبيعته و لا يستطيع إلا أن يكون كذلك . لأنه يريد أن يفرض على الجميع ما لا يصح إلا على بعضهم و هو يدرك ذلك و لكنه يتذرع بأنه "من باب الضروره التنظيميه " و هذا عذر لا بأس به فعلا ، اللهم إلا أن مجرد الحاجه إلى التذرع به تقتضي منا أن ندرك أنه ينبغي علينا أن لا نعمل به و لا نضع القوانين إلا كما نأكل لحم الميته و الخنزير : للضروره بقدر الضروره مع السعي لإزاله الضروره . ففي الأحوال التي لا نضطر قهرا إلى وضع معيار عام ينبغي أن لا نضعه . و حين نضع المعيار العام ينبغي أن نضع شرطا استثنائيا بحيث نراعي النادر و الشاذ حين يظهر . و مثال ذلك كله قضيه البلوغ . فالبلوغ هنا هو شأن البدن. و عند الذكر يتمثل في قابليه الذكر على قذف المني ، و علامته الاحتلام . و عند الأنثى يتمثل في قابليه الرحم على الحمل ، و علامته الحيض . هذا هو واقع البلوغ . و أما أن يقال : البلوغ التناسلي هو عندما يبلغ الإنسان العاشره أو الخامسه عشر أو الثامنه عشر أو السبعين أو التسعه آلاف هذا كله كلام فارغ من حيث الواقع الفعلي للناس ، و هو تحكم اعتباطي ، مدفوع بنزعه كمّيه فرعونيه جائره ، و قس على ذلك ما شابه هذا العمل . و لذلك لا تجد في القرءآن الكريم مثل هذه المعاير الاعتباطيه ، و إن وجدت في تنظيمات الفقهاء - رحمهم الله و رضي عنهم - مع مراعاه العقلاء منهم دائما للجانب الكيفي ، و هو الاحتلام و الحيض في قضيه البلوغ مثلا . فالأسلم للجميع بين العدل و التنظيم العام هو الجمع بين المعيار الكيفي و الكمّي ، مع جعل الكيفي هو الحاسم في حال وقوع اختلاف أو نزا ع أو تردد كما هو الحال في الشاذ و النادر . فمثلا ، قول الغرب عموما بأن البلوغ الذي يبيح التناسل هو عند بلوغ الثامنه عشره ، ليس بأقل اعتباطيه من القول بأن البلوغ هو عند بلوغ الخامسه عشره ، أو عند بلوغ الأربعين . هو اعتباط في اعتباط . اللهم أن الفرق يكمن في مدى تعطيل الجهاز التناسلي و استمرار القمع النفساني و تعزيز التباين و شبه الكره بين الذكر و الأنثى و غير ذلك من أعراض المرض الأصيل الذي هو الكفر بنعمه الله - بلسان البعض - و كبت الطبيعه- بلسان البعض الآخر . أما القرءآن الكريم ، فترك تحديد ذلك للمعايير الكيفيه المباشره ، كما هو معلوم، و هل تأتي الفوضى إلا بمخالفه كتاب الله تعالى . فالحاصل هو التالي : إذا احتلم الذكر فقد بلغ ، و إذا حاضت الأنثى فقد بلغت ، و إذا بلغ الإنسان وجب تزويجه و تفعيل جهازه التناسلي .

إني أسمع ما يدور في خلدك ، و مما يدور فيه هو الفكره التاليه : نعم سلمنا بأن قدره العضو على الفعل دليل على أن الله تعالى سمح بالفعل و من الطبيعي أن يمارس حقه في الفاعليه و النمو ، و لكن ينبغي أخذ ثمره الفعل في عين الاعتبار ، فإن نفسيه الإنسان قد لا تكون جاهزه للارتباط في هذه الفتره من العمر ، و هذا سيؤدي إلى تكاثر الناس بطريقه مذهله مما يؤدي إلى صعوبات في تغذيتهم و رعايتهم ، فما تقول في ذلك ؟ و الجواب : الحمد لله اتفقنا على قاعده التفعيل الطبيعيه ، و

الحمد لله أننا اتفقنا على أن " هذا سيؤدي إلى تكاثر الناس بطريقه مذهله " و هذا مرادنا في هذه المرحله من البحث . و الأن بقيت الإجابه عن أمرين ، قضيه النفسيه و قضيه الرعايه .

أما النفسيه ، فأولا على الأغلب لا يوجد أحد اليوم يستطيع أن يجزم أو يدرك بحال نفسيه من يتزوج (بالمعنى الحقيقي و ليس الشكليات الرسميه التي يقوم بها السفهاء في الغرب و الشرق) لسبب بسيط و هو أنهم لم يجربوا ذلك و لا يعرفون من جربه فعلا . فالنمط العام هو قمع و قهر و كبت أتى بأنواع لا تحصى من العقد النفسيه و الأمراض الدفينه البدنيه . فادعاء حدوث صعوبات من التزوج المبكر - و هو ليس مبكرا بل هو الطبيعي و إنما يسميه " مبكرا " من يقيسه على عدد معين اختلقه اعتباطا - هو رجم بالغيب و قول بلا أي دليل . ثانيا ، إن القول بأن الصنعه الإلهيه و الطبيعه العاقله قد هيأت العضو للعمل مع حدوث الخلل إن تم العمل هو سخف هو سخف لا يحتاج إلى رد ، و هو يوازي سخف من يقول بأنه يجب أن نسد آذان الأطفال بالقطن حتى يبلغوا عشرين سنه ثم نفتحها لهم ليستخدموها ، تأمل نوعيه المرض الفرعوني الذي يجب أن يكون عليه الإنسان ليتصور مجرد تصور و يبيح لنفسه القيام بمثل هذا الظلم في حق الآخرين . ثالثا ، كلما زادت قوه البدن و صحته و عافيته كان هذا أدعى إلى قوه النفس و صحتها و عافيتها ، سواء كانت النفس السفليه المتفرعه عن البدن أو النفس العلويه الحاكمه على البدن و التي البدن بالنسبه لها كالوعاء ، فانظر من أي زاويه حكميه و فلسفيه شئت ، لا يوجد شئ منها يقتضي بالضروره و لا بالأرجحيه العادله أن يكون ثمه أذى نفساني متفرع عن تفعيل قوى البدن و توسيع مدى العمل الطبيعي له . و حسبنا هذا للجواب عن القضيه الأولى .

أما الرعايه ، فهي المرحله الثانيه في مسأله التكاثر ، و هي من فروع التكاثر الكيفي ، و قد سبق أن بينا أننا نحتاج إلى تفصيل القول فيها ، و لكننا بدأنا بالتكاثر الكمّي لأنه الأصل هنا ، فأولا الإناء ثم الماء . " الإمداد بقدر الاستعداد " .

و إذ تبيّن أن أفضل وسيله للتكاثر الكمّي تبدأ من تفعيل الجهاز التناسلي للإنسان من يوم يبدأ في العمل ، و حقيقته عند الذكر هي القابليه على قذف المني ، و حقيقته عند الأنثى هي قابليتها للحمل ، و علامته عند الذكر هي الاحتلام ، و علامته عند الأنثى هي الحيض ، فإننا ننتقل إلى المرحله التاليه و هي المتعلقه بكيفيه تنظيم نشوء العلاقات الزوجيه بين الذكر و الأنثى أيا كان عمرهما ، ثم بكيفيه رعايه ثمره هذا الزواج و هو الولد .

رعايه الأولاد ستكون بيد ثلاث طبقات ، في حال تخلفت الطبقه الأولى يتم الانتقال إلى الثانيه ، و هكذا بالترتيب . الأولى هي الوالد ، و الثانيه هي الأسره ، و الثالثه هي الدوله . فإن كان الوالد غيد مستقل بكسب معيشته و قابل لتعليم ولده و رعايته ، يتم الانتقال إلى أسره الوالد أي والده و والدته و

إخوته إذ الأسره هي الجماعه الأولى في الدوله من حيث المعيشه و تدبير شؤونها ، فإن لم يرغب الوالد أو أسرته برعايه الولد بغض النظر عن سبب عدم الرغبه سواء كان نابع من عدم استطاعه ماليه أو نفسانيه أو غير ذلك ، فإن الدوله ينبغي أن تتكفل برعايه الأولاد ، " السلطان ولي من لا ولي له " .

الوالد و الوالده ، إما أن يكون مكتسب لمعيشته بنفسه و قابل على الاستقلال مع بلوغه ، أو أنه قد بلغ و ما زال عائلا عند أسرته ، أو أنه قد بلغ و هو تحت ولايه السلطان و الدوله . فلنسم الأول " المستقل" و الثاني "العائل" و الثالث "المولى" . و هذه هي الأصناف الثلاثه لكل أفراد الدوله الإسلاميه - من هذه الحيثيه . و وصف المستقل و العائل و المولى ينطبق على الذكر و الأنثى على حد سواء .

و قبل أن نتحدث عن كيفيه حدوث التزويج ، ينبغي أن نحدد معنى التزويج . بما أن الإنسان في الإسلام عبد الله و خليفه الله ، و هو يحيا للذكر و الفكر في المقام الأول ، و لطلب المعيشه و الأمن في المقام الثاني التابع ، و بما أن معظم يومه سيكون مستهلكا في هذين الأمرين ، فإنه لن يبقى له لما سوى ذلك من مطالب إلا وقت قليل في كل يوم . و من هذا الوقت القليل المتبقي يصرف لقضيه الزواج . فالزواج عندنا ليس " ارتباط أبدي " و لا أي شئ من هذه المفاهيم الرومانسيه و غيرها مما لا نريدها و إن كانت ممكنه ، و هي ليست ممكنه في واقع الناس في الأعم الأغلب ، و معظم من يتغنى الناس بحكايات عشقهم هم إما أطراف لم يتيسر لهم العيش مع بعضهم - كليلى و المجنون- و إما أناس لا ندري ما حدث لهم بعد أن تعايشوا مع بعضهم لفتره و بردت حراره الفراق و لهيب الشوق منهم بعد الاستقياظ بجانب بعضهم البعض لمده ثلاث سنوات ، أو أفلام هوليوود و بوليوود التي لا تتجاوز في واقعيتها حدود الكاميرا و شاشه السينما و المسارح . فالرومانسيه تقع في خانه الجميل في الخيال و القبيح و الباطل في الواقع ، و عشق الذكر و الأنثى لبعضهم البعض غالبا ما يتخذ صوره تملك و رغبه في السيطره و الحد و استهلاك النفس و الطاقه و الأفكار في الخيالات و الهوس القلبي الذي ينتهي بتدمير حريه الطرف الآخر أو حدها حدا قبيحا ، و العشق كالقنابل النوويه ، لا يمكن أن يؤتمن عليها تقريبا أي أحد . و لم يقم نظام في الماضي و لا الحاضر و لن يقوم في المستقبل أي نظام فعلي للناس بناءآ على هوس الرومانسيين المبالغ فيه جدا ، و هو أمر في جميع الأحوال زهيد بالمقارنه مع الحياه العميقه لأهل الذكر و الفكر و العشق الأعلى و المعيشه الممتلئه بالحيويه و الحريه . فأول الكلام هو أن الزواج ليس قيد حديدي يربط ذكر بأنثى و لا العكس. الزواج في حقيقته الأصيله هو نكاح الذكر للأنثى لإنتاج الولد و المتعه المصاحبه للعمليه هي من الرحمه الإلهيه كالمتعه المصاحبه للتغذيه و تناول الطعام بواسطه اللسان ، و السفيه فقط هو الذي يثير لسانه من أجل إثاره لسانه بغض النظر عن التغذيه و تحصيل الصحه و زياده القوه . المتعه بوابه رحمانيه للفائده ، فلا فصل عندنا بين المتعه و الفائده ، و لكن الأولويه للفائده في حال التضارب، و لذلك يتحمل الناس مراره الدواء على اللسان في سبيل مروره إلى المعده و تحصيل الصحه التي هي الفائده . ففي حال وقع تضارب بين المتعه و الفائده ، تُقدم الأولويه عند أهل العقول

السليمه و النفوس الحيويه . و أما عند ضعاف القلوب و الإراده فإنهم يقدمون المتعه على الفائده ، و أخسهم قدرا - و هم أتباع المذهب الغربي عموما - هو الذي يفصلون المتعه عن الفائده بالكليه ، و يجعلون المتعه " غايه في ذاتها " ، و هو شبيه بتمرير الطعام على اللسان ثم لفظه ، حتى يستشعر اللسان لذه الطعام ، إذ لا لذه للطعام فيما وراء الحنجره ، و بعد البلع لا تبقى إلا الفائده أو الضرر ، و كما قال حضره علي عليه السلام ، و أنقل بالمعنى : فرق بين عمل تذهب مؤونته و تبقى فائدته ، و عمل تذهب لذته و تبقى مصيبته . و على ذلك ، الأولويه الكبرى التي تحدد الزواج و معناه هي الولد . و المتعه المصاحبه لذلك هي من باب الرحمه الإلهيه و التيسير الرباني و النعمه الزائده ، فتُشكر النعمه و تُعطى حقها ، و لا يتم قتل الغايه من أجل الوسيله .

فالزواج هو إنجاب الأولاد . أما بقيه العناصر المحيطه به ، فإنما هي من باب تيسير الحياه بين الزوجين سواء من أجل تربيه الأولاد أو من أجل تحسين التعايش بينهما من أجل طلب المزيد من الأولاد في المستقبل . و بيت لا أولاد فيه ، سواء أولاد نسب أو كفاله ، هو بيت ميت لا حيويه فيه . فعلى كل متزوج عقيم أن يكفل يتيم . و هذا ما أشار إليه القرءآن في قصه فرعون و كفالته لموسى ، و العزيز و كفالته ليوسف ، و زكريا و كفالته لمريم ، و غير ذلك مما يحتاج إلى نظر فلا نذكره الآن . فالزوج - أي الذكر و الأنثى الذين عقدوا عقده النكاح و النكاح أعم من الملامسه المنتجه للولد إذ هو مجمل العلاقه بكل حقوقها و حدودها و فضلها - إما أن يكون صالح أو غير صالح . أي صالح للإنجاب . فإن كان صالح فبها ، و إن لم يكن صالح فعليه أن يكفل من الأولاد الذين هم تحت كفاله السلطان و الدوله ، و لا إجبار إذ لو لم يرد ذلك لكان قاصرا في أعين الشرع و الحكمه ، و في السلطان كفايه .

أما المستقل ، فهو باستقلاله المتضمن بالضروره للرشد إذ لا استقلال بلا رشد " فإن ءانستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم " ، ثم " تبتغوا بأموالكم محصنين " ، يستطيع أن يبحث عن النكاح بنفسه . فيحق للذكر أن يطلب الأنثى ، و للأنثى أن تطلب الذكر ، سواء بسواء . ثم بقيه تفاصيل النكاح و أدابه فصلها الشرع الميسر فلا نزيد فيها هنا .

أما العائل ، فهو بحكم تبعيته لعائلته و عيشه معهم و اعتماده عليهم ، ينبغي على عائلته أن توفر له النكاح و تسعى لذلك سواء عن طريق ربطه بمستقل أو عائل آخر أو بما عند الدوله من رعايا .

أما المولى ، فالدوله نفسها بحكم ما تحت ولايتها من ذكور و إناث تقوم بتزويج بعضهم من بعض، فإن كان ثمه فائض تم توفيره للمستقلين و العائلين .

في ظل حياه قائمه على قيم المسلمين ، كما هي حياه الكثير جدا من أفراد الأمه اليوم و في كل يوم و لله الحمد ، فإن الانشغال بأعمال الآخره و الدنيا لن يسمح بوجود فائض من البطاله و العطاله لقتله في التفاهات و ما لا يعني و لا يفيد خيرا في عاجل أو آجل بل يأتي بالضعف في العاجل و الخسران في الآجل على الأغلب ، فإنه في ظل مثل هذه الحياه لن يحتاج الناس إلى أن ينشغلوا كثيرا في قضايا النكاح و تفاصيل الحياه العائليه اللهم إلا فيما لابد منه و يكون له أثر واقعي و سبب قاهر ، و ليس مما ينشأ بسبب كفر النعم و إنكار القيم و العبث و سوء الفهم . و لا يقال "إن هذه حياه ملائكه " ، و إنما يقول ذلك المثبط الذي لم يعقل ما قلناه ، و لم يذق طعم حياه المسلمين فعلا ، بل هو من " الهمج " بعباره سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم . القضيه بكل بساطه هي نوم ثلث اليوم على الأكثر ، عمل للمعيشه و الأمن ثلث اليوم كذلك على الأكثر ، و في هذين الثلثين يشترك عموم الناس من مختلف الملل و النحل و الدول ، فيبقى الثلث الأخير ، و ما يتخلل الثلث الثاني من اليقظه ، فعند المسلمين عموما تجد الصلوات الخمس بأورادها ، و وجبه طعام أو ثلاثه على الأكثر ، دراسه قرءآن و سنه و كتب العلماء و الأولياء ، مجالس المسامره و المحاضره و المذاكره ، و خلوه و فراغ و خيال حر ، و شئ من الرياضه و النزهه ، فإذا باليوم قد انقضى . هذا هو النمط العام لحياه المسلمين في حال السلم بل و الحرب . ثم الفروق في هذه التفاصيل هو أمر بديهي و طبيعي . فمن أين سيأتي إنسان يحيا بمثل هذا النمط العميق و السليم و الحيوي و الشامل و المبسوط و المفرح بوقت لسخافه العاطلين البطالين مما يقوم به من لا يفقه معاني هذا النمط و لا ما شاكله و شابهه . اللهم في حال وجود زواج في حياه المسلمين - رجال و نساء - سيكون فيما بين هذا النمط العام - كما كان حال سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم - ساعه هنا و ساعه هناك يقضيها مع أزواجه ، ثم في حال وقعت مشاكل و مصائب مما لا تخلوا منها حياه إنسان في هذا العالم سواء مع أهله أو مع غيرهم ، فإن حلها يكون بحسبها و في وقتها و من يحيا بنمط العلماء و طلاب العلم و أهل الذكر و الفكر أيا كانت درجته في ذلك فإن حل مشاكله سيكون أيسر بكثير من غيره ، " و لا يُنبئك مثل خبير " .

ثم عن قضيه الرعايه . يحتاج الإنسان في هذا العالم إلى الصحه ، هذا هو الجوهر و للجوهر الأولويه المطلقه . ثم ما سوى ذلك من أمور الدنيا يكون خاضع بالضروره للجوهر . فإذا نظرنا على التفصيل في ضروريات الإنسان في هذا العالم ، سنرى أنه يمكن أن تنحصر في هذه المطالب : الأكل و الشرب أي الطعام و اللباس و البيت و الدواء و الأمن . أما الأمن فشأن الدوله و لسنا بصدد الحديث عنها هنا . و أما الدواء فشأن المستشفيات الخاصه و العامه و هي ليست من مطالب الأفراد من حيث هم أفراد و إنما من حيث هم جماعه فضلا عن أن المرض عرض و كلامنا عن المطالب الأساسيه . فتنحصر المطالب في ثلاثه : الطعام و اللباس و البيت . فينبغي للسلطان أن يقيم الدوله على قيم الجمال و البساطه و العافيه . فإن طبقنا هذه القيم الثلاث على الطعام ، سنجد أن أفضل طعام ، و بعد كل جعجعه الذين يكثرون الجعجعه ، ترجع إلى الطعام الطبيعي البسيط ، الفواكه و

الخضار و الماء و شئ من اللحوم البيضاء كالسمك و الطيور في بعض الأحيان . و هذه الأشياء ، و لا ندري إن كان ينبغي أن نقول " الحمد لله " ، هي أرخص الأشياء في هذه الدنيا الحداثيه بحكم أن جماهير الناس اعتادت بحكم الدعايات و التشبه الأعمى بالأغيار أن تأكل المركبات و المعقدات و الكيماويات و الصناعيات و غير ذلك من تراكيب هي مكلفه ماليا في نفس وقت كونها مدمره صحيا و تفرض على الإنسان الاعتماد على الآخرين ليجهزوا له طعامه إذ لا يستطيع هو أن يشتري لنفسه و يوفر لنفسه ما يحتاج إليه - أو هكذا يتوهم . و القيمه الكبرى في الدوله ينبغي أن تكون للأجمل و الأبسط و الأسلم . و أما من يريد أن ينحرف من أفراد الدوله فله ذلك على حساب نفسه ، و لكن كلامنا عن النمط الأكبر الأوسط الذي تحدده الدوله بالتعليم و الفرض العام . و على ذلك ، ينبغي على الأفراد أن يعودوا أنفسهم - و في الأمر جهاد - على أن يأكلوا الأكل الصحي البسيط و جماعه الماء والفواكه و الخضار كأصل و اللحوم البيضاء أحيانا . و هي أطعمه أهل الجنه في القرءان فليتأمل أهل القرءآن في ذلك . أما اللباس ، فالذي ينبغي على الدوله تعليمه هو التالي - بناء على نفس القيم : أجمل لباس ما كان بسيطا في شكله و خياطته ، نظيفا ، لونه مريح و حسن للنظر ، و فيه هيبه خلفاء الله في الأرض من قبيل لبس العرب الأوائل و المسلمين عموما في السابق و كذلك في الحاضر في بعض البلدان ، و هو اللباس الواسع المريح للحركه . فتعليم الإنسان كيف يخيط ثياب نفسه ، أو توفير بعض الأنماط العامه للباس كالثوب و العمامه و السروايل و القمصان و المآزر و نحو ذلك ، و جعل هذه الأنماط العامه هي " اللباس الرسمي " فيتيسر على الجميع شرائه و لبسه بدون أن يشعر بالتعيير و الغيريه لكونه يلبس دون الناس ، و شرط في اللباس العام أن لا يشتمل على علامات بارزه تشهر الثري عن الفقير عن المتوسط ، كالثوب عموما فإن التفريق بين أثمان الثياب شبه مستحيل من على بعد ، و هكذا لا يتميز الناس عن بعضهم بعلامات صناعيه تحديدا و غيرها ، بعباره أخرى ، " الفاشون " الغربي ينبغي أن يُلقى في جهنم من حيث أتى . الهوس باللباس هو شأن السفهاء ، و منبعه هو رغبه الشركات التجاريه في مزيد من الأرباح و هؤلاء السفهاء يظنون أنهم أحرار يشترون ما يريدون ، فخلقت الشركات لهم هذا الهوس بتغيير الملابس شبه يوميا و جعله بمختلف الألوان و الأشكال و من مواد صعبه و خياطه أصعب و ضيق و تسخيف لمنظر الإنسان بصفته خليفه الله و الحر في قبال العالم قدر الإمكان ، ثم خلقت لهم وسائل للتنافس فيما بينهم في شراء الماركات التجاريه ، و إن كان الكل يصنع الآن في الصين و تلك البلاد بأسعار لا تبلغ عشر معشار الثمن الذي يدفعه السفيه ليفاخر غيره من السفهاء . كل هذا لا محل له بين المسلمين إن كانوا فعلا من التابعين العاقلين للطريقه و الشريعه . و بالطبع قل مثل ذلك عن كل الشركات القائمه على المطاعم التي تقدم الوجبات المسمومه بأنواعها ، كل هذه الشركات تكره رؤيه المسلمين و شريعتهم لسبب بسيط جدا و هو أن الإسلام ليس من عوامل أرباحهم . و الشركه التجاريه الحداثيه- و الأحزاب السياسه الفاعله تابعه لها كما هو معلوم- لها عقيده توحيده شهيره ، خلاصه متنها هو :

لا إله إلا الأرباح الاستهلاك رسول الأرباح .

فطعامنا و لباسنا لن يكون محكونا بقيم القبح و القرح و الربح - ذلك الثالوث المدنس الذي يعبده الغرب الحداثي عموما و من تشبه به من القرده في الشرق . و حسبك من " تطور " أن تنفصل عن الثالوث المدنس ، و تأخذ الثالوث المقدس و هو : الجمال و العافيه و البساطه . و دولتنا ستقوم بهذا الأمر ، و تجعل النمط العام للمعيشه قائم على الثالوث المقدس ، ثم من أراد الحيده عنه فليتحمل وزر نفسه بنفسه ، و لن يكون ثمه إكراه طبعا ، و عندما يعقل الناس و يتذوقوا الجمال لا داعي لإكراههم على نبذ القبح ، و لله الحمد أهل الإسلام و أتباع سيد الخلق عليه السلام في غنى عن مثل هذا الإكراه أصلا ، إذ من المعلوم أن من سنه النبي " أفعاله " ، و من الشمائل المحمديه الشريفه الكلام عن طعامه و لباسه و بيته ، و حسبنا ذلك كدليل لما تقوم عليه حياه المسلمين ، و هذه هي السنه التي سارت عليها أمتنا عموما على مر القرون ، و ما زال عليه أهل العلم فيهم في هذا الزمان الأسود و الذي بدأ سواده قبل نحو قرنين من الزمان ، و لكن الأمر إلى زوال إن شاء الله ، إذ كما قال الشيخ الكبير صدر الدين القونوي - رضي الله عنه - في شرح أسماء الله الحسنى : بعد كل قبض بسط .

أما البيت ، فإن قيمه الفرديه لها أولويه في رؤيتنا للعالم و الناس . فالله تعالى يقول " لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مره " و " كلهم آتيه يوم القيامه فردا " ، و قال أحد العرفاء لعارف " لن ينفعك دخول غيرك الجنه إن دخلت النار ، و لن يضرك دخولهم النار إن دخلت الجنه " و هو مستنبط من قوله تعالى " يأيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم " . و بيت الإنسان هو محل سكونه و خلوته بنفسه مع ربه و سعيه في شأنه ، أي هو محل ظهور فردانيته ، و من هنا كان بيت الإنسان دليل على حاله . و بيت المسلم امتداد للمسجد ، و كما أن مساجد المسلمين تتميز بالبساطه و زينه الفراغ و جمال النقش بصوره الخطيه و الهندسيه الرمزيه و غير ذلك فكذلك تجد بيوت المسلمين فيها من أنفاس المساجد لا أقل من الحيثيه الجوهريه للمسجد التي هي البساطه و النظافه و الطهاره و السعه ، السعه أي ضد اكتظاظ الأشياء و زحمه الأغراض تحديدا الأغراض التي لا فائده منها و بالأخص الأشياء المضره و النجسه و الجالبه للشؤم المعنوي و الكآبه . و يكفي المسلم غرفه بحمام . و بناء العمائر الشاهقه ضد الروح القرءآنيه و الطريقه النبويه ، و لذلك وصفها النبي عليه السلام بأنها من علامات آخر الزمان ، فإن آخر الزمان عباره عن الحاله الظلاميه ، و ليس فقط وقت كمّي معين سيرد في المستقبل . و عندي صوره مرسومه باليد ترجع إلى نحو قرن من الزمان للمدينه المنوره زادها الله شرفا و صرف عنها من لا شرف لهم ، و هذه الصوره قبل أن يتم هدم الصبغه التقليديه للمدينه و حشوها بأغراض آخر الزمان مما لو بعث الله أحد الصحابه لرؤيتها لأباح لنفسه الانتحار ليعود في القبر ، و تجد فيها البيوت على الصوره التي وصفتها لك ، و أشبه ما تكون من حيث الترتيب و الحجم بما يعرف ب " الشاليهات " على البحر في عصرنا هذا ، فلا إسراف فيها و لا عبث و لا تفاخر و لا أطماع تجاريه و لا غيره . و كذلك كان حال مكه المكرمه أيضا كما هو معلوم و الصور حاضره بيد الجميع بل لم يكن من المسموح بناء شئ يعلو الكعبه المشرفه إلا قبل بضعه عقود من الزمن . و كذلك في المدينه ، لم يكن لمسلم أن يبني بناءا يعلو على قبه رسول الله

صلى الله عليه و آله و سلم ، إلا أنه بما أن الكعبه مجرد حجر لا يضر و لا ينفع ، و المقام الشريف للنبي عليه السلام لا يحوي إلا جثه ميته لا تقدم و لا تؤخر ، فلم لا نبني من المباني ما يجعل الكعبه و قبه النبي تحت أقدامنا بل تحت أقدامنا بمسافه تجعلها أشبه ما تكون بالنمله تحت قدم العملاق . و " سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " . فالحاصل من هنا هو أنه ينبغي على الدوله أن تنظم للناس بيوتا ، و الأمثل أن يكون لكل إنسان بيته الخاص ، و هو ما يوازي غرفه أو حجره ، و كذلك كان حال النبي عليه السلام حتى مع زوجاته و هم في " بيت واحد " . فكان للنبي عليه السلام حجرته الخاصه ، و لكل زوجه حجرتها الخاصه . و من الصعب بل من شبه المستحيل أن لا تقرف من إنسان مهما كان بعد أن يسكن معك في نفس الغرفه لمده طويله بل و قصيره ، و يعمل كل أعماله أمامك و بحضورك و لا يدع لك مجالا للخصوصيه و الخلوه بنفسك و كذلك أنت له . و يمكن إرجاع سبب فشل الكثير من العلاقات إلى هذا العامل ، أي انعدام الخصوصيه . ثم إن الغرفه الخاصه معموله لقضاء جزء بسيط من اليوم في حال اليقظه ، و ذلك لأن حياه المسلمين ثريه من حيث الاجتماع و المسجد تحديدا له دور كبير و شطر جليل من حياه المسلم ، إذ هو محل أعمال كثيره جدا كالدراسه و المسامره و الصلاه و الاحتفال و الخطابه و عقد النكاح و تشاور أهل البلد أو الحي و غير ذلك من أعمال . و من هنا كان الاهتمام الشديد بالمساجد و توسيعها و تزيينها ، بحيث يبدو و كأن ما يبذله الناس من جهد للمسجد هو نوع من التعويض عن القصور الذي قد يكون في بيوت الكثير من الناس . فإن أضفت لذلك العمل الذي يتكسب به المسلم من حرفه أو إداره كانت النتيجه أن الوقت المقضي في البيت - كأصل - قليل . ثم إن البيت كلما صغر - إلى حد معقول و كريم و صحي طبعا - كلما كان من الأسهل ترتيبه و تنظيفه و تزيينه و بنائه على طريقه يدخل إليه الضوء بنحو مناسب و كذلك من الأيسر شعور الساكن فيه بنفسه بدل تشتته بحكم سعته الزائده عن الحد المناسب. و على كل حال ، النمط الذي بدأ العالم يسير نحوه بحكم ازدياد عدد السكان و قله الذوق و اضمحلال الطبقه المسماه بالمتوسطه ، هو تصغيير البيوت ، اللهم إن الفرق هو أنهم يعمرونها فوق بعضها البعض على نحو ما يسكن الدجاج في المزارع أو أسوأ من الدجاج أحيانا -حسب المزرعه التي ستقيس عليها و مدى اعتقاد و إخلاص صاحبها ل " لا إله إلا الأرباح " . و ينبغي السعي في إنشاء ما يسهل على الناس أمرين : توصيل المياه إلى البيوت ، و إخراج الفضلات البدنيه منها . و فيما يخص إخراج الفضلات ، ما يُعرف بتقنيه التدوير مفيد جدا ، و قد كان الأصل في كل القرى و المدن أن الإسراف فيها شبه منعدم ، أي كل ما يخرج من الأرض و يستعمله الناس كان من الممكن أن يرجع إلى الأرض و يتم تدويره فيها طبيعيا أو أن يتم استعماله في شئ مفيد للحياه ، هذه هي القاعده حتى في أصغر قرى أفغانستان مرورا بروث البقر فما فوقه ، و الاستثناء استثناء . و أما الحياه الحداثيه فمن أكبر خصائها هو الإسراف و الفضلات الغير طبيعيه ، فافتح أي كيس زباله ممتلئ ، و انظر كم من الأشياء داخله يمكن أن يعاد استعمالها من قبل البشر أو الحيوانات أو حتى أن يدخل في الأرض فتستهلكه الأرض طبيعيا من قبيل الروث كسماد طبيعي . الجواب قريب من

الصفر ، و إن أردت المحافظه على صحه الإنسان أو الحيوان فالجواب هو الصفر فعلا . فمن تيسير المعيشه و تبسيطها أن يتم الابتعاد عن المواد الغير قابله للتدوير الطبيعي و الاستعمال المستمر النافع من قبل العنصر الإنساني أو الحيواني أو النباتي . و من أكبر أدله مخالفه العيشه الضنك الحداثيه لطبائع الأشياء و سلامه هذا العالم أنها معيشه محشوه بما تنفر منه هذه الطبيعه و لا تنمو به بل و لا تستهلكه و تنتفع به بل يضرها و يشوهها . فينبغي السير نحو هذا التبسيط و التحسين للحياه بحيث تكون كما كانت ، أي قائمه على عناصر و عوامل طبيعيه قدر الممكن و مفيده للطبيعه . فإن خلافه الإنسان في هذه الأرض تعني أن رعايتها و الحفاظ عليها و تحسينها هي أحد الفروض الدينيه عليه . " ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت أيدي الناس " و " الله لا يحب الفساد " . و كذلك في توصيل المياه أو تيسير الحصول عليها ، مع مراعاه عدم الإسراف في الماء كذلك ، و ما يقوم به بعض المسلمين من إسراف للمياه في الوضوء هو من الذنوب المنتشره مع الأسف ، فاحذر ذلك و لا تبطل حسنه وضوءك بسيئه إسرافك ، و كان أهل العلم يرون أنه من علامات السفيه أن يظن أن وضوءه أفضل بالإكثار من استعمال الماء و الوسوسه فيه ، و هو غلو ظاهري يوازي الغلو الباطني في الطرف المقابل ، و ذم الغلو الباطني دون الغلو الظاهري هو من الغلو الظاهري ، و الغلو غول يفسد العقل ، و فساد العقل فساد للدين .

فإذن ، عناصر المعيشه الثلاثه هي الطعام و اللباس و الغرفه . و بتيسير ذلك في ضوء المبادئ و الجماليات السابقه الذكر يمكن توفير المعيشه لعدد كبير جدا من الناس إن شاء الله و تيسير سبلها لهم .

ثم الصحه ، و هي تاج المعيشه و عمادها . و الصحه إما وقائيه و إما علاجيه . و حياه المسلمين قائمه على إعطاء الأولويه للوقايه و التركيز عليها أشد تركيز ، ثم العلاج بعد ذلك له رتبته . و أسباب الأمراض إما نفسانيه أو بدنيه - حسب القسمه الظاهريه . فالنفسانيه وقايتها في العلم و التصوف ، و البدنيه وقايتها في حسن التغذيه من الحلال الطيب و المحيط الجميل البسيط و الحركه - و كل مسلم يحرك كل عضله في بدنه كل يوم خمس مرات على الأقل في خمس فترات متفاوته من اليوم - هذا إن لم يكن متبعا لإرشاء " المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف " ظاهرا و باطنا . ثم الطب العلاجي ، و الشق الأكبر منه يمكن حله بالأدويه البسيطه و شئ من الحميه و التعرض للشمس و السباحه في البحر و غير ذلك من أمور يعرفها الناس . ثم يبقى الشق الأخير من الطب العلاجي و هو الذي لا يحسنه إلا الأطباء . فيمكن أن يقال بحق أن تسعه أعشار الصحه يمكن تحصيلها خارج المستشفى . و رأس الصحه الطاعه و الدعاء و التوكل .

أما الأمن ، فبدايه الطغيان جهل الجماهير بالحرب و ضعفهم عن الدفاع عن أنفسهم . "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض " فلولا قدره الناس على الدفع لفسدت الأرض ، إذ ما لا يتم

الواجب إلا به فهو واجب . و لهذا كان النبي عليه السلام يربي أصحابه على الحرب ، حتى يكونوا قادرين على خلق السلم . كالصحه ، يوجد سلم وقائي و سلم علاجي . السلام العلاجي هو الحرب. السلم الوقائي هو إرهاب العدو بإظهار القدره على الحرب . فالعلاج حرب ، و الوقايه الاستعداد للحرب . فهذا بالنسبه لعموم الناس ، و أما جهاز الحرب الأكبر فهو جيش الدوله . و هنا نصل إلى قضيه كفاله الدوله لأولاد الشعب و أي أولاد من أي دوله أخرى لا ترغب فيهم دولتهم .

يقوم السلطان و يقوى بأربعه طبقات ، كما أن الروح الأعلى - الخليفه الأكبر - عليه السلام له أربعه ملائكه كبار جبرائيل ملك الخلق و اسرافيل ملك الحياه و ميكائيل ملك الرزق و عزرائيل ملك الموت - حسب أحد الاعتبارات المشهوره بين العرفاء . و على هذه العمليات الأربعه - الخلق و الحياه و الرزق و الموت - يقوم الكون و ينتهي ، أي " يبدئ و يعيد " بالله سبحانه الواحد المتعالي . و كذلك لتقوم الدوله العليه ، فالسلطان هو " ظل الله في الأرض " أي صوره الخليفه الأكبر في هذا العالم ، و ينبغي أن توجد أربعه وزارات أساسيه لتحيط بالأعمال الأربعه ، ثم داخل كل وزاره تفريعات بحسب مقتضيات هذا العالم و البيئه الخاصه للدوله و الشعب بطبقاته . أما الخلق فهو إظهار الشئ أو الكيان الذي به يظهر الشئ و الذي تتم منفعه معينه به ، مثل بناء مبنى المدرسه أو المستشفى أو البيوت . و أما الحياه فهي بث المعنى داخل المبنى ، فمثلا المناهج التعليميه الحقيقيه و العميقه النبويه في المدارس . و أما الرزق فهو توفير الإمداد الذي به تستمر الحياه و تنمو بالقدر المناسب ، مثل توفير الكتب للمعلمين و المتعلمين و توفير الإناره و أدوات النظافه و الرواتب التي يعيشون بها للمدارس . و أما الموت فهو قطع الخلق أو الحياه أو الرزق عن المخلوق الحي المرزوق ، و يتمثل في العسكر بالنسبه لقطع الخلق إذ بهم تزول صوره المقتول من هذا العالم ، و يتمثل في الفقهاء الذين يصدرون فتوى التكفير و التبديع لمن يستحقها سواء كان المستحق فكره أو منهج أو شخص بالنسبه لقطع الحياه ، و يتمثل في القضاء الذي يصدر الغرامه على المخالف في حكم شرعي معين فيسلبه ماله أو جزء منه بالنسبه لقطع الرزق ، و ما شاكل ذلك من أمثله لا تحصى . فكل عمل في الكون ، و بالتالي كل عمل للدوله و الأفراد ، يمكن أن يندرج تحت خلق أو حياه أو رزق أو موت . فالمخلوق قد يكون حيا أو ميتا ، و إن كان المخلوق حيا فقد يكون مرزوقا أو محروما ، و محصله المحروم عاجلا أم آجلا الموت ، و كل مرزوق في هذا العالم محصلته كذلك الموت " كل نفس ذائقه الموت " . فما يفتحه جبرائيل يختمه عزرائيل . و و قد اختصر بعض العرفاء عمل الملائكه الأربعه فقال " جامع " أي أخذا للحرف الأول من كل اسم من أسمائهم . و الخليفه هو صاحب الأمر الجامع .

و من هنا تأتي الإجابه عن سؤال " و ماذا ستفعل الدوله بالأولاد - الذكور و الإناث - الذين يقعون تحت ولايتها ؟ " و الجواب : ستجعلهم يعملون في الوزارات الأربعه الكبرى . فالخلق هو بجعلهم يتكاثرون من ناحيه ، و يتعلمون فنون البناء المختلفه من ناحيه أخرى . و الحياه هي بجعلهم أهل علم و حكمه و فقه و معرفه . و الرزق هي بجعلهم عمالا و فلاحين في شتى نواحي الانتاج . و الموت هي

بجعلهم عسكرا جرارا مدربا على أقصا أنواع التدريب العسكري و أشده و أشرفه من قبيل جيش الانكشاريه إلى حد ما في الدوله العليه العثمانيه . فتجعل كل الأولاد الأصحاء يتكاثرون ، و من كان منهم ذا تأهيل عقلي و حس معنوي أكبر يُجعل في العلم و الدين ، و من من كان منهم ذا قدره على الطاعه و اتباع الاجراءات الرسميه أكثر يُجعل في الخدمه و تيسير الأرزاق و حركتها في الدوله ، ثم من كان منهم ذا تأهيل بدني أقوى يُجعل في العسكر . و إن لم يكن من الممكن عمل تقسيم حاد بين كل هذه الأصناف ، و لكن ينبغي جعلها أصلا ثم من كان ذا تأهيل لأكثر من صنف يسمح له في العمل فيه ، كالشاعر المحارب مثلا .

و الأمن يكون أيضا بتنيمه روح الغزو و القتال بحيث تكون طبيعه و ثقافه تنبني عليها الدوله و لكن لا تكون مهوسه بها . فيجب أن يرى الناس القتال كما يرون سائر الأعمال ، فالقتال جزء من الكون كما أن النكاح و الدراسه و الضحك جزء من الكون . فالجهاد - الأكبر و الأصغر - ضروره في هذا العالم، و ما ترك الجهاد الأكبر أحد إلا أصبح من الجاهلين ، و ما ترك الجهاد الأصغر أحد إلا أصبح من المستضعفين ثم بالتالي الضالين و الكافرين . إلا أن الدوله تسير على شروط الشريعه في الجهاد و أولويه السلام و الرحمه في موضعها ، و أولويه القهر و الدفع في موضعها ، مع كون الأولويه المطلقه هي للسلام "إن جنحوا للسلم فاجنح لها و توكل على الله " . و يجوز الاستيلاء بالعسكر على أي دوله قامت هي أصلا على استيلاء عسكري . لأن ما به القيام به الزوال . فمثلا ، الولايات المتحده الأمريكيه - أي هذا الكيان المعروف - إنما قام على غزو بعض الأوروبيين لتلك الأراضي المسالمه و سفك دماء أهلها من الذين يعرفون بالهنود الحمر ، و أبادوا منهم عشرات الملايين بأوحش و أسوأ و أقبح الصور التي عرفها البشر ، ثم على أنقاض جثثهم و جماجمهم أقاموا دولتهم . فلو افترضنا جدلا أن دوله فرنسا أو بريطانيا - التي كانت مستعمره لأمريكا قبل ما يُعرف بالاستقلال - أرادت أن تهاجم الولايات المتحده القائمه ، و تغزوها و تستولي عليها بالقهر بل مع إباده السكان أيضا ، فإنه لن يحق للولايات المتحده أن تقول " لماذا هذا الاعتداء ؟! لماذا هذه الوحشيه ؟! " إذ " إنما تجزون ما كنتم تعملون " و " جزاء سيئه سيئه مثلها " ، و " كما تدين تدان " . أو مثلا ، الكيان الصهيوني في فلسطين ، أو أي مثال آخر ، فتستطيع أن تقيس بالنظر إلى مسأله واحده : انظر في أي دوله قائمه ثم انظر كيف قامت و يحق لك أن تستعمل ضدها نفس هذا الأساس الذي قامت عليه مهما كان . فإن السرقه من السارق ليست سرقه أو على أقل تقدير سرقه مماثله لا تجعل للسارق الحق في المطالبه بما سُرق منه . و هذا هو أحد الأسس التي قام عليها غزو دول المسلمين في التاريخ - و هو مما يخفى على كثير من الناس خصوصا الذين لا يحسنون النظر في الأسس و مقاييس العداله و لا يعقلون معنى " الحق قديم لا يبطله شئ " . فاعتداء حزب معين على شعب و الاستيلاء على أرضه بسيف القهر ، ثم تقادم الزمن - أيا كانت كمّيه الزمان المتقادم - على وجود هذا الحزب و الدوله التي أسسها ، هذا التقادم لا يغير ذره من حقيقه أساس هذه الدوله و قيمه حكومتها في أعين العداله و أهلها . فلو افترضنا أن عصابه من المافيا استولت على بيت عائله و جعلت العائله

تعمل تحتها و في ضوء نظامها ، ثم تكاثرت هذه العائله و انقضت بضعه أجيال من أولاد العائله الأولى ، و كذلك بضعه أجيال من الحزب الحاكم ، فإن هذا لا يغير من حقيقه كون هذا البيت مغتصب ، و أن ورثه المغتصب الأول ورثوا وصف الاغتصاب كما ورثوا غنيمته أي السلطه ، فكما تقول القاعده " الغنم بالغرم " ، كما ورثتم السلطه و رضيتم بها مع علمكم بالتسلسل المسند أنها مغتصبه و قهريه ، كذلك ورثتم وصف الاغتصاب و أنتم مثلهم لرضاكم بهم و قبولكم الفعلي للميراث و العمل على أساس مقبوليته و سلامته . فيحق لعصابه أخرى أن تغتصب هذا البيت .

قد يقال : هب أن العامه و الجماهير راضيه بالعصابه القائمه بالحكم و الإداره ، فحتى لو كان الأصل مغتصبا ، ألا يكون رضا الجماهير الحيه الآن بالحكومه و الدوله مسبغا للمشروعيه عليها و ينسخ وصف الاغتصاب و القهريه الأولى عنها ؟ الجواب : كلا . إذ ليس للعامه و لا للجماهير رأي في مثل ذلك أصلا ، العامه تبع للخاصه ، دائما ، في مثل هذه الأحوال ، و قد كان العامه من قبل يرضون عن حكومتهم أو لا أقل لا يوجد دليل ثابت على العكس مهما زعم الزاعم و توفرت بعض الشواهد هنا و هناك ، إلا أن كل ذلك لم يردع الأوائل - أي الذين قلبوا نظام الحكم و خرجوا عليه أولا مره - عن السعي في نيل السلطه لأنفسهم و إزاحه النظام القائم ، ثم بعد أن تمكنوا بالقهر من السلطه و أصبحت مقاليد الحكم في أيديهم ، و بعد مرور جيل أو ثلاثه أجيال على الأكثر ، أصبح العامه الجدد يرون الحكومه القائمه على أنها " الحكومه " و لا يعقلون غير ذلك ، كما كانت العامه القديمه ترى ذلك في حكومتها التي تم الخروج أو الهجوم عليها . فالخواص يقتتلون ، و العامه تبع للغالب منهم . هذه سنه الدول و التاريخ كله أمثله على هذه السنه . فتستر الخاصه في زمن ما وراء رأي العامه و قبولهم لهم هو من أفضل الأدله على ضعف هؤلاء الخاصه و قرب زوال الدوله ، لأن الدوله تقوم ما اتبعت الحق و العدل و العلم و ما كانت لها قوه و عكسر و مال ، فباليمين الميزان و بالشمال السلاح ، فإن قُطعت إحدى اليدين فنيت الدوله عاجلا أم آجلا أو أصبحت في حكم الفانيه و اللاشئ في معيار الدول و الأمم . لا يحق لخاصه أن تتستر وراء العامه لتبرر مشروعيتها ، إذ ما العامه إلا وليده سلطتهم الأولى التي اكتسبوها بالغصب في الأصل ، فرأي العامه صنيعه سلطه الخاصه ، فكيف يكون رأي العامه حجه لسلطه الخاصه ! هذا دور باطل .

لكل دوله خاصه ، و هذه الخاصه تقوم بأحد أمرين ، و لا تبقى إلا بأمرين . أما القيام فإما بقبول عموم الناس تحديدا الأعيان و الرؤوس للخاصه و رؤيتهم و منهجهم و ذلك حين لا يكون للعامه رأس أصلا ، و مثال ذلك حكومه المدينه النبويه في الزمن الأول ، و إما بعسكر جرار يقطع رأس الحكومه القائمه و يضع مكانها رأس آخر ، و أمثله ذلك لا تُحصى ، و مثال ذلك فتح مكه في الزمن الأول ، و ليس شرط العسكر أن يقتل فعلا و يصنع المذابح أو أي فعل آخر من هذا القبيل ، بل قد يكون مجرد وجوده و ظهوره دافع للرهبه و التسليم ، و كذلك بغض النظر عن الباعث على الهجوم و الغزو ، أي هل أصله رد اعتداء وقع كما هو حال جماعه النبي عليه السلام " أذن للذين يُقاتلون بأنهم ظلموا " ،

ثم وجود السلطان العادل الذي يبرر الغزو بحكم وقوع الاعتداء الأول ، أو إن كان ذلك الغزو و الهجوم الابتدائي قائم على الحقيقه التي بيناها قبل قليل عن مشروعيه إزاحه القائم بالقهر بقهر مثله .
فالقيام إما بإراده من إرادتهم مرجع و إما بالعسكر . و أما البقاء ، فقد تزول الدول من داخلها أو خارجها ، فالبقاء الداخلي باستمرار الإراده القابله للخاصه و بتوفر القوه لردع المخالف للخاصه ، و أما البقاء الخارجي فلا يكون إلا بالقوه الرادعه و القاهره في نهايه المطاف أي إن كانت الدوله مستقله ، و أما إن شاءت أن تكون تابعه لدول أخرى قويه مستقله فإن وجود مصالح ماليه و بشريه عماليه أو مصالح دينيه و فكريه كأن ترغب الدوله الأقوى بوجود دوله أخرى ضعيفه لأن الضعيفه تملك من وسائل التفريق بين الناس دينيا في شتى الدول المهدده للدوله القويه و نحو ذلك ، فإن التبعيه بناءا على هذه المعايير ممكنه و قائمه و معلومه على مر القرون و أمثلتها كثيره و لكن كلامنا كمسلمين لا يكون إلا عن القوه المستقله ، و ذل التبعيه لا يقع على المسلمين إلا كلعنه و غضب من رب العالمين و العياذ بالله ، و الله رؤوف بعباده لمن عقل السنن و الأسرار . و على ذلك ، فإن دوله المسلمين لها جانب داخلي و جانب خارجي . أما الداخلي فهي المشتمله على الأقوام المسلمه فعلا و التي غالبيتها العظمى من المسلمين و تقوم فيها أحكام الإسلام و روحه ، و أما الخارجي فهي الأقوام التابعه لدوله المسلمين بحكم التوسع العسكري و الإلحاق المصلحي . فقيام الدوله داخليا لا يكون إلا برضا أعيان و علماء و أولياء الأمه و من ثم جماهيرها بالخاصه الذين سيديرون شأن الدوله ، و من سعى للتغلب على المسلمين بالقهر قهره الله و أزاله من العالم - و الأمثله كثيره . و قيام الدوله خارجيا يكون بعد قيام الدوله داخليا ، و علم ذلك عند أهله .

قد يقال : كيف أجزتم قهر العامه ثم استثنيتم عامه المسلمين ؟ و الجواب : لا استثناء ، يمكن و قد وقع فعلا قهر على المسلمين كما لغيرهم ، فالقاعده التي ذكرناها حق لا مريه فيه بغض النظر عن الأمم و الأقوام و الأزمان . و لكن الفرق يمكن في أنه " لا عامه في الإسلام " ، و الله تعالى قد اصطفى المسلمين - ليس بالإسم و لكن بالحق - و هم أولياء الله في العالم ، فمن تعرض لهم بقهر محقه الله ، و من لم يصدقنا فليقرأ التاريخ و ليشاهد الواقع و عما قريب سيزول الزبد الظاهر و قد بدأ بالزوال لمن له يعن تبصر ما وراء القشور بقليل . فانظر مثلا دوله بني أميه ، فقد تسلطوا بالقهر و نازعوا سلطان الأمه حضره علي عليه السلام ثم حضره الحسن عليه السلام من بعده ، فكيف انتهى بهم الحال ، في أقل من قرن - قرن ملئ بالصراعات و القتال و الثورات الداخليه و الانشقاقات - آل أمرهم إلى أن سفك بني العباس دماء الآلاف منهم و لم يبقوا منهم على الأرض ديارا اللهم إلا فردا هرب إلى الأندلس و كان منه ما كان . و قس على ذلك و انظر حيث شئت . فكلما كان ثمه قهر مرفوض للأمه ، آل أمر صاحبه إلى الزوال كان ما كان بأبشع الصور . و أما إن كان القيام بحق فقد تزول الدوله بناء على سنن الدول ، فإن الدوله من اسمها " دوله " و تشتمل على عناصر النهايه في ذاتها . ففرق بين دوله قاهره و دوله مقبوله . القاهره ستكون مشحونه بالعذاب و ستنتهي بالعذاب ، أما المقبوله فسيكون الغالبه عليها البركه و الرحمه مع وجود القهر إذ هذه طبيعه الكون فليست الدنيا

دار بسط ، و ستنتهي تدريجيا كما ينتهي جسم الشاب بعد أن يشيخ ، و لكن الفرق بين الدوله العادله أنها لا تنتهي إلا بعد أن تسلم الرايه إلى دوله أخرى تقوم مقامها ، و بعد الخاصه تأتي خاصه ، " كلما مات إمام قام إمام " إن شئت ، و هكذا تتسلسل الدوله المقبوله القويه القائمه على الحقائق العليه . فعامه المسلمن ليسوا كعامه الكافرين و الضالين ، كل مسلم أغلى عند الله من الكعبه ، لأن الكعبه مركز العالم رمزيا ، و أما المسلم فهو مركز العالم فعليا ، " لولا لما خلقت الأفلاك " قائمه في كل مسلم ، كل حسب طبقته و درجته ، إلا أن المسلم هو الذاكر لله على الدوام بشتى أنوا ع الذكر القلبي و الحالي و اللساني و الفعلي و الاجتماعي و غير ذلك من طبقات الكون و ما ورآء الكون ، المسلم هو الذاكر لله و الذي يحيا لذكر الله و بذكر الله و يتخلل ذكر الله حياته كلها ، و حيث أن العالم سيفنى حين لا يبقى في الأرض من يقول " الله الله " ، فإذن العالم يبقى بمن يقول "الله الله" ، و البقاء يكون ببقاء القلب و المركز ، فالذاكر لله مركز العالم و روحه و سر بقاءه ، و بهذا المعنى هو خليفه الله و مفتاح خزائن الرحمه الإلهيه ، فلا يُسوى هذا بمن لا يعرف رأسه من رجله و لا يمينه من شماله فيما يتعلق بحقيقه الوجود و سر الإنسان و كعبه الأكوان . أمان العالم ذكر الله ، أمان العالم " لا إله إلا الله " ، مفتاح الجنه " لا إله إلا الله " ، و عرش الخلافه " لا إله إلا الله " . فأهل لا إله إلا الله هم خلفاء الله في العالم ، و عليهم تدور أفلاكه و بهم تدور ، و ستؤول الدنيا إلى حال تكون فيه سجاده تحت أقدام أهل لا إله إلا الله ، " ليظهره على الدين كله و لو كره الكافرون " .

فتأملوا هذا يرحمكم الله و يرحم بكم . و الحمد لله رب العالمين .

...

(العقبات الأربع أمام الإسلام في الغرب)

يمكن إرجاع تسعه أعشار الأسباب الفكريه التي تحول بين الغرب - و تحديدا أهل الصلب منهم - و الإسلام - أو لا أقل ما يقولونه من حجج يرونها قاصمه لظهر المله العليه حاشاها - إلى أربعه مواضيع متعلقه بالنبي الأكرم صلى الله عليه و اله و سلم : النياكه و القوه و السياسه و السرقه .

أما النياكه ، فالمقصد منها أن سيدنا عليه السلام كان " شهوانيا جدا من الناحيه الجنسيه " بحيث أنه كان تحته أكثر من عشره زوجات و جامع ما يزيد على ستين أمه باسم ملك اليمين أو نحو ذلك من " عدد هائل " من النساء ، و كذلك مثلا فيا يتعلق بزواجه من طليقه ابنه بالتبني زيد بن حارثه بعد أن رآها و أعجبته .

أما القوه ، فالمقصد منها أن سيدنا عليه السلام كان " عنيفا جدا في حكمه على أعدائه " تحديدا فيما يتعلق معاملته لليهود كبني قريظه حيث سفك دم ستمائه رجل منهم في يوم واحد و أخذ النساء و الأطفال كعبيد وزعهم على المسلمين ، أو في حكمه بأن يُقاتل كل أحد حتى يقول لا إله إلا الله فإن قالها عصم منه ماله و دمه و إلا فلا ، فجعل القتال هو الأصل و السلم هو الاستثناء و أباح القتال لإدخال الناس في الإسلام ، كما أنه كان ينهب و يبيح لأصحابه أن ينهبوا قوافل قريش التجاريه بعد أن هاجر إلى المدينه و كوّن عصابته .

أما السياسه ، فالمقصد منها أن سيدنا عليه السلام كان " يغدر و ينقض العهود و يكذب للسياسه و يخالف العرف المقدس للعرب " كما هو الحال حين نقض عهده مع اليهود فغدر بهم بعد أن رفضوا أن يعترفوا بنبوته ، أو حين أباح القتال في الأشهر الحرم .

أما السرقه ، فالمقصد منها أن سيدنا عليه السلام قد " سرق محتويات القرءان من كتب اليهود و المسيحيين و غيرهم و جعلها فيه ثم زعم بأنها وحي من الله له " و من هنا يستنتجون أن القرءان كتاب أكاذيب مختلق على الله تعالى و افتراء عليه و إنما هو من سرقه سيدنا عليه السلام من الأقوام المجاوره و دياناتهم و لفقها تلفيقا من عند نفسه .

هذه الدعاوى الأربعه هي السبب الرئيسي - لا أقل في الظاهر - الذي يجعل هؤلاء يبررون لأنفسهم الكفر بالإسلام و اعتباره دينا مختلقا و شيطانيا ، أو اعتباره مجرد تلفيق لرجل سياسي محنك استطاع أن يخدع كل هؤلاء الناس على مر القرون حتى ينال رغباته في السلطه و الشهوه و التعظيم الذي يرغب فيه كل إنسان بحكم فطرته الساعيه للقوه و العظمه . و أكتفي في هذه المقاله بتبيان العقبات و ندع حلّها لمقالات أخرى إن شاء الله ، حتى ينظر كل مسلم من أهل العلم و يرى رأيه في هذه الدعاوى و كيفيه الجواب عنها فلو أجبنا هنا لقيدنا أفكارهم فلنتركها إذن . و نكتفي بذكر دعوى النياكه و دعوى القوّه ، فإنهما أكبر قضيتين ، و يدخل في القوّه السياسه و السرقه إذ من يبيح قتل الآخر لن يجد مشكله في تبرير الإبقاء على حياته مع سرقه ماله أو الكذب عليه من باب السياسه . " و الله المستعان " .

(دعوى النياكه)

لنبدأ بقضيه زواج النبي عليه السلام من زوجه زيد كمثال لقضيه شاع التهويل فيها منذ زمن ، لنفتتح الباب .

أ -الأحزاب ٣٧ - قضيه زواج النبي عليه السلام من طليقه زيد

ما هو محور هاتين الآيتين ؟ هو قوله تعالى { لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا } . فهنا يوجد شرط ، { إذا قضوا منهن وطرا } فالأمر يرجع إلى حريه اختيار الدعي أي الرجل . و الوطر - كما قال صاحب القاموس - " الحاجه ، أو حاجه لك فيها همّ و عنايه فإذا بلغتها قضيت وطرك " فللحاجه درجتين ، الأدنى منها هي " الحاجه " المجرده ، و الحاجه عموما لا تنحصر في حاجه الذكر و لذه التواصل مع الأنثى و إن كانت ضمنها و محتمله لها . و الأعلى هي "حاجه لك فيها همّ و عنايه " ، فالحاجه المجرده خاليه عن هذا العامل النفساني و الذهني "همّ و عنايه " فالهم نفساني ، و العنايه فيها عمل ذهن و سعي لإبقاء أو إصلاح ، فالحاجه المجرده هي ما كانت ظاهريه بدنيه حصرا أو لا يجد الإنسان نفسه معلقا بها لنفسها و إنما لرغبته الخاصه في شئ معين . و أما الحاجه الأخرى ففيها عامل التعلق النفساني أيضا . فإذن ، قوله تعالى { إذا قضوا منهن وطرا } عن أي وطر أو مستوى من الحاجه تتكلم هذه الآيه المباركه ؟ إن تخلي زيد عن المرأه ، بإرادته - في الظاهر - و بالرغم من أمر النبي عليه السلام له بأن يمسكها ، دليل على أن زيد لم يكن يجد فيها أكثر من وطر ظاهري خال عن العوامل الباطنيه . و حيث أن الظاهر مؤقت بطبيعته ، بالتالي لا يمكن أن يكون ما يتفرع عنه إلا مؤقتا مثله ، فزواجه بها في حكم المنتهي من قبل أن يبدأ ، إذ النهايات كامنه في البدايات ، كالثمره في البذره .

لماذا قدر الحق تعالى أن يشرع هذه الزياده في النساء - و بالعكس الرجال للنساء - اللواتي يمكن نكاحهن ، عن طريق مثال عملي من النبي و ليس فقط تشريع و أمر - كما هو الواقع فعلا في آيه سوره النساء عن محرمات النكاح ، أي لماذا لم تكتفي الآيات بالتشريع المبيح لها في سوره النساء ؟ آيه سوره النساء تقول " و حلائل أبنائكم الذين من أصلابكم " فقيد " من أصلابكم " يعني وجود أبناء ليسوا من الأصلاب ، و هم كزيد بالنسبه للنبي عليه السلام ، أي الأبناء بحكم الممارسه و ليس بحكم النسب ، كالمكفول ، فإن الابن فيه معنى إضافي على الولد الذي يغلب عليه طابع التوالد البدني و إن احتمل غير ذلك حين تصحبه كلمه تقيده من قبيل " اتخذ " ، و أما البنوه كالأبوه كالأخوه لا تنحصر بالتوالد البدني " إنما المؤمنون إخوه " و ذلك حين يوجد توالد معنوي أو رابط أعلى حقيقي يجمع بين أفراد باعتبار أرواحهم أو عقولهم أو نفوسهم أو قلوبهم و نحو ذلك ، كما يقول عن البعض بأنهم " إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين " ، فالكل معان حقيقيه ، و لكن المستويات الوجوديه متفاوته ، و يوجد بنوه لكل مستوى . كذلك من خصائص البنوه أنها مصحوبه بالتربيه ، فالأب رب من

حيث أنه يربي ، كذلك الابن من حيث أنه تربى و تم الاعتناء به ، كما قالت امرأه فرعون عن موسى "تتخذه ولدا " و كذلك عن العزيز في يوسف . فإذن قوله " و حلائل أبنائكم " فقط كان سيحرم كل حليله ابن سواء كان بالصلب أو بالإلحاق ، فلما وضع قيد " من أصلابكم " كان المعنى أنه الابن الذي ليس من الصلب - بحكم افتقاد الشرط و الشرع مفصل تفصيلا - غير داخل في هذا الحكم ، و النتيجه حليه حلائل هؤلاء الأبناء ، كزوجه زيد . و إنما قيل عن أمثال زيد رضي الله عنه " أدعيائكم" ليس من حيث كونهم في حكم الأبناء بالتربيه و الرعايه ، و إنما من حيث مغالاه القوم في سحب أحكام الابن من الصلب ليكون مثل الابن المكفول ، و هو قياس فاسد ، و هو مبني على عدم اعتبار عمليه النكاح عمليه تضيف قيمه تفرق بين هذا و ذاك ، و هو اختزال و الاختزال أخو الكفر و قرينه ، و القرءآن شدد في هذا الأمر من باب حفظ المبدأ و إظهار هذا المبدأ في مصداق معين و قضيه حيه تهم الناس و تؤثر فيهم . أما المبدأ فهو هذا : الحقيقه لا تتغير مهما زعم الزاعمون و مهما جرت به عاده الناس . و أما أهميه هذه القضيه تحديدا ، فإنه من المعلوم أنه حتى في هذا الزمان الفاسد الذي نحن فيه ، زمان غلبه العوام و الإلحاد و السخف النظري أو العملي على شتى بقاع الأرض ، فإنه قضيه الجماع أو " الجنس " كما يسمونه - و هي تسميه غبيه فيها توريه شديده تدل بحد ذاتها على مدى خجل بعض الأقوام من وصف العمل . فحتى في بلد ينتشر فيها الإلحاد علنا ، و السخريه من الأديان و الشرائع ، فإنك تجد حرمه بدرجه أو بأخرى لمحرمات الجماع ، من قبيل جماع الأقارب أو جماع الصغيرات البالغات الواعيات أو ما يسمونه " الخيانه " أو حتى - و هذا لطيف جدا - تعدد الزوجات كما هو الحال في أوروبا و أميركا مثلا ، فالرجل يمكن أن يجامع عشره رجال ، و يجامعه عشره رجال ، و يمكن أن يتزوج رجل مثله ، و يمكن أن يجامع سبعين امرأه و تكون له سبعمائه "عشيقه" يسافحهن و لا يبالي بهن بعد ذلك كانت ما كانت النتيجه ، كل هذا و ما شاكله جائز عندهم، و لكن أن يتزوج الرجل امرأتين ...فحاشا و كلا ! أين الأخلاق و الإنسانيه ! فالحاصل ، أنه من المعلوم أن تعلق الناس بهيبه موضوع الجماع أو " العلاقات الجنسيه " ، مهما بلغ بالأقوام السفاله في ما سوى ذلك من أمور . فإن كان هذا هو الحال بالنسبه للأقوام عموما ، فإنه من المعلوم أن هذا هو عين الحال بنحو أشد و أقوى بالنسبه للعرب خصوصا . فآخر هيبه و قيمه عاده ما تكون متعلقه بقضايا الجماع و حدوده . فعندما يُراد إثبات فكره معينه و مبدأ ما ، فإن إثباته في قضيه من قضايا الجماع هو أقوى الإثباتات و أشدها بروزا ، و يتضمن بالتبع كل ما دون ذلك من مواضيع و مصاديق لها أهميه أقل منه و هيبه أخف منه . فمبدأ " الحقيقه لا تتغير " و بالتالي يجب على العمل و الحكم أن يكون متوافقا معها ، مهما كانت العواقب الاجتماعيه ، يجد أبرز مصاديقه أو أحد أبرزها في قضيه زواج النبي من طليقه زيد ابنه بالكفاله و الرعايه و التربيه .

{ إذ تقول .. أمسك عليك زوجك و اتق الله } فالنبي لم يكن يريد من زيد أن يسرح زوجه ، و قد أمره بفعل الأمر { أمسك } . و لا يوجد أن المرأه أرادت النبي ، أو أن زيد فهم أن النبي أراد المرأه ، أو أي شئ من هذا القبيل . و إنما هي رغبه زيد في مفارقه امرأته ، و قد أبلغ النبي برغبته هذه ، و لذلك

قال النبي له { أمسك عليك زوجك } فالأصل الإمساك ، و لولا أنه قد وقع حادث أظهر للنبي رغبه زيد بالخروج عن هذا الأصل إلى التسريح لما أمره بأن يمسكها . و ما قيل عن رؤيه النبي لامرأه زيد في لباس البيت و رغبته فيها ، و إن كان ليس فيه في حد ذاته ما يخالف مقتضى الفطره إلى حد ما ، إلا أن هذه الروايه ليست معكوسه المحتوى في القرءآن من جهه ، و من جهه أخرى هي من وضع يهودي أو آخذ عن اليهود ما ورد في كتابهم من حكايه مشهوره عن أحد ملوكهم - يزعم أهل الروايات اليهوديه أنه داود حاشاه - أنه نظر إلى امرأه و اشتهاها فعمل على موت زوجها ليستولي عليها من بعده ، و التافه الذي اخترع هذه الروايه أراد أن يجعل نبينا موازيا أو مشابها في هذا الخزي لذاك السافل الذي يحكون حكايته . هذا مر الحق . و أما لو تنزلنا و قلنا بأن الروايه صحيحه ، فإن القرءان صريح في أن النبي أمره بأن يمسك عليه زوجه ، هذا أولا ، و صريح في أن فراق زيد لها كان بباعث من عند زيد { فلما قضى زيد منها وطرا } فزيد الذي قضى حاجته أيا كان مستواها ففارقها ، ثم بعد ذلك { فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها } للعله التي ذكرها الحق سبحانه ، و حتى لو تنزلنا و قلنا بعد وجود هذه العله أو عدم معقوليتها - كما بيناه قبل قليل و غير ذلك من معاني تشتمل عليها القصه - فإن نفس تزوج رجل من مطلقه رجل آخر كان يرعاه ليس فيه أي شئ تحت أي منطق سليم ، فإنها في حكم الأجنبيه تماما و التي يحق له تزوجها . فقلّب الأمر من حيث شئت ، ليس في القصه ذاك التهويل العبثي الذي يزعمه من لا خلاق لهم فضلا عن أن يوجد فيها مدخلا للتفريعات الخرافيه التي يفرعونها على قراءتهم السقيمه .

كل ما القضيه ، بالنسبه لمن لا يؤمن بالقرءآن ، أن النبي عليه السلام تولى رعايه زيد و جعله بمنزله ابنه في التربيه و العنايه ، فكبر زيد و تزوج امرأه ، ثم لسبب ما أراد أن يطلقها ، فأخبر النبي ، فأمره النبي بأن يمسكها و لا يطلقها ، ثم أصر زيد على الطلاق بعد أن قضى حاجته منها أيا كانت هذه الحاجه ، ثم بعد أن طلقها زيد ، تزوجها النبي عليه السلام .

أما بالنسبه لمن يؤمن بالقرءآن ، فإن سبب تزوج النبي منها هو { لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أدعياء أزواجهم إذا قضوا منهن وطرا } . و ما سوى ذلك من معاني و أسرار في القصه ككل ، ليس هنا محل بسطها ، فإن المعاني ليست للكفار و لا للمواضع التي يكون الأصل فيها مباحثه الكفار و أهل العناد ، " إن الله حرمهما على الكافرين " .

هذا و الله أعلم .

...

ب- " الزوجات و الإماء " .

للجواب على دعاوى الخصم ، يجب أن تعرف من هو الخصم حتى تقدم له جوابا على قدّه و تلزمه بما عنده . فلا تطلق أجوبتك يمينا و شمالا ، و لكن كن كالسماء التي تنزل الماء بقدر الوادي ، و إن كان ماء السماء أوسع من كل الأوديه . ففيما يتعلق بكون سيدنا عليه السلام قد عدّد في النساء ، زواجا و ملك يمين ، فإن السائل إما أن يكون من أهل الصلب أو من أهل الغرب الملحد نظريا أو عمليا .

فأما إن كان من أهل الصلب ، فنقول له : ما تسمونه " العهد الجديد " و هو كتابكم المقدس ، قد ذكر عن ابراهام - الشخصيه المذكوره في ما تسمونه " العهد القديم " - هو إنسان ناج و في النعيم الأبدي . كما ورد في الكتاب الرابع و غيره على لسان يسوعكم و مخلصكم كما تقولون ، أن ابراهام سيكون في المكوت و المائده الأبديه . فابراهام يقينا عندكم من الناجين و المقربين لله تعالى . هذا متفق عليه . حسنا ، تعالوا ننظر في هذه الشخصيه كما وردت في كتبكم ، تحديدا فيما يتعلق بعلاقته بالنساء . فورد في الكتاب الأول المسمى التكوين القسم ٢٥ ، و غيره ، أنه كان لأبرام أكثر من زوجه ، و أكثر من سريه أي ملك يمين بمصطلح الشرع عندنا ، " و لبني السراري التي لإبراهام وهب إبراهام هبات و صرفهم و هو على قيد الحياه " و لا نريد أن نعلق على ما يذكرونه من تفضيل ليتسخاك ابنه كما يذكرون . فالحاصل أن ابراهام عدد النساء أيا كان المسمى فالتعدد تعدد في الجوهر و لن ندخل في تفاصيل رسميه . فإذن ، يقينا ، تعداد الزوجات و السراري ليس مقطعا في النجاه أو الهلاك . و يكفينا هذا لدفع هؤلاء . فنعلم من تشغيبهم في قضيه تعداد النساء للرجال أنه مشغابه و عناد ليس إلا ، و إلا لو كانوا أهل حق لالتزموا بما يعتقدون أنه حق عندهم - فضلا عن أن يرتقوا ليعرفوا الحق الذي عند غيرهم . و في جميع الأحوال ، حتى عندنا ، ليس تعداد النساء و الإماء بأصل من أصول الدين أو الفقه و فروض العين ، و إنما هو مسأله في عرض مسائل أخرى ، و القيود في القرءآن و السنه على المسأله أشهر من أن تذكر و لا داعي لذكرها ، و حسبنا أن ندفع أهل الصلب بما يعتقدون في كتابهم على لسان "ربهم" و مخلصهم بأن ابراهام ناج و في الملكوت بالرغم من أنه يقينا كان من المعددين . فالحمد لله.

و أما إن كان من أهل الغرب ، فنقول له : إن احتججت بما تفعله الحيوانات في الطبيعه ، كما تحتجون أحيانا على اللواط بأنه جائز لأن القرده تفعله ، فحسنا سلمنا ، ارجع إلى الحيوانات الذين تعتبرهم أنبياءك و رسلك - و هذا يدلك على مستواك - و انظر هل التعدد موجود عندهم أم لا ، و ستجد أن في الحيوانات من لا يعقل إلا التعدد و لا يفكر بغيره و لا يبالي بما سوى ذلك . و إن احتججت بذوقك الخاص ، كما تحتجون كثيرا بالفردانيه ، فحسنا سلمنا ، و هذا ذوقنا نحن ، فما

بالك ترد ذوقنا الخاص بذوقك الخاص ، أي طغيان هذا . و إن احتججت بأنك تدافع عن النساء المستضعفات عندنا ، فجوابنا لك باللسان الأمريكي إن كنت تعقله :

MIND YOUR DAMN BUSINESS !

و انشغل بالنساء في بلادك ، فإن نسب اغتصاب النساء ، و الطلاق ، و الضرب المبرح و غير المبرح، و العهر ، و تجاره الرقيق الأبيض - كما يسمونه - ، و غير ذلك من مظاهر تعنيف المرأه ، هي نسب مرتفعه جدا و معلومه لديكم ، فانشغل بنفسك و كف عن التدخل فيما لا يعنيك و لا تفهمه ، فضلا عن أن ما تزعمه فيه ما فيه ، و لم يكلفكم أحد بذلك الدفاع المزعوم ، كما لم يكلفكم أحد في " تحرير العراق " كما زعم أهل السياسه عندكم لخداعكم ، ثم آل العراق إلى ما آل إليه و سفكتم و تسببتم في سفك دم أكثر من ثلاثه ملايين إنسان - شيخ و رجل و امرأه و طفل . فإذن ، إن احتججتم بالحيوانات أو ذوقك الشخصي أو حب الدفاع عن المستضعفين ، فلا حجه لك . ثم إن كنت ترى أن لكل زمن قيمه الخاصه ، فإنه من المعلوم أنه و حتى عهد قريب جدا في العلن - و إن استمر الأمر بصوره أبشع في السر و من وراء حجاب الألفاظ الخداعه - كان وجود العبيد و الإماء أمر مسلم في كل دول العالم تقريبا ، و تعدد الزوجات و الإماء كان أمرا شائعا ليس فيه غضاضه في الشرق و الغرب بنحو أو بآخر و بصوره أو بأخرى - فكر " عشيقه " و "عاهره" بدل " زوجه " لتعرف الصوره السافله اللامباليه و اللامسؤوله للتعدد في الغرب الصليبي و الالحادي قديما و حديثا . و بناء على ذلك لا يحق لك أن تلوم أي إنسان في المشرق و المغرب في هذا الزمان - و كأن الزمان رب يقضي و يشرع - الذي له قيم غير قيم ذلك الزمان ، فلا حجّه لك من أي وجه نظرت ، هذا إن تنزلنا و قبلنا خرافه الزمان المشرع الذي تعبدونه .

فإذن لا حجه لأهل الصلب و الغرب في قضيه النياكه .

...

(دعوى القوه)

لعل أشهر وتر يعزف عليه من يريد أن يسحر آذان الناس لكره ديننا من أهل الصلب تحديدا ، و اليهود كذلك ، و أهل الغرب الحداثي أيضا ، هو وتر : العنف الإسلامي . و القضيه أشهر من أن نحتاج إلى تصويرها للقارئ ، فمن المعلوم أن تصوير القضايا و الدعاوى مقدمه ضروريه للإجابه عنها و حسن فهمها ، و لا حاجه للتصوير هنا فالقضيه واضحه للجميع تقريبا . فلنشتغل بالمهم و نرى قيمتها . و كالعاده نبدأ من أهل الصلب ثم نثني بأهل الغرب .

أما أهل الصلب و اليهود أيضا ، فالحجه عليهم هي ما يُعرف بأسفار موشي الخمسه و العهد القديم عموما ، أما حجيته لليهود فواضحه إذ هو كتابهم الرئيسي ، و حجيته لأهل الصلب أيضا واضحه من حيث أنه الأساس الذي يبنون عليه و يرجعون إليه في إثبات نبوه و مشيحانيه صاحبهم . و قد ذكرنا طرف من الاحتجاج عليهم بما في هذه الكتب العبرانيه في كتابنا " أهل الصلب و الغرب " و انتهينا في الاقتباس منه عند الكتاب الرابع منه ، و لا نعيد هنا ، بل نذكر هنا من الكتاب الخامس المعروف بتثنيه الاشتراع و الكتاب السادس المعروف بيشوع . و كتاب يشوع مهم جدا و بعضهم يلحقه بالكتب الخمسه ، و تكمن أهميته أنه الكتاب الذي يصف تحقيق الوعد المقطوع في الكتب الخمسه ، فالخمسه فيها الوعد و السادس فيه تحقيقه ، فإن كانت الخمسه وسيله ، فالسادس هو الغايه ، فمن بعض النواحي يمكن أن يقال أنه أعلى من الكتب الخمسه من حيث أن الغايه أعلى من الوسيله ، و الوفاء أثمن من الوعد و الأمل . و يشوع المذكور - و لا نحتاج أن نُذكّر أن كلامنا هو كله حسب هذه الكتب و نصوصها و لسنا بصدد مناقشه " واقعيتها " فلا يهمنا واقعيه المضمون طالما أن أهله يعتقدون بواقعيته - هو خليفه موشي ، و يذكر الكتاب أن الرب كان يكلمه و كان معه و صنع له العجائب و الخوارق ، فهو بحكم النبوه و الولايه الكبرى عندهم . فتعالوا ننظر بعض المواضع من هذين الكتابين ، نبدأ بتثنيه الاشتراع و نثني بيشوع إن شاء الله .

- تثنيه الاشتراع .

أ- ٢/ ٢٦-٢٧: تذكر هذه الفقرات رغبه القوم بالعبور من أرض ملك ما ، فيأبى الملك لهم ذلك ، ثم يذكر أن الرب هو الذي قسى قلب الملك ليرفض عبورهم ، و هاك النص { فابدأ بالتملك و رث أرضه } هذا كلام ربهم فتأمل { فخرج سيحون لملاقاتنا بكل شعبه للقتال إلى ياهص . فأسلمه الرب إلهنا بين أيدينا ، فضربناه هو و بنيه و كل شعبه ، و استولينا على جميع مدنه في ذلك الوقت و حرمنا كل مدينه } التحريم هو القتل و الإباده { رجالها و نسائها و أطفالها ، و لم نبق باقيا . و أما البهائم فغنمناها لأنفسنا مع غنيمه المدن التي استولينا عليها } .

أقول : لاحظ أن تبريرهم لقتال و { تحريم } المدينه كلها ، حتى النساء و الأطفال ، إنما نشب ليس بسبب وقوع عدوان معين من سيحون على القوم ، و لكن لمجرد عدم موافقته لمرورهم من أرضه ، و استرابته منهم و حق له ذلك ، و لكن حتى لو فرضنا أن هذا كان سببا كافيا لقتال الملك بجيشه بعد أن خرج عليهم الملك لملاقاتهم لما لم يمتنعوا عن رغبته و إصرارهم في المرور من أرضه ، فلنفرض عداله ذلك ، فما مشروعيه قتل النساء و الأطفال ، و إن وجدنا عذرا ما - على بعده - لقتل النساء ، فما بال الأطفال ، و إن وجدنا عذرا - على بعده الأشد - يبيح قتل الأطفال الذين وعوا ، فما بال استباحه قتل الأطفال الذين لم يعوا على أنفسهم أصلا . { و لم نبق باقيا } هذه تكفي للتعبير عن المجزره التي أقاموها ، و ستأتي مجازر كثيره من هذا القبيل الذي يقال فيه { و لم نبق باقيا } بعد قليل كما سترى إن شاء الله .

ب- ٣ / ١-٧ : تذكر مجزره مشابهه للأولى ، فيقول في نهايتها { فأسلم الرب إلهنا أيضا إلى أيدينا عوجا ، ملك باشان ، و كل شعبه ، فضربناه حتى لم يبق له باق . و استولينا على جميع مدنه في ذلك الوقت ، و لم تكن هناك مدينه لم نأخذها منهم ، ستون مدينه ، كل منطقه أرجوب ، مملكه عوج في باشان ، و هذه كلها مدن محصنه بأسوار عاليه و أبواب و مزاليج ، ما عدا مدن الأرياف الكثيره جدا ، فحرمناها كما فعلنا بسيحون ملك حشبون ، محرمين كل مدينه ، رجالها و نساءها و أطفالها ، و أما البهائم و غنيمه المدن فغنمناها لأنفسنا } .

أقول : تستطيع أن تتصور عدد الرجال و النساء و الأطفال الذين تم ذبحهم من عدد المدن و عظمتها كما وصفتها الحكايه . و تقول الفقرات ٢١ و ٢٢ من نص الفصل على لسان موشي { و أمرت يشوع في ذلك الوقت قائلا : قد رأت عيناك كل ما صنع الرب إلهكم بهذين الملكين ، و كذلك سيصنع الرب بجميع الممالك التي أنت عابر إليها . فلا تخافوهم ، فإن الرب إلهكم هو المقاتل عنكم } . فإذن هذه المجازر كانت من عمل الرب نفسه ، و بأمره و برضاه . و هو عين الرب الذي يعبده أهل الصلب و يعتقدون فيه ، اللهم إلا أن يبطلوا هذه الكتب الخمسه التي يقوم عليها ما يسمونه " العهد القديم " كله ، و بالتالي تبطل أصل فكره الموشياخ المخلص الظاهريه فضلا عن الباطنيه كما يرونها و يدعونها، فيسقط دينهم بسقوط أصله ، و هم لا يفعلون ذلك حسب إطلاعنا . فإله المجازر و ذبح الأطفال و النساء هو أيضا إلههم . لا ندري ، لعله من باب المحبه فعل ذلك .

ج- ٣ /٢١-٢٢ : بعد أن ذكر المجزره السابقه ، ذكر التالي على لسان موشي نبيهم الأكبر {إن الرب إلهكم قد أعطاكم هذه الأرض لترثوها ، فاعبروا مسلحين قدام إخوتكم بني يسرال ، كل رجل حرب... و أمرت يشوع في ذلك الوقت قائلا : قد رأت عيناك كل ما صنع الرب إلهكم بهذين الملكين، و كذلك سيصنع الرب بجميع الممالك التي أنت عابر إليها ، فلا تخافوهم ، فإن الرب إلهكم هو المُقاتل عنكم }

أقول : كما هو ظاهر ، فإن قولهم { يصنع الرب } و نحو ذلك هو عباره دينيه ، و مظهرها على الأرض هو التنفيذ العلمي للجيش و العسكر { كل رجل حرب } ، فليس المقصود أبدا - كما هو واضح من القصص و الأحكام - أن الرب بطريقه من الطرق الخفيه أو بغير واسطه الجيش المسلح سيقوم بإخراج السكان من أرض فلسطين ، و لكن سيخرجهم بالعسكر و الذبح الجماعي أو التحريم كما يقولون ، هذه هي القاعده و ما سوى ذلك استثناء من قبيل استثناء أسره أعانت اليهود على الدخول كما في قصه راحاب العاهره مثلا . هذا أولا .
ثانيا ، لاحظ أمر موشي ليشوع { قد رأت عيناك كل ما صنع الرب إلهكم بهذين الملكين } أي ما صنعه عسكرنا من مذبحه أبدنا فيها الطفل و الشيخ و ما بينهما { و كذلك سيصنع الرب بجميع الممالك التي أنت عابر إليها } أي كذلك يجب أن تفعلوا مع كل الممالك التي ستعبرون إليها ، و هو الذي سيحدث فعلا كما سنقرأه لاحقا إن شاء الله في كتاب يشوع و هو الكتاب السادس من توره اليهود أو العهد القديم عند أهل الصلب . فلا يقال أن ما عمله يشوع و من معه كان باجتهاد شخصي منهم ، أو اعتداء على الشريعه الإلهيه ، أو أي شئ من هذه الأعذار . بل كان الأمر مبيّت و مدبر من قبل ، و جاء بتوجيهات " كليم الرب " ، بل أدهى من ذلك ، فإن " الرب " نفسه هو الذي سيصنع ذلك ، أي بواسطه جيشهم طبعا . ثم لا يقع هذا العذر في جميع الأحوال ، لأنه كما سنرى في كتاب يشوع إن شاء الله ، فإن يشوع نفسه حجه و مخلص رباني عندهم و بنص كتابهم ، بل الرب نفسه يكلمه و يوجهه .
ثالثا ، عندما تكون مثل هذه النيه مبيته ، أي نيه ذبح كل الممالك التي سيعبرون إليها ، فإن هذا يقطع العذر الممكن أن يقال في مثل هذه المواضع ، أي أن الممالك اعتدت عليهم أو نحو ذلك ، فالأمر واضح من أول القصه : هذه أرضنا و سنذبح كل من يحول بيننا و بينها .
رابعا ، بالنسبه لأهل الصلب ، فإنهم يعتقدون أن الرب هو يسوعهم ، و كذلك يعتقدون أن الرب هو الروح القدس ، أو لا أقل أنهم يعتقدون أن الرب الذي قال و صنع هذه الأشياء المذكوره في العهد القديم هو عينه الرب الذي يعبدونه و الذي تنبأ أنبياؤه بيسوعهم و مخلصهم ، بالتالي ، و إن تعذروا بأن العهد القديم " نُسخ " و " ألغي " بسبب صلب المشيح و غيره ذلك من تخريجات ، فإن هذا الغذر و إن كان باطلا بحد ذاته كما سنرى إن شاء الله ، إلا أنه حتى مع فرض صحته جدلا لا يمكن أن يتخلصوا به من الالزام بفحوى هذه القصص و مضمونها ، و ذلك لأننا لا نحتج عليهم بأنهم ملزمون بتطبيق هذه الشريعه القديمه المنسوخه ، و لكننا نحتج عليهم بأنهم يعتقدون بأن ربهم يسوع أو الرب في العهد القديم هو عينه ربهم ، و أن الذين قاموا بهذه الأعمال هم أنبياؤه و شعبه المختار "القديم"، و على ذلك ، حين يزعمن أن " إله الإسلام يأمر بالعنف " يكون زعمهم منقوضا من قبل حتى أن ننبس ببنت شفه فيما يتعلق بصحه هذا الزعم ، بل حتى لو سلمنا جدلا بكل ما يزعمونه في حق الإسلام من عنف ، بل و لو ضاعفناه سبعه أضعاف ، فإنه لا حجه لهم علينا ، و ذلك لأنهم يعتقدون

بأن ربهم أيضا أمر و صنع مثل هذا العنف بل أشد منه كما ترى في ما ذكرناه لك و سنذكره إن شاء الله . ضع هذا الأمر في بالك أثناء قراءه كل ما سيأتي إن شاء الله تعالى .

د- ٦ / ١٠-١٩ : { و إذا أدخلك الرب إلهك إلى الأرض التي أقسم لآبائك ابراهم و يتزخاك و ياكوف أن يعطيك إياها ، مدنا عظيمه حسنه لم تبنيها ، و بيوتا مملوءه من كل خير لم تملأها ، و آبارا محفوره لم تحفرها ، و كروما و زيتونا لم تغرسها ، و إذا أكلت و شبعت فلا تنس الرب الذي أخرك من أرض مصر من دار العبوديه } ثم يقول { و اصنع القويم و الصالح في عيني الرب لكي تصيب خيرا و تدخل و ترث الأرض الطيبه التي أقسم عليها الرب لآبائك ، أن يبدد جميع أعدائك من أمامك كما تكلم الرب } .

أقول : أولا ، لاحظ أن الأرض التي سيدخلونها ليست أرضا موات و خراب فارغه مما يحق للناس أن يحيوها و يسكنوا فيها كما جرت سنه الناس في اكتساب الأحقيه في سكنى الأرض حين تكون خاليه من كل مالك و حق ، بل هذه الأرض التي يزعمون أن الرب أعطاهم إياها معموره و مسكونه أشد ما يكون العمران و السكن و فيها { مدنا عظيمه } و { بيوتا مملوءه } و { آبارا محفوره } و {كروما و زيتونا } . و حتى لا يمكن أن يوجد عذر يقول : إنما قال ذلك بمعنى أنه سييسر لهم هم أن يبنوا المدن و يحفروا الآبار و نحو ذلك . فإن نفس النص يلغي هذا الاحتمال إذ يقول بعد كل فقره مما يوجد في الأرض { لم تبنيها } و { لم تملأها } و {لم تحفرها} و {لم تغرسها} . باختصار ، ستنهب و تسرق و تغتصب ما فعله غيرك . هل يوجد في دستور السُرّاق إلا ما ذكره هذا النص . و يترتب على هذا النص أمور ، منها مبني على قاعده التعامل بالمثل و هي أن كل مدينه يهوديه و كل بيت يهودي و كل بئر حفره يهودي و كل كرم و زيتون من مزارع اليهودي حلال لكل من يستطيع أن يضع يده عليه بالقوه و العنف ، فكما أنهم أباحوا لأنفسهم ملك غيرهم بالقوه العسكريه - و الدعاوى الغيبيه التي لا يعجز عنها أحد - فكذلك يُباح كل ما لهم ، أو لا أقل لا حجه لهم في قبال من يستبيح أملاكهم و مزارعهم . و بهذا النص - و غيره - تنتقض الدعاوى القديمه ضد ما يُروى في السيره النبويه المحمديه فيما يتعلق بحصون و مزارع اليهود ، و حتى لو افترضنا أن هؤلاء اليهود لم يخونوا العهد و يخونوا الميثاق الذي قبلوه و سكنوا به مع أمه المدينه ، فأقل ما يقال لهم هو ، كما أنكم ملكتم بالعسكر ملك الفلسطينيين ، فكذلك نحن سنملك بالعسكر ملككم أنتم . و يُرد أيضا على أهل الصلب الذين يزعمون أنه " لا يمكن للرب الحقيقي أن يأمر بمثل ذلك العنف و النهب " فها هو كتابكم و منبع نبؤات يسوعكم و الذي أقر يسوعكم بمشروعيته و حقانيته و استدل به من تسمونه " رسل المشيح " في قبال اليهود كما في كناب " أعمال الرسل " مما تسمونه العهد الجديد و غير ذلك من كتبكم الجديده نفسها . الكلام واضح { إذا أدخلك الرب إلهك إلى الأرض } فليس هو دخول بناء على اجتهادات شخصيه ، أو قياسات سياسيه و دنيويه ، أو أي شئ آخر من هذا القبيل البشري ، بل

هو إدخال رباني إلهي مباشر ، بل إنه يسوق هذا الكلام كتذكير بالمنه و النعمه التي أنعمها ربهم عليهم ! يذكرهم بالنعمه التي هي صوره النهب و السرقه .
ثانيا ، أهل العقل الذين ينظرون في مقاصد الأوامر يدركون أن الأوامر معلقه بالمقاصد التي توضع لها أو تكون لها ، فيكون الأمر كالوسيله و المقصد غايه . فلاحظ مدى خسه هؤلاء اليهود و من تفرع عنهم من أهل الصلب بالطبيعه ، حين يقول لهم ربهم أن هذه المدن و البيوت و الآبار و المزارع التي سأجعلكم تنهبوها بالعسكر هي نعمه يجب - لأني أعطيتكم إياها - أن لا تنسوني ، كما فرع فقال {فاحذر أن تنسى الرب } ، ثم يؤكد هذا المعنى فيقول { و اصنع القويم و الصالح في عيني الرب } هذه الغايه { لكي تصيب خيرا و تدخل و ترث الأرض الطيبه التي أقسم عليها الرب لآبائك } .
فالصلاح و الاستقامه مجرد وسيله للسيطره على أرض و شهوه . جعلوا عالي الأمور سافلها ، كعادتهم . فبدل أن يكون الاستقرار في الأرض وسيله لغايه ذكر الرب و عمل الاستقامه ، أصبح الأمر معكوسا منكوسا على رأسه ، فذكر الرب و الاستقامه وسيله لبقائهم على الأرض و فوزهم بها. فالمحوريه للأرض و ليست للرب . و هذه مجرد إشاره عابره ليتأملها الناظر .
ثالثا ، لاحظ النتيجه التي يذكرها كغايه لعمل الصلاح و الاستقامه ، و هو مضمون القسم الإلهي المزعوم للآباء { أن يبدد جميع أعدائك من أمامك ، كما تكلم الرب } . و حسب ما ورد في أحد المزامير و الذي يستشهد به " رسل المشيح " أيضا في كتاب أعمال الرسل ، يقول ربهم لمشيحه و مصطفاه داويد - الذي هو أبو مخلصهم من أحد الأطراف كما يقولون : سأجعل أعدائك موطئا لقدميك . فإذن يترتب على هذا أن الانتصار على الأعداء ، إما بتبديدهم - سواء كان معنى التبديد هو التفريق و التشتيت بمعنى أن يهربوا من أمامك و يفروا للنجاه أو بمعنى الاباده كما هو منفذ فعليا في هذه القصص - و إما بجعلهم موطئا للقدمين - سواء كان معنى ذلك الانتصار عموما أو بجعلهم عبيدا و سخره تحت المنتصر كما هو ظاهر أيضا في بعض هذه القصص أو بمعنى الاهانه و الاذلال - هو أمر يقوم به " الرب " في هذه الديانه اليهوديه و الصليبيه المتفرعه عنها . و يترتب على هذا أمور ، منها أنه لا حجه لأحد من هؤلاء ضد أي أمه في حال قامت هذه الأمه و ضربت عليهم الذله و الاهانه و بددتهم و أبادتهم و جعلتهم تحت أقدامها أو بتعبيرهم " موطئا لقدميك " ، و إنما هو من قبيل : كما تدين تدان ، و هو مبدأ يعترف به القوم أيضا ، فالحمد لله .

هـ - ٧ / ١-٢٥ : هذا الفصل فيه خلاصه جامعه شديده الأهميه فتأملها كلها . يقول {و إذا أدخلك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لترثها و طرد من أمامك أمما كثيره ، الحثيين و الجرجاشيين و الأموريين و الكنعانيين و الفرزيين و الحويين و اليبوسيين ، سبع أمم أكثر و أقوى منك، و أسلمهم الرب إلهك بين يديك ، و ضربتهم ، فحرمهم تحريما ، لا تقطع معهم عهدا و لا ترأف بهم و لا تصاهرهم و لا تُعط ابنتك لابنه و لا تأخذ ابنته لابنك ، لأنه يبعدك عن السير ورائي فيعبد آلهه أخرى فيغضب الرب عليكم و يبيدك سريعا ، بل اصنعوا بهم هكذا : تدمرون مذابحهم ، و تكسرون أنصابهم ، و تحطمون أوتادهم المقدسه ، و تحرقون تماثيلهم بالنار ، لأنك شعب مقدس للرب إلهك و

إياك اختار الرب إلهك لتكون له شعب خاصته من جميع الشعوب التي على وجه الأرض . لا لأنكم أكثر من جميع الشعوب تعلق الرب بحبكم و اختاركم ، فأنتم أقل من جميع الشعوب ، بل لمحبه الرب لكم و محافظته على القسم الذي أقسم به لآبائكم أخرجكم الرب بيد قويه و قادك من دار العبوديه من يد فرعون ملك مصر . فاعلم أن الرب إلهك هو الإله الأمين الحافظ العهد و الرحمه لمحبيه و حافظي وصاياه إلى ألف جيل و المُكافئ مبغضيه في نفوسهم ليهلكهم و لا يتأخر عن مجازاه مبغضيه في نفسه . فاحفظ الوصيه و الفرائض و الأحكام التي آمرك اليوم أن تعمل بها . فإذا سمعتم هذه الأحكام و حفظتموها و عملتم بها ، حفظ الرب إلهك هو أيضا عهده لك و رحمته التي أقسم عليها لآبائك ، فيحبك و يباركك و يُكثّرك و يبارك ثمره أحشائك و ثمره أرضك : قمحك و نبيذك و زيتك و نتاج بقرك و غنمك ، في الأرض التي أقسم لآبائك أن يعطيك إياها . و تكون أكثر بركه من جميع الشعوب ، و لا يكون عقيم و لا عاقر فيك و لا في بهائمك . و يبعد الرب عنك كل مرض ، و جميع أوبئه مصر التي عرفتها لا يُنزلها بك بل يُنزلها بمبغضيك . و تفترس جميع الشعوب التي يُسلمها إليك الرب إلهك ، فلا تَعطف عينك عليها ، و لا تعبد آلهتها فإن ذلك فخ لك . فإن قلت في قلبك : هذه الأمم أكثر مني فكيف أستطيع أن أطردها ؟ فلا تخفها ، بل تذكر ما صنع الرب إلهك بفرعون و بمصر كلها ، تلك التجارب العظيمه التي رأتها عيناك و الآيات و الخوارق و اليد القويه و الذراع المبسوطه التي بها أخرجك الرب إلهك . هكذا يصنع الرب إلهك بجميع الشعوب التي أنت خائف منها . و يُرسل الرب إلهك الزنابير ، حتى يهلك الباقون و المختبئون من وجهك . فلا ترتعب أمامهم ، لأن الرب إلهك في وسط إله عظيم رهيب . و الرب إلهك يطرد تلك الأمم ممن أمامك شيئا فشيئا . لا تقدر أن تفنيها سريعا ، لئلا تكثر عليك الحيوانات الوحشيه . و يسلمها الرب إلهك بين يديك و يوقع عليها اضطرابا عظيما حتى تبيد . و يسلم ملوكها إلى يدك ، فتمحو أسماءها من تحت السماء ، فلا يقف أحد في وجهك حتى تُبيدها . و تماثيل آلهتها تُحرقونها بالنار ، لا تشته ما عليها من الفضه و الذهب ، و لا تأخذه لك ، لئلا تقع في الفخ بسببه ، فإن ذلك قبيحه لدى الرب إلهك ، فلا تُدخل بيتك قبيحه ، لئلا تكون محرما مثلها ، بل استقبحها و لتكن قبيحه لديك لأنها محرمه " .

أقول : أولا ، لاحظ إقراره - للمره السبعين على ما يبدوا ، و يبدوا أنهم قوم لا يسمعون بحيث يحتاج الأمر إلى تكرار يثقل المراره - أن في الأرض هذه أقوام يسكنوها و هم أقوام كثر ، { سبع أمم أكثر و أقوى منك } ، فالأرض معموره ، و إن كان اليهود - حسب المكتوب هنا - يعدون بمئات الآلاف ، فتستطيع أن تتخيل عدد هذه الأمم السبعه التي ستقع عليها الإباده و الأمر بإبادتها { شيئا فشيئا} . فهو احتلال عسكري للأرض بكل ما للكلمه من معنى .
ثانيا ، لاحظ الأمر الرباني في كيفيه معامله هذه الأمم { و أسلمهم الرب إلهك بين يديك ، و ضربتهم فحرمهم تحريما } و هو القتل كما عرفت { لا تقطع معهم عهدا } فالمفاوضات و الصلح و السلام ممنوع ، و من ثم تعرف مدى رحمه من يقبل أن يقطع عهدا مع اليهود كما حدث في السيره المحمديه بينما هم مأمورين بأن لا يقطعوا معهم عهدا في أرض دولتهم { و لا ترأف بهم } هذه تشرح نفسها

فلا تحتاج إلى تعليق ، و لكن يترتب عليها أن الرب الحقيقي - كما يعتقدون ، و كما يعتقد أهل الصلب أنه يسوعهم - هو أيضا الآمر بأن لا تقع رأفه بغير اليهود في أرضهم كأصل بل يجب أن "يحرمونهم تحريما" و من الاستثناءات على هذه القاعده في حال كان الغريب عبدا لليهودي أو نزيلا عنده خاضعا لأحكام النزلاء ، و ذلك كله بعد أن يتمكنوا من الأرض كما لا يخفى ، و أما قبل ذلك يجب أن يحرموهم تحريما بلا رأفه { و لا تُصاهرهم ، و لا تُعط ابنتك لابنه و لا تأخذ ابنته لابنك } فهذه مقاطعه اجتماعيه كامله ، مع سوء ظن بالغير كما هو النص الذي يبرر أن الغير سيؤدي إلى الشرك و الوثنيه ، و مره أخرى لاحظ قبولنا كمسلمين لأن نأخذ من بناتهم لأبنائنا ، و إن كنا نمنع إعطاء بناتنا لأبنائهم ، فلا يُحتج علينا في هذه النقطه و لا يحق لأحد أن يحتج علينا بذلك من اليهود أو أهل الصلب ، بل نحن أحسن منهم بمقدار النصف ، فإن كانوا هم يرون منع التزاوج من الطرفين أي البنت و الابن ، فإننا نرى المنع من طرف واحد فقط ، فإن كانت هذه سيئه في أعينهم ، فلتكن شريعه ربهم - و هو عين يسوعهم عند أهل الصلب - سيئه مضاعفه ، و إن كانت هذه الشريعه حسنه، فلتكن شريعتنا كذلك إذ هي على النصف منهم ، فلسنا أهل انعزال كامل عن غير المسلمين كما أننا لسنا أهل اندماج كامل ، بل أمه وسطيه في هذه القضيه كما في كثير غيرها . ثم يأتي الأمر الرهيب و هو { تدمرون مذابحهم ، و تكسرون أنصابهم ، و تحطمون أوتادهم المقدسه ، و تحرقون تماثيلهم بالنار } و كذلك { و تماثيل آلهتها تُحرقونها بالنار } و هذا الأمر قد يعني أحد أمرين ، إما أنه أمر بتدمير كل معابد و مقدسات غير اليهود أيا كانت ، أي حتى لو كان الغير أصحاب توحيد و لا يوجد شرك و أصنام عندهم كالمسلمين ، و إما أنه أمر فقط في حال المشركين . فإن كان الأول أي لكل غير اليهود ، فليكن هذا حجه عليهم في جواز تدمير الآخرين لمعابدهم و ما فيها ، و كذلك يتوجه الكلام لأهل الصلب . و إن كان الثاني أي لغير الموحدين فقط ، فهذا من وجه إقرار بوجود موحدين يجب احترام دينهم من غير اليهود ، و من وجه آخر يعتبر أيضا عنف موجه لأديان غير الموحدين و رفض و تدمير و اعتداء تام على مقدساتهم و يترتب عليه عدم صلاحيه الاحتجاج على أصحاب أي دين في استعمالهم للعنف و الاعتداء على مقدسات اليهود و أهل الصلب على السواء ، فكما أنهم أجازوا لأنفسهم تدمير معابد غيرهم ، فكذلك يجوز لغيرهم أن يدمروا معابدهم بغض النظر عن فهمهم أو عدم فهمهم للفلسفه الدينيه التي تقبع وراء هذه المعابد و المقدسات . و في جميع الأحوال ، لا يجوز لأحد منهم أن يتوجه على المسلمين في كونهم دمروا أصنام أهل مكه و غيرها من الأصنام الكائنه في جزيره العرب ، ثم لنا الفضل عليهم في أننا لم ندمر معابدهم على مر أربعه عشر قرنا - باستثناء حالات معدوده - و أكبر أدله ذلك كون اليهود و أهل الصلب يجدون أنفسهم أحياء و معابدهم - بالتصاوير و التماثيل الكامنه في الكنائس الصليبيه - قائمه على طول البلاد و عرضها ، باستثناء جزيره العرب كما ذكرنا. فما قمنا به في جزيره العرب لا حجه لهم علينا فيه ، فكما أن ربهم أمر بإباده معابد أهل الأديان من الأرض كما هو النص أعلاه ، فكذلك نحن عملنا معهم و مع غيرهم إذ أردنا أن تكون هذه الأرض خالصه لله واحده ، و لكن على

عكسهم - و على عكس ما فعله أهل الصلب في أوروبا مثلا - فإننا تركنا أهل الأديان و معابدهم على الأطراف لمده أربعه عشر قرنا - حتى خرج بعض السفله ممن لا يُشكلون حتى عشر معشار عشر المسلمين ممن يذبحون و يفجرون في مساجد المسلمين أيضا فضلا عن غيرهم و سعوا في تبديل هذه السنه المتسامحه و الله سيتكفل بصدهم عن الناس . فالحاصل ، أن هذا النص ينقض أي احتجاج علينا في تعاملنا مع غير المسلمين ، سواء في قضيه تحريمهم و قتلهم و هو الجانب العسكري ، أو قطع العهود و هو الجانب السياسي ، أو الرأفه بهم و هو الجانب الشخصي ، أو مصاهرتهم و هو الجانب الاجتماعي ، أو تدمير معابدهم و هو الجانب الشرعي أو الديني كما يسميه المختزله - و عندنا الدين ما شمل كل هذه الجوانب و ما فوقها أيضا . فهذا النص إباحه مباشره للدكتاتوريه الشامله . فكل من عمل دون ما نص عليه فهو أكرم و أرحم منهم ، و لا حجه للأدنى على الأعلى .

ثالثا ، لاحظ الفقرات التي تتحدث عن إنزال الرب للأمراض و الأوبئه و العقوبات بمبغضي اليهود . {حتى يهلك الباقون و المختبئون من وجهك } و { يوقع عليها اضطرابا عظيما حتى تبيد } و {يسلم ملوكها إلى يدك فتمحو أسماءها من تحت السماء ، فلا يقف أحد في وجهك ، حتى تُبيدها } . لا يوجد في لغه من اللغات كلام أوضح و أفصح من هذا فيما يتعلق بتدمير الأعداء . يهلك ، تبيد ، تمحو . هل تعرف عبارات أقوى من هذه للتدليل على الإهلاك و الإباده و المحو ! و هذا هو عين يسوع و الثالوث المقدس أيضا ، فتأمل . ثم إن إنزال الرب للأمراض و الأوبئه بأعداء اليهود ، يمكن أن يعني أمر شديد الخطوره ، فبناء على قاعده " صنع الرب تساوي سيصنع اليهود " كما رأينا من قبل كيف أن ما يصنع اليهود يقولون أن الرب هو صنعه ، و أن ما سيصنعه الرب يعني أنه عليكم أنتم أن تصنعوه ، و هذه شديده الشهره و الانتشار في هذا الكتاب ، فإن قولهم أن الرب سينزل و ينشر الأمراض و الأوبئه ضد أعداء اليهود ، ألا يعني أنه على اليهود أن ينشروا الأمراض و الأوبئه في وسط أعدائهم ، أو لا أقل ألا يعني ذلك إباحه قيامهم بهذا الأمر . من يدري ، لعل ما انتشر في هذا الزمان من انتشار أمراض " من صنع البشر " في مجتمعات مختلفه يجد مرجعه هنا ، و الله أعلم .

رابعا ، تأمل هذه الفقره { و تفترس جميع الشعوب التي يسلمها إليك الرب إلهك ، فلا تعطف عينك عليها } . تأمل كلمه { تفترس } و { فلا تعطف عليها } . و أضفه إلى قائمه ، تهلك و تبيد و تمحو . فالآن أصبحت قائمه أوامر هذا الرب - و هو عين الثالوث المقدس عند أهل الصلب فلا تنسى و سنذكرك كثيرا حتى لا تنسى فإن من عاده الإنسان النسيان فسامحنا على التكرار ، و لعل هذا يفسر شده التكرار الممل جدا في هذه الكتب التي بين أيدينا - هي التالي : التحريم ، الإباده ، الإهلاك ، المحو ، الافتراس . و أقول قبل أن نختتم هذه الفقره : إن الذي يستطيع توجيه هذا الكلام كله و تخريجه و الاعتذارر له ، يجب عليه أن يستحي من عدم توجيه و تخريج كلام غيره . و لكنا تعودنا عدم رؤيه الحياء في هؤلاء القوم ، و هو يكذبون بوجه بارد و يستخفون بعقول من يعتقدون أنه لا يعرف ما عندهم . أسوأ خمس كلمات في قاموس اللغات ، التحريم و الاباده و الإهلاك و المحو و

الافتراس ، هذه هي الكلمات التي يأمر بها الرب اليهودي - و الثالوث الصليبي - أن يتعامل بها "الشعب المختار" مع أعدائه ، و الذي لم يعادوهم إلا لأنهم يريدون أن يحتلوا أرضهم . فسبحان الله و هل يريدون منهم أن يخرجوا من أرضهم ، من مدنهم العظيمه و بيوتهم المملوءه بالخير و آبارهم المحفوره و مزارعهم الغنيه ، و يأخذوا معهم ملايين من مشايخهم و نسائهم و أطفالهم ، و يسيحوا على وجههم في الأرض ، من أجل أن أذله من العبيد الذين لعنهم الله يريدون احتلال أرضهم بدعوى أن ربهم " أقسم " بذلك قبل بضعه قرون لرجل من الرجال ! ثم يقال أن هذا الرب له محبه و رحمه و نظر في خلقه ، بل يقال أن لهذا الرب عقل أصلا ! إنما خلقوا هذا الرب من مخيلتهم الفاسده ، و نفسيتهم القبيحه المريضه ، أي خلقوا ربهم على صورتهم هم . " إن الله يأمر بالعدل و الإحسان و إيتائ ذي القربى ، و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغي ، يعظكم لعلكم تذكرون " .

..

فاصل : تعليق موشه بن ميمون ، العالم اليهودي المشهور . قيمه موشه بن ميمون بين اليهود أكبر من أن تُشرح ، حتى قالوا - ليس كلهم بطبيعه الحال - " من موشه إلى موشه ، لم يُبعث مثل موشه " أي من زمان موشه النبي إلى زمان موشه بن ميمون لم يبعث في اليهود مثل موشه بن ميمون ، ثم سمعت أحد علماءهم يقول مكملا لتلك العباره الشهيره " من موشه بن ميمون إلى زماننا هذا لم يُبعث مثل موشه بن ميمون " . ففي مجال العقيده اليهوديه و فلسفتها وضع أحد أشهر الكتب اليهوديه و هو " دلاله الحائرين " و كتبه بالعربيه . و في مجال الشريعه اليهوديه و أحكامها و ترتيبها ، وضع أحد أشهر الكتب اليهوديه و هو " مشنه توره " و كتبه بالعبريه . و كلامنا في هذا الفاصل مقتبس من كتابه " دلاله الحائرين " الفصل رقم ٥٤ منه . فتعالوا ننظر .

قال الحاخام موشه في سبيل تفسير معنى ورود أوصاف للإله كما في التصور اليهودي بأنه "غيور و حقود و منتقم و ذا غضب " ، قال التالي و ننقله بطوله :

{ ألا تتأمل في نصوص التوره لما أمر "في سبعه شعوب" بالإباده ، و قال "فلا تستبق منها نسمه"(تثنيه الاشترا ع ١٦/٢٠) ، اتبع ذلك على الأثر بقوله "كيلا يعلموكم أن تصنعوا مثل رجاساتهم التي صنعوها لآلهتهم فتخطأوا إلى الرب إلهكم" . يقول ، لا تظن أن هذه قساوه أو طلب ثأر بل هو فعل يقتضيه الرأي الإنساني ، أن يُزال كل من يحيد عن طرق الحق و تُمحى العوائق كلها التي تعوق عن الكمال الذي هو ادراكه تعالى ، و مع هذا كله ينبغي أن تكون أفعال الرحمه و العفو و و الشفقه و الرأفه صادره من مدبّر المدينه أكثر من أفعال القصاص بكثير...و اعلم أن قوله "يفتقد ذنوب الآباء في البنين" (الخروج ٧/٣٤) إنما ذلك في ذنب "عباده الوثن" خاصه ، لا في ذنب آخر ، دليل ذلك قوله في الأوامر العشره ، " في الثالث و الرابع من مبغضي " ، و لا يتسمى مبغوضا إلا عابد الوثن، "كل النجاسات التي يكرهها الرب" ، و إنما اقتصر على الرابع لأنه غايه ما يمكن الإنسان أن يرى

من نسله الجيل الرابع ، فإذا قُتل أهل المدينه العابدو الوثن ، فيُقتل ذلك الشخص المشرك و نسل نسل نسله الذي هو الولد الرابع ، فكأنه يصف أن من جمله أموره تعالى ، من جمله أفعاله بلا شك أن يُقتل نسل عابدي الوثن ، و إن كانوا أصاغر في غمار والديهم و أجدادهم . و هذا الأمر وجدناه مطردا في التوره في كل موضع ، كما في أمر " و احرق بالنار تلك المدينه و جميع سلبها " (التثنيه ١٦/١٢) كل هذا لتعفيه ذلك الأثر الموجب للفساد العظيم ، كما بيّنا } . انتهى .

أقول : أولا ، ظاهر إذن أن ما نفهمه - و يفهمه كل من يعرف اللغه تقريبا - من تلك النصوص التي ذكرناها ، و من التي ستأتي إن شاء الله ، ليس هو أمر اخترعناه اختراعا أو تعسفنا فيه تعسفا خفيا أو بيّنا ، كما يفعل من يريد أن يقرأ ما يريده في النصوص لا ما تريده النصوص . الحاخام موشه بن ميمون يذكر نص ما ذكرناه و يعتبره من باب المسلمات التي تجدها مطرده في كل كتابهم المقدس .

ثانيا ، لاحظ أن العله و السبب الذي أباح دماء كل أهل تلك المدن ، و بالتالي كل من توفرت فيهم هذه العله إذ الحكم يدور مدار العله اثباتا و نفيا ، هي عين العله التي ذكرناها نحن تبعا لنص التوره . و هي كونهم مشركين من جهه ، و كون شركهم هذا سبب أو يمكن أن يكون سببا من أجل إفساد الشعب اليهودي . و بعباره الحاخام أن مما يقتضيه { الرأي الإنساني } أيضا هو أن {يُزال كل من يحيد عن طرق الحق} و الإزاله هنا الإباده كما هو ظاهر نصا و سلوكا .

ثالثا ، أثبت الحاخام أيضا أنه { يُقتل ذلك الشخص المشرك و نسل نسل نسله الذي هو الولد الرابع} و قد يظن القارئ أن النسل المقصود مقيد بشرط أن يكون المقتول كبيرا واعيا أو محاربا أو غير ذلك ، و إن كان هذا الاحتمال بعيد أصلا في ضوء النصوص التي تثبتت مسلك القوم ، إلا أن الحاخام هنا لا يدع مجالا للتردد في هذه القضيه فيقول { و إن كانوا أصاغر ، في غمار والديهم و أجدادهم } . صغير كبير ، لا فرق . و القتل قد يكون أيضا بحرق المدينه كما ذكر الحاخام نص {و احرق بالنار تلك المدينه و جميع سلبها } و قد يُقال أن الحرق وقع على المدينه من حيث مبانيها و ليس من حيث سكانها ، نقول و إن كانت النصوص قد لا تساعد على هذا التخريج ، إلا أننا نسلم به جدلا و نتنزل ، إذ ليكن ما يكون الطريق إلى قتل العجائز و الأطفال و النساء و الرجال من غير المحاربين ، فإنما هو من قبيل سرقه المال خفيه أو بقهر و سلاح ، فالمحصله واحده ، و إن كان لصوره الوسيله أثر في الدلاله على مدى إجرام المجرم ، و لكن مجرد تخيل منظر طفل يتم ذبحه بالسيف كاف لتبيين مدى "إنسانيه" القوم مع أعدائهم . فليكن هذا في البال حين يذكر أي سفيه قضيه مثل قضيه خيبر و بني قريظه و نحو ذلك ، أو أي قضيه معاصره .

..

و - ٩/ ١-٣ { اسمع يا يسرال ، إنك اليوم عابر الأردن ، لتدخل و تطرد أمما أعظم و أقوى منك ، مدنها عظيمه و محصنه إلى السماء ، شعبا عظاما طوالا ، بني عناق الذين عرفتهم و سمعت عنهم ، من يصمد أمام بني عناق ، فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو يعبر أمامك كنار آكله ، هو يبيدهم و هو يذلهم أمامك فتطردهم و تبيدهم سريعا ، كما كلمك الرب }

أقول : إذن كلمه الرب إليهم - و كلمه الرب هي عين "يسوع" كما يقول أهل الصلب بل هو عين الرب كذلك أيا كانت هذه العينيه و تفسيرها و بالتالي كأن يسوعهم هو المتكلم الآن ، و الرب لا يتغير - و هي تثبت المطالب التاليه : غزو عسكري ، استيلاء على مدن عظيمه ، الرب هو {كنار آكله} و واضح أنه كذلك للعدو و بالتالي قولهم " الإله محبه " ليس مطلقا كما يزعم بقوله - و يخالف بفعله طبعا - بعض القوم . ثم هذه النار الآكله ستبيد العدو و تذله . فالإباده لقسم منهم ، و الإذلال لقسم آخر ، أو أي نحو من تخريج الإباده و الإذلال آخر يرتضيه القوم ، و لكن العبره بأن الرب سيبيد و سيذل من يقف أمام شعبه المختار ، و سيقوم بطردهم كذلك و هذا يفيد الإخراج من المدن و الإبعاد منها .
فعندها إذن ثلاثه أشياء ستحصل بعمل ، فالعمل هو الغزو العسكري ، و الأشياء الثلاثه هي الإباده و الإذلال و الطرد . و كل هذا بالرب الذي هو نار آكله . ثم في الفقرات اللاحقه يقول النص أن الرب سيطرد هذه الأمم ليس لأن بني يسرال أخيار بل إنه يثبت أنهم { شعب قاسي الرقاب) ، و لكن {لأجل شر تلك الأمم ، طردها الرب إلهك من أمامك } . فالعله من الطرد و إباحه الغزو و الاستيلاء و الإباده و الإذلال هي { شر تلك الأمم } و بما أن توفر العله يقتضي توفر المعلول ، فهذا يعني أن هذا الكتاب - و هذا الرب الذي هو كنار آكله الذي هو يسوع أيضا - يبيح غزو و إباده و إذلال كل أمه شريره ، و حيث أن الشر إنما هو باعتبار ما يعقله "الشعب المختار" و لا قيمه لرأي الأمم في كونها على شر أو خير ، فإن هذا يقتضي أن الشعب المختار الذي يرى أنه على خير أو أن غيره على شر يجوز له أن يغزو الآخر و يبيده و يذله ، أو لا أقل هذا المعنى محتمل بشده في النص ، و إن كنا لا نريد أن ننساق وراء احتمالات النص و دلالاته الظاهره و المبطنه اللازمه ، بل نريد أن نقف عند ظاهر دلاله النص بنفسه بدون أن نحتاج أن نستخرج منه معاني قد يخالف فيها الخصم - و إن كنا لا نستخرج معنى إلا و هو لازم قوي للنص بحيث لا يمكن أن ينكره إلا متعسف . و ظاهر هذه النصوص يغني عن تكلف استخراج لوازمها و آثارها المنطقيه على ظهورها .

ز- ١١/ ٢٢-٢٥ { فإنكم إن حفظتم كل هذه الوصيه التي أنا آمركم بها عاملين بها و محبين الرب إلهكم و سائرين في سبله كلها و متعلقين به } هذه هي العله ، فما هو المعلول ؟ يقول { يطرد الرب هذه الأمم كلها من أمامكم ، فترثون أمما أعظم و أقوى منكم . كل مكان تطأه أخامص أقدامكم انطلاقا من البريه يكون لكم . و من لبنان و من النهر ، نهر الفرات ، إلى البحر الغربي ، تكون حدودكم . لا يقف إنسان في وجوهكم ، فإن الرب إلهكم يوقع رعبكم و خوفكم على وجه كل الأرض التي تدوسونها ، كما قال لكم } .

أقول : هذا النص هو خلاصه كل ديانه اليهود - و الفرع لا يمكن أن يكون أكبر من الأصل بل هو تابع له . النص بكل بساطه هو التالي : طبقوا الأحكام لتملكوا مملكه لا تُهزم . فالُمراد هو مملكه لا تُهزم . أي طلب الملك في الدنيا . هذه خلاصه كل التوره . و التوره ليست إلا شرح لطريق تحصيل هذا الملك . و المملكه المطلوبه محدده حدودها من الفرات إلى البحر الغربي . و علاقه هذه المملكه بغيرها من الأمم { على وجه كل الأرض } هي علاقه وصفها بقوله { و يوقع الرب إلهكم رعبكم و خوفكم } . فبالرعب و الخوف و العسكر ستحصلون على هذا الملك ، بشرط حفظ أحكام الرب إلهكم. يعني ، الغريزه المشهوره بين أهل الدنيا ، طلب الملك القوي المحصّن . شئ عادي جدا !

ح- ١٢/ ٢- ٣ . في هذا النص ما يجب عليهم أن يعملوه في داخل مملكتهم هذه حين يملكونها . و هو التعامل مع الأديان الأخرى الكائنه في هذه الأرض . فيقول { تُخربون جميع الأماكن التي كانت الأمم التي أنتم وارثوها تعبد فيها آلهتها ، على الجبال العاليه و التلال ، و تحت كل شجره خضراء. و تدمرون مذابحها ، و تكسرون أنصابها ، و تحرقون بالنار أوتادها المقدسه ، و تحطمون تماثيل آلهتها و تمحون أسماءها من ذلك المكان } .

أقول : ظاهر النص متعلق بما يُعرف بالوثنيه ، و كل قوم لهم { تماثيل } لآلهتهم . فإن وقفنا عند حدود ظاهره الواضح جدا يكون المعنى : لا "تسامح" مع الوثنيه ، و لا " احترام للمشاعر المقدسه للآخرين". بل لا ملكيه محترمه للآخرين تُجاه هذه الأنصاب و المعابد و التماثيل ، إذ لو كانت ملكيتها ثابته في اعتبار اليهود لما أجازوا لأنفسهم أن يمسوها بسوء و إلا كان اعتداءا على ملكيه الغير ، و لكن من السذاجه أن نضع حتى احتمال احترام ملكيه الغير عند قوم يجيزون الاستيلاء على المدن و سفك دم الأطفال و العجائز و ما بينهما كما رأينا سابقا و سنرى إن شاء الله لاحقا . إلا أن هذا النص بوضوح يثبت أن الرب اليهودي - الذي هو يسوع أيضا حسب الاعتقاد الصليبي - لا يعترف بالوثنيات ، و لا يعترف بحق الوثني في ملكيه أوثانه و معابده ، ثم إن نفس أمر {تحطمون تماثيل آلهتها } ينطبق على الصليبيين - و لذلك تسمع بعض الحاخامات التقليديين يمنع دخول الكنسيه الصليبيه على اليهودي مع إجازته دخول المسجد الإسلامي بحجه أن الكنسيه تحوي تمثال لآلهه القوم بينما المسجد خال من ذلك . و هو كذلك ، إذ الصليبي يصنع {تماثيل} و هو يدعي أن هذه التماثيل تعبر عن {آلهتها} أيا كانت فلسفتهم في هذا التمثيل و التي هي عين فلسفه كل وثني على وجه الأرض تقريبا . فالحجه لهؤلاء الحاخامات حسب هذه الكتب واضحه . ثم إن انطبق وصف الوثنيه على الصليبيين حسب ما سبق ، فإنه ينطبق عليهم بالضروره أمر الرب - الذي هو يسوعهم أيضا حسب قولهم - القائل في أول فقره في النص { تُخربون جميع الأماكن التي كانت الأمم التي أنتم وارثوها تعبد فيها آلهتها } و بالتالي يكون تخريب الكنائس المشتمله على هذه التماثيل واجب أو جائز أو محتمل بظن راجح حسب هذا النص . فيسوعهم - كلمه الرب ! - يأمر بتخريب كنائسهم التي مثلوه فيها و قالوا عنه أنه إلههم - أيا كانت فلسفتهم و التي كما ذكرنا و نعيد هي عين الفلسفه

الوثنيه التي تدعيها كل وثنيه لشخصياتها "المقدسه" . إلا أن الذي يهمنا من هذا النص هو إيجاب رب اليهود و الصليبيين تدمير معابد الآخرين . فالأمر لا يخلو من احتمالين أو كلاهما : إما أن يكون المقصود "كل معابد الآخرين" بمعنى كل ديانه غير يهوديه إن كان لها معابد فهي مرفوضه و باطله لأنها تعبد آلهه باطله . و إما أن يكون المقصود "كل المعابد الغير توحيديه " و هذا يقتضي بالضروره أنه يمكن أن يوجد دين توحيدي ذو معابد سليمه مقبوله عند رب اليهود و الصليبيين .

فإن كان المقصود " كل معابد الآخرين " بلا استثناء ، فهذا يعني بالضروره أن كل فكره أو مقوله يهوديه أو صليبيه تزعم أنها " متسامحه " مع الأديان الآخرى إنما هي بدعه حداثيه اقتضتها مسايره و سياسه القوم لحال الجماهير الشبه ملحده في بلادهم و زمانهم . لأن الأمر بتدمير معابدهم واضح كما قرأت . هذا أولا . و ثانيا ، يقتضي كون المسلمين الذين أبقوا على معابد اليهودي و الصليبيين في كثير جدا من عواصم الإسلام في العالم كمصر و المغرب و إيران و الشام و تركيا ، هم أعظم و أشد و أكبر "تسامحا" و "قبولا للآخر" من كل يهودي و صليبي ، نظريا - بل و عمليا إن دققت . و الكلام هو عن النصوص و ما تقتضيه و أما تطبيق الناس لها فمسأله ثانويه ، فالناس محجوجون بالنصوص ، و النصوص غير محجوجه بالناس .و ثالثا ، لا حجه ليهودي أو صليبي على المسلمين أو غير المسلمين إن دمروا معابدهم أو استولوا عليها و ما فيها على مر القرون، إذ كانوا يجيزون لأنفسهم تدمير معابد الآخرين و حرقها بالنار فإن هذا - حسب قاعده المعامله بالمثل - يجيز للآخرين تدمير معابدهم و حرقها بالنار فضلا عما دون ذلك من باب أولى . فكل ما ينبح حوله الصليبي من أن المسلمين استولوا على معبادهم - بعضها بطبيعه الحال إذ لا تزال كنائسهم قائمه في شرق العالم الإسلامي و غربه من أقدم الأزمنه ، و لكن السفله يبالغون و يكذبون في الواضحات كعادتهم - لا حجه لهم فيه بحكم نصوصهم ، فضلا عن أنه لا حجه لهم فيه بحكم سلوكهم مع الأديان غيرهم ككثير من كنائس الرومان التي بنوها على أنقاض معابد الأديان التي كانت قبلهم بل أخذوا نفس حجاره تلك المباني أحيانا و بنوا منها كنائس لأنفسهم ، فضلا عن إبادتهم للأديان الأوروبيه و أهلها كما هو معروف . فلا حجه لهم في هذه القضيه من جهه نصوصهم و من جهه تاريخهم . و النص كاف .

و إن كان المقصود " كل المعابد الوثنيه " أي استثناء الشرك ، فهذا يعني بالضروره وجوب اعتراف اليهودي و الصليبي بوجود أديان توحيديه مقبوله أخرى ، معابدها سليمه في عين ربهم ، و حيث أن عباده الرب الحق هو أقصا الدين فإنه لا يعقل أن يقوم دين على الحق ثم يكون هذا الدين باطلا اللهم إلا بنحو ثانوي و في مسائل عرضيه و نسبيه و جزئيه متعلقه بالسفليات بالمقارنه بقضيه عباده الرب الحق التي هي المركز المطلق للدين . فيجب عليهم أن يضعوا معيارا لتعريف الوثنيه و الشرك ، ثم يضعوا معيارا لمعرفه من يعبد الرب الحق بحيث يمكن أن يمتد خارج الله اليهوديه و الصليبيه . هذا أولا ، و ثانيا ، حتى مع هذا الاستثناء فإن أصل قضيه تدمير معابد الآخرين ثابته من حيث المبدأ . و

بالتالي ينطبق عليها ما ينطبق على ما سبقها ، اللهم إن قيد الوثنيه يقتضي أن يتقيد هذا المبدأ فيكون المعنى أن تدمير معابد الوثنيين جائز بل واجب في عين ربهم ، و على ذلك لا حجه لهم في الكلام مع المسلمين أو غيرهم حيال تدميرهم لأي معبد يرى المسلمون أنه وثني ، سواء كان وثنيا فعلا أو الشبهه الغالبه فيه أنه وثني . الوثني فعلا كأصنام مشركي مكه ، الوثني فعلا أو غالبا ككنائس الصليبيين على اعتبار أن كل من يمثّل إلهه فهو وثني أو يجب أن يتم إعذار كل من يمثّلون آلهتهم أو الكائنات العلويه بنفس الحجّه التي سيُعذر بها الفريق الآخر ، أي يجب أن لا نكيل بمكيالين ، إما أن يكون التمثيل جائز بشروطه ، أو يكون غير جائز بالمطلق أو غير جائز في حال غياب بعض الشروط الجوهريه . فالهندوس مثلا ، كان أهل الصليب من الانجليز يرون أنهم أهل وثنيه ، و لكن الواقع أن الهندوس يقرون بالوحده المطلقه مع الظهور في الكثره أو قابليه الظهور فيها ، أي يقرون بالتوحيد في الحقيقه ، و التمثيل ما هو إلا لكائنات علويه أو نحو ذلك من اعتبارات أخرى ، فإن كان مجرد الإقرار بالتوحيد مع أي تمثيل آخر لشئ دون ذلك في الرتبه مقبولا ، فهذا يقتضي أن لا توجد وثنيه فعليه إلا في حالات قليله جدا و عرضيه ، و النص الذي سقناه أعلاه لا يفرق بين كل هذه الاعتبارات ، بل إنه يذكر المعابد و إنما يذكر كلمه { آلهتهم } بالجمع الدال على الشرك ، و هذا ليس حاسما ، لأن "إلوهيم" العبريه تدل أيضا على "آلهه" بل و بعض الصليبيين إن لم يكن كلهم يفسرون هذا الجمع على أنه إشاره إلى الثالوث ، بينما أهل العبريه يفسرونها بجمع التعظيم و التفخيم ، و في كلا الحالتين الجمع ثابت في الصياغه و هو لا يدل على الشرك عند الفرقتين بل يقرون بالتوحيد كأصل أيا كان الفرق في تفسيرهم لهذا التوحيد بعد ذلك و الذي قد يحيله إلى شرك في بعض الأحيان و بعض الاعتبارات ، و على ذلك لا تكون كله { آلهتهم } الوارده حاسمه في المعنى عندهم ، إلا أن فيها إشاره قويه إلى الشرك المطلق .

فالحاصل ، أيا كان تعريف الوثنيه التي هي المعاير في تدمير المعابد و إهانتها ، فإن هذا يجعل الحجه في يد أي مسلم أو غيره في تدمير أي معبد يرونه فعلا أنه وثني ، أو لا أقل يكونوا معذورين في هذا التدمير و إن أخطأوا في تخريج العقيده الوثنيه و الشركيه الظاهر بحكم كون هذه العقيده " سريه و خفيه و صعبه على الفهم " كما يدعي أهل الصليب . فاليهود و غير اليهود ، عندما يسمعون " ثلاثه أقانيم ، و لكنهم واحد " يقولون "ثلاثه " فهمناها و هي عدد فوق الواحد ، و أما "أقانيم" فلم نفهمها تكلموا معنا بلسان فصيح ، سيقول بعضهم " معناها صفات ، أي هو إله واحد له ثلاث صفات " و بعضهم يفسر و يقول اقنوم الأب يعني الوجود ، و الابن يعني العلم ، و الروح القدس يعني الحياه ، أو غير ذلك ، بمعنى أنهم يفسرون التثليث بأنه تثليث صفات للرب الواحد ، و هذا تهريج و مغالطه . لأن كل عقيده تعترف بوجود أسماء أو صفات معينه للإله ، و أما تحديدها في ثلاثه فتحكم محض ، إذ لو قالوا الوجود و الحياه و العلم ، لقلنا : و ماذا عن القدره و الإراده و التكلم و المشيئه و الرحمه و المحبه و القهر و الغنى و غير ذلك من صفات أو سمات ؟ فإن حالوا إرجاع بعضها في بعض ، كأن يجعلوا العلم مشتملا على كذا من الصفات ، و الحياه مشتمله على كذا ،

فإنا نرد و نقول : من جهه نحن يمكن أن نرجع العلم للحياه ، إذ الحي الكامل عالم ، أو يمكن أن نرجع الحياه للعلم إذ كل عالم بالضروره حي ، و يمكن أن نرجع الحياه للوجود و هكذا . و من جهه أخرى فإن إرجاع صفه إلى صفه يدل على تعدد الصفات فوق ثلاثه بنص دليل حاجتكم إلى إورجاعها إلى غيرها و الذي يدل على أنكم أقررتم بوجود هذه الصفه التي تريدون إرجاعها إلى غيرها من الثلاثه التي تخصصونها . فضلا عن المغالطه الأساسيه التي تجعل "الابن" صفه للأب ، مع تمايز المعنى بوضوح في كل واحد من أفراد الثالوث . و لكن ، بعيدا عن الكلام العقائدي ، فإن مجرد قولكم " ثلاثه آلهه " في المبدأ و الأصل ، يقتضي الشبهه الكافيه لجعلكم في حكم الوثنيين أو قريبيين منهم ، ثم إذا نظرنا إلى تفاصيل ما تذكرونه فالأغلب أن تظهر الوثنيه و الشرك ، ثم إذا نظرنا إلى ما تنسبونه إلى هذه " الأقانيم " تزداد الشبهه وضوحها . فأقل ما يقال هو أنكم أقرب للشرك منكم إلى التوحيد . و ليس هذا حال اليهود يطبيعه الحال اللهم إلا ما كان منهم من تجسيم و الذي استمات الحاخام موشه بن ميمون في دلاله الحائرين ليخرج اليهود منه ، حتى سعى بعض الحاخامات في أوروبا في تلك الأزمنه إلى السلطات الصليبيه ليحرقوا كتبه فحرقوها ثم ندموا بعد أن حرقت نفس السلطات تلمودهم . فاليهوديه أقرب إلى التجسيم ، و الصليبيه أقرب إلى الشرك ، هذا مع وجود شبهه توحيديه عندهم قد تزداد و تنقص حسب الحال و الظروف . و أما قول بعض الصليبيين أنه " لا مانع عند المسيحيين من قبول سوره الإخلاص القرءانيه " فإنه حجّه لنا و لله الحمد و إن كان إثبات ذلك عندهم دونه مصاعب جمّه ، إلا أن أقل ما يقال في مثل هذه المحاولات لجعل ملتهم توحيديه خالصه هو : سلمنا لكم بذلك . فلنرجع إلى ما كنا فيه .

ط- ١٣ . هذا القسم شديد الأهميه لأكثر من قضيه . القسم ١٣ كله مهم و يحتاج إلى تأمل جيد على سهوله معناه و وضوحه و تفصيله . و هو قسم من ١٩ فقره حسب الكم . و لكن حسب الكيف يتحدث النص عن القضيه المحوريه التاليه : كيف تعالج الشرك إن ظهر . ففي المقطع الأول يعالج ظهور دعاه الشرك . و في المقطع الثاني يعالج دعوه الأقارب إلى الشرك . و في المقطع الثالث يعالج وقوع شرك من سكان مدينه كامله . العلاج في الحالات الثلاثه واحد : القتل ! أما الداعي فُيقتل و لم يحدد النص كيفيه قتله (و اطلعت على تعليق الحاخام راشي و لم أجده فصّل كيفيه قتله ، و لعل المعنى قتله بأي طريقه ممكنه) . أما القريب ، فيرجمه بالحجاره نفس الشخص الذي سمع منه دعوته للشرك فإن لم يستطع قتله يرجمه بقيه الناس حتى يموت . أما المدينه فإن ثبت بحقها الشرك بشروط ذكروها فإن العقوبه ثلاثيه ، الناس و البهائم يُقتلون بحد السيف كلهم ، باقي الغنائم تُجمع لوسط المدينه ، تُحرق كل المدينه بغنائمها و لا تُعمر للأبد . فالخلاصه : الشرك يساوي القتل . الدعوه إلى الشرك تساوي القتل . المدينه التي تشرك تيُقتل كل حي فيها و يُحرق الباقي .(لا تنسى ، هذا رب اليهودي و الصليبي " إله المحبه ") و الآن تعالوا إلى النص التفصيلي ، و سنقسمه إلى المقاطع الثلاثه التي ذكرناها سابقا .

المقطع الأول .
{ إذا قام في وسطكم نبي أو حالم أحلام فعرض عليكم آيه أو خارقه ، و لو تمّت أو الخارقه التي كلمك عنها و قال لك " لنسر وراء آلهه أخرى لم تعرفها فنعبدها " فلا تسمع كلام هذا النبي أو حالم الأحلام ، فإن الرب إلهكم ممتحنكم ليعلكم هل أنتم تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم و نفوسكم ...و ذلك النبي أو حالم الأحلام يُقتل ، لأنه نادى بالتمرد على الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر و فداك من دار العبوديه ، ليُبعدك عن الطريق التي أمرك الرب إلهك بأن تسير فيها ، فاقلع الشر من وسطك } .

أقول : لاحظ أن مجرد الدعوه إلى ما يُبعد عن الطريق الذي أخرج من دار العبوديه إلى العزه و الحريه حسب حال القوم ، مجرد الدعوه ، كافيه في أن تحكم على الداعي بالقتل . فإذن قتل الدعاه إلى الفساد و الذين يسعون إلى ارتداد الناس عن دينهم مشروعه حسب هذا النص - و سيأتي نص آخر بخصوص قضيه الارتداد مباشره كما سنرى إن شاء الله و لكن يمكن استنباط نفس الحكم من هذا النص .
ثم لاحظ أنه يمكن أن يأتي شخص بآيات و خوارق (حسب راشي : آيات سماويه أو أرضيه) و مع ذلك يكون كاذبا و يجب رفضه و عدم اتباعه . يوجد نفس هذا المعنى تقريبا في كتب الصليبيين التي يسمونها العهد الجديد ، و فيه أن الدجالين سيؤتون آيات و خوارق . و الحاصل من كلا النصين في اليهودي و الصليبي هو أن الآيه و الخارقه ليست حاسمه في الدلاله على الحق و البعثه الصحيحه .
(حاول البعض ادخال هذه المعاني على الأحاديث الشريفه في الإسلام بواسطه قضيه المسيح الدجال و لكن لتلك كلام آخر ليس هنا موضع تفصيله و مجمل القول أن هذا لا يلزم المسلمين بشئ).
أول ما يترتب على بطلان دلاله الآيات و الخوارق على صحه البعثه هو سقوط قيمه كل آيه و خارقه في الدلاله على شئ اللهم إلا أنه قد ظهرت آيه و خارقه للعاده المشهوره بين الناس . و هذا - كما ذكره ابن حزم الظاهري رحمه الله - لا يكون إلا " من وضع الزنادقه " الذين يريدون إفساد الدين كله فإفساد أصله أو أحد أهم أصوله و مرتكزاته الظاهره . و سبب ذكرنا لهذا في هذا المبحث هو أن القوم يبيحون قتل حتى من ظهرت دلائل صدقه بالآيات و الخوارق إن خرم أصل في دينهم . فالأصل المخروم هو إبعاد اليهود عن ما عرفه آبائهم و الوصايا التي بأيديهم التي يظنونها هي عين تلك التي كانت لآبائهم ، بعباره واحده ، أراد أن يخرم دين اليهود كما هو . فإن ادعى أي ما يخرم ذلك الدين فالنتيجه هي القتل و { اقلع الشر من وسطك } . فماذا عن الآيات و الخوارق التي يدعم فيها النبي مقولاته و دعوته ؟ الجواب : لا قيمه لها و إنما يريد الرب أن {يمتحنكم ، ليعلم هل أنتم تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم و نفوسكم } . و من هنا ، يجيز القوم أو يجوز لهم أن يُكذّبوا بالآيات و الخوارق بدعوى أن الدعوه التي تأتي هذه الآيات و الخوارق لتثبيتها هي دعوه مخالفه لدين اليهود و أن الرب يريد أن يمتحنهم ليعلم حالهم .
و أخيرا و هو الأهم هنا ، هو أن علاج هذا النبي أو الحالم ليس تركه و الإعراض عنه ، بل القتل .

المقطع الثاني .
{ و إن أغراك سرّا ، أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأتك التي في حضنك أو صديقك الذي هو كنفسك ، قائلا " هلم نعبد آلهه أخرى لم تعرفها أنت و آباؤك من آلهه الشعوب التي حواليكم القريبه منكم و البعيده عنكم من أقاصي الأرض إلى أقاصيها" فلا ترض بذلك ، و لا تسمع له ، و لا تعطف عينك عليه ، و لا تبق عليه ، و لا تستر عليه ، بل اقتله قتلا ، يدك تكون عليه أولا لقتله ، ثم أيدي سائر الشعب أخيرا ، ترجمه بالحجاره فيموت . لأنه حاول أن يبعدك عن الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من دار العبوديه . فيسمع كل يسرال و يخاف فلا يعود يصنع مثل هذا الأمر المنكر في وسطك}

أقول : الأصناف الخمسه الذين ذكرهم النص (راشي يقول أن "صديقك الذي هو كنفسك " أي أبوك) هم كما ذكر راشي من ذكر الأبعد ذكر الأولى ، أي إن كان هؤلاء الأقارب منك هكذا حكمهم فالأباعد عنك حكمهم كذلك من باب أولى . فالنص يجيز رجم الابن أباه بالحجاره ، و الأب ابنته و ابنه، مباشره إن دعاه إلى الشرك . يرجمه هو بنفسه أولا ، فإن لم يستطع أن يكمل رمي الحجاره حتى يموت الداعي للشرك (حسب قول راشي في تفسير ذكر النص للأمرين) . هذا أولا .
ثانيا ، لاحظ أن النص لم يذكر التوبه للداعي للشرك ، بل القتل بالحجاره ، بل إنه ينهى عن الرضا و السماع و العطف و الإبقاء و الستر .

هذا فيما يتعلق بالدعاه الأفراد إلى الشرك ، و لكن لنأتي الآن إلى علاجهم لوقوع الشرك من مدينه كامله .

المقطع الثالث .
{ و إن سمعت عن إحدى مدنك التي أعطاك الرب إلهك لتسكن فيها أنهم يقولون " قد خرج قوم لا خير فيهم من وسطك فأضلوا سكان مدينتهم قائلين : هلمّ نعبد آلهه أخرى لم تعرفوها . فابحث عن صحه ذلك و اسأل عنه متفصيًا . فإن كان كذلك حقا و ثبت الخبر و صُنعت هذه القبيحه في وسطك، فاضرب سُكّان تلك المدينه بحد السيف ، و حرّمها بكل ما فيها ، و اضرب بحد السيف حتى بهائمها ، و اجمع غنيمتها كلها إلى وسط ساحتها ، و أحرق بالنار تلك المدينه و غنيمتها كلها تقدمه كامله للرب إلهك ، فتكون تلًا للأبد و لا تُبنى من بعد } .

أقول : أولا ، لاحظ أنه لا توبه و لم يقل " اذهبوا و حالوا ارجاع أهل المدينه عن ضلالتهم " ثم يقول "اقتلوا من لا يرجع منهم " على أقل تقدير مع ترك البقيه ، و كذلك لم يقل النص "فاخرجوا الأولاد الصغار و العجائز و النساء الذين أشركوا اتباعا لأزواجهم " أي من ليست عليه مسؤوليه ، و واضح أن كاتب هذا الكلام لا يفكر بقيمه المسؤوليه الفرديه بل و لا الجماعيه الغير فاعله لأنه يأمر حتى بذبح بهائم المشركين ، و ضد في حسبانك أن هؤلاء المذكورين في النص من الذين تم إضلالهم بالشرك هم

من اليهود إن كانت هذه هي قيمتهم في أعين اليهود فما بالك بقيمه غير اليهود . النص واضح - و راشي المعلق لم يذكر أي استثناء أيضا اتباعا للنص - و هو أن المدينه بما فيها إلى الموت ، بالسيف و الحرق . و الآمر بذلك - كما يؤمن أهل الصليب هو رب اليهود الذي هو يسوع المحبه أيضا فتأمل .

ثانيا ، بعد وجود مثل هذه الأحكام في المشركين أو الذين تم إضلالهم بعد توحيدهم ، لا يجوز ليهودي أو صليبي أن يفتح فمه على أي أمه تجازي بعقوبه من يرتد فيها عن دينه ، إذ لا يوجد في التصور كأصل أي عقوبه أشد من أن يوضع كل ذي نفس تحت السيف ، و تُحرق المدينه التي هم فيها عن آخرها . و هذا من نفس "إله المحبه " الذين يتبجج به أهل الصليب . قارن هذا ب "وحشيه سوره التوبه " كما يقولون ، و التي تركت المجال حتى لرؤوس الكفار المشركين الذين قاتلوا المسلمين و أخرجوا الرسول في أن يتوبوا و أبرز أمثله ذلك في التاريخ أبو سفيان الأموي رأس الجيوش المحاربه للرسول الذي أصبح بعد أن أسلم في عيون أكثر المسلمين يقال عنه " رضي الله عنه " بحكم ثبوت توبته الظاهره . لا تجد يهوديا أو صليبيا يتهم المسلمين و الإسلام بالعنف إلا و تجد آثار لعنه الله على وجهه ، لأنه إما يعلم ما يوجد في كتبه في هذه القضايا (و أكثرهم إن لم يكن كلهم يعلمون و لكنهم كالعاده يكتمون و يكذبون بوجوه لا ماء فيها) و إما يجهلها و يتكلم عن جهل (و عامتهم على الأغلب كذلك) فهم بين كاتم و جاهل ، و كلاهما مستحق للعنه . أرونا مثالا واحدا ليس فقط في المسلمين - حاشا - بل و في غير المسلمين من أمم تبيح مثل هذه المذابح الجماعيه الشامله للأطفال و النساء و العجائز بل البهائم بل للأموال و الحجاره أيضا ، بل حتى قبل عرض التوبه و محاوله إعاده الإقناع أولا و لو في الظاهر . شخصيا لا أعرف - و لعله من قصور اطلاعي على بقيه الأمم - و لكن في المسلمين لا يوجد أي شئ شبيه من ذلك حتى . بل التي ادعت النبوه بعد وفاه الرسول عليه السلام و حاربت الجيوش المسلمه ، تابت بعد ذلك و "حسن إسلامها" ! . قارن هذا مع هذا و الله الهادي .

ي - ١٥ / ٦ . هذا النص يذكر حكم السنه السبتيه و هي آخر كل سبع سنين و ما يجب أن يتم فيها من إبراء للدين و نحوه . و ما يهمنا هو الفقره السادسه من هذا القسم و الذي يذكر فيه ربهم الكاتب لهذا الكلام الثواب الذي سيجازيهم به إن حفظوا وصيته و أحكامه ، فيقول { فإذا باركك الرب إلهك كما قال لك ، تُقرض أمما كثيره و أنت لا تقترض ، و تتسلط على أمم كثيره و هي لا تتسلط عليك } .

أقول : هكذا تفكيرهم في معامتلهم لغيرهم من الأمم ، تقرضهم و تتسلط عليهم . و العلاقه بين الأمرين مشهوره ، و الحيل البنكيه الموجوده في العالم اليوم و قبله و التي يتم إقراض فيها أمم لإغراقهم بالديون ثم التسلط عليهم تجد أصلها في هذا الكلام . و لذلك ، و قلبا لهذا النص عليهم، إن فكّر أحد في أنه يريد أن يتسلط على اليهودي و الصليبي و يخضعه ، يجوز ذلك من باب التفكير بالمثل. مع التذكير مره أخرى أن هذا الذي يتكلم هو "إله المحبه" الذي "يحب العالم كله" فتنبه .

ك - الآن نأتي إلى قسم متعلق مباشره بالحرب على الأعداء الخارجين . القسم من ثلاثه مقاطع ، الأول { إذا خرجت للحرب على أعدائك } و الثاني { إذا تقدمت إلى مدينه لتقاتلها } و الثالث {إذا حاصرت مدينه ما أياما كثيره } . الذي يهمنا منها هو المقطع الثاني و الثالث . فتعالوا ننظر .

المقطع الثاني ٢٠ / ١٠ - ١٨ { و إذا تقدمت إلى مدينه لتقاتلها ، فادعها أولا إلى السلم . فإذا أجابتك بالسلم و فتحت لك أبوابها ، فكلّ القوم الذين فيها يكون لك تحت السخره و يخدمك . و إن لم تسالمك بل حاربتك فحاصرتها ، و أسلمها الرب إلهك إلى يدك ، فاضرب كل ذكر بحد السيف . و أما النساء و الأطفال و البهائم و جميع ما في المدينه من غنيمه فاغتنمها لنفسك ، و كل غنيمه أعدائك التي أعطاك الرب إلهك إياها . هكذا تصنع بجميع المدن البعيده جدا منك و التي ليست من مدن تلك الأمم هنا . و أما مدن تلك الشعوب التي يعطيك الرب إلهك إياها ميراثا ، فلا تستبق منها نسمه بل حرمها تحريما ، الحثيين و الأموريين و الكنعانيين و الفرزيين و الحويين و اليبوسيين ، كما أمرك الرب إلهك ، كيلا يعلموكم أن تصنعوا مثل قبائحهم التي صنعوها لآلهتهم فتخطأوا إلى الرب إلهكم } .

المقطع الثالث ٢٠ / ١٩ - ٢٠ { و إذا حاصرت مدينه ما أياما كثيره ، محاربا لها لتفتحها ، فلا تتلف شجرها ملقيا عليه فأسا إنك منه تأكل ، فلا تقطعه ، فهل شجر الحقل إنسان حتى تعامله كالمُحاصر. أما الشجر الذي تعلم أنه ليس شجرا يؤكل منه فأتلفه و اقطعه و ابن آلات الحصار على المدينه التي تُحاربك حتى تسقط } .

أقول : إذن الخيارات أمام المدينه التي يحاربها اليهود - و الصليبي بالتبع - هي إما المسالمه و إما المحاربه . فإن سالمت وقعت تحت السخره و الخدمه لليهود ! و إن حاربت قُتل كل ذكر (بالغ كما يقول راشي) و تؤخذ النساء و الأطفال كملكيه لليهود و كذلك البهائم . هذا في حال كانت المدن بعيده جدا كما يقول النص . و لكن الأمم السته المنصوص عليهم - و السابعه تابعه لهم - فيُقتل الجميع بلا استثناء . و لاحظ أن النص حين يريد أن يخصص المقتولين يقول { كل ذكر } أو كذا و كذا ، و لكن حين يطلق و يقول { كل ذي نسمه } فإن المعنى يشمل النساء و الأطفال كما هو مفصل في النصوص . فالحاصل ، إن النباح المستمر حيال قضيه يهود بني قريظه مثلا - أو أي حرب أخرى وقعت من دوله مسلمه على يهود أو صليبيين مؤمنين بهذا الكلام أنه حق - ليس إلا نباحا فارغا لاحجه لهم فيه بحال من الأحوال . بل إن الأحكام هنا أسوأ ، إذ إن المسالمه حتى تعني السخره و الخدمه لليهود . فلا مجال أمام المحارب لليهود للبقاء بكرامته الكامله كما كان ، فهو إما سيصبح عبدا لهم و إما سيُقتل رجاله و يؤخذ نساؤه و أطفاله و بهائمه و أمواله . فحين يوضع هؤلاء تحت هذا الحكم ، فإنه لا حجه لهم و لا اعتراض مسموع منهم . هذا أولا .

ثانيا ، لاحظ في المقطع الثالث أن الكاتب يستغرب من اتلاف الشجر لأنه لا يتأتى منه الحرب أي لا ذنب عليه إن شئت . فأين كان عقل الكاتب حين أباح و يبيح قتل الأطفال بل البهائم و يأمر بحرق المدينه كلها بما فيها من أموال فقط لأنه اتفق أن رجال هذه المدينه قد ضلوا كما رأينا فيما سبق . العله الأصليه واحده . أم يا ترى يجوز استعمال ذبح الأطفال لتخويف الناس من الضلال ! مره أخرى و عاشره و ألف ، هذا كلام " مشيح المحبه يسوع المخلص " فلا تنس و سنذكرك كثيرا إن شاء الله .

ثالثا ، ذكر النص مره أخرى الأمم السته التي يجب أن تُباد كلها و أعاد التذكير بذلك . و العله في هذه الإباده ليست أنهم يقاتلون اليهود أو نحو ذلك ، بل فقط { كيلا يعلموكم أن تصنعوا مثل قبائحهم}. فبدل أن يكون عقل اليهودي كافيا للإبتعاد عن دعوات الضلال ، على فرض أنها ضلال طبعا ، يصبح الحل هو إباده كبار و صغار و نساء هذه الأمم . إن كان كبار هذه الأمم قد يسعوا في إضلال اليهود ، لنفرض ذلك جدلا ، و أن هذا السعي كاف لتبرير قتلهم لأن اليهود مجموعه من الأطفال التي يمكن أن تصدق أي شئ و تُضل و تقع في الشرك بسهوله ، لنفرض ذلك أيضا ، حسنا، هذا حال الكبار من هذه الأمم السته و السبعه ، فما بال العجائز و المعاقين و الأطفال و النساء بل و ما حال البهائم و المدن و الأموال .

رابعا ، يُبنى على تجويزهم للقتل بعلّه { كيلا يعلموكم أن تصنعوا مثل قبائحكم } أنه يجوز للأمم الأخرى قتل اليهود و الصليبيين إن خافوا أن يعلمومهم أن يصنعوا مثل قبائحهم . و ما أكثر هذه القبائح ! و الله المستعان .

ل- آخر قسم نريد اقتباسه من الكتاب الخامس المتمم لما يُعرف بتوره موشه ، هو ٢٥/ ١٧-١٩ { أذكر ما صنع بك عماليق في الطريق عند خروجكم من مصر ، كيف لقيك في الطريق و قطع عنك جميع المتخلفين الذين وراءك و أنت تعب مرهق و لم يخف الله . فإذا أراحك الرب إلهك من جميع أعدائك الذين حواليك في الأرض التي يعطيك الرب إلهك إياها ميراثا ، فامح ذكر عماليق من تحت السماء. لاتنس } ،
أقول : و أنت أيها القارئ لا تنس أن اليهود يفكرون بالإبادات الجماعيه ، بل حتى للأجيال اللاحقه لمن ارتكب سوءا بحقهم ، كشرب الماء في السهوله . و لاحظ عله الإباده هذه ، لمجرد أن عماليق {قطع عنك جميع المتخلفين الذين وراءك } . و لا ذكر حتى لقتل و لا نعرف ما هو هذا القطع . و لنفرض أنه وقع قتل ، فاقتل الذين قتلوا . هذه النفسيات الحاقده الشديده الحقد التي تحمل الحقد لأجيال و أجيال ، هذ السمه الخاصه للأمم الضعيفه و النفوس الخسيسه الوضيعه ، و أليس اليهود و الصليبيين على العموم من أصحاب هذه النفسيات العاميه الحاقده التافهه .

...

فصل : أثناء كتابتي لهذه المقاله ، قمت بسؤال عالم يهودي و آخر صليبي بعض المسائل المتعلقه بهذه القضايا التي نبحثها ، و إن كانت الإجابات التي قدماها معلومه لنا على العموم من قبل ، إلا أننا نذكرها هنا من باب الاستئناس و قطع الملل عن تسلسل الاقتباسات و التعليقات . علما أنني سألت الأسئله بالانجليزيه ، و الردود بالانجليزيه كذلك . و لكني هنا سأترجم المعنى إن شاء الله .

أولا ، اليهودي .
سألته : إن كانت قصص التوره و تحديدا أول ست كتب وقائع تاريخيه ، بغض النظر عن وجود معاني باطنيه لها أو لا ، و لكن السؤال تحديدا إن كانت وقائع حدثت فعلا على المستوى الظاهري ، و كيف يرد على الصليبي إن ادّعى أنها ليست وقائع تاريخيه و إنما هي مجرد رموز لمعاني باطنيه.
فأجاب إجابه مختصره مباشره في ثلاث كلمات : (They actually happened) ثم أحالني على مصدر للمراجعه الإضافيه حول هذه القضيه . فإذن عنده - كما قررناه من قبل - أن هذه القصص وقعت تاريخيا فعلا على المستوى الظاهري . فهذا مبدأ أساسي ، فاحفظه .

ثم سألته : إن كان يوجد شخص يجوّز التعامل معي بطريقه معينه (س) أو يتعامل معي فعلا بطريقه معينه ، فهل يجوز لي من باب رد المثل - حسب التوره - أن أتعامل معه بالطريقه (س) كذلك .
فأجاب أولا بأنه لم يفهم السؤال ، ثم قال : لنأخذ حاله متطرفه و نقول ، إن كان يوجد شخص يؤمن أنه من الجائز أن يسرق - أو يجوز فقط أن يسرق منّي أنا ، فهذا لا يعني أنه يجوز لي أن أسرق منه .
أقول تعليقا : إنه فعلا لم يفهم السؤال ، إلا أنه أجاب بما فيه فائده من حيثيه ما . و لكن كلامه لا ينقض الأصل الذي قررناه ، لأنه - و لو أخذنا بمثاله - لو سرق أحد منّي مالا أو كان يبيح ذلك لنفسه و يؤمن بحليّته و شرعيته، فيجوز لي أن أسرق منه ليس من باب تجويز السرقه من حيث هي ، و لكن بمعنى أنه لا يحق لهذا السارق أن يحتج عليّ بسرقتي منه ، لأنه لن يستطيع أن يحتج علي إلا بإيمانه أو بالإيمان العام للناس، فإن قال لي " أنا أؤمن أن السرقه ممنوعه فلماذا سرقت منّي " فسأرد عليه "إن كنت تؤمن أن السرقه ممنوعه ، فلماذا تجيز أصلا لنفسك السرقه منّي " فتسقط حجّته . و إن استدل بالإيمان العام للناس و قال " إن عامه الناس يشعرون بالفطره أن السرقه ممنوعه فإذن سرقتك منّي ممنوعه " ، فسنرد عليه " إيمانك أنت بأن سرقتك منّي أو من غيري مسموحه دليل أنك ترفض حجّيه إيمان الناس العام و بالتالي لا يحق لك أن تحتج بأصل أنت مبطله بقوله أو فعلك " فتسقط حجّته . فكلامنا في هذه القضيه لا يرجع إلى النظر في قيمه الفعل "في ذاته" و لكن عن قيمته "بالنسبه لفاعله أو القائل بإباحته لنفسه " . لعلّ اختصاري السؤال و عدم تفصيلي هذه الأمور لليهودي حال بينه وبين حسن التفكير في الأمر ، فضلا عن أنه يبدو أنه يجيب على عجاله لتزاحم الأسئله لديه . إلا أن الذي يهّمنا في الأساس هو جوابه عن المسأله الأولى و هي كما ترى ، مثبته لتاريخيه و جسمانيه هذه الأحداث التي تقصّها التوره العبرانيه . و حسبنا ذلك .

ثانيا ، الصليبي .
و سأنقل سؤالي له و إجابته بالانجليزيه كما هي ، ثم نُعلّق و نترجم بقدر الحاجه ، و قد سألته ست أسئله ، فلنذكر كل واحده على حده و نُعلّق بقدر الحاجه إن شاء الله .

1- What is the official christian view regarding the Jewish Torah ?

(The Torah, or Pentateuch, comprising the first five books of the Bible, is part of God's revelation, and Christians accept these five books as a legitimate part of Scripture. That is why we include them in the Old Testament.)

أقول : هنا أمور . الأول إقراره بأن الكتب الخمسه الأولى هي " جزء من وحي الإله " . الثاني قوله على لسان الصليبيين بما صوره إجماعهم على قبولهم لهذه الكتب و إعتبارها قانونيه صحيحه في ضمّها للمكتوب الديني عندهم . الثالث هي عباره فيها تعليل مهم ، فهو يقول " و لهذا نضمّها إلى العهد القديم " أي نضمّ هذه الكتب الخمسه الأولى ، و العلّه هنا واضحه ، أي كل ما ضممناه إلى العهد القديم و جعلناه جزءا منه فإنما نضّمه بناء على أننا نعتبره جزء من وحي الإله و نقبل بالتالي شرعيته و صحته . و يُبنى على هذه العله أن كل ما وجد في هذه الكتب هو كذلك عندهم جزء من وحي الإله عندهم . و هذا تأكيد لما ذكرناه من قبل .

2- What is the difference between the Jewish God and the Christian God , I mean is it the same Person ?

(The God of the Jews is also the same God of the Christians. The difference, if we can use that word, is that God revealed himself more fully with the coming of Christ. Through Jesus we learned that God is a Trinity of three divine Persons. This was unknown to the Israelites.)

أقول : لاحظ قوله " إله اليهود هو نفس إله المشيحيين . و الفرق بينهما - إن صح استعمالنا لهذه الكلمه - هو أن الإله كشف عن نفسه بنحو أكمل بمجئ المشيح . من خلال يسوع تعلمنا أن الإله ثالوث من ثلاثه أشخاص إلهيين . هذا لم يكن معلوما لليسرائليين " . فإذن ، أثبت مطلبنا الذي كررناه كثيرا ، و الذي ينتج منطقيا عند من يعرف مباني القوم ، و هو أن الإله الذي يتكلم و يأمر و ينهى في "العهد القديم" هو عينه إله الصليبيين أيضا . و الفرق - كما يدْعيه - هو نحو من العلم بالزائد بالإله عند الصليبيين لم يكن عند من سبقهم من اليسرائليين و اليهود بطبيعه الحال و هو قضيه التثليث . هذا أولا . و ثانيا ، لاحظ عبارته " ثلاثه أشخاص إلهيين " فجاء بكلمه "ثلاثه" و نسب إلى كل واحد منهم الألوهيه ، ثم ذكر اسم الجمع "أشخاص" . و هذا يؤكد ما ذكرناه من قبل عن كون القوم إن لم يكونوا قد غرقوا في مستنقع الشرك فإنهم يسكنون على شاطئه . و أخيرا - و هذه نقطه جانبيه و لكن نستغل الموقف و نذكرها - و هي إقراره هنا بأن اليسرائليين و اليهود على مر الأزمان حتى جاء

يسوعهم لم يكونوا إلا أهل توحيد و لم يعرفوا التثليث ، هو حجّه عليه من جهتين ، الأولى أنه يثبت أن آباء و أنبياء من اليسرائليين و اليهود كموشه و ابراهم من أهل النعيم و النجاه في المعاد فضلا عن كثير من أهل تلك الأيام التي سبقت مجيئ يسوعهم الذي يتصورونه ، و بالتالي يكون إقرارا ضمنيا بأن هؤلاء سيدخلوا النعيم بالرغم من عدم علمهم بتثليثهم ، فإذن التوحيد كاف في النجاه ، فيبقى تثليثهم دعوى أطلقوها و سترى ماذا يقول عنها بعد قليل إن شاء الله . و الأخرى أنه يقر بجعل الأمم حتى قدوم يسوعه بالتثليث ، و هذا إقرار عظيم ، إذ حين يُقال لهم أنكم ابتدعتم التثليث لا يكون قول القائل لهم ذلك غريبا إذ هو يقرّ بذلك كما ترى ، " و ماذا بعد الحق إلا الضلال " .

3- Are the stories in the Torah acceptable to christians as true and actually happened , and can we draw morals and laws from them ?

(The writers of Scripture used different literary ways of expressing themselves. Sometimes they used allegories; other times they reinterpreted something from the past and presented it to a contemporary audience to make a point. For instance, the writer of Genesis has Abel offering animal sacrifice to the Lord; animal sacrifices came later in history, so the story is something of a projection back on the past. As for the laws of the Torah, the Ten Commandments still have value for Christians, but the dietary laws are not binding. As one Gospel says of Jesus, "Thus he declared all foods clean" (Mark 7:19<http://www.usccb.org/bible/mark/7:19>).)

أقول : في هذه المسأله المهمه ، و السؤال فيها كان واضح و مباشر ، إلا أنه اختار اللف و الدوران ، فلم يجب بنعم أو بلا ، كما فعل العالم اليهودي . فقال أولا " استعمل كُتّاب المكتوب الديني طرق أدبيه مختلفه للتعبير عن أنفسهم " و هذا فيه ما فيه كما ترى بالنسبه لشخص يدّعي أن هذه الكتب إلهيه ، فهم لا يفهمون معنى إلهيه كما نفهم نحن القرءآن و هذا فرق مهم . ثم ذكر بعض أقسام هذه الطرق الأدبيه التي استعملوها فقال " في بعض الأحيان استعملوا الحكايه الرمزيه الاستعاريه " و هذا يساوي القول بعدم تاريخيه هذه القصص - و هذا لا يعني بطلانها بالضروره من كل الجهات و لكن كلامنا تحديدا عن تاريخيتها أم عدم تاريخيتها حصرا ، و هذا القسم يخرج عن التاريخيه . ثم القسم الآخر الذي ذكره عجيب ، إذ يقول " في أحيان أخرى ، قاموا بإعاده تفسير شئ من الماضي و قدّموه إلى الجمهور المعاصر لهم لإيصال فكره معينه . على سبيل المثال ، كاتب سفر التكوين جعل آبل يقدّم قربانا حيوانيا للرب ، بينما القرابين الحيوانيه جاءت في تاريخ لاحق ، فالقصه هي شئ من الإسقاط الرجعي على الماضي " . يقولون مثل هذا الكلام في " كلام الرب " ! فتأمل . و لا نريد أن نعلّق خارج حدود قضيتنا في هذه المقاله ، فنكتفي بالتقرير الواضح و هو أن هذا القسم الذي هو "إسقاط" متأخر على الماضي " لتوصيل نقطه معينه للجمهور المعاصر " أيضا تصريح بعدم صحه المذكور في النص "المُسقط" من الناحيه التاريخيه . فالقسمين الذين ذكرهم ضد التاريخيه بصوره واضحه ، الأول يجعل القصص التوراتيه حكايات رمزيه استعاريه و الثانيه تجعلها إسقاطات متأخره لتوصيل فكره للجماهير المعاصره للكاتب . فحيث أنه لم يصرّح بأنها تاريخيه و لم ينفي بصراحه

أيضا ، لا يمكن أن ننسب له قولا صريحا ، إلا أننا إن كنّا سنتأول فالأمر كما ترى ، ضرب أمثله بقضايا غير تاريخيه في نظره .
ثم قال ثانيا بخصوص اقتباس القوانين و الأخلاق من قصص التوره ، أن الوصايا العشره المذكوره فيها ملزمه للصليبيين - و هذا غير دقيق بالنسبه لأكثرهم إذ من الوصايا العشر حفظ السبت و الذي لا يحفظه غالبيتهم العظمى كما هو معلوم ، فضلا عن التوحيد و نحت صور للإله في الأرض و هذا فيه ما فيه مهما حاولوا التملّص منه و لكن إن تملّصوا من التوحيد و التصوير الوثني فإنه لا تملّص من حفظ السبت لا أقل بالنسبه لغالبيتهم العظمى - إلا أننا إذا لاحظنا بدقه عبارته " لا تزال تحتوي على قيمه بالنسبه للمشيحيين " فإن تعريف هذه القيمه بالضبط فيه نظر . ثم قال " و لكن أحكام الطعام غير ملزمه " و استشهد بنص يُنسب معناه إلى يسوعهم - اليهودي كما هو معلوم عندهم - أنه "أعلن أن كل الطعام نظيف " أو طاهر . و لسنا بصدد مناقشه هذه المسأله و صحه استدلالهم فهذا ليس من شأننا في هذا المقام ، و لكن ما نشير إليه هو كيف اختزل أحكام و أخلاق التوره في مجرد الوصايا العشر و الطعام ، بينما في التوره - حسب تعداد أهلها - أكثر من ستمائه حكم تتعلق بكل جانب من جوانب الحياه تقريبا إن لم يكن فعلا . و هذا غريب منه .
فالأمر كما ترى ، لم يجب عن شئ بوضوح و تفصيل معتبر . إلا أنه لا يوجد سبب يجعله يعتبر "العهد القديم " مجرد حكايات رمزيه استعاريه - لا تاريخيه لها - و مجرد "إسقاطات على الماضي بناء على أمور حاضره لتوصيل فكره للجمهور المعاصر " ، دون أن يكون نفس هذا السبب قابل للتفعيل فيما يتعلق ب كتب و قصص " العهد الجديد " . ففيما يتعلق بهذا الكاهن الصليبي ، لم يبيّن بوضوح موقفه . فنقف بالأمر عند هذا الحد بالنسبه له .

4- If the Old and New testament indicate that a false prophet can bring wonders and signs that become fulfilled , what then is the criteria for knowing a true prophet ?

I'm not sure what false prophets you have in mind. Real prophets ultimately are those who exhort people to return to the ways of God. Sometimes even the "real" prophets didn't seem to predict things correctly. Example from Isaiah 52:1 say, "Put on your glorious garments, Jerusalem, holy city. Never again shall the uncircumcised or the unclean enter you." Obviously, uncircumcised people have been in Jerusalem for centuries. This is probably a case where the text is using hyperbole, or exaggeration, to make a point. In any case we have to careful not to equate true prophets with 100% correct prediction rates.

أقول : أهم ما في هذه الفقره ثلاثه أمور . الأول قوله " الأنبياء الحقيقيين ، حسب أعلى المعايير ، هم الذين يحرضون و يشجعون الناس بقوه على العوده إلى طرق الإله " . الثاني اعتباره أنه يمكن لأنبياء "حقيقيين" أن تُخطئ " توقعاتهم " و أكّد على الانتباه و عدم مساواه مفهوم النبوه الحقيقيه مع التوقع الصحيح دائما . و الثالث اعتباره إمكان بل وجود كلام في النص - الديني المقدس عندهم - ليس

صحيحا و لكن " فيه مبالغات لا يُراد منها ظاهرها الحرفي ، أو شطحات ، هدفها توصيل فكره معينه". أما بخصوص الأولى فهي حجّه للمسلمين . أما الثانيه فهي حجّه على اليهود و الصليبيين في بطلان نبوه بعض من يعتقون أنهم أنبياء . و أما الثالثه فهي حجّه على اليهود و الصليبيين في بطلان صحه هذه الكتب بلا قيد أو شرط و ليس مجرد ورود عباره فيها دليل أنها حق .
إلا أنه كما ترى حين تقارن الجواب بالسؤال ، لم يعترض على ادعاء السؤال أنه يوجد في "العهد القديم و الجديد" ما يشير إلى إمكانيه وجود أنبياء كذبه يأتون بخوارق و آيات تثبت صحتها كما ادعى أهلها . و عدم اعتراضه - بالإضافه للنصوص الواضحه التي اقتبسنا منها هذا المعنى كما بيّناه سابقا - دليل كاف على أنه لا يجد داع للاعتراض ، كما اعترض مثلا على استعمال سؤال سابق لكلمه " اختلاف " بين الإله اليهودي و الإله المشيحي فدقق و أشار إلى أن في هذه الكلمه نظر. مما يؤيد ما ذكرناه في هذا المعنى و الحمد لله .

5- Did Jesus believe that the Torah is true ? and was it the same Torah that we have today ?

It is the same Torah. Did Jesus believe it? Remember, he quoted from the Jewish Scriptures, which meant that he accepted them. The interesting thing, though, is not that Jesus just believed in the Torah. Rather, "Do not think that I have come to abolish the law or the prophets. I have come not to abolish but to fulfill" (Matthew 5:17<http://www.usccb.org/bible/matthew/5:17>). The Torah represented a stage of God's revelation. Jesus himself was the fullness of that revelation.

أقول : للشق الأول من السؤال أجاب بنعم ، يسوع يؤمن بصحه التوره ، و للشق الثاني أجاب بنعم التوره في عهد يسوعه - أي التي ءامن بها و اقتبس منها و كان هو "تحقيقها الأعظم" حسب قوله في علاقه يسوعه بالتوره - هي عين هذه التوره التي بأيدينا أي " العهد القديم " و لا نريد أن نناقش هنا و نقبل قوله على حدّه . فإذن ، يسوعه هو "عين الرب " الذي يتكلم في العهد القديم كما أقرّ في جوابه السابق ، هذا من جهه ، و يسوعه أيضا "ءامن و اقتبس و حقق في ذاته " هذا العهد القديم ، هذا من جهه أخرى . و بالتالي ، مسؤوليه يسوعه و مخلصه عن كل ما ورد في العهد القديم هي مسؤوليه كامله و تامه ، لا مزيد عليها بحال من الأحوال ، بل و لا أنبياء العهد القديم يمكن أن تكون لهم نفس مسؤوليه يسوعه عنها ! إذ يسوعه - حسب قوله - هو عين الرب الذي كتب و قال و أمر و نهى في العهد القديم ، و هو كذلك الكائن الذي تحققت فيه كل معاني العهد القديم ، ثم هو ءامن به و اقتبس منه كأي يهودي آخر . فمسؤوليته فوق مسؤوليه أي يهودي من أولهم إلى آخرهم . و هذا لب اللباب الذي كنّا نريده أن يقرّ به - و قد أقرّ جزاه الله خيرا ! بل يجعل الأمر من المسلمات حتى أنه يجيب عنه بنوع سؤال يفترض معلوميه الإجابه لبداهتها . فالحمد لله . و هذا يزيد ما سبق أن ذكرناه كله تأكيدا ، و إن كان ثابتا بدون الحاجه إلى سؤال فرد أو اثنين من القوم .

6- What is the definition of " Idolatry" and polytheistic religions , and how different is this from the Trinitarian doctrine ?

Idolatry is simple worshipping something or someone who is not God. Polytheistic religions, by definition, believe in many ("poly-") gods. Jews and Christians and Muslims believe in one God. Christians believe that this God is Triune; that is, he is one God, one nature, but three Persons (or subsistent relations). It is the core mystery of Christianity, and our minds really cannot grasp it fully. Polytheism is pagan; it cannot be reconciled with our notion of one God.

أقول : أهم ما في هذه الفقره يتلخص في أمرين . الأول إثباته أن المسلمين يعبدون إله واحد ، و وضعهم في صف اليهود و الصليبيين مثله . و هذا - بالإضافه إلى المعيار الأعلى الذي ذكره للتصديق بنبوه النبي ، بالإضافه إلى الواقع المعلوم للعرب قبل مقدم مولانا رسول الله عليه الصلاه و السلام - كفيل بتكوين جواب ممتاز مبناه تركيب كلامهم بعضه مع بعض ، يتم تقديمه إليهم للرد عليهم . الآخر قوله عن عقيدته الصليبيه في التثليث " هي لب الغوامض المشيحيه ، و أذهاننا في الحقيقه لا يمكن أن تستوعبها بالكليه " . و لا أدري كيف يمكن لصليبي بعد مثل هذه التصريحات التي يتفق فيها معه كثير غيرهم ، أن يدّعي أن يهوديا أو مسلما أو غيرهما "أساء فهم" عقيده التثليث، إن كانت هي بطبيعتها كما يقولون "غامضه" و "أذهاننا لا يمكن لها أن تعقلها " ! لا يمكن أن تحكم على سوء فهم الآخرين لفكرتك ، إن كنت أنت نفسك تقرّ بأن فكرتك تستعصي على الفهم . نقول هذا لمن يزعم - و ما أضعف زعمه ضعفا فوق ضعف - أن كتابنا العزيز "أساء فهم" عقيد التثليث المشيحيه . ثم يقول صاحبنا في التفريق بين الوثنيات و بين ملّته الصليبيه ، أن "التعدييه وثنيه ، و بالتالي لا يمكن أن تتفق مع مفهومنا عن الإله الواحد " ففضلا عن سوء فهمه حتى لكثير مما يسمّيه وثنيه ، فإنه حتى الوثنيات كثير منها إن لم يكن كلها - خصوصا الجدّيه الكبيره منها - تعترف بإله واحد إلا أنها تجعل "الآلهه الأخرى" دونه في الدرجه و مستقله عنه أو غير ذلك من نظريات و آراء عندهم . كل من جعل في مقام الإطلاق فوق الواحد أو غير الواحد ، فهو مشرك . ثلاثه في واحد ، عشره في واحد ، تسعمائه في واحد ، كلها على نفس مستوى البطلان و لنفس السبب . فإن قال أحد لأصحاب التثليث " بل هو سبعه في واحد " فقالوا بالتسبيع بدل التثليث ، فكيف يجيبونه ؟ إن قالوا له ما قالوا ، يستطيع أن يردّ عليهم و يقول " هذه من أغمض الغوامض الروحانيه التي لا يمكن للأذهان البشريه العاديه أن تعقلها " لأفحمهم . أمّا لو أوّلوها بالصفات المعنويه ، كالإبداع و الحياه و العلم و نحوه ، فقد سبق أن أجبنا عنه ، و ليس في هذا ما يستعصي على العقل المستيقظ بل المتوسط ، بل العجائز أيضا في كثير من الأحيان مع فروق في المعرفه لا تختلف في جوهرها المثبت للواحديه و الأحديه الإلهيه . فمجرد إقحامه لاسم ملّته الصليبيه وسط ملّه اليهود و ملّه المسلمين - بزعم الإشتراك المطلق في التوحيد - هو أمر فيه نظر ، بل حتى اليهود - كل من قرأ موسى بن ميمون في " دلاله الحائرين " - يعلم أن أكثرهم غارق في الحشويه و التجسيم و جاهد

جهادا عظيما ابن ميمون ليخرجهم منه ، بالطبع باستعمال حتى ألفاظ قرءانيه و حجج المتكلمين المسلمين في كثير من الأحيان و الحاصل واحد ، فما هو مذهب عامه اليهود من الحشو و التجسيم إنما هو مذهب شرذمه من الإسلاميين كما لا يخفى . فإن كان قرن اليهود مع المسلمين في التوحيد فيه نظر ، بل نظر شديد ، فما ظنك بإقحام الصليبيين الذين يذكرون التعدييه الشخصيه في عين الذات الإلهيه الواحده لا إله إلا هو سبحانه و تعالى عمّا يشركون .

و حسبنا ذلك في التعليق . و الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

...

فصل : الحاخام موشه بن نخمان الأندلسي له كتاب تفسير للتوره - أول خمس كتب فقط - يُعتبر من أركان علم التفسير عند اليهود على العموم . و فيما يتعلق بتصور اليهود عن "آخر الزمان" الذي يفسره بن نخمان على أنه " عصر المشيح " ، يقول بن نخمان عن مهمه المشيح - و الترجمه من الترجمه الانجليزيه لي - فيما يتعلق بالتوقع الوارد علي لسان أبوهم ياكوف الذي هو يسرال أيضا ، في كتاب التكوين ، القسم ٤٩ ، الفقره ١٠ ، علّق بن نخمان فقال العباره التاليه - ما بين (..) لي بناء على النص نفسه :
{ إنه هو (أي سبط يهودا) الذي سيملك و يحكم على كل يسرال ، و هو سيكون صاحب خاتم الملكيه حتى يأتي ابنه (أي المشيح) ، الذي سيكون له خضوع جميع الأمم ، ليفعل بالجميع كما يحلو له (أو كما يحب أو يشتهي) } .
و في عباره أخرى بعد أن بحث بعض المسائل التي تهم اليهود فيما يتعلق بدراسه النص و لا تهمنا في هذا المقام ، قال بن نخمان مستنتجا :
{ النص الذي بين أيدينا يقرر أن عصا المُضطهد لن ترتفع عن يهودا حتى يأتي ابنه ، الذي سيسبب ضعف الأمم و انهيارها ، الذي سيضعفهم كلهم بالسيف }

أقول : القضيه كما ترى في قمّه الوضوح ، و الصليبي أيضا يعتبر يسوعه حين يأتي - بزعمه - مره أخرى سيقوم هذه المره بالملك على النمط السياسي المعروف ، يبدو أنه رضي بالصلب مرّه و لن يرضى به مرّه ثانيه ، و بالطبع لا أظن أن الكل يرى نفس هذه الرؤيه بالنسبه للصليبين فالله أعلم ما يعتقد جميعهم إذ عدد فرقهم بعدد شعر الثور . إلا أن لنا في اليهودي ، الذي هو أساس الصليبي و كتابه مرجعه .
أما اليهودي فتصوره واضح و يمكن تلخيصه بهذه الجمله : الأمم اضطدتنا و تضطهدنا ، و حين يأتي ملكنا العظيم سيخلصنا من أيدي الأمم أولا ، و سيُضعف الأمم بالسيف و يجعل قواها تنهار

بالسيف ، و سيفعل بالأمم ما يحلو له إذ ستكون له السيطره الكامله عليها كلها . بعباره أخرى ، طاغيه مع الغرباء و وديع مع الأقرباء .
التصور بسيط جدا ، بالسيف سنتخلص من المضطهدين لنا ، و بالسيف سنضعف الأمم كلها ، و بالسيف ستكون لنا سيطره كامله على جميع الأمم . و هذا هو " الخلاص " الذي ننتظره في "الأيام الأخيره" .

و يكفينا من باب الإلزام أن نقول لهم و لصليبيين بالتبعيه : إذن لا مشكله عندكم من حيث المبدأ مع ملك و سلطان يستعمل السيف ليخضع كل الأمم له و لجماعته المخلصه لربه و له . فهذا هو المشيح المخلص كما تعتقدونه ، لا أقل في جانب رئيسي من شخصيته . بالتالي ، لا يكن لكم أي اعتراض على أي أمه تتحدث عن سلطنه و تبشر بمملكه تملك الأرض و الأمم كلها ، و تُخضع كل من لا يرضى أن يخضع بإرادته للحياه أن يخضع بالسيف مع الإضعاف و الإهلاك الداخلي لتلك الأمم حتى تضعف و تنتهي أمام قوّته . فليكن هذا في الحسبان .

...

(هل القرءان أثبت ملكيه اليهود لفلسطين - حسب أهل التفسير السابقين؟)

جاء في سوره المائده المباركه ، الآيه ٢١ ، على لسان موسى مخاطبا لبني اسرئيل بعد أن أخرجهم من مصر ، " يا قوم : ادخلوا الأرض المقدسه التي كتب الله لكم " . و قد سمعت من بعض علماء اليهود أنه يقول : هذه الآيه القرءانيه تثبت نفس ما أثبتته توراتنا من أن رب العالم أعطانا ملكيه فلسطين كلها و بالتالي يجب على المسلمين أن يعطونا إياها إن كانوا مؤمنين بكتابهم حقا بلا هوى.

ما مدى صحه هذه الدعوى من عالم اليهود المذكور أعلاه ؟

حتى تصح دعواه ، لا أقل بالنسبه لعموم المسلمين ، فإنه يجب أن تتوفر المقدمات التاليه :
أ- القرءآن يتحدث عن قصه تاريخيه و شخصيات تاريخيه .
ب- موسى الذي يتحدث عنه القرءآن هو نفس موشي الذي يعتقد اليهود أنه نبيهم و الذي هو شخصيه تاريخيه أرضيه عندهم عاشت منذ نحو ثلاثه آلاف سنه أو أكثر .
ج- " الأرض المقدسه " التي ذكرها القرءآن هي فلسطين .

د- " بني اسرئيل " الذين ذكرهم القرءآن هم آباء هؤلاء اليهود اليوم كيهود أمريكا و روسيا مثلا و غيرهم .
هـ- "كتب الله لكم" تعني ملكيه كملكيه الفرد لقطعه أرض .
و- "كتب الله لكم" غير مشروطه بإيمان أو عمل من المكتوب له .
ز- "كتب الله لكم" غير مقيده بزمان ، فهي ساريه منذ ذلك التاريخ إلى ما شاء الله للأرض أن تدوم.
ح-"كتب الله لكم" غير مشروطه بوجود سكان على الأرض ممن يوحدون الله الحق و لم يعتدوا على أحد في سبيل العيش فيها .
ط-" كتب الله لكم " تعني أنه يحق لكم أخذها بأي طريق ممكن ، و لو بالعنف و القهر ، و لو بعدم وجود قائد إلهي بينكم كموسى في حاله القصه المذكوره .

فإن توفرت هذه المقدمات التسع ، فيجب على المسلمين العرب أن يخرجوا من أرض فلسطين طوعا و يدعوها لليهود بسلام . و نريد في هذا المقال أن نذكر جوابنا المختصر ، ثم نعرض للجواب الذي يلتزم أو يفترض أن يلتزم به من لا يأخذ بالمقدمات العلميه التي نأخذ بها .

أما جوابنا فهو التالي : لا .
أما السبب فهو التالي : لعدم توفر المقدمات (أ) لأن القرءان ليس كتاب تاريخ بل أمثال . و لا (ب) بالتبع ل (أ) إذ هي مسأله متفرعه عنها ، و لأننا لا نأخذ بكتابهم و لا نؤمن به ككتاب من عند الله و هذا موقف علماء الإسلام كما هو معلوم في كتب القوم . و لا (ج) لسبب بسيط جدا و هو أن القرءآن لم يفسرها و لم يحددها بأي نحو كان و لا نعلم تفسيرا نبويا لها يحددها في بقعه جغرافيه معينه - كما سنرى بعد قليل إن شاء الله حين نعرض لأقوال علماء التفسير من مختلف الفرق أيضا ، و يكفينا عدم تحديد القرءان لها لنقض أي دعوى مخالفه لذلك و لو أراد القرءان التحديد للأهميه القصوى لهذا التحديد - على فرض أن القرءآن يلتزم موقف إعطاء هذه البقعه الأرضيه لقوم معينين لحدد ذلك و معلوم أن القرءان من أوله إلى آخره لا يشير إلى المعاني الأرضيه التاريخيه بالمعنى الشائع لهذه الأمور ، فتستطيع أن تقرأ القرءآن من أوله إلى آخره بدون أن تعرف أي " معلومه تاريخيه " عن أي قصه فيه تقريبا بل كلها على التحقيق . و لا (د) لأنها متفرعه عن ما سبق ، و لا أقل أيضا لأن يهود اليوم لا يُعرف لهم أصل محقق و إنما هم مجموعه من الأوربيين و أعراق أخرى متعدده و لا وسيله للتحقق من ذلك فعليا ، فضلا عن أن القرءان لا يتحدث عن الأعراق فضلا عن أن يعترف بأمور و ملكيات بناء عليها بالمعنى الضيق للعرق و الامتيازات العرقيه كما هو شأن الجاهليه ، و " لا ينال عهدي الظالمين " ولو كانوا من ذريه خليل الله ، فالاعتبار للمعنى لا للمبنى ، و هذا معلوم بالضروره من القرءان . و باقي المقدمات بحوث تفسيريه زائده عن حاجتنا ، لأنه لو سقطت مقدمه من المقدمات السابقه لكفى في إبطال ما سواها ، فما ظنك و أكثر من مقدمه باطله .

أما الجواب بحسب الرأي الشائع فهو التالي : الأمر فيه نظر و احتمال .
أما السبب فهو التالي :

- أما (أ) و (ب) فهي من الأمور المقبوله عند علماء العامه ، فهم ينظرون إلى القرءان على أنه كتاب تاريخ ، و أن شخصياته شخصيات تاريخيه بالمعنى الشائع ، و هم يقرون بأن موسى هو موشي اليهود .

- أما (ج) فالأرض المقدسه كما ورد في كتب التفسير مفسره بالأمور الآتيه :

أ- الطبري فذكر : الطور و ما حوله {عن مجاهد عن اب عباس } ، الشام { عن قتاده) ، أريحاء { عن ابن زيد ، السدي ، عن عكرمه عن ابن عباس) ، دمشق و فلسطين و بعض الأردن . يثم يقول الطبري { و أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، أن يقال : هي الأرض المقدسه كما قال نبي الله موسى صلى الله عبه و سلم . لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض ، لا تدرك حقيقه صحته إلا بالخبر ، و لا خبر بذلك يجوز قطع الشهاده به } و هذا هو الكلام حسب التحقيق و بعيدا عن ما يُعرف بالاسرائيليات أي الأفكار اليهوديه التي تسربت إلى الإسلام و القرءان كما هو معلوم ، و ابن عباس و تلميذه مجاهد فضلا عن غيره ممن نقلنا آرائهم كان ممن ينقل عن اليهود أو ينقل البعض على لسانه كلاما منقول بدوره عن اليهود . فالطبري في الفقره السابقه قال الكلام الحق حسب الأصول. ثم أكمل بما ينقض به الأصل فقال { غير أنها لن تخرج من أن تكون الأرض التي بين الفرات و عريش مصر } و هذا كلام يهودي بحت ، فعلى ماذا استند ؟ يقول { لإجماع جميع أهل التأويل و السير و العلماء بالأخبار على ذلك } و هذه دعوى دونها خرط القتاد ، فضلا عن أنه لو تنزلنا و قلنا بصحه هذه العباره ، فإنها تكون كاشفه عن مدى تغلغل اليهود و فكرهم وسط من يسميهم الطبري رحمه الله " أهل التأويل و السير و العلماء بالأخبار " . ثم يذكر في فقره لاحقه هذه العباره مبينا علاقه الخسران بالمرتد عن الدخول إليها كما ورد في الآيه المباركه ، {إن الله عزّ ذكره كان أمره بقتال من فيها من أهل الكفر به وفرض عليهم دخولها ، فاستوجب القوم الخساره بتركهم } و هذا يعني أن سكان الأرض كانوا { أهل الكفر } بالتالي كفرهم عله في استحلال قتالهم ، بينما القرءآن لم يذكر أنهم من الكفار - أي الجانب الايماني - و لكنه ذكر " قوما جبارين " و الجباريه جانب عملي متفرع عن الكفر الإيماني ، فالكفر الاعتقادي حصرا ليس سببا للقتال كما هو محقق في محله ، و لكن وجود الجبروت البشري المتضمن للاعتداء و اللامبالاه بالخصم و المقهور هو العله المذكوره في القرءان ، و سواء كان الأمر على الوجه الاعتقادي أو العملي ، فإنه حتى يهود اليوم يقرون بأن أهل الإسلام من أهل التوحيد و لا شرك عندهم و أنهم يعبدون الله الحق إله العالم الوحيد الأزلي الذي يقولون أنهم يعبدونه هم أيضا لا غير . فلا يمكن بوجه أن يسمى أهل الإسلام كفار حسب هذا الجانب . ثم من الناحيه الأخرى ، إن كان وصف الكفر يبيح قتال من يسكن هذه الأرض ، فإن

وصف الكفر أشد ما ينطبق - بإقرار كثير من علماء اليهوديه - على الحكومه الصهيونيه بل الكيان الصهيوني الذي أقام هذه الحكومه من أول يوم و هم من أهل ما يسمى " العلمانيه " و كثير منهم من الشيوعيين و غير ذلك من كفريات حسب قول جميع أهل الديانات القائمه على المتعالي ، بالتالي الحجه من هذه الحيثيه في يد العرب و المسلمين . و يذكر الطبري عن ابن اسحاق أن "كتب الله لكم" تعني { وهب الله لكم } ، و هو تفسير يهودي كما هو واضح ، و علاقه ابن اسحق بالنقل من اليهوديات و أباطيل السير أمر شائع ، و لو وهبها لهم لما حرمها عليهم ، و لو كانت هبه - و الهبه لا تكون مشروطه - لما حرمها عليهم حينما زالت عنهم بعض الشروط التي يجب أن تتوفر فيهم حتى يدخلوها و تكون لهم حسب المكتوب . و أما الهبه فإنها توهم - كما يتوهم كثير من اليهود - أن الأرض لهم - على فرض أن الأرض هنا هي القطعه التي يتحدثون عنها - بغض النظر عن أي صفه إيمانيه أو عمليه أو نحو ذلك ، أي أنها لهم بسبب العرق و بنوتهم لشخصيات تاريخيه معينه ، شئ يشبه الوراثه داخل العائله كما يرث الابن قطعه أرض من أبيه ، و اللطيف أن هذا التفسير يتناقض حتى مع توراتهم التي يعتقدون بها ، فإن فيها ما مضمونه أنه إن كفرتم و عصيتم أوامري سأطردكم من الأرض و أشردكم في العالم و أجلب عليكم لعنات لا حصر لها ، فالزعم بأنها هبه يناقض القرءان و يناقض توره اليهود أيضا ! و سبحان الله ، و أعجب منه ما زعم السدي رحمه الله فقال أن "كتب الله لكم " تعني { أمركم الله بها } و كأن الحق تعالى لم يستطع أن يقول "أمركم الله بها" مباشره فقال "كتب الله لكم" و انتظر قدوم السدي ليصحح العباره القرءانيه و يأتي بأفصح منها ، فلا معنى لهذا التقدير اللغوي الذي يبطل العباره القرءانيه و لا يوضحها ، و ما معنى " أمركم الله بها " على أيه حال . فلا طائل من ذلك فنتركه . ثم يقول الطبري في تفسير " لا ترتدوا " { و لكن امضوا قدما لأمر الله الذي أمركم به من الدخول على القوم الذين أمركم الله بقتالهم و الهجوم عليهم في أرضهم ، و أن الله عز ذكره قد كتبها لكم مسكنا و قرارا } فهنا هو يثبت أن الأرض { أرضهم } ، ثم إنه يفسر أن الكتابه هي لتكون لكم { مسكنا و قرارا } بالتالي إن توفر ذلك لهم فقد تحققت الغايه من الكتابه ، فأقصا ما في الأمر - لو سلمنا بكل المقدمات الضروريه - أنه ينبغي السماح لليهود بأن يسكنوا و يستقروا في فلسطين ، و قد كان الأمر كذلك في السابق تحت ظل الدول المسلمه عموما ، و لا نعلم حظرا ضُرب عليهم فيه و إن كان يحضر في الخاطر بعض المضايقات هنا و هناك و لكن النمط العام كان السماح لهم بالسكن فيها ، فأقصا حد هو السماح لهم بالسكن فيها ، و ليس بأن يتولوا إدارتها فضلا عن أن يقمعوا غيرهم من أهل التوحيد و الإسلام لله رب العالمين و المسالمين فيها . ثم تحت ظل العداله هم و غيرهم سواء في ذلك بشرط توفر السكن و القرار فيها و هو عكس التقطيع في الأرض أمما . و لكن ينبغي للمقدمات أن تتوفر حتى يكون لهذا القدر من التفسير محلا من القبول الواقعي.
و لا يخفى أن رأي الطبري فيه إباحه للهجوم الابتدائي على سكان الأرض و قتالهم في سبيل انتزاعها منهم و هو لا يذكر صراحه الجرم الظاهري الذي أجاز حسب العدل أن يوجد هذا الأمر الإلهي بقتالهم - مع ملاحظه أن القرءآن لا يذكر على لسان موسى الأمر بالقتال و إنما ذكر الدخول

وهذه نقطه مهمه ، كذلك اللذان أنعم الله عليهما لم يذكرا إلى الدخول و ليس القتال ، و إنما فهم القوم أن قتالا سيقع من عند أنفسهم و فيه نكته تفسيريه لا نريد أن ندخل فيها هنا و لكن وجب التنويه فهذه نقطه حساسه . و يذكر الطبري رأيا عن قتاده يقول فيه عن " ادخلوا الأرض المقدسه " { أمروا بها كما أمروا بالصلاه و الزكاه و الحج و العمره } و الظاهر أنه أخذ ذلك من لفظ الأمر "ادخوا" و وقع العقاب عليهم حين لم يدخلوا ، و من الإتيان بكلمه " كتب الله " كما قال عن الصيام "كتب عليكم" و عن الصلاه و نحو ذلك من أوامر ، فلاحظ أنه هنا يجعل سكن بني اسرئيل في الأرض المقدسه واجب ديني من شق العبادات و ليس المعاملات ، أي "الدين" و ليس "الدنيا" ، فالأمثله التي ذكرها قتاده رحمه الله تتعلق بأركان الإسلام ، ثم إنها أمر ظاهري عملي ، و ليس إيماني اعتقادي كما هو حال أركان الإسلام في قبال أركان الإيمان أو الإحسان - كما هو التقسيم المشهور المأخوذ من حديث سيدنا جبريل عليه السلام . و من ناحيه ثالثه ، هذه الأمثله فروض عينيه ، يجب على كل فرد أن يقوم به و لو بنفسه بغض النظر عن حال الجماعه ، بالتالي يكون واجب على كل فرد من بني اسرئيل أن يدخل الأرض المقدسه و يسكن فيها كائنا ما كان حال القوم ككل . فالصلاه لا تسقط عن الإنسان ما دام فيه قلب ينبض، كذلك يجب على كل فرد من بني اسرئيل أن يدخل الأرض المقدسه مادام فيه قلب ينبض ، إلا أن ذكره لأمثله الزكاه و الحج و العمره - و هي عبادات مشروطه بالاستطاعه و توفر الراحله و الزاد و النصاب - تشير إلى أن لعباده دخول الأرض المقدسه شروط استطاعه كذلك . و هذا ما في الطبري رحمه الله . و كما ترى ليس فيه شئ عن أحد من أهل الطبقه الأولى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله ، فضلا عن أن يوجد شئ عن النبي عليه السلام نفسه ، و أعلى ما فيه رأي عن ابن عباس منقول عن مجاهد و عكرمه ، و هذا فيه ما فيه باعتبار الناقل و باعتبار المضمون ، و باعتبار المنقول عنه و علاقته باليهود ، فلا يقوم لشئ في قبال الأصول المعتبره و ما يناقض هذا الرأي من مبادئ و أصول مقرره .

ب- الزمخشري يذكر أن الأرض المقدسه { يعني أرض بيت المقدس } و ذكر هذا أولا ، ثم ثنى بذكر بقيه الأقوال كما وردت في الطبري . ثم يذكر أقوال يهوديه لا شك في ذلك منقوله من توره اليهود و يفسر بها و هي متخلله لكل الفقره . و يذكر عن " كتب الله لكم " أنها تعني { قسمها لكم و سماها ، أو خط في اللوح المحفوظ أنها لكم } و لا يرجع تفسيره هذا إلى أصل قرءاني أو سني أو أثري من ناحيه . و لكن يأخذها على ما يبدو من ناحيه لغويه ، و كذلك من مجمل فهمه لآيات القرءآن فيما يتعلق بالكتابه و المكتوب إلا أنه لا يصرح بسلسله أفكاره و استدلاله . و لا اختلاف حقيقي بين {قسمها لكم و سماها } و بين { خط في اللوح المحفوظ أنها لكم } و إنما هو اختلاف درجه و ليس اختلاف فرقه ، فما في اللوح المحفوظ هو المقسوم ، و كل مقسوم فهو في اللوح المحفوظ - على اعتبار أن اللوح هو لوح القدر و ما هو كائن إلى يوم القيامه . و يذكر الزمخشري ، أن من معاني " و جعلكم ملوكا " هو { ملكهم بعد فرعون ملكه ، و بعد الجباره ملكهم } و معلوم أن هؤلاء اليهود لا يقولون أنهم ملكوا بلاد وادي النيل بعد الفرعون التاريخي الذي يزعمون أن حكاياتهم تقع في زمنه .

و من الغريب مدى تغليل الأفكار اليهوديه في التفاسير في هذه القصه بالذات ، كما في القصص الأخرى إلى حد ما .

ج- الفخر الرازي رحمه الله كعادته في الترتيب و الجمع و النقد ، يذكر مسائل . أما المسأله الأولى فنقل من اليهود بالنص تقريبا عن حكايتهم في أن الله تعالى أعطى "ابرهيم" أرض الشام ، ثم يختم بما يوحي شكه في كل ما نقله فيقول { فهذه هي القصه و الله أعلم يكفيه الأمور } . أما المسأله الثانيه فمعنى الأرض المقدسه فيقول { هي الأرض المطهره من الآفات . قال المفسرون : طهرت من الشرك و جعلت مسكنا و قرارا للأنبياء . و هذا فيه نظر ، لأن تلك الأرض لما قال موسى عليه الصلاه و السلام " ادخلوا الأرض المقدسه " ما كانت مقدسه عن الشرك و ما كانت مقرا للأنبياء . و يمكن أن يُجاب بأنها كانت كذلك فيما قبل } و هنا نأتي للب القصه القرءآنيه . فإن الأرض المقدسه عباره عن مثل و حقيقته في مستوى أعلى من هذا العالم ، و إن كان له ظلال في هذا العالم حيث يتوفر ما ذكره المفسرون أي كل مكان مطهر من الشرك و يكون مسكنا و قرارا للأنبياء و ورثه الأنبياء الذين هم العلماء ، أي مقر التوحيد و العلم بإخلاص عن غير أهل التوحيد و العلم العالي ، و أما تحويل القضيه إلى جغرافيا و سياسه فهو شأن يهودي و جاهلي لا محل لأهل الإسلام فيه . و أما جواب الفخر الرازي عن النقد الذي وجهه لقول أهل التفسير فإنه مبني على عدم استعياب حقيقه قولهم من جهه ، ثم إن كان سيأخذ القضيه على مستوى جاهلي فإن النقد الذي وجهه له صادق فعلا ، و أما التخريج الذي حاوله بقوله { يمكن أن يجاب بأنها كانت كذلك فيما قبل } هو رجم بالغيب لا وزن له و لم يؤيده بنقل أو عقل . و أقصا ما يمكن أن يقوله هو أن يدعي أن حدودا جغرافيه معينه "مقدسه" لا لشئ إلا للأرض نفسها ، و هذا رده سلمان المحمدي عليه السلام حين قال " إن الأرض لا تقدس أحدا " حين ذكر له أحد الصحابه أنه في الأرض المقدسه أي الشام - و هذا مما يؤيد وجود قول بين بعض كبار الصحابه أنهم فهموا أن الأرض المقدسه هي الشام و يثبت أيضا وجود اختلاف قديم في ذلك فتأمله . و هذا لا يعني أن كل موضع من الأرض يساوي كل موضع آخر ، هذا سخف و اختزال، فالمسجد ليس كالسوق ، و قبر النبي ليس كقبر الشقي ، إلا أن معنى التقديس هنا حسب كلمه موسى عليه السلام يقتضي أن الأرض كانت مقدسه من قبل أن يأتوا إليها ، و أنها ظلت مقدسه مع وجود الجبارين عليها ، بالتالي تقديسها لا يرجع إلى صفه السكان و مرتبتهم عند الله ، إذ وجود الجبارين لم يحيل كونها مقدسه ، بالتالي صفه التقديس فيها راجعه إلى اعتبارات أخرى ، و أحد الاعتبارات المحتمله هي صفه ذاتيه للأرض خلقها الله عليها ، و هذا ما يمكن أن يتمسك به من يرى أن الكلام عن أرض جسمانيه جغرافيه و لكن سيكون عليه بعد ذلك أن يسعى ليعقل هذه الصفه الذاتيه و أعراضها التي تثبتها بالإشاره إليها . أما المسأله الثانيه و الثالثه فنفس مضمون ما سبق أن نقلناه عن الطبري و الزمخشري . ثم يذكر في المسأله الخامسه عن معنى " كتب الله لكم " فيقول أن الفائده من هذه الكلمه هي تثبيت إيمان الضعفاء من بني اسرئيل بأنهم سينتصروا إن دخلوا عليهم . أما معنى " كتب " فيذكر في المسأله الرابعه بضعه أقوال ، منها عن ابن عباس أنها {كانت

هبه ثم حرمها الله عليهم بشؤم تمردهم و عصيانهم } و هذا قول غير سليم كما بينا من قبل ، فإن الهبه لا عوده فيها ، و الكريم إذا وهب لا يرجع في هبته ، بل لله المثل الأعلى ، و النبي عليه السلام قد ضرب مثل الواهب الذي يرجع في هبته بالكلب الذي يقيئ ثم يرجع فيبلع القئ ، و لما دعا سليمان باسم الوهاب قال له سبحانه " فامسك أو امنن بغير حساب " . و يذكر رأيا ثانيا تحت عنوان {قيل} الذي يوحي بتضعيف المضمون بعده فيقول { قبل : اللفظ و إن كان عاما لكن المراد هو الخصوص ، فصار كأنه مكتوب لبعضهم حرام على بعضهم } و لا يعلق عليه . و هذا القول على كل حال غير معقول ، فإنه قال " كتب الله لكم " و لم يميز بين بعض و بعض بل جاء بكلمه " لكم " الشامله للمخاطبين بكلمه " يا قوم " . ثم يذكر قيلا آخرا { و قبل : إن الوعد بقوله "كتب الله لكم" مشروط بقيد الطاعه ، فلما لم يوجد الشرط لا جرم لم يوجد المشروط } و هذا معقول حسب القصه القرءآنيه و الأصول الربانيه . ثم يختم بقيل { إنها محرمه عليهم أربعين سنه ، فلما مضى الأربعون حصل ما كتب } و لا يعلق ، و نحن أيضا لا نعلق إذ لا فائده فيما نحن بصدده .

ج- يذكر العلامه الطباطبائي رحمه الله قاعده فيقول { القرءآن لا يُفسّر بالتوراه } يقصد التي بأيدي اليهود ، و لكن مع ذلك يذكر في سياق كلامه " يوشع بن نون " فمن أين يذكرون مثل هذه الشخصيه و هي ليست من القرءآن في شئ ! و باقي الكلام هو الكلام السابق عموما . و لكن يذكر روايه واحده ينقلها عن تفسير العياشي عن جعفر الصادق عليه السلام تتحدث عن " كتب الله لكم " يقول فيها {كتبها لهم ثم محاها ثم كتبها لأبنائهم فدخلوها و الله يمحو ما يشاء و يثبت و عنده أم الكتاب } فهذه تثبت أن الكتابه تضمنت الأبناء مما يشير إلى الاستمراريه لا أقل في جيل الأبناء المباشر أو التالي له لمن خوطبوا بالكلام . و في تفسير الفيض الكاشاني روايه عن الباقر عليه السلام في تفسير الأرض المقدسه أنها { الشام } و كذلك في تفسير الجنابذي الذي يميل إلى الباطنيات فيقول { الأرض المقدسه التي هي الشام أو أرض القلب } كما ورد في تفاسير بعض الساده الصوفيه رضوان الله عليهم في معنى القلب . و هؤلاء كلهم شيعه اثنا عشريه .

د- في تفسير الأعقم الشيعي الزيدي ، ورد في تفسير الأرض المقدسه نفس الآراء الوارده في الطبري و غيره مما سبق و نقلناه ، و ليس فيه زياده أو ترجيح لبعض هذه الآراء على الآخر و لم يسند الأقوال فضلا عن الترجيح إلى شخص معتبر . و تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام فقط أن " الأرض المقدسه التي كتب الله لكم " { معناه قضاها } فهو تفسير للكتابه بالقضاء .

هـ- و في تفاسير الإباضيه نفس السابق ، تفسير هميان الزاد للأطفيش رحمه الله و فيه عن أحد شيوخهم التعيين بأنها القدس و مدائن الشام. و ما سوى ذلك كالسابق فلا نعيد .

و- ذكر الآلوسي رحمه الله في روح المعاني كالسابق ، إلا أنه ذكر عن الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه تعيينا للأرض المقدسه بأنها { ما بين الفرات و عريش مصر } و هو عين القول اليهودي . ثم ذكر أقوال اليهود أيضا كما ذكر غيره ، و لا سند لشئ فيما ذكره عن غيرهم أو من القرءآن الكريم . و فسر كما فعل غيره " المقدسه " قول خلوها من الشرك ، و لكن أضاف رأيين فقال {طهرت من القحط والجوع } و هذا واضح البطلان فيما يتعلق بتلك الأراضي ، و القول الآخر {لأن فيها المكان الذي يتقدس فيه من الذنوب } و جوابنا " الذين ظلموا أنفسهم فاستغفروا لذنوبهم و من يغفر الذنوب إلا الله " فالقول بأن في منطقه ما { المكان } الذي يتقدس فيه من الذنوب إما كلام بلا حجه ، أو حصر لمطلق و واسع ، فإن الآلوسي لم يقل : فيها مكان يتقدس فيه من الذنوب . بل قال {المكان} مما يعني أنه لا يوجد هذا المكان في غير هذه الأرض ، و هذا معلوم البطلان ، و لكن لاحظ أنه لو أخذت بالمعاني العاليه كالتي يذكرها الساده الصوفيه رضوان الله عليهم لعرفت معنى هذا الحصر لمغفره الذنوب بالأرض المقدسه ، لأن القلب هو الموضع الوحيد لمغفره الذنوب فإذا صلح صلح الباقي و إذا فسد فسد الباقي ، و هكذا في كل الأقوال التي رددناها على مستوى ظاهري لو أخذت بالمعاني الباطنيه الحقيقيه المتعاليه لتبين سرها ، و أما ما يُنقل ظاهرا فغالبه باطل و الحق الذي فيه يرجع إلى معنى باطني و حقيقي و ليس حيث يذهب بعض الناس .

الحاصل من كل ما سبق هو أنه لا يوجد قول معتبر في الحديث عن هذه الآيات مسند إلى رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ، فضلا عن أن يوجد تفسير قرءاني قائم على الأصول و المبادي التي أرساها القرءان في التعاطي مع قصصه و أحاديثه ، و إنما المنقول هو كلام اليهود حذو القذه بالقذه و النعل بالنعل . من جانب آخر ، من الغريب أننا لا نجد أهل التفسير يتعرضون لمطالب اليهود بملكيه هذه الأرض أو رغبتهم في العوده إليها و الاستقرار فيها ، بل ليس فقط أهل التفسير و إنما في مجمل تاريخنا و ما اطلعنا عليه لا نجد مثل هذا المطلب و الالحاح عليه بقوه أو الرغبه في الذهاب إلى أي بلده من الشام ، و هذا أمر يحتاج إلى مزيد دراسه و تأمل ، فحين طُرد المسلمين و اليهود من الأندلس من قبل الصليبيين ، يُروى في التواريخ المعتبره عند اليهود أيضا و غيرهم - مثلا - أن الحاخام و المفسر الكبير موشى بن نخمان بعد أن تناظر مع يهودي انقلب صليبيا ، اضطر إلى الهجره من اسبانيا فذهب إلى أرض فلسطين " أرض الميعاد " و افتتح مدرسه فيها بعد أن وجدها شبه خراب من شؤون اليهوديه كما يفترض أن تكون حسب أصولهم ، و السؤال في حاله مثل هذا الحاخام و غيره : لماذا ذهب الآن و لم يذهب من قبل بالرغم من أنه من الواضح أنه باستطاعته الذهاب و الدخول - فلم يكن يوجد حرس حدود و جوازات سفر و فيزا في تلك الأيام ؟

هذه مسأله مهمه للدارسين : ما مدى حريه اليهود في السكن في أرض فلسطين أو " من النيل إلى الفرات" إن شئت ، على مدى التاريخ الإسلامي إلى يوم زوال الدوله العثمانيه العليه ، إذ بعد زوال الخلافه المعتبره أصبحت الأمه هملا من الناحيه الظاهريه الحكميه ، و إن بقيت و ستبقى إلى قيام

الساعه إن شاء الله من الناحيه الباطنيه الحقيقيه العلميه ، فلا اعتبار بما يحدث على مستوى الظاهر السياسي في غياب الخلافه الحكميه المعتبره ، فحسبنا أن نعرف ما هو الحال إلى يوم زوال الدوله العليه ، بل إلى يوم قيام الكيان الصهيوني رسميا قبل نحو ستين سنه كمزيد تبيان . و لكن الأهم هو أن يتم تبيين حال المدن " من النيل إلى الفرات " و تحديدا منطقه إيلياء أو بيت المقدس أو يروشلايم ، أولا الحكومات و الدول التي تعاقبت عليها ، و ثانيا هل كان من المسموح لليهود أن يستوطنوا هناك .، و ثالثا تفريعا على المسأله السابقه ، هل ذهب اليهود و استوطنوا هناك إن كان نعم ، و ما سبب منعهم إن كان لا ، أم هل كان من المسموح لهم و لم يستوطنوا باختيارهم فعلى ماذا استندوا في ذلك الامتناع حسب دينهم و فكرهم .

فهذه بعض الأفكار لمن يهتم بمثل هذه القضيه ، لعله ينتفع بها ، و الله أعلم .

...

(أصول سبكها السبكي)

الفتوى ثمره الكشف و البحث . سواء كانت فتوى متعلقه بالإسلام بشقي العبادات و المعاملات أو الإيمان بطبقات العامه و الخاصه و الخلاصه أو الإحسان بقوسي الصعود و النزول أو الزمان بدرجاته و دركاته كلها . كل جواب من عالم فيما يتعلق بهذه الأنواع الأربعه من العلوم هي ثمره لمجمل كشفه و بحثه بالإضافه إلى حال السائل و المستوى المتوقع من انتشار الفتوى ، فما يُعطى للخاصه ليس كما يُعطى للعامه ، و ما يُعطى للعامه كأفراد ليس كما يُعطى لهم كجمهور ، و إن كان العطاء واحدا إلا أن كل قابل يأخذ على قدر توفيقه و استعداده منه . ثم إن المبادئ و الأصول ، الرؤيه و المنهج ، الذي يفكر به العالم أو القوالب التي ينظر من خلالها للأمور و يعرضها و يظهرها للخلق ، تظهر في ثنايا فتاواه . و إن العاقل يسعى لاقتناص المبادئ و الأصول من خلال النظر في المواضيع المعينه و المقيده ، و لا ينشغل إلا انشغالا ثانويا بخصوص هذه المواضيع التي يتفق أن الكلام يكون متعلقا به في هذا الظرف أو ذاك . الترقي في العلم يكون بالرسوخ في المبادئ و الأصول ، إذ إليها يرجع الناظر حين تُعرض عليه المسائل أو ينظر هو فيها ابتداءا . المبدأ يتضمن ما لا يُحصى من صور المسائل الجزئيه . فمن أدرك المبدأ أدرك بالتضمن كل ما يحتويه و ما يلزم عنه و ما يتفرع عليه ، ثم بأدنى إشاره أو بعد جهد التفكير في قضيه ما تتفعل هذه الاحتمالات الكامنه " يكاد زيتها يضئ و لو لم تمسسه نار " . و أما السعي وراء الصور الجزئيه للمسائل ، فإن عشره أعمار تنقضي دون قضاء بعضها ، فضلا عن أن مستوى فهمها سيكون ضيقا طالما أن الأصول التي نبعت منها المسأله و جوابها أو أجوبتها غائب عن عقل الدارس . يهمني أن أعرف كيف تفكر ، أكثر بكثير من ما الذي تفكر فيه أو بنتيجه تفكيرك . فغالبا ما يضل من يضل ببطلان الأصول التي يبني عليها ، و ليس بسبب ضعف قوه تفكيره أو صبره على البحث و الدراسه . الأصول الصحيحه مع جهد قليل ، خير من الأصول السقيمه المموهه مع الجهد الكثير . و إنما يدرك علم العالم من أحاط بأصوله .

يُحكى في ميراثنا الفقهي القصه التاليه - أنقل من كتاب الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى و رضي عنه ، الأشباه و النظائر : { حكى القاضي أبو سعيد الهروي أن بعض أئمه الحنفيه بهراه بلغه أن الإمام أباطاهر الدباس - إمام الحنفيه بما وراء النهر - رد جميع مذهب أبي حنيفه إلى سبع عشره قاعده ، فسافر إليه . و كان أبو طاهر ضريرا ، و كان يكرر كل ليله تلك القواعد بمسجده بعد أن يخرج الناس منه . فالتفّ الهروي بحصير ، و خرج الناس ، و أغلق أبو طاهر المسجد و سرد من تلك القواعد سبعا . فحصلت للهروي سعله ، فأحس به أبو طاهر فضربه و أخرجه من المسجد ، ثم لم يكررها فيه بعد ذلك . فرجع الهروي إلى أصحابه و تلا عليهم تلك السبع . قال القاضي أبو سعيد : فلما بلغ القاضي حسينا ذلك ، ردّ جميع مذهب الشافعي إلى أربع قواعد . الأولى اليقين لا يزول بالشك ..الثانيه المشقه تجلب التيسير ..الثالثه الضرر يزال ..الرابعه العاده مُحكّمه } .

ضنّ الدباس الحنفي بقواعده حتى لا ينال السامع كل المذهب الحنفي بسهوله و يسر بعد أن استخرجها هو أو ورثها أو فتحت عليه بعد جهد جهيد و عمر طويل . و مما اطلعنا عليه هو بث العلماء لأصولهم - أي علماء - بين ثنايا كلامهم و بحوثهم . و ذلك يخدم أكثر من غايه ، منها اخفاء قواعد البناء ، إذ لو ظهرت القواعد و تعرضت للنقد و الهدم ، لانهدم البناء " فأتى الله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم " . و البعض يخاف من ذلك لسبب أو لآخر ، و قد يكون خوفه غير مبرر و قد يكون ، تصور لو أراد شافعي مثلا - بما أننا ضربنا هذا المثال لنكمل به - أن يهدم المذهب الحنفي ، فإنه يوجد فرق كبير جدا بين سعي الشافعي لهدم أبواب الفقه الحنفي كله من أول كتاب الطهاره إلى أخر كتاب في الفقه الأصغر ، فإن هذا جهد عظيم جبار لا يملك أحد أن يقوم به فعلا و لذلك لم يقوم به أحد فعلا ، و بين لو نظر في القواعد و ركز نقده عليها ، فإن سقوط أن توهم الناس لسقوط أي قاعده يعني بالتبعيه سقوط كل أجوبه المسائل التي بُنيت عليها ، بينما النظر في مسأله مسأله حتى لو فرضنا إثبات الشافعي لخطأ الحنفي فيها فإن ذلك لن يكون أكثر من اختلاف في الرأي و في نهايه المطاف " لكل مجتهد نصيب " و " الاجتهاد لا يُنقض بالاجتهاد " و "اختلاف أمتي رحمه " . ارفع اسم الشافعي و الحنفي مما ذكرناه ، و ضع ما شئت من مذاهب الشرق و الغرب في أي مجال ، و سترى الفرق الكبير بين إدراك الخصم للقواعد و بين تشتته في البناء و تفاصيله اللامتناهيه عمليا . و من هنا كان أفضل نقد لأي مذهب نظري أو عملي هو ببلوغ قواعده أولا ، ثم نقدها ثانيا . و من هذا القبيل ما قام به مولانا عبد الواحد رينيه غينون - قدس الله نفسه - مع الحداثه الغربيه و من جاء معه و بعده . فإن عموم الناس ينقدون هذه الظاهره أو تلك ، أو هذا الجانب من ظاهره معينه أو ذلك الجانب ، ثم يأتي النقد مشهوها و مبعثرا أو جيدا و لكنه لا يبلغ الجذور و لا يحسن اقتلاعها غالبا إن بلغها . و تستطيع أن تقارن مثلا بين الانتقادات الكثيره للحداثه و بين نقد أو نقض و دحض مولانا عبد الواحد لها في كتابه " سلطنه الكم " أو "أزمه العالم الحداثي" أو " الشرق و الغرب " بل على التحقيق كل ما كتبه .

في التفقه ابدأ من القواعد الأصوليه ، في اللغه ابدأ من المتون الأدبيه .

...

في الآيام الثلاثه الماضيه ، كنت مع فريق من المحققين نقوم بالتحقيق في قضيه ما في مكتب مديرنا . و بعد أن وجدت المحقق معه يطيل في كتابه إجابته ، و قد قضينا ساعات كثيره بي الأخذ و الرد مع انتظار تردده و الفراغ من كتابته لأجوبته ، نظرت إلى مكتبه في جانب من المكتب فوجدت كتاب "فتاوى السبكي " للشيخ تقي الدين السبكي - رضوان الله عليه . فخطر لي أن أنظر فيه . ففتحت فوقعت على كتاب فيه اسمه " تنزل السكينه على قناديل المدينه " . فقرأت قبله و منه صفحات ، خرجت منها ببضعه فوائد و أصول ، نذكرها هنا باختصار ، فإنها نافعه كشواهد على مسائل سبق

أن ذكرنا أقوال فيها في كتبنا فهي شواهد معززه لتلك النتائج من إمام عظيم كالسبكي الكبير رحمه الله لا يتردد مسلم سني - و أحسب كثير من غير السنه أيضا - في جلالتهم و مقامهم العلمي الرفيع .

أ- يقول الشيخ في بدايه الكتاب المذكور أعلاه { الله يعلم أن كل خير أنا فيه و منّ علي به فهو بسبب النبي صلى الله عليه وسلم ، و التجائي إليه و اعتمادي في توسلي إلى الله في كل أموري عليه ، فهو وسيلتي إلى الله في الدنيا و الآخره ، و كم له من نعم ظاهره و باطنه } .

و هذه هي الحاله المنبعثه تلقائيا في قلب العبد الذي شاهد شئ من أنوار الحقيقه المحمديه للنبي الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم . و إنما تتفرع الأحوال عن الحقائق ، و الشيخ السبكي ذكر هنا الحال الذي لا يكون إلا عن تلك الحقيقه كما هو ظاهر فيها . و هذه من الشواهد التي ترد زعم بعض أهل الخذلان هداهم الله في قولهم في التوسل بالنبي عليه الصلاه و السلام و منافاتها لخالص التوحيد بزعمهم . و كذلك وصف الشيخ لحجره النبي عليه السلام بأنها { حجرته المقدسه } و حسبك ذلك من وصف إن عقلت عن الله معاني كلام أولياء الله .

ب- { و لاشك أن القرءان أفضل الذكر ، و لكن ثم مواضع شُرع فيها ذكر خاص ، فلا يشرع تفويته بالقرءان و لا بغيره } .

و هذا مطابق تماما للأصل الذي سار عليه العرفاء في اعتبار القرءان أفضل الذكر ، و حتى حين يذكرون " لا إله إلا الله " مثلا ، فإنهم - كما قرره الشيخ الأكبر - يذكرونها بنيه ذكر قول الله تعالى "فاعلم أنه لا إله إلا الله " أي هم يذكرون هذه العباره العظمى من صلب الآيه ، و ليس كعباره مستقله عنها ، فينالون بذلك بركه ذكر الله و تلاوه القرءآن في آن واحد . و كذلك في كل الأوراد و الأذكار ، فإن الأوراد القرءانيه هي الأفضل بإطلاق . ثم جعل الاستثناء ما كان سوى ذلك من أذكار كالتي سنها سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ، أو سنها - باستمداد إلهي و نبوي - الخلفاء من الأولياء و العلماء من بعده إلى يومنا هذا . فما سنه النبي أو خليفه النبي - و خليفته كهو " من أطا ع رسولي فقد أطاعني " و" و من يطع الرسول فقد أطا ع الله " - فهو الشرع في الموقف المعين الذي شُرع له . فإن توارد شرع قرءاني و شرع نبوي أو علمائي على موضع واحد ، فيجب تقديم القرءآن حسب الأصل ، و الأفضل الأخذ بكلاهما للكامل ، و قد يأخذ البعض بالنبوي أو العلمائي من باب دونيه المرتبه ، فالذكر النبوي لا يمكن لأحد أن يقوم به إلا و كأنه ذاكر على لسان النبي أي هو يستصحب و يستشفع بالنبي عليه السلام بذكر نفس الذكر الذي كان يذكره ، و يتقرب إلى الله بهذه المناسبه ، فأين " الحمد لله " حين تصدر من النبي من " الحمد لله " حين تصدر من فلان أو علان ! فالبعض من علمه بتواضعه و دونيه رتبته ، لا يرى نفسه أهلا لأن يذكر الأذكار القرءآنيه مباشره ، أو

أنه يرى أن الحفاظ على المراتب أولى من الأخذ بمحض الحقيقه الجامعه بين المراتب ، فيرى أن القرءان جاء للنبي و ورثته من الخلفاء الأولياء حصرا ، ثم كلام النبي جاء للعلماء ، ثم كلام العلماء جاء للناس . و القرءان يذكر ذلك فقال " يأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم " . فيوجد هنا أربعه طبقات كبرى . مقام الله تعالى ، و مقام رسول الله ، و مقام أولى الأمر ، و مقام بقيه المؤمنين . الرسول مأمور بطاعه الله ، أولى الأمر مأمورين بطاعه الله و رسوله ، المؤمنون مأمورين بطاعه الله و رسوله و أولى الأمر . و المقصود أن كل من يطيع الرتبه التي فوقه مباشره ، فكأنما أطاع كل الطبقات ، إذ ما قامت الرتبه التي فوقه مباشره إلى باستنادها إلى ما فوقها . "من يطع الرسول فقد أطاع الله " بالتضمن ، و كذلك يمكن أن يقال : من يطع ولي الأمر فقد أطاع الرسول . كلما دنت المرتبه زاد الحمل . فالرسول غير مضطر للنظر في قواعد المذهب الحنفي مثلا ، لأنه يكتفي بما يرد عليه من ربه ، بينما التابع لا يملك أن ينال نفس استناره الرسول من القرءآن ، فلذلك يأخذ بالقرءآن و بكلام الرسول ، و هكذا كلما جاء قرن كان النور الذي انكشف للقرن الذي قبله معينا و مساعدا و مؤيدا له في نيل الاستناره الأولى أو القرب منها . بعباره واحده : كل ما خرج من الصحابه فمن دونهم إلى يوم القيامه ، في كل العلوم و الآداب ، لو جمعته كله في صعيد واحد ، في كتاب واحد ، و لنسميه كتاب " الجامع " ، الرسول نفسه كان يجد في القرءان وحده من النور و العلوم ما يساوي كتاب الجامع بل يزيد عليه . بينما لو أخذ أي مسلم ، من الصحابه فمن دونهم ، القرءآن فإنه لن يجد فيه إلا نتفا من العلم الكامن فيه ، و ما كتاب الجامع الذي افترضناه إلا استمداد مباشر و غير مباشر من نص القرءان و روحه . و الذي يقوم به أشباه أهل النفاق من الكسالى و أصحاب الدعاوى العريضه و الضعف الظاهر ، هو أنهم يزعمون أنهم يستطيعون أن ينالوا من النور " من الكتاب و السنه فقط " أو " من الكتاب فقط " ، و حجتهم الكاسده في ذلك هو قولهم : كما أن النبي لم يحتاج إلا إلى القرءآن ، فنحن أيضا نستطيع أن نكتفي بالقرءآن . أي فاسق ! كن كالنبي أولا ، ثم قل ذلك . و لكن سبب هذا الفسق يمكن إدراكه بسهوله ، فإن الكسل و سوء التوفيق يؤدي إلى البحث عن الطرق المختصره - ولو كانت وهميه ، و أين أصحاب الجهاد الأكبر " و قليل ما هم " . فالحاصل ، أن الأصل هو أفضليه القرءان مطلقا في كل حال ، و أولويته المطلقه في جميع الأحوال ، و حين يأتي شرع نبوي أو علمائي فإنه لا يكون إلا تفعيل لبعض معاني القرءآن و استنباط منه و كشف عرفاني برز إلى هذا العالم ببركته ، فالشرع النبوي و العلمائي ليس في عرض القرءآن و لا يتقاطع معه ، بل إنما هو القرءآن في مرتبه أخرى من مراتب ظهوره ، و ما استنبطه العالم من القرءآن فهو كالقرءان . و هي القرءان في مرتبه التفعيل إلا استنباطات العلماء منه . فما تعمله بسبب القرءان ، هو قرءان ، مع حفظ المراتب طبعا . و الله أعلم .

ج- في مسأله مال الكعبه المشرفه و إن كان من الجائز أن يتم نزع صفائح الذهب و الفضه التي عليها سواء لتوزيع قيمه الذهب بعد بيعه على الفقراء أو غير ذلك من مصالح ، ذكر الشيخ روايه عن عمر بن الخطاب و أنه همّ في يوم من الأيام أن ينزع الصفائح ليبيعها فذكر ذلك لأحد الصحابه

الكرام فذكر الصحابي له ما منعه من الإقدام على ما همّ به و هو أن رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر لم يقوما بذلك و عمر لن يخالف ما سنه الرسول و صاحبه ، و هنا يذكر الشيخ الاعتراض و الإجابه التاليه { فإن قلت : فما مستند عمر رضي الله عنه فيما همّ به ؟ قلت : عمر إمام هدى ، و أبو بكر أعظم منه ، و رسول الله أعظم منهما و الهدى كله فيما جاء به فلا يلزمنا النظر فيما كان سبب همّ عمر } .

الأصل العظيم هنا هو هذا : إن تبيّنت الحجه الأعلى جاز الإعراض عن الحجّه الأدنى . فالفكره أنه يوجد مراتب للحجج ، و الأعلى يحكم على الأدنى ، و لكن الأدنى لا يحكم على الأعلى . فكلام الله فوق كلام النبي عليه السلام ، بدليل أن القرءآن نفسه يصحح و يقوّم و يوجّه بعض أقوال النبي و أفعاله ، " لم تحرم " و " لم أذنت لهم " و القاعده الكليه التي تحكم قلب النبي عليه السلام و بالتالي كل ما يصدر منه و هي " اتل ما أوحي إليك من كتاب ربك " ، فالنبي مظهر للقرءآن و هذا تحقيق معنى قول عائشه " كان خلقه القرءآن " . ثم كلام النبي عليه السلام فوق كلام أهل البيت الخواص ، و الأصحاب الخواص ، ثم كلام هؤلاء فوق كلام عموم أهل البيت و عموم الأصحاب ، ثم يتسلسل الأمر فيمن بعدهم و هكذا . و مجمل القول لمن لم يدرك تفاصيل المراتب في أهل البيت و الأصحاب هو أن يعلم - و هو يعلم - أن كلام النبي عليه السلام فوق كلام كل من سواه من المسلمين كائنا من كان ، فذاته و صفاته و أفعاله فوق كل ذات و صفات و أفعال من سواه من الخلق . فإذن ، الحجه أولا لكتاب الله ، ثم لسنه نبي الله ، ثم لعلماء المسلمين ، ثم لأتباعهم . و على ذلك ، لا يُحتج بالأدنى على الأعلى من حيث هو أدنى ، و لكن قد يُحتج به من حيث أنه أدرى بالأعلى ، إلا أن الاحتجاج بمزيد الدرايه لا يصح إلا حين يكون المعنى المأخوذ من الحجه الأعلى مظنونا أو ضعيفا ، و أما إن تبيّن للناظر و ظهر للمُكاشف فلا سبيل إلى رده و إلا سقطت كل الحجج بسقوط قيمه ظهورها لقلب الناظر و المُكاشف ، ثم قد يوجد بعض الاستثناءات إن كان الأدنى المرجوع إليه قد أظهر كل حيثيات قوله أو فعله أو حاله ، أو ظهرت لنا كل هذه الحيثيات ، و حينها قد نقوم بترجيح كشفه و نظره على كشفنا و نظرنا ، و أما إن كان الأمر مبهما أو فيه شك فلا يعقل أن نترك يقين أو ظن راجح عندنا و شهود قائم في قلوبنا من أجل ما يزعم البعض أن فلان من الناس - على جلالته - كان يرى كذا أو يقول كذا ، بل إن ثبوت رأيه و قوله و فعله شئ ، و ثبوت صحه تفسير المعارض لنا لهذا القول و الفعل شئ آخر و درجه فوق درجه ثبوت الأصل ، فقد يكون لنا تفسيرا راجحا أيضا لنفس المقوله و لكنه مغاير لتفسير المعارض فيزداد الأمر إبهاما . فالأفضل هو أن نعلم ، كما أنه { لا شك أن القرءآن أفضل الذكر } كذلك نقول : لا شك أن القرءآن أفضل الحجج . و يمكن أخذ قول الشيخ {فلا يلزمنا النظر فيما كان سبب همّ عمر } مأخذ الأمثال السائره ، فإنها على جمال مبناها إلا أن معناها أجمل. فقد نأتي بحجه من قرءان أو سنه نبي الله ، فيأتي رجل بكلام لعالم من العلماء الأجلاء أو غيرهم يعارضنا به ، فإن أظهرنا له الحجه القرءآنيه أو النبويه و ظهرت له فعلا قد يتردد في نفسه و يقول : فما تفسير قول العالم الفلاني إذن و من المستبعد أن نعلم نحن هذا المعنى و لا يعلمه هو ؟

فيكون جوابنا حينها بنفس ما أجاب به الشيخ السبكي - من باب المثل - فنقول : لا يلزمنا النظر فيما كان سبب همّ عمر . قد نبحث في الأمر لاحقا على سبيل التفقه و المذاكره ، و قد لا نبحث ، على الوجهين هذا لا يفسد أصل الحجه الأعلائيه ، فالأعلى لا ينتقض بالأدنى ، و الأعلى لا يتصحح بالأدنى ، بل العكس هو الصحيح . مع العلم أن الجرأه على الادعاء بأن استنباطا ما من القرءآن أو السنه النبويه الشريفه هو الحق بالرغم من وجود شبه اجماع من علماء المسلمين أو اتفاق رفض السواء الأعظم من المسلمين على مر القرون له أو اعتبار الساده الصوفيه له على أنه باطل ، هي جرأه لا تصدر إلا ممن " يشهد الله على ما في قلبه و هو ألد الخصام " و من إخوان " و إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون " و أضرابهم . و لم نجد صاحب مثل هذه الجرأه ، إلا و هو ممن لا تكاد تجد للروح و المعنى و عمق العقل مستقرا عنده ، و غالبا هو مقلد للغرباء و مستصغر محتقر لعموم المسلمين بل للعظماء . اعرف أيها الطالب للعلوم الإلهيه هذه الحقيقه : لن تكتشف أي حقيقه لم يكن يعلمها أحد قبلك و لم يشر إليها أحد قبلك سواء بالإشاره الجليه أو الخفيه. و من قرأ و دقق في كل ميراث المسلمين على مر القرون لن يكاد يجد لنفسه "إبداعا" اللهم إلا شئ قليل و صور و تحسينات لفظيه و ترتيب في الغالب الأعم ، و لا تقول : و لكن فلان قبل ألف سنه عمل كذا . فإنا نقول : نعم فلان عمل ذلك ، و أبدع فيه ، و كلامنا ليس على " قبل ألف سنه " و لكن كلامنا عن اليوم ، لا تختزل المطالب ثم تفرح بالنتيجه التي تخرج بها من المقدمات القاصره المغايره للواقع من جميع جهاته و حيثياته . أي إبداع في هذا الزمان إما سيكون ابتداعا باطلا و إما ذكر لقديم لا يعرف الذاكر أو المذكور له أنه قديم فيظنه إبداعا و اختراعا من العدم . إن الذي يقرأ قليلا يبدع كثيرا ، و حدود شهرته و فخر إبداعه تقف عند نفسه و خيالاته و الجهله من أمثاله . و من وسائل " الإبداع " المعاصره أن يتلقف أحدهم الكتاب أو النظريه أو الفكره أو المقاله من الغرب غالبا ، ثم يأتي بها بعد أن يغلفها بغلاف شئ من ألفاظ أهل الإسلام و العربيه الفصيحه أحيانا، فيخرج بها على الناس و يدعي أنه جاء بأفكار أبكار لم يطمثهن قبله شرقي و لا غربي . و أنواع من الصفاقه و الرقاعه ظهرت بين الناس في القرن المنصرم و لا تزال باسم هذا الإبداع و التجديد و القراءه المعاصره ...الخ . من قبيل رجل ينظر في تاريخ الغرب فيجد أنه سار عموما في اتجاه الحداثه على طريقين بينهما تقاطع أحيانا ، أحدهما إلحادي يتمثل في " التنوير " الفرنسي و ما شابهه ، و الآخر ديني يتمثل في البروتستانتيه ، فيرى أن أهل الإسلام من العرب تحديدا و الكل عموما من شبه المستحيل أن يسيروا - إن شاء الله و بعصمته - على طريق الإلحاد العام على نحو سفله أوربا ممن لا يعقل شيئا تقريبا عن تعظيم حرمات الدين بالتعظيم الحقيقي و ليس هذا الدين من شأنهم أصلا و لا يليق بهم ، اللهم إلا استثناء هنا و هناك ، فيرى أن الطريق الأقرب هو الديني فيذهب إلى البروتستانت فيجد أن - من اسمهم قبل أي شئ آخر - هم حركه تعارض التقاليد و السنن المتبعه كما هو الحال عند الكاثوليك ، و أشياء أخر أيضا ، أي ما يمكن أن يسمى إلى حد ما و بعد شئ كبير من الاختزال و الترقيع ، ب " السنه " في ديانه أهل الصلب ، بينما يشبهون كتاب

القوم بكتاب الله تعالى ، و البروتستانت أخذوا بكتاب ربهم كما يعتقدون وحده ، أي الكتاب وحده بدون السنه ، و بهذا فصلوا الناس عن التسلسل الطبيعي و التاريخي للدين في هذا العالم ، ثم حدث ما حدث و يحدث مما يعلمه أهل الإطلاع و لسنا بصدده ، فيأتي هذا " المبدع " و صاحب القراءه المعاصره ، فيبدأ في وقوف موقف المعارض ، موقف البروتستانت ، فتجده تقريبا دائما حين يتحدث يتخيل خصما من أهل الإسلام و عموم المسلمين و أهل السنن أمام عينيه ، و يبدأ في سبهم و قتلهم و الاستهزاء بهم و السعي في دحض أصولهم و فروعهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا مع الإبقاء على سمعته ك " مفكر إسلامي " - هذا اللقب القبيح الذي تفوح منه رائحه العفن الغربي . ثم يسعى صاحبنا المبدع في إثبات أن القرآن وحده الحجه و بالتالي يجب رفض السنه و كل ما قاله العلماء مما يخالف القرآن ، و هو بالطبع يظن أنه بذلك - كالعاده - أنه قال أمرا خطيرا لم يُعرف و لم يُمارس من قبل ، ثم لا يخفى النزعه الخوارجيه التي تبدأ بالظهور فيهم ، و الخوارج ليسوا فقط أولئك الحروريه و لكنهم أيضا أتباع الحداثه فهل وجدت القرءآن يجاوز تراقيهم و أليس من يسماهم حلاقه اللحى - " سيماهم التحليق " لا تقتصر على تحليق الرؤوس ، و أليسوا يظهرون النزعه الخوارجيه ، النزعه الأبرز قبل القتل البدني و هي القتل القلبي الديني ، و هي أن يأخذوا الآيات التي نزلت في أهل الأوثان و المشركين و ينزلونها على أهل الإسلام و المؤمنين ، فتجدهم يزعمون أن اتباع كتب الأحاديث الشريفه و تعظيم علماء المسلمين هو عباده للأصنام و اتخاذ لأولياء من دون الله و عباده الأحبار و الرهبان ، و غير ذلك من مقايسات مقززه تزيد من يقيننا بأنهم خوارج من جانب ، و أغبياء لا يعقلون العربيه جيدا من جانب ثاني ، و لا يتقون الله من جانب ثالث . و العجيب أنهم يعتبرون إتباع المسلمين لكتب علماء المسلمين هو إشراك لكتب مع كتاب الله ، و لا يجدون كتبهم هم التي يكتبونها للترويج لبدعهم - آسف " لإبداعهم و قراءتهم المعاصره المتطوره " - كإشراك لكتب مع كتاب الله ! قال لي أحد هؤلاء مره و هو يسعى لإقناعي ببدعته و لم أرد أن أضيع وقتي معه لأني أعلم ببدعته منه ، فقال لي : يجب أن نأخذ من كلام الله فقط لا كلام الناس . فقلت له : أنت الله ؟ فقال : لا. قلت : إذن اخرس ، لا أريد أن آخذ كلامك ! " فبهت الذي كفر و الله لا يهدي القوم الظالمين" . نعم الحجيه المطلقه لكتاب الله ، و لكن فليثبت أولا أن المعنى الذي ذكرته أنت هو الحق الوحيد من كتاب الله ، و حينها لك الحجه في رفض ما يتقاطع معه يقينا . و أما أن تذكر استنباطا كاسدا من آيه ، ثم تذكر فهما ساقطا لحديث ، ثم تأخذ نتيجه فهمك الساقط و تدعي أنه معارض لاستنباطك الكاسد ، فهذا هو الخبل الذي نرفضه . كل من يأتي بعقليه " إظهار الحقيقه التي غابت عن الناس منذ قرون " لا يساوي شيئا قيما . و كل من يأتي بعقليه " إفناء الموجود لإقامه صرح جديد بالكليه " لا يساوي شيئا قيما . و كل من يأتي بعقليه " لنأخذ أدوات الفكر الغربي المتطوره و نطبقها على تراثنا الإسلامي" لا يساوي شيئا قيما . ابتعد عن هذه الفرق التي ذكرتها لك ، و إن شاء الله لن تضطر أن تقضي شطرا من عمرك في السباحه في مستنقعات الذهن البشري للبحث عن جواهر لا وجود لها ، و إن وجدت جوهره في قاع المستنقع فالأظهر أنها براز متحجر ، فدقق قبل أن تضعه على تاجك .

الحاصل ، الحجه لكلام الله ثم لنبي الله ثم لعلماء المسلمين ثم لأتباعهم على درجاتهم . و من حاز علما من الأعلى استغنى عن النظر في الأدنى منه ، أو بعباره الشيخ { فلا يلزمنا النظر فيما كان سبب همّ عمر } . و الله أعلم .

د- يقول الشيخ { و أما الإهداء إلى الكعبه ، فأصله معهود قال الله تعالى "هديا بالغ الكعبه " ، و إن كان ذلك في الفداء ، لكن عُرف به مشروعيه هذا النوع ، و إضافته إلى الكعبه } .

الفكره هنا هي النظر إلى الآيات القرءانيه من حيث كونها أصول و تدل على أنواع ، يندرج تحتها أفراد كثر . و بهذا النظر يستطيع الإنسان أن يكون ذو عقل قرءاني . الشيخ كان يبحث مسألة نسبه ما يُهدى إلى الكعبه إلى ذات الكعبه ، و ليس إلى الحرم مثلا أو إلى فقراء مكه عموما و نحو ذلك من باب التجوز في العباره ، فالشيخ يرى أن المُهدى إلى الكعبه يعتبر مُهدى إلى ذات الكعبه ، لا غير طالما أن المُهدى خال من القرائن الداله على إراده ما سوى ذلك ، كأن يهدي أحد غنما إلى الكعبه ، فالمقصد حسب القرينه القاطعه هو غير ذات الكعبه إذ لا يمكن أن تستفيد الكعبه من الغنم . فاستدل بقوله تعالى " هديا بالغ الكعبه " على قاعده عامه بغض النظر عن محدوديه السبب الذي وردت فيه الآيه الكريمه ، و هو الفداء بشروطه ، و القاعده العامه مستنبطه من نفس قوله تعالى " هديا بالغ الكعبه " أي بالغ إلى نفس الكعبه . فالنتيجه هي أنه { عُرف به مشروعيه هذا النوع } أي نوع نسبه الأشياء إلى ذات الكعبه . فحيث أن مبدأ هذه النسبه قد ثبت ، فإن نسبه ما سوى ذلك من أشياء يكون مقبولا من حيث المبدأ و يكون بحكم المصاديق المندرجه في المبدأ . كل ما أقره الله من أنواع و مبادئ ، يعتبر إقرار ضمني لكل المصاديق و الأعيان التي تتضمنها هذه الأنواع و المبادئ ، هذا هو الأصل في مثل ذلك . و بهذا المعنى يُعرف اشتمال القرءان على ما لا يتناهى من معلومات و حقائق و أصول .

د- في إحدى المسائل ، ذكر الشيخ التالي { و أما تعليل الرافعي } و هو من كبار فقهاء الشافعيه {بأن ذلك } أي ذلك العمل الذي ذكره في المسأله { لم ينقل عن فعل السلف } و هذا مبدأ بنى عليه الرافعي فتأمله ، ثم يأتي جواب الشيخ عن تعليل الرافعي برفض عمل معين فقط بحجه أنه {لم ينقل عن فعل السلف . فعجيب . لأن هذه العله لا تقتضي التحريم ، و قصاراها أن تقتضي أنه ليس بسنه أو مكروه كرهه تنزيه ، أما التحريم فلا ، و ليس لنا أن نحرم بمثل ذلك حتى يرد نهي من الشارع } .

ما ذكره الشيخ هنا يكفي لهدم بناء ما يُعرف ب " السلفيه " كله ، على فرض أن للبناء وجود محقق أصلا ، و هو وجود غير مُسلّم . ففكره السلفيه الأساسيه هي أن كل ما { لم ينقل عن فعل السلف } فحكمه { التحريم } . و يمكن نقض هذه القاعده من أكثر من وجه ، ظاهري و باطني ، قرءاني و حديثي بل و سلفي . و الشيخ ذكر أحد الأوجه و هو أن { هذه العله لا تقتضي التحريم ، و قصاراها

أن تقتضي أنه ليس بسنه أو مكروه كراهه تنزيه } و يقصد ب {قصاراها } أنه في حاله كون العمل غير مؤيد بأي حجه أخرى ، و غير تابع لأصل قرءاني و مندرج ضمن نوع أثبته القرءآن تحديدا و السنه الشريفه كذلك ، إذ ما اندرج تحت أصول القرءآن و السنه الشريفه فهو بحكم القرءآن و القرءان حجته ، فالمقصد هو أنه إن افترضنا عملا لا يوجد أي دليل يؤيده من القرءان و السنه ، و كذلك لا يوجد أي دليل ينقضه من القرءان و السنه ، فإنه يكون عملا معلقا في البين ، فإن نظرنا في عمل السلف - و المقصود أهل العلم و التقوى من القرون الثلاثه الأولى - فلم نجدهم عملوا به ، فإننا أمام أحد ثلاثه أمور : إما أن نبني على أصاله التحريم ، و هو قول البعض و منهم من يسمون أنفسهم بالسلفيه ، و إما أن نبني على أصاله التحليل ، و هو قول البعض الآخر ، و إما أن نبني على الاحتياط حسب الموضوع فإن كان داخلا في العبادات تحرينا و إن كان في المعاملات نظرنا في المصالح و تساهلنا . و الشيخ ينظر فيقول { و ليس لنا أن نحرم بمثل ذلك } أي بمثل هذه العله التي هي عدم عمل السلف ، و لكن لا نحرم { حتى يرد نهي من الشارع } . فعله التحريم لا تكون إلا النهي الصريح التام من الشارع . فقد يوجد نهي و لكنه دون التحريم كما هو معلوم . فكلمه {نهي} المجرده عن التحديد غير وافيه بالمقصود و إن كان المعنى الذي يريده الشيخ قد وصل . فالتحريم قضيه عظيمه ، لا يجترئ على ركوبها إلا نبي أو فقيه يملك دليل قاطع أو شقي . فالظاهر أن الشيخ يبني على أصاله التحليل حين يغيب الدليل ، و لكنه يميل إلى اعتبار أن عدم عمل السلف على الأحوط يدل على أنه { ليس بسنه } إذ لو كان سنه لعمل به السلف إذ هم أحرص الناس على اتباع السنن ، إلا أنه يؤخذ على هذا أن السنه قد تكون اتباع حقيقه ما و تمثلها في الزمان و المكان ، و لكن صوره معينه من صور السنه لم تكون قائمه في تلك القرون ، ثم ظهر ما يدعوا إلى بروز صوره معينه من الصور التي تتفرع عن السنه في مكان و زمان آخر . فعدم التفريق بين حقيقه السنه و صورها المتعدده هو أحد أسباب الغفله عن سنيه عمل ما و إن كانت الصوره لم تظهر في ذلك الزمان الأول . فمن السنه ذكر الله قبل النوم ، و لكن إن أراد أحد المسلمين أن يذكر الله بصوره ذكر فتحت عليه هو أو بأن يقرأ سبع سور من القرءان أو غير ذلك من احتمالات فإنه و إن كانت صوره عمله لم ترد عن السلف إلا أن حقيقه عمله سنيه و " سلفيه " . مثال آخر ، الله تعالى يقول " قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا " فجاء الأمر العام بالفرح بفضل الله و برحمته . نزول القرءآن من رحمه الله ، ولاده النبي عليه السلام من رحمه الله ، يوم مبعث النبي عليه السلام من رحمه الله ، و هكذا . ثم جاء الأمر ب " فليفرحوا " . هذه كلمه عامه ، تشتمل على فعل مصاحب لشعور معين ، مثل " اذبحوا بقره" عامه ، ففلان يريد أن يذبح هذه البقره ، و ذاك يريد أن يذبح تلك البقره ، و آخر انتظر حتى جاءت القيود الكثيره التي حصرته في بقره معينه ، كل هذا جائز في الأصل ، لأن الأمر عام ، و العام من السعه و الرحمه و اللطف الذي يفتح المجال لمشروعيه صور متعدده و ألوان كثيره من المصاديق . فالله قال " فليفرحوا " و لم يقيد بأي قيد من حيث صوره الفرح و شكله و لونه . فإذن من الأصول القرءآنيه و بالتالي و بالضروره من السنه أن يفرح الإنسان بفضل الله و برحمته ، و حيث أن الأمر عام ، فإذن

من الأصول القرءانيه و بالتالي السنيه أن كل ما يندرج تحت هذا الأمر - بشرط عدم مخالفه أمر آخر و هذا بديهي - يعتبر أيضا من السنه . فإن كان شخص يفرح بتوزيع المال و الحلوى على الفقراء ، فبها و نعمت ، و إن كان آخر - مثل الصحابي الشاعر كعب بن زهير رضوان الله عليه - حين يفرح يلقي قصيده في المديح النبوي ، فبها و نعمت ، و إن كان ثالث يرى أن خير فرحه بالقرءآن و النبي عليه السلام هي أن يتعلم القرءان و يدرس أحاديث النبي ، فبها و نعمت ، و قس على ذلك . فتقييد ما هي السنه في صوره معينه ، دون الحقيقه ، هو من الغفله عن السنه و تحجير رحمه الله الواسعه . إلا أن الشيخ يقول أن قصارا عدم ورود العمل عن السلف هو أن يُعتبر { ليس بسنه أو مكروه كراهه تنزيه } يدل على أن الدعوه إلى تغيير هذا العمل إن وقع من البعض ينبغي أن لا يتجاوز حدود نهي رجل عن أكل البصل قبل الجلوس إلى الناس و مناجاه العلماء . و أما التهويل و سوء الأدب الذي يصدر من البعض بهذا الصدد ، فهو غلو و شئ يجلب الاشمئزاز في قلوب من ذاقوا شئ من سعه رحمه الله في كتابه و سنه نبيه صلى الله عليه و اله وسلم . و الله أعلم .

و الحمد لله رب العالمين .

....

(سألني خطيب أحد المساجد عن قصه أهل الكهف و شئ من المعاني التي يمكن أن نكتب بها إليه ليلقيها على الناس ، فكتبت له التالي)

لعل أهل فكره في قصه أهل الكهف هي : عندما تغيب حريه العمل بالدين و حريه التعبير ، ينعزل العلماء و يحتجب الأولياء ، و حينها يترأس الجهال و الأشقياء ، و تكون العاقبه هلاك الحكام و فساد الجماهير . و أحيانا يكون العامه هي السبب المباشر في طغيان الحكام على العلماء و الأولياء ، و ذلك حين يسعى الحكام لإرضاء العامه من حيث إظهارهم التقوى المزيفه التي ينخدع بها العامه بسهوله - كالعاده - و لكن كما ترى فإن الأمر يرجع إلى حاله العامه أنفسهم ، فلو كانوا أنصارا لحريه العمل بالدين و حريه التعبير - لا أقل بالنسبه لعلماء المسلمين بلا أي تفريق و تقييد بينهم - لما تجرأ الحكام على إيذائهم . فكل فرد في المجتمع مسؤول عن كل عالم يحتجب و يكتم علمه . و غيبه الشموس تعني حلول الظلام ، فعلى الفرد أن يتحمل حراره الشمس في سبيل كسب الضوء الفائض منها .

أما عن الكلب ، فالفكره : حتى أخس الناس لو اتبع العلماء الأولياء سيرفعه الله ، كما خلّد الله ذكر الكلب في القرءان العظيم و نسبه لأهل الكهف " كلبهم ".

أما عن الزمان فأفكار :
منها نوم أهل الكهف مع عدم شعورهم بمرور الزمن ، و ذلك إشاره إلى أن النفس حين تعرج إلى العالم الأعلى "الله يتوفى الأنفس" فإنها تعلو على الزمان ، كما أنها لا تتحيز في مكان أو لا أقل لا تعي ذلك التحيز و التقييد ، فبالتالي يكون النوم آيه على وجود مقام للنفس يعلو على الزمان و المكان ، و الإنسان الكامل يسعى لأن يكون في يقظته في عين هذه الحاله التي لا ينالها - أو ينال شئ منها - الغافل إلا في نومه. فالعارف يسير بين الناس و يعمل في العوالم و لكن نفسه مستقره في عين الحق المتعالي على الزمان و المكان ، و لهذا تأتي أعمالهم واسعه و مباركه ، لأن منطلق نياتهم و أفكارهم هو عين العالم الواسع المبارك .

و منها كون الله تعالى أيقظهم بعد ثلاث مائه سنه ، و بذلك تحولت الحاله العلميه للناس . فالسؤال : هل للثلاثمائه تحديدا معنى أم أنه صدف أن تغيرت الحاله بعد ثلاثمائه فوقع الإيقاظ ؟ الأظهر هو الأول ، لأن القرءان لم يكن ليذكر قضيه الثلاثمائه سنه في آيه كامله لو لم يكن لهذا المعنى بالتحديد أهميه ، بل لما ذكره حتى في وسط القصه و لا حشو كما قال في سفيه نوح " و حملناه على ذات ألواح و دسر " و لم يذكر أي تفصيل آخر إذ الاهتمام منصب على حقيقه الحمل حصرا بغض النظر عن صورته التفصيليه . فبالتالي ، نعلم أن كل ثلاثه قرون تقريبا لابد أن يوجد تغيير ما في نفوس الناس . و هذا يظهر لنا حقيقه مهمه جدا عن الزمان ، فالزمان ليس مجرد " كم " و لكنه " كيف " . فللأزمان بالمعنى الكوني تأثير معين على نفوس الناس ، و يُبنى على هذا الكثير من الأفكار . فالزمن بالمعنى الكوني تأثير على نفوس الناس ، ثم تصدر الأفكار من هذه النفوس ، أي الخط العام ، و دائما يوجد استثناء لأناس لا يتغيرون بتغير الأزمان و هم غالبا من كانت أصول علمهم و أسس فكرهم قائمه على حقائق تعلو على الزمان ، و بالتالي تكون قابله للتجلي في كل زمان . فحصرا ، المتعالي هو الدائم التجلي . فعلى العلماء أن يصبروا حين لا يجدوا الأزمان مناسبه لإظهار ما عندهم من علوم ، حتى يأتي الوقت المناسب " فذكر إن نفعت الذكرى " و ليس حين لا تنفع . و من ذلك أن يبقوا كتبهم و يورثوها من بعدهم - التي هي عباره عن عقلهم الروحي في جسم ورقي - فببقاء الكتاب بين الناس يبقى الشق النافع من الكاتب بين الناس. و من علامه الدجالين أن يستعجلوا إظهار ما عندهم و يسعوا في فرضه على الناس بالقهر و الإكراه .

أما عن الكهف ، فالفكره : لكل إنسان منطقه في نفسه ، أو زاويه من زوايا قلبه ، تشتمل على رغبات و رهبات و أفكار و ادعاءات ، لا يريد أن يظهرها للناس حتى لا يرجموه ! و كما أن استيقاظ أو " بعث " أهل الكهف بعد موتهم الجزئي سمح لهم بالخروج من الكهف ، كذلك بعد الموت الكلي و البعث الأخروي إن شاء الله سيدخل الله أهل الإيمان إلى جنه يكون الواحد فيهم كالملك المطلق تمضي فيها مشيئته بلا أي قيد أو شرط ، "لهم ما يشاؤون فيها " و هو فيض الألوهيه عليهم " الله يفعل ما يشاء " .

أخيرا ، حين خرج أهل الكهف و رأوا تغير الوضع جدا ، ماتوا . المعنى : ادع الله أن لا تكون في زمان و مجتمع مغاير جدا لرؤيتك و منهجك و فكرك في الحياه ، فإن الموت أهون من العيش وسط من لا تفهمهم و لا يفهمونك ! و السلام .

....

(قرأت بعض الاعتراضات على تعميم اللسان العربي بإطلاق ، فوضعت هذه الملاحظات لإعانه أهل النظر من أنصار العربيه)

١- عدم تحدث الناس الآن عموما بالفصحى ليس مانعا من التحدث بها مستقبلا ، كمن يذهب إلى بلده مريضه بالطاعون فيقول لهم " ما رأيكم أن نبدأ نعالج أنفسنا من هذا المرض ؟ " ، فلا يقال لمثل هذا "معظمنا مريض ، فلا فائده من العلاج " . لأن العلاج يفترض وجود المرض مع الرغبه في إزالته.

٢- عدد من يتحدث بالانجليزيه ، مثلا ، لا يتجاوز ثمن عدد البشر . و مع ذلك الدنيا سائره و الناس عايشه حياتها . و لو كان المستعمر - ظاهرا أو باطنا - لهذا الجزء من العالم - أقصد الشرق الأوسط- هو أهل فرنسا ، كما هو الحال في المغرب و تونس مثلا ، لظن الناس أن تعلم الفرنسيه "ضروري للتخاطب مع العالم و تسيير أمور التجاره ...الخ" . اذهب و قل لألماني أو فرنسي : يجب أن تتعلم الانجليزيه داخل بلدك لتصبح إنسان " متطور " ...مع نصيحه مني : ابعد عن مرمى يده لأنك ستاكل منه "بوكس" !

٣- - اللسان العربي الفصيح الذي تحدث به المسلمون و العرب شرقا و غربا - و لا زالوا إلى حد كبير- ليس أمر مخترع بالأمس ، و فكره جعله لغه عالميه حضاريه علميه فلسفيه أدبيه و حتى للمجون

و العربده ، ليست فكره جديده ، و لكن طبقت فعلا لأكثر من ألف سنه ، و مع ذلك سار العالم و العلم بل إنما وصلت العلوم الظاهريه للغرب بواسطه كتب عربيه و ترجمات عربيه متقنه للكتب الغير عربيه الأصل (مع عدم اعتزازي الشخصي بما فهمه الغرب عموما من هذه الكتب و لكن الفكره واضحه). فتعميم العربيه ليست تجربه حديثه لا نعرف عواقبها ، بل هو أمر حقيقي كان و لا يزال مع ضعف و إحياء الأمر من جديد إن شاء الله أهون من المره الأولى " أوليس الذي خلق السموات و الأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى و هو الخلاق العليم " .

٤- الصهاينه " تقدموا و تطوروا " علميا و اقتصاديا ...الخ ، بالرغم من أنهم اعتمدوا اعتمادا كليا على اللغه العبريه ، بعد تلفيق و إعاده انعاش و حتى استعانه باللغه العربيه (اقرأ سيره : يهودا اليعزر إن شئت و العمل اللغوي الذي قام به قبل مائه سنه فقط لجعل العبريه لغه كليه لليهود). فحجه "نريد أن نتطور" لا محل لها لمن ينظر فقط في مثال دوله الصهاينه ، فضلا عن غيرهم ، فضلا عن التأمل العقلي البحت في الموضوع .

٥- أما عن اللهجات : فمنذ القديم كانت توجد لهاجت ، كانوا يسمونها " لغات " . فاللسان عربي ، و لكن اللغات كلغه " بني فلان " و " قبيله علان " و هي قراءآت و بعض قواعد مختلفه لبعض الكلمات. و لكن النمط العام واحد فيما يتعلق بصلب اللسان العربي المعروف ، كالذي تقرأه الآن ، و ما مات من اللغات أو " اللهجات " فالله يرحمه . و من المعلوم أن اللسان كلما كان أفصح و أشد توحدا كلما كان العقل أقوى و التواصل أيسر و أعمق ، فكلما توسعت مساحه الفصاحه و قلت مساحه اللغه و اللهجه كلما كان الإنسان أكمل و أقرب إلى الفوز بميراث العربيه بكل ألوانه و صوره . و " الله يقول الحق و هو يهدي السبيل " . انتهى .

(أبحاث علميه موضوعيه)

١- ثبت لدينا أن منهج جامعه هارفرد و كامبريدج و اكسفورد و ما شاكلهم يعلم الطلاب النصب و الاحتيال على الناس . الدليل : أن من بين كل عشره آلاف طالب متخرج من هذه الجامعات ، يوجد نحو ثلاثين طالب يقومون بعمليات نصب و احتيال على الناس . فهذا دليل قاطع على أن هارفرد جامعه تعلم النصب و الاحتيال ...بالمنطق يعني !

٢- ثبت لدينا أن تناول حبوب الاسبرين لتسكين الصداع تؤدي إلى مرض البواسير الحاد . الدليل : أنه قد اقترن تناول الاسبرين مع وجود مرض البواسير عند أربعه أشخاص من بين كل أربعه آلاف شخص تناول الأسبرين. و هذا يثبت بكل موضوعيه أنه توجد علاقه مباشره سببيه بين تناول الاسبرين و البواسير . فليحذر من يريد أن يحافظ على صحته .

٣- ثبت عند أهل التحقيق أن شرب مياه إيفيان المعروفه تسبب الموت مباشره . البرهان : أن أحد الباحثين الموضعيين كان في جمعه عائليه في العيد السابق ، و شرب ثلاثه من الحضور مياه ايفيان ، فشرق ، فمات . بينما بقيه الحضور الذين شربوا من نفس الماء ، و كان عددهم يناهز الثلاثمائه ما بين عائله و أصداق مقربين و خدم شربوا من نفس المياه و لم يشرقوا و يموتوا ، و لكن مع ذلك ، فإن

ثلاثه من ثلاثمائه تساوي ١٪ ، و المهم عدد الناس الذين نعرفهم ممن شرق بمياه ايفيان ، و بالتالي النتيجه هي : مياه ايفيان تسبب الموت شرقا . نسأل الله السلامه .

عندنا أبحاث أخرى متطوره من هذا القبيل ، و لنختم ببحث أخير .

٤- يوجد في العالم اليوم نحو مليار و ثمانمئه مسلم ، و يوجد من بينهم- على فرض التسليم - عشره آلاف " إرهابي " ، و من بين هؤلاء العشره آلاف قام ثلاثمائه شخص - جدلا - بتفجير نفسه " في سبيل الله و لقتل الكفار " . فهذا يثبت بالمنهج العلمي الحاسم ، أن الإسلام يعلم الناس الإرهاب و القتل ، لأن عشر معشار عشر عشر المسلمين قام بتفجير نفسه و سفك دم الأبرياء - على فرض ذلك . نكتفي بذلك ، و الله الموفق .

(المعرفه و الحرفه)

خطر لي خاطر قدسي - و لله الحمد- مضمونه التالي : كما أن لك ختمه قرءانيه ليكن لك ختمه تعليقيه . الشرح : { الختمه القرءآنيه } هي التي يعرفها كل الناس ، و هي أن يكون لك ورد يومي تقرأ فيه من القرءآن بقدر معلوم تحافظ عليه ، و كما قال الحكيم " من لا ورد له ، لا وارد له " . و أما {الختمه التعليقيه} فالمقصود بالتعليق هو ما يُعرف بكتب تفاسير القرءان العظيم ، على طبقاتها و أنواعها و درجاتها ، فالفكره هنا أن يكون لك كتاب تفسير معين تحافظ على القراءه منه قدر الإمكان بحيث يكون استمدادا من عقول العلماء رضوان الله عليهم و كيفيه نظرتهم في كتاب الله تعالى و هذه القراءه تزدكم قوه إلى قوتكم إن شاء الله . فبدأت بتفعيل الخاطر الكريم و بدأت في جمع مكتبه تفسيريه و بعون الله العزيمه معقوده على جمع كل كتاب تفسير معتبر موجود في ميراث المسلمين الجليل . ثم نظرت في طبقات كتب التفسير ، فكانت النيه متوجهه و الصدر منشرح للبدء بالسنن المأثوره ، فإن الرسوخ في التقاليد طريق الفوز بالمقاليد " و من يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيرا " . فوفقني ربي سبحانه بكتاب { الدُرّ المنثور في التفسير المأثور } لشيخنا الكريم الموسوعي جلال الدين السيوطي، رضوان الله عليه . و درجه هذا الكتاب في طبقه التفسير بالمأثور و الأحاديث المرويه عن النبي عليه

السلام و أهل بيته و أصحابه و تابعيهم من سلف القرون الأولى درجه معروفه مشهوره . فرأينا حديث شريف ، شريف المعنى لطيف المبنى ، فأردنا أن نفرده بنظره في هذه المقاله فتعالوا ننظر .

..

قال الشيخ جلال الدين رحمه الله : أخرج وكيع في تاريخه و ابن عساكر و الديلمي ، عن عطيه بن يسر ، مرفوعا ، في قوله " و علّم آدم الأسماء كلها " قال :
{ علّم الله في تلك الأسماء ألف حِرفه من الحِرف ، و قال له : قل لولدك و ذريتك يا آدم ، إن لم تصبروا عن الدنيا فاطلبوا الدنيا بهذه الحِرَف ، و لا تطلبوها بالدين فإن الدين لي وحدي خالصا ، ويل لمن طلب الدنيا بالدين ، ويل له }

..

{ علّم الله في تلك الأسماء } ما قاله أهل العلم في معنى { الأسماء } الوارده في الآيه المباركه ظاهره الاختلاف و حقيقته تعدد طبقات تجلي المعنى ، فلا اختلاف بمعنى افتراق و إنما اختلاف بمعنى تعدد طبقات المعنى المتناسبه مع تعدد طبقات الوجود و الكون . و إحدى هذه المعاني هو كل اسم لكل شئ يمكن أن يُسمى حتى البقره و البعير و ما سوى ذلك ، بالتالي تشمل كل مفردات اللغات، و التي منها كلمات مثل : زارع و صانع و حداد و نجار و غير ذلك . و المعرفه الحقيقه بالاسم لابد أن تشمل القدره على تفعيل معنى الاسم و ليس مجرد تصوره الذهني أو حتى مشاهدته في حال فاعليته . إذ المعرفه بالمناسبه . و المناسبه بوجود صله ذاتيه بين الذوات و الأفعال تجعل إدراك الذات للذات الأخرى وعي بعين الذات المُدركه . مثلا ، من الذي يعلم حقا ماهيه التجاره ؟ نعم ، قد تدرس معنى التجاره ، قد تدرس قوانين التجاره ، قد تشاهد التجار في الأسواق ، و لكن العلم الكامل باسم "تاجر" و فعل "تجاره" لا يكون إلا حين تمارس أنت التجاره ، فيكون لك يقين ذاتي بالاسم و الفعل . ثم بعد ذلك ، التجار ليسوا سواء في مدى وعيهم و علمهم و نجاحهم بالتجاره ، فهم أيضا على مراتب ، فالتاجر الفاشل أيضا تاجر ، و كلما أفلح كلما كان أعلم بالضروره ، اللهم إلا إن كان النجاح لعامل غير متعلق بعين الكسب فهذه قضيه أخرى هامشيه و كلامنا عن المتن و النمط الأوسط. و قل مثل ذلك في الطب و غيره . فإذن ، العلم الكامل بالاسم لابد أن يشتمل على العلم الكامل بحقيقه المسمى من حيث الإدراك و من حيث المناسبه الذاتيه أيا كان مستوى هذه المناسبه من حيث فاعليتها في المستويات الدنيا أو العليا ، و من ملك الأعلى فقد ملك الأدنى - و إن كان خفيا في المظاهر . فالله تعالى قادر على إهلاك الخلق كلهم ، و قدرته هذه غير قاصره لأنه لم يهلكهم فعلا ، فعدم ظهور القدره على الشئ لا تعني عدم القدره أو قصورها في شئ ، إذ إمكان مُتعلق القدره قائم

و متحقق بالفعل في المستوى الأعلى للوجود في العلم الإلهي ، و ينطبق - بالتالي - عليه قاعده "من ملك الأعلى ملك الأدنى بالضروره " إذ الظهور في الخلق أدنى من التحقق في علم الحق .

و لهذا قال النبي عليه السلام { علّم الله في تلك الأسماء } لاحظ أنه لم يحصر مضمون التعليم في ما سيأتي ، و إنما قال { في تلك } أي في ضمن ما علمه من تلك الأسماء ، و هو عين ما شُرح قبل قليل من حيث أن تعليم الأسماء بدون تعليم تفعيلها هو أيضا تعليم لها ، و هذا بديهي ، فكل الناس تقريبا تعلم ما معنى اسم " الطبيب " و إن كان عدد الأطباء أقل من القليل نسبيا ، ثم كل الأطباء يعلمون بالمناسبه الذاتيه و الممارسه ماهيه الطب و إن كان بعضهم فاشلا و بعضهم ضعيفا و بعضهم متوسطا و بعضهم بارزا و بعضهم أبرز . فالعلم بالاسم يمكن أن يقع ممن هو خارج عن مضمون الاسم ، و لذلك يؤمن الناس بالنبوه و إن لم يكونوا أنبياء ، و بالرساله و إن لم يكونوا من الرسل . ثم العلم بالاسم يمكن أن يقع ممن هم داخل طبقه المسمى أيا كانت درجتهم فيها . و لكن الكمال في العلم يشتمل على هذين الأمرين ، أي الدخول في الطبقه و العلو فيها .

{ علّم الله في تلك الأسماء ، ألف حِرفه من الحِرف } الألف على وجه عباره عن العدد الكامل في نظام العرب و غيرهم ، و بعد ذلك يكون الأمر ربط مقام الآحاد و العشرات و المئات به ليُعطى عددا فوق الألف . و على هذا الوجه يكون المعنى أنه علّم ءادم كل حرفه ممكنه معتبره للإنسان ، أو أصول الحرف كلها التي كل ما عداها هو مزيج ما منها و متفرع عليها ، كتفرع المائه ألف عن المائه و الألف. فقد يكون العدد على ظاهره الكمّي أو ظاهره الرمزي أو كلاهما ، و لعله كلاهما و الله أعلم، إذ "إعمال الكلام أولى من إهماله". و دون عدّ فوق ألف حرفه -كأصول للحرف جميعا- خرط القتاد . و { حِرفه } كلمه غنيه في اللسان العربي و لها ارتباط - ككثير من المواد - بمعاني كثيره .

و من هذه المعاني ارتباطها بالحروف التي يتشكل منها المعجم اللساني . فكما أن اللسان يحتاج إلى الحروف للتكامل فيما بينها فتنتج المكتوب و المنطوق السليم المفيد ، فكذلك في عالم الدنيا يحتاج الناس إلى حرف متعدده ليتكاملوا ، و فضل حرفه على حرفه هو كفضل حرف على حرف . لو رفعنا حرفا واحدا من حروف التهجي لبطل القرءان العزيز كله ! هذه أهميه كل حرفه ، فتأمل . و لهذا لم يبالي العلماء بممارسه " أدنى " الحرف في ذهن الجهال ، فكان بعض العلماء ينظم الخرز و بعضهم إسكافي أحذيه ، و بعضهم يفلح و بعضهم كان حدادا و بعض السلاطين من الأولياء كان نجارا و آخر كان يصنع الجواهر الباهره ، و غير ذلك مما هو شائع في كُمّل أهل الإسلام .

فالحرفه هي صناعه يتكسب منها الإنسان لمعيشته الجسمانيه ، ثم لها معاني روحانيه و آثار نفسيه عند من يعقل ما هو فوق الدنيا من مراتب الوجود . و فن الحرف في عقول المسلمين و أيامهم في هذا

العالم موضوع جميل جليل يستحق البحث و التأمل فيه لإحياءه عند من مات عنه و لتعريف من يجهله به و للقيام به في الفرد و الدوله .

{ و قال له } أي الله تعالى قال لآدم عليه السلام { قل لولدك و ذريتك } ولده من كان حيا في أيامه ، و ذريته كل من يأتي بعده ممن لا يدركه ، و لذلك لما ذكر القرءآن مطلق الولد قال في آيه الأخذ "إذ أخذ ربك من بني ءادم من ظهورهم ذريتهم " و ليس أولادهم ، و لكن لما ذكر الورثه في آيه الميراث قال "يوصيكم الله في أولادكم" و بديهي أن الولد الذي سيرث إما حي حاضر في زمان الوالد و هو الأعم الأغلب الذي يجري عليه الكلام و إما في حكم الحي كما هو كان جنينا أيا كان طوره . فإن فهمنا معنى { قل لولدك } - بقدر فهمنا و ليس بقدر معنى الكلام الإلهي و التعبير النبوي العالي - فكيف نفهم قوله تعالى لآدم { و ذريتك } ؟ كيف يقول لذريته ؟ الجواب على درجتين . الدرجه الأولى هو قول مباشره ، و الدرجه التي دونها هو قول توصيه . المباشره هي بالنسبه للكمل ممن عرج في الملكوت و شاهد نفس ءادم عليه السلام ، كما شاهده حضره النبي عليه الصلاه و السلام في المعراج ، و كلّمه أو أفاده بعلم ، فلابد أن ينعكس شهود ءادم على سلوك المُشاهد في هذه النقطه ، أي في كون المُشاهد يستحيل أن يطلب الدنيا بالدين بل يكون في أحد المرتبتين المذكورتين في الحديث الشريف- كما سيأتي التفصيل إن شاء الله . و بهذا المعنى ، كل ذريه ءادم لها باب إليه بإذن الله ، يفتحه لمن يشاء و يغلقه دون من يشاء " لا يُسأل عمّا يفعل و هم يُسألون " . و الدرجه الثانيه و هي الأقرب إلى ذهن عموم الناس ، أي التوصيه ، و هي أن يوصي آدم كل من يخلفه أن يوصوا أقوامهم من إخوانهم ثم أن يوصي هؤلاء الخلفاء من يخلفهم و هكذا إلى يوم القيامه ، يوصيهم بمضمون الحديث القدسي. فإذا نظرنا في القرءآن وجدنا انتشار معنى الحديث القدسي من حيث لبّه حاضر فيه ، إذ يقول كل نبي و رسول " لا أسألكم عليه مالا " و لا أجرا و لا جزاءا و لا شكورا . و إن كان الأنبياء و الرسل لا يتكسبون بدعوتهم و كلامهم و علومهم الدينيه العاليه ، فإذن بالتأكيد كان لهم مصدر للتكسب غير الكلام ، و لا يكون إلا حرفه ما أو ما يؤول إلى حرفه كأن يملك أرضا يزرعها له زارع مثلا . و من هنا وردت إشارات في بعض الآيات و كذلك في بعض المأثورات إلى حقيقه احتراف الأنبياء و الأولياء و اتخاذهم لحرفه أو غيرها . كما قيل في موسى " أهش بها على غنمي " و في داود " اعمل سابغات " ، و كما ورد في سير علماء المسلمين مما لا يُحصى كثره كتجاره الفقيه أبوحنيفه رضي الله عنه و غيره . و إن كان في سير من انسلك في سلك العلم و الفقه من خرج عن هذه القاعده بتأويل أو انحراف عن السلامه ، فإن هذا لا يغيّر من الفرض الواجب الاتباع على الجميع من عدم مشروعيه التكسب و الارتزاق بالدين . فمن انحرف عن ذلك بغير تأويل سائغ جدا و بغير مخرج معتبر جدا ، فنسأل الله لنا و لأهل الفقه العافيه ، و نعوذ بالله من الخذلان .

فما هو مضمون قول ءادم و توصيته لولده و ذريته إلى يوم القيامه ؟ الجواب بلسان القدس سبحانه {إن لم تصبروا عن الدنيا } هذه هي الدرجه الأولى العليا { فاطلبوا الدنيا } و هذه رخصه مشروطه

مقيده { بهذه الحِرف } فشرطها أن تكون بهذه الحِرف ، و القيد هو منع كونها بالدين إذ يقول {و لا تطلبوها بالدين } . هذا الأمر القدسي متوجه أولا و قبل كل فرد آخر من بني ءادم إلى من يستطيع أن يطلب الدنيا بالدين . فبديهي أن النهي لا يكون إلا للقادر . فلا يُقال للمشلول : لا تتحرك . و لا يُقال للمخصي : لا تنجب الأولاد . و لا يُقال للضرير : غض النظر . فحين يقول الحق { لا تطلبوها بالدين } فلابد أن يكون المعني أولا هو من يستطيع أن يطلبها بالدين . فهذا الشق الثاني من الرخصه متوجه لولاه أمر الدين . و هذا يدل على أنه يمكن أن يجتمع وصف طالب الدنيا و ولي الدين في شخص واحد . و أما الشق الأول من الرخصه فهو متوجه إلى جميع بني ءادم ، إذ قال أولا {إن لم تصبروا عن الدنيا } فإذن المطلب الأساسي هو الصبر عن الدنيا ، و سيأتي تعريف الدنيا حسب القرءآن الكريم إن شاء الله ، فمن لم يصبر عن هذه الدنيا و التي من المُفضّل الصبر عنها ، فإن الرخصه الرحمانيه قالت { فاطلبوا الدنيا بهذه الحِرف } . و حيث أن محور الكلام هنا هو قضيه طلب الصبر عن الدنيا و طلبها ، أي الدنيا ، فلابد أن نعرف أولا ما هي الدنيا ؟

يقول الله تعالى في سوره الحديد " اعلموا أنما الحيوه الدنيا : لعب و لهو و زينه و تفاخر بينكم و تكاثر في الأموال و الأولاد " . فهذه الأشياء الخمسه هنا ، و كذلك قوله تعالى "زيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متا ع الحياة الدنيا " . فهذه سته ، و " البنين " مشتركه مع الأولاد في السابقه من جهه ، فيمكن القول بأن أصول الدنيا المقصوده هي هذه الأشياء العشره . يظن العامه أن كلمه "الدنيا" تنصرف مباشره إلى العالم الجسماني من حيث هو ، أي شامله لكل ما في هذا العالم أو الأرض . و هذا منشأ سوء فهم كثير من علم المأثورات و كلمات العلماء و الأولياء التي تزهد في الدنيا . و لكن و في ضوء الآيتين السابقتين و ما أشبههما من القرءان المهيمن ، إن قلنا للعامه : هل كان النبي عليه السلام يلعب و يلهوا و يتفاخر و يتكاثر في الأموال و يركب القناطير المقنطره من الذهب و الفضه؟ فلعلهم يعتبرون مجرد اقتراح هذا السؤال كفرا ، فضلا عن الإجابه بالإيجاب - و العياذ بالله . فإذن ، هذه و الأخر هي أعضاء " الحياه الدنيا " كما عرّفها القرءان . فإذن النتيجه الحتميه هي أن النبي لم يكن منغمسا في الحياه الدنيا ! فأين كان يعيش إذن !؟ الجواب : كان يعيش على الأرض ، و ليس في الدنيا . و الفرق كبير . نعم ، قد تطلق الدنيا على الأرض من حيث هي في بعض الروايات بل بعض الآيات ، و لكن ليس المقصود بها عين تلك الدنيا المذمومه أو المرغوب عنها بالنسبه للكمّل و أهل الجهاد الأكبر . فقد يتفق اللفظ و يختلف المعنى ، كما هو معلوم عند أهل العقل و اللغه .
فالحاصل ، الدنيا في مواضع الذم هي الأشياء العشره من حيث حجبها للقلب عن النظر في الأمور العاليه و الخالده و العميقه و الحساسه ، أي هذا هو حالها عموما . و لولا وجود استثناء ، لما وضع الله تعالى رخصه و أذن في طلب الدنيا بشرط و قيد ، و بالطبع فضلا عن وجود حدود الشريعه الشريفه و هذا أمر مفروغ منه بالنسبه للمسلمين .

النساء مثلا . قال النبي عليه السلام " حُبب إلي من دنياكم ثلاث : الطيب و النساء و جُعلت قره عيني في الصلاه " . فالنساء في هذا الحديث الشريف قُرنوا بالطيب من جهه و عمود الدين و الفرقان بين الكفار و المسلمين و معراج المؤمن إلى رب العالمين و قربان كل تقي صاحب قلب سليم من جهه أخرى . فمن الواضح أنهن نساء من طبقه عاليه ، و هو الوصف الذي سعى القرءآن في إرشاد النبي عليه السلام لجعل زوجاته عليهن السلام عليه . فأمره بفراقهن " إن كنتن ترد الحياه الدنيا و زينتها " ، و الإبقاء عليهن إن كن يردن " يردن الله و رسوله و الدار الآخره " . و غير ذلك من توجيهات كآيه التطهير و ما بعدها . و لكن ليس كل النساء على هذه الشاكله ، أو قريب منها ، فقال النبي عليه السلام عن البعض الآخر من النساء " يقطع الصلاه المرأه و الحمار و الكلب " . كذلك قال القرءان من قبل عن امرأه " نفخنا فيها من روحنا " و قال في أخرى " و امرأته حماله الحطب " . و من الترويج أو الاعتراض السخيف - من باب الاستطراد المناسب الخفيف - أن يأتي "داعيه" إلى الآيات و المأثورات التي تتحدث عن الطبقه العاليه من النساء فيقول : الإسلام يكرم المرأه ، أو أن يأتي تافه إلى تلك التي تتحدث عن الطبقه السافله منهن - و ما أكثرهن بإجماع أكثريه الأمم - فيقول : الإسلام يهين المرأه . لكل مقام مقال . فنرجع إلى ما كنا فيه - و خير وقت لإزاله الشبهات هو حين تظهر البينات . فالآيه الكريمه تقول " زُيّن للناس حب الشهوات : من النساء " . الناس هنا هم الرجال كأصل ، و إن دخلت النساء حسب أحد الأوجه المحتمله التي فسرناها في موضع آخر إلا أنه تفسير صعب فلنلزم الأيسر في هذا المقام . فالنساء هنا تتعلق بالمرأه التي تكون مجرد بدن جميل . أي مجرد شئ يُطلب للشهوه الظاهريه حصرا . هذا لا يعني أن " كل النساء " على هذه الشاكله ، و هذا بديهي ، فمن يزعم أن مريم أو فاطمه مثلا كانت مجرد أداه شهوه فإنه يكفر بإجماع المسلمين. كيف و قد عطّل الله تعالى مريم عن هذه الغايه من الخلق إذن ! و لكن المقصد هو أن النساء في هذه الآيه متعلقه بصنف معين من النساء و هن اللواتي يكن مجرد أداه للشهوه الظاهريه ، و هي القاعده العامه في المجتمعات الفاسقه ، كحال الغرب اليوم مثلا ، فمن المعلوم أنه لم يُسجْل في تاريخ أمه من الأمم و لا زمن من الأزمنه تسفيل المرأه عموما و بهذه الأعداد الهائله من مختلف الطبقات لتكون مجرد أداه و منظر للشهوه ، بل المدى الذي ذهبوا إليه - و ذهب إليه القرده من أشباههم في الشرق و عدد معتبر من عصاه المسلمات و المسلمين نسأل الله لنا و لهم التوبه - ليكملوا هذه الشهوانيه و النزعه المظهريه - و التي شملت الفلسفه و العلوم و النظريات قبل أن تشمل النساء و الدنيا - وصل و لا يزال " يتطور و يتقدم " إلى مراحل مقززه يكاد يكون مجرد النظر إليها تعذيبا بما فيه الكفايه . لا تخلوا أمه من الأمم من فسق ظاهري ، لا مفروغ منه ، و لكن إلى عهد قريب أدركه آباءنا بل أدركنا نحن شئ منه في صغرنا ، كان وقوع بعض الفواحش يعتبر طامه و فضيحه لا يُتدارك أثرها إلا بطم التراب على أصحابها . أما في هذه الأيام النحسات ، فإن هذه الفواحش أصبحت من قبيل اللمم ! و الله غفور رحيم . فالآيه هنا تجعل النساء أول مواد الشهوات . و هذا معروف و مشاهد في مختلف الأقوام و الأمم على مر العصور ، و تحديدا في عصرنا هذا . نعم ، كان بعض الأولين من أسلافنا

الكرام يعتقدون أن الفاحشه و الفسق انتشر في زمانهم ، و ظن بعضهم - و لابد - أنه لا يمكن أن يتمادى الأمر في الفحش أكثر من ذلك و لابد أن تقوم القيامه قريبا إذ بلغنا قعر الظلمات - ما ألطف أسلافنا هؤلاء و أطهرهم - بينما اليوم نحن ننظر إلى عصور هؤلاء الأسلاف و نقول : اللهم أعد علينا أيام الأندلس الذهبيه ! أو غير الأندلس . عندما يرى أهل العصر أنهم يعيشون في عصر ظلام ، ثم يرى أهل العصور اللاحقه أن عصر الأوائل كان عصر أنوار ، فإن هذا دليل كاف لك على مدى طهاره الأوائل و نجاسه الأواخر . فإن الطهاره كلما زادت كلما كان تأثير القليل من النجاسه فيها أسرع و أبرز ، كلابس الثوب الأبيض الناصع ، فإن أصغر نكته سوداء تظهر فيه و تفسده ، بينما لابس الثوب الأسود كم يضره انسكاب محبره كامله على ثوبه . و إنا لله و إنا إليه راجعون . و قس على ذلك بقيه الأشياء العشره . و اعتبر فيها شأنها العلوي و السفلي و ما بينهما من مراتب حتى تدرك معنى كون " الزينه " مثلا شأنا علويا من حيثيه " خذوا زينتكم عند كل مسجد " و شأنا سفليا من حيثيه أخرى كما ورد في آيه تعريف الدنيا المذكوره سابقا . و كذلك في الأنعام و الحرث ، فرعايه الأنعام محموده " كلوا و ارعوا أنعامكم " و كذلك الحرث " ليأكلوا من ثمره و ما عملته أيديهم أفلا يشكرون " و لكن حين تُستعمل الأنعام كما تُستعمل مثلا في هذا الزمان و خصوصا في الغرب- و لا نحتاج أن نذكر قرده الشرق فالقرد تابع للقراد - باستغلاله بأسوأ أنواع الاستغلال التجاري للحيوانات مما يجعل البرابره و كأنهم من أولياء الله الصالحين بالمقارنه بهم ، فإن التعلق بالأنعام يصبح له شأن آخر ، و قل مثل ذلك في الحرث و في البقيه . فَقِس يا قسيس !

{ إن لم تصبروا عن الدنيا } أي كان و لابد أن تطلبوا الأشياء العشره ، فلا أقل أن لا تجعلوا مصيبتكم مضاعفه بأن تطلبوها بالدين ، فتخسروا دنياكم و آخرتكم . أو إن كان و لابد أن تتعلقوا بالسفليات فيما فوق حاجتكم اللازمه للتفرغ للذكر و العلم ، و أردتم الاستزاده من هذه الأشياء ، فليكن طلبكم لها { بهذه الحِرف } . فاشتروا الدنيا بالدنيا ، فحين تصير الدنيا حطاما ، يذهب المُشتري به و المُشترى . و يبقى الشاري في الآخره قائما بدينه .

{ و لا تطلبوها بالدين ، فإن الدين لي وحدي خالصا } . الدين قوه تدفع للأعلى ، و تجذب تجاه الوحده المتعاليه ، إذ هو ناشئ تنزلا عن تلك الوحده الإلهيه . و لذلك قال { لي } أي من حيث الملكيه التي هي بالنسبه لتلك الحقيقه الإلهيه عباره عن صله ذاتيه بين معنى الدين و حقيقه الألوهيه من حيث تعاليها و ليس من حيث تجليها في مظاهرها و شؤونها الكونيه . ثم قال {وحدي} و لابد أن تكون الوحده هنا إشاره إلى مرتبه التجريد ، إذ لو كانت من حيث مراتب التجلي لما امتنع طلب أي شئ بالدين إذ ليس ثم إلا الحق تعالى . ثم قال {خالصا} و الخلوص لا يكون إلا مقترنا من حيث المعنى بما يوهم وجود الشوائب ، و الشوائب هي قيود الكون و حدود الخلق ، فالدين من حيث لبه هو تخليص من هذه القيود و الحدود في مرتبه السر ، و إلا في بقيه مراتب وجود الإنسان بل وجود أي مخلوق لابد من حيث أنه مخلوق أن تكون له مراتب وجوديه في ضمن القيود و الحدود . و على ذلك ،

الدين الذي لا يكون هذا شأنه ليس هو الدين الحائز على مقامات {لي } و {وحدي} و {خالصا} ، و بالتالي ليس هو الدين الذي قيل فيه "ليظهره على الدين كله" . إذ لا يظهر على المظاهر المحدوده إلى الحقيقه المتعاليه .

{ ويل لمن طلب الدنيا بالدين ، ويل له } الويل الأول في الدنيا ، و الويل الثاني في الآخره . فويلات الدنيا التفرق و التشيع و التحزب المذهب للريح و المضعف للقوى ، إذ سيضطر كل حزب أن يختلق لنفسه مسائل يخالف فيها غيره حتى يستطيع أن يستقل بنفسه عنهم و من ثم يدعوا إليها و يسعى في فرضها قهرا أو حتى لو كان طوعا ، أيا كانت سخافه المسائل و التحريفات التي سيقوم بها في سبيل اختلاق مسائل للفرقه ، كحال الذين اخترعوا قضيه " عباده القبور " و "عباده الموتى و الأولياء" و نحو ذلك حتى يتوسلوا بذلك إلى تكفير المسلمين أو تضليلهم على أقل تقدير ، و من ثم يخلو لهم - حسب تصورهم السقيم الغافل عن التدبيرات الإلهيه للملكه الإنسانيه الإسلاميه - الجو ليكونوا "الفرقه الناجيه" التي اكتشفت " الحقيقه " من دون المسلمين و المؤمنين من أمه خاتم النبيين صلى الله عليه و آله و سلم . و سيؤول الأمر في هذا النزاع الناشئ عن باعث " بغيا بينهم " و صنم "ليشتروا به ثمنا قليلا" ، في أن يمل الناس منهم و يملوا من الناس ثم بأن يحرفوا نفس منهجهم الأول بأنفسهم إضاء للناس و كسبا لقلوب العامه - إذ كل من يخترع مقاله للدنيا يهتم بازدياد عدد أتباعه ازديادا كمّيا بغض النظر عن الازدياد الكيفي . ثم الويل الأخروي ، و هذا أقل ما فيه أن يُبعث الإنسان - و العياذ بالله - على هيئه أخبث من هيئه القرده و الخنازير ، إذ إن كون معيار النجاه و مستوى الإنسان هو " من أتى الله بقلب سليم " يعني بالضروره أن القلب الذي كان آخر همه السيطره على حفنه من البغال ، و لبس شئ من القماش ، و نيك بعض الفروج ، هو قلب لا يُحسد صاحبه عليه حين يأتي يوم " تشخص فيه الأبصار" . و الله الهادي .
فهذا فيما يتعلق ببعض الملاحظات الأساسيه على هذا الحديث المكرم . ثم نقول في الحرف : إن الحرفه عمل ، و العمل فرع العقل ، فأكمل حرفه للإنسان هي ما ناسب عقله و ما استطاع فيها العقل أن يظهر و يتجلى ، و كذلك في أن يشعر بتناغم و تناسق بين حياه هذا العقل و بين نوعيه الحرفه و رسومها و آدابها . تقليديا ، الحرفه بمنزله العباده ، و كل منتجات الحرف فيها منفعه و فيها رمزيه . فالكوب الذي يصنعه الحرفي التقليدي ليس مجرد كوب لمنفعه الظاهر التي هي شرب الماء مثلا ، و من ثم يمكن لأي كوب قبيح و مصنوع من أي ماده كيفما اتفق أن يلبي المهمه ، بل للكوب أيضا منفعه للباطن ، و تظهر هذه المنفعه في جمال الكوب و زخرفته و الماده التي صنع منها و صورته ، و هكذا في كل شئ من أصغر منتجات البداوه و الحضاره إلى أكبرها . و أما حداثيا ، فالحرفه شئ ميت من صنع موتى ، و هي مجرد مسأله كمّيه أو قضيه " تعبير عن ذوق شخصي " أو وسيله للتجاره فالربح .

لا يجوز طلب الدنيا إلا بالحرف ، و لكن يجب أن يكون روح الدين و أنفاسه في جسم الحرف . لا يوجد دين في طرف ، و حرف في طرف مغاير تماما ، و بعباره أخرى ، لا نعطي ما لله لله و ما لقيصر لقيصر ، بل قيصر سيجسد لله- و لو نفاقا- أو سنقطع رأس قيصر .

من طلب الدنيا بالدين ، سيفسد دينه و لن يستمتع بدنياه .
من طلب الدنيا بالحرف الخاليه من معنى علوم الدين ، سيخسر من دينه بقدر ما يكسب من دنياه.
من طلب الدنيا بالحرف المشبعه بالدين ، سيفوز بالدين و الدنيا و هم الذين قيل فيهم "قل من حرم زينه الله التي أخرج لعباده و الطيبات من الرزق قل هي للذين ءامنوا في الحيوه الدنيا خالصه يوم القيامه " . و الحمد لله رب العالمين .

.....

(نفخ و قيأ)

نفخت الجنه ثلاث نفخات ، فخرج بالأولى آدم ، و بالثاني النبي ، و بالثالثه ابن عربي .
وتقيأت جهنم ثلاث مرات ، خرج بالأولى الشيطان ، و بالثانيه أهل الصليب ، و بالثالثه الغرب الحداثي .

...

(أبحاث علميه موضوعيه)

١- ثبت لدينا أن منهج جامعه هارفرد و كامبريدج و اكسفورد و ما شاكلهم يعلم الطلاب النصب و الاحتيال على الناس . الدليل : أن من بين كل عشره آلاف طالب متخرج من هذه الجامعات ، يوجد نحو ثلاثين طالب يقومون بعمليات نصب و احتيال على الناس . فهذا دليل قاطع على أن هارفرد جامعه تعلم النصب و الاحتيال ...بالمنطق يعني !

٢- ثبت لدينا أن تناول حبوب الاسبرين لتسكين الصداع تؤدي إلى مرض البواسير الحاد . الدليل : أنه قد اقترن تناول الاسبرين مع وجود مرض البواسير عند أربعه أشخاص من بين كل أربعه آلاف شخص تناول الأسبرين. و هذا يثبت بكل موضوعيه أنه توجد علاقه مباشره سببيه بين تناول الاسبرين و البواسير . فليحذر من يريد أن يحافظ على صحته .

٣- ثبت عند أهل التحقيق أن شرب مياه إيفيان المعروفه تسبب الموت مباشره . البرهان : أن أحد الباحثين الموضعيين كان في جمعه عائليه في العيد السابق ، و شرب ثلاثه من الحضور مياه ايفيان ، فشرق ، فمات . بينما بقيه الحضور الذين شربوا من نفس الماء ، و كان عددهم يناهز الثلاثمائه ما بين عائله و أصداق مقربين و خدم شربوا من نفس المياه و لم يشرقوا و يموتوا ، و لكن مع ذلك ، فإن ثلاثه من ثلاثمائه تساوي ١٪ ، و المهم عدد الناس الذين نعرفهم ممن شرق بمياه ايفيان ، و بالتالي النتيجه هي : مياه ايفيان تسبب الموت شرقا . نسأل الله السلامه .

عندنا أبحاث أخرى متطوره من هذا القبيل ، و لنختم ببحث أخير .

٤- يوجد في العالم اليوم نحو مليار و ثمانمئه مسلم ، و يوجد من بينهم- على فرض التسليم - عشره آلاف " إرهابي " ، و من بين هؤلاء العشره آلاف قام ثلاثمائه شخص - جدلا - بتفجير نفسه " في سبيل الله و لقتل الكفار " . فهذا يثبت بالمنهج العلمي الحاسم ، أن الإسلام يعلم الناس الإرهاب و القتل ، لأن عشر معشار عشر عشر المسلمين قام بتفجير نفسه و سفك دم الأبرياء - على فرض ذلك .

نكتفي بذلك ، و الله الموفق .

...

(عجرفه)

بلاد أوروبا ذبحوا ما لا يُحصى في بعضهم البعض ، و في الآخرين .
أمريكا و كندا ذبحوا أكثر من خمسين مليون هندي من سكان البلاد الأصليه في أمريكا الشماليه، و أهل اسبانيا الذين في أمريكا الجنوبيه و نهبوا بلادهم .
أمريكا ألقت قنبلتين نوويتين على اليابان لا تزال أضرارها إلى اليوم ، و سفك دم أكثر من مليون عراقي و مثلهم في أفغانستان ، و أمثالهم في فيتنام ، و ما لا يُحصى " تحت الطاوله " و في الخفاء و في تأييد الطغاه الرأسماليين .
و تذابح الأمريكان و الأوربيين في الحرب " العالميه " فقُتل أكثر من خمسين مليون إنسان " متطور " !
بعد كل هذا ، يجرؤ خنزير منهم لأن يدعي أنه له الحق في أن يحاكم مدى سلام الأمم و مدى "وحشيتها" .
يسمح الأوروبيين و الأمريكان بشرب الكحول ، بالتالي كل الآثار الضاره يحملونها على رؤوسهم ، فإذا نظرنا في تقاريرهم هم لآثار ذلك ، وجدنا - حرفيا - ملايين الناس سنويا يتأثرون تأثرا عنيفا و وحشيا بسبب شرب الكحول ، و مئات الآلاف من القتلى سنويا بشتى أنواع القتل و الموت و التعذيب بسبب مباشر من السكر ، مثال واحد : كل عشره ثواني يوجد امرأه في أمريكا يتم اغتصابها أو ضربها ضربا مبرحا - غالبا من قريب لها - تحت تأثير الكحول .
بعد كل هذا ، يأتي قرد منهم و يدعي أنه مؤهل للكلام عن مدى إنسانيه الأحكام الشرعيه و مدى ضرر هذا الحكم أو ذاك على " الإنسانيه " .
الأمثله لا تُحصى على السفاهه و الإجرام العام للغرب و أصله الصليبي عموما و الملحد خصوصا ، ثم يزعم هؤلاء أن لهم أدنى أهليه أو حق في محاسبه الآخرين . و اللعنه الأكبر ، أنه يوجد تافهين في بلادنا لا ينظروا إلى بعض من الحسنات عندهم و يقارنوها بأسوأ السيئات عندنا و يقولوا " لاحظوا التقدم ! " . كأنهم وضعت محمد علي كلاي في حلبه مع بقال أعرج مقطوع اليدين ثم حكمت فقلت " انظر إلى تطور كلاي و تخلف البقال!" . هذه التفاهه عمرها أكثر من مائه سنه بالمناسبه ، و نرجوا أن تزول عاجلا لأنها أصبحت سببا للتقزز و القرف الغير محدود .
نحن نحكم على نفسنا بنفسنا ، و ننقد نفسنا بنفسنا و بناءا على معاييرنا . و ليس بناءاً على معايير أي خنزير أو قرد في الشرق أو الغرب ، بل و لا حتى عبقري . تعلموا الرجوله قبل أن تتعلموا فرض العضلات على المستضعفين .

...

(من جواهر الشعر)

قال أبو فراس الحمداني رحمه الله تعالى

" إن الغني هو الغني بنفسه   و لو كان عاري المناكب حافِ

ما كل ما فوق البسيطه كافيا   فإذا قنعت فكل شئ كافِ "

التعليق : لكل حادث سبب ، فإن زال السبب زال الأثر ، و إن بقي السبب بقي الأثر . الشعور بالبسط حادث ، فأنت تكون في سكون مثلا ثم تطرأ عليك الأحوال من بسط و قبض ، فرح و حزن، و ما شاكل ذلك من ثنائيات بينهما طبقات فيها درجات في الارتفا ع و دركات في الانخفاض . فالسؤال الآن ، هل يمكن أن يكون الحال دائما أو في معظم الأحيان حال بسط و فرح ؟ الجواب النظري : إذا افترضنا وجود سبب للبسط و الفرح دائم أو غالب فإن أثر البسط و الفرح سيكون كذلك دائم أو غالب في حضوره ، بالطبع مع افتراض خلو الأمر عن المنغصات الغالبه . فأقصا ما عند الإنسان هو أن يبني حياته و يجعل محوريه اهتمامه و أعماله في الأخذ بأسباب البسط ، بشرط أن تكون هذه الأسباب مما يمكن توفره دائما أو غالبا بيسر نسبي . فإن كان الاعتماد في البسط على سبب خارجي ، كالمال أو الناس أو الحواس ، فإنّ كون هذه الأمور الثلاثه من المتقلبات و المتغيرات باستمرار يعني بالضروره أن حالك سيكون متقلب و متغير معها باستمرار ، فحين تتوفر كما تحب ستنبسط و حين تغيب ستنقبض . و لهذا قال الشاعر { إن الغني هو الغني بنفسه و لو كان عاري المناكب حاف } . فالشطر الأول يشير به إلى حقيقه الغنى ، و هو أن يكون سبب بسطك قائم على عمل و شئ لا يفارقك ، أو يمكن بيسر أن يتيسر لك إن شاء الله ، و هذا السبب هو الذكر و الفكر. و لهذا قال القرءآن عن أولي الألباب " الذين يذكرون الله...و يتفكرون في خلق السموات و الأرض". ذكر الحق و الفكر في الخلق . فإن الذكر من عين سرك ، و الفكر من عين عقلك ، و سرك و عقلك أنت و لا يمكن أن يفارقانك بحال . فالغنى النفسي المقصود في بيت الشاعر هو أن تقوم حياتك و بسط على أصل الذكر و الفكر ، ثم اتخذ أي سبب ظاهري آخر من مال و ناس و حواس ، فإذا زال السبب الظاهري للبسط رجعت إلى السبب الأصلي ، كالشجره إذا انقطع أحد فروعها لا تسقط لأن أصلها قائم . و لكن إن انقطع أصلها سقطت بكل فروعها . أما الشطر الثاني فيشير إلى وجوب تجرد القلب لا أقل في بادئ الأمر عن أي اعتماد على الأسباب الظاهريه للبسط من مال و ناس و حواس و هو قوله { و لو كان عاري المناكب حافِ } . عاري المناكب أي لا لباس له على بدنه ، و حاف لا لباس له على قدمه ، فالمعنى هو التجرد الأولي من أسباب بسط البدن ، و أسباب البسط التي تنالها بالسعي و الطلب المرموز لها بالقدم .

ثم يقول { ما كل ما فوق البسيطه كافيا} و هنا يشير إلى الحقيقه الجوهريه في الإنسان ، و هو أنه يطلب اللانهايه ، لأنه خليفه الحق المطلق سبحانه ، و لذلك الإنسان لا يشبع . و من ناحيه أخرى ، فإن النفس تريد ما مازجها و خالطها و اتصل بجوهرها ، أما امتلاك كل {ما فوق البسيطه} فمن حيث الأصل لا يصل إلى لب النفس ، و لذلك لا يكون كافيا مشبعا للنفس ، نعم اسع للتملك و لكن

ليس كأصل في بسطك بل كفرع من فروع مطالبك . و لكن الشئ الوحيد الذي يخالط لب النفس هو الذكر و الفكر ، و صورتهما الكلمه الجميله و الجليله . و لهذا السبب كان التنزيل " كلام " . الكلمه مبنى و معنى و موسيقى ، فكلما ازدادت بلاغه المبنى ، و عمق المعنى ، و رهافه الموسيقى ، كان الكلمه أجلّ و أعظم و أعلى . و من هنا كان - و لا يزال - العربي الأصيل متجرد في حياته ، و هو أصل " الحياه في الصحراء " ، فالعربي يحيا في الصحراء و إن كان يسكن القصور و الأبراج التي تصل إلى السماء ، إذ مطلب العربي قائم على حقيقه { إن الغني هو الغني بنفسه } . فمن أين يستمد العربي الجمال و المعنى ؟ يستمده من روح الكلمه ، المتمثله جماليا في الشعر ، و جلاليا في النثر ، و إلهيا في القرءان . فما الذي يحدث إن اعرف الإنسان قيمه الذكر و الفكر ، و أخذ بفنون الكلمه - و الكلام صوره علو العقل و منزله الروح و مستوى النفس ؟ الجواب : يصل إلى الحاله التي وصفها الشاعر في الشطر الثاني من البيت الثاني بقوله { فإذا قنعت ، فكل شئ كاف } . و من المعاني الباطنيه لعباره { فكل شئ كاف } هو أن العقل يصبح قابلا و قادرا على استخراج المعنى و الروح من كل شئ ، فكفايته القلبيه من المعاني و عقل الوجود بكل مستوياته وصولا إلى مستوى الهويه الأحديه تكون مستمده من كل شئ ، و هي ذروه جبل طور سيناء العرفان التي قال عنها القرءآن " لله المشرق و المغرب ، فأينما تولوا فثم وجه الله " .
و الله يقول الحق و هو يهدي السبيل .

(الإنسان " المتطور ")

المتطور نوع غريب من البشر ، ظهر على ساحه التاريخ قبل بضعه قرون فقط ، و اكتمل نموه قبل بضعه عقود فقط . ينتمي إلى جنس الزواحف و الثديات و الطيور و السباع ، إلى الزواحف من حيث أنه يعيش على الأرض فقط و لا يعرف إلا الكثافه و الماده ، إلى الثديات من حيث أن مستوى ذهنه لم يتجاوز حدود سن الرضاعه - بالنسبه لأصحاب الأجناس العاليه من بني ءادم ، إلى الطيور من حيث أنه لا يعرف كيف يستقر على حال بل يحب التنقل من شئ إلى " شئ جديد " و من مكان إلى مكان بسرعه و يريد كل شئ بسرعه فأكله سريع و قراءته سريعه و ذهابه إلى وظيفته بسرعه و وصوله إلى "الحب" سريع و تناوله للمعلومات سريع إلى حد أنه فقد الذوق و التعمق في سبيل السرعه و الزياده الكمّيه من كل شئ ، و إلى السباع من حيث أنه يعتقد أنه فرد منفرد عن العالم و لا يحتاج إلا إلى

جسمه و لا يبالي لو سقط العالم في الهاويه في سبيل "مصلحته" و هو يرى أن كل من سواه أيضا سباع يسعون إلى مصالحهم مهما كان الثمن و لو بافتراس الأقارب .

المتطور عنده تقنيات الكترونيه عاليه ، يستطيع أن يتكلم مع صديقه الساكن في الصين و صديقه الساكن في أدغال الكونغو مع كونه هو ساكن في لبنان مثلا ، و لكن مع قدرته العاليه على التواصل مع من يبعد عنه آلاف الأميال فإنه على الأغلب لا يعرف اسم جاره ، و لا فراغ عنده لزياره أقاربه ، و لا يستطيع أن يجلس مع أسرته لمده عشر دقائق بدون أن ينظر في هاتفه على الأقل تسعه و ثمانين مره - حفاظا على حسن تواصله مع صديقه الصيني طبعا .

المتطور أراد أن يتجاوز ركوب الأحصنه و الحمير ، و أراد أن يصل من بيته إلى مقر عمله في مده أقل، و كذلك أن يتنقل في بلده بسرعه أكبر ، فاخترع السيارات لاختصار المسافات ، إلا أنه صمم مدنه بطريقه جعلت بيته في منطقه و مقر عمله في منطقه أخرى بعيده جدا عن الأولى ، و جعل كل شئ بعيدا عن كل شئ تقريبا ، حتى آل الأمر إلى أن أصبح الوقت الذي وفره باختراع السيارات مستهلكا في الازدحامات و سلوك مسافات أبعد و أبعد . ثم إنه يفضل التعامل مع الأشياء الميته ، يفضل التعامل مع الحديد و البلاستيك ، بدل التعامل مع المخلوقات الحيه كالمتخلفين الذين كانوا يفضلون التعامل مع الأحصنه و البغال . التعامل مع الموتى أيسر ، و آمن ، و رده فعل الجماد متوقعه ، و هكذا المتطور يريد أن يكون كل شئ تحت سيطرته حتى يحيا بأمن ، و إن انتهى به هذا الهوس إلى أن يعيش في صناديق حديديه و كل ما حوله فارغ من الحياه تقريبا .

المتطور بنى مدنا ذات أبراج حديديه عاليه ، و سفلت الشوارع ، و غطى السماء ، و جعل كل ما حوله تقريبا من صنع يديه ، ثم جعل اجازته السنويه و عطلته الصيفيه التي هي لذته من الدنيا في أن يسافر إلى هاواي أو ميكانوس أو بالي أو مربيا أو غير ذلك من أماكن بحريه و أماكن ذات مناظر"طبيعيه" يعيش فيها نصف عاري يأكل الفواكه و السمك و يستمتع بالمناظر الطبيعيه كالمتخلفين ! عطله المتطور هي عاده المتخلف !

المتطور يحب السلام ، و يحب التسامح مع كل الأديان ، بالرغم من أنه يجهل حقائق كل الأديان تقريبا، و لا يعيش بنفسه أيا منها بصوره كامله و لا متوسطه ، فتسامحه نابع من لامبالاته ، إلا أنه -ككل المتطورين- يفضل أن يسمي لامبالاته تسامحا ، إذ في نهايه المطاف يحق لكل فرد أن يسمي ما يشاء ما يشاء .

المجتمع المتطور فيه مساواه بين الجميع ، و لذلك يحق للجميع أن يتكلموا بحريه تامه ، و لأن لكل أحد الحق في أن يتكلم ، سقط الواجب عن الجميع في أن يسمعوا ، فأصبح الكلام بلا وزن ، و لا تأثير إلا قليلا ، و لأن لكل فرد الحق في أن يخترع ما يشاء من أفكار و يسميها حقيقه ، و يعتقد بما يشاء و

يرفض ما يشاء ، فإن الفاصل في النزاعات و المحدد للاتجاهات لم يعد الكلام و مستواه ، بل أصبح "المال يتكلم" و "السلطه العسكريه تتكلم" ، فرجع الأمر إلى ما كان عليه " أيام التخلف " اللهم أن الفرق أن السفاحين في الماضي كانوا يفعلون السفح و يقولون السفح ، بينما السفاحين اليوم يفعلون السفح و يقولون السمح .

البلاد المتطوره ، كأمريكا ، توافق على كل شئ و تسمح لكل أحد في العالم أن يدلي بدلوه في تاريخ البشريه على مختلف الأصعده الاقتصاديه و السياسيه و العلميه و العسكريه ...بشرط واحد فقط : أن لا يكون نظامك الاقتصادي شيوعي أو معادي للرأسماليه تحديدا و إلا حينها سنفعل معك كما فعلنا في أمريكا الجنوبيه و نؤيد الطغاه الذين يوالون الرأسماليه و يقمعون الشعب المريد للشيوعيه . و أن لا يكون نظامك السياسي معادي للديمقراطيه ، و إلا سنفعل معك كما فعلنا مع صدام التكريتي في العراق ، أي سنؤيدك طالما أن طريقك لم يتقاطع مع طريقنا بل سندعمك بالمال و السلاح طالما أنك كلب مطيع لنا ، فإذا خرجت عن أوامرنا أو خالفت طريقنا سنضطر أن "نحرر الشعب المقهور" من "قبضتك الحديديه" . و كذلك أن لا يكون نظامك التعليمي مخالف "للمنهج العلمي" و أن لا تعتقد بنظريات تخالف النمط العام الذي بنينا عليه نظرنا و أعمالنا ، فإذا قلنا لك أنك قرد ابن قرد أو ابن عم القرد مثلا فيجب أن تصدق ذلك و لا تتفلسف كثيرا فنحن أذكى منك و أنت لا تملك التجارب التي نملكها نحن لنكشف ما الذي حدث قبل ثلاثمائه مليون سنه - و إن كنا لا نعرف بعد من الذي اغتال الرئيس جون كنيدي قبل بضعه عقود و لكن ..اسكت لا تفكر كثيرا ، نحن نعرف و أنت لا تعرف ، و إن كنت من أهل بلادنا و خالفت هذه الأصول فستعرض نفسك للطرد من الجامعه و السخريه من العامه تحت مسمى " التخلف " و " الرجعيه " و نحو ذلك من أحكام . ثم أخيرا أن لا يكون نظامك العسكري مهددا لنظامنا العسكري ، فمثلا ، لا يحق لك أن تمتلك النووي إلا إن أجزناه لك ، لأننا نخشى من سوء استعمالك له ، و نعم ، لا تقول " و لكن أنتم استعملتم النووي على اليابان في هيروشيما و ناغازاكي " ، لأننا عقلاء نعرف كيف و متى نستخدم النووي و أما أنت فلا تعرف ، ثم إن اليابانيين هجموا على بيرل هاربور ، نعم ، لا تقول " إن معظم الشعب الأمريكي لا يعرف أين تقع بيرل هاربور هذه أصلا ، فأين الخطوره الشديده هذه التي اضطرتكم إلى قذف جزيره بسيطه بصاروخين نوويين لوقف الحرب " ، لأننا سنقول لك ، اخرس ، أنت لا تعرف خطوره الهجوم على التراب المتطور . فإذن هكذا هي البلاد المتطوره عموما ، إن لم تتجاوز الخطوط الحمراء في الأنظمه الاقتصاديه و السياسيه و التعليميه و العسكريه ، فأنت حر لتفعل ما تشاء . أنت حر في أن تكون عبدا لنا و تفتح بلادك لتكون أسواقا غالبا للخرده التي نصنعها نحن ، و إن كنا سنرسل لكم بأسوأ منتجاتنا ، و لكن ارضوا بالقليل فإن القناعه كنز لا يفنى .
المتطور إن كان امرأه ، فهي ترى أنها مساويه للرجال ، و تريد أن تكون لها نفس حقوق الرجال ، و هي لا تبالي بملاحظه تبعيتها للرجل من حيث أن مطالبها تابعه للرجل ، فهي تقول "أريد أن أكون كالرجل" ، فهي تابعه من عين كونها متحرره . و لكن لا بأس ، كل شئ قابل لغض الطرف عنه في

العالم المتطور . و المتطور إن كان رجلا ، فهو يريد أن يكون مشهورا ، معروفا ، غنيا ، ثريا ، محبوبا ، يريد أن يكون من القله و النخبه - سوآء سعى لذلك أم عاشه في أحلامه أم عاشه عن طريق مشاهده البرامج التلفزيونيه التي تحكي حياه المشاهير . و مع ذلك هو يعتقد بوجوب مساواه الجميع ، و التوزيع العادل للثروات ، و مراعاه مشاعر الناس . المتطور يضاد فطرته ، و يعتبر نفسه أصيلا في كينونيته .

الرجل المتطور يريد رقه النساء ، و ينبذ شده الرجال ، يلعن التاريخ ، و يهزأ بالأسلاف ، و لا يبالي بالتقاليد و السنن ، و ينكر العوالم العلويه ، و يشك في المعاد و المستقبل . باختصار ، يعادي ما سبق، و يوالي ما لحق . ثم بعد أن قطع صلته بما فوقه ، و ما وراءه ، و ما هو أمامه ، أصبح كنقطه في صحراء أو قطره في محيط . فشعر بالتيه و الوحده الانعزاليه ، فاكتأب و امتلأ بالنزعه السوداويه ، فأصبح كنمله في غياهب الجب ، و كفاكهه انتُزِع منها اللب . فوقع في هاويه الرغبه في أي شئ ليحميه من هذه السوداويه ، فلجأ بعضهم إلى ملئ معدته بالطعام فانتشرت السمنه ، و لجأ بعضهم إلى تخدير ذهنيه و حسه فانتشرت المخدرات بصورها المتعدده ، و لجأ بعضهم إلى المذاهب العنيفه التي تجزم بكل ما لذ لها من عقائد و قيم فانتشرت النزعات الطغيانيه ، و لجأ بعضهم إلى آمون - صنم المال - فاعتبر جمعه هو الحياه و الفوز هو أن يكون عندك كمّيه أكبر من غيرك منه ، و لجأ بعضهم إلى عشتاروت - صنم الشهوه التناسليه ، و آخر لجأ إلى ديونيسوس - صنم الخمر - و هكذا آل أمر قطع المتطور نفسه عن كل شئ أن أصبح قابلا لأن يكون عبدا لأي شئ .

المتطور يبكي في الخفاء ، و يشعر بعدم الأمن في داخله ، يُظهر للناس وجها واثقا و مبتسما أحيانا ، إلا أنه داخليا يمتلئ بالشك و الظن و عيشته أشبه بكازينو و كل أعماله و مساعيه كرمي النرد أو لعب الورق .

المتطور يريد أن يساعده أحد ليخرج من ظلماته هذه ، و عاجلا أم آجلا سيرجع إلى عز "الخرافه" و "التقاليد القديمه " ، لأن القدر المتيقن هو أنه " لا يصلح آخر الناس إلا بما صلح به أولهم " ، أي أن الحقيقه العاليه هي ما كانت حاضره في كل زمان و مكان ، و لم يخترعها أحد اليوم أو أمس أو قبل أمس أو غدا ، بل هي الحقيقه التي قال عنها الحق " هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شئ عليم " .

....

(الطريق إلى العربيه الفصيحه)

من المعلوم أن العربي إنسان اللسان . و كل لسان عباره عن عقل و روح و أنفاس و منهج رؤيه و قيم . فقط بالنظر في لسان أي أمه تستطيع أن تستشف كل هذه الأمور . مثال الحيوان المعروف بالأسد . إذا نظرت في اللسان العربي تجد أن له مئات الأسماء ، لماذا ؟ لماذا يوجد : أسد و حمزه و قسوره و حمزه و حيدره و أسامه...الخ ؟ بينما نجد في ألسنه أخرى - كما يشيع في استعمال أصحاب الألسنه عموما - أنه يوجد اسم أو اسمين فقط . ما الفرق بين العقليه التي تعطي الحيوان الواحد ثلاثمائه اسم و بين العقليه التي تعطيه اسم واحد أو اثنين ؟ بغض النظر عن مثال الأسد ، الكلام هنا عن العقليه و النظره إلى الوجود ، إلى أسلوب و فن في التعامل مع الموجودات كلها . الفرق هو التالي : الأسد يمكن أن يكون في وضعيه هجوم فيسمى باسم ، و يمكن أن يكون له ألوان متعدده فيسمى كل منها باسم ، و كذلك يمكن أن يكون في وضعيه ساكنه فيسمى باسم ، و يمكن أن يكون

طويلا أو قصيرا فيسمى كل منها باسم ، و هكذا . فأصحاب النظره الصخريه للوجود يعتبرون الشئ باختزال و اختصار أي بأسلوب " لخّص و هات من الآخر ! " ، و لكن أصحاب النظره الحيويه المدققه في الأشياء و المراعيه لموازاه اللغه للواقع من حيث شموليته و كليته لها أسلوب آخر في التعبير . و قس على ذلك في بقيه الفروق الدقيقه و الكبيره .

" العربيه لسان ، فمن تحدث العربيه فهو عربي " . تحدث هنا بمعنى تخللت العقليه و "فلسفه اللغه" إن شئت في كل كيانه . فالعربيه ليست مجرد أصوات تخرج من الحنجره ، و لكنها نمط تفكير كما أنها نمط تعبير و هي أيضا منهجيه كامله للإصلاح و التغيير .

كيف يمكن أن يرسخ الإنسان في العربيه الخالصه ؟ قد يقال : عن طريق دراسه كتب النحو و القواعد . و هذا هو الأسلوب الذي تم اعتماده في هذه المدارس الحديثه كأصل . فتصوروا الأمر بطريقه "منطقيه" ، و قالوا : كما أن إقامه البناء تكون بوضع القواعد و الأساسات أولا كذلك تعليم اللغه يجب أن يكون بتعليم القواعد أولا ، فيجب أن نعلمهم أن الفاعل مرفوع و جمع المذكر السالم كذا و جمع المؤنث السالم كذا (مع أني لم أعرف معنى كلمه "سالم" إلا قبل نحو عشره ساعات !) . و لا نبالغ إذا قلنا تعليقا على هذا المنطق : لعل أفضل طريقه لإبعاد الناس عن العربيه هو بأن يبدأ المعلم بتعليمهم القواعد النحويه . لماذا ؟ تعالوا ننظر .

أولا ، الذين استخرجوا القواعد النحويه ، هل كانوا يعرفون العربيه ؟ الجواب : بالطبع ، و إلا كيف استطاعوا أن يقرأوا و يفهموا كلام العرب - شعرا و نثرا - و الذي باستقراءه و تحليله قاموا باستخراج هذه القواعد و صياغتها . فإذن ، فهم العربيه ليس مشروطا - على الإطلاق - بدراسه هذه القواعد النحويه . لا أقل في البدايه.
ثانيا ، لنرجع خطوه إلى الوراء ، و نقول : كل العرب الذين كانوا قبل أن توضع كتب النحو و القواعد ، كيف استطاعوا أن يعرفوا العربيه ؟ قد يقال : بالفطره أو بالطبع . و هذا ليس جوابا كافيا . فإن قلنا أن "أول عرب" كانوا قد عرفوها و تكلموها بالفطره أو بالوحي و التعليم الإلهي ، فكيف استطاع من بعدهم من أولادهم أن يتكلمها ، و كلامنا عن تعليم العربيه الموجوده و ليس عن البحث عن أصل وجود اللغات . الجواب الواقعي هو: أنهم تعلموها بالسماع و القراءه من حيث القابليه ، و بالتكلم و الكتابه من حيث الفاعليه . ككل لغه أخرى . فكر فيها . انظر في لهجتك الخاصه ، هل يوجد كتب قواعد للهجات المحليه ؟ لا يوجد . فكيف استطاع أهل كل بلده و منطقه أن تكون لهم لهجه يتداولونها و يقيمونها بينهم بدون أن تكون هناك كتب لقواعد هذه اللهجه تدرس في المدارس ؟ بكل بساطه ، سماع الصغار من الكبار للكلام الفعلي الذي يتم بهذه اللهجه . و كلامنا هنا عن كيفيه اكتساب اللهجه و ليس عن كيفيه وجودها .

فإذن ، الطريق إلى تعلم أي لسان و لغه و لهجه هو : السماع و القراءه أولا ، و هي مرتبه الانفعال . ثم النطق و الكتابه ثانيا ، و هي مرتبه الفعل .

سماع الكلام الواقعي ، و ممارسه اللغه في شؤون الوجود و الحياه و التعبير عن القصص و الأفكار و المشاعر و كل ما تُستعمل فيه اللغه . أي ممارسه اللغه ، و ليس فلسفه اللغه . الفلسفه مرتبه بعد الممارسه . فلا يستطيع أن يتمكن في الفلسفه إلا من تمكّن في الممارسه . الممارسه هي : السماع و القرءآه ، و النطق و الكتابه .

و قد عرف علماء العرب من أسلافنا الكرام - رضوان الله عليهم - هذا المعنى ، بل إنما تعلمناه منهم . و لذلك وضعوا الكتب المعروفه بكتب الأدب . كتب الأدب هي كتب تجمع ما بين القرءآن و النثر و الشعر ، و تتكلم عن مواقف الحياه المختلفه بنحو ظاهره الفوضى و العشوائيه ، أي لا يوجد ترتيب معين للكتاب يتسلسل فيه في عرض الموضوعات ، بل ينتقل من الشعر إلى النثر ، ثم من النثر إلى الشعر ، ثم إلى قصه نثريه يرد فيها شعر، ثم إلى شعر يتم شرحه بنثر ، و هكذا . و تشتمل على مواقف من كل الحياه ، فتاره تجد موقفا روحيا ، و سياسيا و عسكريا و فكريا و ماجنا و هزلا و سخفا و طبا و اجتماعيات و فلسفات و كل ما يمكن أن تعبر عنه اللغه تقريبا . و تشتمل على كل طبقات الكلام العربي ، العاليه و السافله ، حتى يعتاد الإنسان على كل ذلك و يعرفه . فهذا من حيث القراءّه و الكتابه .

أما من حيث السماع و النطق ، فقد كانت العربيه هي اللغه المستعمله في كل شؤون الحياه العامه و الخاصه . و حين يسمع الناس العربيه ، سينطقون العربيه .

إذ نحن ننطق بحسب مستوى ما نسمع ، و نكتب بحسب مستوى ما نقرأ . " و كل إناء بما فيه ينضحُ" .

دائما ، اللغه المكتوبه هي أعلى صوره لأي لغه . الكتابه فيها بُعد " رسمي " . و أما النطق فعاده ما يكون فيه ما فيه من شوائب و انحرافات و تأثير ما يُعرف ب " الحاجات العاجله للحياه اليوميه " لا أقل هذا هو الحال في أزمنه ضعف العقل و قله الذوق . و أما في حال القوه و التمكين ، فإن اللغه المنطوقه هي عين اللغه المكتوبه، و العكس . و لذلك تجد مثلا كثير جدا من مواد الأدب العربي هي حوادث " يوميه " ، كما هو الحال مثلا في الأحاديث الشريفه و مواقف الصحابه مرورا بمن بعدهم من القرون الفصيحه .

عندما ننطق كما نكتب ، فنحن في قوه . عندما نكتب كما ننطق ، فنحن في ضعف .

فللحياه مستويين ، مستوى القراءه و الكتابه أو ما يُعرف ب " الحياه الأدبيه الفكريه " . و مستوى السماع و النطق أو ما يُعرف ب "الحياه الاجتماعيه اليوميه " . بالنسبه لمستوى الأدبيه ، فالعربيه الفصحى إلى حد لا بأس به قائمه . و لكن على مستوى اليوميه يكمن الضعف الذي يجب أن يُجبر ، و الخلل الذي ينبغي أن يعالج .

و الطريق إلى ذلك العلاج و التناغم بين الأدبيه و اليوميه يمر بمراحل :

أولا ، الغوص في كتب الأدب ، و الإكثار من القراءه و الكتابه . اعتبرها كالتمرينات الرياضيه إن شئت.
ثانيا ، أن تكون حوارات العرب مع بعضهم من أهل الثقافه و الذوق بها .

ثالثا ، أن يتكفل كل عربي عاقل لهذه المعاني بتبيان شرف العربيه و عمقها و جمالها و سعه أدبها لمن حوله من الناس ، و يتلطف في ذلك ، و يتدرج فيه ، فعضو الأسره في أسرته ، و الموظف في وظيفته ، و الصديق في جمعته ، و الأستاذ في درسه ، و الشيخ في مجلسه ، و الأمير في ديوانه ، و الرئيس في اجتماعاته .

رابعا ، بعد مرور سنوات على العمل بالخطوات الثلاث السابقه ، يتم - و لا يمكن إلا بذلك - إصدار قرار سيادي من الدوله بإيجاب إتقان اللغه العربيه على كل موظفيها خصوصا ، هذا فيما يتعلق بالقطاع العام . أما فيما يتعلق بالقطاع الخاص ، فيجب أن تُعطى الأولويه للموظف المتقن للعربيه على من سواه (كما تُعطى الآن الأولويه لمن يتقن الانجليزيه على من سواه..و نتأسف أننا نضطر إلى ضرب هذا المثال و إنا لله) .
خامسا ، تتشارك كل البلاد العربيه - بحكم العروبه - و الإسلاميه - بحكم لسان القرءان و الحديث الشريف و الميراث العلمي و الأدبي - على إنشاء صناديق استثماريه توقف على قضيه ترجمه كل ما يستحق الترجمه من كل أنحاء العالم - و ليس فقط الانجليزي و الفرنسي بل حتى الصيني و الهندي و الفارسي و التركي و غيرهم . و إنشاء كليات و معاهد متخصصه في الترجمه ، الترجمه التي تنقل النص إلى روح العربيه و صورتها ، و ليس فقط شيئ من صورتها ، كما فعل أسلافنا من قبل حين ترجموا كتب الهند و الفرس و اليونان . و يتم إعطاء رتب عاليا للمترجمين ، و تعظيمهم ، و إجلالهم أمام الناس ، لأنهم بمثابه - بل أعظم - ممن يهب الجواهر و يأتي بالغنائم بسلام من كل مكان إلينا .
إن تمت هذه الخطوات الخمس ، في الخمسين سنه القادمه إن شاء الله ، فنستطيع أن نأمل حينها بأن نكون عربا بكل ما للكلمه من معنى . " و ما ذلك على الله بعزيز " .

...

(المسلم...الشيوعي الجديد)

السياسه الغربيه ذكيه ، و تفهم نفسيه الجماهير و أسباب التأثير فيها سواء كانت ظاهره أو خفيه . و من المعلوم أن الجماهير لا تسلم قيادها للقاده إلا إن شعرت بوجود خطر يهدد حياتها و يضعف ملذاتها . و من المعلوم أن أذهان الجماهير لا تحتمل التركيز على أكثر من شئ واحد كبير في الوقت الواحد . و من المعلوم أيضا أن الجماهير متطرفه بطبيعتها ، بمعنى أنها حين تشيطن العدو تجعله شيطانا رجيما لعينا بالمطلق ، فإن هذه الشيطنه الكليه - بغض النظر عن قيمتها "الواقعيه" - تسهل على الذهن عمله و تجعل خطه العمل واضحه و نهائيه . و الجماهير لا تبالي بالواقع و لا بالبراهين ، و بالتأكيد لا تبالي بالفلسفه و التفهيم ، المهم ما تشعر أنه صحيح ، ثم إنها لا تتساءل عن مصدر شعورها هذا ، فمع الإيحاءات الكثيره و الرسائل المبطنه التي يتم تغذيتهم بها ليل نهار يتشكل شعورهم في نمطه العام ، ثم بعد ذلك تأتي الوقائع الصغيره هنا و هناك ، و تأتي الاستدلالات الساذجه عن طريق النظر إلى بعض النصوص و الأحداث الماضيه و الحاضره و اتخاذها كخيوط

لنسج شبكه عنكبوتيه واهيه من الأفكار و الأحكام التي يعتبرونها "دليلا كافيا" كقاعده فكريه يدعمون بها صحه شعورهم و وجدانهم ، أي الجمهور يتم الإيحاء إليه أولا من قبل أسياده ، ثم يتكون شعوره ، ثم ينظر قليلا ، ثم يقوم ... بتشكيل أفكاره و تكوين قناعته بحريه اختيار كامله !

من يوم خرج شبح الشيوعيه و الاشتراكيه على العالم الأوروبي ، و ساده الرأسماليه و أرباب خلق الوعي الغربي يشعرون بالاضطراب منه و يريدون إزالته . و حين انتقلت رايه قياده العالم الغربي لأمريكا قبل نحو قرن من الزمان ، و تمكنت الشيوعيه من إقامه نظامها في روسيا أو الاتحاد السوفيتي سابقا ، و الأمريكان لا هم لهم إلا إزاله الشيوعيه من العالم . بعباره واحده : قبل تفكك الاتحاد السوفيتي و نهايه الشيوعيه في صورتها تلك هناك ، و الذي تم في سنه ١٩٩١ م ص ، الشيطان الوحيد في الوعي الغربي كان الشيوعيه . و كل السياسه الغربيه و منهجها في تشكيل وعي الجماهير حسب الأصول التي ذكرنا بعضها في الفقره الأولى من المقاله ليس لها إلا هدف واحد و هو شيطنه الشيوعيه ، و اعتبارها عدوه الإنسانيه ، إرهابيه ، مجرمه ، مضاده للحضاره ، عنيفه ، من يرضى عنها فهو خائن ...الخ . و كالعاده ، الجماهير حمير ، صدقوا كل ذلك و قبلوه . و بلغ الأمر في بعض سنوات حكم بعض رؤساء أمريكا ككندي مثلا أن إمكانيه اشتعال حرب نوويه مع الروس كان أمرا متوقعا أو لا أقل ليس ببعيد . و كذلك أقيمت حروب باسم محاربه الشيوعيه المتطرفه ، و الامتداد الشيوعي ، و تم احتلال بعض البلدان ظاهرا أو باطنا باسم محاربه الشيوعيه ، و تم تأييد طغاه - كما في أمريكا الجنوبيه - لأنهم أنصار للغرب و قيمه مع غض الطرف عن كل المجازر التي كان يقيمها هؤلاء الطغاه ، فطالما أنهم على وفاق مع الرأسماليه و القيم الغربيه فليفعلوا في شعوبهم ما يشاؤون . بل كانت أمريكا مثلا السبب المباشر في تكوين القاعده في أفغانستان ، و كان دعاه " الجهاد ضد الكفار " يدعون الناس إلى الحرب ضد الملاحده الشيوعيين في البلاد بحريه نسبيه معتبره بل كانوا أبطالا نُسجت حولهم القصص في بعض بلادنا العربيه . كل هذا كان أمرا مقبولا ، لأن الشيطان الوحيد في تلك الأيام كان الشيوعيه ، و عدو عدوي صديقي . فلما جاءت سنه ١٩٩١ م ص ، أي قبل ربع قرن تقريبا من اليوم ، و تفكك الاتحاد السوفيتي و ذهب الخوف من الشيوعيه ، و أصبحت كلمه "شيوعي" مجرد سبه و شتيمه تُقال - لتسقيط القيمه - لبعض مرشحي الانتخابات في الغرب ممن لديه توجه مراعاه مصالح الشعب في قبال مصالح أربابهم من أصحاب الشركات و الأموال الضخمه ، و توقفت عند هذا الحد . و هنا نشأت المصيبه !

لا يمكن السيطره على جمهور إلا في حال وجود عدو يخاف منه هذا الجمهور . فما الحل ؟ كيف نسيطر على جمهور الغرب بعد أن ولى الخطر الشيوعي ؟ الجواب : يجب أن نبحث عن شيوعي جديد. و هنا جاء دور الإسلام و المسلمين . و يوجد سبب آخر لاختيار الاسلام تحديدا ، بل أكثر من سبب سهّل اختيار المسلمين و دينهم كمرشّح جديد ليكون شيطان الغرب و محور سياستهم لقياده قطيع الحمير الغربي . فمن هذه الأسباب التالي :

أ- العداوه القديمه بين الأوروبيين و الصليبيين عموما و بين الدول المسلمه الكبرى كالدوله العثمانيه تحديدا .
ب- الإسلام هو الدين الوحيد الباقي الذي لا يزال غالبيه أهله يتمسكون به بقوه ، و يعيشون به و له ، و يدافعون عنه ، و يريدون أن يقيموه مهما كلّف الأمر . أما بقيه الأديان فإما أنها أضعف من أن تقاوم المد الغربي و قوته ، و إما أن الغرب الملحد أصلا نشأ بحكم تمرده على هذه الأديان ، و إما أن طبيعه ذلك الدين ليس فيها الجانب الناري الذي للمسلمين حين يواجهون الأعداء ، بالإضافه لعامل العدد و كثره البلدان و كثره الشباب و التاريخ الروحي و الحضاري و الفلسفي و الفقهي التشريعي و القابليه على خلق دول ناجحه مسيطره تعبر القارات و تتجاوز الأعراق و اللغات ، و غير ذلك من عوامل تجتمع لتجعل من الإسلام و المسلمين آخر جبهه يمكن أن توقف بل تمحو النمط الغربي السفلي في العيش .
ج- وجود إذن في الإسلام باستخدام العنف في بعض المواضع المشروطه ، و شده تمسك المسلمون بدينهم و يقينهم به ، مما يُمكن معه أن يتم استغلال هذا الإذن و ذلك اليقين - مع شئ كثير من إخفاء حقائق بديهيه و أخرى خفيه ، و شئ أكثر من التحريف و الاستخفاف بالناس - من أجل خلق وهم العنف اللامحدود و ما أصبح يعرف باسم " الإرهاب " و " التطرف الإسلامي " و ما شاكل من ملامح الشيطان الجديد الذي نحتته السياسه الغربيه .

فبعد أن وقع الاختيار على الإسلام و بدأ خلق الشيطان الجديد ، الشيوعي الجديد إن شئت ، جاء دور الإعلام . و مهمه الإعلام بسيطه جدا و قائمه على مبدأ معروف : اكذب ثم اكذب ثم بالغ في الكذب ثم اكذب بوجه صفيق لا ماء فيه ثم اكذب كأنك تتكلم عن بديهيات ، و عاجلا أم آجلا سيصدق الحمير ما تقول . خصوصا إذا كان الذي يكذب و يختلق الأمور أناس يلبسون " تكسيدوز " و بدل ثمينه . و لكن مع ذلك ، لا يمكن خلق صدمه قويه في وعي الجماهير بمجرد الأقوال ، إذ كما عرفنا ، الجماهير لا تحسن فهم الأقوال المجرده و العمل على أساسها ، الجماهير تريد المحسوس الملموس المشموم المنظور ، كلما كان أكثف كلما كان أشرف ، هذه قاعدتهم . و هل يوجد محسوس أشد جذبا للجماهير من لون الدم و تفجير الأشياء ! اسأل خبراء هوليوود ، و هم سيخبرونك عن مدى عشق العوام ، تحديدا عوام أمريكا ، للتفجير و مشاهده الدم يتطاير من الجثث على شاشه التلفزيون . الدم شيطان الشعوب . و هنا جاءت أهميه حادثه ١١ سبتمبر ، و التي أثبتت بالبرهان العلمي أن الشيطان موجود . ثم بعد ذلك ، يجب أن يتم تذكير الناس بوجود الشيطان عن طريق مواعظ مختصره هنا و هناك ، و هو ما تسمع عنه كل فتره من حادثه هنا و حادثه هناك ، أو تلك البرامج و المحاضرات التي " تكشف الحقيقه الإرهابيه للإسلام " ، أو تلك الاقتباسات من بعض " الأحزاب الإسلامويه " التي لا تشكل كلها على بعضها و لا نسبه عشر معشار عشر المسلمين ، و كلها محدثه مبتدعه قائمه في أصولها النظريه و العمليه الأساسيه على أفكار غربيه - تخيل ! - (كفكره الانتحار لقتل الآخرين

مثلا) و هكذا إلى آخر الحكايات الخرافيه التي لا يملّون منها لأن خبزهم و زبدتهم - كما يقول الأمريكان - تعتمد على هذه الحكايات و الآثار العمليه التي يبيحونها لأنفسهم بناءا عليها .

و الآن نقول : لا يهمنا ما يقول الغرب عّنا في شئ ، فلسنا ممن يهتم بسماع أنكر الأصوات . و لكن كلامنا موجه للمسلمين من إخواننا و أخواتنا ، اعقل و لا تستعجل ، لا تردد كلاما و انتقادات لا تفهمها ، اسأل و لا تستعجل ، و دع عنك الشبهات و عليك بالأصول الراسخه .

والله ، لو كان ١ ٪ من المسلمين " إرهابيين " لما استطاع غربي أو شرقي أن يخرج من بيته خوفا على نفسه ! أي جاهل ، أي غافل ، إن كان خمسين ألف همجي في العراق و سوريا أقاموا الدنيا و أقعدوها ، فما ظنك لو قام خمسين ألف مسلم في أمريكا ، و خمسين ألف مسلم في فرنسا ، و خمسين ألف في ألمانيا ، و خمسين ألف في بريطانيا ، و خمسين ألف في كل بلد فيه أغلبيه مسلمه ، و هكذا ، لو قام فقط مليون مسلم في كل أنحاء العالم ، كل واحد يقتل كل من حوله فقط ، عمليه واحده، يجمع كل أصحابه " الكفار " و يدعوهم للعشاء ، و يسمم طعامهم ، ثم يتركهم و يخرج من بيته و يذهب إلى أقرب سوق و يفجر نفسه ، و هكذا يفعل كل واحد من المليون ، فهذا يعني مليون عمليه "إرهابيه " في ظرف سنه ، علما بأن عدد الحوادث "الإرهابيه" منذ أن خلق الغرب الشيوعي الجديد لم يتجاوز عدد أصابع اليدين ، و لم يتجاوز عدد القتلى عشر معشار من قتلهم الأمريكان و البريطانيين و إخوانهم في العراق فقط . و مع العلم أن المسلمين اليوم نحو مليار و ثمانمائه ، و واحد في المائه تعني ١٨ مليون إرهابي !! لا داعي للسعي لتنفيد سخافات و خرافات الغرب ، و لكن نذكر هذا لإخواننا الذين سحر أعينهم سحره الفراعنه الغربيين من الإعلاميين و المأجورين . فاعقل و لا تكن مغبون " و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " .

(أصول فنون الضحك على الذقون)

كان الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي جالسا مره مع عالم يهودي ، و كانا يتحدثان عن المعاني الروحيه للحروف الأبجديه ، علما أنه يوجد ٢٢ حرف مشترك بين الأبجديه العربيه و العبريه . فمثلا ، حرف أ الذي هو أول الحروف و الأعداد رمز على الحقيقه الإلهيه المتعاليه ، ثم تحته في الرتبه الحرف ب ، و هكذا . فجأه ، قال اليهودي لابن عربي " إذن ، أيها الشيخ ، كتابكم نازل في الرتبه عن الكمال ، من حيث أنه يبدأ بحرف الباء ، و ليس حرف الألف " . فنظر ابن عربي إلى اليهودي متعجبا منه ، ثم قال له "و لكن كتابكم أنتم أيضا يبدأ بحرف الباء ! " . فخجل اليهودي و ذهب في حال سبيله .

اليهودي قصد أن أول حرف من القرءان هو " بسم الله " أي الباء . و ابن عربي قصد أن أول حرف في كتاب اليهودي التوره العبريه التي بأيديهم هو أيضا حرف الباء " بريشيت " (التي تُترجم عاده " في البدء " أو " بدايه ") .

اش الفكره ؟
الفكره بكل بساطه هي التالي : اليهودي يعرف أن كتابه يبدأ بحرف الباء ، و لكنه يظن أن ابن عربي لا يعرف أن كتاب اليهودي يبدأ بحرف الباء ، و لأنه يتوقع جهله بذلك ، استغل هذه الثغره ليجد لنفسه مطعنا يضحك به على الشيخ .

و هكذا كل فاسق - تحديدا في الغرب - يريد أن يضحك على الناس من المسلمين و غيرهم ، فإنه يستغل جهل الناس بتاريخ الغرب و فكر الغرب تفصيلا حتى يطعن عليهم بأشياء موجوده عند الغرب نفسه . و لكن توقعه أنك لا تعلم ، يجعله يكذب عليك و يحتج عليك بما يوجد مثله عنده ، و مع الأسف كثيرا ما تنطلي هذه الحيله على غير المطلع .

اش العلاج ؟
العلاج بأحد ثلاثه أدويه :
إما أن لا تسمع للخصوم ، و دع السماع و الرد للمتخصصين المطلعين . و هو قوله تعالى " و لو ردوه إلى الرسول و إلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم " .
و إما أن تتبحر في شؤون الخصوم . و هو قوله تعالى " و كذلك نفصّل الآيات و لتستبين سبيل المجرمين " .
و إما أن تتبحر في بعض المسائل التي تطلع عليها أو الشبهات التي يلقيها عليك الخصوم ، أي تتخصص في بعض المسائل ، و هو قوله تعالى " و لا تقف ما ليس لك به علم " .

أما أن تكون غير متبحر ، و تستمع للخصوم ، ثم تحاول أن تلفق جوابا من رأيك اللحظي لشبهات اشتغل على تصميمها شياطين الجن و الإنس ليل نهار منذ سنوات ، فهو كالذهاب إلى حرب نوويه حاملا أسهم و سكاكين . فتأمل . و الله الهادي .

...

(القاموس العربي ... قاموس معرفي)

كلمه " قاموس " ليست عين كلمه " معجم " . و لكن القاموس هو معجم من معاجم اللسان العربي ، ألّفه الشيخ العارف الفيروزآبادي ، و من شدّه شهرته أصبحت كلمه " قاموس " تدل على المعجم من العربي من حيث هو. كما أن كلمه " كلينيكس " تدل على المناديل الورقيه ، بالرغم من أن كلينكس هو مجرد نوع من أنواع المناديل. و يسمى العربي الكل باسم الجزء ، عندما يكون الجزء مستوف لكمال الكل في ذاته أو معظمه . فلكون المطلوب من المعاجم أن تكون جامعه ، و موصله للمطلوب بيسر نسبي ، و أن يكون المؤلف صاحب أنفاس لطيفه مريحه تمكن من تأمل العقل في معاني مؤلفه باطمئنان و بسط ، و كان معجم " القاموس المحيط و القابوس الوسيط ، فيما ذهب من لغه العرب شماطيط " للفيروزآبادي مستوف لهذه الشروط ، أصبح علما على المعاجم من حيث هي . و أما

المعنى اللغوي لكلمه " قاموس " فهي تشير إلى البحر ، و تدل في هذا السياق على جمعه في معجمه لمواد اللسان العربي جمعا عظيما .

المعجم العربي ليس مجرد مكان للبحث عن " معاني الألفاظ " . بل هو بحد ذاته ، و في نفس كونه يشرح معاني الكلمات ، يدل على العقليه العربيه و خصائصها العامه ، و يدل على الرؤيه الوجوديه لهذه العقليه و كيفيه ملاحظتها للأشياء من خلال مبانيها و هيئتها و صورتها و ترابطها . هذه الخاصيه - و الموجوده في كل معجم لغوي على التحقيق - هي التي تجعل التأمل في القاموس هو في نفس الوقت دراسه للوجود بعين عربيه . و من هنا يكون القاموس مصدر لا نهائي للمعارف و الفلسفه و رياضه الذهن و بسط العقل .

لنضرب مثالا ، ماده { ضَحَكَ } . فالضحك هو الشعور المتمثل في الهيئه المعروفه . و لكن حين ننظر في بعض صيغ الضحك سنجد التالي :

{ الضاحِكه : كل سنّ تبدو عند الضحك أو الأربعه التي بين الأنياب و الأضراس } . و هنا ارتبط جذر ماده الضحك مع الصوره الظاهره في الفم عندما يتم الضحك ، أي أنه ربط المعنى بعلامه من علاماته الظاهره ، و جعل اسم العلامه دليل على اسم الشئ ، و هو سير تأويلي يرجع من الظاهر إلى الباطن ، فقد يظهر السن و يبتسم الإنسان و لكن يكون في حاله غضب و سخريه أو نفاق ، إلا أن التسميه وضعت بحكم الغالب . هذه كلها أصول ، فتأمل .

و يوجد أيضا صيغه تقول { ضَحِكَتِ الأرنب ..: حاضت } ما علاقه الضحك بالحيض !؟ الجواب : الحيض هو شئ غريب يظهر كل فتره لمده قليله ثم يذهب ، و كذلك الأشياء التي يمكن أن تجلب الضحك و تسببه يجب أن تكون غريبه ، و كذلك أن لا تكون كثيره شائعه ، و لذلك تجد أن النكته المتوقعه ذات المعنى المبتذل لا تسبب الضحك أصلا أو تكون أقل من تلك الغريبه التي لا تتوقعها . فهذا من جانب . و من جانب آخر ، و هذا يعرفه كل من يمارس صناعه إضحاك الناس ، فإن الأعضاء التناسليه للإنسان و أعمالها و ما يصدر عنها هي من أبرز المواد المضحكه ، و الذي أشار إليه معنى القاموس في صوره الحيض .

و يوجد أيضا ضَحِكَتِ { الرجل : عجب أو فزع } فالعجب و الفزع من أهم المشاعر التي تسبق الضحك و تسببه. فمن جانب العجب تجد أكثر النكت التي تسبب الضحك اللطيف ، و لكن من جانب الفزع تجد مصداق قول حضره علي " شر البليه ما يُضحك " . و كذلك تجد الإنسان حينما يشعر بالحرج أو حين تتم مواجهته بما لا يجد رده المباشر في ذهنه ، يلوذ من فزعه بالضحك و إظهار صوره الضحك ليستر فزعه . فربط القاموس بين الضحك من جهه و بين العجب و الفزع من جهه أخرى ليدلل على وجود رابطه وجوديه بين الأمرين . و هكذا في كل ربط .

و يقول كذلك أن { الضاحك : حجر شديد البياض يبدو في الجبل } فكأن واضح اسم {الضاحك} على هذا الجبل نظر إلى الجبل كنظرته للإنسان ، فاعتبر الجبل أيضا يضحك . و هذا ليس مجرد تشبيه ، و لكن الإشاره الأعمق هي أن الجبل - و هو رمز القوه و الشموخ و الثبات - يضحك ، بمعنى أنه كلما كان وجود الكائن أقوى و أشمخ و أرسخ كانت له قابليه أعلى للضحك . و من هنا ورد في الحديث الشريف أن " الله يضحك " من كذا أو من كذا . ثم إن رؤيه العربي للضحك حتى في الجبل الصخري " الأصم و الجماد " يدل على تلك الحقيقه المعروفه و هي أن الكون كله حي و ينطق و يشعر ، " و إن من شئ إلا يسبح بحمده " و لا يسبح إلا الحي . فإن كان الإنسان يرى الأشياء بعين طبعه ، فما ألطف ذلك الطبع الذي يرى الضحك حتى في الصخر !

و هكذا في بقيه المعاني التي ارتبطت بماده الضحك ، و قس على ذلك في بقيه المواد .

فانظر إلى القاموس كبوابه للتفكر و التأمل في الترابط القائم بين جذر الماده و بين صورها المتعدده ، فهذا مفتاح عظيم للعلوم الكامنه في المعجم العربي . و لذلك قال العارف بالله الفيروزآبادي - رضوان الله عليه - في مقدمه كتابه المبارك :

{ فإن للعلم رياضا و حياضا ، و خمائل و غياضا ، و طرائق و شعابا ، و شواهق و هضابا . يتفرع عن كل أصل منه أفنان و فنون ، و ينشق عن كل دوحه منه خيطان و غصون . و إن علم اللغه هو الكافل بإبراز أسرار الجميع ، الحافل بما يتضلع منه القاحل و الكاهل ، و الفاقع و الرضيع } .

و الحمد لله رب العالمين .

....

(الهندسه الباطنيه ، لنحو اللغه العربيه)

للوجود مراتب ، أعلاها يحكم أدناها و يظهر فيه و يقيمه . فكل أدنى يعكس صفات للأعلى ، و هكذا بالتسلسل . و هذا معنى كون الأدنى " آيه " للأعلى . و اللسان أيضا آيه ، و هو بالضروره يشتمل على خصائص العوالم العلويه و الباطنيه إن كان صافيا عميقا راسخا محفوظا بالأخص .

لننظر فقط في بعض الأمثله على رمزيه القواعد و أصول اللغه العربيه و صلتها بالحقائق العلويه .

أ- أشكال الإعراب . و أصولها أربعه هم السكون و الفتحه و الضمه و الكسره . و كذلك الحالات الوجوديه لكل كائن و مخلوق لا تخرج عن أربعه . فكل الكائنات القائمه في علم الحق تعالى ، و

معلوماته أزليه أبديه كما هي لا تُزاد و لا تنقص ، هي في حاله السكون . و كل المخلوقات المكونه في خلق الحق تعالى ، لا تخلو من ثلاث حركات أو سكون ، إما حركه باتجاه الأعلى أي الفتحه ، أو الأدنى و هي الكسره ، أو في نفس الطبقه و المستوى و هي الضمه ، و إما أن تكون ساكنه حسب الصوره و هي السكون .

ب- أقسام الكلام . فالكلام إما اسم أو فعل أو حرف . فالاسم هو الحق من حيث ذاته ، و الفعل هو الحق من حيث خلقه و أفعاله ، و الحرف هو العقل الرابط بين الذات و الأفعال و هي رتبه العرش أو الوسيله باعتبار . فالاسم ثبات ، و الفعل تغير ، و الحرف لا ثابت و لا متغير بل رابط بينهما .

ج- قوالب الأفعال . معلوم أن الأفعال في العربيه تتبع نمط قوالب معروف يجعل معنى الماده يتبع ذاته من حيثيه و يتأثر يصوره القالب من حيثيه أخرى . فمثلا ماده {ضَرَبَ } التابعه لقالب {فَعَلَ } تعني الضرب المعروف - هذا من حيث ذاته - و لكن من حيث تأثره بقالبه يكون المعنى : الضرب الذي حدث في الماضي ، لأن صيغه {فَعَلَ} تدل على الماضي . فإذا وضعنا نفس الماده في قالب آخر ، و لنقل مثلا قالب { فاعل } ستصبح { ضارب } فالمعنى الذاتي للضرب بقي ، و لكن أصبح المعنى بحكم القالب يدل على فاعل الضرب أي الشخص الذي قام بالضرب . و هكذا في بقيه القوالب . و سنجد أن للعربيه قوالب معدوده معروفه تبلغ العشرات ، إلا أن الفروق المعنويه بينها دقيقه و مدروسه . فمثلا صيغه { فاعل } و { فعَال } كلاهما يدلان على الشخص الذي يفعل ، إلا أن الأولى تتحدث عن مستوى من الفعل ، و لكن الثانيه تتحدث عن مستوى أشد من نفس الفعل . و هكذا . و الرمز هنا يدل على المثل العليا التي تحكم الكون كله . فكل فعل يتم في الكون ، إنما يتم بناءا على مثل عليا معينه ، و مبادئ كليه لا يمكن لمخلوق أن يخرج عنها بحال من الأحوال . و من درس قوالب الأفعال في العربيه فإنه سيجد عقله موصولا و مدركا لهذه المثل الكليه ، و هي أصول العلم الكوني .

د- الفاعل مرفوع ، المفعول به منصوب . كذلك هو الواقع ، فكل " فاعل " يعتبر "مرفوع" أي من رفعه المقام ، و كل "مفعول به " يعتبر "منصوب" فهو دون في الرتبه ، و حتى قالوا "المجرور مكسور" لأن الجرجره لا تقع إلا على مكسور القوه و العزيمه ، نسأل الحق أن يرفع عن المتشبهين بالأعاجم حروف الجر !

...

(الإنسان كعبه الأكوان)

لكل إنسان ثلاثه أفلاك يدور فيها : أولا الفلك الأكبر و هو الرؤيه الوجوديه . ثانيا الفلك الأوسط داخل الأكبر و هو المنهج في التعاطي مع الوجود الذي حددته الرؤيه الوجوديه . ثالثا الفلك الأصغر داخل الأوسط و هو النتائج كالنوايا و الأحوال و الأقوال و الأفعال .

العلماء ينظرون في الفلك الأكبر أي الرؤيه الوجوديه ،
الأتباع ينظرون في الفلك الأوسط أي المنهج النظري ،
العوام و السفله ينظرون في الفلك الأصغر أي النتائج العمليه .

الأصغر ينتج منطقيا عن الأوسط ، و الأوسط عن الأكبر . فالكلام كل الكلام ، و الإصلاح كل الإصلاح ، و التأمل كل التأمل ، ينبغي أن يتركز أولا و قبل كل شئ على الفلك الأكبر أي الرؤيه الوجوديه . هذه قاعده كليه . لنطبّقها على أهم موضوع في حياه الإنسان و هو " ما هو مركزي في هذا الوجود ؟ " . و لنعقد مقارنه بين الرؤيه القرءآنيه لوجود الإنسان ، و الرؤيه الغربيه الحداثيه ، إذ " بِضدّها تُعرف الأشياءُ " .

أما الرؤيه الغربيه فتقول التالي : الكون ليس إلا هذا العالم الجسماني ، و نحن لا نعرف من هذا العالم بيقين إلا ما يدخل تحت مقوله " الكميات " و العدد ، و الباقي " آراء شخصيه غير علميه " . ثم إن الإنسان في الكون ، و بما أن الكون في الرؤيه الوجوديه ليس إلا جسما ، بالتالي الإنسان ليس إلا جسما مآله التراب . و بما أن النظره الكمّيه العدديه تعتبر كل العناصر متساويه في جوهرها ، كما أن كل الأعداد متساويه من حيث أنها كلها تكرار للرقم واحد ، فكذلك كل شئ في الكون له نفسه القيمه الجوهريه ، فالإنسان لا يفرق عن الكلب أو المجره أو الذره أو الحجر و النباتات ، كلها مجرد أشياء لا نعرف عنها أكثر من أنها أشياء موجوده و أن لها بعض الصفات الظاهره للعين و ما تخترعه اليد البشريه ، ثم العمل الوحيد هو كيفيه السيطره على الطبيعه لمصالح البشر البدنيه . و الألم مرفوض ، و اللذه مرغوبه ، حتى يأتي الموت فيعدم الحي ، و كل حي سينتهي إلى الموت عاجلا أم آجلا .

أما الرؤيه الشرقيه إن شئت فتقول التالي : الكون له طبقات متعدده ، و ما العالم الجسماني إلا أسفل طبقه منها، ثم فوقه عالم النفوس ، و فوقه عالم العقول و الأرواح ، و في كل طبقه من الدرجات ما لا يحصيه إلا الله ، و أعلى من الكون كله و الظاهر فيه كله هو الهويه الأحديه للحق سبحانه ، و ما الأكوان إلا تجليات الأسماء الحسنى الجلاليه و الجماليه . و الإنسان هو خليفه الله في الكون كله ، و لذلك للإنسان صله بالعالم الأعلى بروحه العقلي ، و بالعالم الأوسط بنفسه ، و بالعالم الأدنى ببدنه ، و بالحق سبحانه بسرّه . و مبدأ العوالم بما أنه الأسماء الحسنى و الصفات العلى ، فهذا يعني أن " الكيفيه " أولى من حيث معرفه الحقيقه من "الكمّيه" و إن كانت الكمّيه عامل من عوامل المعرفه ، و لكنها تحت الكيفيه و الصفه ، و الكمال الجمع بينهما . و معني كون الإنسان خليفه الله أنه المظهر الأكمل للأسماء الحسنى ، الجماليه اللطيفه و الجلاليه العنيفه ، و لذلك يرد في القرءان دائما في وصف المؤمنين أنهم " أذله " و " أعزه " ، و كذلك " رحماء " و " أشداء " . و غير ذلك من الأضداد ، إذ لكل منها موضعها ، كما أن الحق سبحانه خلق الكون بالزوجيه ففيه اللذه و الألم بدرجاتهما ، و النور و الظلام بدرجاتهما ، و كذلك في كل زوجيه أخرى ، و الأصل في الأسماء الحسنى إذ الكل من الله تعالى و هو بذاته متعال عن كل زوجيه . " قل هو الله أحد " .

هذا باختصار هو الفرق بين الرؤيتين .

و الآن نتساءل : هل يمكن للمنهج الذي يخرج من الرؤيه الشرقيه أن يتوافق مع المنهج المتفرع عن الرؤيه الغربيه ؟ بالطبع لا .

ثم هل يمكن أن يتم " التوفيق " بين نتائج المنهج الشرقي ، و نتائج المنهج الغربي ؟ بالطبع لا .

و هنا يكمن الفرق بين الإنسان الذي يحمل التفكير على محمل الجد ، و بين أصحاب اللهو و العبث . فالجديْون يعرفون الفروق و يحفظون الحدود و يعطون كل شئ حقه . و أما أصحاب اللهو - غالبهم من العوام و السفله - يريدون أن يوفقوا بين ثمار شجره الزقوم مع ثمار شجره طيبه ! يريدون أن ينتزعوا الثمار من جذورها و أصولها و يُركّبوها تركيبا صناعيا و يُعلّقوها تعليقا بالصمغ و الغراء الصناعي على الشجره الأخرى ، حتى يظهروا أنه من الممكن أن يكون هذا هو عين ذاك أو " متوافقا معه " كما يقولون . و لذلك مثل هؤلاء يفشل و يخسر الشجرتين ، " مذبذبين لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء " و يقولون " إن أردنا إلا إحسانا و توفيقا " .

و من الأمور العمليه التي ترتبت على الرؤيه الشرقيه القرءانيه : الكعبه المشرفه . فالكعبه و صلاه كل المسلمين تجاهها هي الرمز الأكبر لحقيقه الرؤيه القرءآنيه للإنسان على هذه الأرض . و هذا شئ من التفصيل :

قال الله تعالى للملائكه " اسجدوا لآدم ، فسجدوا " و قال " فسجد الملائكه كله أجمعون " . لا تكرار في قوله "الملائكه ، كلهم ، أجمعون " . و لو أراد الاستغراق لاكتفى بالقول " الملائكه " ، و لكنه أراد التفصيل الكامل. فذكر ثلاث كلمات لأنه يوجد ثلاث طبقات من الملائكه ، ملائكه العرش (العالم العقلي الروحي) و ملائكه السموات (العالم النفسي) و ملائكه الأرض (العالم الجسماني) . كل هؤلاء سجدوا لآدم . و هو معنى "إني جاعل في الأرض خليفه " الأرض هنا ليست هذه الجسمانيه فقط ، بل أرض الخلق كله ، فالخلق كله أرض باللسان الرمزي بالنسبه للحق سبحانه الذي هو السماء في المثال النبوي ، " ءأمنتم من في السماء " .
روى الشيخ جلال الدين السيوطي - رحمه الله - في كتابه الموسوعي " الدر المنثور " ، في التفسير المأثور" عن أحد علماء السلف الكرام أنه قال تعليقا على آيه السجود لآدم { إن الله جعل آدم كالكعبه } .

فآدم كان محورا و مركزا ، و كل الملائكه سجدوا له . و ذلك حين كان في الجنه ، أي في المقام المتعالي عن الأكوان الثلاثه العرشيه و السماويه و الأرضيه . و " الجنه " من الجن الذي هو الخفاء و الغيب ، و هو عباره عن الغيب الأعلى . فكان آدم وسيله لفيض العلوم و الحقائق على الملائكه " يآدم أنبئهم بأسماءهم " . فالملائكه سألوا الله مباشره عن العلم ، و لكن الله أعطاهم بواسطه آدم . و هو

المعنى الأكبر للخلافه ، أي هي خلافه في إفاضه العلوم و الحقائق العرفانيه كأصل . و ما سوى ذلك من مظاهر الخلافه فرع عن هذا الأًصل الأكبر .

فلما هبط آدم إلى هذه الأرض ، قالوا في الميراث الشريف ، أن " آدم هو أول من بنى الكعبه " . و المعنى ، أن آدم بنى هذه الكعبه في مكه حتى تكون صوره تذكره و تذكر الناس بمقامهم الحقيقي الذي هو مركزيتهم في الخلق و خلافتهم للحق . و سجود الناس للكعبه ، هو الصوره الرمزيه لسجود الملائكه لآدم .

ثم لما انحدر الناس إلى الجاهليه ، و عبدوا الأصنام ، أي كفروا بخلافتهم الذاتيه للحق سبحانه و ظنوا أنهم في حجاب مطلق عن الله تعالى إلا بواسطه غيرهم من الناس أو الملائكه ، و نظروا إلى أنفسهم تحت ما جعلهم الله عليه من الكرامه أي الخلافه العقليه ، بعث الله تعالى ابرهيم ، فقيل " و من يرغب عن مله ابرهيم إلا من سفه نفسه " كيف سفه نفسه ؟ نسي خلافته الذاتيه لله ، و جعل نفسه تافهه ساقطه بالنسبه لإمكانياتها الفعليه التي فطرها الله عليها ، و هذا معنى " و ما ظلمونا ، و لكن كانوا أنفسهم يظلمون " . و من هنا قيل في الميراث الشريف أن " ابرهيم أعاد بناء الكعبه بعد أن طمست من بعد آدم " .

ثم لما انحدر الناس مره أخرى إلى الجاهليه ، و عبدوا الأصنام من جديد ، بعث الله نبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم . و لما كان عرب الجاهليه قد جعلوا للحجر قيمه من حيث أنه مجلبه للأرباح التجاريه و التوحيد الصوري لعرب الجزيره ، و نسوا أنه رمز على الإنسان الكامل ، قام النبي عليه السلام في فتح مكه - و هو مثل العوده إلى الذات - بأمر سيدنا بلال - مغرد الأحديه " أحد أحد " - بأن يصعد على الكعبه و يجعلها تحت قدمه ليؤذن للصلاه ، و كان أهل الجاهليه قد انحدروا إلى العنصريه اللونيه فاشمأزوا من منظر من كان عبدا أسودا يملكونه و هو فوق الكعبه ، و بذلك ذكّرهم النبي عليه السلام بأمرين : المسلم أعظم من الكعبه ، و قال عليه السلام مؤكدا هذا بالمعنى بالقول بعد أن أظهره بالفعل { لئن تهدم الكعبة حجراً حجراً أهون على الله من ان يراق دم امرء مسلم } . إذ الجوهر أعظم من المظهر . و الأمر الثاني حين جعل " الأسود " فوق الكعبه ، مشيرا إلى حقيقه السواد الذي هو مثال على الغيب ، بالتالي مذكرا بالمقام الغيبي المتعالي للمسلمين الذاكرين العاقلين عن الله .

فقول العالِم { الله جعل آدم كالكعبه } إنما هو من باب تفهيم الناس الذين رأوا الكعبه و لم يروا آدم ، و لكن الحقيقه هي أن : الله جعل الكعبه كآدم .

و للحقاره التي يسعى الفكر الحداثي الغربي أن يزرعها في نفوس الناس ، و قد نجح في بلاده إلى حد كبير جدا و هو يزحف بشياطينه في بلاد المسلمين ، قال الأستاذ الأكبر للغرب فريدريك نيتشه في

كتابه إراده القوه ، مامعناه : إن السمه الرئيسيه للفكر الحداثي أنه يحتقر الإنسان كثيرا و يمتهن كرامته و لطالما كان الإنسان مركزا للوجود و بطله التراجيدي . فالكرامه - عند نيتشه و قد أصاب - تكمن في نفس مركزيه الوجود هذه ، و لولا أن الإنسان يجد في نفسه أنه مهم في الوجود ، لما شعر بالتعاسه حين يشعر بحقارته فيه . و لولا أن في وجدانه هذا حقيقه ما أو ظل حقيقه على أقل تقدير ، لما وجد هذا الشعور في كل الناس أو غالبيتهم الساحقه حتى كان هو العقيده الأساسيه في الإنسان الكامل في مختلف التقاليد السنيه على مر القرون و في شتى المواضع المشرقيه و المغربيه المقابل حداثيه .

الخلاصه : القرءآن يقول لك " أنت خليفه الله " ، الشيطان يقول لك " أنت ذره تراب عشوائيه " . هذه رؤيه و هذه رؤيه ، فانظر أين أنت ، ثم منهجك و نتائجك ستتبع من رؤيتك .

" إنا هديناه السبيل إما شاكرا و إما كفورا " .

.....

(لا تقارن الشموس بالشموع)

أصحاب القياسات العقليه و المقارنات الذهنيه على طبقات :

طبقه تريد أن توهم نفسها أنها فازت على خصومها و هذه ملكه القياسات مع الفوارق الشاسعه ، و التي تقارن أشياء لا تصح مقارنتها أصلا ، و هي الطبقه " الحالمه " .

و طبقه تريد أن تفهم فعلا بعض الأشياء ، فتضع الحالات المتشابهه في الخصائص الذاتيه أو الكثير من الأعراض في ميزان المقارنه ، فتقايس بينها بعد التأكد من هذا التشابه الذاتي أو الأكثري ، و هي الطبقه "العاقله" .

و طبقه تعرف تفرد الأشياء فتدرس كل حاله على حده و في ظروفها الشخصيه فقط و تحت ضوء الرؤيه و القيم التي ثبتت عندها حقانيتها أو خيريتها من قبل النظر في القضايا الجزئيه ، و هي الطبقه " العارفه " .

أما العارفه فهي أعلى من أن نكلمها . و أما الحالمه فهي أدنى من أن نكلمها . و بقيت الطبقه العاقله أو التي عندها الإمكانيه للإنصاف و حسن الوعي إلى حد مقبول ، فهذه وحدها من يمكنها أن تقيس و تقارن بين الأفكار و القيم .

....

(الأسباب المشروعه للحرب عند المسلمين)

أولا { لا يجوز أن تصدر حرب أو عدوان من جماعه لا مدينه أو دوله قائمه على قبول أغلبيه الناس قبولا حرا }.

و مثال ذلك الأبرز أن النبي عليه السلام لمده أكثر من عشر سنوات في مكه لم يقم و لم يأذن لأحد من أصحابه بأن يقوم بعدوان واحد ، لا ضرب ، لا اغتيال ، لا قتال ، لا حرب أهليه ، لا تحريض بعض

الأهالي لقتال بعض ، و لا أي نوع من العدوان . بل صبروا على التعذيب ، و الإهانه ، و المقاطعه الماليه و الاجتماعيه ، و على كل أنوا ع العدوان حتى القتل بأبشع الصور . و لكن بعد أن قبل أكثر أهل يثرب من قبيلتي الأوس و الخزرج أن يقيموا حكما معتبرا أو " دوله " نسبيه ، بالدعوه المحضه ، و بايعوا النبي كخليفه علم و حكم مرتين، و إن لم يقبل كل أهل يثرب ، و لكن قبل الأكثريه من الأعيان و أتباعهم ، هاجر النبي عليه السلام إليهم و ليس معه إلا صاحبه أبو بكر فقط ، و استقبله أهل المدينه كنبي حاكم بدون أن تسقط قطره دم على الأرض . و بعد ذلك وقع من الحروب ما وقع كما سنذكره إن شاء الله في الفقرات الآتيه .

ثانيا { الدوله ممثله في أعيانها و رؤوسها ، تُحاسب كشخص واحد ، و كل شعبها تابع في الحكم عليه لرؤوسهم الذين ارتضوهم لأنفسهم أو سكتوا عنهم ، فإذا قامت دوله ما بعدوان على دوله أو جماعه أخرى يجوز الاقتصاص من الدوله ككل - شعبا و رؤوسا - إذ الكل متشاركون في الجرم ، و يحق للذين وقع العدوان عليهم أن يطلبوا ما يحبون من اقتصاص طالما أنه لم يتجاوز ما وقع عليهم في الأذى }

و مثال ذلك ، أن دوله قريش قامت بالاعتداء على المسلمين في مكه ، و قتلت منهم نفوسا ، و عذبت نفوسا ، سرقت أموالا ، و منعت من يريد أن يخرج بماله أن يخرج به . فمن الآن فصاعدا ، يجوز للمسلمين أن يقتصوا كأصل من كل أهل مكه القرشيين ، سواء بالقتل أو بالتعذيب أو بأخذ الأموال ، فإن عفا المسلمون عن شئ من ذلك فهو من كرمهم و رحمتهم ، و إن اقتصوا منهم فما أخذوا إلا حقا لهم ، و إن - و تأمل هذا ! - اختار المسلمون أن يُخيّروا أهل قريش بين القتل أو الدخول في الإسلام فإن هذا ليس "إكراها" كما يظن أهل الغفله ، و إنما هو تنازل عن حق المسلمين بقتل من قتلوهم ، و تعذيب من عذبوهم ، عن طريق إعطائهم خيار الإسلام من باب فتح باب العفو عنهم . و مثال ذلك أن يأتي شخص و يقلع عينك بشوكه ، فتشتكيه إلى القاضي ، فيجيز لك القاضي أن تقتص منه بقلع عينه ، فأنت الآن إن قمت بقلع عينه لا يمكن أن يعتبرك "متوحشا" إلا سخيف متعاطف مع المجرمين لا يزن في العداله و إقامه الدول القويه شيئا ، و لكن إن قمت أنت من باب التخفيف و قلت للرجل " أنا أخيّرك بين قلع عينك - الذي هو حق لي - و بين أن تتصدق بنصف مالك على الفقراء " فإنك لا تكون "مكرها" له بالمعنى السلبي ، و إنما تكون راحم له في الواقع ، و إن رفض عرضك الثاني ، فبيدك إقامه حقك الأول . و هذا هو تفسير كل ما قيل من " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإن قالوا فقد عصموا مني دمائهم و أموالهم و حسابهم على الله " ، و لو كان - كما يريد المجانين و الحاقدين - معناها وجوب جعل كل أحد مسلم ، فكيف أبقى المسلمون مثلا على الأقباط و اليهود في مصر ، و كذلك في المغرب و إيران و الهند - أي من شرق العالم الإسلامي لغربه بإستثناء الحرمين ؟ بل عندما أراد السلطان العثماني في عز قوته و الذي كانت تركع أمامه الملوك أن يجبر رعاياه على الإسلام وقف في وجهه شيخ الإسلام و منعه من ذلك (بل أصبحت هذه حجه في يد الكماليين في

تركيا العلمانيه ، و احتجوا بأن أحد أكبر أسباب سقوط تركيا بيد الغربيين أو اقترابها من السقوط بأيديهم كان بسبب تدخل الدول الأوروبيه في شؤون الدوله العثمانيه بحجه "حمايه الأقليات المسيحيه" و الذين كان السلطان العثماني القديم يريد أن يجبرهم على الإسلام لولا أن وقف بوجهه شيخ الإسلام بحكم الشريعه فتأمل) . المهم ، عندما تقوم دوله بقتل مسلمين و تعذيبهم و نهب أموالهم ، فإن دماء و أموال هذه الدوله تكون مباحه لحاكم الدوله من باب القصاص ، فإن شاء عدل و إن شاء خيّر .

ثالثا { معامله الجماعه الغريبه بمثل الأحكام التي ترضى الجماعه و تعتقد بجواز تطبيقها على الآخرين ، هي معامله عادله ، و لو كانت ظالمه }

أي هذه هي قاعده " المعامله بالمثل " إلى حد ما . و مثال ذلك ، اليهود . فاليهود كما في قوانينهم التي في كتابهم الإلهي المصدر عندهم ، يجيزون ذبح كل شيخ و رجل و امرأه و طفل ، و مصادره أموال العدو كلها و مدنه وقلاعه و حيواناته ، فيما يتعلق بما يسمونه " الأرض الموعوده " . بل و يجيزون الإباده الجماعيه للشعوب إن كان وجود هذه الشعوب يمكن أن " يفسد الشعب المختار " عن طريق تعليمه العقائد الفاسده و يدعوه إلى الفساد. هذا كله بالنص الجلي في كتابهم المعتبر بل و في كلام أهل تفسير كتبهم عندهم . و لا أريد أن أطيل بذكر النصوص و من لم يعرفها و لم يثق بكلامنا فليسأل في التعليق لننقل له منها ما تطمئن به نفسه إن شاء الله و عندنا في هذه القضايا كتابا مختصرا لمن يحب الإطلاع عليه . فالحاصل ، هكذا هو حال اليهود و هكذا عاملوا أعدائهم فعلا - و ليس مجرد قوانين على ورق - لا أقل حسب ما يعتقدونه في كتبهم . و قد قاموا بمجازر جماعيه في حق الفلسطينيين تشيب الرؤوس من مجرد تصورها ، عشرات الآلاف من العجائز و الأطفال و النساء و الرجال و حرق المدن و قتل الحيوانات و أخذ الفتيات الأبكار - بعشرات الآلاف - سبايا للجيش و قتل الغير أبكار منهن ، و الاستيلاء على مدن كثيره و قلاع و مزارع و نحوه . فالآن ، إن جاء أحد و عامل اليهود بالمثل و بناءا على هذه القواعد التي يرتضونها ، فإنه ليس ليهودي - فضلا عن غيره من الأجانب في النزاع - أن يفتح فمه بالإعتراض على " العدوان الواقع عليه " . و هذا يفسر ما حصل في ما يدندن حوله من لا يفقه شيئا عن الأصول في القضايا المتعلقه بما يسمونه " مذابح اليهود في المدينه على يد رسول الإسلام و جيشه ". و حتى تعرف مدى المبالغه : على أقصا روايه - و بعض العلماء رفض هذا العدد بحجج معتبره ، و لكن مع التسليم بالعدد - فإن إحدى قبائل اليهود الذي خانوا أهل المدينه في معركه الخندق و أرادوا أن يلتفوا من وراء المسلمين بينما المشركون من أمامهم و حصل ما حصل مما هو معروف في القرءآن و السيره ، قام النبي بعد ذلك بتخييرهم بمن يريدون أن يحكم فيهم فاختار اليهود أحد الأصحاب الكرام فحكم عليهم بأن "تُقتل المقاتله و تسبى الذريه " فيقال أنه قُتل منهم في ذلك اليوم ٦٠٠ مُقاتل من الرجال . ٦٠٠ فقط ! و في خيانه حال الحرب ! أقل مجزره قام بها اليهود مع الفلسطينيين الذين لم يحاربوهم و لم يخونوهم و لم يقوموا تجاههم بأي

إجرام ، اللهم إلا أن اليهود يزعمون أن هذه الأرض أرضهم باسم الرب ، كان فيها أكثر من آلاف القتلى كبارا و صغارا . فلا أقل ، أنه بناءا على قاعده المعامله بما يرضاه الخصم على غيره ، لا يحق ليهودي فضلا عن غيره أن يعترض على مثل هذا حتى لو فرضنا أن النبي عليه السلام حكم عليهم بذلك بدون أي سبب ، فضلا عن لو كان بسبب خيانه وقت الحرب . و أما سبي الذريه فأمر طبيعي جدا في ذلك الزمان ، لأنه لا يمكن أن يبقى أحد بلا رجال يقومون بأمره ، ثم إنه أيضا من باب المعامله بما يرضاه الخصم على غيره . و هذه نقطه حساسه و دقيقه .

رابعا { الدوله القائمه على سبب ، يمكن إزالتها بنفس السبب ، و يكفي التوسل بنفس السبب لإزالتها } .

مثال ذلك من التاريخ القريب هو ما يُعرف بالولايات المتحده الأمريكيه . سؤال : ما هو السبب ، أي كيف قامت هذه الدوله ؟ الجواب : مجموعه من البريطانيين و الاوروبيين هجموا على تلك القاره و التي كان يسكنها ما معدله أكثر من خمسين مليون إنسان (البعض يوصلهم إلى مائه مليون) منذ عشرات الآلاف من السنين (البعض يوصلها إلى أربعين ألف سنه) و هم الذين يُعرفون بالهنود الحمر (حسب التسميه العنصريه كالعاده للبيض الأوربيين و الصليبيين) ، فذبحوا و قتْلوا بأبشع الصور التي تتخيلها السكان الأصليين ، و تفننوا في قتلهم ، و هجروهم من مناطقهم ، و إلى يومنا هذا جعلوا لهم مواضع يسكنونها في زوايا البلاد ، ثم أقاموا لأنفسهم دوله على أنقاض و جماجم السكان الأصليين الذين أحيوا الأرض لآلاف السنين . ثم اختلف الأمريكان أنفسهم ، و وقعت الحرب الأهليه بين الشمال و الجنوب ، و التي انتصر فيها أتباع ابراهام لينكون و من شاكله ، و قتل الذين أرادوا التوحيد بين الشمال و الجنوب من الذين رفضوا هذا الاتحاد ملايين ، قتل من الطرفين أعداد جباره . فإذن ، إذا أردنا أن نلخص "السبب" الذي قامت عليه هذه الدوله الأمريكيه سيكون في عباره واحده : غزو عسكري و سفك دماء سكان الأرض و تهجيرهم . و الآن ، إن جاء الروس مثلا ، و جهزوا جيوشا و هجموا على أمريكا ، و غزوهم عسكريا ، و سفكوا دماءهم و هجّروهم و حشروهم في زوايا البلاد و احتلوها ، هل من المعقول أو المقبول أن يكون لأمريكي واحد الحق في أن يقول " لماذا تعتدون علينا ! " الجواب : كما قمتم بالعدوان تسقطون بالعدوان . حتى لو كان " العدوان " ظلم ، فأنتم تحديدا يا من قمتم بالعدوان لا يحق لكم أن تتذمروا منه . و هذا يشبه رجل سرق مالا من البنك ، فعرف جاره أنه سارق لهذه الأموال ، فتسلل عليه بيته في الليل و سرق هذه الأموال ، فإنه ليس من حق السارق الأول أن يقول للسارق الثاني " أنت سارق ، ارجع لي أموالي " فضلا عن أنه لا يمكن أن يشتكي للشرطه العادله . و إن كان نفس السرقه " ظلم " و لكن السرقه من السارق ليست بظلم .
هذه هي القاعده التي قامت عليها الغالبيه العظمى من حروب دول المسلمين على مر القرون . كانوا ينظرون إلى الحكومات القائمه في زمانهم ، مثلا الدوله الرومانيه أو الفارسيه أو غيرها ، فيرون أن هذه الحكومات إنما قامت و سيطرت على هذه الشعوب عن طريق القهر و الحديد و النار ، أي العدوان

و القوه ، فأعملوا فيهم القاعده السابقه ، فكما أنكم قمتم بالقوه تسقطون بالقوه ، كما أنكم قهرتم من سبقكم فملكتم الناس كذلك نحن سنقهركم و نملك على الناس . ثم الفرق بيننا و بينكم في مدى إحساننا في حكم الناس و هذه قضيه جانبيه خارج عن أصل المطلب . فما هي النيه بعد ذلك من الملك و ما الذي يريد المالك الجديد من إقامته ، سوآء أراد "الدعوه إلى الإسلام " أو العربده و الفسق ، لا يهم ، هذه قضيه أخرى . و لكن أصل المطلب هو عداله الحرب من حيث أنها إعمال لنفس السبب الذي أقام الدوله القائمه عليها . ثم عندما تقارن حال دول المسلمين بدول غيرهم إلى زمان العثمانيين في نهايه القرن الماضي ، تجد أنه في الغالب الأعم ، تحديدا في أول ألف سنه أو يزيدون ، لم تكن هناك دوله على وجه الأرض أفضل من دول المسلمين في شتى المجالات ، و لكن هذا لا يزيد أو ينقص من القاعده المذكوره آنفا . فتدبره .

خامسا { لا إكراه إلا لمن له إراده ، و الجماهير و العامه لا إراده لهم ، و إنما إرادتهم تابعه لإراده الخاصه بكل طبقاتهم ، و لذلك الحرب الحقيقيه فكريا و عسكريا هي حرب الخواص مع الخواص ، و إنما يتسلط أو يبقى الخواص بالقوه ، هذه قاعده مطلقه }

الديمقراطيه - أي سلطه العوام و الجماهير - خرافه ، لا يوجد مثقف يحترم نفسه و الآخرين يذكرها و هو جادّ اللهم إلا إن أراد أن يدغدغ عواطف القراء و المشاهدين من الضعاف . و كلما اعتقد المجتمع أنه ديمقراطي ، كلما دل ذلك على أنه لا إراده له البتّه . هذا من الناحيه السياسيه .
و أما من الناحيه النفسيه و السلوكيه و الثقافيه ، فها أنت ترى شعوب الغرب مثلا- و قل مثله في الشرق ، غالبيتهم لهم نفس الأفكار ، نفس القيم ، يلبسون نفس " الملابس الرسميه " ، يعملون تحت نفس المبادئ العامه و القوانين . فهل يوجد محترم لنفسه يدعّي أن كل هؤلاء الملايين المملينه من البشر " فكروا منطقيا و بحريه " و توصلوا إلى نفس هذه النتائج المشتركه ، بدون أن يكون هناك أن موجه لهم . الشعب يُبرمج في المدارس الموحده (تنبيه : أول من أقام هذه النظم المدرسيه الموحده و فرضها على الناس و جعلها باسم الحكومه و احتكر الدراسه فيها هم أهل بروسيا و لكن أول من قام بها رسميا و شاعت من بعده في العالم بنحو قبيح كما هو الحال الآن هم الأمريكان في حدود سنه ١٨٥٠ ، و كانوا يجبرون الأهالي على إخراج أبنائهم إلى هذه المدارس بالسلاح و العسكر ! نعم لا مبالغه ، ادرس تاريخ هذه المدارس لتعرف السواد الكامن فيها). ثم الشعب يتم توجيهه بالأفلام و البرامج التلفيزيونيه و الراديو و كل هذه التي مهما اختلفت ألوان ما تعرضه إنما تعرض نفس المبادئ الكليه و لكن في صور متعدده . أليس من " الصدف " أن الكثير جدا من الأفكار التي تسمعها من الناس في بلادنا ، و التي يظنون أنهم - بكل أمانه مع أنفسهم و حسن نيه - قد وصلوا إليها " بتفكيرهم الحر " ، بالرغم من أنها - و من حيث لا يعلمون - هي هي الأفكار التي كانت تقال قبل مائه سنه و مائتين سنه من قبل أعداءنا لمحاوله صرف الناس عن رؤيتها و منهجنا و ميراثنا و قوتنا . هل من الصدفه أن كل " مفكر حر " تقريبا في هذه الأزمنه التعيسه يقول أفكار من قبيل " الحقيقه نسبيه

" و "السلف فكروا حسب أرضيتهم المعرفيه و نحن لنا أرضيه معرفيه أخرى " و "كل ما لا تثبته التجربه الماديه فهو غير علمي " و "لماذا تعدد الزوجات ؟ لماذا قطع يد السارق ؟ لماذا ضرب الزوجات ؟ ...الخ " من نفس الكلام المكرور بلا ملل ، و غير ذلك من نفس العبارات بالنص و الفص ، هل كل هؤلاء " الأحرار " فكر كل واحد منهم في زاويه بيته و توصلوا إلى نفس الاعتراضات السخيفه التي كان يقول و لا يزال يقول بها أهل الغرب و الصلب . هل كل الذين يقبلون قضيه متعلقه بعلم الأحياء و البيولوجيا مثل " التطور الدارويني " درسوا علم الأحياء و حققوا المسأله فعلا . هل كل شيوعي من المليار شيوعي الذين أخذوا بنظريات الشيوعيه درسوا علم الاقتصاد كما فعل السيد محمد باقر الصدر رحمه الله و وازن بين الاقتصاد الرأسمالي و الشيوعي و الإسلامي ثم قرر رأيه و قناعته . هل و هل و هل من الأسئله التي لا نهايه لها و لا جواب عليها إلا جواب واحد : الخاصه - القله - النخبه تقرر ، و العامه الكثره الجمهور يتقبل ، عاجلا أم آجلا ، واعيا أم مخدوعا (اقرأ كتاب Manufacturing consent ل نوام تشومسكي للاستزاده حول قضيه حريه الشعب الأمريكي خصوصا و مدى الديمقراطيه فيه فعليا على الأرض) . فلنترك الخرافات . الخاصه تقرر ، و العامه تتبع . هذه هي السنه على طول الزمان و لم تتخلف إلى يومنا هذا . و ما خرج من العامه من يريد أن " يحرر العامه من نير النخبه " إلا بأن صنع لنفسه نخبه خاصه لتحمي العامه من الخاصه ! " و لات حين مناص " .

فلذلك ، كانت الدول في الماضي علنا ، و الدول في الحاضر علنا أحيانا و في الخفاء أحيانا كثيره ، لا تبالي برأي العامه (على فرض أن لهم رأي أصلا) ، و إنما تنظر فقط في الخاصه على المستوى العلمي و الحكمي، أي النظري و العملي إن شئت ، فتحارب فكريا و تحارب عسكريا ، فمن انتصر ملك ، و من انهزم هلك . و لهذا كانت دول المسلمين تحارب فكريا و عسكريا في الماضي ، كما كان أعدائها يحاربونها على نفس النسق ، فهذه كانت حقائق معلومه و مقبوله على العموم ، و ليست أمرا يغفل عنه الناس أو يحاولون أن يتستروا عليه كما يفعل معظم الضعاف اليوم . و لكن ، هل هذا يعني أنه يجوز لعصابه أيا كانت أن تخلق فوضى في أي بلد؟ الجواب : كلا بالقطع و الجزم كما بيّنا في النقطه الأولى . بعد قيام دوله معتبره ، يجب أن يسعى العامه للاستقرار ، كما الخاصه بحكم الطبع . و بعد أن انفصلت خلافه العلم عن خلافه الحكم في المسلمين لأسباب ليس هنا محل بسطها ، صارت خلافه العلم و ملك القلوب للعلماء و الأولياء المعنويين ، و صارت خلافه الحكم و ملك القوالب للأمراء و الأولياء الإداريين بشرط التزامهم بأوامر العلماء و توجيهاتهم وهو ما كانت تفعله و لا زالت و لن تزال تفعله أي دوله مسلمين . و أي فرد أو جماعه يخرجون على هذه الدوله للتغلب بالنار ، فليس لها إلا النار أو تتوب . ثم الله يجعل الأيام دوله بين الناس . الدوله الضعيفه تذهب ، و القويه تقوم ، حتى يأتي أمر الله " و يومئذ يبلس المجرمون " .
هذه خطوط عريضه لرسم ملامح واقعيه لقضيه الدول و الحروب . و الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

....

(أمثلة على تدخل الصليبي و الغربي فيما لا يعنيه)

الأمثلة كثيرة , نختار منها ما اعتادوا على الدندنة حوله و تكراره على مر السنين و لا زالوا :

1. قضية عمر عائشة عند الزواج .

أولا , عائشة نفسها لو كانت حية اليوم و سمعت توسل هؤلاء بقضيتها للطعن على السيد عليه السلام للعنتهم لعنة تنتهي بهي إلى جهنم . و لا عائشة و لا غيرها وكّل هؤلاء السفلة للكلام في قضايا و "الدفاع" عنها في شيء .

ثانيا , أبو عائشة و أمها و قبيلتها كلهم كانوا أحياء وقت زواجها , و كلهم كانوا راضين , و ليس بعد قولهم قول . و أبوبكر لم يكن شخصا مستضعفا سرق السيد عليه السلام منه ابنته و العياذ بالله , أو نحوه , بل تشرف هو و كل قبيلته إلى يومنا هذا بهذا الزواج , ثم آل أمره إلى أن كان أول الحكام بعده عليه السلام .

ثالثا , على مقاييس الغربيين الذين يرون أن " لكل زمان قيمه التي تجوز فيه " فإن عدم استشناع أي أحد لهذا الزواج في ذلك الزمان , حتى إننا لم نسمع و لا من مشرك أي كلام في هذه القضية – حتى جاء أشباه الرجال ممن لا خلاق لهم و تكلم فيها في هذه الأزمنة التعيسة . فإذن , أقل ما يقال حسب معايير الغربيين هو : ذلك الزواج كان مقبولا في ذلك الزمان و لا يحق لنا أن ننظر فيه بعين زماننا . و لكن لم يستعملوا أصولهم لأنه – و كعادة قيئ جهنم – حقدهم و سفالتهم تعمي و تصم .

رابعا , عائشة – و بفضل زواجها هذا – كانت بلا استثناء و لا مقارب أقوى امرأة في العالم الإسلامي في زمانها , و عندما نقول " في زمانها " يجب أن تضع في بالك أن قوة أهل زمانها كانت بحيث أنهم في ظرف أقل من قرن من الزمان خرجوا من الحجاز الشريف و وصلوا إلى الصين من طرف و إلى المغرب الأقصى من طرف آخر . بل كانت قوتها بحيث أن عثمان بن عفان – الذي كان يحكم ممالك لا يوجد اليوم على وجه الأرض من له نفس سلطته – حين كان يجلس في مسجد الرسول عليه السلام , و بعد أن وقع خلاف بينه و بين عائشة في قضايا , كانت عائشة تسبّه علنا و تحرض الناس عليه بدون أن يستطيع أو يرغب عثمان حتى في أن يرد عليها ردا مؤذيا فضلا عن أن يتعرض لها بسوء, و هو نفس عثمان الذي كانت جيوشه تهز الأرض في آسيا و أفريقيا فتأمل . بل قادت عائشة جيشا – و لا نعرف حادثة شبيهة في ذلك الزمان بل و إلى زمن قريب – مماثلة لها من كل الجهات , في معركة الجمل المعروفة و وقفت بوجه الإمام علي عليه السلام , لم تخشى من مواجهة جيش علي الذي وضع جيوش العرب تحت أقدامه . بالإضافة إلى كل هذا الذي يمكن تسميته نفوذ اجتماعي و سياسي , فإن عائشة أيضا راوية لأكثر من ألفي حديث , و كانت تحفظ آلاف أشعار العرب , و كانت في العبادة كما يعرفه أصحاب الاطلاع . هذه عائشة بعد أن تزوجها النبي عليه السلام , و هذه هي القوة التي استمدتها منه . قارن هذا الحال

مع الغالبية العظمى من أشباه النساء الذين " يدافعون " عن عائشة أو يستعملون حالها كنقد لنا , و هم حفنة من الإناث الذي سيهلكون – كما هلك الذين من قبلهم – و يدسون في التراب و لا يذكرهم أحد بعد ذلك , و أما عائشة فإلى اليوم يوجد من هو على استعداد أن يقتل من أجل أن يدافع عن كلام خرج منها أو ضد من يتعرض لسمعتها بسوء – و إن كان هذا من المبالغة و لكن أظن النقطة واضحة .

خامسا , اختلف علماء الملة منذ القديم في عمر عائشة و هو خلاف معروف , فبعضهم يأخذ بظاهر رواية تقول أنها تسعة , و بعضهم يجمع بين الروايات و يخلص أنها ثمانية عشر , و بعضهم يجمع و يستنتج أنها في الخامسة عشر . فحتى القضية ليست حاسمة حتى يُبنى عليها أي شيء ذو بال . هذا من جهة . و من جهة أخرى , فإن تحديد "العمر المناسب للزواج" في تلك الأيام السليمة العقول لم يكن اعتباطيا (فما معنى 18 أصلا !) و لكن كان بناءا على معايير طبيعية , فالرئة حين تصبح قابلة للتنفس تتنفس , و الأعضاء التناسلية حين تصبح قابلة للعمل تعمل , و هكذا ففي حكم الطبيعة الأرضية تحديدا القاعدة هي : حين تعمل يجوز إعمالها . و حين يصل الرجل إلى سن البلوغ , و كذلك المرأة , فإن الجسم يعمل , و بالتالي يجوز أن يعمل . و لذلك مثلا , في الهند و منذ ألاف السنين , العادة في بعض المناطق أن يتم تزويج الذكر حين يبلغ مباشرة و كذلك المرأة (غاندي على سبيل المثال تزوج و هو في سن الثالثة عشر على ما أذكر , و زوجته في التاسعة , بل كثير من أهالينا تزوجوا في سن صغيرة و كذلك في المجتمعات اليهودية التقليدية كما هو معروف) . و أما أن يقال : يجب أن ينتظر الأهل حتى يبلغ الصبي أو الفتاة إلى سن تستطيع فيه أن "تختار" بوعي شريكة حياته ...الخ . فهذا التفكير الصبياني لم يكن يأخذ به رجال عصور القوة . فضلا عن أن إعمال نفس هذا المنطق الصبياني يقتضي أن لا يجوز تزويج الإنسان إلا بعد أن يبلغ الثلاثين , و أين تعرف شابا في الثامنة عشر اليوم له عقل كاف لاختيار " شريكة حياته " بالمعنى الصبياني السابق ؟ بل في هذا الزمان التعيس لعل الأربعين ليست كافية لتحديد مثل ذلك , و لعل هذا هو معنى قول مولانا أبو حنيفة " قد يبلغ الرجل الأربعين و لم يبلغ سن الرشد بعد " . عدم ثقة الأبناء باختيار الآباء لهم هو سمة من سمات عصور الظلام الحديثة . و أما في عصور القوة و الأدب – كما كان الأمر إلى عهد قريب جدا – فإن الابن يثق باختيار الأب و الأب يحدد التوجه العام للابن حتى يستطيع أن يستقل بنفسه بعد أن تصقله التجارب . و لذلك – و قبل بضعة عقود فقط و تستطيع أن تسأل والديك أو جدك إن شئت – كان سن العنوسة بالنسبة للمرأة هو العشرين ! عندما تكون العنوسة في العشرين , فهذا يعني أن القوة تبدأ حين البلوغ أو بعده بقليل , و لذلك الكثير من جداتنا تزوجوا في سن قريب من العاشرة

و الثالثة عشر , و لا تقارن "ثالثة عشر" مثلا التي لفتيات اليوم بتلك , كما أنك لا تقارن سابعة عشر الصبي بسابعة عشر اليوم , لأن سابعة عشر في عصور القوة عمر كاف لأن يكون الرجل عموما صاحب حرفة و أسرة أو طالب علم جاد وصل مرحلة جيدة في التحصيل (ابن سينا على سبيل المثال في سن الثامنة عشر كان راسخا في ثماني علوم و صاحب حرفة طبيب يداوي سلطان زمانه و يرجع إليه الأطباء الكبار للتعلم منه و قراءة الطب عليه , فتأمل) . فالحاصل , تحديد السن المناسب للزواج , و كيفية إقامته و باختيار من , يختلف حسب عصور القوة و الضعف , و الحيوية الطبيعية و الموت أو الكسل , و غير ذلك من عوامل .

سادسا و نختم , طالما أن عبارة " التحرش بالأطفال " (هذا التشبيه المريض الغبي) يتم ذكرها في هذا السياق , تعالوا ننظر في بعض الاحصاءات الغربية الواقعة فعلا (و ليس بالتشبيه الحاقد) عندهم , و أذكر لك بعض المعلومات السريعه في صوره ملاحظات (كلها منقوله إلا إن ذكرت قبلها " أقول ") :

أ- في استراليا ، اشتهاء الأطفال و التحرش بهم بلغ ٢٠.٥٪ في الفتيات ، ٧.٥٪ في الفتيان . أوربا ، ١٣.٥٪ للفتيات ، ٥.٦٪ للفتيان . أمريكا الجنوبيه ١٣.٤٪ للفتيات ، ١٣.٨٪ للفتيان . اَمريكا الشماليه و كندا ٢٠.١٪ للفتيات ، ٨٪ للفتيان . و حسب إحدى الدراسات فإن الاعتداء الشهواني على الأطفال شائع في أمريكا و أوروبا ، و تقول بعض الأبحاث أن ١٥-٢٥٪ من النساء ، و ٥-١٥٪ من الرجال تم الاعتداء عليهم بذلك حين كانوا أطفالا . و في بريطانيا ، النسب هي ٥٪ للفتيان و ١٨٪ للفتيات ، و في سنه ٢٠٠٩-٢٠١٠ تم تبليغ الشرطه البريطانيه ب ٢٣ ألف حاله . و في أمريكا في سنه ٢٠٠٥ فقط تم البلاغ عن أكثر من ٨٣ ألف حاله . و الاحصاءات أظهرت أن خمس أو ثلث نساء أمريكا و أوروبا تعرضوا لهذا الاعتداء أثناء طفولتهم بصوره من الصور . و هذا فقط ما تم التبليغ عنه ، و لكن البعض يقدر أن ٤٠٪ إضافيه لم يتم التبليغ عنها .

ب- ١.٢ مليون طفل يتم استغلالهم سنويا ، سواء للعمل في مصانع أو للذه الشهوانيه أو للعسكريه أو في أعمال المخدرات أو للشحاذه . و في الصين مثلا يوجد ظاهره "أكل" الأطفال بسبب جوع الكبار .

ج- من القضايا المعروفه في الغرب هي " تعيين سن الرشد " بتعبيرنا ، أو **Age of Consent** بتعبيرهم :

في بريطانيا ، سنه ١٢٧٥م كان السن ١٢ ! ثم ارتفع و نزل حتى وصل إلى ١٦ في بريطانيا و استكتلندا . و السبب الأكبر الذين كانوا ينظرون إليه هو السن المناسب ليختار الشخص إن أراد أن يكون لوطيا حرا أو واعيا بحيث يتجنب الحمل المبكر أو الأمراض ، أقول: لاحظ هذه العلل التي كانوا يفكرون على أساسها . و في سنه ١٩٧٤م قامت حمله لوطيه معروفه لجعل سن الرشد يستقل عند ١٦ و لكن جواز أن يكون ١٢ " بشرط أن يثبت المتهم في القضيه وجود قبول معتبر عند الطرف الآخر " . و في سبتبمر من نفس السنه ، جمعيه اصلاح القانون الجنسي اقترحت أن يكون سن الرشد عند ١٤ و لكن إن كان العمل الجنسي بين طرفين أحدهما تحت ١٨ سنه يجب أن يثبت الطرف الراشد منهما وجود قبول معتبر عند الطرف الآخر و يقع عليه عبء إثبات ذلك . في ١٩٧٦ م قامت جمعه " الحريه " بالدعوه إلى أن يصبح سن القبول ١٠ ، و لكن فقط بشرط أن يكون كلا الطرفين تحت سن ١٤ مع السماح بسنتين على الهامش إن كان أحد الأطراف أكثر من ١٤ و تحت ١٦ (أقول : على كيف أبوهم القوانين و تحديد الأعمار المناسبه للتزاوج كما ترى إلا أنهم رضوا بتقليله إلى ١٠ ، بغض النظر عن الشرط الخرائي الذي اختلقوه من عند أنفسهم ، و أسلوب تفكيرهم خاطى من الأساس - كمعظم التفكير الغربي - الذي يفكر بالكمّيات و ليس الكيفيات ، فتنبه لهذا المعنى) . مع العلم أن الهدف النهائي لكل هذه الأبحاث و الدعوات هو حمايه الطفل من الاستغلال الشهواني السئ . فهذه هي غايتهم و الباقي وسائل .

في روسيا ، كان سن القبول و الرضا قبل ٢٠٠٢ م عند ١٤ ، ثم رفعوه إلى ١٦ .

في أمريكا - تأمل جيدا الآن - ، في سنه ١٨٩٠ م كثير من الولايات كانت تحد سن الرشد و القبول عند ١٠ . نعم ، (١٠) ! . بل أزيدك ، في ولايه ديلوير ، كان السن (٧) !! ثم مع الحركات الاجتماعيه المتعدده تم رفعه إلى ١٦ ثم إلى ١٨ بحدود سنه ١٩٢٠ م . مما يعني أن أمريكا عموما قبل ما قبل مائه سنه من تاريخها ، كان سن القبول فيها في كثير من الولايات ما بين ٧ إلى ١٠ أو حول ذلك . لا أقول قبل ألف سنه ، بل قبل مائه سنه فقط ، يعني بعض الشيوخ الأحياء اليوم شهد تلك الفتره . في ولايه جورجيا إلى سنه ١٩٩٥ و ولايه هاواي إلى سنه ٢٠٠١ كان سن القبول هو (١٤) فقط . و باقي الولايات تقع ما بين ١٥ و ١٨ .

في كندا ، في سنه ١٨٩٠ م كان سن الرضا (١٢) ثم رفعوه إلى ١٤ ثم إلى ١٦ في سنه ٢٠٠٦م.

في هولندا ، إلى سنه ٢٠٠٢ فعليا ، سن الرضا كان (١٢) . و كانت تشترط شئ من إذن الأهالي في بعض الحالات إن كان سن الطرف ما بين ١٢-١٦ درءا لسوء الاستغلال .

المضحك في الأمر ، أنه يوجد في أوروبا و أمريكا حركات علنيه تدعو إلى إلغاء كل قيود على سن الرشد ، بدعوى أن الصبي " يمكن أن يظهر قبوله حتى في صغر سنه " ! بالمناسبه ، أصحاب هذه الحركات ليسوا في السجون - إن كنت تتساءل عن مصيرهم .

في أوروبا عموما ، يقع سن القبول اليوم ما بين ١٤- ١٨ . و أما حسب تاريخ القانون في هذه المسأله في الدول الأوروبيه المختلفه ، فقد كان سن القبول في بعضها ١٢ . في فرنسا مثلا في سنه ١٨٣٢ كان السن ١١ ثم بعد ثلاثين سنه أصبح ١٣ ، هذا للواط ثم بلغ - أيضا للواط - في سنه ١٩٤٢ إلى سن ٢١ ، بينما بقي بالنسبه للمستقيمين (١٣) . ثم زاد إلى ١٥ ثن إلى ١٨ ، ثم تم تنزيله في سنه ١٩٨٢ إلى ١٥ .

و حتى لا نطيل أكثر من هذا نتوقف عند هذا الحد . فالحاصل ، أنه و حتى وقت قريب كانت توجد بلدان غربيه أوروبيه و أمريكيه تجعل سن القبول من ٧ إلى ١٠ إلى ١٢ . ثم أصبح الأمر يدور اليوم بين ١٤-١٨ . و أخيرا ، يوجد جماعات و حركات غربيه بحته تدعوا إلى إلغاء سن القبول بالمره . مع العلم أنه لا يوجد أحد من هؤلاء مسلم ! بل كلهم إما صليبيين و إما ملاحده حداثيين فتأمل .

د- في العقود القريبه و في أيامنا هذه ، يوجد هستريا جديده في الغرب حيال قضيه الاعتداء الجنسي على الأطفال في مراكز رعايه الأطفال في النهار **Day Care centes**. و لا نريد أن نفصل و نزعج أنفسنا أكثر من مجرد ذكر هذه المسأله القبيحه .

هاَ- ثم توجد قضيه صليبيه بحته ، و هي سلسله الاتهامات و التحقيقات ضد قضايا اعتداء أعضاء الكنيسه الكاثوليكيه على أطفال جنسيا ، عمرهم يصل بين ٣ سنوات ، و غالب القضايا ما بين ١١-١٤ . و وصل حجم المتهمين في الخمسين سنه من منتصف القرن المنصرم إلى ٣٠٠٠ قس .

و- ثم توجد قضيه اليهود الاورثودكس في بروكلين نيويروك التي تبين فيها وقوع اعتداء جنسي من الحاخامات على ١١٧ مراهق ، و انتهى الأمر إلى سجن ٨٥ من الرابايز .

ز- و أخيرا لنقفل هذا الملف العفن ، يوجد من "أطباء النفس" من يسعى إلى جعل اشتهاء الأطفال مجرد **Sexual Orientation** ليصبح شئ طبيعي مثله مثل اشتهاء النساء .

أقول : بعد كل هذا , يأتي بعض التافهين الحداثيين أو أشباه قوم لوط من الصليبيين و يظنون أن لهم في قضية زواج عائشة مدخلا علينا في شيء , " أنّا لهم التناوش من مكان بعيد " . انشغلوا بأنفسكم و بلادكم و لا تتدخلوا فيما لا يعنيكم .

...

2. تعدد زوجات و جواري السيد عليه السلام .

أولا , أما الرد على الصليبيين فخلاصته , أنتم تقرون أن ابراهيم في الجنة , و ابراهيم كان معددا و عنده جارية حسب كتبكم . بل تقرون أن داود و سليمان أيضا من المرضيين مع كون الأول عندكم كان تحته ثلاثمائة امرأة و الثاني ألف . فلا حجة لكم , و لا أقل أن قضية التعدد ليست مفصلية في نجاة الإنسان حسب مبانيكم , فالسكوت من ذهب . أما الرد على الغربيين الحداثيين , فأي فرق عندكم في أن يكون الإنسان معددا أو لا و أنتم ترون أن لا قيمة لكل هذه الأديان أصلا , بل أنتم أفسق مجتمعات معددة عرفها التاريخ , هل يجوز أن يكون للإنسان ثلاثين "صديقة" ؟ نعم . هل يجوز أن يكون للإنسان ثلاثمائة عاهرة يدفع لها و يأتون إليه دفعة واحدة ؟ نعم . هل يجوز أن يكون للرجل ثلاثين "صديق" لوطي؟ نعم . هل يجوز للمرأة أن يكون لها ثلاثمائة "صديقة" سحاقية ؟ نعم . هل يجوز أن لا يبالي الشخص بكل هؤلاء و يبدلهم حسب هواه , و لا ينفق عليهم , و لا يتحمل مسؤوليتهم , و إذا مات لا يورثهم شيئا ؟ نعم . طيب , هل يجوز له أن تكون له امرأتين يعليهما و ينجب منهما و ينفق عليهما و يتحمل مسؤوليتهما ؟ ...لا , نعوذ بالله من الوحشية البربرية! أظن النقطة واضحة . هؤلاء السفلة ليسوا حجة في شيء من هذه القضايا بحال من الأحوال .

ثانيا , نرجع إلى معيار " تبدل الأحكام بتبدل الأزمان " الذي يرددونه كثيرا , و نقول : في تلك الأزمان هل كان الشائع بين الكبراء و الحكام التعدد و اتخاذ الجواري أم لا , و تحديدا في العرب ؟ الجواب المعروف هو أن الشائع و بالتالي المقبول هو التعدد . إذن , على مبانيكم لا حجة لكم في هذه القضية .

ثالثا , حسب طبيعة الرجال و نفسيتهم , و الظاهرة حتى يومنا هذا , هل يفضل الرجال عموما التعدد أم لا ؟ و الجواب أيضا واضح ومعروف و أصبح القول بأن "monogamy is un-natural" من الكلام الدائر على الألسنة في أوروبا و أمريكا . يعني لفوا و داروا و رجعوا لكلامنا . مع الفرق الشاسع أنهم تطرفوا في هذا المعنى و اتخذوا التعدد لهوا محضا و بلا تكوين

أسر و لا نية ذلك , أو لا اقل أجازوا ذلك قانونا و عرفا . و إن كان الخنازير ليسوا حجة لنا في شيء و لكن نذكر هذا الكلام من باب جواب الدفع و النقض . و أما ما يقولون عنه " المساواة بين الرجل و المرأة " فنتركه لهم ليلوكوه بألسنتهم كما كانوا يلوكون قضية عدم التعدد حتى لفظوها من فمهم شر لفظة .

رابعا , نرجع إلى الأحكام الطبيعية و المادية البحتة – أم يا ترى تريدون "الروحانية" المزعومة فقط حين تكون في صالحكم – نحن نعطي الجسم حقه في حدود طبقته و كذلك النفس و كذلك العقل الروحي . ماذا تقول طبيعة الأجسام ؟ صوتها واضح لمن يسمع . الغاية الطبيعية للجماع أو " الجنس " كما يسميه من لا يفقه العربية و يترجم من الاعجمية كالقردة , هو التناسل . لا يوجد حيوان محترم يفكر بالجماع كأصل إلا للتناسل , و أما التواصل و المتعة فهي بوابة التناسل من جهة و كذلك فرع ثانوي يجوز أن يُطلب لنفسه بشرط استيفاء الأصل , و لكن يبقى الأصل للتناسل و ليس للتواصل مع اعتبارية التواصل المحض حسب مرتبته . فلننظر في جسم الذكر و قابليته للتناسل , و كذلك في جسم المرأة. اليوم رقم واحد في السنة , اجتمع ذكر و أنثى , حملت الأنثى و تبين حملها بعد شهر أو شهرين . الآن لمدة تسعة أشهر – و فترة الراحة بعدها – جسم هذه المرأة يؤدي وظيفته الطبيعية و تحقق دورها كأم والدة (هذا الدور المحرومة منه الكثير جدا من النساء بحكم " التطور " الذي وصلوا له !) . لا يمكن أن تحمل مرة أخرى . الرحم مشغول .
فماذا يعمل الرجل بعد ذلك ؟ هل جسمه سيتوقف , أم أنه طبيعيا لا يزال قابلا للتخصيب ؟ واضح أنه الثاني , و كلما كانت حيوية الإنسان أقوى كلما كان أرسخ (أيضا حيوية الكثير من الرجال لا تعمل في هذا المجال بحكم "التطور" مع الأسف, و نوشك أن نصبح مجموعة من الأغوات بسبب التطور) . فطبيعيا , المرأة إن افترضنا حملها في اليوم الأول من السنة, فإن تخصيب أي رجل لها على مدار السنة تبذير من حيث التناسل – و إن كان مقبولا من حيث التواصل طبعا . و أما الرجل , فإن جسمه لا أقل إن كان متوسط الحيوية يستطيع أن يخصب مائتين مرة في السنة .
أقل ما يستنبط من هذه الحقيقة المعروفة هو التالي : التعدد طبيعي للرجل الحيوي . و أما المناقضة بالقول " و ماذا عن المرأة فهل يجوز لها أن تعدد أيضا ؟ " فمجرد قول جدلي , و ليس هنا محل تفصيله .

خامسا , في عصور القوة و النشاط الحيوي و السلطنة , فإن العمل الأساسي للدول القوية هو التوسع العسكري . و التوسع العسكري أو الدفاع عن المناطق ضد من يريد التوسع من قبيل دفاع العراقيين ضد رعاة البقر أو دفاع الأفغانيين مثلا , يقتضي نسبة عالية من التوالد , لا يوجد

" واقي " و كيس بلاستيك يخنق به الرجل قابليته على التخصيب , بل التكاثر الحيوي شرط ضروري بالنسبة لمن يريد التوسع أو الدفاع أو كلاهما . و التاريخ العسكري للدول منذ أقدم الأزمنة المعروفة كله إما توسع و إما دفاع و إما كلاهما تحديدا بالنسبة للدول التي تملك ما يستحق الحياة فيه أو الاستحواذ عليه . و تيسير صلة الرجل بالمرأة , و كذلك إباحة التعدد , وسائل تحقيق ذلك , و لذلك شرعها الأصل النبوي- ضمن أسباب باطنية أخرى لسنا بصددها- و سارت عليها الأمة في عصور قوتها فكانت ما كانت . و ليس لعصور الضعف الحق في تقييم عصور القوة , بل كل ما عليهم أن يقوموا به إن عقلوا هو التعقل و التقليد .

سادسا , عن إجازة وجود عبيد و إماء نؤجله لفقرة مستقلة لأنه أيضا من المكرور الشائع المملوء بالمغالطات .

فالحاصل , التعدد طبيعي حسب الطبيعة البحتة , و سبب لمصالح ظاهرية متعددة , فضلا عن الباطنية و هذه يعرفها أهلها . و مرة أخرى – و ما أكثر المرات – يحسبون أنهم على شيء و هم على شفا جرف هار .

...

3. مؤسسة العبيد و الإماء .

أولا , الكلام عن هذه القضية و كأن هذه المؤسسة ابتكار عربي أو اسلامي – أو حتى التمليح إلى ذلك في عرض الكلام- هو المغالطات الشائعة بل التي تدل – ضمن شواهد كثيرة – على مستوى القوم . هذه المؤسسة كانت قبل ظهور أمتنا بآلاف السنين , و ظلت بعدها كذلك و لم تُلغى صورتها الظاهرة إلا قبل عقود معدودة من الزمن . و أقول "صورتها الظاهرة" لسبب ستعرفه بعد قليل إن شاء الله . فإن كنا سنتحدث بمعيار الملل , فكل الملل أباحت ذلك أو كان موجودا بنحو أو بآخر في البلاد التي قامت عليها هذه الملل . و بالتأكيد لا يحق بالأخص ليهودي أو صليبي أن يفتح فمه في هذه القضية , و أخص الأخص الصليبي الأمريكي و الذي لم يتجاوز محض العنصرية ضد السود حتى يومنا هذا , بينما استطاع سيدنا عليه السلام – في ظرف عشرين سنة – أن يرفع بلال الحبشي فوق الكعبة أمام حشود الجاهليين الذين كانوا يحتقرون السود . و الذي ينظر ما فعلته بريطانيا مثلا في الهند , و ينظر ما فعله الأمريكان بالأفارقة (و كان منهم ملايين المسلمين بالمناسبة) حين خطفوهم من أفريقيا بأقبح الطرق و نقلوهم عبر المحيطات بأقبح من أقبح الطرق فوق بعضهم البعض كأنهم مجموعه أسوأ من البهائم , ثم فعلوا بهم ما فعلوا مما

يعرفه كل دارس لتاريخ الأفارقة في أمريكا , ثم ما كان يُعرف ب " قانون لينش " و هو سفك دم السود من قبل جمهور همجي بطرق وحشية و لم يتم إيقاف اللينشينغ هذا إلا قبل قرن تقريبا , كل هذا و ما شاكله – و الأمريكان في ذلك الزمان يستعبدون السود باسم "الكتاب المقدس" كما هو معلوم و كذلك فعل أشباههم في جنوب أفريقيا – و هذا كله يعرفه صاحب الاطلاع المتوسط . كل هذا يرفع عن أي غربي أو صليبي أو يهودي أي حجية أو قابلية مشروعة لفتح فمه في هذه القضايا . و إنما نبيّن لإخواننا ليفهموا , أما قيء جهنم فنقول لهم " قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور " .

ثانيا , أيضا بناءا على معيار الحكم على كل زمان بحسب معايير ذلك الزمان , فإن الحجية تسقط بالكلية عن أي كلام في هذه القضية .

ثالثا , المقارنة السليمة يجب أن تكون بين كيفية تعامل اسلافنا الكرام مع العبيد , و بين كيف كان يعاملهم من سواهم , فإذا قارناهم مثلا مع الأمريكان , فيجب أن تقع المقارنة بين حال العبيد في دول المسلمين و بين حالهم في أمريكا حتى ايام ابراهام لنكون , أو في بريطانيا عبر تاريخها كله حتى نهايتها , و هكذا . و أما مقارنة حال العبيد في تلك الأزمنة بحال " الأحرار " في أيامنا هذه , فهذا قياس مع الفارق الكبير جدا (من النوع "الحالم" حسب الطبقات الثلاث لأهل القياس) . قس العبيد على العبيد , و الأحرار على الأحرار . هكذا تستقيم الأمور . و لنضرب مثالا من العبيد في القرون الثلاثة الأولى للمسلمين ثم ما بعدهم في حالات معينة(لأن القوم يرون أن العصر كلما كان أقدم كان أشد "تخلفا" حسب رؤيتهم للزمان) و بين العبيد في أمريكا الشمالية أو بريطانيا مثلا . سأذكر فقط ثلاث نقاط , إن استطعت أن تأتي بمثلها في تاريخ مؤسسة العبيد في أي أمة من الأمم فأرجوا أن تأتيني به و لا أظنك ستجده : كثرة الأسباب الشرعية لتحرير العبيد و السعي في ذلك و الحض عليه . كان من العبيد علماء و فقهاء يسمع السلاطين و الأمراء لهم أي سواء كان عبدا ثم تحرر أو حال عبوديته ثم وقوع تحريره بسبب علمه و استعداده للتحرر . و أخيرا المماليك في مصر و الشام , حكموا أهم مناطق العالم الإسلامي في القرون السادسة إلى التاسعة تقريبا , و كانوا ملوكا , و لن تجد أمة جعلت العبيد في حال كونهم عبيدا ثم بعدها ملوكا عليهم . فضلا عن الأمر بحسن التعامل العام معهم , حتى إن بعض كبار الصحابة يجلس وسط عبيده فلا يميزه الغريب عنهم . (و الأمثلة السيئة موجودة بالطبع و لكن الكلام عن كيفية أمر الشرع و ليس في كيفية تطبيق بعض العصاة) . بل كما هو معلوم , فإن في الدولة العثمانية مثلا كان من أهم و أقوى رجال العالم في ذلك الزمان من وزراء العثمانيين من

عبيد السلطان , و أحد أقوى الجيوش الذين عرفهم العالم – الانكشارية – كانوا عبيدا للسلطان . فالعبيد وسط المسلمين كان منهم علماء , فقهاء , وزراء , ملوك , فرسان , صوفية (الانشكارية كلهم صوفية بل الدولة العثمانية كلها تقريبا صوفية). كمل عبيد المسلمين أعلى في القيمة من أكثر "أحرار" الحداثيين . و سنرى الآن مدى هذه الحرية المزعومة إن شاء الله فارتقب . قارن هذا مع حال غيرهم فيما قبل الإسلام و بعده ثم انظر رأيك . هكذا تقاس الأمور. أما مقايسة أحرار المسلمين في عصور القوة مع "أحرار" الحداثيين في عصور قوتهم (مجازا) , فهو كمقايسة الكواكب بالعقارب , لا قياس أصلا .

رابعا , هل انتهى وجود العبيد في الغرب أو الشرق التابع له فعلا ؟ تعالوا ننظر .

1. بخصوص الإماء , و الذي يقال عنهم أنهم " أجسام تُشترى بالمال لشهوة الرجال " (مع أن الواقع أن تربية و ثقافة الإماء و الفنون التي كان يعرفها الكثير منهن تجعل المرأة الحديثة عموما إذا وضعت بجانبها تبدو و كأنها تصلح لأن تكون عبدة عندها – راجع المراجع التي تتحدث في هذا الشأن من كتب الميراث الشريف) , فالسؤال : هل يوجد نساء يشترون بالمال و تُستعمل أجسامهم للنظر إليها للشهوة و لذة العين ؟ أظن مجرد صياغة السؤال كشفت لك عن الجواب . هل تعرف أمة في التاريخ جعلت المرأة عموما فرجة للخاص و العام مقابل شيء من المال بل و بغير مقابل أيضا كما فعل الغرب الحداثي ؟ سمعت من أحد الحاخامات أنه في أيام التلمود – أي قبل الإسلام بقرون- كانت العاهرة في تعريف التلمود هي التي تخرج بين الناس و ذراعها أو قدمها من تحت مكشوفة ! حسب هذا التعريف , أين تضع نساء الأفلام و عارضات الأزياء ...الخ , بل أين تضع مؤسسة الأفلام الإباحية التي تكسب مليارات من الدولارات سنويا . ثم إذا عددت عدد العاهرات المعروفات (و كلامنا عن الغرب لا يعني عدم الوجود في الشرق , و لا أحتاج أن أعيد هذه العبارة لأن كلامنا أصلا للجواب عن صليبي أو غربي وقح يظن أن له الحق في التعليق على قضايانا و قيمنا) في أوروبا و أمريكا , و هؤلاء يباعون بالمال مباشرة و علنا , ثم عددت اشباههم الذين يقدون أنفسهم لصاحب المحفظة الأكبر (و هذا نمط شائع في النساء – و هو ليس عيبا محضا كما يظن الواهم) ثم عددت الممثلات الإباحيات الذين يبيعون أجسامهم و مشاهدة أجسامهم في أخص أعمالها للعامة و الجماهير (مقابل بضعة آلاف من الدولارات غالبا) , ثم عدد عارضات الأزياء الشبه إباحيات و عرض الأزياء كله

استئجار لجسم المرأة مقابل مال , ثم عددت المغنيات و الراقصات , ثم عددت ال strippers (كتبتها بالانجليزي لأنه لا يوجد في قاموس العرب مواز لهذه الكلمة لأنه لا يوجد عندنا مفهوم هذه الكلمة أصلا !) ثم عددت الإناث العاديات الذين يتقلبون بين أيدي الشباب للمتعة المحضة (أو هي تتخيل أنه "سيحبها" , مسكينة) , ثم عددت الذين يعملون " مساج اكسترا" (الشباب فاهمين) ثم جمعت كل هذا العدد من النساء الذين هم في حكم الجواري و في معظم الأحيان اسوأ من الجواري بمراحل لا تُحصى , كان الناتج عددا لا يوازيه كل أسواق بيع الإماء في شرق العالم و غربه (إسلاميه و غير إسلاميه) بل يتجاوز ذلك بمراحل لا تُحصى .

ب- ثم نأتي للظاهرة المعروفة في العالم اليوم و هي ظاهرة " الرقيق الأبيض" و هو بيع نساء و رجال و صبيان– نعم بيع نساء مخطوفات في أوروبا و أمريكا و الصين و حتى من بعض البلاد العربية كالعراق أحيانا, و بيعهن للدعارة العامة أو لملك أشخاص معينين . سأنقل لك بعض الأرقام حتى تعرف شيئا عن "مدى التطور" الذي وصل إليه العالم الحداثي بخصوص بيع النساء للشهوة :

أحد الأبحاث التي درست الحال في شتى البلدان - وصلت إلى ١٦٢ دوله - تقول أنه يوجد اليوم نحو ٢٩.٨ مليون إنسان مستعبد قهرا اليوم .

طبعا الكتاب الأمريكان و الأوروبيين الغربيين يسعون - كالعاده - إلى جعل معظم هذه في البلدان الشرقيه ، مع إقرارهم أنها موجوده في أوربا الغربيه و انجلترا و أمريكا الشماليه و الجنوبيه . و لكن الذي يهمنا هو الوجود ، و ليس مكان الوجود . و الذي يهمنا أيضا هو أنها غير منظمه - لأنها بيد عصابات و رأسمالي الغرب الذين يستغلون الأطفال و النساء في مصانعهم من أجل تقليل التكلفه لزياده الربح .

كذلك عدد النساء الذين يتم خداعهم أو شراؤهم للدخول في الدعاره عدد عظيم . لتقريب الصوره ، تقول الأبحاث أنه يوجد في العالم اليوم ما بين ٤٠ إلى ٤٢ مليون عاهره رسميه ، مليون منهم في أمريكا ، و غالبيه هؤلاء ال ٤٢ مليون - ثلاثه أرباعهم - أعمارهم بين ١٣ - ٢٥ سنه ، و ٨٠ ٪ منهم نساء ، مما يعني أن ٢٠٪ من هؤلاء العواهر رجال . في كتاب يتحدث عن العاهرات في العالم يضع الكاتب قائمه عدد

العاهرات في كل بلد تقريبا و متوسط سعر كل منها . و هذه عيّنه من تلك القائمه - مع العلم أنه يجعل عدد العاهرات في العالم على الأقل ١٣ مليون :

الصين : ٥ مليون عاهره ، ١٠٠-٤٠٠٠ $ ،

الولايات المتحده الامريكيه : مليون عاهره ، ٥٠- ١٠٠ $ لعاهره الشارع .

ألمانيا : ٤٠٠ ألف عاهره ، ٦٥$ في بيت الدعاره كمتوسط .

بريطانيا : ٥٨ ألف عاهره ، معدل ٢٣٠$ للساعه و ٢٠$ لعاهره الشارع .

فرنسا : ٢٠ ألف عاهره (فقط ! يوجد خطأ في الحساب بالتأكيد) ،..إلخ .

فإذن ، إن كان هذا هو الحال ، فأظن أنه لا يجوز لمثل هؤلاء أن يفتحوا فمهم على أي شئ يحدث في العالم في هذه القضايا ، فضلا عن أن يجعلوا من أنفسهم حكاما عليها .

خامسا و أخيرا ، بالنسبه للصليبيين تحديدا كالأمريكان ، فإن عدد العبيد الذين جاءوا بهم من أفريقيا يصل إلى ١٣ مليون ، مات منهم في الطريق ١٠- ٢٠٪ بسبب سوء المعامله و التنظيم . و كان معدل عمل العبد سنويا أكثر بثلاثه أضعاف من معدل عمل العمال في مصانع اليوم (عمل العبيد كان تحت الشمس ، و بدون زيت تشميس إن كنت تتساءل) .

فالحاصل ، مره أخرى ، السكوت من ذهب ، و الانشغال بعيوب النفس أولى من الانشغال بعيوب الغير ، و لولا وقاحتهم لما أردت أن أنفق عشره دقائق في النظر في أحوالهم الفاسده و تواريخهم الكاسده ، و نسأل الله أن يستيقظ و يستقلّ السفهاء عندنا بأنفسهم و يتحرروا في النظر في شؤونهم "ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا " .

...

(أشجار الأشعار)

أغراض الشعر عباره عن مناهج العقول في النظر في الأشياء . و أهم أغراضه هي : المدح و الهجاء و الفخر و الرثاء .

المدح كله - أيا كان الشخص موضوع المدح حسب الظاهر - إنما هو وصف الإنسان الكامل و الحاله العليا للوجود . فمثلا ، إذا قال شاعر عن شخص أنه كريم ، فلا تنظر إلى هذا الشخص و لكن انظر إلى صفه الكرم ، فلولا أن عقل الشاعر العربي يعتبر الكرم صفه كمال للإنسان لما قام بتنزيل هذا الوصف على الممدوح . و قس هذا المثال البسيط على كل الأوصاف المعقده في المديح العربي . مثلا ، حين يقول شاعر عن شخص أن الهلال حذاء تحت قدمه ، فإنه بهذا يصف حقيقه الإنسان الكامل الكامنه فوق مرتبه هذا العالم . و هكذا ، و إن أردت كنوز العرفان العربي فلا تقول "هذه مبالغه شعريه " أو نحو ذلك من أقوال الذين لا يعرفون حقيقه الشعر بل حقيقه العربيه . فالمدح إظهار الصفات النورانيه للوجود عموما و الإنسان خصوصا .

الهجاء - عكس المدح - و هو إظهار أوصاف الظلمات للوجود عموما و الإنسان خصوصا . و الهجاء ليس مجرد سب و شتيمه عشوائيه ، بل كل وصف هجائي هو تعبير عن رؤيه عقليه للكمال الوجودي و الإنساني ، و بناءا على هذه الرؤيه - و منطقيا لا يصح إلا هذا - يمكن اعتبار هذا الوصف أو ذاك ك "هجاء" و انتقاص من القيمه الوجوديه للشئ و نزول دركته في سلّم الخلق .

الأصل أن كل مدح مبني على صفه مُفاضه من الحق سبحانه على الخلق، لأن " لله الأسماء الحسنى " فكل وصف إيجابي في الوجود هو من الله "و ما أصابك من حسنه فمن الله " ، و لكن كل سمه ظلماتيه فهي للعبد "و ما أصابك من سيئه فمن نفسك " . و ذلك لأن الغنى ذاتي للحق ، و الفقر ذاتي

للخلق . و لذلك كل وصف هجاء فهو أصيل للمخلوق ، فهو تعبير عن الحاله الذاتيه للخلق بغير نظر إلى إفاضه الحق سبحانه عليه . بناء على ذلك ، كل مدح في المحصله هو مدح لله ، و لذلك كلمه "مدح" عندما تغيّر ترتيب حروفها تصبح "حمد" . و " الحمد لله " أي كل حمد هو لله حصرا ، حتى حمد المخلوق إنما هو حمد لله لأنه يحمد إفاضه الله على المخلوق في نفس حمده للمخلوق ، و قراءه أخرى لقوله "الحمد لله" هي أن الحامد لا يكون إلا الله ، لأن معرفه الصفه الايجابيه لا تكون إلا بصفه ايجابيه ، و بالتالي العين التي ترى الجمال هي بحد ذاتها تجلي من تجليات الجمال ، فإذن الحامد و المحمود و الحمد لله .

فحين تقرأ قصائد المدح ، فأعلى مستوى في تأويلها هو أن تنظر إليها كإظهار لكمالات الحق ، و حين تقرأ قصائد الهجاء فهي إظهار لفقر الخلق . " يأيها الناس ، أنتم الفقراء إلى الله و الله هو الغني الحميد " .

و المدح و الهجاء متعلق بنظره الإنسان لغيره . و لكن الفخر و الرثاء فهو نظره الإنسان لنفسه أو باعتبار نفسه . فالفخر شهود تجلي صفات الكمال في النفس ، و الرثاء هو شهود حاجه الإنسان للمرثي و كل الكمالات التي نقصت منه بسبب ذهاب المرثي و موته .

باب فهم الشعر : أن تحمل كلام الشعراء على محمل الجد .

باب قتل الشعر : أن تقول في تفسيرك لكلامهم " هذا من مبالغه الشعراء" و "هذا ضروره شعريه فارغه " و هذا " مجرد فن أدبي " (بالمعنى الميت للعباره) و نحو ذلك .

الشعراء ألسنه المعرفه العاليه ، و قد قالوا أن قلب الشاعر موصول بفطرته بالحق كأصل ، و حتى حين يكذب الشاعر يكون في كذبه حق من جهه من الجهات .

و يكفي الشاعر أنه يتحدث بلسان عربي فصيح ، و بكلام مليح ، و بإعراب صحيح ، و غناء يشرح صدر المهموم و يداوي آلام الجريح ، و يحفظ ثمار عقول العربي الصريح .

...

(لاحظ أسلوب العقل !)

بدأ سوء ظن الكثير من العرب و المسلمين بنفسهم قبل نحو مائتين سنه ، و اشتد قبل نحو مائه سنه ، و تفاقم قبل بضعه عقود ، ثم بدأت حدته تخف قليلا قبل نحو عشر سنوات . كل ذلك لعوامل لا نريد أن نطيل بتحليلها في هذا المقال . و لكن نريد أن نشير إلى معنى واحد منها و قس أنت الباقي .

الكاتب المعروف أحمد حسن الزيات ، صاحب مجله الرساله المعروفه ، و كان من أصحاب فتره اشتداد سوء الظن بالنفس و اللغه على ما كان فيه من إحسان . كتب هذه الفقره التي سأنقلها الآن بنصها إن شاء الله ، و تأمل في أسلوب التفكير فيها لتلاحظ كثير من أصول سوء الظن السخيف هذا .

كتب في كتاب " تاريخ الأدب العربي " التالي :

{ و جمله القول أن المجتمع العربي خارج القبيله كان مفككا من الجهات السياسيه و الاقتصاديه و اللغويه ، مرتبطا من الجهات الخلقيه و العقليه و الأدبيه .
و لو ساغ لنا أن نحكم على العرب بمقتضى لغتهم و أدبهم ، لوجدنا لهم نفوسا كبيره و أذهانا بصيره و حنكه خبيره و معارف واسعه ، كوّنوا أكثرها من نتاج قرائحهم و نتاج تجاربهم .
فإن لغتهم و هي صوره اجتماعهم ، لم تدع معنى من المعاني التي تتصل بالروح و الفكر و الجسم و الجماعه و الأرض و السماء و ما بينها إلا استوعبت أسماءه و رتبت أجزاءه . و وضع اللفظ للشئ دليل على وجوده و علمه .
و لعمري ما يكون التمدن اللغوي إلا بعد تمدن اجتماعي راق في حقيقته ، و إن لم يَرْقَ في شكله ، عامّ في أثره و إن لم يعمّ في أهله } .

أقول : هذا النص يكاد يلحق بالمعجزات من حيث اشتماله على الشئ و نقيضه في آن واحد ، و من تردد صاحبه بين إثبات الحقيقه الظاهره بالأدله اليقينيه و بين اضطراره لادعاء السخافات التي ادعاها " المتطورين المتقدمين" من الحاقدين الأجانب و الأعاجم . تأمل في ما سأذكره لك ، ثم أعد قراءه النص الزياتي و انظر ماذا ترى .

الماضي كله في حكم العدم . هذا يقين . نحن لا نعرف ماذا حدث قبل ساعه واحده مما هو خارج عن حواسنا الخمس إلا بقرائن و أدله لاحقه تدل عليه ، فضلا عن ما حدث قبل آلاف السنين . و بالتالي ، القيمه كل القيمه هي للدليل الحاضر و الأثر الباقي من الشئ . فالحجيه الكبرى للدليل القائم ، لا غير .

و بالتالي ، كيف تستطيع أن تعرف مدى تمدن و تقارب و رقي عقليه أي جماعه - بل حتى الأحياء منهم ؟ الجواب كما ذكره الزيات رحمه الله نفسه . و هو النظر في { لغتهم و أدبهم } . و أما اختيار السكن في حجاره أو خيام فهو خيار ثانوي و هامشي . قيمه الإنسان تتحدد بعقله و روحه و مستوى نظره و لغته . و لذلك حتى بين الأحياء اليوم أنت تنظر في مدى قيمه الإنسان عندك بحسب ما تظهر منه من مواهب في ذاته ، و قد ترى إنسان يسكن في أفخم حجاره و لكنه سافل و تافه بل يستحق أن تبصق في وجهه كلما رأيته . فإذن ، القيمه الحقيقه للإنسان تتحدد بحسب عقله و روحه ، و العقل باطن و يظهر بأدله و آيات ، و أفضل دليل على مستوى العقل هو اللغه و الأدب الذي يظهره هذا العقل .

جيد ، الآن إذا نظرنا في لغتنا و أدبنا العربي - حتى من قبل الإسلام - فما هو مستواه ؟ نكتفي بما ذكره الزيات نفسه . لا تقول : و لكن النظريه التي وضعها بعض المستشرقين الغربيين العجم و غيرهم من المستعمرين أو السفله من الحاقدين تقول كذا و كذا . لا يهمنا ما يقوله فلان و علان ، يهمنا ما يظهره الدليل ، و أينما مال الدليل نميل . و الدليل لإظهار مستوى العقل هو اللغه و الأدب ، و هذا معيار عالمي . فأكبر تجليات العقل هي اللغه و الأدب .

يقول الزيات { و لو ساغ لنا أن نحكم على العرب بمقتضى لغتهم و أدبهم } .

أقول : لماذا { لو ساغ } !! و ما الذين يمنع هذه "السيغوغه " إن صح التعبير ؟ لماذا التردد أصلا في استنباط ذلك ؟ المفترض لو كان الإنسان عاقلا حرا أن لا يتردد في النظر في مقتضى الدليل . و لكن التردد الزياتي- كتردد غيره و إنما نذكره كمثال - ناشئ من اعتقاد " تخلف العرب " الذي استمدوه مِن من !؟ من أعداء العرب! أي مصيبه هذه حلت على قوم إلى درجه أنهم يقرأون عن أنفسهم في كتب غيرهم و ليس أي غير بل العدو ، و ليس أي عدو بل العدو المجاهر بالعداوه . العجيب ، أنه حين يأتي بعض السفهاء و يقول " انظروا إلى تقدم الغرب و لاحظوا أدابهم العاليه الراقيه " حينها لا يجدون

هذه "السيغوغه" ، بل استنباط رقي العقل من رقي الأدب مباشر و حر ، كما ينبغي فعلا أن يكون . و لكن حين يأتي الأمر إلى النظره إلى النفس فتجد هذه "السيغوغه" كالشوكه في الحلوق . أظن أن سوء الظن بالنفس الذي تجده عند بعض العرب بل الأعراب هو نوع من المرض المعروف ب " المازوخيه " و هو التلذذ بوقوع الآلام على النفس . المهم ، لنرجع و نرى ماذا يدل الدليل الواقعي الموجود الآن بأيدينا و نستطيع أن نقرأه و نحلله و نلمسه و نتذوق الورق أيضا إن شئنا .

يكمل صاحبنا و يقول بعد ذكره للسيغوغه السابقه ، و يتحامل على نفسه و يجوّز لنفسه استنباط الحقائق من الأدله - و العياذ بالله ! - فيكتب :

{ لوجدنا لهم : نفوسا كبيره } واحد

{ و أذهانا بصيره } اثنين

{ و حنكه خبيره} ثلاثه

{و معارف واسعه} أربعه

{ كوّنوا أكثرها من نتاج قرائحهم } خمسه

{ و ثمار تجاربهم } سته

{ فإن لغتهم و هي صوره اجتماعهم لم تدع معنى من المعاني التي تتصل بالروح و الفكر و الجسم و الجماعه و الأرض و السماء و ما بينها إلا استوعبت أسماءه و رتبت أجزاءه . و وضع اللفظ للشئ دليل وجوده و علمه .} سبعه

{ و لعمري ما يكون التمدن اللغوي إلا بعد تمدن اجتماعي راقٍ في حقيقته } ثمانيه ، لاحظ الاستثناء النابع من التقليد للغرب بعد قوله الثامن { و إن لم يرق في شكله } و هذا قائم على اعتبار الشكل الغربي للحياه هو الأرقى و إن لم يكن كذلك في "حقيقته" ، و لا أدري أين ذهب شرف العقل حين يتم تقديم الشكل على الحقيقه ، على فرض أن الشكل الغربي الحداثي مقدم أصلا ! و يكمل فيقول { عامّ في أثره } هذا بناء على الدليل ، و الاستثناء المريض { و إن لم يعمّ في أهله } . و هذه تسعه .

لاحظ كيف استنبط تسعه حقائق و فضائل و مناقب للعرب حتى قبل الإسلام ، بناء على الدليل الواقعي الذي هو صوره عقولهم و مدى رقي حقيقه حياتهم بناء على معاير اللغه و الأدب و محتواهما ، الذي لا يوجد دليل غيره في الواقع . و لكن ما الذي يحول بين هذه الرؤيه المبنيه على الدليل الثابت و بين الاعتقاد بمضمون هذا الدليل ؟ طبعا هو في السابق كلام الأعاجم الأعداء ، و في الحاضر هو كثير من هذه المسلسلات التلفيزيونيه السخيفه التي تظهر العرب و كأنه ليس عندهم شئ إلا العيش الجاف في صحراء خاليه و همّ القتال فقط للقتال المجرد المحبوب لذاته (و هي بالمناسبه نظره اليهود للعرب ، فتأمل الأصل المأخوذه منه هذه الرؤيه) .

ثم بعد مرور عقود من الزمن على هذا الاعتقاد الفاسد ، أصبح بعض العرب يصدق فعلا هذه العقيده . و انقطع عن ميراثه العالي و لغته و أدبه في سبيل " البعد من التخلف " ، فوقعوا في ذله و

تخلف أكبر و أشد مما توهموه في أنفسهم . و كل الجرائم الأدبيه و الروحيه التي قاموا بارتكابها في حق أنفسهم في هذا المجال انتهى بنا إلى هذا الزمان ، و ظنوا أنهم بارتكابهم لهذه الجرائم الأدبيه س "يترقوا" و تكف المشاكل بينهم . فوقعت بيننا أكثر من عشره حروب كبيره ، و حروب داخليه لا تحصى ، و تم غزونا أكثر من عشر مرات ممكن من قبل الأعداء الخارجيين ، و لا نزال ننفق أموالنا التي لا تكاد تنحصر مما أنعم الله بها علينا في سخافات و قله ذوق بل انعدام الذوق و استهلاك ميت لبضائع لا تستحق أن ننفق في معظمها عظمه كلب أجرب .

الخلاصه : نحن العرب منزلتنا الحقيقيه هي في البساطه المعيشيه مع الجمال الطبيعي، و التعمق العقلي و الشعري في الوجود و تعظيم فن الكلمه و الخط و النظر الاعتباري للعوالم كلها و اكتشاف الصله القائمه بينها مع بقاء عزه النفس و الغنى الذاتي قائما قدر المستطاع و مهما كلف الأمر . أي خروج عن ذلك يؤدي إلى ذلّ في الدنيا ، و فساد في العقول ، و أما الآخره .. فالسلام !
الآن ، ارجع و اقرأ كلام الزيات .

...

تصدق !)

أول شئ عمله الفرنسيين بعد أن "اكتشفوا" حقوق الإنسان و الإخوه البشريه و "المساواه" بين الناس، هو أنهم خرجوا لفرض أفكارهم على بقيه العالم الهمجي لتطويره ، و ذبحوا الملوك و رجال دينهم في بلادهم . يعني ، مساواه بغير مساواه .

شخص يصرخ اهتماما ب " الإنسانيه " ، و لكنه يتنكر و يرفض أعظم ما يهتم به معظم الناس و تقاليدهم الدينيه و سننهم العقليه الروحيه و آدابهم و عاداتهم المحليه . يعني ، هو مع الإنسانيه بشرط أن تكون "إنسانيه" (لا أحد يعرف إلى الآن ماذا تعني هذه الكلمه عند هؤلاء) .

يقول الغرب " نحن أحرار تحكمنا حكومه ديموقراطيه تعبر عن رأي الشعب ، و ليس مثل الشرق الطغياني الذي ليس له من أمر سياسته شئ " . ممتاز . و لكن بعد ذلك حين تعمل حكوماتهم الجرائم العالميه ، و تدعم الطغاه ، و تشن الحروب التي تسفك دماء الملايين و تدمر منازلهم و تروع نفوسهم ، يقولون " هذا قرار الحكومه و نحن لا دخل لنا في ذلك ، فيجب أن تفرقوا بين الشعب و الحكومه " ، بينما حين تقوم حكومات الشرق بعمل شئ من الأخطاء بل و الجرائم يقولون " هذا لأن الشعب الشرقي متخلف و جاهل و فاسد الدين و العقيده و التاريخ " . يعني ، الغرب يفتخر بأن حكومته خادمه له إن عملت خيرا و يتبرأ منها إن عملت شرا ، و لكن تعليق الغربي على حكومه الشرق حين تعمل خيرا هو " الشعب لا دخل له بالحكومه " ، بينما حين تعمل الحكومه الشرقيه شرا يقول " الشعب متخلف " . هذا اسمه " الإنصاف العلمي و الرقي الأدبي " بالنسبه لمن لا يعرف ذلك .

يقول قرده الغرب عندنا " نريد أن نتطور كالغرب " ، و لكننا لا نجد في هؤلاء من تقليد للغرب إلا في أسفل ما عند الغرب و ليس في أحسن ما عندهم ، فهو يظن أن الغرب "تطور" لأنه سكير عربيد عديم الشرف و شبه خنزير و تافه في كلامه سفيه في أخلاقه ضعيف في لغته مضيع لأوقاته و مشاهد للبرامج التلفزيونيه التي لا تسمن و لا تغني من جوع محشش شمام كوكايين كسول في التفكير

كسول عن القراءه كسول عن الكتابه كسول عن البحث . هكذا يفهمون تقليد الغرب ، أو معظمهم هكذا (أقول معظمهم تحرزا ، لأني لا أعرف أحد خارج عن هذه القاعده و لم أسمع بمثله إلا واحد أو اثنين ، و هؤلاء تركوا بلادهم للعيش في الغرب - هذا من باب حب الوطن الذي تعلموه في الغرب أيضا) .

معظم وقتنا فراغ نصرفه في كلام فارغ ، و مع ذلك نقول " نحن مشغولين عن تطوير أنفسنا " . نقول " كان أسلافنا يقضون كذا و كذا وقت في العلم و البحث و التأمل و الحوار " ، فيقولون "كانوا فاضين و أما اليوم نحن عندنا أشغال كثيره لكسب المعيشه " . ثم يقولون " اليوم نحن متطورين أكثر من أسلافنا الذين لم يكن عندهم تكنولوجيا مثلنا " . نقول : و أي فائده للتنكلوجيا - الخطأ متعمد للمسخره - إذا كانت لا تفرغنا من عمل المعيشه لأعمال متعلقه بذات الإنسان أكثر ! يعني ، الأسلاف كان عندهم وقت فراغ أكثر لعمل الروح و العقل و التأمل و الشعر ، بينما نحن الذين عندنا سيارات و طائرات و انترنت لا نكاد نجد - أو من يقول ذلك لا يكاد يجد أكثر من ساعه أو أقل في اليوم ليعمل عمل الأوادم . تطور ممتاز !

صدّق ، فإنه يوجد أمثله كثيره جدا من هذا القبيل . و الله المستعان .

(خلاصه)

الشرقي اليوم ، لا هو شرقي و لا هو غربي .

أما مقارنه الشرقي فعلا مع الغربي فعلا : فإن الشرقي معظمه جمال و بعضه قبح ، و لكن الغربي معظمه قبح و بعضه جمال .

...

(الصليبيون الجدد)

جماعه من أهل الصليب "العرب" مجازا ، عرفوا أن الغرب الصليبي الأصل أصبح في قبضه الإلحاد و كفر به و بدينه و تاريخه و قيمه ، و هو يعرف أن العرب المسلمين أصحاب روح دينيه أصيله مهما أذنبوا هنا و هناك، فهو يحاول الآن أن يسوّق ملته الفاسده و أفكاره السخيفه بيننا ، لأنه يعرف أن سوقه في بلاده الغربيه الأصيله قد كسدت ، بل حتى قلوب و أعمال معظم إخوانه في بلادنا العربيه المسلمه قد فسدت .

أقصا ما عندهم من أقوال هو التالي :
١- الإسلام دين عنف يقصي الآخر و يريد ذبحه .(الجواب : أنت يا سفيه ألست بيننا منذ أربعه عشر قرنا ، من المغرب إلى إيران ، فلو أردنا أن نبيدكم في ظرف سنه ألم نكن نستطيع أن نبيدكم في كل هذه الفتره . وجودكم دليل كاف على سخافه أقوالكم و حقدكم الصبياني الأسود)
٢- المسلمون إباحيون جنسيا . (الحمد لله ! هذا أقل ما يقال . و أقصا ما يقال : ما تسميه إباحه هو سبب خصوبتنا و عقم بلادك الأوروبيه و التي تريد هجره الشرقيين إليها لخصوبتهم . و لا يحق لأشباه قوم لوط أن يعلقوا على كيفيه تعامل غيرهم مع القضايا الحيويه) .
٣- القرءآن كلام محمد . (قديمه ، هات غيرها) .

و هكذا كلام فارغ من هذا القبيل كله فرغنا من الجواب عنه قبل ألف سنه ، و لكن الصبيان لا يتعلمون و لا يريدوا أن يتعلموا .

أذكر مره جاءني واحد منهم حين كنا في لندن . و قال لي - عارفا بأني آعرف دينه أكثر منه : لماذا لا تصبح مسيحيا ؟
فقلت : أليس يسوعكم يقول " الله محبه " ؟
قال : نعم .

فقلت : أليس يسوعكم يقول أنه يوجد نوعين من المحبه ، محبه الوثنيين و هي أن تقابل الذي يحبكم بحب و تقابل الذين يعاديك بعداوه ، و لكن يوجد محبه أعلى و هي أن تحب الذي يعاديك و تبارك الذي يلعنك ؟
قال : نعم .
فقلت : إذن أنت تحب " الله " (حسب اعتقادك طبعا) فأقصا ما تنتظره هو مرتبه محبه الوثنيين ، و أما أنا فأعادي "الله" (حسب اعتقادك فيني) فأنا أنتظر أن يحبني الله و يباركني كلما عاديتكم و لعنتكم أنتم و "ابن الله" الذي تذكرونه .
فخرس !
و أذكر مره أنه جاءني شخص آخر منهم و أراد أن يدعوني لدينه - عارفا أني عاشق لهذه الأمور بفطرتي العربيه الإسلاميه- و كان رجلا ذكيا إلى حد ما فقال : يسوع مات من أجل ذنوبك و قضا دين خطيئتك عنك بصلبه .
ثم نظر لي ينتظر جوابا .
فقلت له : إن كان قد فعل ، فجزاه الله خيرا !
فاحمرّ وجهه و بطّل يكلمني من ذاك اليوم .

و ثالث كان يشرح قضيه الفداء ، و أن يسوع فدى الناس بموته .
فسألته : من أعلى في المرتبه و القيمه ، يسوع أم الناس ؟
فقال مستعجبا مستنكرا : يسوع بالطبع .
فقلت : الفداء لا يكون إلا من الأدنى للأعلى !
أظنه لا يزال يفكر في القضيه .

ثم جاء أحد البروفيسورات (بالاسم طبعا) و يريد أن يُفاخر بأنه موقن بالخلاص و أما المسلم فغير موقن بالخلاص (حسب زعمه طبعا) .
فقلت له : حسب كتبكم ، لما جاء يهودي إلى يسوعك و قال له كيف أنال الحياه الأبديه ، ألم يقل له ما يعتقد و يعمل بمثله المسلمون بل و بعض غير المسلمين أيضا ؟
فاستحى من الجواب أمام الناس .
{ تفسير القصه : يقول كتابهم أن شرط الخلاص هو الاعتقاد بوحدانيه الله ، و عدم ارتكاب المحرمات الأساسيه كالزنا و القتل و السرقه ..الخ التي هي بديهيه عند كل مسلم بل و معظم غير المسلمين } .

مره كنت أتكلم مع أحدهم ، و كان يسب و يشتم - كالعاده - في ديننا و أنا صابر - أيضا كالعاده -
فقلت له : حسنا كفرت بالإسلام ، الآن حدثني عن يسوع ابن الزنا هذا ما قصته ؟
فقال بسرعه و بغضب و بجواب النقض : كيف تقول أنه ابن زنا و أنت تعلم أن القران يعظمه و يحترمه و ينفي عنه هذه التهمه ؟

فقلت له : ألست تقول القرءآن كلام الشيطان ! فلماذا تحتج به . بل إن بطلان القرءآن (كما تقول) يجعل كل ما يرد فيه من أقوال أدعى للشك و التكذيب .
فلم يحر جوابا .

كنت في حلب - آه حلب ! قبل التدمير الحقير من الهمج و أعوانهم الغربيين - و كنت جالسا مع أحدهم - و كان كبيرا في السن - و أراد أن يجذبني ناحيه ملته فبدأ يحكي لي عن خوارق للعاده حدثت معه و هو يعتقد أنها حدثت له بسبب ملّته الصليبيه بطبيعه الحال ، و يستنبط بالتالي أنه لولا أنه على حق مطلق لما حدثت له هذه الكرامات .
فقلت له : أليس كتابك يقول - في عهده القديم و الجديد - أنه يمكن أن يأتي كاذب بخوارق للعاده ؟
فقال بعد صمت قليل يريد أن يحسب و يجمع و يطرح آثار كلامه و كأن الكلام عن الدين منظاره سياسيه مع الأسف ، ثم قال أخيرا - كالرجال الذين يعترفون بالحق ولو عليهم : هذا صحيح .
فقلت : إذن لا حجّيه في خرق العاده ، على فرض حدوثها !
ثم قلت له مبتدئا : فإذا حدّثتك عن خوارق للعاده حدثت معي بسبب اتباعي المباشر لآيات و أحاديث نبويه ، هل تصدقني ؟
فقال و هو يبتسم : و ما أدراني لعلك اختلقتها ؟
فقلت : و ما أدراني أنك أنت اختلقتها ؟
فضحكنا قليلا . ثم أكملت : أنا مستعد أن أقسم أن ما سأحدثك به من كرامات حصل لي بالحرف الواحد بل و يوجد بقايا من آثارها الآن ، فهل تصدقني - و أنت تعرف أنه يستحيل أن أكذب باسم الله و أقسم عليه ؟
فقال : سامحني ، فمع علمي بحسن نيتك ، و لكن لا أستطيع أن أصدقك حتى لو أقسمت .
فقلت : حقك . و لكن دعني أسألك ، أنت تؤمن ببولس اليهودي الذي ادعى أنه "رأى نور يسوع" في طريقه إلى دمشق ؟
فقال : بالتأكيد .
قلت : و ما أدراك أنه كان يقول الحقيقه في كرامته هذه ، و لعله كان يكذب ؟
فسكت ، ثم قال : لولا أنه كان محقا لما جاهد كل هذا الجهاد في سبيل الدعوه المسيحيه .
قلت : إذن أنت لا تعرف اللهم إلا من الأثر ، و تعتقد أن الجهاد في سبيل دعوه ما دليل صدق الداعي . فإذن ، يوجد آلاف الأمثله من مختلف الأديان على أناس جاهدوا في سبيل دينهم و في سبيل ما اعتقدوا أنهم رأوه ، في الماضي و الحاضر ، بمختلف مستويات الجهاد ، بل الماركسيين و الشيوعيين و الفوضويين جاهدوا و سجنوا و ذبحوا في سبيل دعوتهم . فإن كنت ستستخرج من المجاهده صدق الدعوه ، فيجب أن تسلم على الأقل بصدق دعوه المسلمين الذين جاهدوا في سبيل دعوتهم ، كغيرهم .

فلم يستطع أن يجيب بشئ . ثم قال لي - من باب رمي الكره في ملعبي : أنا حدثتك بموقف حصل لي كرامه من الله لي ، فحدثني أنت بموقف حدث لك .
فقلت : نعم ، أحدثك بموقف صغير - و كل نعم الله كبيره . حين دخلت الطريقه و كنت في صف الثالث ثنوي ، سنه التخرج ، أردت أن أتخرج الأول على الدفعه ، فدرست طول السنه بشده ، فلما وصلنا إلى الاختبارات النهائيه ، في آخر أسبوع من الاختبارات ، جلست في مكتبي و خطر لي خاطر يقول " فلان من الناس هو الوحيد المؤهل لأن ينافسك على المرتبه الأولى ، فلماذا لا تدعو عليه ! " فاشمأزيت من هذا الخاطر الشيطاني، ولكن عاد و قال " و ما ذنبك أنت ، الله هو الذي سيستجيب الدعاء أو لا يستجيب " ، ثم جاء خاطر ملائكي و قال " أليس النبي صلى الله عليه و سلم يقول " من دعا لأخيه بظهر الغيب " آتاه الله نفس ما دعا لأخيه به ؟ فإذن ادعوا له لأن يكون هو الأول فتكون أنت و هو الأوائل ! " فقال الخاطر الشيطاني من جديد " ما هذا السخف ! كيف تكون أنت و هو الأوآئل ؟ خليك واقعي " . و أثناء دوران هذا الحوار في قلبي ، اتصل بي فلان المذكور و قال لي : أنا خارج بيتك تعال . و لم يكن بيننا اتفاق ، و لكن خرجت ، فوجته قد أحضر لي بعض الملخصات التي عملها هو للمواد التي لم نختبر بها بعد و قال لي " رأيتك تجتهد طول السنه فقلت يمكن أن تساعدك هذه الأوراق " . فشكرته و دخلت إلى مكتبي و عيني تدمع من إحسانه معي و من مجرد مرور خاطر سئ على قلبي ، فقلت : سأدعوا له ليكون الأول ، فمهمتي أنا أن أدعوا و مهمه الله أن يستجيب . فدعوت له فعلا. مرت الأيام و خرجت النتائج ، فاتصل بي فلان و قال لي " بشّر ، كم أخذت ؟ " فقلت : ٩٩.١١٪ ، و أنت كم أخذت ؟ ، فقال " ٩٩.١١٪ ! . (أنا و هو كنا الأول مكرر في تلك الدفعه . الولد حي و هو طبيب أسنان الآن و أستطيع أن أعطيك رقمه لتتأكد من هذه المعلومه) .
فنظر لي الرجل بعد اندهاش و قال : لعله صدفه !
قلت : من بين مئات الطلاب ، أنا و الذي دعوت له بناء على يقيني بصحه حديث نبوي ، خرجنا بنفس الدرجه حتى بنفس المنازل العشريه ٩٩.١١ ٪ ، هذه صدفه !
فقال : و لكن لعلك اختلقت القصه بعد أن خرجت النتائج !
فقلت : إذن ، أقل ما أقوله لك ، استعمل نفس تشكيكك هذا مع كل قصص دينك ، و توقع أن يستعمل كل أحد نفس معايير التشكيك و سوء الظن هذه مع قصصك أنت ، فأي حجّيه تبقى إذن لمثل ذلك . ثم هب أني كنت صادقا ، أليس لي حجّه في اليقين الزائد بديني بسبب هذه و عشرات من أمثالها و الحمد لله ، هل يمكن أن يكون الله تعالى يخدعني بإنعامه و إكراماته ، إن كان هذا ممكنا ، فليكن ممكنا في حقك أيضا ، فلا فائده من الكلام عن أي كرامه أو معجزه أو غيره ، فقل لإخوانك من الدعاه أن يكفوا عن الكلام عنها إذن .
و انتهى الكلام بحضور الفاتوره .

نختم بموقف . قال لي أحدهم و هو من الأساتذه الأكاديميين الصليبيين : يوجد في القرءان و الأحاديث تناقضات مع بعضها البعض و مع الواقع الخارجي، فلو كان من عند الله لما كان فيه هذه التناقضات ، ألا يكفي هذا للشك في دينك و رفضه ؟
فقلت له - جوابا على قدّه الأكاديمي : أليس في كل دين و طريقه نظر ملحده أو مؤمنه اختلافات و تناقضات ظاهره ، ثم أهل كل دين و منهج يحلّون هذه التناقضات بتخريجات و تأويلات و تفسيرات ؟
فقال - للإنصاف كان منصفا : نعم .
فقلت : أليس من المعلوم أن علماء المسلمين منذ أقدم العصور تعاطوا الجدل و النظر و البحث الواسع و كتبوا الكتب و جادوا أهل الملل و النحل كلها ، و تفاعلنا مع مختلف أطياف الناس من نهر الكنج في الهند إلى المحيط من طرف المغرب ؟
قال : نعم .
فقلت : أليس بقاء علماؤنا و أهلنا على دينهم و يقينهم المطلق به ، دليل كاف أنني وجدنا حلّا بل لم نجد تناقضا في أي موضع من المواضع التي تذكرها أنت على أنها تناقضات ؟
فقال : هذا مجرد ظن ، فقد تتعصبوا و تتعاموا عن التناقض .
فقلت : أعطني بعض الأمثله على تناقضات لا حل لها .
بعد أن أعطاني أمثله و حللتها له ارتجالا حتى بدون رويه و تأمل ، قلت له : فالآن هل أنت مستعد لتسمع التناقضات التي لا حصر لها في كتبك و التي أقرّ بعض علماؤكم أنها تناقضات و اختلافات ، فإن كنت تكفر بسبب تناقضات ظاهره ، ألا ينبغي أن تكفر بسبب هذه ؟
فقال : أعطنى أمثله .
فقلت كذا و كذا ، و تحدثنا طويلا ، و في كل نقطه يجد مخرجا بصعوبه أو بسهوله أو بتأجيل الكلام فيها حتى يراجع المصادر .
فقلت : هذا ما أردته منك منذ البدايه ! دائما يوجد حل ، حتى لو كنت تظن أنه لا يوجد حل . فلا ينبغي أن يصدك ذلك عن حسن الإنصاف و التأمل في أجوبه علماء الكتاب ، و لا تستعجل ببادئ النظر و تظن أنك وصلت إلى ما لم يصل إليه من أفنوا حياتهم في دراسه و تأمل و العيش بكل حرف من هذه الكتب ، و بنوا على أساسها أربعين امبراطوريه و دوله و مملكه من الشرق إلى الغرب .

الحاصل : لا يوجد حرف واحد يمكن أن يحتج به غربي أو صليبي علينا كمسلمين ، إما أن لكلامه رد أو يوجد في أفكاره و أسلوب حياته و كتبه و مصادره نفس أو أسوأ مما يحتج علينا به . هذه قاعده مطلقه لا تنخرم . و ليتقدم لنا من يعرف استثناءا لها بخرم واحد . " فلله الحجه البالغه " .

...

(تأويلنا لطريقه تسليمنا)

تلاحظ أن كثير من المسلمين حين يُسلّم على مسلمين آخرين يضع يده اليمنى على قلبه و ينحني إنحناء بسيط . و قد كانت هذه هي الطريقه العامه في التسليم أو جانب الانحناء منها تحديدا . ما المعنى ؟

ورد في التفسير المأثور أن الملائكه لما سجدت لآدم كان سجودها " إيماء " .

معنى هذه الطريقه في التسليم هو بعباره واحده : تذكير الذي تسلم عليه بأنه خليفه الله في الأرض . فالانحناء و الإيماء بل و السجود في بعض الحالات المتعلقه بكبار أهل الطريقه أو السلطنه ، و لمس جهه القلب الذي هو سر الخلافه المعنويه و مقر السلطنه " و علّم ءآدم الأسماء كلها " ، هو إعاده بسيطه لمشهد سجود الملائكه لآدم . فالمُسلّم هو صوره الملائكه ، و المُسلّم عليه هو صوره آدم .

فكأنه يقول له : تذكر أن تتعامل كالملوك و الخلفاء الإلهيين ، و ليكن هكذا تعاملك معي .

...

(أيهما أكبر ؟)

يقولون " الكون كبير جدا ، و فيه مليارات النجوم و المجرات ، و يجب أن نركز علومنا هناك " .

أقول : و لكني حين أشعر بالغضب أو الغم أو الضيق في نفسي ، أشعر أن الكون صغير جدا .

فكيف يكون الكون كبير جدا بالنسبه لك ، إن كنت تشعر أن الكون صغير جدا بسبب ضيقك و غمك ؟

و العكس صحيح ،

ألا يكون الكون مبسوطا ، حين تكون أنت مبسوطا ؟

" ما يغنى عنه ماله إذا تردّى " .

...

قيل لأحد أصحاب القلم البليغ ممن كان يكتب كل ما يمرّ بخاطره و لو كان باطل المعنى :

كلامك جميل المباني ، إلا أنك لا تبالي بنقل ما خبث و بطل من المعاني ، فلماذا ؟
فقال : إن قلت حقا فينبغي عليك أن تفرح لأني أطعمتك من ثمر الجنه و أنا تابع لقوله "قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا " ،
و إن قلت باطلا فينبغي عليك أن تفرح لأني فتحت لك بابا للجهاد العقلي الذي هو الجهاد الأكبر و أنا تابع لقوله تعالى " أم حسبتم أن تدخلوا الجنه و لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين " .
طالما أن مباني كلامي جميله ، فقد يسّرت لك نصف الطريق ، فنصف المعاني عليك و إن كانت ثقيله .

...

(الكلمه أثمن من العُمله - شعار الشعراء و عشاق الشعر)

يتفق أهل النظر على إثبات معظم الوقائع ، و لكن يختلفون في تفسير هذه الوقائع ، الوقائع نفسها هي هي و ليست إلا هي ، و لكن الناظر يُفسّرها بحسب مستواه و عقليته و ظروفه النفسيه و غاياته الوجوديه ، و قد يزداد قرب التفاسير من الحقيقه التي انبعثت منها الوقائع و قد تبعد . مثال :
من المعلوم - و الباقي إلى حد ما إلى يومنا - أن الشعراء كانوا يمدحون بعض الخلفاء و السلاطين و الأمراء و التجار ، و كان هؤلاء يعطون الشعراء أموالا تكثر أو تقل حسب جوده شعرهم . الآن هذه واقعه معروفه يقر بها القاصي و الداني .

و لكن التفسير لاحظ كيف سيختلف بحسب عين الناظر .

فالعين الحاقده على العرب أو التي تعتبر الشعر مجرد "فن" بالمعنى الفارغ للكلمه سواء كان شعرا عربيا أم عجميا ، أو التي لا ترى في الكلام أكثر من "ألفاظ تؤدي أغراضا اجتماعيه و تعبّر عن الحاجات الدنيويه " أو أي مسبقه فكريه نفسيه أخرى ، لن يجد في مقدوره في تفسير هذه الواقعه أكثر من هذا : كان الشعراء هم الأبواق الإعلاميه في ذاك الزمان ، و كان الساده و الكبراء يستعملونهم لوضع قصائد المدح فيهم و قصائد الهجاء في أعدائهم من باب الانتصار الإعلامي على الخصم و رفع القيمه للذات وسط الناس .

لاحظ أولا كيف قام هذا الناظر بإسقاط سفاله بعض الإعلام المُعاصر على الآخرين . ثم لاحظ ثانيا كيف لم يُفكّر أصلا أن يجيب عن النقد القائل " و إن كان الناس يعرفون أن الشعراء مجرد مجموعه من الكذابين ، فكيف يمكن أن يضحك عليهم الشعراء بكلام معسول لا قيمه له " ، و لا الجواب عن النقد القائل "و هل اللغه العميقه و العاليه للشعر العربي ، و التي من أكبر أدله علوها أن أكثر أهل هذا الزمان من العرب لا يستطيعون أن يفهما الغالبيه العظمى من القصائد ، فإن كان الشعر بهذه

المنزله من عمق اللغه و دقتها و فنها فكيف يمكن حتى تشبيهها بالإعلام الجماهيري الذي يتوجه للغوغاء و السفله الذين لا عقل لهم ليميزوا الأشياء و يعرفوا حقها من باطلها " ، و لا الجواب عن سبعين اعتراضا آخرا من هذا القبيل . و لكن يكفيه أنه ذكر تفسيرا سلبيا مظلما ، بناء على حقده الخاص أو نزعته الغوغائيه الفاشله ، و يكفي السامع أو القارئ ليقبل مثل هذا التفسير الميت أن يكون ممن يسئ الظن بنفسه و بأمته و بتاريخه و بميراثه و بلغته . بعباره واحده : إن كان الناظر سافلا و القابل سافلا فإن أي شئ يمكن تمريره .

و لكن إن نظرنا في نفس الواقعه و مجمل الوقائع الأخرى المقارنه لها و قلنا : لاحظ أن السامع للشعر من الكبراء مستعد أن يتخلى عن ماله و عن أجزاء كبيره منه في بعض الأحيان و لا أقل عن جزء منه ، في مقابل أن تُقال فيه قصيده أو يسمع قصيده جميله و عميقه و محكمه . فهذا يعني - ببساطه - أنه مستعد أن ينفق المال في سبيل الكلمه الجميله . بالتالي ، الكلمه الجميله أعلى عنده من المال .
فإذن ، الوجود الذي تصدر عنه الكلمه و هو العالم العقلي و الروحي أعلى عنده في المرتبه من الوجود الذي يصدر عنه المال و هو العالم الأرضي . هو يأخذ بالعالمين ، العلوي و السفلي ، بدليل أنه يعشق الكلمه و عنده المال ، فهو جامع للعالَمين ، و لكن الأولويه عنده للعلوي ، و لذلك يقوم بإعطاء الأدنى مقابل الأعلى - على العكس من المغضوب عليهم الذين قيل فيهم " أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير " .

علو الكلمه يعني علو الفكره ، علو الفكره يعني علو العقل ، علو العقل يعني القرب من الحق تعالى . لهذا السبب قال بعض القدماء عن الشعر " الشعر لسان الملائكه " .

و بسبب عشق العرب للكلمه - مع كل اللوازم السابقه و اللاحقه التي ذكرناها - اصطفانا الله تعالى للقرءآن و اصطفى القرءان لنا . و من هنا قال النبي عليه السلام " عجل أمّتي : الدينار و الدرهم " . بمعنى ، عندما يبطل عشق العرب للكلمه و عوالهما و لوازمها ، حينها سيتحقق معنى ما قاله النبي حين استيقظ يوما و هو فزع يقول "ويل للعرب من شرّ قد اقترب " .

العربيه سلطنه المباني و المعاني ، و تاج العربيه الشعر ، و درّه التاج القرءان .

...

(تكملة - الصليبيون الجدد)

لو نظرت و سمعت ما يقوله هؤلاء , خصوصا أصحاب الفضائيات منهم , ستصل إلى نقطة يبدو أنهم يفترضونها بغير أي مبرر و لا وعي و هي التالي : يفترضون أنهم إن "أثبتوا" أن الإسلام باطل فهذا يعني أن الملة الصليبية بل في صورتها القبطية مثلا حق . و الواقع أنه لا علاقة بين الأمرين بتاتا . فحتى لو افترضنا جدلا أن كل ما يقولونه حق و صحيح فيما يتعلق بالإسلام الشريف - حاشاه - فإن أقصا ما يثبت هذا أن الإسلام غير صحيح . انتهى .

فما الذي يجعلهم يفترضوا هذا الافتراض ؟ الجواب : لأنهم يعتقدون أن المسلمين يؤمنون بوجود ثلاث أديان في سلسلة واحدة من ثلاث حلقات , اليهودية و المسيحية و الإسلام . و لكن المسلم يعتقد أن اليهودية باطلة , و المسيحية باطلة , و الإسلام حق . فإذا أثبتنا له أن الإسلام غير صحيح , فبسبب نزعته الدينية العميقه لن يميل إلى الإلحاد غالبا بل سيرجع خطوة إلى الوراء , أي إلى المسيحيه . و هو لن يرجع إلى اليهودية لأن المسلمين يكرهون اليهود لا أقل بسبب الاحتلال الصهيوني و ما سببه ذلك في نفسياتهم من حقد متزايد على اليهود من حيث هو يهود (و ليس من حيث هم صهاينة محتلين) . و بالنتيجة , يكون سعينا في تبغيض الإسلام إليهم أن يصبحوا من المسيحيين . هذه خلاصة منطلق هؤلاء . فأين المشكلة في هذا المنطق ؟

المشكلة - و التي لا يعقلها هؤلاء و هل يستطيعوا أن يعقلوا أبعد من مدى أنوفهم أصلا - تتلخص في محاور ثلاثة :

1- إن افترضنا وجود مسلم - واحد من مائة مليون - يمكن أن يكفر بدينه بسبب كلام و المنطق الرخيص الذي يستعمله هؤلاء , فإنه لن يخلو هذا المسلم من أن ينتهي حاله إلى إحدى حالتين : إما أن يكفر بكل دين و يلحد رأسا , إذ إن تحوله من شدة اليقين إلى الشك و الكفر بدينه الأول سيجعله

يقول " إن كان الأول باطل حسب ما عرفت بعد دراستي له , فما الذي يمنع أن يكون الثاني و الثالث والعاشر أيضا باطل إن تفرغت له و درسته , و بما أنه ليس عندي وقت لدراسة كل هذه الأديان , فالأسلم أن أكفر بها كلها , و أهتم بالإنسانية فقط " . و إما أن يدخل الشخص فعلا في الصليبية مع عدم الالتفات لرأي الأول الذي ذكرناه , و لا يلتفت أيضا للمحور الثاني و الثالث الذي سنذكره إن شاء الله , و حينها سيكون هذا الشخص مجرد حمار أعمى , فالله يهنيهم فيه ! و ينطبق على مثل هذا الشخص قول النبي عليه السلام في المرتد إلى المشركين " فلا حاجة لنا به " . بل نشكر دعاه الصليبية الجدد على مجهودهم في غربلة جماعتنا و أخذ العناصر الضعيفة و ضمهم إلى بقية الخرفان التي تتكون منهم " حظيرة يسوع المشيح " .

2- هؤلاء الدعاة و قنواتهم تلبّس على العوام الغافلين حقيقة مهمة جدا و هي التالي : الملة الصليبية فيها فرق متعددة تختلف اختلافا جذريا فيما بينها في أهم العقائد التأسيسة أيضا , فهب أن الشخص دخل في هذه الملة الخرفانية على العمياني كما رأينا في الفقرة الأولى , فكيف سيعرف أين النجاة في خضم هذه الفرق التي لها نهاية لها و التي تختلف حتى في قضايا التوحيد الكبرى التي هي لب لباب الدين كله - كما يعلم ذلك كل متبحر في هذه القضايا . فعندك بابا الكاثوليك الذي يقول "To be christian you have to be Roman" يقصد تابع للكنسية الكاثوليكية الرومية , و عندك من الطرف المقابل مئات الملايين من البروتستانت الذي يعقتدون أن بابا الكاثوليك هو " المشيح الدجال " بذاته ! (اتشرفنا !) . ثم يوجد ما بين ذلك . و هذه فرق كبرى و ليست بدع صغيرة هنا و هناك أو شخصيات متطرفة هنا و هناك . ثم تصل إلى قضايا التوحيد الكبرى , فتجد بعضهم يقول بالتثليث المطلق و بعضهم بالتوحيد المطلق , و بعضهم يدعي أن التوحيد هو التثليث و التثليث هو التوحيد , و بعضهم يفسر الأقانيم الثلاثة بالصفات و بعضهم بكذا و بعضهم بكذا و بعضهم يدعي أنها "أمور غامضة فوق ادراك البشر " (و كيف ادركتها أنت أيها الخروف ! لعله من كثر النوم في حظيرة يسوعك) , و هكذا إلى أخر القائمه . ثم حدث و لا حرج فيما بين ذلك , و كل فرقة منهم بلا حرج تدعي أن الآخرى في النار بلا نقاش (لا تقول : في المسلمين من يقول أيضا بالفرقة الناجية و الباقي في النار , سنذكر هذه إن شاء الله في مقال لاحق) . بل و يكفي أنهم وصلوا إلى مبلغ وقوع مذابح لأكثر من مائة سنة في أوروبا بين الكاثوليك و البروتستانت , بل يكفي أن الاورثودكس كانوا يفضلون " العمامة العثمانية على القبعة الرومانية" فتأمل . فالحاصل , حين يتكلم هذا الشخص مع رجل مسلم في الظاهر و استطاع أن يخرجه من دينه بكلامه الرخيص (مما يدل على ضعف علم المسلم حتى بإسلامه) فمن أين لهذا الرجل الضعيف أن يدرك تعقيدات الملة الصليبية بفرقها و تاريخها المعقد الذي لا ينتهي ؟ إن كان لم يفلح في الإسلام و هو فيه , و لم يفلح بالتفقه فيه , فمن أين سيفلح بالتفقه في الصليبية أو غيرها ! هذا دليل آخر على أن أي عنصر يجذبوه إليهم هو من العناصر التي يجب أن نشكرهم على سحبها .

3- الأهم من كل ما سبق هو ملاحظة موضوعية و هي التالي : العمل الحقيقي لمن يريد أن يدخل في الصليبية لا علاقة له باسلام أو هندوسية أو بودية أو اي شيء آخر . العمل الحقيقي هو هذا : أولا أن يثبت صحة اليهودية , ثانيا أن يثبت صحة وجود عقيدة مشيحانية في اليهودية , ثالثا أن يثبت خصائص هذه العقيدة من كتب اليهود حصرا (ما يُعرف بالعهد القديم حسب التسمية الصليبية) , رابعا أن يكون مستقلا حرا في نظره في نصوص اليهودية إن أراد المرتبة الأعلى من التحقيق , و هذه النصوص مكتوبة بالعبرية فيجب أن يتعلم العبرية , أو يكفيه أن ينظر في أصول اليهودية على علماء معتبرين على أقل تقدير . خامسا , أن يثبت أنه قبل ألفين سنة كان يوجد شخص اسمع يهوشوا (يسوع) في منطقة فلسطين أيام الرومان . سادسا , أن يثبت أن العقيدة المشيحانية اليودية تجسدت في يهوشوا اليهودي هذا . سابعا , أن يثبت أن تعاليم يسوع هذا قد تم حفظها(و دون ذلك خرط القتاد , فقد كان أتباعه - على ما يروون في تاريخهم - يذبحون و يقتلون لمدة أكثر من ثلاثمائة سنة حتى دخل قسطنين الامبراطور الروماني في ملتهم) ثامنا , أن يثبت أن الفهم السليم أو الأرجح لهذه التعاليم هو فهم الفرقة الفلانية أو العلانية . تاسعا , أن يعتقد هو بكل ما سبق و يعمل بمقتضاه .

تسع خطوات ينبغي لمن يزعم فعلا أنه صليبي أن يحققها . لا اقل أن يثبت اليهودية ثم المشيحانية ثم تجسد ذلك في شخص يهودي اسمه يهوشوا أو يسوع . و اقول : لا يستطيع شخص أن يثبت من كتب اليهود ذلك و لو حفر الصخر بأظافره . و من هنا تعلم سخافة الضعاف الذين يزعمون أنهم " عرفوا حقيقة الإسلام , فتركناه للصليبية " . و الحق أن الذي عمله هؤلاء - على قلتهم و ضعفهم - ليس أكثر من أنهم ءامنوا بالله و الملائكه و الكتب و الرسل و المسيح عيسى بن مريم و تعظيم الدين و تعظيم الأنبياء و كل ذلك بحكم تربيتهم الإسلامية إلى حد ما و المحيط الذي يعيشون فيه , ثم لما حصل لهم ما حصل من ابتلاء الله لهم أو إنزال غضب ما عليهم, راحوا يزعمون أن الدين الحنيف فيه ما فيه و أنهم " بحريتهم دخلوا في الصليبية " , و الحق أنه لولا الإسلام لما تمكن في قلبهم أصلا الإيمان بشيء اسمه "المسيح عيسى بن مريم " , و لو نظروا من البدء على نمط ما ذكرناه من خطوات , و لو نظروا في كتب اليهود أولا , لما ءامن منهم أحد بكلب أو خنزير , فضلا عن أن يؤمن بما فوق ذلك . الإسلام يغرس حب الدين , و اليقين , بينما يكفيك في مدى غرس الصليبية لمثل هذه القيم أن الغرب الصليبي الاصل هو نفسه رمى هذه الملة في المزبلة أول ما استطاع أن يتخلص من قهر الحكام له . فضلا عن جرأة القوم في حال كلامهم عن الحق تعالى و رسله و قضايا الدين عموما , و التي لا تربي في الإنسان إلا نزعة التمرد و الوقاحة في التعاطي مع الأمور العالية و المقدسة - كما هو مشاهد و معروف منهم - و ذلك لم يسبق في أمه من الأمم الماضية أو الحاضرة الغير متأثرة بالغرب أنه كان شديد الوقاحة و الصفاقة و سوء الأدب و الهيبة في التعامل مع الأمور العالية , و هذا كفيل باظهار قيمة القوم.

فالخلاصة : يجب أن نشكر الصليبين الجدد على مجهودهم الرائع في تخليصنا من العناصر الضعيفة و الواهية و التي لا فائدة منها في شيء يُذكر . و نسال الله لهم مزيد من التوفيق و الاجتهاد في هذا المضمار.

...

{ سلسله طريقه حياه المسلمين }
(أ / نظام تعليم المسلمين - في إحدى صوره)

أول ما يقوم عليه هذا النظام هو عباره { في إحدى صوره } ، و ذلك أنه لا يوجد صوره واحده للتعليم ، و لا يوجد لون واحد محدد مقيد له . و هنا أول فرق بينه و بين النظام المُحدث الغربي الذي يعتبر الناس كالغنم يجب أن يدخلوا كلهم تحت منهج واحد ، و كتب دراسيه واحده ، و وقت دوام واحد ، و هو نظام في الواقع مأخوذ من نماذج ثلاثه : المصنع و المصحه العقليه و السجن .

ثم قسّم علماؤنا التعليم إلى مرحله أساسيه هي فرض على كل مسلم و مسلمه و مجانا ميسره للجميع و لكل من يريد أن يدخلها ، و هذه المرحله المعروفه باسم " الكُتّاب " . الغايه من هذه المرحله هي إعطاء مفاتيح كل العلوم الممكنه للإنسان ، مع ترسيخ الرؤيه الوجوديه القرءآنيه في قلب الطفل . أما المفاتيح فهي علم الحروف و علم العدد و العلم الأعلى . علم الحروف يتمثل في تدريس اللغه العربيه نثرا و شعرا . و علم العدد يتمثل في تدريس عمليات الحساب الأساسيه التي يحتاجها كل الناس في حياتهم التفاعليه الاجتماعيه (جمع، طرح..) . و العلم الأعلى هو تحفيظ أو إقراء القرءآن و شئ من أحاديث النبي عليه الصلاه و السلام . و بهذا يكون الطفل قد انفتح أمامه أبواب العلم إلى أبد الدهر ، إذ كل ما سوى ذلك سيكون تفريعا على هذه المفاتيح الثلاثه لا غير مهما تعقّدت صوره العلم . أي الكُتّاب يعلّم الإنسان معنى أن يكون بني ءادم . و لا يوجد مدّه معينه له ، لا يوجد فصول دراسيه يجب أن "ينجح" الإنسان فيها ، لأن مواهب الناس تختلف ، و النظام الإسلامي كيفي و ليس بكمّي. ثم بعد المرحله الأساسيه - التي هي قاعده الحضاره الإسلاميه - ينقسم النظام إلى شارعين . شارع نسميه العلوم و شارع نسميه الحِرَف . فينظر المعلمون أو أهالي الصبي في شأنه و حسب حاجتهم و يسلكون بالصبي أحد الشارعين - العلوم أو الحرف .

أما شارع العلوم ، فالمُراد منه - كما هو الاسم - تعليم العلوم عامه . و يوجد للتعليم هنا ثلاث طبقات ، و لكل علم من العلوم - التي عدد أصولها نحو مائه و خمسين علما - هذه الطبقات الثلاث . الطبقه الأولى هي الاقتصار، و الثانيه هي الاقتصاد ، و الثالثه هي الاستقصاء . فمثلا ، إن أراد شخص أن يدرس علم المنطق ، فيبدأ أولا بدراسه كتاب معمول على نمط الاقتصار ، و اقتصر على الشئ يعني أخذ بالضروري المختصر منه، فيدرس مثلا الخلاصات و الزبد التي توصل إليها أهل علم المنطق ، يدرس نتيجه أبحاثهم فقط ، مثلا "النقيضان لا يجتمعان" و معنى هذه القاعده فقط . ثم يمرّ على المنطق كله بهذا النحو . ثم إذا فرغ من هذه الطبقه ، أمامه أحد أمرين ، إما أن يجد أنه لا يحب هذا العلم فيذهب إلى علم آخر و يبدأ به من طبقه الاقتصار أو يذهب إلى شارع الحرف ، و إما أن يجد أنه يحب هذا العلم فيكمل و يصعد إلى طبقه الاقتصاد ، و الاقتصاد يدرس فيه العلم و لكن مع دراسه الأدله و البراهين التي تثبت تلك القواعد و غيرها التي درسها في طبقه الاقتصار ، ثم بعد أن يفرغ من ذلك ، إما أن يذهب إلى علم آخر أو إلى حرفه ، و إما أن يصعد إلى طبقه الاستقصاء ، و الاستقصاء هو دراسه كل الأدله التي تؤيد و الأدله التي تنقض العلم المعين أي يتبحر في العلم من كل جهاته الممكنه حتى يشبع أو يستمر فيه و يصبح علما من أعلامه .

و هذا النظام بطبقاته الثلاث - الاقتصار و الاقتصاد و الاستقصاء - هو أحد أهم الأسباب التي تفسر لك حقيقه كون الغالبيه العظمى من علماء المسلمين - بل كلهم على التحقيق - يعرفون علوما متعدده . لأنه قد يدرس عشره علوم يكون فيها مقتصرا ، و خمسه يكون فيها مقتصدا ، و اثنان يكون فيها مستقصيا . و هكذا . فضلا عن أن التعليم في حياه المسلمين هو عصب الحياه و روحها و بسطها ، و ليس مجرد " وسيله لكسب وظيفه" بل مهمه شارع الحِرف أن يربي على طرق الكسب كما سيأتي إن شاء الله ، مع فارق شاسع - كالعاده - بين مفاهيمنا عن هذه الأمور و المفاهيم المستورده من شجره الزقوم .

فالفكره الأساسيه للعلم و قيمته في حياه المسلمين قد عبّر عنها العارف بالله السلطان سليمان القانوني العثماني-رضوان الله عليه - إذ قال في مقدمه قوانينه - بالعربيه التي كانت تسمي في الدوله العليّه " الخط الشريف " -

{ اعلم أن المناط في نظام العالم ، و صلاح أحوال بني آدم ، و الباعث علي تدوين نسخ الخلائق ، و الداعي لإنشاء الدوله و الحقائق ، هو تحصيل المعرفه من جناب رب العالمين و تكميل علوم الأنبياء و المرسلين } .

...

(ب / نظام تعليم المسلمين - في إحدى صوره)

و أما شارع الحِرف ، فالأصل في الحرف كلها أن الله تعالى علّم ءادم "ألف حرفه من الحرف" ثم قال له أن يعلمها لذريته و أن يطلبوا الدنيا إن أرادوها بهذه الحرف و لا يطلبوها بالدين فإن الدين لله فقط .

الحرفه هي كل صناعه و فن يتم به استخلاص ثمار الأرض و العمل عليها بما يجعلها متناسبه مع حاجات الناس الظاهره و الباطنه .

الفرق الأساسي بين الحرف و بين "الوظائف" الحداثيه - من حيث التعليم - هو التالي : الحرفه يبدأ اكتسابها من الصغر ، و معيار تعلّمها ليس " امتحانات على ورق " و لكن قدره المتعلم على تنفيذ الحرفه فعلا ، و قدرته على التعلّم من الأخطاء التي يرتكبها ، و قدرته على تنميه حرفته و تحسينها و إضافه شئ إليها . هذه المعايير الثلاثه للنجاح إن شئت : الممارسه الفعليه وَ الاستفاده من التجربه وَ القدره على التنميه . فأصحاب الحرف و الصنائع - الطب حتى في مفهومنا صناعه و ليس فقط من يصنع أدوات و سيارات- على ثلاث طبقات . فطبقه الممارسه و هم الأكثر ، ثم طبقه الاستفاده و هم أقل ، ثم طبقه التنميه و هم أقل الأقل .

لكل حرفه أهل و " نقابه " إلى حد ما . و لأهلها نظامهم و أسلوبهم في تدريب و تعليم الجدد و السلوك بهم في درجات الحرفه و التي يكون غالبا التدريب فيها " على أرض الواقع " و حتى النظريات المتعلقه بها تُدرس غالبا إن لم يكن دائما في موقع العمل و الممارسه - و من هنا مثلا كون مدارس الطب كانت في المستشفيات . فكل الحرف من صناعه الخبز إلى صناعه الأسلحه إلى

صناعه الطب و الهندسه ، كل حرفه لها أهلها و نظامها و التي هي إلى حد ما مستقله في قابليتها على النمو عن غيرها ، و تستطيع أن تقبل الناس فيها بسهوله نسبيه و بحسب قابليه الشخص و استعداده و رؤيه أهل الحرفه فيه و رأيهم في قابليته .

قارن : صبي انتهى من الكُتّاب و عمره عشر سنوات ، ثم التحق بحرفه الطب مثلا . و بدأ يتدرج من عمره عشر سنوات في صنعه الطب و لو بمجرد نقل الأدويه من غرفه إلى غرفه ، أو حتى تنظيف أرض المستشفى. ثم يبدأ يُعطي دروسا في الصنعه ، و يُشاهد الحالات الواقعيه للمرضى و كيفيه تعامل الأطباء معهم و لو من بعيد ، و هكذا حتى قضى خمسه عشر سنه في هذه الصنعه و عقله متفرغ إلى حد كبير طول نهاره تقريبا في هذه الصنعه و تركيزه تام فيها و في كل أحوالها الواقعيه . ثم صبي آخر - حداثي - سيصبح أيضا طبيب ، و لكن من عمره عشر سنوات لا يزال يدرس مواد لا علاقه لها بالطب ، ثم يصل إلى المتوسطه و يدرس كوساين و الجذر التربيعي لأس عشره فاصله تسعه و متى توفي نابليون الخبيث و ما هو شكل رئه الضفدع و غير ذلك من مواد أتحدى لو نختبر فيها رؤساء دول العالم كلهم إن نجح واحد فيهم فيها ، حتى وصل عمره ثمانيه عشر سنه و هو يقضي نهاره كله وراء قضبان " المدارس " مجازا ، و ينشغل أكثر وقته بما لا علاقه له بأي علم فضلا أن يكون له علاقه بالوظيفه التي سيتخرج ليبدأ في دراسه ما يتعلق بها ، ثم يتخرج و يسعى للدخول في جامعه ما " ليبدأ " يدرس مقدمات الطب و ما هو الطب أصلا ، ثم يقضي سبع سنوات من حياته يبدأ في الثانيه أو الرابعه منها برؤيه المستشفى من الداخل . (و ضربنا مثال الطب لصعوبته في أعين الناس ، فالكلام هذا ينطبق من باب أولى على بقيه ال 99٪ من الأعمال و الوظائف التي يقوم بها الناس في حياتهم الاجتماعيه مما لا يحتاج إلى كل عناء الطب أصلا) . السؤال الآن : من منهم حين يبلغ عمره خمسه و عشرين سنه سيكون مؤهلا نفسيا و عقليا و جسمانيا ليمارس و ينمو و يزدهر في الطب ؟ أظن الجواب واضح . قس ذلك على بقيه الحرف و الصناعات .

و المقارنه الأدهى من هذه هي إن نظرت للأمر من ناحيه ماليه . فبينما الصبي التقليدي بدأ يكسب المال من عمر عشر سنوات ، فإن الصبي الحداثي يتم " شحطه " (هذه أكثر كلمه مؤدبه وجدتها للتعبير عن العمليه "المتطوره" للاستنزاف المالي التي تقع على طلاب المدارس الحداثيه) من كل الجهات الأربع (الدبر و الفم و الأذنين) ليدفع رسوم المدرسه السنويه وَ الدروس الخصوصيه وَ شراء الاختبارات أحيانا وَ مواد الدراسه وَ مصاريف الذهاب و العوده و الأكل و الشرب (و التحشيش و التدخين في هذا الجيل) وَ أحيانا الدفع لحارس المدرسه للهرب قبل انتهاء وقت السجن الرسمي . ما يدفعه الطالب الحداثي في سنه يكفي لتكوين مكتبه منزليه يبقى يدرس في كتبها براحته لعشر سنوات و يُحصل فيها من المعلومات ما لا يعرفه تسعه أعشار مدرسين المدارس و لا أقول فقط طلابها الذين لا يعرف معظمهم كوعه من بوعه ثم يقضي بقيه يومه في التفاعل الاجتماعي الحقيقي خارج جدران السجن المدرسي ليعرف كيف تسير الحياه الاجتماعيه فعلا إن كان هدف المدرسه الحداثيه -

حسب دعايه أصحابها - أنها تؤهل الطلاب للحياه الاجتماعيه (أفضل اجتماعيين بعد المدرسه هم دوما أصيع ناس في المدرسه ، و هم قله دوما ، و الباقي يأكل على قفاه و يمتلئ بالعقد النفسيه حتى يأتيه سيدنا عزرائيل عليه السلام) . فتأمل الفرق .

مقارنه أخرى بمثال واقعي من حياه كاتب هذه السطور : لمده احدى عشر سنه من سنين الدراسه كانت درجاتي عاديه جدا ، لأني كنت أعلم أن أهم سنه هي الأخيره و هي التي تحدد "درجه" الطالب المهمه لدخول الجامعه . فمكثت في اللعب و اللهو و الصياعه كل هذه الفتره لم أستفد فيها علما يذكر (إلا لو كنت تعتبر اللهو و الصياعه من العلوم الشريفه) . ثم لما وصلت إلى الصف الثالث ثنوي مشيت على الصراط ، فتخرجت الأول على الدفعه مكررا ، بينما كان لي أصحاب كانوا على العكس من ذلك تماما ، لمده إحدى عشره سنه كانوا الأوائل دائما إلا أنهم بدأوا بالصياعه في آخر سنه (من حسن حظي إن شئت) . امتياز ! (الشئ الذي تعلمته من هذه الواقعه هو التالي : المهم في المجتمعات الحداثيه هو كيف تبدو في صوره ناجح ، و ليس أن تكون ناجحا باستمرار و في الخفاء) . ثم تخرجت بشهاده امتياز بل بشهاده الطالب المثالي ! (تخيّل) و لكن كنت لا أستطيع حتى أن أقلي بيضتين للفطور فضلا عن أن أكسب عشره ريالات من مهنه ما . اثنا عشر سنه من الدراسه ، مئات الآلاف من الريالات ، عشرات الآلاف من الساعات ، ثم ما هي الفائده " العلميه " ؟ لا شئ لا يمكن تحصيله في بضعه أسابيع و ببلاش . ما الفائده " العمليه " ؟ قريب من الصفر بقليل . باختصار ، اثنا عشر سنه ذهبت شبه هدر خصوصا حين تقارنها بما كان من الممكن أن نحصل عليه لو كان النظام التعليمي فيه شئ من الترتيب و العقل. ثم لا يكفي هذا ، فدخلنا الجامعه ، و قضيت أربعه سنوات في دراسه القانون ، كنت لا أدرس الماده إلا قبل الامتحان بأسبوعين ، أقرأ الكتاب ثلاث مرات و أختبر ، و باقي السنه لا أعرف حتى عن ماذا يتكلم الدكتور غالبا ، و دخلت إلى الامتحانات ، و تخرجت بامتياز ، مبروك . فهل عرفت بعد التخرج عن ممارسه القانون شئ ؟ يا ليت والله . سألني أحد الأقارب عن قضيه له و قال " إلى أي محكمه أذهب ؟ " فلم أستطع أن أجيبه . و إلى حد كبير هذا ليس ذنبي ، لأني في أربع سنوات في " دراسه " القانون لم يأخذونا مره واحده إلى المحكمه التي يُمارس فيها القانون . و قس على ذلك .

فالحاصل ، العلم إما أن يُطلب لذاته أو لغيره . لذاته كالعلم بالله و النبي و القرءآن و الشعر و اللغه و الفلسفه و الفنون المعنويه كلها التي تجعل الحياه حياه . لغيره كالعلم بالقانون و الهندسه و الطب و الزراعه و التجاره و نحو ذلك . فالعلم الأعلى (القسم الأول) تُكتسب به الجنه و هو عين الجنه ، و العلم الأدنى (القسم الثاني) تُكتسب به المعيشه و هو كأصل وسيله للمعيشه و كفرع رمز على العمل المعنوي و الروحي (هذا عند أهل العلم الأعلى ، و أما عند الملاحده فإن العمل مجرد " وظيفه " ميكانيكيه أو شبه ميته تُطلب لكسب المال و الشهره عند الجماهير ، فلا قيمه للعمل نفسه بقدر ما هي

القيمه لذات المال أو الشهره التي هي وسيله لمزيد من المال بالإضافه للشعور بالكبرياء في النفس و هو شعور فطري في الإنسان و لكن الفرق في طريقه تحصيله) .

النظام التعليمي الحداثي ، أي علمين يخدم ؟ بالطبع لا يوصل إلى العلم الأعلى ، بل على العكس تماما فإنه من أكبر و أسوأ و أخبث العقبات أمام هذا العلم . فالجواب المنطقي أنه يفترض أن يكون وسيله للعلم الأدنى أي للإعداد للوظيفه للتكسب بها . و لكن هنا يأتي الكلام : كيف يمكن لشخص أن يقضي اثنا عشر سنه من سنين قوته في أعمال لا يستطيع بعدها حتى أن يكون مؤهلا إلا لوظيفه كناس أو صباب شاي ؟ (هل تستطيع أن تتقدم إلى وظيفه محترمه بشهاده ثانويه ولو كانت ١٠٠٪ ؟) . ثم لا يكفي هذا ، حتى تُفرض عليك أربع سنوات في الجامعه و المعاهد ، ثم بعد سته عشر سنه من الجهد اليومي طول النهار في هذا النظام الفاشل تكون النهايه أنك إذا تقدمت إلى وظيفه بشهاده جامعيه إما أن تنتظر إذ لا وظيفه أو أن يطلبوا منك تعلّم لغه أخرى أو أن تأخذ وظيفه براتب مخزي أو - و هو الغالب- أن يتم تدريبك من جديد داخل المنشأه أو الشركه و كأنك شخص جاهل خرجت من بطن أمك قبل أربع ساعات و نصف . والله ، لو كان فينا بقيه حس ، لانفجرنا من القهر على أنفسها إذ قضينا سته عشر عاما في نظام تعليمي - أو فوضى تعليميه حسب وجهه نظرك - و صرفنا مئات الآلاف من الأموال و الساعات و المخاطرات و الهموم ، حتى لا نجد حتى أي غايه معتبره إلا بعد جهد جهيد و حقن شهاداتنا بفيتامين واو كما يقولون (واسطه - لغير العاقلين لهذا اللسان الأعجمي) .

هذا شاهد آخر على مدى " التطور " الذي كسبناه بالتخلي عن تقاليدنا العاليه . مثال واحد على إنسان بلغ القمه في نظام التعليم التقليدي هو الشيخ الرئيس ابن سينا ، الذي لما بلغ ثمانيه عشر سنه (لا سجن و لا يحزنون) كان قد تمكن في ثمانيه علوم و حرفه ، العلوم (القرءآن وَ الأدب العربي و الفارسي وَ الفقه لدرجه المناظره فيه وَ الحساب وَ المنطق وَ الرياضيات وَ الطبيعيات وَ و الإلهيات) ثم الحرفه (الطب ، حتى أنه كان طبيب سلطان زمانه ، و كان كبار أهل الطب يدرسون عليه) . و لما وصل سن اثنين و عشرين سنه كان يؤلف المؤلفات ذات المجلدات العشرين و العشره . طبعا ، الشيخ مثال استثنائي ، و لكن مع ذلك يُظهر المدى الذي يمكن أن يصل إليه الإنسان داخل النظام التعليمي الإسلامي .

و الله العليم الحكيم .

...

{ سلسله طريقه حياه المسلمين }
(ج / موضوع التعليم و معيار النجاح)

بما أنه يوجد بعد المسار الأساسي , إما مسار نظري (علوم) و إما مسار عملي (حرَف) , فالسؤال الآن : ما هو موضوع التعليم في هذين المسارين و ما هو معيار النجاح فيهما ؟

أما في مسار الحرف , فقد ذكرنا أن موضوع التعليم - كما هو واضح - هو نفس الحرفة و الصنعة و كل ما يتعلق بها من معاني و أداب و فنون و ظروف حتى تصبح حرفة الإنسان جزء من تركيبته الطبيعية , و من هنا تم استعمال كلمة " فلان ورّث صنعته لابنه " أو " فلان ورث الصنعة الكذائية من أبيه عن أجداده " و التي تستعمل كثيرا في مجتماعتنا التقليدية لا اقل حتى وقت قريب جدا , و تعبير " ورث " مهم في الدلالة على هذا الانتقال الطبيعي و التلقائي للصنعة من جيل إلى جيل , و هو إشارة إلى تغلغل روح الصنعة و فنونها و أسرارها فيهم . و معيار النجاح في أي صنعة كما ذكرنا يتكون من ثلاث طبقات فيها درجات , يكفي الإنسان أن يكون في الطبقة الأولى منها و في الدرجة الأولى من هذه الطبقة حتى يُعتبر من أهل الصنعة , و الطبقات هي : الممارسة الفعلية ثم الاستفادة من التجربة ثم التحسين و التنمية . و ذكرنا أخيرا أن الحرف هي وسيلة كسب المعيشة و عمارة الدنيا و تحسين شؤون الجسم كأصل . و قلنا أن التعليم الحداثي ينصب حصرا - حسب النظرية - على مجال الدنيا , بينما يفشل فشلا ذريعا بالمقارنة مع التعليم التقليدي من حيثيات متعددة , من أهمها أن التقليدي يفتح ابواب الحرف و الصناعات من سن مبكرة , و أنه يجعل الممارسة و التعليم الواقعي المباشر للصنعة هو الاساس , و غير ذلك من اختلافات , سنذكر بعضها لاحقا إن شاء الله .

أما في مسار العلوم , فموضوع التعليم هو - بناء على المثال القرءاني النبوي - دائما كتاب و شيخ أستاذ . الأفضل حسب ما ذكر بعض العلماء هو أن يتم تركيز الطالب على علم واحد حتى يتمكن منه ثم ينتقل إلى غيره, سواء كان في مرحلة الاقتصار أم الاقتصاد أم الاستقصاء . و هنا ملاحظة شديدة الأهمية على النظام الحداثي الذي يجعل الطالب يرخل في ستة أو سبعة دروس من علوم مختلفة (تسميتها علوم مجازا) في يوم واحد , أو في أسبوع واحد و يطلب منه أن ينتهي من هذه العلوم في كل فصل دراسي : يوجد طريقان لجعل الناس جهلة تكره العلوم , الطريق الأول أن لا تعلمهم شيء , الطريق الثاني أن تُعلّمهم كل شيء ! تعليم سبعة علوم في وقت واحد لا يتمكن من الرسوخ فيه و فهمه فعلا إلا واحد من عشرة آلاف إنسان . فاي غفلة هذه في أن يُفرض على الأطفال و الصبيان و الشباب الانهماك في سبعة أنواع مختلفة من العلوم و الدراسات في آن واحد , ما الذي دفع إلى هذا التصور ؟ الجواب : نموذج المصنع الغربي . ففي المصنع يتم تركيب السيارة مثلا على **Assembly line** أليس كذلك , فيمر الشيء على محطات متعددة , الأول يركب فيها الهيكل فالثاني يركب الكفرات فالثالث المحرك و هكذا . و تم أخذ هذا النموذج في التعاطي مع الأوادم (فعلا !) و اعتبروا الإنسان (الذي هو في فلسفتهم المريضة مجرد " آلة ") و بالتالي هو الشيء الذي يُراد صناعته , فيمرّ أولا على محطة درس الرياضيات ثم محطة درس الكيمياء ثم محطة درس اللغة و هكذا , و المفترض أن دماغه سيستوعب هذه الأشياء كما تستوعب السيارة مركباتها على ال **Assembly line** . و لم يخفوا حسهم الفكاهي أي الذين وضعوا هذا النظام الصناعي المريض , حين جعلوا " رن الجرس " هو دليل انتهاء الحصة أي المحطة الأولى و وجوب الذهاب إلى الحصة-المحطة الثانية , كما هو الحال في المصانع القديمة تحديدا حين بدأ وضع هذا النظام . أي آدامي يحترم نفسه و غيره يمكن أن يجعل صوت ميت كالجرس هو وسيلة تبليغ الأوادم بشيء راقي كشؤون التعليم . ثم كذلك جعلوا لكل حصة "وقت معين" يجب أن تنتهي فيه من المقرر, و الذي تسم تقسيمه على "مدة معينة كمّيا" و هي الفصل الدراسي , و كأن عقل الإنسان يجب أن يتكيّف مع التقسيمات الكمّية للمرضى الذين وضعوا هذا النظام , و ليس النظام هو الذي يجب أن يتكيّف مع عقل الإنسان. هذا يشبه سبعين شخصا ذهبوا إلى "بوفيه" مفتوح , فوجدوا صاحب الدعوة قد وضع لهم سبعة أطباق من ألوان مختلفة من الطعام , كل طبق له حجم معين , ثم عّين لهم 15 دقيقة و قال لهم : يجب أن تمسحوا الصحون بألسنتكم و تهضموا الطبق الأول خلال 15 دقيقة , ثم حين أضرب الجرس انتقلوا مباشرة إلى الطبق الثاني , و هكذا مرورا على الأطباق السبعة , ثم تعالوا عندي كل يوم لمدة 4 أشهر , و بعد ذلك سننظر في أفضل شخص بلع و هضم هذه الأطعمة على هذا النظام و نعتبره " أفضل آكل في السنة " و نعطيه ميدالية ذهبية ! أي فاسق ! أي عديم الذوق ! أي مسرف ! أي جاهل بسعة أمعاء الناس ! هل عرفتم الدافع الحقيقي لهذا النظام التعليمي ؟ هو في الواقع أن تبلع كل هذا - أيا كانت كيفية البلع - ثم تأتي أيام الامتحانات - و هي المعيار الوحيد المهم - و تكون لك القابلية على استفراغ ما بلعته خلال الشهور الأربعة على ورقة الامتحانات ثم ترجع إلى بيتك و تنتظر نتيجة التحاليل المخبرية لمعرفة مدى هضمك لهذا الذي استفرغته .

لذلك , تقليديا لم يكن الأمر كذلك , بل قد تجد المدرسة بكاملها تسمى باسم كتاب واحد , مثلا "مدرسة المفتاح" و المفتاح هو اسم الكتاب المحوري الذي يتم دراسته . و الدراسة هي كالتالي : يجلس الأستاذ مع الطلاب في حلقة أو مجلس الدرس , و يقرأ الشيخ فقرة من الكتاب , أحيانا قد لا تتجاوز سطرا واحدا , و يشرح الأستاذ هذا السطر و ما فيه من أفكار في مدة غالبا ما تكون قليلة نسبيا - شيء كنصف ساعة مثلا أو اقل - و يبيّن أي كلمات غامضة في النص , ثم بعد ذلك يبدأ النقاش بين الطلاب و الاستاذ و الطلاب مع بعضهم حول ما تضمنه النص من أفكار , و قد يجلسوا - و هذه ليست مبالغة بل هذا هو النمط المعتاد - أربعة أو خمسة ساعات يتأملون في هذا السطر أو تلك الفقرة , و يقلبّوها من كل وجوهها , و ينظرون في ما يمكن أن يتفرع عليها , و هكذا يتعمقون في كل كلمة و حرف و نظرية و عمل يمكن أن يشتمل عليها النص المقروء . ثم ينتهي الدرس و يذهب الطلاب إلى بيوتهم . هذا "يوم دراسي" كامل ! و يركز الطلاب غالبا على علم واحد , متثلا في كتاب واحد . يُحكى في هذا المجال عن أحد السادة الصوفية من مشايخ الطريقة أنه جاءه مريد يريد أن يدرس على يديه كتاب "اللمع" لسراج الدين الطوسي , و هذا الكتاب في شؤون التصوف و فيه مقدمة ثم بقية فصول الكتاب و هو كتاب مشحون و طويل نسبيا (طويل أي حدود **400** صفحة , فهو طويل بحسب معايير زمان الفقر العقلي الذي نحن فيه , و أما في تلك الأيام " المتخلفة " فكانت مثل هذه الكتب تعتبر " مختصرات ") . فقبل الشيخ , و بدأ التدريس . بعد خمسة عشر سنة تخرج المريد , و قال له الشيخ ما معناه " آذن لك الآن بأن تعلم الناس الطريقة و تكون شيخا لهم " . اللطيف في القصة ليس أنه استغرق خمسة عشر سنة لدراسة كتاب من **400** صفحة , و لكن اللطيف هو أنه في الخمسة عشر سنة لم يدرسه إلا المقدمة فقط ! و المريد من عقلاء الناس و كبارهم , و لكن طريقة التدريس لم تكن " كمّية " و لكن "كيفية " . فلا يُعتبر الموضوع قد "فهم" إلا إذا استوعبه الطالب من أكثر جهاته , و إن كان له جانب عملي و أخلاقي لم يتجاوزه المدرس إلا بعد أن يتمكن الطالب من علمه و أخلاقه , و هكذا . فالقضية ليست " نريد أن نكمل المنهج قبل الامتحانات " , أسلوب ال **Fast food** , و التعليم ال **Take away** , هذا ليس من سمات علماء المسلمين و التقليديين أيا كانوا . و لذلك , ليس المهم أن تدرس عشرين كتابا , يكفيك أن تدرس كتابا واحدا بطريقة عميقة و سليمة و تعرف كيف تحلل و تعقل و ترتب أفكارك , حتى يصبح عقلك مفتاحا يمكنك من تعلم أي كتاب أو موضوع أخر يقع بيدك بعد ذلك . فالفكرة هي تعليم " طريقة التعلم " من خلال تدريس موضوع أو كتاب واحد أيا كان . و هذا الفن يرجع إلى العهد النبوي نفسه . فاصحاب النبي عليه السلام كانوا في تعلمهم للقرءان مثلا لا يتجاوزون الآية الواحدة إلا بعد أن يعرفوا ما فيها و يعملوا به - كل حسب سعته الشخصية . و عندما يُقال أن عمر بن الخطاب احتاج إلى اثنتي عشرة سنة لكي يحفظ سورة البقرة , فإنه ليس المقصود حفظ التكرار و لكن حفظ الأحبار , إذ كان عمر من حفاظ القرءان كله , و لكن المعنى أنه احتاج في دراسة سورة البقرة دراسة تفقه إلى اثنتي عشرة سنة . و هكذا كان بعض

العرب حين يسلم و يأتي ليتعلم القرءان , قد يأخذ سورة واحدة و يكتفي بها و يرجع إلى بلاده , كالأعرابي الذي لما سمع و حفظ سورة الزلزلة قال " اكتفيت " و رجع إلى قومه .

التعليم التقليدي يرى القطرة كالبحر , التعليم الحداثي يرى البحر كقطرة .

فالقضية الأولى في فن التعليم هي : التركيز على موضوع واحد , و كتاب واحد حتى يتمكن الإنسان فيه , ثم ينتقل إلى ما بعده إما بعد أن يتمكن فيه أو يجد أنه لا قابلية له عنده فيتركه و ينتقل إلى شجرة أخرى و لا "عيب" و لا "فشل" و لا "مصيبة رسوب" و لا "فضيحة اجتماعية" و لا "صعوبات تعلم " و لا أي خرافة أخرى نشأت كلها كعناوين تصب السيئات على راس الطلاب حفاظا على شرف نظام التعليم الحداثي الذي لا شرف له أصلا . فبدل من أن يعترف أرباب هذا النظام الحداثي المبتدع بأن بغض غالبية الطلاب لمدارسهم , يقولون " إن الطلاب يبغضون المدارس " لاحفظ الفرق بين (بغض مدارسهم هم) و بين قولهم (يبغضون المدارس) و كأن كل من يكره ما ابتدعوه بفاسد رايهم يعني بالضرورة أنه يكره التعليم من اصله , أليس هذا مجرد صورة من الصور المتعددة التي تشهد أنهم قوم من المتعصبين "الداعشيين" الذين يعتبرون أن كل من يخالفهم يستحق الموت و الوصم بالعار الأبدي للجهل و الفشل و سيتم رفضه من كل مؤسسات التعليم و الوظائف لأنه لا يحمل "شهادتهم" له بأنه إنسان له عقل و قدرة على العمل و التعلم . لا نسمع أحد من هؤلاء "الليبراليين" و "التعديين" يفتح فمه فيما يتعلق بهذه القضية المحورية و الجوهرية , لا نسمع أنهم يريدون "التعددية" في أنظمة التعليم و صوره , لا نسمع أنهم يدينون "خرافات" الحداثيين كما يقومون - حسب تصورهم الضعيف - بنقد خرافات التقليديين (و القوم يسمون أي شيء لا يفهمونه أو لا يستطيعون أن يعملوا به لضعفهم و كسلهم " خرافة " - كعادتهم) . علامة المنافق اجتماعيا : ينقد القضايا التي لا ينتصر لها أهل الثقافة الحاكمة , و يجبن عن نقد القضايا التي تنتصر لها الثقافة الحاكمة .

تابع إن شاء الله ...

...

{ سلسله طريقه حياه المسلمين }
(د / معيار النجاح التعليمي - عالميا و شخصيا)

ذكرنا فيما سبق القاعده العامه للنجاح فيما يتعلق بالتعليم ، و هي كلها متضمنه في كلمه السلطان سليمان القانوني و التي لنا عليها شرح كامل لسنا بصدده هنا ، و لكن نشير إشاره عابره إلى التالي: الغايه من التعليم تكمن في أربعه أمور . " حفظ نظام العالم " و "صلاح أحوال بني ءادم" و "تحقيق الغايه من خلق الله للخلق " و " تحقيق الغايه من إنشاء الناس للدول و المجتمعات " .

أما نظام العالم ، فإن الإنسان من حيث هو خليفه الله فهو مركز دائره الوجود ، و قلب الإنسان هو مركز دائره وجوده ، و العقل هو مركز دائره القلب ، و حيث أن الدائره لا يمكن رسمها إلا برسوخ قطبها و مركزها الذي تدور عليه ، فإن نفس وجود العالم كله - و ليس العالم الجسماني الذي ما هو إلا آخر طبقه من العالم - يعتمد و يقوم على استناره عقل الإنسان خليفه الرحمن ، و من هنا ورد على لسان الخليفه الأعظم سيدنا النبي عليه السلام أن الدنيا ستفنى حين لا يبقى في الأرض من يقول " الله الله " أي سيفنى أهل الذكر - و الذكر روح روح العلم - و أن القيامه ستقوم على "شرار الخلق" و هم الجهله و الظلاميين ، بمعنى أن انطفاء نور العقل هو سبب وقوع العالم في الظلمه و بالنتيجه "ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت أيدي الناس " .

أما صلاح أحوال بني ءادم ، فإن كل إنسان يسعى إلى شعور نفسه بالكمال أو الاقتراب منه ، و يريد عزه النفس و الكبرياء - و هذا فطري إذ من سجدت له الملائكه لن يرضى أن يعيش كمخلوق هامشي

بحال من الأحوال ، و لهذا الغرب الذي بدأ بل انتهى إلى الاعتقاد بأنه انسان هامشي هو عباره عن أسوأ نفسيات عرفها التاريخ البشري (باعتراف كثير منهم في هذا أيضا كما لا يخفى على المتتبع)- و يريد البسط و السعه . و السؤال الآن : كيف يمكن أن يحقق هذه المطالب أو يكون على طريق تحقيقها ؟ و الجواب : بسلوك طريقه المعرفه . فإن المعرفه - الذكر و الفكر و الفن بصوره النابع منهما- هي الوسيله التي يمكن أن تتوفر لشتى أطياف الناس حسب درجاتهم و سعتهم و اجتهادهم و توفيقهم ، و لكن لا يمكن توفير العلو المالي للجميع ، و لا توفير الجمال البدني و قوته و لذاته للجميع، و لا توفير "المناصب الاجتماعيه و السياسيه " للجميع ، بل و لا للأكثر ، بل و لا للكثير ، لأن هذه الأشياء بطبيعتها قليله و فيها مزاحمه شديده ، فلو امتلك كل الناس الذهب لسقطت قيمته و أصبح كالتراب ، و قس على ذلك . ثم إن كل هذه الأشياء ظاهريه لا تخترق ذات الإنسان و تقوم بقلبه و تبسطه بنفس بسطها الذاتي لذاته . أما المعرفه بشتى صورها فعلى العكس من ذلك كله . فحين يكون الأصل الأعلى الذي يقوم عليه تجمع و حياه بني ءادم هو المعرفه ، كما هو المعيار الذي يشكل لب لباب الحضاره الإسلاميه و أي موضع فيه مسلمين فعليين ، فإن الأمر يختلف تماما ، و يكون في قابليه كل إنسان أن يسعى للمعرفه و ينال رتبته في نفسه و في الجماعه حسب توفيقه و اجتهاده و إحسانه . و العلم لا ينقص على الإنفاق و النشر ، بل يزداد و يرتفع و يتعمق .
أما تحقيق الغايه من خلق الله للخلق ، و التي عبّر عنها السلطان بقوله "و الباعث على تدوين نُسخ الخلائق " ، و عبارته تدل على الرؤيه العرفانيه للخلق على أنه كتاب مدون ، و يكفي في تعظيم قيمه الكتاب في أعين المسلمين العارفين أن الكون كله عندهم في صوره كتاب ! ثم إن أي شئ يقترب من كماله بحسب غايته ، و كلما اقترب من كماله كلما انبسط و رسخ و قوي و علا ، و بالتالي فإن كون الله خلق الإنسان ليعرفه " فخلقت الخلق ليعرفوني " و هو قول الحبر ابن عباس في قوله تعالى "و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون " قال : ليعرفون . و كل علم بشئ هو في الحقيقه علم بالله تعالى ، لأن الحق سبحانه هو الذي به كل شئ و هو الظاهر في كل شئ ، و بالتالي يكون كل علم - و العلم هو معرفه موجود ما - هو علم بالله ، فالعلم بالله ليس فقط دراسه كتاب التوحيد - و إن كان هذا أعلى صور العلم من حيث الجوهر - إلا أنه علم بكل موجود على الإطلاق ، و لهذا كان القرءآن كلاما عن كل الموجودات حسب العين الظاهره للإنسان و البصيره الباطنه فيه ، فتكلّم القرءآن عن التوحيد كما تكلّم عن النمل و النحل ، فتأمل . و لا يفسد حياه الإنسان شئ مثل أن لا يعرف لماذا هو مخلوق ، و أن لا تكون له إراده حيه قويه في عمله و سعيه ، و العكس صحيح ، لا شئ يبسطها و يجملها مثل أن يعرف غايه خلقه و تكون له إراده قويه للسير بالغايه و نحوها " يريدون وجه الله " . و هذا كله بسلوك طريق المعرفه و أن يكون هو نمط الحياه العام ، و ليس مجرد شئ يعمله لمده بضعه ساعات جبرا أو كرها من أجل أن يحصل على وظيفه يقتات منها أو يسطو في البلاد و على العباد من خلالها .

أما قول السلطان " و الداعي لإنشاء الدوله و الحقائق " ، فإنه يبيّن أن "إنشاء الدوله" ليس غايه - كما يتصور كل سياسي وقح و ساع للكذب على الناس باسم الشريعه الشريفه - و لكن إنشاء الدوله

وسيله ، وسيله إلى غايه ، و هذه الوسيله لا تجد قيمتها و مبرر وجودها إلا في حال وجود غايتها ، ثم لا تكون لها قيمه إلا بقدر قيمه غايتها ، كما أن الأثر لا يمكن أن يكون أكبر من سببه ، كذلك إنشاء الدوله إنما هو وسيله لتأمين حياه الناس ليتفرغوا لسلوك طريقه المعرفه ، و لن تجد للشريعه - إذا تأملتها و استقرأتها - مقصد أعظم من تفريغ الناس للمعرفه . و من هنا قال الحق سبحانه "و إذا فرغت فانصب . و إلى ربك فارغب ". فتحصيل الفراغ من شؤون المعيشه و تحقيق الأمن هو الغايه الأساسيه للدوله و مهمتها هي تيسير ذلك كله . و من هنا قال الباري " فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع و أمنهم من خوف ". فأولا أطعمهم و أمنّهم ، ثم ثانيا فليعبدوا و ليعرفوا - و لا عباده بلا معرفه بل عين العباده عين المعرفه و لذلك قال " فاعبد ربك حتى يأتيك اليقين " و على أحد الاعتبارات في الآيه فإن العباده المقصوده هنا هي طريق تحصيل اليقين ، و اليقين مطلب طريقه المعرفه . و بذلك ، يصبح للدوله ككل كعبه واضحه تدور في فلكها ، كما بيّنتها الآيات المباركه .

فالحاصل كما ترى ، فإن " النجاح " في شؤون العلم ليس مجرد ورقه كرتونيه تحملها مكتوب عليها رقم معين - سنأتي على مدى قيمه هذا الرقم إن شاء الله لاحقا - و لا هو مجرد قضيه فرديه . بل هو أولا و قبل كل شئ قضيه وجوديه شامله . فهذه هي القاعده العامه لتعيين النجاح . فلا يوجد نجاح في نظام التعليم حين لا يكون هناك نظام للعالم ، و لا حين يكون هناك فساد في أحوال بني ءادم ، و لا حين لا يعرف الناس لماذا خُلقوا و هم في ريبهم يترددون و في طغيانهم يعمهون ، و لا حين تصبح الدوله و الشؤون الاجتماعيه مطلوبه لذاتها أو لأي غايه سفليه أخرى . حين لا تتحقق هذه المعايير الأربعه ، لا يمكن بحال من الأحوال التجرؤ و الحديث عن وجود نجاح في التعليم ، حتى لو تخرّج كل طلاب المدارس و الجامعات بامتياز مع مرتبه الشرف الأولى - و لا شرف .

أما من حيث معايير النجاح الفرديه - أي في الصوره المصغره بعد تلك الصوره المكبره . فإنه كما ذكرنا سابقا ، فإن المسار بعد الفرض الأساسي للكُتّاب بمفاتيحه الثلاثه ، إما علوم "المجال النظري المطلوب لذاته " ، و إما حِرف "المجال العملي المطلوب لغيره" . و عرفنا أن معيار النجاح في الحِرف هو الممارسه و الاستفاده و التنميه . فما هو معيار النجاح في العلوم و المجال النظري ؟
الجواب : التصنيف و التأليف .
أما التصنيف ، فنقصد به قدره العالم على كتابه كتاب - أو إلقاء كلام - أي سواء خط أو شفاهه و لنركز هنا على الخط الذي هو المعيار الأبرز . و الكتابه هنا المقصود منها إنشاء كتاب جديد .
أما التأليف ، فنقصد به قدره العالم على شرح كتاب موجود ، أو تفسير الأفكار و العبارات و الإجابه عن المسائل التي يتكون منها هذا العلم .

مثلا ، إنسان درس النحو العربي الشريف . و حضر فيه دروس الأساتذه و قرأ المصنفات فيه ، و جلس تسعه و تسعين سنه يجاهد في فهمه . هل حضور الدروس و القراءه و طول مده الدراسه تعني أنه " ناجح " في تعلم هذا العلم ؟ لا . هل إن كتبنا ورقه امتحانات و قيّمناه رقميا بناء على اجابته

على بعض المسائل التي وضعناها اعتباطا أو باختيار ، تعني أنه الآن أصبح ناجحا في هذا العلم؟ الجواب أيضا لا و سبعين لا . فحضوره الدروس لا يعني - من حيث الظاهر - أكثر من أنه حضر الدروس ، فقط . و إجابته على ورقه الامتحانات لا تعني أكثر من أنه كان محظوظا بأن الأسئله التي وردت في الورقه كانت في حيز معلوماته في ذلك الوقت ، أو أنه أجاب عن أكثر من نصف الأسئله مما يجعله في حكم "الناجح" ، أو أن يكون كحال كاتب السطور الذي كان يبلع الكتاب قبل الامتحانات ثم يستفرغه عليها ثم يأخذ امتياز و إذا سألته عن أي موضوع في هذه الماده بعد وقت الامتحان بثلاث ساعات - بدون أي مبالغه - قد يجد صعوبه في الإجابه على ربع الأسئله بل لعله نسيها كلها تقريبا (هذه مهاره ممتازه طورتها على مر السنين ، و هي أنه بعد الاستفراغ في قاعه الامتحانات أقوم بغسل معدتي بالكليه بعمليه تأمل بسيطه تُطهّر المعده تماما من نجاسه التعلم من أجل كسب رقم معين و كأننا نلعب كره قدم أو كره سله) . كل هذا لا يدل على أن العلم قد تمكّن في الإنسان أدنى تمكّن . أي صلته بالتمكين ليست مباشره في أفضل الأحوال .

الذي يدل دلاله مباشره على فهم العلم هو القدره على التصنيف و التأليف فيه . فإن وضعنا ورقه و قلم أمام شخص درس النحو ، ثم طلبنا منه أن يكتب لنا قواعد النحو في موضوع معين و يشرحها لنا من عقله و فهمه ، فإن كتبها فإن هذا يعني أنه أصبح عاقلا للموضوع . و كذلك إن أعطيناه متنا في علم النحو ، مثل ألفيه ابن مالك رحمه الله ، و طلبنا منه أن يشرحها لنا ، فعرف كيف يشرحها ، فإنه يعتبر إلى حد ما متمكن في العلم . و بطبيعه الحال ، قد يضع الإنسان بين يديه مراجع ينقل منها كالببغاء ، و هذا ليس موضوع كلامنا . كلامنا بالنسبه للفرد نفسه بنفسه ، بغض النظر عن استعانته بمراجع لنقل بعض العبارات أو لتفسير بعض الغوامض هنا و هناك ، و لكن الأصل أن يكون الكلام كلامه و الشرح شرحه ، و هذا لا يعني أن كل كاتب أو شارح سيأتي من الألف إلى الياء بإبداعاته الخاصه ، القضيه ليست قضيه "إبداع" و حسب ، و لكن القضيه هي وجود الفهم و القدره على الوضع و الشرح ، مثل كل كتب الأعلام من أهل الذكر و الفكر الذين وضعوا أمورا فيها أنفاسهم و عقلهم حتى لو كان بعضها بل و لو كان أغلبها قد سبقهم إلى التعبير عنه غيرهم ، فإن القضيه ليست مسابقه و لا منافسه ، و لكنها رسوخ القدره . بغض النظر عن تقييم الآخرين لك ، المهم أنك أنت في نفسك لا تستطيع أن تدرك أنك تمكّنت من علم نظري معين إلا بعد أن تستطيع أن تضع فيه مصنفا أو تلقي فيه دروسا على غيرك من جهه ، أو أن تشرح كتابا و متنا موجودا سواء شرحته بالكتابه أو بالكلام الشفهي .

و على سبيل المثال ، و حيث أننا قد سبق أن ذكرنا الشيخ الرئيس ابن سينا رضوان الله عليه ، فإنه لما حكا مسيرته العلميه توقف بعد أن بلغ عمره نحو اثنين و عشرين سنه . لماذا ؟ لم يهتم بكم كان عمره ، و لكن بكيف كان حاله لما بلغ هذه المرحله . و حالته كانت التالي : من حيث العلوم أصبح يضع التصانيف و المؤلفات فيها ، حتى إن جاره مثلا سأله أن يضع له كتابا في الفلسفه بأقسامها الأربعه،

فكتب له نحو عشرين مجلدا لا توجد بين أيدينا اليوم لأنه كتبها لجاره فقط - ! - و الجار بخل بها فلم ينشرها أو يأذن بنسخها من شده حبه لها ، و عشرين مجلد بمعيار ذلك الزمان تعني بالنسبه لهذا الزمان "موسوعه" يحتاج الإنسان لقراءتها بضعه سنوات . فبعد أن بلغ مرحله التصنيف من العدم و التأليف لشروحات متون موجوده ، فإنه اعتبر أنه تمكّن في ناحيه العلوم . و أما من ناحيه الحرفه ، فإنه ذكر - حتى من يوم كان عمره ثمانيه عشر عاما بل قبلها - أنه أصبح يمارس الطب - بمداواته للمرضى عموما و سلطان زمانه خصوصا - و أصبح يستفيد من تجاربه مع المرضى ، و أصبح قادرا على وضع بعض الأمور التي نمّت علم الطب و ممارسته في زمانه. و إن كان بطبيعه الحال استمر نموّه مع الوقت و الاجتهاد ، إلا أنه وضع قدمه في الطبقات الثلاث بغض النظر عن درجته في كل طبقه .

فإذن ، بعباره جامعه : معيار النجاح في العلم عالمي و شخصي . عالمي بتحقيق نظام العالم و صلاح أحوال بنى ءادم و الغايه من الخلق و الغايه من الدوله . و شخصي ، من حيث العلوم بأن يستطيع أن يصنّف و يؤلف الشروحات ، و من حيث الحِرف بأن يمارس و يستفيد و ينمي حرفته. " سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم " .

...

{ سلسله طريقه حياه المسلمين }

(هـ / حريه التعليم - التعريف و الضمانات)

قبل الحديث عن حريه التعليم يجب أن نعرف عناصر التعليم التي يُراد تحريرها . و عناصر التعليم خمسه : المُعلّم ، الطالب ، المكان ، الزمان ، الكتاب .

أما تحرير المعلم ، فهو أن لا يكون عليه أي ضغط من فوقه - سياسي تحديدا - يوجّهه في كيفيه تعليمه و ما الذي يجب عليه أن يعلمه و طريقته في ذلك ، و المقوله الشائعه إلى يومنا هذا بهذا الخصوص هي " لكل شيخ طريقه " ، و معلوم أن هذه الحريه شبه معدومه إن لم تكن معدومه فعلا عند الحداثيين الذين شعارهم " لكل الأساتذه طريقه واحده أو سيتم فصلهم من الوظيفه " .

أما تحرير الطالب ، فهو أن تكون له الحريه في اختيار معلمه و الاتفاق معه على الزمان و المكان و الموضوع أو الرضا بما يعرضه المعلم المختار في ذلك ، فعمليه التعليم عقد شراكه و معاهده ، و ليس طغيان ، و لا يزال هذا النظام الحر ساريا في بعض مواضع العالم الإسلامي إلى يومنا هذا بل الواقع أنه النظام المعمول به في كل العالم الإسلامي الذي يُعلّم فيه أهل العلم الطلبه بعقد حر تماما بينهم و إن كانت هذه العمليه غير معترف رسميا بقيمتها من قبل المجتمع و أربابه على العموم . فتقليديا ، كان الطالب يختار الكتاب أو العلم الذي يريد تعلمه و يختار معلمه من بين كل المعلمين المتواجدين و يتفق معه حيال الدرس و شؤونه ، و أحيانا يجتمع مجموعه من الطلبه الذين يريدون أن

يتعلموا علما معينا و يذهبوا إلى أستاذ و يطلبوا منه أن يفرغ لهم وقتا لتدريسهم و هكذا . فلا يذهب الطالب للدراسه إلا و هو فاعل مختار لها إن كان واعيا أو باختيار أهله له في سن الطفوله و الذي لا إراده مستقله بالكليه فيه أصلا حتى تُراعى .

أما تحرير المكان ، فهو أن لا ينحصر التعليم في أبنيه معينه تسمى " مدارس " أو " مدارس و جامعات رسميه " ، نعم قد توجد هذه ، و لكن لا ينحصر التعليم فيها و يكون ما سواها في حكم العدم أو قرين الفشل ، و أي فرق أصلا بين أن يشرح الأستاذ في قاعه - قبيحه المنظر غالبا و مجلبه للكآبه و باعثه على الكسل و التعاسه - و بين أن يشرح في غرفه أو حتى في حديقه أو مسجد أو غيره ، منطقيا يعني . تقليديا ، كان التعليم الأول يتم في المساجد ، المسجد لم يكن أبدا مجرد مكان لإتمام الفروض الخمسه الكريمه، و لكن كان محل حلقات العلوم المختلفه ذكرا و فكرا ، و مسرح المناظرات - المناظرات ذلك الفن الذي كان يشكل "مسرحيات " العالم الإسلامي مع سلب الكذب و السخافه من تمثيله بالمسرحيات - و غير ذلك من أعمال ، و المكان الثاني تقليديا للتعليم - المستمر إلى يومنا هذا - هو البيوت ، بيوت الأستاذه و الشيوخ و العلماء . و هذا كله راجع إلى القرءآن و سنه النبي عليه السلام . ثم شيئا فشيئا بدأت تُبنى المدارس الملحق بها مساجد و مصليات دائما ، و كذلك بيوت للطلبه أحيانا كثيره و غير ذلك كما هو معلوم .
و أما تحرير الزمان فمن وجوه : الوجه الأول هو تحرير مدّه الدراسه ، فلا يوجد أي سبب منطقي و لا خرافي يجعلنا نقبل بوجود فتره دراسيه محدده كمّيا مسبقا ، يجب على الجميع أن يتقيد بها و يفهم الكتاب المقرر فيها في هذه الفتره ، هذا مبني على الفروض الصناعيه و رغبه أرباب السلطه -الذين بدأوا بذلك في أمريكا تحديدا في القرن التاسع عشر و تمكنوا منه في بدايات القرن العشرين- في تقييد الناس و جعلهم أسوأ من الغنم في تقييدهم بمعادلات كمّيه لا داعي لها بحال من الأحوال . فيجب أن يكون الناس أحرارا في أن يهضموا الطعام كما فطر الله أمعاءهم ، لا كما يرغب بذلك طغاتهم . الوجه الثاني هو تحرير وقت الدراسه نفسها ، أي فرض أن يكون وقت الدراسه للجميع هو من الساعه السابعه صباحا حتى الثانيه ظهرا مثلا ، و نحو ذلك . هذا لا يمكن تعميمه على الجميع إلا بقهر الكثير من الناس ممن لا يجد قابليه في نفسه و ليس عنده استعداد للاستيقاظ المبكر و استيعاب العلوم في حال استيقظ مبكرا ، و لهذا تجد أن النعاس و النوم في المدارس و المشاكل و المشاغبات و اللهو في الفصول هو من الأمور المشهوره جدا على مستوى العالم ، و الحمد لله ، فهذه علامه صحّيه على تمرد الطلاب ضد هذا التقييد المضاد لفطره البعض . و يبدو أنهم الأكثر . و بعض الناس يحب أن يمارس الرياضه الجسمانيه في الصباح ، و يدرس في المساء ، و لا ننسى أن الله ذكر "قيام الليل " بالقرءان و لم يذكر "قيام النهار" بل جعل النهار للعمل للمعاش ، أي الحركه في الأرض و المجتمع و مشاهده الناس . ففي كل الأحوال هذا الأمر ينبغي أن يتم برضا الطلاب و رضا الأساتذه أيضا إذ كم من أستاذ " أخلاقه في خشمه " في الصباح و لا يستيقظ إلا بحكم قهر الراتب الوظيفي و ليس لرغبته في التعليم بينما نفس الأستاذ في وقت آخر من اليوم - و على نمط

معتاد - يجد استعداده أفضل للتعليم و التفهيم و الصبر على هذه العمليه الكبرى . الوجه الثالث هو رفع أي قيد عن توهم " نهايه التعلم " ففي الصوره الحداثيه ، ينقطع التعليم عند الدكتوراه في العاده، فمن يحصل على الدكتوراه يعتبر أنه قد "بلغ الغايه" ثم بعد ذلك إن شاء أن يعمل شيئا يعتبر أنه يسبح في مساحات إضافيه لا تتعلق بعين الرتب الأكاديميه أو لعله إن أصبح "بروفيسور" يعتبر نفسه قد أصبح خاتم الأكاديميين . علما أنه يمكن للإنسان - و هذا سهل جدا على من يتحمل قرف التنظيم الحداثي عموما - أن يصبح بروفيسورا و لمّا يُكمل بعد سن الثلاثين أو قريب منها . و هذه مهزله المهازل . في سن الثلاثين - تقليديا - يعتبر الإنسان في بدايه شوطه في التعلم الحقيقي ، علما أنه يكون قد بدأ في التعلم من سن الخامسه ليل نهار . فالتعلم كما ذكرنا هو روح المجتمع المسلم و محور عمله وحديثه و سعيه ، بل كنا نرى في بعض الأحيان - في القرون الأولى - أن بعض أهل الخلاعه و المجون كان ممن يتبحر في بعض العلوم بل يصل إلى المعقد منها أحيانا . فالمهم في هذه النقطه أن لا يكون هناك قيد كمّي و شكليه إجرائيه يمكن للشخص عن طريق اتباع هذه الشكليات أن يعتبر نفسه أو يعتبره الآخرون متعلما بل "بلغ النهايه" في التسلسل الأكاديمي . فحتى ترسخ قيمه "لانهائيه العلم و التعلم" ينبغي أن ترتفع هذه الشكليه بالمره من التنظيم و أذهان الناس .

و أما تحرير الكتاب ، فله وجوه : الوجه الأول هو تحرير ما هو المقرر الواجب دراسته في علم معين حتى يُعتبر الشخص ناجحا في هذا العلم . و بديهي أن التنظيم الحداثي يختزل ذلك في كتاب واحد، و في أمريكا مثلا تتولى شركات تجاريه معدوده صناعه و طباعه الكتب المدرسيه المعتمده - و هذا يدلك على "السبب الفلسفي" لرغبتهم في احتكار تقرير المقررات بالإضافه لأسباب أخرى من قبيل صناعه إنسان "عادي و متوسط" . هذا لم يكن أبدا النمط التقليدي عند المسلمين . و هو أمر يصل إلى حد الكفر - إن كنا سنغالي قليلا . كيف يجرؤ إنسان أن يحدد " كتابا واحدا " صنعه بشر ليكون هو "الكتاب" الذي بناء على اتباعه يُعتبر الإنسان من المفلحين أو من الخاسرين الهالكين ! ألا يدخل هذا - مع الاعتذار عن الغلو البسيط المسموح فيه - نوعا من الوثنيه و تشبيه لكتب بشريه بكتاب الله تعالى . و لهذا لن تجد في أي علم من العلوم على مر تاريخنا أن أسلافنا الكرام جعلوا الكتاب الفلاني هو الكتاب الوحيد الذي بناء على معرفته يصبح الشخص إما فاشلا و إما ناجحا . بل حتى كتب الحديث الشريف - لدخول يد الناس فيها من حيث ترجيح الروايات على بعض حسب المقاييس التي يضعها أهل علم الحديث و عوامل أخرى - لم يجمعوها في "كتاب واحد" يعتبر هو "كتاب الحديث النبوي" (و هذا أحد أهم التفسيرات لسبب رفض أبوبكر و عمر جمع كل حديث النبي في مجموع واحد ، إذ لو حدث لأصبح بحكم اعتماد بعض كبار أصحاب النبي له هو الكتاب الوحيد المعتبر و سيتم إسقاط الباقي لسبب أو لآخر على مر الزمن) . كيف يُعقل أصلا أن نحدد تحصيل أو عدم تحصيل الإنسان لقوت يومه و عائلته بناء على تحصيله ل " الشهاده الدراسيه " ، ثم نجعل هذه الشهاده محصوره في فهم " الكتاب الفلاني " في العلم الفلاني في الوقت الفلاني تحديدا . ألا يعني هذا أننا - منطقيا - قد جعلنا أرزاق الناس معتمده على فهمهم لهذا الكتاب - السخيف غالبا -

الذي اختاره فلان أو علان ممن يختارون "الكتب المقرره" في الوزاره الفلانيه . لطالما كانت الكتب المتعدده في العلم الواحد كلها "مصادر" لدراسه العلم ، بل كان بعض العلماء حين يريد أن يشرح متنا معينا كُتبت عليه تفسيرات و شروح متعدده ، يجعل كل واحد من طلابه الكبار يحمل شرح من الشروح ، و بعد أن يقرأ الأستاذ المتن ، يقرأ كل طالب الشرح الذي بيده ، و هكذا تتم الاستفاده من عقول متعدده في النظر إلى النص الواحد و المعنى الواحد . نعم ، تحديد كتاب واحد للدراسه و التركيز مهم جدا ، و لكن ليس كلامنا على تحديد كتاب واحد في مدرسه الأستاذ الفلاني أو مجلس الشيخ العلاني ، بل الكلام هو عن تحديد كتاب واحد "لكل " المدارس و الأستاذه في البلده أو الدوله ، كتاب صنعه واحد أو بعض من الناس و تم فرضه على الكل تحت طائله " فصل الأستاذ " أو " رسوب الطالب " . فإذن ينبغي تحرير المقررات لتكون بيد الأساتذه و الطلاب أو بينهما بالاتفاق و أقصا ما يمكن لأي أحد غير الطالب و الأستاذ أن يفعله هو أن "يقترح" كتبا عليهما فقط .

الوجه الثاني هو تحرير الكتابه و النشر من الرقابه الحكوميه . لم يسبق في تاريخنا كله وجود فرع في أي دوله و حكومه مهمته مراقبه المنشورات و تحديد ما يُمكن نشره منها مما لا يمكن ، و أنه على الكاتب "أخذ إذن " - و العياذ بالله ! - من إنسان آخر قبل أن يكتب ، أو إذن قبل أن ينشر . و لو كان لمثل هذه الرقابه الحكوميه وجود أصلا - في الحالات السويه العامه و ليس الحالات التي كان يتولى فيها الدوله كأيام بعض العباسيين مثلا مجنون متفرعن يقتل كل من يخالف نهج معين نهجه هو و حاشيته من الفسقه - لما وجدت ميراثنا من الكتب بلغ ما لا يحصيه إلا الله ، كيفيا و كمّيا . حتى في أصل أصول أصول الدين و هو التوحيد ، كان صاحب وحده الوجود المطلقه - كالشيخ ابن سبعين رحمه الله - و كذلك صاحب التجسيم الحشوي المطلق - كبعض الحنابله رحمه الله على الجميع- و ما بينهما ينشرون كتبهم و هي موجوده بأيدينا إلى اليوم بعد أكثر من ألف سنه من تأليفها. فإن كان هذا هو الحال في أكبر قضيه في الدين - و الدين كلمه تساوي العلم أي هو العلم الأعلى - فما ظنك بما دون ذلك ، كان الشيعه يكتبون في الإمامه في بغداد ، و اليهود يكتبون في الفلسفه الباطنيه اليهوديه في الأندلس ، و الباطنيه الفلسفيه و " الزنادقه " يكتبون رسائل إخوان الصفا أول موسوعه فلسفيه كامله في التاريخ البشري المعروف كله ، و الشيخ الأكبر ابن عربي يكتب أربعمائه كتاب و أعداء الشيخ يكتبون عشرات الكتب ضده ، ابن رشد يكتب في الفلسفه اليونانيه و أعداء ابن رشد يكتبون ضده ، و هكذا ، و كل هذا محفوظ إلى يومنا هذا و لله الحمد . الكتاب الذي يُكتب في الأندلس كان يُقرأ في الهند ، و الذي كان يُكتب في بخارى كان يُقرأ في مصر. لم نعرف على العموم يوما شئ اسمه سلطه رقابيه مستمره تضع الأغلال على عقول أهل الذكر و الفكر ، و تُحجّر الفنون و تقيّد النشر . السلطه الرقابيه في هذا المجال هي صنعه حداثيه بامتياز . و من لم يقنعه اتباع الأصول ، فليعلم أننا في زمان لن يستطيع فيه أن يُخفي الرقيب الحكومي أي شئ تقريبا ، بل إن تجار القلم - الذين يكتبون ليبيعوا و يربحوا المال - أصبحوا على علم بنزعه جماهيريه شهيره و هي أنك إن أردت لكتابك أن ينتشر فضع فيه ما يجعله " ممنوعا " و ستجد الذباب يتهافت عليه ، و أصبح عند الناس سوء ظن باختيارات الرقيب الحكومي عموما - غربا و شرقا - حتى إن معيار بعضهم في

اختيار الجيد من الكتب و الأفلام و المسرحيات و النظريات هو مدى بغض الرقيب الحكومي لها . فكل ما تفعله الحكومات بفرض مثل هذه الرقابه على الكتب تحديدا هو أنها تجعل الناس تسئ الظن بها و تميل بهم نحو ما منعته - ليس لأنه جيد بل الغالب أن يكون رديئا - و لكن لأنه ممنوع ، و إنما أكل ءادم من الشجره المحرمه و لو صاحبها الطرد من الجنه . و الحمد لله ، ما نراه من توسيع و سماح لمعارض الكتاب الدوليه في عالمنا اليوم هو مؤشر على مزيد من الحراك في اتجاه رفع هذه القيود الخارجيه على الكتب . و لا أدري كيف يُعقل لمسلم أن يضع قيدا على كتاب ، هل يخشى أن يكون في الكتاب سب و كفر بالله و ملائكه و كتبه و رسله و اليوم الآخر و القدر ؟ فإن كل عبارات الكفر الأساسيه بهذه الأمور قد ذكرها القرءان على ألسنه الكفار أنفسهم ! فسبحان الله ، نُعلّم و نُحفظ أولادنا ليتغنوا بالآيات القرءانيه حتى تلك التي فيها نقل لعبارات أهل الكفر و الشرك و العناد ، ثم يفهم البعض - غالبهم أشباه الحداثيين و لكن من الطرف الآخر للعمله المعاصره المزيفه - أنه يجب " حمايه الناس من رؤيه مقولات الكفر و الزندقه و الضلال " (على فرض أنها كذلك جدلا- علما أنهم يقصدون ما يخالف مذهبهم و فكرهم و أصولهم هم ، فتأمل) . يعني ، خالفتم سنه المسلمين على مر القرون ، و خالفتم مقتضى المنطق النفسي و ظروف الزمان ، ثم توّجتم كل ذلك بأن خالفتم فعل الله تعالى نفسه في كتابه الكريم ، و مع كل ذلك "هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا " . فنسأل الله السلامه .
هذه أهم عناصر عمليه التعليم و ما ينبغي تحريره فيها . و الأن نأتي للمسأله التاليه : كيف يمكن أن نضمن حريه التعليم ، إذ لا حريه بلا ضمانات ، و لا ضمانات بلا سلطه ، و لا سلطه بلا قوه ؟ نقتصر في بحثنا هذا على تحرير المعلم و المتعلم ، و أما الكتاب و المكان و الزمان فلها بحث آخر و إنما ترجع في المحصله إلى إيمان الناس بضروره ذلك و إلى موافقه الدوله و عدم تعرضها بوضع العقبات المباشره و الغير مباشره لذلك .

تابع إن شاء الله .

...

{ سلسله طريقه حياه المسلمين }
(و / حريه المُعلّم و المتعلم - الضمانات)

باستثناء العدوان من أصحاب السلطه أو أصحاب الأهواء في قبائل و شعوب الدوله - فإن هذا ليس من شأنه أن يتأطر بنظام فيه ضمانات - فإن حريه المعلم و المتعلم - تقليديا - تم حفظها بأمرين : نظام الوقف و نظام الحِرف . و المقصد من كلاهما ضمان الاستقلال المالي للتعليم ، فإن من أمسك المال أمسك عقول الرجال . و الاستثناء استثناء و إنما نتكلم عن قاعده البناء .

أما نظام الوقف . فالوقف هو على العموم حبس منفعه ملك ما على أشخاص معينين بصفاتهم أو أعيانهم و يكون الوقف مستقلا عن ملكيه كل إنسان . مثلا ، أنا أملك عماره شقق للإيجار ، فأقوم بجعلها وقفا للصرف على المدرسه الفلانيه أو لمصلحه الأستاذ الفلاني أو الطلبه الذين يدرسون علم كذا ، فلا يحتاج هؤلاء لأحد ليصرفوا على تعليمهم و تفرغهم له ، و بالتالي يتحقق لهم أهم عنصر للاستقلال . و باب الوقف في الفقه و التاريخ الإسلامي واسع و عميق و راسخ و أمثلته لا تُحصى كثره إذ لم يسبق و لم يلحق أحد أمه الإسلام في قضيه الأوقاف كما هو معلوم . و للوقف بالإضافه للعنصر المالي ، أيضا العنصر النفسي ، و هو أنه لا يوجد منّه الصدقه " أوساخ الناس " على الموقوف لهم ، فالوقف يُرجع الملك إلى مالكه الأصلي مباشره - أي الحق سبحانه - فليس لصاحب الوقف منّه على الذين ينتفعون به ، و هذا عنصر شديد الأهميه ، إذ المسلم لا يرضى بذلّ الاستجداء و لو كان في غرض شريف كالتعليم . و كان الأصل في كل أنظمه التعليم في العالم الإسلامي كله من

شرقه إلى غربه أنه نظام مدعوم من الشعب ، أي " القطاع الخاص " بعباره اليوم إلى حد كبير . و لكن كيف تغيّر نظام الوقف هذا ؟ الجواب : لما دخل الاستعمار الغربي إلى بلاد المسلمين قبل قرن أو قرنين ، وجد أن أهم ما يجب عليه أن يقوم به لكي يميل بالشعب المسلم ناحيته هو أن يمسخ نظامه التعليمي ، فلما تقلّد المستعمر مقاليد الحكومه وجد أن الشعب مستقل عنه في قضايا التعليم لأنه معتمد على مال الأوقاف التي يقيمها عموم المسلمين من التجار و الأمراء و الأولياء و الصالحين و أي شخص كان كان يملك أن يجعل ملكه وقفا على قضيه من القضايا ، و بالتالي لم يستطيع الاستعمار أن يتدخل في نظام تعليم المسلمين و حريته و استقلاله عن الحكومه حتى لو كانت مسلمه - فما ظنك لو كانت ضاله و كافره . فما العمل ؟ العمل هو أن ننزع هذه الأوقاف من أيديهم . و لكن كيف ننزعها بدون أن نثير غضبهم المباشر ؟ هنا مكروا مكرا و هو أنهم قالوا " نريد أن ننظم الأوقاف " ! فجعلوا كل الأوقاف تابعه لما أصبح يُعرف - إلى يومنا هذا - بوزاره الأوقاف . و بذلك تدريجيا عندما ذهبت حريه الأوقاف و دعمها للتعليم التقليدي للمسلمين ، أدخل المستعمر شيئاً فشيئا نظامه الفاسد و صار ما نحن عليه و أصبح من المسلمات في أذهان أكثر الناس مع الأسف حتى بعد أن ولّى كلب الاستعمار إلى الخرابه التي جاء منها - في الظاهر طبعا . و المصيبه حين نفكر بعقليه المستعمر حتى حين نتحرر منه ، و نتبع أصوله حتى بعد أن نتخلص منه . و هذه مصيبه الكثير من الناس في عالمنا من شرقه إلى غربه .

أما نظام الحِرف . فالمقصد أن الشخص الذي يريد أن تكون له حرفه ، لم يكن يحتاج إلى أن "يتخصص" لمده عشر سنوات أو حتى أربع سنوات قبل أن يضع قدمه في الحرفه و يبدأ يكسب مبلغا معينا من المال يكفيه ليعيل نفسه مهما قلّ و لو كان في أول درجات الحرفه. فمن أراد أن يحترف ليكسب قوته كان يجد الباب مشرعا أمامه بدون قيود شكليه من قبيل " شهادات " و نحو ذلك من أغلال أسبابها الحقيقيه معروفه جيدا . و هذا ما يفسّر كون الكثير من العلماء و الأولياء كانوا يحترفون حرفا معينه يعيلون بها أنفسهم و أهلهم . و أما القيود الشكليه التي وضعت على الوظائف في الزمن الحداثي ، فإن الغايه الأساسيه منها هي إجبار الناس قهرا على الدخول في نظامهم التعليمي و المرور غصبا عنهم في مصانعهم الفكريه حتى يُشكّلوا أذهان و نفسيات الناس بالنحو الذي يحبونه - و هو نحو فاسد مفسد في كل الأحوال أو غالبيتها العظمى على أقل تقدير . و لا يوجد في تاريخ البشريه المعروف كله عمليه إكراه و قهر منظمه - و خفيه عن الأعين العاميه - وقعت على عدد من الشعوب في المشرق و المغرب ، كعمليه الإكراه المعروفه ب "النظام التعليمي " بسلاسله و أغلاله المعروفه المشهوده . لا يحق لمن يوافق على مثل هذه العمليه الإكراهيه المقيته- الفرعونيه التي تتحكم في النفوس عن طريق التحكم في الأجور كما قال السحره "و ما أكرهتنا عليه من السحر" بالرغم من أنه لم يكرههم في الظاهر و إنما كان الإكراه أنهم كانوا يريدون منه أجورهم "أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين " - أن يتحدث بعد ذلك عن رفضه للإكراه بأي شكل من أشكاله .

فالمعلمون و المتعلمون على مر القرون كانوا يجدون حريتهم للتعليم بواسطه الاستقلال المالي . و كانوا يجدون الاستقلال المالي من أحد ثلاثه منابع : الوقف و الحرف و الورث (كأن يرث شخص مال أبيه و أسرته فيعيش منه فلا يحتاج إلى راتب من الأوقاف أو أن يحترف حرفه ما - و هذا نادر) . فأما الورث فلندرته لا حكم فعلي له ، و أما الحرف فقيدوها بشهاداتهم و نظامهم الصناعي الاستغلالي لكسب هذه الصناعه ، و أما الوقف فأضعفوه و مسحوه و قيدوه و حجروا عليه حريته الأولى . و بذلك أسقطوا حريه التعليم و التعلم .

فلإعاده الأمور إلى نصابها ، ينبغي أن تُعاد القوه و الحريه التي كانت للأوقاف على مر القرون ، و ينبغي أن يُتوسع في نظام الحرف لكي لا تكون أمام الناس أي شكليات اجرائيه لا تصب في صلب الحرفه و نظام أصحابها الخاص في تدريب كل من يتقدم لهم بطلب الالتحاق بهم أي يجب فك العلاقه بين "الجامعات" و بين "الحرف " ، و أن يكون لكل حرفه أهلها و نظامها و طرقهم في إدخال الناس في جملتهم و تعليمهم صنعتهم بشتى الطرق المتعدده و الألوان المختلفه التي يستعملها أهلها فيها و يبدأ كسب الإنسان مباشره من الحرفه من أول يومه مهما قلّ أجره فيها فيستقل بذلك ثم يضع باقي وقته في التعليم و التعلم . و الله الهادي .

...

{ سلسله طريقه حياه المسلمين }

(ز / أهل العلوم - آدابهم و حياتهم و مواضيعهم)

يرضع الآدمي الأدب قبل أن يأكل العلم . و طلب العلم عند الآدمي حياه كامله و أسلوب شامل "اطلب العلم من المهد إلى اللحد" ، أي هو نهج مرتب محيط بكل جوانب الحياه الجماعيه و الفرديه . و من هنا كلّف الحق سبحانه بعض علماء الأمه بأن يضعوا دستور الحياه المعرفيه في مؤلفات تُخصص لذلك ، و خير كتاب بأيدينا في هذا الخصوص هو { جامع بيان العلم و فضله } للشيخ ابن عبد البر المالكي القرطبي . ثم الوجه الآخر لحياه طلاب العلوم هو مواضيع الطلب ، أي ما هي العلوم التي يعتبرها علماء الإسلام كعلوم يعُتبر من الكمال طلبها و تحصيلها سواَء كان الطلب متوجها للخاصه أو للعامه أو لكلاهما ، و خير كتاب بأيدينا في هذا الخصوص هو { مفتاح السعاده و مصباح السياده ، في موضوعات العلوم } للشيخ طاش كبرى زاده و هو أحد أجلّه علماء و قضاه الدوله العثمانيه العليّه أيام السلطان سليمان القانوني ، رضي الله عن الجميع . و حيث أنه لا يمكن بحال أن نقوم بلتخيص مضمون هذه الكتب ، بل يكفي أننا ذكرنا العنوان و المؤلف و تستطيع أن تُراجع إن شئت ، و هي كتب متوفره و لله الحمد ، و لكن نكتفي في هذه المقاله بذكر بعض الإشارات .

أما فيما يتعلق بكتاب { جامع بيان العلم و فضله } . فهو كتاب أحاديث و روايات و قصص و أشعار كلها تدور في فلك قضايا العلم و فضله و أهله و طبقاتهم و طرق تحصيل العلم ، أي كل ما يتعلق بالعلم من الألف إلى الياء ، أي كيف يدخل الإنسان في زمره أولي العلم و يترقى في درجاته إذ "يرفع

الله الذين ءامنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات " . و في الكتاب نحو 1356 فقره حديث و داخل فيها الأشعار و نحوه و الروايات الجزئيه . و يبدأ بشرح بعض أهم أحاديث النبي صلى الله عليه و آله في تبيين شرف العلم و أهله و فرضيته على المسلمين ، ثم يمر على مسائل من قبيل أيهما أفضل حفظ العلوم في الأذهان أم كتابتها أم كلاهما ، و السفر لطلب العلم ، و كيف يطرح الطلاب مسائلهم على أساتذتهم و آداب الحضور في المجالس و المدارس ، و مدح التواضع و ذم العجب و طلب الرئاسه ، و فضل النظر في الكتب و حمد العنايه بالدفاتر ، و هكذا في كل المواضيع المتعلقه بهذا الشأن . و هو كتاب - بالنسبه للمواضيع التي حواها - يعتبر كجامع البحر في قطره ، أي هو من المتون المشحونه التي يمكن أن تدرس الحديث الواحد منها (أي واحد من ال 1356 فقره) لمده أيام و أسابيع بل بعضها يحتاج إلى سنين لحقيقه فهمه و العمل به و تدريب النفس على محتواه ، و بهذا الاعتبار هو كتاب مختصر إذ إنما هو مجلد واحد من نحو خمسمائه صفحه . فهذا من الكتب الغير معموله للمطالعه السريعه ، و لا للمطالعه مره واحده ، بل هو من تلك الكنوز التي ينظر فيها الإنسان كل فتره و يتأمل و يحلل و يقارن و يناقش فيها ما دام حيا . و هو ممتع جدا ، و بسيط في عمقه ، و عميق في اختصاره ، و جميل في هيبته ، و مهيب في لطافته . و لو كان الأمر بيدي ، لأوقفت مدارس و جامعات بلادنا ثلاثه أعوام أو سبع سنوات لدراسه و تأمل هذا الكتاب حصرا ، ثم بعد ذلك يمكن أن يوجد الإنسان الطالب للعلم حقا بالمعنى العالي التقليدي للكلمه ، أو يبدأ هذا الإنسان في الوجود الفعلي . أفضل تلخيص للحضاره الإسلاميه في أوج قوتها و ازدهارها يمكن أن يكون في عباره واحده : كانوا يعقلون حقائق و يقومون بمعاني كتاب { جامع بيان العلم و فضله } لابن عبد البر رضوان الله عليهم .

أما كتاب { مفتاح السعاده و مصباح السياده ، في موضوعات العلوم } . فاسمه خير تعبير عن مضمونه . فالشيخ رحمه الله يرى - ككل مسلم محقق - أن العلوم هي { مفتاح السعاده } و {مصباح السياده } . فقوله { مفتاح السعاده } يقصد به السعاده الوجوديه الدائمه ، التي تستمر من هذا العالم إلى العالم الآخر إن شاء الله و إلى الأبد . فالسعاده خزانه مغلقه ، لا يفتحها إلا العلوم . و قوله {مصباح السياده } يقصد به أنه بالعلوم يسود الناس في هذا العالم ، و باعتبار آخر ، كل سياده في هذا العالم تعتبر ظلاما و ضيقا و فوضى ، و بالعلوم فقط تصبح هذه السياده مستنيره مضيئه مشرقه، فمن كانت سيادته مظلمه - تحديدا الأمه - فإن تنوير هذا الظلام و إذهاب ذلّ الخضوع و التبعيه يكون بالعلوم ، و من كانت بيده السياده فليعلم أنه ظالم مظلم فإن أراد النور فعليه بجعل العلوم مركز كونه و كعبه حرمه ، و الحرم بلا كعبه فوضى ، و بها نظام دائرى و الدائره صوره الكمال. و في كتابه هذا ، يقوم الشيخ أولا بذكر أهميه العلم و آداب أهله ، و يختم بذكر أخلاق العلماء و شؤونهم الشخصيه و كيفيه معالجتها و التعامل معها ، و الفاتحه أو الخاتمه ليست صلب الكتاب و إنما مكّملات له ، إذ من لا يعرف قدر العلم قد يطلبه لأغراض سافله و مريضه ، و من لا يحصّل آداب العلماء و أخلاقهم فلا يزيده علمه إلا ضلالا و كفرا و إجراما ، فالعلم لم يكن يوما في عقول المسلمين مجرد "معلومات" تتخزن في الذهن ، و لا مجرد وسيله للدنيا و تحسين المعيشه ، و إن كان كلاهما

من آثار و منافع العلم و متطلباته ، إلا أن قيمه العلم لا تكتمل إلا بهذه الفاتحه و الخاتمه التي ذكرها الشيخ . و أما لبّ الكتاب فهو { موضوعات العلوم } ، و هنا تأتي الأهمّيه القصوى للكتاب المكوّن من ثلاث مجلدات . ما هي العلوم التي اعتبرها الشيخ كعلوم - و قد قدم في المقدمه أن الإنسان الكامل و أكمل حال للإنسان هي أن يكون محيطا بعلم كل هذه العلوم على نحو الاستقصاء ، و قدّم أيضا أن القرءان هو مركز دائره العلوم فمنه تشع و إليه ترجع و غايه كل العلماء المحققين أن يعقلوا القرءان بنحو أكبر و أعمق إذ غايه الغايات من العلوم هي التقرب إلى الله و بالعلم يتقرب الإنسان من الله ؟
الجواب : ذكر الشيخ تقريبا 150 علما . منها : علم أدوات الخط و الاملاء ، و علم النحو و قرض الشعر ، و علم الألغاز و تاريخ الخلفاء ، و طبقات الشافعيه و طبقات الأطباء ، و المنطق و معرفه الملائكه ، و الطب و البيطره و النبات و الفلاحه و المعادن و الجواهر و قوس قزح (!) و السحر و الطلسمات و السيمياء و الكيمياء و التشريح و الصيدله و الجراحه و الفراسه و القيافه و القرعه و الرقى و العزائم و الاستحضار (أظنه يقصد الجن !) و دعوه الكواكب و الحيل الساسانيه و خواص الأدويه و الهندسه و العدد و الموسيقى و الرقص و الملاحه و السباحه و مسالك البلدان و الأمصار و خواص الأقاليم و علم الغنج (أي تغنج النساء للرجال لنيل إعجابهم ! - يجعل هذا تحت فقره "علم") و آداب الملوك و آداب الوزاره و علم قود العساكر و الجيوش . هذه نبذه من " العلوم " التي هي {مفتاح السعاده و مصباح السياده } . أول ما يلفت الانتباه في القوائم التي سردها الشيخ هي أنه لم يدع علما معروفا لأي طبقه من العلماء في مشرق الأرض و مغربها إلا و ذكره ، و بعض الأمور التي يعتبرها أكثر الناس أشياء ارتجاليه لا ترقى لمستوى " علم " كالسباحه و الرقص و الغنج يجعلها الشيخ من العلوم و يفرد لكل واحده منها فقره خاصه بها . بعباره واحده : الرؤيه شامله ، و كل ما يمكن معرفته يجب أن يوضع في فقره خاصه به و يهتم به أهله و يحكموه و يضعوا له الأصول و الفروع و يرتبوا مسائله و حججه و طرائقه و تطبيقاته . و من هنا تعرف كيف سعد المسلمون في أنفسهم و سادوا العالم لأكثر من ألف سنه . و من هنا تعرف سخافه و قله حياء من يظن أن العلم في الإسلام هو الفقه المبارك أو الحديث الشريف أو نحو ذلك فقط . و من هنا تعرف كفر و اختزال الغرب الذي ينفي كون بعض المواضيع من العلوم لأنه يريد أن يحصر الوجود في أسفل سافلين فقط أو في ضمن رؤيه ضيقه ترى الوجود من خرم إبره . العقليه التي يكوّنها المولى طاش كبرى زاده تكفي ، حتى لو لم تحفظ أي شئ مما ذكره في كتابه العظيم ، مجرد العقليه و عشق العلوم - كل العلوم - الذي يكوّنه في القارئ المحب المريد تكفي لجعل قيمه هذا الكتاب فوق السماء . بالإضافه إلى أنه يشرح موضوع كل علم ، و يذكر أهم الكتب التي ألفت فيه في معظم الأحيان ، و يذكر بعض الحقائق المتعلقه به ، و هذه نقطه مهمه نفتقدها كثيرا في يومنا هذا ، فمعظم الناس لا يعرفون ما هي العلوم الموجوده أصلا حتى يعرفوا ماذا يطلبوا أو ماذا يدرسوا ، فلو أخذت إنسان متوسط من الشرق أو الغرب و سألته أن يعدد لك العلوم التي يعرف اسماءها و تعريفات مواضيعها ، فإنه إن كان ممتازا قد يذكر لك عشرين علما أو ثلاثين ، بينما الشيخ هنا يربّي المسلمين على أن تكون في أذهانهم رؤيه شامله لخريطه العلوم الموجوده و مواضيعها و تعريفاتها و حدودها و أشهر المتخصصين فيها و

أحسن كتبها و نحو ذلك . ثم إن الكتاب يزرع تلقائيا في نفس كل إنسان شعوره بوضاعه نفسه ، لا أقول "تواضع" إذ التواضع إنما يصح من الكبير ، و يشعره بقله علمه فعلا - و ليس مجرد القول - بل يجعلك ترى بأم عينيك أنك لا تعرف شيئا يذكر ، ثم يبعث فيك روح عشق العلوم و طريق طلبها ، فتسلك في سبيل الكمال و تنال إن شاء الله { مفتاح السعاده و مصباح السياده } . و الله الموفق .

...

(اجتنب لتكتسب)

أمام المسلم اليوم ثلاث طرق ، تطرف يميني ، و تطرف يساري ، و وسط .

أما اليميني فهي الفرق "الإسلاميه" التي تسمي نفسها سلفيه ، داعشيه ، اخوانيه ...الخ .

أما اليساري فهي الطرق "العلمانيه" التي تسمي نفسها حداثيه ، تقدميه ، تطوريه ، غربيه ...الخ .

اجتنب هذا و ذاك ، و ما سيتبقى سيكون هو الصراط الوسط إلى حضره الحق تعالى إن شاء الله .

...

(ألم نقل أنهم شؤم عنيد !)

قال لي مره أحد أصحاب التطرف اليميني أو "سلفي" كما يسمي نفسه : أنتم الصوفيه أصحاب دروشه و انعزال عن الدنيا و لا تصلح بكم دوله و لا يُقاوم أحد منكم الاستعمار و لا يمكن أن تنتصروا للإسلام ضد أعداءه .

فقلت :

أولا ، الدوله العثمانيه العليّه التي حكمت ثلاث قارات لأكثر من سبعمائه سنه ، و دخل في حكمها من الحرمين فصاعدا مرورا إلى ما شاء الله ، كانت دوله صوفيه من رأسها إلى أخمص قدمها ، سلاطينها شاذليه و نقشبنديه و الغالبيه العظمى من الشعب إن لم يكن كل عثماني صميم كان يتبع طريقه و له شيخ حتى البقال و الحمال في مرافئ السفن . بل إن عاصمه الدوله العثمانيه كان من أسماءها " الأستانه " و معنى أستانه هو : التكيه الصوفيه الكبرى !

ثانيا ، الدوله الصفويه الشيعيه في السابق و التي حكمت حكما عظيما قويا إنما قامت على طريقه صوفيه أسسها الشيخ صفي الدين الأردبيلي (و منه اسم "صفويه") .

ثالثا ، الجيش العثماني الانكشاري ، أحد أقوى الجيوش التي عرفها التاريخ البشري كله ، كله صوفي ، بل من "الصوفيه الغلاه" كما تقولون و تقرون . و لم يجعله التصوف درويشا منعزلا كما تقول.

رابعا ، اليوم علماء التصوف هم أحد أهم أسباب انتشار الإسلام في الغرب و المقاومه العاقله العلميه العميقه للأفكار الغربيه الحداثيه و عمق فلسفاتها التي لا تعقل أنت و أربابك منها شيئا يذكر . و من أبرز الأمثله على هؤلاء كلا من : رينيه غينون (الشيخ عبد الواحد بعد إسلامه) و فريثجوف شوون (الشيخ عيسى) و سيد حسين نصر و تيتس بركهاردت و مارتين لينجز ، هذا على مستوى الأكابر . و على مستوى الدعاه الجماهيريين كالشيخ حمزه يوسف و أصحابه مثلا .

خامسا ، الأمير عبد القادري الجزائري هو رأس مقاومه الاستعمار الفرنسي حين قدم الجزائر ، و كان الأمير رضوان الله عليه هو أول من أخرج كتاب الفتوحات المكيه للشيخ الأكبر ابن عربي و كذلك له شروح و تعليقات على فصوص الحكم - رأس كتب الصوفيه " الزنادقه عندكم" ، و لم يمنعه تصوفه من مقاومه الاستعمار بل اكتسب حتى نظره جميله في أعين أعدائه من الفرنسيين من شرفه و أدبه حتى قال أحد قاده الاستعمار عنه "كيف أقاتل رجلا يشبه أنبياء العهد القديم ! " .

سادسا ، الشيخ عمر المختار ، رأس المقاومه الاستعماريه للايطاليين في ليبيا لمده نحو عشرين سنه ، كان صوفيا بحتا تابعا للطريقه السنوسيه الشريفه (لمؤسسها الشريف السنوسي الذي هو و أبائه بدورهم رؤوس مقاومه الغرب في عدوانه على تلك المناطق الإسلاميه أيام الدوله العثمانيه و التي قاوموا فيها مقاومات مع قله العدد و قله العده مما تشيب الشعور لمجرد تصوره فضلا عن ممارسته)

سابعا ، دوله المغرب الآن مستقره و قائمه من مئات السنين ، و هي دوله محشوه بالتصوف من ملكها إلى من دونه من كثير من الشعب ، و هذا أشهر من أن يذكر .

ثامنا ، إمام الشيعه الاثنا عشريه في القرن المنصرم ، السيد الخميني ، كان صوفيا "مغاليا" أيضا ، و كتبه تشهد بذلك بنصها و معناها ، بل له تعليقات على فصوص الحكم أيضا ، فضلا عن كتبه الأخرى ، و لم يمنعه تصوفه و "دروشته" من القيام بثوره أطاحت بالشاه العميل الأمريكي في المنطقه ، و لا زال خطّه الفكري قائما في إيران و التي هي العدو الأكبر للغرب الآن في المنطقه و قوّتها من الناحيه الدوليه و العسكريه لا تحتاج إلى تعليق ، ثم إن "الولي الفقيه" الحالي خامنئي أيضا من المتصوفه بطبيعه الحال بل إنه يخرج في كلماته للشعب الإيراني و يقول له أن يقرأ مثنوي مولانا جلال الدين الرومي و يعترف بأنه فيه - كما ذكر مولانا في المقدمه - "أصول أصول أصول الدين " ، و ينقل عن الكاتب الثورجي للثوره الإيرانيه الشهيد المطهري أنه كان يرى نفس الرأي في المثنوي الذي هو كتاب تصوف عالمي بامتياز و الذي قيل فيه " القرءان بالفارسيه " إذ كان تفسيرا للقرءان و الحديث الشريف و علوم الإسلام .

تاسعا ، السلطان صلاح الدين الأيوبي ، و هو من هو ، كان صوفيا صرفا و هذا مشهور ، بل من أول ما أمر به - قبل السعي لمحاربه الصليبيين - هو تعليم الأمه كتاب إحياء علوم الدين للإمام الصوفي بدوره أبو حامد الغزالي رضوان الله على الجميع . و كذلك كان السلطان نور الدين زنكي من قبله .

عاشرا ، الإسلام انتشر في الهند و دخل في قلوب أكثر من عشره مليون إنسان غالبا على يد شيوخ الصوفيه .

إحدى عشر ، المغول الذين أوشكوا أن يبيدوا العالم الإسلامي انقلبوا إلى الإسلام لاحقا غالبا بفضل مباشر من الله بواسطه شيوخ الصوفيه ، حتى أصبحت الامبراطوريه المغوليه الاسلاميه في الهند من أهم بلدان انتشار التصوف .

اثنا عشر و نختم بها ، أنتم أيها "السلفيه" و إخوانكم السبب الرئيسي للشؤم على العالم الإسلامي ، و أفعالكم و أقوالكم هي السبب الرئيسي للبؤس و القرف الذي نحاول أن نصلحه من ورائكم ، و لا يوجد إلى يومنا هذا "إرهابيا - أو عدوانيا واحدا كما اتفقنا " ممن يُنسب إلى الإسلام إلا و هو منكم ، القاعده منكم ، طالبان منكم، داعش منكم، و القائمه السوداء تستمر و كلهم منكم . بينما على العكس ، التصوف هو أحد أبرز بل أبرز عامل لتجميل الإسلام - الجميل في ذاته و لو عميت الأبصار - في أعين كثير من المسلمين بالولاده فضلا عن غير المسلمين ، و حتى أحقد الحاقدين على الإسلام و المسلمين - كالصليبيين مثلا - حين تصل النوبه إلى الصوفيه يقفوا و يحترموا أنفسهم غالبا بل بعضهم من شدّه رغبته برفع فضل التصوف عن الإسلام يسعى - بسخف و وقاحه كالعاده - إلى أن يجعل التصوف " مسيحي الأصل " ، لهذه الدرجه يحترمون - كغيرهم - الصوفيه من المسلمين . فكيف استطعت أن تتجرأ على ذكر ما ذكرت ، هو أمر لا يزيدنا إلا ثباتا على قولنا عنكم أنكم شؤم أسود و مصيبه و طامه نزلت على العالم الإسلامي . و التصوف يجمع بين أهل السنه و الشيعه و حتى الخوارج و كل فرق المسلمين في الظاهر ، بينما نزعاتكم المشؤومه تسعى بل تقر بتكفير كل المسلمين مما عدى أنفسهم التعيسه ، فالتصوف جامع بين المسلمين بالحق ، و التمسلف مفرق و مكفر للمسلمين بالباطل ، " و إنا لله و إنا إليه راجعون " و "سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " .

...

(ننزل ...و بقوّه كمان !)

لما هجم المغول على العالم الإسلامي كما هو معلوم (و مغول اليوم هم الغرب) ، و بدأوا من المشرق من جهه إيران و نزلوا إلى منطقه الأناضول حيث كان صاحب المثنوي مولانا جلال الدين الرومي . و كان المغول كلما مرّوا على قريه و بلده لم تستسلم لهم مباشره ، يقتلون أهلها و يحرقون البلده ، و حدّث و لا حرج عن المذابح و التدمير (يُقال أنهم قتلوا في كل حروبهم الممتده لنحو مائه سنه نحو مليون مسلم و مسلمه. يعني نفس العدد الذي قتله الغرب بقياده أمريكا في العراق في ظرف عشره سنين، فتأمل).

وصل قائد المغول بجيشه إلى بلده حيث كان فيها مولانا - قدس الله سره - فذهب مولانا إلى القائد المغولي وقال له " دع المسلمين ، و تصارع معي ! " فنظر القائد المحارب إلى شيخ درويش من المتصوفه المساكين ، و ضحك و قهقه كثيرا ، و كأنه يقول " أنا شغلي في الحياه المصارعه و الحرب ، فمن أنت حتى تصرعني يا من شغلك الجلوس في الزوايا و قول الأشعار في العشق و المعارف

العقليه" . فأعاد عليه مولانا و قال بعناد "إن كنت واثقا لهذه الدرجه ، فعليك أن تقبل بعرضي ، فإن هزمتني لك أن تقتل كل أهل هذه البلده ، و إن صرعتك تركتهم بسلام " . فيبدو أن المغولي شعر بالحرج أمام جنوده ، و لم ير بُدّا من المصارعه ، فهبط من على حصانه و تجهز للمصارعه و كذلك تجهز مولانا .

فلما التقيا ، فجأه انقض عليه مولانا و صرعه ، و وضعه في وضعيه على الأرض بحيث لم يستطع المغولي أن يتحرك ، فقال له الرومي " إن تحركت حركه ستُكسر رقبتك ، فهل تستسلم ؟ " فاستسلم ، و عُفي عن أهل البلده و عاشوا بسلام من دمار المغول . و قال القائد لاحقا " شعرت و كأن جبل يقف أمامي و ليس درويشا " .

العبره : الأصل في حياه أهل الله أنهم ينزهون أجسامهم عن أن تلتصق بأهل الظلم و الإجرام ، أو أن تتعاطى عقولهم مع أهل الضلال و الكفر ، و لكن حين يتعرض المسلمين للخطر الجسماني بالحرب فإنهم يهبّون للجهاد الأصغر بلا تردد ، و حين يتعرض المسلمين للخطر الفكري بإلقاء الشبهات و التشويشات فإنهم يهبّون للجهاد الكبير بلا تردد ، و ينزلون من عروشهم العلويه و تتجلى أرواحهم القدسيه بقوّه في كل جهاد يدخلون فيه . و هو قول القرءان " و جاهدهم به جهادا كبيرا " (به : القرءآن) .

...

(فن ضرب الشئ بدون ضربه)

تصور الموقف الآتي : أمامك كأس نظيف ، جاء رجل فتبوّل في الكأس ، ثم بقي الكأس أمام عينيك لفتره طويله، كلما نظر إلى الكأس نظرت إلى الوسخ داخله ، و كلما نظرت إلى الوسخ نظرت إلى الكأس مقترن معه. ثم بعد مرور هذه الفتره الطويله ، جاء أفضل خبراء تنظيف الكؤوس في الدنيا ، و أخرجوا الوسخ و عقّموا الكأس بتسعه آلاف نوع من المعقمات . السؤال : هل تستطيع أن تشرب في الكأس ؟ و الجواب : أكثر الناس لن يستطيعوا ، و بعض القله الباقيه ستقول " لا داعي للشرب من هذا الكأس الذي لطالما اقترن به الوسخ ، و إن كان نظيفا في نفسه ، فالكؤوس كثيره ، و لنأخذ واحدا جديدا " ، و القله القليله الباقيه هي الممكن أن تشرب منه.

ما المعنى ؟ هذه الخدعه النفسانيه هي بالضبط ما يلعب عليه الإعلام الغربي في التعاطي مع أهم الأمور في الإسلام الكريم . يأخذون بعض الكلمات الأساسيه في الإسلام ، مثل الإسلام و الشهادتين و الخليفه و الشريعه و الجهاد ، و يقرنون هذه الكلمات بأبشع و أوسخ الأشياء التي يمكن

للذهن أن يتصورها و البشعه عند نفسيه عوام الغرب بالأخص . بعد فتره - و قد مضت و لا زالت - تلقائيا و عفويا ، كلما ذكرت كلمه "إسلام" أو "الشهادتين" أو"الخلافه" أو "الجهاد" و نحوه ، سيجد السامع أو القارئ شعور بألم أو ظلمه معينه ، حتى لو كان الشخص "أكاديمي" و يفهم حقيقه هذه الكلمات و مواضيعها و حدودها في واقع السواد الأعظم من المسلمين ، أي و إن كان يعرف الكأس ، إلا أنه و بحكم الخدعه النفسانيه سيعتبر أن الكأس و محتواه الخارجي شئ واحد .

تستطيع أن تجرب هذا على كثير من "المسلمين" ! فضلا عن غير المسلمين . لا يكاد كثير منهم يسمع كلمه "شريعه" (و هذا ليس فقط للتأثير الغربي، بل للتأثير "السلفي" أولا) حتى يشعر بقيد و ضيق في نفسه . و يقينا هو لا يعرف ذره من علم الشريعه الحقيقيه ، و لكنه مع ذلك " يشعر " أنها شئ ضيق و مقيّد . و من مهّمات التطرف اليميني كما سمّيناه - أي "السلفيه" و أشياعهم - هي القيام بعمليه الاقتران الخبيث داخل العالم الإسلامي، بينما مهمّه الإعلام الغربي هي القيام بذلك خارج العالم الإسلامي . و من هنا قال أهل التحقيق كسيد حسين نصر :

Modernism and Fundamentalism are two faces to the same coin ,
And both of them are enemies of Tradition , from different angels .

و الله الهادي .

...

(العربده أنواع)

أهم فرق بين الشرقي - المسلم تحديدا - حين يُعربد و يعصي ، و بين الغربي الحداثي حين يُعربد هو التالي :

الشرقي يُعربد كاستعجال لنعيم الآخره ، مع وعيه بربه و عبوديته لربه .

الغربي يُعربد من باب دعوى ربوبيته لنفسه و تحدّيه لربه ، مع كفره و غفلته المطلقه عن ربه .

هذه هي القاعده العامه .

و لذلك تجد المسلم حال غفلته ، و في حال وقت سكره مثلا ، إن سمع مؤذن الصلاه أوقف الأغاني ، و إن سمع أحدا يسبّ الله و رسوله قد ينسى ما يفعله و يغضب أو يضرب الشخص ، و في اليوم التالي لعربدته غالبا يشعر بالندم إلى حد ما و لو في عمق أعماقه (و كلما زاد اتصاله بالغرب كلما قلّ هذا الوعي بالحق تعالى بطبيعه الحال ، و مع ذلك لا تجده خافيا بالمره إلا في استثناءات أقل من القليله) . و هذا في هذا الزمان !

أما في الأزمنه الماضيه ، كان أهل العربده على العموم هم أهل دراسه لعلوم الإسلام و الشعر و الأداب العربيه، و كانوا يذهبون إلى محل الفجور في الليل ثم يخرجون منها إلى صلاه الفجر ثم قد يرجعون إليها أو يذهبون إلى بيوتهم .

عربيد تلك الأزمنه قد يكون أعلم و أفقه من كثير من فقهاء هذه الأزمنه .
و لا نريد أن نتكلّم عن فقيه تلك الأزمنه !

فالمسلم دائما مع الله ، حتى في عمق عربدته و معصيته ،
و لذلك ورد في القرءان الحكيم عن يونس " فنادى في الظلمات ، أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " فحتى في عمق أعماق الظلمات ، هو مع الله . فما بالك إن كان في النور و نور النور !

(وردني سؤال عن هذه المقاله و هو : ما هو نعيم الاخره اللذي يستعحله المعربد الشرقي المسلم !)

فأجبت : التحرر من كل القيود الشرعيه الضروريه في هذا العالم بسبب اختلاط الظلمه بالنور . فكل لذه و شهوه في هذا العالم فيها نور و ظلمه غالبا ، مثلا ، الخمر فيه لذه و ظلمه ، أما لذّته فهي الحاله المعنويه التي يضع فيها الشارب ، و لكن الظلمه هي الآلام و الأمراض و الجهالات و الجرائم التي قد يرتكبها الشارب . فلهذا قال أنه في الجنه "أنها من خمر لذّه للشاربين " و قال عن خمر الجنه "لا فيها غول و لا هم عنها ينزفون" بمعنى أن فيها لذّه الخمر بدون ظلمتها و أذاها . و هكذا في كل لذّه أخرى من كل نوع. و لهذا السبب ورد أوصاف الجنه في القرءآن على صوره "قمّه اللذه" في الدنيا ، لأن لذّات الدنيا أصلا صوره مصغره مشوبه لحقائق لذّات الحياه العليا . و حين يتم ضرب الأمثال للأعلى لا يوجد إلا ذكر الأدنى مع التذكير بالاختلاف بين الأعلى و الأدنى . فالعربده هي الوقوع في لذّات الدنيا بغير قيد بالرغم من اختلاطها بالظلمه ، و أما الآخره فهي اللذآت بدون الظلمه ، و الاستعجال هو حبّه للذّه الحقيقيه بغض النظر عن اختلاطها بالظلمه .

(وردني سؤال آخر عن هذه المقاله و هو : أخ سلطان ما المقصود بالعربدة ؟ إنها سلوك لا يليق بأهل العلم فكيف بمن يقضي جل وقته في دراسة العلم وتطبيقه أن يذهب إلى محل الفجور (تقصد الدعارة ؟) وكأنه ديدنه . يدرس في النهار ويعصي ربه في الليل وهل هذا من أهل العلم (إلا أن تكون زلة وغفلة وليس عربدة) أرجو التوضيح حتى لانسوغ لأنفسنا التأسي بهؤلاء من أهل العلم) .

فأجبت : لا ، المقصود هو العربده بتجلياتها الأساسيه الكبرى المعروفه (السكر ، الزنا ، بل و اللواط !) و من أبرز الأمثله على من ذكرت هم الشاعر الكبير أبو نواس ، و غيره كثير من من أرباب شتى فنون العلم . المقصد ليس " التأسي " بهؤلاء ، مجرد قولنا أن عملهم "ظلمه و معصيه" يكفي ترك

التأسي بهم . فالمقصد هو أن هذه الأعمال المظلمه لم تكن قاطعه بالكليه للشخص عن صلته بالله و تحدّيه سبحانه بذلك ، أو أن تكون قاطعه للشخص عن طلب العلوم و المعارف . مثال الذي تقطع عربدته عن الحق تعالى هم الغرب عموما ، و مثال الذي تقطعه عربدته عن العلوم هم أهل العصيان و الغفله من إخوننا المسلمين أو الشرقيين المتأثرين بالحداثه عموما ، فهؤلاء على العموم لا يعرفون الألف من الباء في كثير من الأمور تحديدا بسبب انشغاله الكلي بمعاصيه . ما أردت تبيينه هو باختصار : إن ابتلاك الله أيها المسلم بمثل هذا الحال المظلم ، فلا تجعل مصيبتك مضاعفه بأن تكون غافلا عن ذكر الحق تعالى في قلبك أو عن طلب العلوم التي بها شرف عقلك و نفسك و أمّتك ، ليكن لك وقت للذكر و وقت للعلم و وقت للعربده - هذا أضعف الإيمان !

...

(مذاهب الشرقيين في التعامل مع الغربيين { أ })

من لحظه الغزو الفرنسي و نابليون لمصر في سنه ١٨٠٠ م تقريبا ، نشأت ثلاثه مذاهب للتعاطي مع قضيه تعاملنا كعرب و مسلمين مع الغربيين الحداثيين عموما و استمرت إلى يومنا هذا . كلها مذاهب منحرفه بطبيعه الحال-ككل من يبني مذهبه على "ردّه فعل" كالعبيد و ليس على فعل كالأسياد، و هي التالي :

الأول " المهدويه " و هي القول بأننا الآن في آخر الزمان و انتصار أهل الكفر على أهل الإيمان، و ما علينا إلا أن ننتظر في حاله سلبيه محضه و عجز مفلس أمام "الكفار الغرب" حتى يأتي الإمام المهدي و ينصرنا الله به .

الثاني "السلفيه" و هي القول بأننا لم ننهزم عسكريا و اقتصاديا ..الخ إلا لأننا "لم نتبع الإسلام الصحيح الذي كان عليه السلف الصالح" و إنما انهزمنا بسبب ما نشأ بعد القرون الثلاثه الأولى من خرافات و ضلالات ، فيجب أن نمحو كل المسافه التي تفصل بيننا و بين "السلف الصالح" و نجعل حياتنا مثلهم و أفكارنا مثلهم .

الثالث "العلمانيه" و هي القول بأننا إنما انهزمنا لأننا أجهل و أغبى و أتفه و أخبث و أضلّ من الغربيين ، و بالتالي تحديث تراثنا و تقليد الغربيين في علومهم و قيمهم - و على حد قول بعض المغالين من هذا المذهب "حتى القرحه التي في أمعاء الغربيين يجب أن نقلدهم فيها" - هذا التحديث هو شرط ضروري للتغلب على الغرب .

أما نتائج كل مذهب و حاله اليوم ، فتابع إن شاء الله ..

..

(مذاهب الشرقيين في التعامل مع الغربيين { ب })

نتيجه المذاهب الثلاثه بكلمه واحده : الفشل .

لماذا ؟ السبب في عباره واحده : لأن المسلمين الحقيقيين يريدون أن يكونوا من " المسلمين " و أما الانتصار على أعدائهم فهو تحصيل حاصل بفضل الله تعالى و هم لا يريدون النصر إلا لكي يستطيعوا أن يعيشوا كمسلمين لله و على عين الله . أما أصحاب المذاهب الثلاثه المنحرفه فهم يريدوا أن يكونوا من "المنتصرين" في الأرض ، و كل أصحاب مذهب يمخرقون فلسفات خاصه لتبرير هذا الذي يمكن أن نسميه شركا ، و هم يريدوا أن يكونوا من المسلمين لأن الإسلام " هو الحل " و الإسلام هو "سبيل النصر" و الإسلام " هو العز " .

هل لاحظت الفرق الدقيق بين أن تريد أن تكون من المسلمين لله ، و بين أن تريد أن تكون من الإسلاميين لأن الإسلام أفضل طريق لحل مشاكل الدنيا و الانتصار في الدنيا و تجميع الجماهير لتكوين أحزاب و جماعات قويه في الدنيا و ما يسمونه "الشهاده على الأمم" في الدنيا .
لهذا السبب ، خذلهم و لا يزال يخذلهم الله تعالى بالفشل في كل ناحيه .

أما " المهدويه" فلا يزالوا - منذ مائتين سنه - يتحدثون عن "قرب ظهور المهدي" ، و لو ظهر المهدي و رآهم على عجزهم لعله سيقتلهم أولا ، أو لعلهم هم سيقتلونه لأنه سيدعوهم للعمل الفردي أولا ! و للجواب عن مذهب المهدويه تذكر نقطتين : الأولى أنه من أيام الصحابه كان يوجد من يعتقد أن الدجال وُلد و المهدي سيظهر قريبا جدا ، و في سنه ١٢٠ للهجره تقريبا في أيام الأمويين تجمع كثير جدا من المسلمين حول رجل من آل البيت اسمه محمد بن عبد الله النفس الزكيه من أحفاد سيدنا الحسن عليه السلام و بايعوه على أنه الإمام المهدي (باستثناء سيدنا جعفر الصادق عليه السلام لم يبايع لعلمه ببطلان ذلك - و قالوا أن "جعفر يحسده" فتأمل) و ذلك لأنهم رأوا أن الأرض انتشر فيها الظلم و الفساد فلابد للمهدي أن يظهر - ضع في بالك أن تلك الأيام هي "العصور الذهبيه " للإسلام في أذهاننا ! . فالأمر كما ترى . الأمر الآخر هو أن المهدي لن يظهر إلا في زمان فعلا يكون الإسلام فيه شبه مُحق من على وجه الأرض ، و ذكر الله خفي من كل مكان ، و القرءآن اندرس و انطمس ، فهل هذه الأمور حاصله فعلا ، سبحان الله ، ماذا يفعل العجز في العين و البصيره .

أما الجواب عن "السلفيه" و "العلمانيه" ، فتابع إن شاء الله...

...

(مذاهب الشرقيين في التعامل مع الغربيين {ج})

ما المشكلة في ' السلفية ' ؟ الجواب : السؤال خاطئ ، يجب ان نسأل ما الصحيح فيها ، لان ما كان الاصل فيه انه خطأ و ضعف و قبح ، فالسؤال عنه يكون بالنحو الثاني و ليس الاول .
ضع في بالك أولا أن أكثر أهل الانحراف من الثلاثه مذاهب تبنوا إما المهدوية او العلمانية الحداثية ، الدولة العثمانية مثلا سقطت لتبنيها العلمانية في حدود 1850 م . و حتى عموم الناس الى يومنا تأثرهم بالمهدوية و الحداثية اكبر من السلفية .
لماذا لم يميل للتطرف السلفي الا قلة من المنحرفين ؟
الجواب : لانه مذهب مفرط في السخف و البشاعة و قلة الادب و ضعف المحتوى العقلي و الروحي و محشي بالعدوان 'من ساسه الى راسه '.
نكتفي بملاحظات مختصرة و سيأتي لاحقا تفاصيل انشاءالله ؛

أولا ، كل مذهب اسلامي على سطح الارض و في القبور بنسب نفسه لاشخاص من "السلف الصالح" (اي القرون الثلاثة الاولى) .

ثانيا ، كلام 'السلف' يقبله كل المسلمون بدرجة او باخرى ، فالعبرة ليست بقبول نصوص السلف ، العبرة بالمناهج المستعملة لفهمها . و كل منهج استعمله المسلمون له اصل و مرجع بدرجة او باخرى في كلام 'السلف'.

ثالثا، حقيقة افكار و اعمال اصحاب هذا التطرف اليميني ترجع الى أصول "أموية و يزيدية و مروانية " و لكنهم يسترونها وراء تسمية 'سلفية'. و ماديةو سطحية و طغيانية هؤلاء تتطابق مع النزعة الأموية تماما ، فإن علمت أنهم يعشقون بني أمية و مناهجهم بل حتى على حساب آل الرسول عليه السلام تبين لك ان هذا مذهب "أموي" و ليس "سلفي" ..اللهم إلا إن كان سلفهم بني أمية فحينها هم سلفية بامتياز .

رابعا ، تكفيرهم لكل المسلمين تقريبا هو امر مشهور . و هذا كاف للدلالة على انهم مجموعة من شياطين الانس و الجن لا اكثر . و تسامحهم مع الكفار و قتالهم و تعنيفهم و انشغالهم بأعراض المسلمين ايضا كافي للدلالة على ذلك و غيره . (قارن مثلا نظرتهم و تعاملهم مع الشيعة و الصوفية من جهة ، و مقاطعتهم لهم بكل قوة ، بينما تجدهم مع الامريكان و الاوروبيين إما على وئام أو خلاف اضعف من خلافهم مع مخالفيهم من المسلمين . فمثلا ، جرب ان تقزل لاحدهم انك مسافر لايران ثم انك مسافر لامريكا و لاحظ ردة فعله في الحالتين) .

الملاحظات لا تنتهي ، و يكفي ما ذكرناه .

و عاقبة السلفية هي انهم يقتربون اكثر فاكثر من الحداثية و افكارها و سلوكياتها ، و انظر اي مجتمع 'سلفي' ستجد ان انتشار النزعة الحداثية فيه فاحشة - و باعتراف 'السلفية' انفسهم !

و الله يقول الحق و هو يهدي السبيل .

...

(مذاهب الشرقيين في التعامل مع الغربيين {د})

و أخيرا " العلمانيه " أو النزعه الحداثيه الغربيه ، و هذه تقوم على محاوله " التوفيق بين الإسلام و التطور الغربي" . و من العبارات المشهوره التي يستعملها القوم لكي يميلوا بالناس إلى مذهبهم ، هي عبارات على نمط قول سيدنا علي عليه السلام ردا على مقوله للخوارج " كلمه حق أريد بها باطل " ، منها على سبيل المثال لا الحصر : الدين يسر ، الإسلام صالح لكل زمان و مكان ، التطور سنه من سنن الله في الخلق ، استفت قلبك ، الدين لله و الوطن للجميع ، طلب العلم فريضه ...الخ .

أكبر مصائب الحداثيين هي التالي : إنهم يقتلون أنفسهم ، بحجّه رغبتهم في الانتصار على خصومهم .

مثال ذلك : رب أسره عنده ثلاثه أبناء ، في يوم من الأيام رجع و وجد أبناءه يتعاطون المخدرات ، كوكاين و حشيش و إبر و حبوب و تحاميل أيضا . و هو يعرف الشخص الذي يبيع لأبناءه هذه المخدرات ، و يدرك تعلّق الأبناء بالبائع بسبب إدمانهم لهذه المخدرات التي تنسيهم أنفسهم التعيسه و تعلّقهم في حالات عدميه و غيبوبه نفسانيه . ففكّر هذا الأب ، فخطرت له فكره - على ما يبدو و هو في الحَمّام و جالس على " التواليت " - و قال لنفسه : حتى أحمي أسرتي من هذا البائع و استغلاله لأبنائي سأقوم أنا بنفسي ببيع المخدرات لأبنائي !

هذا هو حال كل حداثي من الهند لى المغرب العربي المبارك . الحداثي الشرقي يريد أن ينتصر على الغرب بأن يصبح هو نفسه غربيا - و كأن هذا ممكن أصلا ، و النتيجه حتما هي مسخ لا شرقي و لا غربي (و ليس بالمعنى المتعالي بل بالمعنى الضعيف الواطي) .

كل حداثي مُصاب بمرض نفساني - لنأخذ مصطلحاتهم الغربيه في الكلام معهم - و هذا المرض معروف بإسم "ستوكهولم سيندروم " . و أصل التسميه مأخوذه من حادثه وقعت قبل نحو أربعين سنه في مدينه ستوكهولم في السويد . و الخلاصه أن المجرمين الذين احتجزوا الرهائن المستضعفين ، انتهى بهم الأمر أن أصبحوا موضع محبه و شفقه الرهائن أنفسهم . و بهذا المعنى ، الحداثي من العرب و الإسلاميين (مهما أظهر أنه فيلسوف و مفكر و محلل ذكي) هو في نهايه المطاف مجرد شخص يعاني من حاله متطرفه لستوكهولم سيندروم .

و كما نقرأ في القرءآن عن قول أطياف من شعب فرعون ، الشعب السفيه المرعوب المسلوب الإراده ، الذين قالوا " لعلنا نتبع السحره إن كانوا هم الغالبين " فالمهم عندهم هو اتبا ع من يغلب ، و ليس من معه الحق . أي أنهم يرون الحق تحديدا فيمن يغلب ظاهرا و مؤقتا . فالغالب اليوم هو صاحب الحق ، فإن غلبه شخص آخر مناقض له في التوجه فالغالب الجديد هو صاحب الحق . و الحداثي المتغرب ينظر حوله - بحكم نزعته العاميه- فيرى أن الأقوى عسكريا و اقتصاديا ..الخ في هذا الوقت هو الغرب (بغض النظر عن كيفيه تقييم هذه الغلبه أصلا و هذه عبارات تقال دائما و لا ينظر الناس فيها جيدا ، و لكن لنمشي معهم) و بالتالي ، الغرب معه حق، فإذن يجب أن نكون كالغرب (أيضا كأن الغرب شئ واحد من كل الجهات ، و إن كان قصدهم هو النمط العام كقصدنا) .

كل حداثي عامّي . و لذلك يعشقون كل ما له علاقه ب "الجماهير" و "حب الضعفاء" و "جمال الرقه و الضعف" و "الإنسانيه" (يقصدون النسويه الأنثويه ، و لكن يبدو أنه خانهم التعبير) ، و "الأشياء البسيطه المفهومه للجميع" و " رفض الفوقيه و الطبقيه " (يريدون أن يكون كل الناس في أسفل سافلين ، فنهايه إزاله الطبقيه هي أن يكون كل الناس - في الظاهر على الأقل - في أسفل الطبقات ، مثل مصر مثلا حين جاء الفلاح عبد الناصر لينصر الفلاحين و يزيل المَلَكِيه ، حوّل مصر من بلده

تُغسل فيها الشوارع بالصابون إلى بلده لا يجد كثير من أهلها صابون ليغتسلو به ، طبعا بعد أن وضع العسكر كطبقه فوقهم "لحمايه مصالح الفلاح البسيط" ! وقس على ذلك) .

الحداثي في الشرق هو بساط ليدخل عليه الغربي و يتخذه كممر يدوس عليه و يجوس في خلل الديار بواسطته .

و أما "الإسلاميين الحداثيين" فلا هم أخذوا بالإسلام ، و لا أخذوا بالحداثه . كمثل من يحاول أن يقلّد غيره في مشيته أو طريقه كلامه ، لا هو أبقى على مشيته و طريقته الخاصه في الكلام ، و لا هو أخذ مشيه غيره و طريقته ، بل آل أمره إلى أن " ضيّع المشيتين " (تعبير للدكتور الوردي) و حتى إن كان شارلي شابلن في التقليد ، فإنه في قمّه إبداعه لن يكون أكثر من "ممثل" و لا شئ غير ممثل - ككل مظاهر الحداثه التي تجدها في بلادنا العربيه و المسلمه .

فهل تستغرب من فشل القوم سواء كانوا حداثيين خُلّص أو حداثيين إسلامويين ؟

" مذبذبين لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء " و يقولون " إن أردنا إلا إحسانا و توفيقا " . و الله الوكيل .

...

(من روح أبو طالب - القصيده اللاميّه {آ})

أحد أجمل و أعمق و أشهر قصائد المسلمين الأوائل في المديح النبوي الشريف ، و هي من إمدادات عالَم المعاني و الأسرار على لسان سيدنا أبو طالب عليه السلام ولي و ناصر و سند النبي صلى الله عليه و آله وسلم. و حسب ما ورد في ديوان أبو طالب ، فإنها مائه و أحد عشر بيتا ، على عدد آيات سوره يوسف . و في هذه السلسله ، سننظر في شئ من معانيها إن شاء الله بحسب ما يسمح به المقام و نضع مفاتيح لتأويلها. فتعالوا ننظر.

.. ..

{ خليليَّ ما أُذني لأوَّلِ عاذلٍ ... بصغواءَ في حق و لا عند باطلِ
خليليَّ إن الرأي ليس بشركةٍ ... و لا نهبه عند الأمور التلاتلِ }

الفكره : العقل المستقل هو مفتاح المعرفه الأجلّ .

العذل هو اللوم و خصوصا على الحب ، فحين تحب شيئاَ لدرجه مفرطه فيلومك شخص على تعلّقك بالشئ و يلومك على ما تضع فيه نفسك من مصاعب و مشاق بسبب محبوبك فإن هذا الشخص يسمى "عاذل " . و الشاعر هنا يردّ على خليله - و هو الصديق الشديد القرب حتى تتخلل صورته في قلب صديقه و يصبح يجري منه مجرى الدم و أُخذ من الخلّ الخضار و كيفيه صنعه بوضع الخيار في الماء حتى يتخلل الماء الخيار و يصبح جزءا لا يتجزأ منه و يحوّل طبيعته الأولى .

أبو طالب من فرط حبّه للنبي عليه السلام ، و هو حب الخليفه الأعظم للحق سبحانه في العالم و نوره للخلق ، أصبح يدخل نفسه في مصاعب و مشاقّ . فردّ حتى على خليله الذي يعذله و يلومه على ذلك ، حتى يدرك غير الخليل أن الكلام - من باب أولى - موجّه له .

فيقول { خليلي ، ما أذني لأول عاذل بصغواء في حق و لا عند باطل } . فأنا مستقل عنكم ، و لا آخذ معارفي إلا من عقلي ، و لا عشقي إلا من سرّي ، و لا يهمني أن تلوموني على حق أو على باطل ، لأني لا أتأثر بالخارج بل أسير على ما يدلّني عليه الباطن . لأن العشق كله حق ، و لا يمكن أن يتوجّه العشق إلا للحق ، و بما أني عشقت محمدا ، فهذا يعني أن محمدا حق بالضروره . و لذلك لا يهمّني كلام العذال ، أيا كان مضمون كلامهم ، حتى لو كان فيه شئ من الحق ، و كل كلام لابد أن يكون فيه شئ من الحق ، و مع ذلك لا يهمني ، لأنني عاشق لمحمد ، و لا يوجد حقيقه فوق هذه في مراتب الحقيقه الظاهره .

ثم يقول { خليلي } فالأول نداء للخليل من الغرباء ، و الثانيه نداء للخليل من الأقرباء الذين هم في العاده محلّ المشوره و تداول الآراء . { خليلي ، إن الرأي ليس بشركه و لا نهبه عند الأمور التلاتل } .

فقوله { الرأي ليس بشركه } يعني أن الرأي فردي . و قوله { و لا نهبه } يعني أن الرأي يحتاج إلى تأمل هادئ خارج أي ضوضاء و لا يؤخذ باستعجال و نظر مختصر كالذي يكون { عند الأمور التلاتل } و هي الشدائد ، تشبه التلّ من الرمل الذي يكون بعضه فوق بعض ، فالرأي يحتاج إلى صفاء و تفرّد .

أبوطالب يقرر في أول بيتين السمه الأساسيه للإنسان الكامل ، و الشريف الواصل . و هي أنه يأخذ الحقيقه من عين ذاته ، و مباشره من عقله ، و شهودا حيا بقلبه .

و كما أنه لا يعرف المهندس حقا إلا المهندس مثله ، و لا الطبيب إلا الطبيب ، و لا الفنان إلا الفنان ، كذلك لا يعرف الإنسان الكامل إلا من له نسبه ذاتيه تربطه بالإنسان الكامل الذي هو العقل الأعلى و المستقل بذاته عمن دونه في أخذ الحقيقه من الله تعالى و إفاضتها على الخلق كله . و لهذا يفتتح أبو طالب قصيدته بوصف جوهر الإنسان الكامل ، و مِن ثمّ يكون لكل فرد حظه من معرفه النبي بقدر حظّه من الصفات المذكوره في هذين البيتين .

و الله أعلم .

،،،

(ليس شعرا)

الغايه من قصائد المدح ،
هـي أن تتحقق أنت بمعنى المدائح .
لأن العين ترى في الغير فقط
ما يكون في النفس من محاسن أو قبائح .
و على أقل تقدير ،
رؤيه المعنى في الغير هي تذوق لشئ منه في النفس .
و لذلك يُكثر العرب من المدح ،
و لأن في إعطاء الجمال استقبال "عشر أمثالها" في النفس .
المدائح عطر منتشر ،
و الشعر هو الزجاجه الفخمه التي يملأها العطّار .
نصف الجمال معرفه "محمد"
و النصف الأعلى معرفه " الواحد القهار " .
و هذا معنى "قسمت الفاتحه بيني و بين عبدي نصفين " ،
إذ للحق تعالي و تجلي فهو رب العالَمَيْن .
الشاعر ينظر إلى حقائق المدح في الممدوح ،
فلا تقل "مبالغه شعريه" و لا "تملّق" أو "تمسيح جوخ" .
العامّي يرى المظاهر و عين الشاعر ترى الجواهر ،
فأين ساكن القصور الشاهقه من المحبوس داخل كوخ .

...

(حقيقه قصص القرءان {أ})

أول سؤال حين تقرأ أي كتاب فيه قصص هو : هل الكاتب يقصد حكايه تاريخ جسماني محدود بزمان و مكان معين أم ماذا ؟

مثلا ، حين تقرأ سيره نابليون أو سيره هتلر أو نحو ذلك ، فأنت تقرأ حكايات تاريخ ، بمعنى أنه لو افترضنا وجود " آله زمن " تستطيع أن تنظر في كتاب التاريخ ، و تضغط أزرار تُعيّن الزمان و المكان ، ١٩٣٠ برلين مثلا ، ثم تنقلك الآله إلى الموقع المحدد ، فترى بنفسك إن كان يوجد فعلا شخص اسمه هتلر يخطب و كأنه تعاطى ثلاثه كيلو من الكوكايين أم لا .

و لكن حين تقرأ كتاب "كليله و دمنه " أو "ألف ليله و ليله " أو " الكوميديا الإلهيه " لشاعر إيطاليا الأبرز دانتي، أو نحو ذلك فإن في هذه الكتب قصص و أحداث و تسلسل في الحكايات و أشخاص و حوارات ، في الظاهر لا تختلف جوهريا عن أي قصه تجدها في "كتاب التاريخ" الجسماني المشهور الذي يعرفه الجميع . و لكن حين تنظر في كتاب كليله و دمنه ، لا تجد تواريخ (العلامه الصغرى لكونه كتاب أمثال و ليس تاريخ) ثم تجد الكاتب يُصرّح بأنه يكتب أمثال لتعليم حقائق متعاليه معينه و هي محور اهتمامه (و هذه العلامه الكبرى لمعرفه أنه كتاب أمثال ، و هي الفاصله و الحاسمه ، بينما العلامه الصغرى قرينه قد تقوى و قد تضعف حسب الظروف) .

فإذن ، يوجد على مستوى العالم كتب فيها قصص ، و هذه القصص تنقسم إلى : قصص تاريخيه بحته ، و قصص أمثال بحته ، و قصص تاريخيه يمكن أن تتخذها كأمثال . و لا رابع .

ثم إن الذي يحدد القسم الذي تندرج تحته القصه أو القصص هو أولا الكاتب نفسه ، فهو صاحب الحق الأول و الحاسم ، ثم إن لم يعيّن الكاتب قصده صراحه (العلامه الكبرى) فإنه يمكن النظر في كتابه نفسه و القرائن (العلامه الصغرى) .

و على ذلك ، قصص القرءان ، تقع تحت أي الأقسام الثلاثه : أمثال أم تاريخ أم تاريخ و أمثال ؟ تعالوا ننظر ...

..

(حقيقه قصص القرءان {ب})

العلامه الكبرى : هل قال الباري تعالى أي شيء عن نوعيه قصص القرءآن ؟

الجواب : نعم ، ، بكلمه واحده قال إن قصص القرءان أمثال تكشف عن سنن تظهر آثارها في كل زمان و مكان و لا قيمه " للتاريخ " من حيث هو تاريخ ، بل العبره هي بمعرفه حقيقه المثل و السنن لا غير، و لذلك لم يرد في القرءان أي تاريخ و لا نظام عد زمني كمّي أصلا ، و لا تستطيع أن تعيّن الموضع الزماني لأي قصه قرءآنيه بالنظر حصرا في القرءان .

هذه هي الخلاصه المفيده . تستطيع أن تعتبر الكلام منتهيا عند هذا الحد ، و تستطيع أن تقرأ بعض الأدله و المسائل التي سنذكرها أدناه إن شاء الله .

قال تعالى " و لقد صرفنا في هذا القرءآن للناس من كل مَثَلْ " و قال " و لقد صرفنا للناس في هذا القرءان من كل مَثَل " . و وردت كلمه " مثل " واحدا و أربعين مره في القرءان . فكما يقول " مثل كلمه طيبه كشجره طيبه أصلها ثابت و فرعها في السماء " كذلك يقول " مثل نوره كمشكاه فيها مصباح " و كذلك يقول "مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا " كذلك يقول " مثل الذين حملوا التوربه ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا " ، و كل هذه و غيرها عشرات تتعلق بأمثال "غير زمانيه" بمعنى أنه لا يجوز أصلا وجود سؤال يقول (أين هذه الشجره الطيبه ؟ و أين هذه المشكاه ؟ و متى ولد هذا العنكبوت ؟ أو ما لون هذا الحمار الذي يحمل الأسفار و ما شكله و كم طوله و عرضه و من أبوه و من أخته و أين ولد و متى مات ؟) فالذي يسأل هذا النوع من الأسئله حين يقرأ قصص القرءان هو من تشخصّات هذا الحمار الذي يسأل عنه !

فقارن الآيات السابقه مع هذه التي تتعلق بالقصص ، " اضرب لهم مثلا أصحاب القريه " و "ضرب الله مثلا للذين ءامنوا امرأه فرعون " ، و حين يتكلم عن الجنه " مثل الجنه التي وعد المتقون فيها أنهار " .

فحين يقول " و لقد أنزلنا إليكم آيات مبينات و مثلا من الذين خلوا من قبلكم و موعظه للمتقين " ، فإن قوله "الذين خلوا من قبلكم" لا تعني أكثر من نماذج صغناها لكم تُعبّر عن نفس السنن التي كانت قبلكم (و قبلنا نحن اليوم يشمل عصر العثمانيين و الفاطميين و التابعين و الصحابه) ، فالعبره ليست بالمرحله الزمنيه التي تكون فيها ، و العبره ليست بالتكهن " التاريخي " الذي لا يسمن و لا يغني من جوع ، العبره كلها في معرفه الحقائق المتعاليه و السنن الحاكمه في شؤون الكون الأعلى و الأوسط و الأسفل . أما الانشغال بأسئله الحمار الذي ضربنا به المثال سابقا ، فندعه لمن يعجبه شأن هذه الدابه و إضاعه الوقت في التكهن و الخرص "الأكاديمي" .

كل ما ليس له حقيقه في كل زمان و مكان ، من حيث الجوهر ، أي كل ما يفنى و بعباره ابرهيم الخليل "الآفلين" ، فإن كل من لم يسفه نفسه سيقول في وجهه " لا أحب الآفلين " . كل قصه ذكرها القرءان الحكيم هي صوره تحتاج إلى عقل و تأويل ، و لذلك قال " و تلك الأمثال نضربها للناس ، و ما يعقلها إلا العالمون " . و الله أعلم .

..

(حقيقه قصص القرءان {ج})

القصص كالرؤيا تحتاج إلى تعبير .

قال القرءان في سورة يوسف , في موضع " لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب " و في موضع آخر حين رآى الملك الرؤيا المعروفة " أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون " .

و قال القرءان في سورة أخرى عن نفسه أنه " أحسن الحديث " , و قال يوسف " و علمتني من تأويل الأحاديث" التي هي الرؤى التي تحتاج إلى تعبير .

اعقل هذه الآيات و أخواتها تجد المعنى جليا إن شاء الله .

و هنا تساؤل قد يرد على الذهن : و هل يمكن أن ننتفع بأمثال و قصص كالرؤى ؟
و الجواب ايضا في سورة يوسف : فالملك رأى "سبع بقرات سمان " و "سبع سنبلات خضر" , و هذه الصور "غير واقعيه و لا زمانيه " - بالمعنى الشائع - و أين البقرة من السنة ! فقد تكون الصور في القصص الأمثالية "غير واقعية و لا زمانية " إلا أنه يمكن لمن يعقل و يعرف تأويل الأحاديث و عنده مفاتيح خزائن الصور أن يستخرج منها علما , و في حالة يوسف , علما أنقذ الناس من المجاعة , و كذلك من يعرف تأويل قصص القرءان يستطيع أن يستخرج من صوره الظاهره ما ينقذ الناس فيه من المجاعة العقلية , فكما أن صورة "سبع بقرات سمان" لا تتطابق - حسب الظاهر - مع تفسير يوسف لها - المأخوذ حسب الباطن - كذلك باقي القصص التي قد يرد في ظاهرها ما يبدو " مستحيلا " بالمعنى العامّي للاستحالة , كشق البحر و قلب العصا حية , فيأتي من لا يرى إلا الصور و لم يعلمه الله التأويل ليرى الجوهر , فيجمد على الصور , فلا يخرج بطائل , كذاك الذي أفتى الملك في سورة يوسف و قال له في وصف رؤياه أنها مجرد " أضغاث أحلام " , و كذلك يوجد من لا يرى في القصص المباركة إلا "أضغاث أحلام" و هؤلاء يموتون من الجوع أو على أقل تقدير يُحرمون من بركات المعاني التأويلية كما قالوا فعلا عن قصص القرءان - كما ورد في سورة الأنبياء - "أضغاث أحلام" فتأمل العلاقة .
ثم إن قوله تعالى " لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب " تأمل "لأولي الألباب " فهذا يعني بالضرورة أن أولي القشور ليس لهم "عبرة" فيها . و كلمة "عبرة" تشير إلى عملية العبور , كعبور الجسر من طرف إلى طرف مقابل , و منه سُمّي علم "تعبير الرؤيا " بالتعبير , لأن العاقل فيه يعبر من الطرف الظاهر - كصورة البقرة و السنبلة في حالة يوسف - إلى الطرف الحقيقي - السنة و المجاعة و حلها في حالة يوسف . و للقصص ألباب متعددة , طبقات بعضها فوق بعض من المعاني , فللظاهر باطن , و للباطن باطن إلى سبعة أو سبعين باطنا - كما وردت في ذلك أحاديث شريفة و كلمات للأولياء على مر القرون . و كل يأخذ بقدر حظّه .
و " اتقوا الله و يعلمكم الله "

...

(حقيقه قصص القرءان {د))

لا يوجد شيء جديد في اعتبار قصص القرءان أمثال تجد ظهورها و تطبيقاتها المتعددة في كل زمان . و من أبرز بل أبرز الأمثلة على ذلك ما ورد في الحديث النبوي الشريف , مثلا حين قال عن أبي جهل "أبو جهل فرعون هذه الأمة " , أو حين قال عن نفسه المباركة و علي مخطابا عليا في الحديث المشهور "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى " , أو غير ذلك مما يعرفه أهل التتبع و الاطلاع . و أما في كلام علماء المسلمين و الأولياء الصالحين , فهذا أشهر من أن يذكر , و أبرز مثال على ذلك - أي استخراج المعاني الباطنية لقصص الأنبياء في القرءان كأصل - هو كتاب فصوص الحكم للشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي . فضلا عن أشعار مولانا جلال الدين الرومي و

غيرهم ممن لا يحصون كثرة . و في كلمات علماء أهل البيت العلوي أيضا من ذلك ما يعتبر من البديهيات عند ورثة علومهم و أحاديثهم . فلا يوجد شيء جديد , و لا ابتداع إنما هو إدراك و اتباع . فقصص القرءان , أمثال فوق الزمان .
و لكن الذي يُعتبر قصص "تاريخية- أمثالية " في آن واحد هو كتب الحديث الشريف و السيرة النبويه و كتب تاريخ المسلمين و الروايات و التراجم و الطبقات . هذه كتب "في الزمان" و إن كان فيها أبعاد فوق زمانية بطبيعة الحال , إذ لا يوجد أحد من عقلاء الأمم التقليدية يهتم بالتاريخ للتاريخ المحض , لا يوجد أي قيمة تذكر لمجرد ذكر "حادثة تاريخية" أو "أرقام كمّية " , إنما تُذكر هذه باعتبار كونها تمثل شيئا ما , فكرة ما , حقيقة ما, و هذه الافكار هي العبرة من ذكر التاريخ . فكما قسمنا أنواع القصص في المقالة الأولى إلى أمثال محضة و تاريخ محض و تاريخ أمثالي , فإن القرءان هو أمثال محضة , وكتب تواريخ و سير و طبقات المسلمين منذ أربعة عشر قرنا هي تاريخ أمثالي , بينما يبقى التاريخ المحض صناعة غربية حداثية بامتياز (كالغالبية العظمى من الأشياء العدمية الخالية من المعنى الحقيقي) . إلا أنه في جميع الأحوال , أقرب شيء إلى "علم التاريخ" بالمعنى الحداثي الشائع هو كتب التواريخ و السير التي اشتغل عليها أسلافنا الكرام اشتغالا لا مزيد عليه و لا نظير له , حتى أوجدوا علم الإسناد مثلا , و الذي حفظ لنا ترجمة نحو نصف مليون عالم و فقيه و شاعر و فنان و شيخ و سلطان و أمير على مر مسيرة المسلمين في الأرض منذ أربعة عشر قرنا إلى يومنا هذا. فضلا عن المعايير التي يتم بها تدقيق قيمة الحوادث من حيث تاريخيتها البحته , ثم يأتي أهل التأويل و يستخرجوا المعاني الباطنية من هذه القصص التاريخية , و حيث أن حياة المسلمين التقليدية قائمة على صلة مستمرة بالعوالم الغيبية , فإن نفس رواية قصصهم هو بحد ذاته نوع من أنواع ظهور علوم الغيب و معانيه في هذا العالم , و لهذا السبب استطاع و يستطيع أهل التأويل أن يستخرجوا المعاني الروحية و الأفكار العقلية من هذه القصص التي ظاهرها التاريخ المحض .
التاريخ مادي كمّي , الأمثال معنوية كيفية , و لذلك كل تاريخ غير أمثالي و غير مرتبط بالعوالم العلوية الغيبية فقيمته لا تتجاوز قيمة التراب (و للتراب شيء من القيمة طبعا) .

..

(حقيقه قصص القرءان {هـ- أخير})

ثم إن قوة الدين و سند اليقين لا يكون بتاريخ كمّي , و التاريخ "بيت الكذب و مصنع تزوير الوقائع على يد الاقوياء " كما يقول البعض - و في كلامه شيء غير قليل من القوة . و من هنا تجد تلك الملل التي تعتمد كأصل على كتب "تاريخية" من قبيل ما يُعرف ب "العهد القديم و الجديد " , تجد انتقادات - وجيهة و غير وجيهه- لا حصر لها من المؤرخين , و في أفضل الأحوال و حتى إن لم يوجد أي انتقاد , فإن أقصا ما في الأمر هو أن حاثة ما حدثت و لا شأن لي بها لأنها في حكم العدم بالنسبة لكل من لم يحضرها بل حتى لو حضرها و لم يعقلها . لا يمكن أن يكون لك "يقين" و لا شبه يقين فعلي بمن هو أبوك بل من هي أمك , و ما أدراك لعل المرضة في المستشفى أعطتك لغير أهلك !

, و لا تستطيع أن تعرف بيقين أي حدث مادي كثيف (و الكثافة حجاب على العقل , بعكس اللطافة التي لحقائق عالم الغيب) وقع خارج حدود حسّك البدني المباشر اللهم إلا بقرائن صعبة و تحقيق كثير (اسأل كل من يعمل في التحقيقات الجنائية أو الإدارية , ككاتب السطور, و هو يخبرك عن مدى اليقين الموجود في البحث عن قرائن و أدلة لإثبات أمور مادية حدثت قبل أيام أو ساعات و لا نقول آلاف السنين !) . و ما يُعرف ب " النقد التاريخي " للكتب الدينية لليهود و الصليبين في الغرب هوأحد أكبر العوامل التي أدت إلى إلحاد القوم , و معهم حق إلى حد كبير جدا بطبيعة الحال . و قس على ذلك , و لا تجد مثل هذا بالنسبة للتقاليد القائمة على أساس علوي غير تاريخي كأصل .

فهل ينقص من الإسلام مثلا شيء إن تبيّن أن حادثة معينة وقعت قبل ألف سنة أم لم تقع , لا شيء , لأن الإسلام قائم على القرءان و القرءان موجود بين أيدينا و بلساننا , و هو مصدر للعلم اليقين , و أما ما سوى ذلك من مرويات ففي أفضل أحوالها و إن توفرت شروط قبولها المتعددة تندرج - مع ذلك كله- تحت مظلة القرءان من حيث المعاني المعتبرة فيها . و قس على ذلك .

لنضرب مثالا واحدا على ما سبق : في كتب اليهود – و الصليبيين بالتبع – أنه كان يوجد في بلاد وادي النيل (مصر الحالية) عند الجانب العلوي من الدلتا , تحت صحراء سيناء بقليل , جماعة من العبرانيين يبلغ عدد رجالهم المقاتلين نحو 600 ألف , و يقدر علماءهم عدد الجميع مع الأطفال و النسوة و العجائز بنحو يجعل الجميع يبلغ 2 مليون إنسان , و كان هذا قبل نحو 3500 سنة من اليوم (طبعا يوجد اختلاف في تعيين التاريخ الفعلي) , في أيام حكم الفراعنة من قبيل رمسيس و امنحوتب و بقية العصابة . ثم خرج هؤلاء العبيد من منطقة الدلتا تلك , و مشوا في المنطقة المسماة بسيناء , حتى وصلوا بعد أربعين سنة من التيه في الصحراء إلى فلسطين . و هذا كله تاريخ مادي كثيف عندهم , أي إذا أتينا بآلة الزمن المفترضة و ضغطنا على زر التشغيل يمكن أن ترجع بنا إلى تلك الحادثة المدعاة . جيد جدا . الآن أورد أصحاب "النقد التاريخي" سؤال بسيط على هذه القصة و قالوا : كيف يمكن ل 2 مليون شخص أن يسيروا بهذا النحو أصلا ! للتوضيح تأمل التالي : لو افترضنا أن العبرانيين مشوا في صف مكوّن من ثمانية أشخاص (كطابور الصباح في المدرسة) فهذا يعني أن امتداد صفّهم سيبلغ 250 كيلو متر !! يعني حين يصل رأس الجماعة إلى فلسطين سيكون أخر الجماعة لا يزال في مصر ! و هنا اضطر بعضهم إلى أن يقول : إن هذا الرقم "مبالغ فيه" ! ثم إذا قرأت نفس نصوص تاريخهم المدعى تجد أن حركة القوم كانت سهلة نسبيا , و كانت الطقوس تتم بمركزية مشددة , و غير ذلك من أمور تجعل افتراض وجود 2 مليون شخص (بعدد أفراد ولاية كاملة أو مدينة معاصرة) يعملون كل هذه الأعمال هو فوق المستحيل العامي بسبعة درجات .

فإن نظروا لكل هذا , اضطر بعضم علماءهم أن يقول "نعم , نعم , قلنا لكم , هذا الرقم مبالغ فيه " .

و حينها يقال : فهل الرب جل و علا "يبالغ" أو أخطأ في الحساب . و هكذا يقولون في الغرب لهم (و هذا ليس كلامنا نحن) فيضطر بعضهم إلى أن يقول " إن هذه أسطورة , و لكن معناها ممتاز , و العبرة بالمعنى " أي افترضوا أنها أمثال بعد أن قالوا في البدء و على مر القرون أنها تاريخ محض أو

لها جانب تاريخي في ظاهرها المادي الكثيف. ثم يؤول الأمر إلى إلحاد البعض , و استخفاف البعض بالكتب الدينية , و ترى ما تراه اليوم في المحصلة .

بينما لم يكن ثمة داعيا لكل هذا الباب أصلا . لأن السنة العالية و الدين المنزل (تأمل كلمة "منزل" جدّيا) لا يقوم و ليس له هدف و لا يهتم فعليا بالإخبار عن شيء لمجرد الإخبار عنه , و الله تعالى لا يكلّف الإنسان بما لا يستطيع و لا يضعه في مجال إدراكه و وعيه بنحو ما و بدرجة ما , هذا لا يعني أن الحقائق " سهلة " و عند متناول أي يد , بل " إنه لقرءان كريم . في كتاب مكنون . لا يمسّه إلا المطهرون " . بل في الأمر جهاد, بل الجهاد الأكبر " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لّما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين " . فتكليف إنسان بأن "يعتقد" بشيء لا مجال له لإدراكه بأي نوع من الإدراك و مستوياته الوجودية المتعددة , هو تكليف بمستحيل و ظلم , و الله تعالى لا يظلم الناس مثقال ذرة . و في أقصا الأحوال , لا يترتب على "الاعتقاد" بشيء تاريخي محض عُدم و لا أثر حاضر له أي شيء ذو بال . و لذلك مثلا , قال النبي عليه السلام أن سورة الفاتحة فيها كل القرءان , و فيها كل كتاب أنزله الله تعالى , و فيها كل شيء يحتاجه الإنسان للصلة بالله و النجاة في الآخرة .

كل قصص القرءان تريد أن توصل إلى معنى واحد في المحصلة , و هو أنه يوجد ثلاثة أنواع من الناس و المخلوقات " أنعمت عليهم " و" المغضوب عليهم" و "الضالين" , ثم أن العلم الأعلى و الحقيقة الشاملة تكمن في " بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . ملك يوم الدين" . و أن جوهر جواهر العبادات , و لب لباب الرياضات مستقر في بحر "إياك نعبد و إياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم " . لاحظ التجريد في سورة الفاتحة . و ما يهمك أنت أن تعرف أنه كان يوجد شخص فلان بن علان قبل تسعة و سبعين مليون سنة كان من الذي " أنعمت عليهم " ! الذي يهمك أنت أن تعرف كيف تكون أنت منهم , فلو عرفت كل الذين أنعم الله عليهم من يوم خلق الخلق إلى القيامة الكبرى ثم دخلت النار – و العياذ بالله – لما فادتك معرفتك بشيء , و لو جهلت كل تواريخ و قصص و حكايات الذين أنعم الله عليهم و المغضوب عليهم و الضالين ثم دخلت الجنة , لما نقص من منفعتك شيء . فإنما ضرب الله الأمثال في القرءان لتفسير و شرح شيء من معنى "أنعمت" و "مغضوب" و "الضالين" , و لكن أن يتم الانحراف عن هذا المقصد الأجلّ و تضييع الوقت في السؤال عن عمر الحمار و لونه و تاريخ ميلاده و تسريحة شعره فهذا من الهباء المنثور إن كان هذا حدّه . هذا هو اللب , و الباقي قشور , و بعض القشور نافع , و بعضها يحتاج أن تنقعه في ماء حار حتى تنتفع به , و بعضه لا يصلح إلا للمزابل أو نحوها , إلا أنه في جميع الأحوال , لا أولوية في الكتاب إلا للألباب .

ففي مثال خروج بني اسرئيل من مصر فرعون , الذي يهمك – حسب إحدى طبقات التأويل – أن تعرف كيف تخرج أنت من مصر الدنيا و مملكة النفس المتفرعنة التي تدعي الربوبية لنفسها , و كيف تتبع موسى العقل , و لا تظن أن بحر الصور السفلية لا يمكن أن ينشق لتعبر منه إلى "الأرض المقدسة " التي هي عالم الغيب المقدس عن الصور الكثيفة , و على هذا القياس . هكذا تفهم معنى قول الله تعالى " و لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون " , "ذكركم" كلكم , فهل أنا سلطان

مذكور باسمي و شخصي في القرءان ! و أي قيمة لاسم عشوائي اختير لي , المهم حقيقتي , عقلي , نفسي , بدني , وجودي , هذا هو ذكري , و ذكرك أنت , و ذكر الجميع , و هذه كلها ضرب الله لنا أمثالها " و كلا ضربنا له الأمثال " , و لكن يبقى من اللازم عمل العقل و لهذا قال " و لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون " ثم قال "و تلك الأمثال نضربها للناس و ما يعقلها إلا العالمون " فحتى تعرف أين ذكرك في القرءان تحتاج أن تعقل الأمثال , فتجد نفسك من أولك إلى آخرك بكل ظواهرك و كل بواطنك في القرءان . " و كل كبير و صغير مستطر " . و لذلك لا تجد في القرءان لا امنحوتب و لا رمسيس و لا سنة كذا و عام كذا و يوم كذا و شهر كذا و بقية العدميات الكمّية و السفلية . إنما هو مثل , عقله من أراد الله تعليمه , و جادل فيه و جهله من استحق الحرمان . "و لقد صرفنا للناس في هذا القرءان من كل مثل , فأبى أكثر الناس إلا كفورا " و " لقد صرفنا في هذا القرءان للناس من كل مثل و كان الإنسان أكثر شيء جدلا " . الكفر رفض الباطن , كابليس حين نظر في ظاهر أدم و كفر أي غطى و ستر و رفض باطنه . و الجدل هو الجدل !
إنما يهجر القرءان – تلاوة و دراسة و حبا – من لا يجد نفسه في القرءان . و هو لا يجد نفسه لأنه ينظر في القرءان بناء على قواعد و أصول مغلوطة و ضعيفة بل باطلة . القرءان كتاب لك , و هو كتابك , و من هنا تعرف معنى قول الأولياء للمريدين " اقرأ القرءان و كأنه ما أنزل إلا في شأنك خاصة " و قال آخر "اقرأ القرءان و كأنه أنزل عليك " . بل هو ينزل عليك , قرءانك جبريلك . عرفت ؟
و الحمد لله رب العالمين .

...

(فردوس هذا العالم)
الأولويه لبسط النفس ،
أعلى وسيله لبسط النفس هي الكلام ،
أكمل كلام هو العربيه ،
العربيه قرءآن ، ثم الشعر و النثر ،
القرءان هو القرءان ،
الشعر طبقات فليكن لك حظ منها كلها ،

النثر طبقات فليكن لك حظ منها كلها ،
هذه جنه النفس .

...

(مدح العربيه)

لسان العرب لسان أغاني بفطرته
و الزخرفة الهندسية سمة كلماته
و دقّة العبارة غاية فصاحته
و لذلك يُسمّى إنشاد الشعر " إنشادا "
و لذلك يُسمّى بيان النثر " بيانا "
فالإنشاد تحويل الحياة إلى أغنية مستمرة
و البيان جعل أي كلام - كائنا ما كان - فياضا بفكرة
و لذلك حتى كلام الأعراب و الصعاليك حجّة في النحو
لأن العربية بُراق يعرج بقيمة عقل الحضر و البدو
لكل حالة - مهما دقّت - اسم
لكل فعل -مهما تنوّع- رسم
لكل رابطة - مهما خفيت - حرف
لذا قلم العربي - مهما كتب - لا يجفّ
عرف العرب تأثير الكلام في النفس
فكانت الكلمة أحب لهم من الحس
القلوب تمرض و عسلها الكلمة
العقول تبحث و وسيلتها اللغة
حفظ العلوم يكون بالكتابة
فالحمد لله على العربية
لسان كتاب الله و الملائكة و أهل الجنة العليّة .

...

{ أساس فكره "الشهاده" في النظام التعليمي المحدث }

هذا النظام (هو هو النظام المنتشر في شتى أنحاء العالم و بلادنا العربيه المسلمه أيضا) أسسه الألمان و كانوا ينفذونه و يجتنون ثماره في بدايه القرن التاسع عشر الميلادي ثم أخذه الأمريكان منهم و أصدروا قوانين لفرضه على الناس في نحو ١٨٥٠ م و بدأو يستعملون العسكر لإجبار الأهالي على إرسال أولادهم إلى المحابس (لا نقول مدارس) العامه ، علما أن نسبه الأمّيه في كثير من الولايات الأمريكيه كان تحت ال ١٪ في ذلك الزمان مع النظام التقليدي للتعليم ثم بدأ مستوى الذهن الأمريكي ينحدر انحدارا بيّنا بعد أن دخل هذا النظام المحدث عليه. ثم من بعد الأمريكان انتشر في عالمنا و صرنا على ما نحن عليه .

أهداف هذا النظام ليست في ظاهره ، بل في باطنه . و باطنه هو تفريغ القوه النفسيه و العقليه ، و إضعاف الإراده و الهمّه ، لجمهور الناس و عامّتهم تحديدا . الهدف منه ليس " تعليم " الناس ، و لكن الهدف هو تحويل الناس ليكونوا أسهل ل "السيطره" عليهم من حيث تدريبهم على أنماط نفسيه و قوالب ذهنيه و انفعالات شعوريه متوقعه و مدروسه و مفهومه . عندما يكون التعليم حرّا ، لا يمكن أن "تتوقع" ما سيخرج به الناس . عندما يكون التعليم "ممنهجا" ، يمكن أن تتوقع ما سيقوم به البشر .

و المثال الذي ضربه من أسسوا لهذا النظام (هذه ليست سبّه) هو مثال تدريب الكلب ، كتجربه بافلوف المعروفه ، فبعد أن تدرّب الكلب على أن يقوم بردّه فعل معيّنه كلما أسمعته الجرس ، فإنه سيقوم بنفس ردّه الفعل حين تسمعه الجرس حتى لو لم يكن الشئ الذي جذبته إليه بالجرس موجودا . فالنفس الساقطه لها ردّات فعل غير واعيه للأفعال و المثيرات التي تتدرب عليها منذ الصغر. و المهّمه الأساسيه لهذا النظام هي خلق هذه المثيرات المدروسه مسبقا ، و وضع ذهن و نفسيه المحبوس (لا نقول الطالب) في قوالب معيّنه .

هذه خلاصه الفكره في واقعها النظري ، أما في واقعها التطبيقي فهو أمر يعرفه الجميع ، فكلّنا دخلنا هذا الحبس لمدّه ١٢ سنّه على الأقل ، و كثير منّا كان منضبطا في الحبس حتى أنهم من شدّه انضباطه مدّدوا له فتره حبسه أربع أو ست سنوات - بإرادته الحرّه طبعا .

ملاحظه تدعوا للتساؤل : إن كان فعلا هدف هذا النظام تعليم الناس ، فكيف يُعقل أن يقضي الناس ٨ ساعات في اليوم ، ٥ أيام في الأسبوع ، ٩ أشهر في السنه ، لمده ١٢ سنه متصله ، و بعد كل ذلك أغلب الناس يكرهون الدراسه ، يكرهون الكتب ، يكرهون القراءه ، يكرهون التفكير و التحدث عن شئ له معنى لمدّه أكثر من خمس دقائق و في بعض الأحيان فقط ، همّتهم في الأمور ضعيفه جدا ، تشاؤمهم واسع ، و نفسياتهم ضيقه ، و عقولهم أضيق ؟ كيف يمكن أن نتدرب على شئ لمدّه ١٧ ألف ساعه تقريبا ، ثم يخرج أغلبنا لا يحسن هذا الشئ ، بل يكرهه أو لا أقل يعتبر التعامل معه من قبيل أكل الخنزير (عند الضروره ، بقدر الضروره ، مع السعي لإزاله الضروره) ؟ لو درّبنا كلبا على قول الشّعر لمدّه ١٧ ألف ساعه ، فقد لا نتعجب إن خرج من لسانه ثلاثه أبيات للمتنبي ، و لو درّبنا أنفسنا على عمل أي شئ أو تعلّم أي فن أو حرفه أو مسخره لمدّه ١٢ سنه متصله ، و ١٧ ألف ساعه ، فإننا

سنكون من أهل القوه و الحنكه و التعمق في هذا الشئ ، فما بال هذه المحابس لا يخرج منها على الأغلب حتى من يحبّون الشئ الذي يعطونهم إياه ، لا نقول إتقانه و التعمق فيه ، بل مجرد حبّ الشئ ، أي حب العلم و التعلّم و العمل بمضمون ذلك فيما يمكن أن يتم العمل به حسب مستوى الوجود الذي يقع فيه العلم ؟

إلا أنه على العكس من ذلك ، نجد فعلا أن أغلبيه الناس المتخرجه من المحابس يوجد بينهم عناصر مشتركه كثيره ، فهل هذه صدفه ، أم أن هذه المحابس ناجحه فعلا في توصيل رسالتها ، و لكننا نحن نخطئ حين نظن أن ننسب لها أهداف هي ليست أهدافها أصلا . فإن عرفنا هدف هذا النظام ، سنعرف أمر في غايه الأهمّيه و هو التالي : هذا النظام ناجح جدا ! بل إن نجاحه الفائق هو تحديدا الذي جعل أرباب السلطه في شتى بقاع الأرض يُسارعون في تبنّيه و فرضه على شعوبهم ، و السعي إلى وضع العقبات بل إغلاق ما يُعارضه أو يُشكّل عقبه جدّيه له .

و هنا نأتي للموضوع الجوهري للمقاله و هو فكره " الشهاده " . فالشهاده (شخصيا أسمّيها : شهاده الزور) هي الوسيله التي بها يتم الفرض السلمي لنظام المحابس على الشعوب . بينما العسكر و القانون هو الوسيله العنيفه . ما وجه السلميه في الشهاده ؟ الجواب : حين لا يقبل المجتمع عموما مستوى عقلك إن لم تكن عندك شهاده من مؤسسات نظامه التعليمي ، و حين لا تقبل الشركات و المؤسسات و المراكز و المحلات توظيفك لتكسب عيشك و تعيل أهلك إلا بعد أن تكون تحمل شهاده من مؤسسات هذا النظام التعليمي ، فإن النتيجه هي النتيجه التي سمعناها كلنا من أهالينا (و سنضطر أن نُسمعها أولادنا و العياذ بالله إن استمر الأمر) و هي مقوله "ادرس يا ابني و يا بنتي ، و لا كيف حتشتغل بعدين ؟ كيف حتعيل نفسك و تفتح بيت ؟ اش حينفعك كذا و كذا (هنا عاده يتم ادخال ما يحبه الابن و البنت أو أي شئ مغاير لفرعنه التعليم المحدث) ترى كذا و كذا ما يأكل عيش ؟ فين تصرف كذا و كذا ؟ ادرس يا ابني و يا بنتي ، خدو الشهاده بعدين علّقوها في الحمّام لو ما تحبّوها بس المهم خدوها عشان تشتغلو (هذه العباره الأخيره من تجربتي الشخصيه - بعض الأهالي دمّهم خفيف أثناء توصيل النصائح المهمه لأبنائهم) ...الخ " . و من يوم ما يسمع الإنسان مثل هذا التبرير للتعليم من أهله أو أساتذته ، حتى تسقط قيمه العلم من باله إلى الأبد - إلا أن تدركه رحمه الله الواسعه . و القيمه الأخرى التي يزرعها مثل هذا التبرير و أشباهه هي قيمه " الغايه تبرر الوسيله " ، و هي قاعده كل مشاغبه و غش في الامتحانات و شراء أسئله الاختبارات ، و كل ما يفعله الطلاب في مشارق الأرض و مغاربها حتى يحصلوا على هذا الصنم المسمى "شهاده" . و الحق مع الطلاب ! إن كانت الغايه من التعليم هي الحصول هذا ورقه ، فأي طريق للحصول على هذه الورقه هو طريق مبرر - حيث أنه لن يُكتب على الورقه كيف حصّلتها ، المهم أنك حصّلتها و ستؤدي غرضها في فتح الأبواب الشبه ماسونيه في المجتمع لك (أقول شبه ماسونيه ليس من باب المؤامرات الخرافيه ، بل من باب الشبه الفعلي لهذه الورقه ببعض الرتب الماسونيه التي تفتح لك أبواب في النظام لم تكن لتفتح لك بدونها - تشبيه ساقط بساقط) .

فالجانب الأول للشهاده هو قمع كل نظام تعليمي آخر ، بطريقه غير مباشره .

الجانب الثاني للشهاده هو قتل قيمه العلم ذاته في قلوب الناس و عقولهم و نفوسهم . فمن يوم ما يكون للعلم غايه سفليه ، بل تكون هذه الغايه السفليه هي "الغايه" منه ، يبطل كون الشئ أصلا " علم " . و لذلك ، أفضل مكان تذهب إليه لتشهد القتل الممنهج للأرواح هو السجن (المعروف) و المحبس (مره أخرى لا نقول مدرسه) و صالات التعذيب في قسم المخابرات و الأمن السياسي . و العلاقه قويه بين هذه الأماكن الثلاثه ، و الجامع بينها كلها هو الرغبه في قهر النفس - البريئه في أكثر الأحيان - لتعيش داخل القوقعه التي يريدها من بيده الحديد و النار . بعباره أخرى ، فرعون و هامان و قارون كل زمان " و إنّا فوقهم قاهرون " و "استخف قومه فأطاعوه" و " قومهما لنا عابدين " ، ثم العاقبه هي النار للسيد و المسود ، و لا عذر لمن يقول " إنا أطعنا سادتنا و كبراءنا فأضلونا السبيلا " كما هو معلوم .

إذا كان النبي عليه السلام قال " الدنيا ملعونه ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله و ما والاه ، و عالم و متعلم " . و كانت هذه المحابس ليس فيها لا ذكر الله حقا و لا عالم و لا متعلم ، فضلا عن أنها لا تزرع مثل هذه القيم في الإنسان ، (كمثال : خمس مواد "إسلاميه" عندنا في السنه ، لمده ١٢ سنه ، و مع ذلك تخرجنا من هذه المحابس و أكثرنا أشبه بالفسّاق بل و الفراعنه منّا بالمسلمين ، و إنا لله) . إن إسقاط قيمه الذكر و العلم ، " من المهد إلى اللحد " ، يساوي الكفر و الانحطاط في جهنم ، الأمر بهذه السهوله و الوضوح . لا عشق للعلم يساوي المحق في جهنّم - دنيا و آخره . فإن كانت هذه المحابس تسببّ بغض العلم و وسائله كالقرآءه و الكتابه و الصبر على التأمل و المناظره و التجريب و البحث و الجدّيه و البسط - بتسبيب "ثابت علمياو إحصائيا" بما لا مزيد عليه - كيف يمكن أن نعتبرها بركه و رحمه ، و هي في الواقع لعنه العالم المُحدث المُبتدع التي لم تدع جانبا إلا أصابته بنارها و لهيب شرّها . و إن كان لكل الأمم أن يقبلوا بمثل هذه النتائج المخزيه (و العقلاء منهم لا يقبلون و لله الحمد ، فالخير موجود في كل أمه) فإنه لا ينبغي لأمّه نبيّها يفضل أن يجلس مع العلماء الذين يدرسون بدل الجلوس مع العبّاد الذين يدعون ، و أمّه من العادي جدا أن تسمع أو تقرأ في ترجمه أغلب أهل العلم فيها أنهم ألّفوا عشرات الكتب (كتب تلك الأيام هي "موسوعات" و "رسائل دكتوراه " هذه الأيام - مع فارق كبير طبعا في الكيفيه و العمق و الجمال و الروح) .

أدلّ دليل على الرفعه ، شدّه التعظيم و الاهتمام بكل شؤون المعرفه . و العكس صحيح . و المدارس و كيفياتها و شؤونها و نظم التعليم و مناهجه و قواعدها هي العلامه الأبرز لماهيه رؤيه المعرفه في أي أمّه و في أي فرد. و من الخسّه أن ننظر في النظام الحداثي و نقول " مشّي حالك ! " ، و من الأخس أن يسعى البعض في تبرير ذلك ، و من أخس الأخسّ أن نعتبر ذلك " تطورا و تقدما " فهذه قاصمه الظهر .

العلاج العملي الاجتماعي يكمن في التالي : أولا أن ينظر أي كل بلده في نظامهم الخاص ، ثم ينظروا في موقع إصدار القرار في هذه الشؤون (أي الذين بيدهم تغيير الأمر) ، ثم يتوجّهوا إليهم و إلى الناس ببيانات تشرح مساوئ نظام التعليم الحالي ، و الرغبه في إيجاد حلول خارجه (إذ لا مجال لإصلاح هذا التنظيم ، "إصلاح التعليم" هي خدعه لجعله يبقى ، لا إصلاح إلا لصالح فسد ،

أما الفاسد فإصلاحه إزالته ، كيف تصلح "الإيدز" مثلا ، أم كيف تصلح "السرطان" و العياذ بالله ، وضع باروكه شعر على رأس المسرطن ليست إصلاحا و لكنها تجميلا مؤقتا ، كذلك أي كلام عن إصلاح هذا التعليم لن يكون إلا كلاما في العرضيات و الأمور التي لا قيمه فعليه لها ، أو كُإدخال التلفزيون إلى الزنزانه ، قد يُفرح قليلا و لكن السجن لا يزال سجنا) .
بعض الأنظمه تسمح بالتعليم المنزلي بعد المرحله الابتدائيه . و هذا غير كاف بالمرّه ، بل مضرّ رأسا . و ذلك أولا لأن ما يسمونه " المرحله الابتدائيه " (و كأن الإنسان مشروع تجاري أو ماكينه في مصنع) هي أهم مرحله على الإطلاق بالنسبه للإنسان و تكوين جوانب أساسيه في ذهنه و نفسيته تظل معه حتى يكبر و يذهب مع عزرائيل عليه السلام . بل قال بعض أهل الخبره في تربيه الجنود " أعطني الولد حتى إذا بلغ عندي عمر ست سنوات ، خذه ، فقد فرغت من تربيته " أو كما قال . و قديما قالوا " التعليم في الصغر كالنقش في الحجر". و ثانيا - و هو الأهم نسبيا - فإن ما يُعرف بالتعليم المنزلي ليس إلا دراسه نفس المقررات المقرره في المحابس و لكن للولد أن يدرسها في المنزل ، و هذا ارتداد على الأعقاب . فأي فائده جوهريه إذن للدراسه المنزليه ، إن كانت "الاختبارات" بصيغتها المعروفه العشوائيه موجوده ، و كانت المقررات الضعيفه موجوده ، و كانت الفتره الزمنيه الكمّيه التي يجب على الفرد أن يعقل فيها المقرر (و كأنه آله) موجوده ، و غير ذلك من أمور تُشكّل لبّ مصيبه هذا النظام لا تزال موجوده ، فما الفائده من " التعليم المنزلي " .
المُراد هو أولا أن يُفك الارتباط بين الحرف التي يتكسب بها الناس و بين العلوم النظريه ، و أن يكون لكل حرفه أهلها و نظامها التدريبي الخاص بها و يمكن لأي شخص فيه المؤهلات البدنيه أو الذهنيه الأوليه التي يجد أهل الحرفه فيه قابليه أوليه و بسيطه للالتحاق بهم أن يقبلوه ثم يُعلّموه كيف يتقن صنعته و يمارسها فعلا و يكسب معيشته منها . ثانيا ، أن لا فرض قاهر على الصبي للالتحاق بهذه المحابس ذات المناهج الحداثيه و السطحيه الميته و المباني البشعه القبيحه القاتله للمعنى و حس الجمال في الإنسان . ثالثا ، أن لا فرض قاهر على أحد في دراسه هذه المقررات ، بل في أفضل الأحوال يتم اقتراحها على الأهالي و الأشخاص كاقتراحات فقط لا غير . أما معايير النجاح في العلوم النظريه أو العمليه فقد سبق أن فصّلناه في مقالات أخرى فلا نعيد ، و أما معيار " الاختبارات " فيجب أن يُلقى في أقرب مزبله ..أو حتى لا تتسخ المزبله يتم حرقه .
التعليم إما أن يكون روح دائمه الإشعاع على الأمه ، أي هو العنصر الرئيسي فيها و محور اهتمامها ، و إما أن لا يكون ، فإن العلم كما قال علماؤنا الكرام " إن أعطيته كلّك أعطاك بعضه ، و إن أعطيته بعضك لم يعطك شيئا منه " أو كما قالوا رضوان الله عليهم .

يجب أن نُغلق المحابس ، حتى تُفتح المدارس .

يجب أن ننهي "التعليم" ، حتى يبدأ التعليم .

إما أن نهدم النظام الحداثي ، و إما أن يهدمنا .

هذا ما أرى ، فانظر ماذا ترى .

...

(دائره المعرفه)

كل فرقه و طائفه مسلمه تقليديه عندها أصل الحق و بعض من الحقيقه .
أما أصل الحق فهو القرءان .
و أما لبعض الحقيقه فهو الجانب العقائدي و الشرائعي الذي وقفوا عليه - كمثل نقطه حول مركز الدائره .
الإنسان الكامل يطوف حول كل نقاط الدائره ، و يتوجه منها و بها إلى المركز ، و قلبه دائما مستقر في المركز.
الإنسان الفاشل هو الذي يسعى إلى تكفير المسلمين و تخطئه المُكاشفين و المجتهدين .
ثم الناس بعد ذلك في الكمال على درجات ، و في الفشل على دركات .
و " أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا " .

...

(سؤال : إن كان الشعر بهذه الأهميه العظمى ، فلماذا يقول القرءآن " و الشعراء يتبعهم الغاوون " ؟)

الجواب : الفرق بين الوحي و الشعر هو أن الوحي كلام الرحمن ، محوره الرحمن ، و كلام عن الأمور من عين و حكم الرحممن . بينما الشعر كلام الإنسان ، محوره الإنسان ، و كلام عن الأمور من وجهه نظر و رأي الإنسان .
فالأنبياء بالنسبه للشعراء ، كالوحي بالنسبه للشعر ، كالحق تعالى بالنسبه للخلق الأدنى .
بالتالي ، حين لا يكون هناك أنبياء و لا وحي ، فإن الشعر هو أعلى مصدر للمرجعيه المعنويه و الفكريه و هو المحور بالنسبه للناس العالين الكاملين - كما كان حال العرب قبل الإسلام . و لكن حين يخرج النبي بالوحي فإن الأولويه يجب أن تكون للنبي و وحيه ، ثم يكون الشاعر و شعره تابع للنبي و وحيه .
و لما خرج النبي عليه السلام لم يرض من تعلّق بالشعر لظاهر الشعر - بدل من أن يتعلق بالشعر للمعنى - من أن يتبع النبي عليه السلام ، لنفس السبب الذي يجعل بعض البشر يرفضون الحقيقه و الطريقه و الشريعه . و عن هذا الصنف قال تعالى " و الشعراء يتبعهم الغاوون " ، لأنه رفع للشعراء فوق منزلتهم الحقيقيه المناسبه له، فالمذموم رفع الشئ فوق قيمته ، و ليس المقصد نفي قيمه الشئ بالمطلق . و لذلك فصّل و قال عن صفات هؤلاء الشعراء فقال " أم تر أنهم في كل واد يهيمون " بمعنى أنهم يتكلمون في أمور لا يفهمونها و لا يتعمقون فيها و يدركون حقيقتها ، إلا أنهم لتمكنّهم من ظاهر الصناعه اللفظيه للشعر و أوزانه و قوافيه ، و قدرتهم على تلفيق أي معنى في صوره براقه خلّابه يمكن أن تخدع ذهن العامّي الذي يظن أن جمال الألفاظ يعني بالضروره صحه و حقانيه المعاني التي تحتها ، يقوم هؤلا الشعرآء بإغواء العامّه بشعرهم و يصرفونهم عن التوجه لحضره الحق تعالى و اتباع رسله و أوليائه . ثم قال عنهم " و أنهم يقولون ما لا يفعلون " و هذا يظهر أنهم يقولون لمجرد القول ، و

أن وجودهم محدود عند أقوالهم ، فلماذا يقولون ؟ الجواب لأنهم يريدون جوائز أو مناصب معينه ، أما الجوائز فهي الأموال و الهدايا التي يأخذونها على أقوالهم ضد الأنبياء و العلماء ، و أما المناصب فهي التي يطلبونها أو يأملونها على عدواتهم للأنبياء و ورثتهم في كل زمان . فلكل زمان و مكان "شعراء" ، و ليس بالضروره أن يكونوا يقولون الشعر بمعناه العربي المعروف ، فمن عمل العمل استحق نصيبه من الاسم .

و تجد هذا المعنى في مثل قصه موسى و السحره . بالنسبه لتأويلها في حق النبي عليه السلام ، فإن النبي هو موسى ، و الشعراء هم السحره ، و عصا موسى هي القرءآن ، و فرعون و من معه هم القرشيين و لذلك قال تعالى لقريش " إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا " ، و منه قال النبي عليه السلام " أبو جهل فرعون هذه الأمّه " .

و قد يتم النهي عن الشئ في مرحله ، ثم يُعطى الإذن بل التحريض على الشئ في مرحله أخرى . مثلا كان أهل الجاهليه يزورون القبور لأسباب سيئه و ضعيفه و باطله ، فجاء الأمر في الشرع الشريف أولا بأن لا يزور المسلمين القبور ، ثم لما تغيّرت عقليات و نفسيات المسلمين و تجذّرت الحقائق اللازمه في قلوبهم ، قال لهم النبي عليه السلام " إني كنت نهيتكم عن زياره القبور ، ألا فزوروها فإنها تذكّركم الآخره " أو كما قال عليه السلام . فهل لم تكن القبور تذكر بالآخره إلا الآن ! بالطبع لا ، و لكن من قبل ذلك كانوا لا يزورونها لمثل هذه المعاني القرءآنيه و العرفانيه ، فجاء النهي ، ثم لما تغيّرت القلوب جاء الإذن . مثال أقرب على هذا المعنى هو نهي الطبيب للمريض بأن يأكل طعام معينا ، و ذلك لأن هذا الطعام قد يسبب زياده المرض ، ثم بعد أن يتشافى الإنسان يجيز الطبيب له ذلك الطعام .

كذلك في الشعر ، وردت بعض الأحاديث الشريفه التي تنهى عن قول الشعر ، و وردت كذلك أحاديث شريفه أخرى - صحيحه مثلها - تثبت أن النبي عليه السلام كان يحب سماع بعض الشعر ، و تثبت أن في كبار أصحابه من كان قمّه في علم الشعر كعمر بن الخطاب و ابن عباس و كذلك الإمام علي عليه السلام مثلا ، و أم المؤمنين عائشه كانت تحفظ عشره آلاف بيت من الشعر كما يروى . فهل هذا تناقض ؟ لا . لو درست الأحاديث التي تنهى بدقه ستجد أنها تنهى عن " نوع من الشعر " و ليس عن "الشعر" من حيث هو . و لذلك سمع النبي عليه السلام الشعر . ثم إنها قد تنهى عن سماع "بعض الناس" للشعر في فتره معيّنه - كالنهي عن زياره القبور لفئه معينه غير مستعده لاجتناء الفائده من الزياره - و الإذن وارد للبعض الآخر ممن يستفيد من الشعر و يرتقي به ، و لا يكون الشعر عقبه له عن العلم و عن محوريه الوحي و أولويه العقل و التعلق بذكر الله تعالى أولا و آخرا . و لهذا ، بعد أن استقرّ المسلمون ، و تمكّنوا من علوم القرءآن و السنه الشريفه ، تفجّرت ينابيع الشعر في الأمّه بما لا مزيد عليه لا في الأمّه العربيه و لا في أي أمّه أخرى . بل حتى ما يُعرف ب " الشعر الجاهلي " إنما رواه المسلمون (حسب نظريه كل أهل الإسلام و الشعر على مر القرون) فالفضل راجع في روايته للمسلمين ، أو أنه مُخترع في الإسلام من قبل شعراء مسلمين لأغراض مختلفه (حسب نظريه عميد تسخيف الأدب العربي طه حسين و من شايعه في القرن المنصرم) فإذن حتى على هذه النظريه المُحدثه يكون الفضل في خلق الشعر العربي " الجاهلي " الذي هو قوّه في المتانه و الرصانه (على

قلّه ما بقي منه ، أيا كانت النظريه التي ستأخذ بها) للمسلمين أيضا . ثم دواوين الشعر في الإسلام أكثر من أن تُحصى ، و أعمق من أن تُدرى ، و أوسع من أن يُحاط بها ، و أجمل من أن تُقارن بشئ آخر ، و يكفي على سبيل المثال أن تعرف أن صاحب خزانه الأدب الشيخ عبد القادر البغدادي رضوان الله عليه قبل قرنين من الزمان تقريبا قال أنه اطلع على نحو ألف ديوان من الشعر (ألف ديوان ، و ليس ألف قصيده !).

كان الشعر كالقبر في الجاهليه ، فلما جاء القرءآن و النبي عليه السلام ، أصبح كتاب الله تعالى هو روح الأمه ، و من بعد ذلك قال بعض العلماَء من أصحاب النبي عليه السلام و تابعهم عليه الجميع تقريبا ، أن معرفه الشعر العربي من شروط العلم الكامل بتفسير كتاب الله تعالى . و هذا مما تسالم عليه علماء التفسير . بل صارت دراسه الشعر أساسيه في نظام تعليم المسلمين ، حتى أصبح " العامه و السفله " يقولون الشعر و يتعاطونه ، كما ذكر أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين و هو من رجال القرن الرابع الهجري .

فالوحي تنزيل الرب للعبد ، و الشعر صعود العبد للرب .

الوحي روح الصنائع الإلهيه ، و الشعر تاج الصنائع الإنسانيه .

فإن صار الوحي قلب الإنسان ، عندها سيكون الشعر الخارج من قلب هذا الإنسان شبيه بالوحي .

فلهذا ورد النهي عن الشعر في البدء ، لأن النبي عليه السلام أراد أن يكون شعر الأمّه حيّا عاليا .

و قد صار ، و لله الحمد .

و الله أعلم .

...

(التضبيع العربي)

إذا ذهبت للشعب الفاسد و قلت له "لا تكن فاسدا" ،

فقال لك : لا حول لي ف "الناس على دين ملوكهم" .

ثم ذهبت للحكومة الفاسدة و قلت لها "لا تكوني فاسدة" ،

فقالت لك : لا حول لي فالشعب فاسد و "كما تكونوا يولى عليكم" .

فتنح جانبا في مكان لا تسقط عليك الحجارة فيه ،

لأنه قد قضي الامر بهلاكهم .

هذا ما استفدناه من 'الربيع' العربي .

شعب يرمي على حكومة ،

و حكومة ترمي على شعب ،

و لا أحد يريد ان يهتم بنفسه

و كل احد يريد ان "يصلح الدولة" .

الحكومة دوما لا تزيد عن عشر معشار عدد الشعب ،

و 'الحكومة' مجرد افراد من بين الشعب ،
مثلهم مثل مجلس إدارة في شركة تجارية ،
لا شركة جيدة إلا بإدارة جيدة و موظفين جيديين .
كل أحد يهتم بدوره و كفى .
الثورات العشوائية تدمر الشعب اكثر من الحكومة ،
ثم تاتي حكومة جديدة أخس من الاولى و هلم جرا .
" لا تكلف إلا نفسك "

...

(من حجب الحق)
الكلام السلبي - و إن كان حقا - مع جماعة ايجابية ،
يؤدي إلى النفور .
الكلام الايجابي - و إن كان حقا - مع جماعة سلبية ،
أيضا يؤدي الى نفور .
الاول سيقولوا "كئيب "
الثاني سيقولوا "مثالي"
و بين كئيب و مثالي يضيع الحق .
" و لقد جئناكم بالحق و لكن أكثركم للحق كارهون" .
الكامل هو الذي يصبر على الايجابي و السلبي ليستخرج الحق .
" و قليل ما هم "

...

. في أوائل أيام خروج الدواعش (يجب آن تغسل فمك سبعه مرات بالماء و مره بالتراب بعد ذكر اسمهم)
كنت جالسا مع مجموعه من الناس فيهم شباب ، أحدهم كان مؤيدا للفئه المجرمه ، و معه حجج قرءانيه و من سنّه خير البريّه ! و كان يصول و يجول بها لإقنا ع بقيه الشباب بذلك .
فقلت له : من فضلك ، قدّم حججك واحده تلو الأخرى لتبرير أعمالهم .
فقال : أما عن قتل الأولاد و النساء أو القتل بلا تمييز للكفار فدليله قصه نوح ، فالطوفان لم يميّز بين صغير و كبير بل محق كل الكفار .
فقلت - متعجبا كالعاده منهم : افرض أن الطوفان كان كما ذكرت و تخيّلت ، و افرض أن جماعتكم يمكن مقارنتها بسيدنا نوح (أي كبر !) ، فأولا سيدنا نوح عليه السلام دعا قومه لدينه ألف سنه ثم

جاء الطوفان ، فادعوا الناس أنتم إلى دينكم ألف سنه أولا ! و ثانيا ، سيدنا نوح " دعا " على قومه ، و الله استجاب بالطوفان ، فنوح لم يأخذ سلاح الروس و الأمريكان ليقتل به الكفار (المسلمين !) ، فإن أردتم التمسك بقصه نوح ، فأولا ادعو الناس لدينكم ألف سنه ، أو لا أقل أن "تدعوا" الله على الناس ليهلكهم ، ثم الله يستجيب أو لا يستجيب .

فخرس .

فقلت له : هات اش عندك كمان .

قال : قتل الأطفال جائز بدليل قصه الخضر في سوره الكهف ، فإنه قتل الغلام ابتداءا .

فقلت : افترض أنها كما ذكرت و تخيّلت ، فالخضر تلقى أمرا حيا مباشرا من الله بخصوص غلام واحد كان الخير لهذا الغلام و أهله أن يُقتل الآن كما يعرف كل من درس القصه ، فهل أميرك يتلقى الوحي المباشر من الله حتى يقرر مثل ذلك في حق جماعات الناس (المسلمين !) . إن كان يدعي ذلك يجب أن نحكم عليه بالردّه و نقتله حسب قولكم أنتم أيضا لأن النبوه انقطعت أليس كذلك ؟

فغيّر الموضوع و قال : الخلاصه نحن الآن كأيام الجاهليه كل الدول جاهليه ، مثل مكّه أيام أبو جهل ، و نحن نريد أن نكوّن دوله كدوله المدينه لنعيش فيها كمسلمين ، فما اعتراضك على ذلك ؟

قلت : عندي عشره اعتراضات كم واحد تحب أن تسمع ؟

قال : لا تسخر منّي ، أعطني ما عندك .

قلت : فاسمع جيدا . أولا ، أنتم تجيزون عمليات القتل و العدوان لأعضاء جماعتكم في بلاد الناس الآمنه مسلمين و غير مسلمين ، بحجّه أنها مثل مكّه أيام الجاهليه ، فأنا أسألك الآن ، هل تجد في الفتره التي تتجاوز عشر سنوات التي قضاها النبي عليه السلام و المسلمين في مكّه أن النبي أو أحدا من المسلمين قام بعمليه عدوانيه واحده بل حتى اعتداء باللطم بل بإلقاء شوكه في طريق أحد من الجاهليين القريشيين بأمر النبي عليه السلام - بل و بغير أمر النبي و لا أظنك تجده ؟

فسكت . و حق له أن يسكت . فأكملت .

و قلت : ثم إنك تقارن نفسك و جماعتك بالنبي عليه السلام و أصحابه و هذا فيه من العفن و الكبر بما لا مزيد عليه ، و لكني أتجاوز عنه . و أسألك عن دوله المدينه ، هل قام النبي بالذهاب إلى المدينه بجيوش جراره و احتلّها بحجّه إقامه حكم الله في الأرض أم أنه ذهب مع صاحبه على ناقه و ليس معه جندي واحد ، و استقبله الناس بالأفراح و الأشعار لأنهم أرادوه و كان أكثر أهل المدينه آمن بدعوته و بايعه سلما و رغبه و إراده ، بل بايعوه للحكم و الطاعه مرتين و هو لا يزال في مكّه ؟

فقال و أنصف : الثانيه .

فقلت : إذن دوله المدينه لم تقم بأي عمليه عدوانيه ، بل كان النبي عليه السلام يعرض دعوته على القبائل القويه و المدن لينصاروه ، و يذهب ليعرض الدعوه إما وحده أو معه شخص أو اثنين ، و يعرضها بالكلام و الحال ، و حين يرفضوه يتركهم و يذهب إلى غيرهم حتى جاء إليه أنصار المدينه المنوره . فإن كان و لابد من الكبر و مقارنه أنفسكم و جماعتكم بمن لا تساوون أظافر أقدامهم المقصوصه ، فاعملوا مثل عملهم ، اعرضوا دعوتكم بالكلام و السلام على الدول و المدن الموجوده ،

فالشعب الذي يقبلكم اذهبوا و احكموه ، فإن حاربكم أحد بعد ذلك فلا تبقوا منهم باقيه إن شئتم . فهمت ؟

فقال : و لكن الدول لا تتركنا ندعوا إلى ديننا بسلام و أمان ، بل يضطهدوننا و يقتلوننا و يسجنوننا ، فماذا نفعل؟

فقلت : ألستم كما تقولون و تزعمون في فتره جاهليه مثل أيام الجاهليه ، و أنكم ورثه الصحابه الأوائل المخلصين ، فأقول لك اعمل كما عمل الصحابه الأوائل حين اضطهدهم و قتلهم و سجنهم أهل قريش ، اصبر و كف يدك و اجتهد وسعك . ثم إن كنت تطلب الأجر من الله فلا يهمك هل أفلحت في هذا العالم أم لا ، لأن عملك مأجور سواء نجح في الدنيا أم لم ينجح . أم أنكم طلاب دنيا (كما نظنكم بل نتيْقن أنكم كذلك) ؟

و انتهى المجلس على ذلك .

لا داعي للقول بأن المتمسلف الهمجي بقي على ما هو عليه - كأنه منوّم مغناطيسيا - و أما بقيه الشباب فالحمد لله عادوا لعقلهم .

لعنه "السلفيه" لا يرفعها إلا القرءان

...

(عن الحب)

لا يحب الرجل إلا تلميذه ، و لا يحب المرأه إلا ولدها .

هذا أقصى ما يمكن الاعتماد عليه في حقيقه الحب ، و الباقي فيه ما فيه .

الرجل - في لبّ مقامه الوجودي - عقل . " و علّم ءادم الأسماء كلها " فلما علّم الملائكه سجدت له الملائكه ، و هو الحب في أسمى صوره الذي هو إفناء كامل للنفس في المحبوب .و تنعكس هذه الحقيقه في هذا العالم بحسب درجات متعدده .

مثال : كان حمّاد بن سليمان شيخا لأبي حنيفه النعمان ، و كان حمّاد يغيب عن الكوفه غيبه طويله ، و كان حين يرجع يسأله الناس إلى أي شئ كان أشوق . و كانوا يتوقعون أن يكون مشتاقا لحفيده المولود الجديد ، إلا أنه كان يقول : إلى أبي حنيفه و لو أمكنني ألا أرفع الطرف عنه لفعلت .

الفكره هنا هي أن حمّاد عالم- أي إنسان- ، و العلم بطبيعته يريد أن يفيض على الغير كالماء الذي ينزل من السماء، فمحبوب العالم هو الطالب الفاهم ، و كلما كانت قابليه الطالب في القبول و الفهم أكبر كان حب المعلّم له أكبر ، فلما وصل أبو حنيفه رضي الله عنه إلى مرتبه القبول التام للعلوم و عقل الفقه الأكبر (العقيده) و الفقه الأصغر (الشريعه) و كان من أقطاب الطريقه كما يعرفه شيوخ الصوفيه ، فإن شيخه حمّاد كان يعتبره تجلي الإنسان الكامل و لذلك قال " و لو أمكنني ألا أرفع الطرف عنه لفعلت " إذ يكفي أن أنظر إليه لأجد كل شئ أريده من هذا الوجود . و قس على ذلك .

هذا بالنسبه للرجل .

أما بالنسبه للمرأه ، فإن أكمل حب يمكن أن تجده هو حب أولادها لها . فقط لا غير . الباقي كله إما ممزوج بشهوه أو برغبه خارجيه أو بشئ مؤقت أو نحو ذلك من أعراض . حب الأولاد لأمّهم خالص دائم إذ الصلّه بينها و بينهم ذاتيه الوجود ، و ليست عرضيه كما سوى ذلك .
و لذلك قامت حياه المسلمين فيما يتعلق بالحب على إدراك عميق بهذا المعنى .
فلم يطلب الرجال من النساء ، و لم تطلب النساء من الرجال ، ما يعتبر درجات أدنى من الحب ، و إن جاءت فخير و بركه ، و لكن القاعده الكليّه للحياه و الاستقرار و المعاني لا تقوم على الأعراض و ما يأتي بالصدفه الظاهره أو نحو ذلك من متغيّرات أو سفليات ، بل لابد أن تقوم على الحق المستقر و المعنى الكلي الثابت .
و من هنا ترى شدّه اهتمام العلماء بشيوخهم و أساتذتهم - تقليديا - و شدّه اهتمام الشيوخ و الأساتذه بمريديهم و طلابهم .
و من هنا ترى تماسك الأسره و ارتباط الأولاد بأمهاتهم ، و تركيز الأمهات على أولادهم و ليس على سواهم إلا بنحو ثانوي .
لا يحب الرجل إلا تلميذه ، و لا يحب المرأه إلا ولدها . أي الحب الكامل المستقر .

...

(عن الحب)
لا يحب الرجل إلا تلميذه ، و لا يحب المرأه إلا ولدها .
هذا أقصى ما يمكن الاعتماد عليه في حقيقه الحب ، و الباقي فيه ما فيه .
الرجل - في لبّ مقامه الوجودي - عقل . " و علّم ءادم الأسماء كلها " فلما علّم ءادم الملائكه سجدت له الملائكه، و هو الحب في أسمى صوره الذي هو إفناء كامل للنفس في المحبوب .و تنعكس هذه الحقيقه في هذا العالم بحسب درجات متعدده .
مثال : كان حمّاد بن سليمان شيخا لأبي حنيفه النعمان ، و كان حمّاد يغيب عن الكوفه غيبه طويله ، و كان حين يرجع يسأله الناس إلى أي شئ كان أشوق . و كانوا يتوقعون أن يكون مشتاقا لحفيده المولود الجديد ، إلا أنه كان يقول : إلى أبي حنيفه و لو أمكنني ألا أرفع الطرف عنه لفعلت .
الفكره هنا هي أن حمّاد عالم - أي إنسان - ، و العلم بطبيعته يريد أن يفيض على الغير كالماء الذي ينزل من السماء، فمحبوب العالم هو الطالب الفاهم ، و كلما كانت قابليه الطالب في القبول و الفهم أكبر كان حب المعلّم له أكبر ، فلما وصل أبو حنيفه رضي الله عنه إلى مرتبه القبول التام للعلوم و عقل الفقه الأكبر (العقيده) و الفقه الأصغر (الشريعه) و كان من أقطاب الطريقه كما يعرفه شيوخ الصوفيه ، فإن شيخه حمّاد كان يعتبره تجلي الإنسان الكامل و لذلك قال " و لو أمكنني ألا أرفع الطرف عنه لفعلت " إذ يكفي أن أنظر إليه لأجد كل شئ أريده من هذا الوجود . و قس على ذلك .
هذا بالنسبه للرجل .

أما بالنسبه للمرأه ، فإن أكمل حب يمكن أن تجده هو حب أولادها لها . فقط لا غير . الباقي كله إما ممزوج بشهوه أو برغبه خارجيه أو بشئ مؤقت أو نحو ذلك من أعراض . حب الأولاد لأمّهم خالص دائم إذ الصلّه بينها و بينهم ذاتيه الوجود ، و ليست عرضيه كما سوى ذلك .

و لذلك قامت حياه المسلمين فيما يتعلق بالحب على إدراك عميق بهذا المعنى .

فلم يطلب الرجال من النساء ، و لم تطلب النساء من الرجال ، ما يعتبر درجات أدنى من الحب ، و إن جاءت فخير و بركه ، و لكن القاعده الكليّه للحياه و الاستقرار و المعاني لا تقوم على الأعراض و ما يأتي بالصدفه الظاهره أو نحو ذلك من متغيّرات أو سفليات ، بل لابد أن تقوم على الحق المستقر و المعنى الكلي الثابت .

و من هنا ترى شدّه اهتمام العلماء بشيوخهم و أساتذتهم - تقليديا - و شدّه اهتمام الشيوخ و الأساتذه بمريديهم و طلابهم .

و من هنا ترى تماسك الأسره و ارتباط الأولاد بأمهاتهم ، و تركيز الأمهات على أولادهم ، و ليس على سواهم إلا بنحو ثانوي .

لا يحب الرجل إلا تلميذه ، و لا يحب المرأه إلا ولدها . أي الحب الكامل المستقر .

...

(عن القطب)

جاء في الميراث الكريم هذه القصه { كان أبو حنيفه يسهر مع جماعه من أصحابه في دار حمّاد يتدارسون ، و كان للشيخ ديك يصيح من أول الليل ، فكانت العلامه بين حمّاد و بين أصحابه أن يصيح الديك ، فإذا صاح قام حمّاد فينفرط عقد الجماعه ، و يقول أبو حنيفه : يا لك من ديك قبّحك الله قطعت حديثنا ، إن شرّ الديكه ما صاح أول الليل . }
في القصه ثلاثه أطراف ، حمّاد و أبو حنيفه و الأصحاب . إنما ذُكر حمّاد لأنه قطب الحلقه ، و إنما ذُكر أبا حنيفه لأنه رأس الأصحاب و الخليفه ، و تم إبهام البقيه من حيث الأسماء لأن من لا ذات مستقله كامله له لا اسم له فهو تابع لمسمى الصحبه العامه . فإنما يُسمّي من له أهمّيه محوريه . و الباقي مهمّ أيضا إلا أن الإخفاء قد يكون كذلك بسبب فناء الأنانيه ، فيكفي أن تظهر أنانيه البعض ممن كَمُل تحت ظل مقام "أنا الحق" فلم تبق له أنانيه إلا بتجلي الله و مراده و حكمه ، و لذلك يستطيع أن يظهر نفسه و اسمه بلا أن يُخاطر بنفسه و مصيره . فالرغبه في إظهار النفس إلى الملأ إنما يجرؤ عليها أحد اثنين ، من فني كل باطله أو معظمه ، أو الجرئ على النار . الهوس بإظهار النفس و "الفرديه" هو نزعه حداثيه مريضه تُظهر الجرأه الكبيره على تقحم النار . أما تقليديا ، فالأحب للإنسان و الأسلم له أن يخفي نفسه و يظهر تابعها لمسمى ما فوقه ، و هذا مثلا ما دعا الكثير من الفقهاء المجتهدين لأن ينسبوا أنفسهم لمذاهب قائمه و إن كان لهم رأيهم الخاص الذي قد يوافق صاحب المذهب ، فإنما يطلبون العبوديه لله و حظ الآخره ، و لذلك لا يبالون بأن يعرفهم أحد .

نُسب الأصحاب في القصه مرّه إلى حمّاد و مره إلى أبي حنيفه . لماذا ؟ لأن النسبه مرّه تكون لقطب الدائره ، و هي نسبه النقاط للمركز ، و مرّه تكون لرأس الهرم و هي نسبه الأدنى للأعلى . فالجماعه كانت { في دار حمّاد } و الذي حين يقوم {ينفرط عقد الجماعه} . أي الدار هي الدائره ، هي الوجود الكامل المكتفي بنفسه ، و حمّاد هو المركز و لا دائره بلا مركز . ثم إن أبا حنيفه هو أعلى التلاميذ قدرا و كمالا حتى قال حمّاد عنه " لو أمكنني ألا أرفع الطرف عنه لفعلت " فهو كان محط نظر الشيخ ، و منه فاضت العلوم و ببركته تنزلت الأفكار على الأصحاب . و بالتالي نُسب الأصحاب له نسبه العبد لسيده الذي يستمد منه رزقه . فكان أبو حنيفه الرأس ، و أصحابه الجمسم . فلابد من قطب و خليفه له يتولى الأمور بعده ، ثم جماعه الأصحاب . و هكذا كان الأمر في الوقت النبوي الشريف ، فكان النبي عليه السلام هو القطب ، و علي هو الخليفه " من كنت مولاه فعلي مولاه " ، ثم البقيه تبع لهم حتى قال أمير المؤمنين عمر " لولا علي لهلك عمر " لأنه كان يستمد منه - في الباطن كما في الظاهر لمن عقل ، و إن كان في حيثيه ظاهريه تتعلق بالإماره في فتره معينه كان عمر فوق علي إلا أن هذه الإماره نسبتها لإماره عالم الحقائق ، عالم " لولا علي لهلك عمر " ، هي كما قال علي نفسه "عفطه عنز" . و كذلك يجري الأمر في كل جماعه وارثه للحقيقه و الطريقه و الشريعه في كل العالم المسلم . فعلى هذه الأمثال ينحتون . و أصل هذه الأمثال في مستوى الحق سبحانه هو الهويه الأحديه التي

هي القطب المطلق لدائره الوجود ، و اسم الله الذي هو الإسم الأعظلم في هرم الأسماء الحسنى .
فالقطب " هو " و الخليفه " الله " و الأصحاب " له الأسماء الحسنى " .

{ كان أبو حنيفه يسهر مع جماعه من أصحابه في دار حمّاد يتدارسون } كيف يستوي من سهره الدراسه لكلام الله ، مع من سهرهم للعربده و معصيه الله ، سبحان الله عمّا يصفون .
{ في دار حمّاد } دار الإسلام ، دار حمد الله ليل نهار .
{ في دار حمّاد } للعمل المستنير نحتاج إلى بيئه مستنيره ، و إنما استنارت {دار حمّاد} لأنها دار "حمّاد" . و من هنا قال شيخ الإشراق رضي الله عنه في مقدمه حكمه الإشراق "قد يكون الإمام المتأله مستوليا ظاهرا مكشوفا ، و قد يكون خفيا ، و هو الذي سمّاه الكافّه "القطب" . فله الرئاسه و إن كان في غايه الخمول . و إذا كانت السياسه بيده كان الزمان نوريا . و إذا خلا الزمان عن تدبير إلهي كانت الظلمات غالبه " . لا يحتاج الناس إلى دوله كامله مستنيره حتى يستطيعوا أن يعيشوا باستناره ، كما كان حال أصحاب الكهف رحمهم الله . فالكهف ، أو الدار المستنيره ، كافيه على أقل تقدير . و لذلك قال لموسى في مصر الفرعنه " و اجعلوا بيوتكم قبله و أقيموا الصلاه " . فإن كانت الرئاسه بيد القطب فبها و نعمت ، و إن كانت الأخرى فاجعلوا بيوتكم كهوف رحمه و شموس معرفه. فإن لم توجد "دار الإسلام" فعلى الأقل اجعل دارك دار إسلام . لا تبحث عن دار ، و لا تبحث عن حمّاد ، و لكن ابحث عن { دار حمّاد } .
{ يتدارسون } و ليس يذكرون . لأن الدراسه ذكر ، كما قال الباقر عليه السلام "الدراسه صلاه حسنه" . إذ كل دراسه تطلب الحقيقه ، و كل حقيقه تجل للحق ، فكل دراسه طلب لتجل الحق ، و لأن موضوع كل دراسه هو معرفه الحق بكل مستويات ظهوره الوجودي و العقلي و النفسي و الشرعي بشق عباداته و معاملاته . بالتالي ، الدراسه من طرق ذكر الله . و ثمار هذه الدراسه خرج المذهب الحنفي الكريم الذي ألقى بظلاله على المسلمين شرقا و غربا و أقام السلطنه و الخلافه خصوصا في الدوله العليّه أعاد الله بركاتها و جمالها . قوّه الإخلاص في الدراسه تهب القوّه لأفكار المذهب و تجعله يتجاوز قيود الزمان و المكان إلى حد كبير . فمن دار حمّاد بالكوفه في القرن الهجري الأول خرج مذهب أقام أمما على ثلاث قارّات حتى القرن الثالث عشر ، و لا يزال هو المذهب الأكثر انتشارا بين المسلمين . هذه ليست دراسه عاديه . و لا هذا تفكير عادي . و لا هذه نوايا عاديه .
{ يتدارسون } كلّهم ، و ليس واحد يدرس و يلقي على الآخرين . فحتى السامع كان فاعلا للدراسه في عين سمعه ، فضلا عن القارئ أو القائل . و هذا يقتضي وحده قلبيه جامعه بينهم ، فتحسبهم شتى و هم جميع .

{ و كان للشيخ ديك } الديك هو المؤذن ، فلماذا كان للشيخ حيوان يؤذن له ، لأن الحيوانات أقرب إلى الحق من الناس بحسب آحد الاعتبارين ، إذ لمّا عدد القرءآن الذين يسجدون لله أطلق في سجود كل شئ و استثنى في الناس فقال منهم و منهم ، الحيوانات من الكل الساجد ، و لهذا جعل الشيخ

حيوانا بينه و بين أصحابه أي تلامذته . و الديك صاحب وقت ، فصياحه مؤقت بالتالي عنده حس دوري بالوقت أو هكذا صورته و من الصور تؤخذ الأمثال ، و الأعمال مرتبطه بالأوقات حسب حقيقه الوقت ، " الصوفي ابن وقته " ، فمعنى { للشيخ ديك } أن له معنى في نفسه ينبهه على حكم الوقت فيقوم به ، و الديك صوره هذا المعنى ، و لذلك قال { فإذا صاح قام حمّاد } . و إحدى أكبر علامات النبلاء في كل الأمم التقليديه أنهم يعظمّون أوقاتهم جدا ، و يرتبونها ، و لهم سنن يسيرون بها . فلابد لكل إنسان من ديكه الذي يصيح له ليقوم بعمل الوقت . فإن عمل الوقت هو قوت العامل . و من المسائل الصعبه هي معرفه إن كان أي عمل يقوم به الإنسان في وقته يكون هو عين عمل الوقت أو أن للوقت عمل خاص من قام به أفلح و من لم يقم به خسر ؟ لعل الجواب قوله تعالى في الصلاه "كانت على المؤمنين كتابا موقوتا " و ليس كل مؤمن يحافظ على ميقاته بالضروره . و الميقات ليس عين الوقت و إن كان يناسبه من حيثيات و يمكن الاسترشاد به من بعض الوجوه من باب المثل .

ثم إن الديك عاده ما يصيح قبل الفجر ، أي في آخر الليل . و لكن ديك الشيخ حمّاد كان {يصيح من أول الليل } فما معنى ذلك ؟ الليل زمان الاستتار و الدعوه في الخفاء و الخلوه في كهف التقيه . و هو مناسب لفتره مكّه في السيره النبويه الشريفه . و حقيقته مقام الغيب ، و لذلك كانت الآيات المكّيه و المعاني المكّيه يغلب عليها الطابع الغيبي و هي جذب القلوب نحو عالم الغيب . بعكس النهار الذي هو زمان الانتشار و الدعوه في العلن و الجلوه في مدينه التقوى و القوّه . و لذلك كانت آيات المدينه و المعاني المدنيه يغلب عليها طابع الشهاده ، و هي تمكين النفوس في عالم الشهاده . و حيث أن الديك هو المؤذن ، و الأذان خلاصه الدعوه كلها " اللهم رب هذه الدعوه التامّه " ، و كل الحقائق مندمجه في الأذان ، فإن الديك هو صوره الداعي إلى الله تعالى ، و هو الداعي - عاده - و المؤذن بحضور زمان الانتشار و نهار السلطنه الظاهره . فالأصل أنه يؤذن في آخر الليل و بدايه النهار . فهو بمثابه الذين يعلنون الدعوه إلى الله في آخر طور الاستتار . و لا انتشار إلا بعد التمكّن في مقامات الغيب و علوم الحقيقه ، فهنا هو جذر الدعوه و روحها و الدم الساري في عروقها و قلب بدنها . فلما كان ديك الشيخ حمّاد { يصيح من أول الليل } كان عباره عن دا ع مستعجل للظهور و إخراج ثمار العلم الإلهي على الملأ ، و " من استعجل الشئ قبل أوانه عوقب بحرمانه " . و لذلك قال مولانا أبو حنيفه رضي الله عنه مخاطبا لهذا الديك { يا لك من ديك ، قبّحك الله ، قطعت حديثنا . إن شرّ الديكه ما صاح أول الليل }. فأما قوله { يا لك من ديك } فهو إثبات لكونه خارجا عن القاعده ، و هي قاعده الصياح آخر الليل . و لكل قاعده ، من حيث هي قاعده لمجموع ، استثناءات لتثبت أن القاعده ليست حقيقه مستقلّه عن الحق تعالى .

و أما قوله { قبّحك الله } فإنما هو من باب " جزاء سيئه بمثلها " ، لأن العلم الخارج للناس قبل أوانه يكون قبيحا بالضروره ، غير ناضج ، غير مكتمل الهيئه ، غير راسخ البنيان ، و هو سمه كل فكر و مذهب مستعجل ، و المستعجل عاده ما يكون طالبا للدنيا لا يعقل . و من هنا جاء باسم {الله} لأنه اسم الكمال . فكأنه يقول للديك ، حرمتنا من الكمال حرمك الله منه .

و أما قوله { قطعت حديثنا } فكيف يقول للديك أنه قاطع الحديث بينما الشيخ حمّاد هو الذي وضع هذه العلامه بينه و بينهم ، فالديك صاح بحسب ما فطره الله عليه ، فما ذنبه ليستحق التقبيح ؟
الجواب: لأن الشيخ العارف أبو حنيفه لم يكن يُخاطب هذا الديك ، و إنما كان يخاطب كل متمثل بحقيقه هذا الديك ممن { يصيح في أول الليل } فيقطع حديث التدارس طلبا للدنيا و التنافس . و هؤلاء هم مصداق { إن شرّ الديكه ما صاح من أول الليل } إذ دخول الليل - بكل معانيه - هو إيذان من الحق تعالى للعبد بأن " قم الليل " بماذا ؟ " تهجّد به " أي بالقرءآن ، أس أساسات العلوم ، و رأس رؤوس الحكم و الفنون . كل مسلم يدرس حرفا من أي علم و فن فإنما يدرس القرءآن مهما ابتعدت صوره هذا الفن عن صوره القرءان . فروح القرءان هي التي توجّه و تهدي و تفيض على علماء المسلمين كل ما يفعلونه و ينطقون به بدرجه أو بأخرى ، " بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم " و قد قيل " كل إناء ينضح بما فيه " . فمن كان القرءآن في صدره هل يمكن أن ينضح بغيره. و بما أن خير الديكه ما صاح آخر الليل ، فلابد أن يكون { شرّ الديكه ما صاح أول الليل } .

لاحظ قوله عن تلاميذ حمّاد { فكانت العلامه بين حمّاد و بين أصحابه } و لم يأت بلفظه تلاميذه . ما معنى ذلك ؟ معناه أن الدراسه صحبه . فالعلاقه بين الشيخ و المريد ، و الأستاذ و الطالب ، ليست علاقه "مهنيه" يريد الأستاذ راتبا و يريد الطالب شهاده ، بل العلاقه بينهما صحبه . فالشيخ الذي يحترم طلابه و يجعلهم أصحابه ، هو الشيخ الذي يستطيع أن ينقل إليهم روحه و فكره و أخلاقه و أدابه و غاياته و كل ما عنده بقدر ما يمكن نقله . فإن الإنسان يُعرف بأصحابه لعلّه نقل الصفات ، فكذلك الأمر في العلاقه بين الشيخ و المريد ، الأستاذ و الطالب . الحميميه في الدراسه هي الباعث الأكبر على الجد في الدراسه و عشقها و إدمانها و الإحسان فيها . بلا حميم ، الدراسه جحيم .

{ فإذا صاح قام حمّاد فينفرط عقد الجماعه } إن كون عقد الجماعه لا يلتئم إلا بشيخ ، هو العلّه التي تثبت أنه يستحيل أن يأذن الله و رسوله بوجود الأمّه - طالبا لجماعتها - بدون شيخ أو رئيس أو أمير أو إمام أو قل ما شئت في هذا المعنى . فإن كان عقد جماعه من بضعه طلاب ينفرط إذا قام شيخ الجماعه ، فما بال من يطلب أن تكون الأمّه كلها " أهل السنه و الجماعه " لا يرى ضروره تعيين شيخ واحد بعد واحد للالتئام بين جماعه المسلمين ككل . قد يقال هذا ، و هو حق على مستوى . إلا أنه ليس حقا على كل المستويات ، لأن لكل شيخ أنفاسه و فتوحاته و طريقته و أسلوبه و قدّه و قدره و درجته و طبقته و لونه و جذوره . و الله واسع عليم ، فلابد أن يكون في الأمّه شيوخ كثر ، بالتالي جماعات كثر، و بذلك تنشأ حديقه الإسلام . و إن كان النبي عليه السلام قد مثّل المسلم بالنخله ، فإن للنخل أنوا ع كثيره . فعلى مستوى العلم في الأمّه شيوخ كثر ، و كذلك على مستوى الحكم في الأمّه أمراء كثر ، إذ لو كانت الأمّه متوحده في باطنها في الصوره لكانت فقيره لا تفي بمعنى "خاتم النبيين" الجامع للمشارب و الأنهار كلها ، و لو كانت الأمّه متوحده في ظاهرها في الصوره لكانت عرضه للهلاك

باجتماع الجميع عليها و رفض الجميع لها و لكن تفترق في الظاهر فيبقى الجميع و يقوى الكل إلى أجل المسمى حيث ترسخ الأصول و يقوم الناس بالإمام المهدي عليه السلام .
{ قام حمّاد فينفرط عقد الجماعه } كل فرد في الجماعه حبّه خرز ، و الشيخ هو السلك الجامع بينهم . فلابد أن يكون من طبيعه أو درجه غير درجتهم ، و إلا كان مثله مثلهم فكيف يكون شيخهم . فالشيخ الذي يفضله الحق تعالى و يلهم بعض المسلمين بالتأسي به يكون بالضروره قد أوصله الله تعالى إلى طبقه يتغيّر فيها قلبه فيصبح من اللطف الوجودي إلى حد أنه يستطيع أن ينسلك في قلوب أتباعه كلهم، فيكون حاضرا في أعماقهم كحضور السلك في الخرز ، موصولا بهم ، مؤثرا فيهم من حيث يشعرون و لا يشعرون . و لهذا المعنى أشار القرءآن حين ذكر أن عدم صواب ما فعله سيدنا موسى عليه السلام حين استعجل " و عجلت إليك " فكان خطأ أتباعه على نفس الأصل و هو "أعجلتم أمر ربكم " . استعجل فاستعجلوا . و هذا من الصله بين القلوب من حيث لا يشعر الجميع إلا من أشعره الله تعالى . و كذلك هو في قول الإمام علي عليه السلام عن العلماء " أمثالهم في القلوب موجوده " هذه الأمثال تعتبر كالظلال لحقيقه العلماء ، فشئ من العلماء كامن في قلوب أولياءهم و من يؤمنون بهم و يتصلون بهم ، فيهدي الله بهؤلاء العلماء - أيا كانت حال أبدانهم و أيا كان الفاصل الزماني و المكاني بينهم و بين أوليائهم - من يريد أن يهديه بهم ، لينعم على العلماء بأجر الولد الصالح و الصدقه الجاريه من عين الذات ، و لينعم على الأولياء الأتباع ببركه و أنفاس هؤلاء العلماء الذين هم كواكب سماء الملكوت التي تهدي سكان أرض الملك .

والله يقول الحق و هو يهدي السبيل .

...

(قصه القرود و التطور - في ١٧ سطرا)
خلاصه مطالب الحداثه هي التجاره ،
التجاره ماديه ،
التجار يكسبون حين يزداد شراء الناس ،
في الثوره الصناعيه بدأت إمكانيه إنتاج كمّيات كبيره من الأشياء ،
فلابد أن يتحوّل اهتمام الناس للماديات حصرا و كل طاقتهم للماده حصرا ،
هذا يقتضي نسف كل الرؤى التقليديه التي علّمت الناس أن وجودهم طبقات واحد منها هو الماده ،
و يقتضي أيضا تقديم نظره جديده تحصر وجود الإنسان في الماده ،
من هنا جاءت فكره " نظريه التطور " لداروين لتقدّم جانب بيولوجي للنظره المطلوبه ، كما كان فرويد مقدما لها من الجانب النفساني ، و ماركس من الجانب التاريخي الاقتصادي ، و نيشته من الجانب الفلسفي الذهني ، و هكذا من كل جانب ممكن برز شخص أو بضعه أشخاص أسسوا للنظره المادّيه البحته للإنسان ،

النتيجه ؟

شراء أكثر ، استهلاك أكثر ،

أي ، أرباح أكثر للرأسماليين و البورجوازيين الذي أشعلوا الأمر من البدايه كما هو معلوم .

و لذلك لم يوجد مجتمع في التاريخ البشري كله لا يجد لحياته معنى تقريبا إلا في استهلاك الأشياء الماديه كهذا ،

فكّر فيها ، إن كنت قرد أو ابن عم القرد ، ما معنى الاهتمام بأي شئ غير الموز و القفز من شجره لشجره ؟

هذه خلاصه "النظريات" الحداثيه ، و إن جاءت في صوره "نظريات" .

و من هنا قالوا أن هذا الزمان " زمان سيطره الشركات التجاريه " ...لا شئ جديد أو مفاجئ .

اينشتاين كان يرفض نظريه الكمّ الفيزيائيه ،

جامعه برنستون لم تفصله من وظيفته بسبب رأيه هذا .

فلماذا تظن أن الجامعات الغربيه تفصل من يرض نظريه "التطور" ؟

أين حريّه الرأي ؟

الجواب : الجماهير لا تهتم إن كان هذا الكون ينطبق عليه رأي نظريه الكمّ أو لا ، و الشركات التجاريه لا ينفعها ذلك في قليل أو كثير .

بينما تفسير وجود الإنسان كله بنظره مادّيه بحته ،

يعني أن الإنسان كائن مادي بحت ،

يعني أن مطالبه مادّيه بحته ،

يعني أن الذي يبيعه الماديات سيكسب منه كسبا عظيما ،

يعني SHOW ME THE MONEY !!

و لذلك لم يسبق في زمن من الأزمان أن كان للتجار مثل الثروات التي لهم في هذا الزمان .

لأن في تلك الأزمان كانت " يا قرد " شتيمه و " يا أخو القرد " سبّه !

أما في هذا الزمان " أنا قرد أو ابن عم القرد " عقيده !

الفرق واضح .

...

(الحداثيون يقولون ، و لكن يقصدون)

يقولون : الدين يسر . يقصدون : الدين سخف .

يقولون: الدين سماحه . يقصدون : الدين مداهنه .

يقولون: القرءان حمّال أوجه . يقصدون : القرءان لا معنى له .

يقولون : المهم الأخلاق . يقصدون : المهم الرضا بالجهّال و الفُسّاق .

يقولون: اكتفي بالأركان الخمسه . يقصدون : كن عبدا مطيعا للحداثه .
يقولون: التفكير فريضه إسلاميه . يقصدون : الغبي من لم يعتقد بالأفكار الغربيه .
يقولون : الدين لله و الوطن لجميع ساكنيه . يقصدون : لا تنصروا الدين و افتحوا الوطن لمستعمريه .
و قس على ذلك ، إن فهمت ما هنالك .

...

(سؤال : نحن نعلم قوّه الجذب الروحي و المعنوي لحضور أي نبي أو ولي ، و بالأخص سيد الأنبياء و الأولياء صلى الله عليه و آله و سلم ، فكيف تعلّق أهل الجاهليه بالدنيا حينما كان حاضرا بينهم ؟)

الجواب : لما يسبق لأمّه أن تعلّقت بالدنيا و لم يلحق كذلك ، كالأمّه التي بُعث فيها النبي عليه السلام . عشقوا الدنيا عشقا غريبا و وجدوا في أنفسهم حبا عميقا لها ، لم يفهموا هم أنفسهم سبب هذا العشق و الدافع لهذا التعلّق. و السبب الحقيقي في ذلك هو نفس حضور النبي عليه السلام في الدنيا . فالدنيا كانت "دنيا" ، تراب ، بهاء منثورا ، و لكن لما بُعث النبي و نزل القرءآن صارت الدنيا حديقه الحقيقه ، كما قال الشاعر البوصيري المحمدي " محمد طابت الدنيا ببعثته " . فحضور النبي كان السبب الأعمق في حب الجاهليين للدنيا و معاداتهم للنبي الذي تصوروا أنه يدعوهم للآخره و يريد منهم أن يتركوا هذه الدنيا بكل ما فيها . حضور الولي في العالم هو رائحه الجنه في العالم . و من هنا معاداه الأنبياء و الأولياء هي في الواقع نابعه من استشعار قلبي لقيمه وجودهم ، و لكن الخطأ يكمن في العمل التابع لهذا الاستشعار . و الله أعلم .

...

(كيفية فهم النصوص - مثال " الدين يسر ")
في أهم تسعة أصول حديثية , ورد اثنا عشر حديثا يتحدث عن قضية يسر الدين و سماحته . فإذا نظرنا في كل واحد منها سنجد الأتي :
الأول - و هو الأشهر بين كل الناس - يقول " إن الدين يسر , و لن يُشادّ الدين أحد إلا غلبه , فسددوا و قاربوا , و أبشروا , و استعينوا بالغدوة و الروحة و شئ من الدلجة " .
فكما هو ظاهر الكلام يدور حول إنسان " يشادّ الدين " و لا يستريح " بالغدوة و الروحة و شيء من الدلجة " أي الراحة في فترات من اليوم . فكلمة "يسر" لا تنهى هذا الشخص عن الاجتهاد , و لكن المعنى أنه إن لم ييسر على نفسه بهذا التشديد في النسك سيؤدي به الأمر إلى الانقطاع بالكلية عنه .

الثاني يقول عن أناس كان النبي عليه السلام يأمرهم بأعمال ميسرة يطيقونها فردّوا عليه و قالوا "إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله , إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر " فيغضب عليه السلام و يقول "إن أتقاكم و أعلمكم بالله أنا " .
فهؤلاء كانوا يظنون أن العمل الميسر دليل على قلة التقوى أو العلم بالله , أي أنهم يربطون بين التشدد و قهر البدن بالتقوى و العلم بالحق تعالى , و هذا ربط مريض , فجاء العلاج النبوي المذكور . فضلا عن سوء الأدب الذي فيهم .
الثالث - أيضا مشهور - " أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة " و الحنيف هو المائل من الخلق إلى الحق , و السمحة - حسب التأويل العرفاني - رؤية الخلق بالحق . و كذلك السماحة بالمعنى الشائع أيضا لها وجه , و لكن السماحة شيء و المداهنة المنهي عنها في قوله تعالى " ودّوا لو تدهنوا فيدهنون " و هو تنازل عن حق أو كرامة بسبب الرغبة الضعيفة في المصالحة المؤقتة - و التي تنتهي دائما بنزاع جديد . و كذلك السماحة لا تعني الخفّة و الكسل المذكور في قوله تعالى " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لما يعلم الله الذي جاهدوا منكم و يعلم الصابرين " فذكر في شرط دخول الجنة وجود جهاد و صبر (الجهاد الأكب-النفس-ر و الكبير-التعليم- دائما , و الأصغر-الحرب- بشروطه و قيوده و حدوده المفصلة المعروفة التي لا شأن لنا بها الآن) . و السماحة لا تعني الرقاعة و سوء الأدب بطبيعة الحال . فمن خرج عن هذه التفسيرات الثلاثة الغير سليمة في حد ذاتها للسماحة , كان في سعة السلامة إن شاء الله . فالفهم السليم للأحاديث يحتاج -ضمن ما يحتاج- إلى النظر فيها بعين قرءانية و بعين الأحاديث الأخرى و الأصول المعتبرة عند المسلمين .
الرابع يقول "إن هذا الدين متين , فأوغلوا فيه برفق " . و الغريب أنه أحيانا يذكر البعض هذا الحديث للنهي عن الإيغال في الدين - بمعنى التعمق و التبحر فيه علما و السعي للاجتهاد فيه عملا . بهذا الخصوص أعرف شابا كان استاذه و مربيه ينهاه عن الإيغال في علوم النبوة و النسك و الرياضة الروحية , و كان من توفيق الله له أن أعرض عن كلام استاذه , بعد فترة تعرض هذا المربي لبعض الشبهات - السخيفة - حول الملّة الشريفة فارتد و كفر . ضعف العلم في هذا الزمان - من هذا الجانب - يساوي ضعف السلاح و العسكر في الزمان السابق , سابقا كان الخطر من الغرب أو الشرق عسكري , بينما اليوم هو غالبا معنوي و فكري . فتأمل . فنرجع للحديث , هل نهى الحديث عن الإيغال في الدين ؟ كيف و هو يقول " الدين متين " - و هذا جوابا نبويا عن الذي يظن أن "الدين يسر" تعني أن الدين خفيف و سخيف و العياذ بالله . ثم يقول عليه السلام بعدها "فأوغلوا فيه" فهو أمر مباشر بالإيغال في الدين . هل يوجد أوضح من هذا . و لذلك كانت حضارة المسلمين و لاتزال عند أتباع السنن العالية و التقاليد المقدسة يعيشون حياتهم كلها حول التعلم و الإيغال بالذكر و الفكر , و التأمل و التحاور , و التناظر و التدارس , و العمل و التجربة و الملاحظة , و كل ذلك , ليل نهار أشبه ما يكونوا بالملائكة في تسبيحهم " يسبحون الليل و النهار لا يفترون " . فالحضرة النبويه الكريمة وجّهت وقالت لنا "فأوغلوا فيه" و لكن وضع طريقة فقال "برفق" و ليس بتهور و تسرع و

عنف , لأن المعرفة سكينة , فلا تُطلب إلا بهدوء و سكينة . فعليه السلام يقول "أوغلوا فيه" و يأتي من يفهم من هذا الحديث أن لا توغلوا فيه. فسبحان الله .

الخامس يقول " إن خير دينكم أيسره , إن خير دينكم أيسره " . و هذا أيضا تقرير لأصل اليسر , و لكن لا يفيد في معرفة ماهية اليسر و صورته . فكذلك بعض النصوص الكريمة تعطي الاصول , و بعضها تعطي الشروح. فهذا من التي تعطي الأصول , و نحن في هذه المقالة نطلب الشروح , فنتجاوز للذي بعده .

السادس يقول " إن الله يُحبّ أن تؤتى رُخصه كما يكره أن تؤتى معصيته " . هنا أحد أكبر معاني اليسر في الدين . و هو أنه يوجد " رخص " في بعض الأمور , مثل الإفطار في رمضان للمسافر . فبعض الناس- من المتشددين بالمعنى الغير سليم الذي جاءت هذه النصوص لمعالجته - يقول كما سنرى لاحقا في نصوص بصورة أوضح : أنا قادر على الصوم في السفر . فيأتي الحديث الشريف ليُعلّمنا أن نأخذ بالرخصه و لا نتنطع و نبالغ في المواضع التي أعطانا الله فيها تيسيرا معينا . فمقام التكليف جلال , و مقام الترخيص جمال . فكما أننا نتعبد الله تحت ظل جلاله , كذلك ينبغي أن نتعبد الله تحت ظل جماله . و إن كان التكليف ايضا فيه جمال بضرورة الاصل الرحماني للطريقة و الشريعة , و لذلك افتتح الكتاب العزيز ب "بسم الله الرحمن الرحيم " . و لكن التكليف - لا أقل في البدء - من "الكلفة" و هي الجهد و المشقة و الاهتمام . ثم بعد الفتح و كشف الاسرار و حقائق التكليف - بعبارة صوفية لطالما أساء فهمها أهل السطوح - " يسقط التكليف " . بمعنى لا تصبح أعمال الطريقة و الشريعة "تكليف" بل تصبح عند القائم بها "تشريف" , أي هو يسعد و ينبسط و يفرح أن الله أذن له و وفقه للقيام بها , على سبيل المثال الصلاة , ففي بادء الأمر للعامة تكون "تكليف" , و لكن عند تاج الخاصة النبي عليه السلام تصبح " أرحنا بها يا بلال " . و شتّان بين من يريد أن يرتاح من الصلاة , و بين من يرتاح بالصلاة . الأول يراها تكليفا , و الثاني يراها تشريفا . فالحاصل , الدين يسر بهذا الخصوص تعني حسب شرح النبي عليه السلام " إن الله يحب أن تؤتى رخصه " .

السابع و الثامن لهما مضمون واحد تقريبا , و هو أن رجلا قال للصحابي الجليل ابن عمر رحمه الله "يا أبا عبد الرحمن , إني أقوى على الصيام في السفر " , فأجابه ابن عمر " سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة " . الرواية الثانية فيها نفس هذا الحديث عن النبي عليه السلام . و المعنى واضح في ضوء ما سبق أن ذكرناه فلا نعيد .

التاسع مهم جدا في الشرح , و هو أن النبي عليه السلام بعد أن قضى الصلاة بدأ الناس يسألونه "يا رسول الله أعلينا حرج في كذا ؟ " و مفهوم الحديث أنها أسئلة لا قيمة لها , بمعنى أنهم يسألون عن أشياء "عادية" و يستفسرون عن إن كان فيها حرج , فهؤلاء - كبعض السلفية مثلا - يظنون أن الأصل في ديننا هو أن الشيء محرم و ممنوع حتى يأتي الدليل الذي يحلل و يبيح , و من هنا تراهم يسألون شيوخهم " هل يجوز شرب الشاي" و " هل يجوز لبس الشراريب " و لا أدري ماذا من هذا

الصنف من الأسئلة الغريبة , و هذه الرواية تتكلم في أحد مستويات فهمها مع هذه القضية و هذا الصنف من التفكير , حتى إن الراوي للحديث من شدة سخف الأسئلة لم يذكرها في الرواية ! بل قال " جعل الناس يسألونه , يا رسول الله أعلينا حرج في كذا ؟" . و صياغة السؤال تدل على نوعية تفكير السائل . فقال النبي عليه السلام حينها لهم " لا , أيها الناس , إن دين الله يسر " ثلاث مرات يقول لهم ذلك . فإذن ما معنى اليسر هنا ؟ معناه , لا تفترضوا أصالة تحريم الأشياء و الحرج فيها , فالأشياء ليست " مذنبة حتى تثبت براءتها " بل " بريئة حتى تثبت إدانتها " كما قرره علماء الأصول و كذلك في القانون حسب أشهر المدارس . و لذلك القرءان يذكر التحريم أحيانا كعقوبة للباغين, "ذلك جزيناهم ببغيهم" . فإذن " الدين يسر " تعني هنا : الأصل في الأشياء الإباحة , حتى يأتي أمر أو نهي يخالف ذلك فيقيد حسب الظروف و الشروط و الفهم الأسلم لمعنى الأمر و النهي و لمن توجّها و لماذا و كيف . و القضية ليست " حلال حرام "- اللهم إلا عند الفئات المنحرفة التي تتهاون في عظمة هذا الكلام .

العاشر " الإسلام ذلول , لا يركب إلا ذلولا " , الذي يظهر من هذا الحديث أن المقصد هو من لا يريد الإسلام بطلب و أدب و إرادة و حب , الإسلام لن يقترب منه . فمن معاني اليسر التي تُبنى على ذلك هو نفس ما قررته آية " لا إكراه في الدين " . لاحظ أن الآية لا تقول : لا إكراه على الدين . "على الدين" تعني ما يفهمه العامة عادة و هو "غصب الناس على الدخول في الدين " . و هذا معنى بديهي و مقرر , و لذلك في ظل دول المسلمين من الهند إلى المغرب , لا يزال يوجد أناس من مختلف الملل بقوا في مساحة تسمح بوجودهم عموما و تتركهم على دينهم , كما كان الأمر ايضا في الدولة العلية العثمانية مثلا , و التي كانت تستطيع في عز قوتها أن تجبر الناس على عبادة الضفادع لو شاءت , و مع ذلك سمحت ليس فقط للصليبين أن يبقوا فيها بل سمحت لفرق مختلفة منهم أن يبقوا - فرق كانوا لا يستطيعون أن يتعايشوا مع بعض (و منذ متى عرف الصليبي حين تكون بيده السلطة كيف يتعايش مع غيره أصلا بسلام - حروب الكاثوليك و البروتستانت في أوروبا كمثال) . بل بعض الفرق الصليبية حاربت مع المسلمين ضد الرومان الكاثوليك في أزمنة كثيرة و مختلفة , ليس فقط تعايش سلبي . و هنا يأتي الرد على القبطي المريض الذي يقول " الإسلام يبيح قتل المسيحيين " وجوابنا له: وجودك في مصر لمدة ألف و اربعمائة سنة مع مرور دول صحابة (عمر و عثمان وعلي) و دولة بني أمية و دولة بني العباس السنة , و دولة الفاطميين الشيعة , و دولة الايوبيين السنة , و دولة المماليك بأقسامها الثلاثة , و الدولة العثمانية , و دولة محمد علي باشا فمن بعده , و دولة مصر الحديثة , كل هؤلاء و أنت لا تزال موجودا في مصر و كنائسك موجودة , بل أنتم أتقى من إخوانكم الصليبيين في الغرب , اي أعمى , وجودك دليل كاف على كذبك و قلة حياءك . فنرجع إلى ما كنا فيه . الدين يسر بهذا الاعتبار معناه اليسر داخل الدين نفسه , " لا إكراه في الدين " أي كل ما في الدين لا يقوم على الإكراه - إلا في حال وقع عدوان من الشخص فهذه قضية أخرى . فهو يسر بهذا المعنى .

الحادية عشر , رواية طويلة نسبيا خلاصتها أن النبي عليه السلام مع على رجل " يصلّي يُكثر الركوع و السجود " , فقال النبي عليه السلام " عليكم هديا قاصدا " ثلاث مرات " فإنه من يشادّ هذا الدين يغلبه " . و مفتاح الحديث كلمة " يُكثر " . اي "يُكثر الركوع و السجود " . الكثرة هنا اهتمام بالمظهر دون الجوهر , أي هو يحسب أنه لو حرك جسمه كثيرا - لمجرد الحركة - سينال شيئا كبيرا . فجاء الجواب النبوي الشريف . و ذلك لأن المعرفة هي التي تجعل كل ركعة أو سجدة تزداد في القيمة , و أما نفس حركة البدن في تجلي و صورة حتى يُشارك الجسم أيضا في ذكر الله , و الصلاة كلها ذكر الله سواء بلسان الأقوال أو الافعال أو الحال. و لكن حين يأتي من يظن أن حركة المظهر هي العامل الحاسم في تحصيل الأجر , علما أن المنافق أيضا "يصلّي" بهذا المعنى , فإنه يكون ممن يتعامل مع المظهر على حساب الجوهر , فيأتي الجواب "فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه " فالمشادة هنا ما معناها ؟ مشادة أي يريد أن يشدد على بدنه بإكثار الأفعال , مع غيبة المعنى عن قلبه . و لذلك جاء في الرواية نفسها أن النبي لما مرّ أما هذا الرجل مع صاحبه بريده الأسلمي راوي الحديث قال النبي لبريدة - تأمل - " أتراه يُرائي ؟ " . فقال بريدة " الله و رسوله أعلم " . ثم فعل و قال النبي عليه السلام ما قال . الرياء - كما هو معلوم - طلب المظهر بلا جوهر . و هذا واضح كما ترى في سياق ما ذكرناه .

(ملاحظة جانبية : تأمل في سؤال النبي " أتراه يُرائي ؟ " , و تأمل في الجواب العجيب لبريدة إذ يقول "الله و رسوله أعلم " . سؤال : أليس الرياء عمل قلب , فكيف قال بريده الصحابي الجليل الفقيه "الله ورسوله أعلم " فعلم بريده أن لرسول الله علما بحال قلب هذا الرجل ؟ الجواب : لأن بريده لم يكن سلفيا ! الصحابي لم يكن حداثيا ! يظن أن النبي له أعين تكشف القوالب و لاتكشف القلوب . بل كان على علم أن النبي عليه السلام - بإذن الله - له أعين تكشف الوجود كله و ليس فقط قلب فلان و علان . و هذا بالمناسبة هو مفتاح الحديث الذي يُكثر من ذكره أهل الحداثة و هو " استفت قلبك " فالنبي لم يقل هذه الكلمة إلا لشخص يعلم حال قلبه , و أن قلبه مستنير و موصول بالحق تعالى , فقال له "استفت قلبك و لو أفتاك المفتون" . فحين يأتي إنسان قلبه فيه ما فيه , و يأخذ بهذا الحديث , فهو يظن أنه يستفت قلبه بينما في الواقع يستفت نفسه الأمارة بالسوء أو قلبه الميت و العياذ بالله . العشوائية و الفوضوية و التسرع في فهم الآيات و الأحاديث الشريفة صنعة سلفية حداثية بامتياز . فتأمل و احذر و صن عقلك عن هذه الرقاعة) .

الثاني عشر رواية عن الصحابي أنس بن مالك خادم النبي عليه السلام فيها أنه كان مسافرا مع جماعة , فصلّى العصر قصرا , ثم بعد أن دخل إلى فسطاطه أي خيمته , قام الذين كانوا معه أو بعضهم و صلوا ركعتين أخريين - يظنون أنهم يجتهدون حين لا يأخذوا برخصة الله في قصر الصلاة في السفر . فقال أنس " قبّح الله الوجوه ! فوالله ما أصابت السنة و لا قبلت الرخصة , فأشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :إن أقواما يتعمقون في الدين يمرقون كما يمرق السهم من الرميّة " . فكما ترى المعنى يصب في نفس ما سبق ذكره من وجود رخصة في الشرع و يأتي من يريد أن يتنطع و لا يأخذ بهذه الرخصة الميسرة .

الخلاصة : مقولة "الدين يسر " تدور حول أهمية الإرادة و أصالة الإباحة و الأخذ بالرخصة في الشريعة . و الله أعلم .

...

(كل ما تحتاج أن تعرفه..لتعرف)

على هذه القواعد قامت حياة كل عارف في كل زمان و مكان :

أ-كل معرفة موجودة الآن بأيدينا بدأت بالضرورة من عقل فرد .

ب-العقل إما أن يأخذ المعرفة من الظاهر (العالم الخارجي) أو من الباطن (العالم الداخلي النفسي) .

ج-بما أن كل نظر في العالم الخارجي هو نظر بواسطة العقل الداخلي , فهذا يعني أن كل معرفة أصلها باطني.

فإذن النتيجة من هذه المقدمات الثلاث هي : كل معرفة موجودة أساسها عقل باطني لإنسان فرد .

هذا مقام " ءادم " . " و علّم ءادم الأسماء كلها " .

...

(الكشف و الكتب)

أهل الكشف يسترون مقاماتهم بالظهور في صورة أهل الكتب .

الكشف هو المشاهدة المباشرة لحقائق الأشياء و أخذ العلوم عن الحق تعالى و ملائكته و رجال الغيب . و وسيلتها القلب الطاهر الحي . " لا يمسّه إلا المطهرون " .

الكتب هي الوسيلة الغير مباشرة لمعرفة الأشياء و أخذ الأفكار بواسطة الرسل و أهل الاستدلال و رجال الشهادة. و وسيلتها الذهن الصافي الراغب . "و يتفكرون في خلق السموات و الأرض " .

أهل الكشف أصحاب اعتبار ,

أهل الكتب أصحاب أخبار و أفكار ,

و لكل طبقة درجات في القرب من الواحد القهار ,

بشرط إحراز قدر من تقوى الأبرار .

أهل الكشف يعرفون في لمح البصر ,

أهل الكتب يحتاجون إلى تحليل البراهين و نقد الخبر .

و رحمة بقلوب أهل الكتب ,

و رغبة في حفظ إخلاص القلب ,

فإن أهل الكشف يسترون عن العامة مقامهم بالظهور بمظهر أهل الكتب ,

لأنهم فعلا كذلك و زيادة ,
فإنما يحجبون الزيادة , إلا عن أهلها , " و قليل ما هم " .

...

(كيف تغربل المؤلفات ؟)

العلم كثير و العمر قصير , و المؤلفات كثيرة جدا جدا , و خصوصا في هذا الزمان الذي يؤلف فيه كل من يستطيع أن يمسك بقلم - أو "كي بورد" . يقرأ اربعة مقالات على غوغل , و ثلاثة كتيّبات , و يشاهد فيديو على اليوتيوب , و بقدرة قادر يصبّح علاّمة في موضوع ما و يؤلف فيه . طبعا هذه أسوأ الحالات . و أكثرها شيوعا و هي التي يكثر منها أهل الجامعات الحداثية و تجار المؤلفات من كتّاب العوام , هي أن تأتي بمراجع شتى في موضوع معيّن ثم تؤلف بينها و لعلك تزيد بضعة اسطر هنا و هناك ثم يخرج للعالم كتاب ملفّق لا أصالة فيه و لا روح . و لذلك لا أحد تقريبا يقرأ هذه الكتب بعد أن يتم تأليفها , بل تندس في مكتبات الجامعات و المكتبات العامّة حتى يأكلها الغبار . نادرا ما يقع الإنسان على كتاب يستحق القراءة و صرف وقت من العمر فيه .

فالسؤال الأن : كيف نغربل قدر الإمكان هذه المؤلفات المتكاثرة في كل مكان , و نتخيّر الأحسن أو ما يقرب من الأحسن في كل باب من أبواب المعارف و الفنون ؟

سأجيب بالطريقة التي أستعملها شخصيا و التي تعلّمت أصولها من علماءنا . هذه هي الأصول التي أسير عليها غالبا , و بناء عليها أستبعد الكتاب من قائمة القراءة و أطرده من مكتبتي . و عندنا خمسة معايير تكشف عن خمسة مستويات : العقل و الإخلاص و الأصالة و الخبرة و التعمّق . هذه الخلاصة و ما يلي الشرح المختصر.

أولا , مستوى العقل : عندما أفتح كتابا أنظر في الفهرس , و أختار الفصول الصعبة التي فيها مسائل أو مواضيع دقيقة و حرجة أو فيها اختلاف مهم , ثم أنظر في ما يذكره المؤلف فأعرف ما أحتاجه عن مستوى عقله و سعة بحثه. (هذا أسلوب تعلمناه من الرئيس ابن سينا رحمه الله)

ثانيا , مستوى الإخلاص : عندما يكون الموضوع مما يحتمل وجود اختلافات فكرية أو مذهبية معينة , أنظر في الفصول التي فيها حقيقة معروفة لا يمكن لمن عنده شيء من الصدق و الإخلاص أن ينكرها , و لكن يمكن لمن يريد أن يكتب التاريخ مثلا على مزاجه و لصالح مذهبه أن لا يذكرها أو يطمسها , فأنظر في هذه الفصول فإذا وجدته يذكر المعلومة بغض النظر عن كرهه الشخصي لها , فعندها أعتبره مخلصا يمكن الوثوق به إلى حد مقبول مبدئيا , و إلا فأطرحه . (هذا أسلوب تعلمناه من علماء الحديث الشريف رضوان الله عليهم) .

ثالثا , مستوى الأصالة : لا أقبل عادة أن أنظر في كتاب شخص انتهازي عامّي يأخذ السائد حوله و الغالب بالصدفة في زمنه , كغالب كتب أهل الحداثة من الأعراب و الإسلاميين , هؤلاء الذين يلفقّون أي شيء ياخذونه من الغربيين و يأخذون مصطلحاتهم و يصنعون مصطلحات مقيتة رخيصة و يجعلونها في كتب . و السبب البسيط في رفضي لهم أني لن أنظر إلى القرد و لكن إلى الاصل الذي

قلّده القرد . فإذا أردت أن أقرأ فلسفة الغربيين سأذهب إلى المصادر الغربية الأصلية نفسها و اقرأها فيها , و لن أضيع وقتي مع شخص يحاول أن يلفّق ما لا يتلفّق , و يتصنّع ما يريد به الرواج و الشهرة أو ما يجبر به شعوره بالنقص و الضعف . اقرأ لأصيل واحد خير من أن تقرأ لسبعمائة قرد . ليس من السهل معرفة القرود , و لكن مع الممارسة تبدأ لغتهم و عناوين مؤلفاتهم تبرز لك ذلك إن شاء الله . مثلا , حين تنظر في كتاب عنوانه " النحو التحويلي و اللسانيات الديموغرافية الفخشوبنغراتيتية للغة العربية " , تستطيع مباشرة أن تلقي هذا الكتاب في أقرب مزبلة تحشوبنراتيزيطية بجانبك . (تعلمنا هذا من كل تقاليدنا المعرفية , فلا اعتبار عندنا لغير الأصيل الذي ينطق عن محض عقله) .

رابعا , مستوى الخبرة : عندما أريد أن أتعلّم الهندسة أذهب إلى مهندس , و عندما أريد أن أتعلم الزراعة أذهب إلى مزارع . بسيطة جدا كما ترى . الفكرة هنا هي التالي , كل موضوع معرفة إما أن يكون معلوما بالذات أو بالموضوع أو بمزيج منهما مع غالب . معلوما بالذات مثل العلوم الذوقية و الصوفية في جانبها المتعالي , فلن أضيع وقتي ب "دراسة التصوف" عن طريق شخص يحلل نصوص مكتوبة فقط و هو نفسه لا يعيش النمط الصوفي الحياة بجدّية - مثلا . معلوما بالموضوع مثل أكثر العلوم المعروفة , فالطبيب يمكن أن يعرف عن السرطان و يكتب كتابا عنه و لكن هذا لا يعني بالضرورة أنه يجب أن يكون الطبيب مصابا بالسرطان حتى "يعرف" ما هو إلى حد ما و يعرف كيف يبحث عن علاجه و نحو ذلك . فالخبرة إما ذاتية و إما موضوعية . في العلوم التي تحتاج إلى خبرة ذاتية غالبا لا أضيع وقتي في النظر في من يتعاطى معها كمجرد موضوع خارجي يعامله كما يعامل دراسة الطماطم و البطاطس .و في العلوم التي تحتاج إلى خبرة موضوعية غالبا لا أضيع وقتي في النظر مع من يريد أن يؤلف خيالات أو تجارب قاصرة و جزئية عنده ليتكلم فيها . نعم قد أنظر في كتبهم - مع قصورها - لسبب آخر غير التعلم المحض منهم , مثلا , حين يأتي كافر يتكلم عن الإسلام , و إن كان الكافر "بروفيسورا" أو اي لقب آخر أعطته إياه " الشلّة " في بلاده , فإنه لا قيمة لكتابه البتّة , و كذلك في أي دين آخر , عندما أريد أن أتعلّم عن اليهود لا أضيع وقتي بقراءة كتب المسلمين عن اليهود , فضلا عن غير المسلمين , بل أذهب إلى أعلى مصادر العلم اليهودي لأتعلّم منهم , و كذلك في المذاهب السياسية و الاقتصادية و العلمية الطبيعية و نحو ذلك , اذهب إلى المصدر المؤمن بالشيء العامل به أولا , ثم إن شئت أن ترى بعض الوجهات الخارجية للموضوع تستطيع أن تفعل ذلك كإضافة و ليس كأصل . من لا خبرة له لا كتابة له . (بداهة قرءانية سار عليها العلماء دوما).

خامسا , مستوى التعمّق : التقاليد "نخبوية" بطبيعتها , و تُعلّم فنون النخبة و العلية . و النخبة تحب التعمق و التبحر و الجدّية مهما "طال" الكتاب أو صعب . بينما المؤلفات العامّية , ككتاب الصحف غالبا أو دائما , أو كُتاب المؤلفات التي يراد لها أن " تُباع بكثرة " و " تروج بين الجماهير " , هذه لا يلتفت إليها أهل السنة العالية كما لا يلتفت الصقر إلى الذبابة . كل مؤلف يريد أن يروج كتبه بين الجماهير لا يستحق الالتفات إليه . و لذلك نبحث عن الكتب التي ينفر منها الجماهير غالبا , أو " العتيقة " أو " كتابها يجلسون في أبراج عاجية " أو "صعبة للإنسان العادي " أو أي عنوان سلبي

آخر يذكره العامّة في حق كتّاب , خصوصا أهل الحداثة , فعلى الأغلب ستجد أنه كتاب يستحق القراءة . الانشغال بافكار " الشعب " تقتل القلب . و من يريد أن يكون "مع الشعب" فاعلم أنه من ارباب السياسة و الكذب أو ضعيفا لا يستحق الالتفات إليه في عالم الكتب . (بداهة قرءانية سار عليها العلماء دوما) .

و " لا تقف ما ليس لك به علم إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا" .

...

من ذاق العتيق ، استخف بالجديد ،
كل موصول بالعتيق عتيق ،
كلما كانت الخمر أقدم ، كلما كانت أثمن .
هذا ليس معيارا زمانيا بحتا ،
لكنه معيارا وصفيا .
فإن للزمن دورات صعود و هبوط ،
و هو يؤثر على أذهان و نفسيات عموم أهل الزمان ،
فما يخرجه أهل الزمان الصاعد أنور مما يخرجه أهل الزمان الهابط .
مثل ذلك غرفه مظلمه بالكليّه ،
فإن أضعف شمعه تُحدث تأثيرا و يظهر نورها فورا ،
و لكن إن كانت الغرفه منيره بضوء الشمس ،
فإن إشعال ألف شمعه لن يزيد من نورانيتها ،
الزمان في قعر هبوطه هو كالغرفه المظلمه ،
الزمان في قمّه استنارته هو كالغرفه المضيئه بالشمس ،
ثم ما بين هذين القطبين يوجد طبقات متعدده .

من هنا قال النبي عليه السلام لأهل زمانه - قمه الاستناره - " إنكم في زمان من ترك منكم عُشر ما أُمر به هلك" ثم قال عن زمان قعر الظلمات فقال " ثم يأتي زمان من عمل منهم بعُشر ما أُمر به نجا " . و بالضروره يوجد درجات بين هذا و ذاك .

عندما قالوا " اعرف زمانك " لم يقصدوا اقرأ الأخبار في الجرائد ، أو اعرف من هو رئيس دوله كذا أو ما هي آخر "موضه" في كذا .

المقصود معرفه حقيقه كيفيه الزمان الذي أنت فيه بعوالمك الداخله في الزمان ،
أما قلبك فلابد أن يكون دائما فوق الزمان و المكان ،
و هذا معنى " لا يمسّه إلا المطهرون " أي المطهّر من الزمان و المكان ،
أي يكون قلبه موصولا بالحقائق المتعاليه التي تظهر بدرجه أو بأخرى في كل زمان و مكان .
ثم التعلق بثمار أزمنه النور هو صله بهذا النور ،

حتى لو كان التعلّق في أزمنه غلبه الظلمات ،
فالنور ذوق و حس و جمال و عمق ،
و الظلمه بضد ذلك كله ، سخف و رقاعه و ضعف همّه ،
ثم بينهما مقامات .
و لذلك نجد مثلا جمال و بيان و لطف و عمق الكتب المؤلفه في الأزمنه الأنور ،
و لا نجد مثلها في الأزمنه الأظلم - على العموم طبعا و الاستثناء حق .
الذي لا يعقل هذا المعنى للزمان و تأثيره و آثاره ،
يظن أن " التعلق بالقديم تخلّف " لأنه يرى الزمان كمّيا بحتا ،
بل إنه يرى العكس تماما من الواقع ،
أي إنه يرى الظلام نورا ، و النور ظلاما ،
فيعتقد أنه كلما اقترب الزمان من القعر كان "أحدث" و بالتالي "أفضل" و "أرقى" ،
هذه مصيبه أهل الحداثه من ناحيه فلسفيه و سلوكيه .
أصل فكره " اتباع السلف " حق بهذا المعنى السابق ذكره ،
و هو المعنى الذي عقله أهل العلم دوما ،
و ليس على نحو ما يذهب من يسمون أنفسهم " السلفيه " .
الخلاصه : اعرف زمانك تعرف طريقك .
" كل شئ هالك إلا وجهه ، له الحكم ، و إليه ترجعون " .

...

ثلاثه يستحقون جائزه نوبل في الاستفزاز :
فاشل مهنيا تائه فكريا و يرى نفسه أهلا لتقييم توجهات الآخرين .
ثري و يقضي وقت فراغه في المخدرات و يشعر "بالاكتئاب" بسبب فراغه .
ثورجي يسكن في بلاد آمنه غنيه و يسعى في استخراج انتقادات من تحت الأرض على إداره بلاده .

...

شخص كلما قرأ عن شئ "إيجابي" في دوله أخرى لا يستطيع أن يتمالك نفسه و يقول :
" هههههههه ، في بلدنا في نفس الشي ! " .
و أقرف منه من يقارن أفضل ما عند الغير بأسوأ ما عنده ، بل و يجتهد لاستخراج مواد للمقارنات ،
ثم يستعمل هذه المقارنه كسيخ حديد محمي يخوزق به نفسه و يثبت أنه تحت الغير .
يبدو لي أن كلاهما يستمتع بخوزقه النفس .
لخوزقه النفس فنون ، و لله في خلقه شؤون .

" و إن تعدّوا نعمت الله لا تحصوها "
لا يا رب ، هؤلاء أحصوها و لم يجدوا شيئا ليحصوه أصلا !
" إن الإنسان لكفور مبين " .

...

عقل الإنسان يظهر من خلال أمور منها عشرة بارزة :
نوعية أسئلته ,
نوعية أجوبته ,
ترتيب حججه ,
سلامة لغته ,
الكلمات التي يحبها أو تعجبه ,
الكلمات التي يرفضها أو تزعجه ,
الناس الذين يعتبرهم عظماء ,
الناس الذين يعتبرهم سفهاء ,
كيفية سعيه للسلام ,
كيف يفرش بيته !

...

رجل واحد ,
كتب كتابا واحدا لا يزيد عن ستمائة صفحة استخرج منه أتباعه عشرات الآلاف من الكتب , و وضعوا عليه ما لا يُحصى من الشروحات و التعليقات و التفسيرات في كل جانب معرفي يمكن و لا يمكن أن يتصوره الإنسان العادي بل و الفائق .
و قال مقولات بلغت الستين ألف مقولة , في كل جانب و مستوى من مستويات الوجود من فوق العرش إلى تحت الفرش , مباشرة و غير مباشرة .
كان له نحو عشرة نساء (الواحد فينا إذا كان عنده واحدة يمكن أن تشغله عن حك شعر رأسه) ,
عاش وسط أناس أكثرهم أعراب أجلاف و ناس أصحاب عزة نفس و قسوة و شدّة ,
عاش لمدة نحو عشرين سنة فقط , نصفها تعذيب و اضطهاد و مقاطعة اجتماعية و اقتصادية , و نصفها الآخر في حروب من أعدائه يغزون عقر داره أو قريب منها ,
مع كل ذلك بقي مستوى عقله و كلامه و نفسيته على مر الزمان هو هو .
كان محاربا يقول أشخاص مثل حيدرة الزمان علي بن أبي طالب أنه كان يختبئ ورائه إذا اشتدت الحرب ,

كان مراعيا لراحة القطّة لدرجة أنه يقطع ثوبه الذي نامت عليه القطّة حتى لا يوقظها من نومها ,
و يوقف تحرك جيش كامل لردّ فراخ صغار إلى أمّهم الدجاجة التي بدت مذعورة أمامه ,
و يسمح للصبيان الصغار من الذكور و الإناث و العجائز أن يأخوا بيده و يلعبوا معه و يسألوه و يتكلم معهم ,
في نفس الوقت الذي كان يكلّم فيه ملوك الزمان و امبراطوريات العالم و يقول لهم " أسلم تسلم " بلا تردد ,
في نفس الوقت الذي كان يقوم الليل في التبتل حتى تتورم قدماه ,
في نفس الوقت الذي كان يُعلّم الأولياء ألف باب من العلم ينفتح لهم من كل باب ألف باب ,
في نفس الوقت الذي كان فيه يراعي نسائه الكثر و يطوف عليهم و يسأل عن حاجاتهم خلال اليوم ,
في نفس الوقت الذي كان يذكر الله على كل حال ,
و حين تقع خيانة لمعاهدة لا يتردد في إيقا ع العقوبة بأهلها ,
و حين يأتي شخص يقرّ على نفسه بفاحشة عملها في السر يشيح بوجهه عنه رحمة به و يتردد في سما ع كلامه حتى لا يوقع عليه العقوبة ,
ثم يقوم بتوحيد جزيرة كاملة في نحو عشرة سنين , و يقوم أتباعه في ظرف ثلاثين سنة بعده بالتوسع حتى بلغوا المشرق و المغرب في وقت الأحصنة و الجمال ,
و مع ذلك كل مجتمع يقيمونه يكون الغالب فيه الاهتمام بالذكر و الفكر , و تحديدا توجه نحو الحق تعالى في كل شؤون الحياة صغيرها و كبيرها .
رجل واحد يقوم بكل ذلك في ظرف عشرين سنة , تحت كل هذه الضغوط و الأشغال و الظروف و المشاكل و يموت أولاده الصغار بين يديه و يموت أعز اقاربه و أصحابه , و مع كل ذلك يهتم حتى بتعليم أتباعه أدق قضايا العلم الإلهي و الحقائق المتعالية نزولا إلى خمسة عشر أدبا في كيفية دخول الحمام !
في ضوء ما سبق و غيره نفهم معنى قول إحدى المستشرقات " محمد , إما هو الله و إما هو رسول الله " .

....

(اش إعرابك ؟)
الإنسان كلمة , كما أن كل مخلوق كلمة الله .
و كما أن الكلمة في العربية إما أن تكون مشكلة بالفتحه أو الكسرة أو الضمة أو السكون ,
كذلك كل مخلوق و كل إنسان له حركة باتجاه طبقة أعلى (فتح) طبقة أسفل (كسر) في نفس الطبقة (ضم) أو أنه لا يتحرك اصلا (سكون) .
أصحاب الفتحة هم اصحاب المعراج " اسجد و اقترب "

اصحاب الكسرة هم الأنعام و الوحوش " أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام " .
أصحاب الضمة هم أهل الحيرة في الدنيا " استهوته الشياطين في الارض حيران " .
أصحاب السكون هم على طبقتين , متعالية و سافلة ,
أما المتعالية فهم الذين ثبتت أسرارهم في الهوية الأحدية للحق تعالى " ألا بذكر الله تطمئن القلوب " ,
أما السافلة فهم الذين يعيشون كالأموات - مكانك سر- "إنك لا تسمع الموتى " .
طبعا يوجد أيضا "شدّة" في الحركات , فعروج المقربين ليس كعروج أصحاب اليمين , و قس عليه .
الخلاصة : اعرف اش محلك من الإعراب , و لا تكون "أعجمي" لا إعراب لك !

....

(وين اذنك يا جحا ؟)
مشكله الفقراء ماديا و المتوسطين أنه لا مال لهم !
واضحه ؟ لا ليست واضحه كما تظن . اسمح لي أن أشرح لك سبب عدم فهمك لهذه الجمله . و فقط أصحاب الأموال ، و الأموال الطائله يعرفون معنى الكلام التالي حقا .
عندك كل أموال قارون ، ماذا ستفعل الآن ؟ لن يخرج كل عملك بهذا المال عن الأمور الآتيه :
إما أنك ستشتري الأشياء الضروريه للحياه الكريمه المتوسطه (مثل كل المتوسطين في الثروه في العالم) .
و إما أنك ستشتري أشياء "فخمه" ليست ضروريه و لا حاجيه للحياه ، و لكنها تشعرك أنك أفضل من الآخرين، مثال ذلك سياره ، فالسياره لها مهّمه أساسيه و هي نقلك من نقطه أ إلى ب في وقت جيد و راحه ، و هي عند عموم الناس كذلك ، و لكن عند قارون السياره مهّمتها أن يشعر أنه أفضل من البؤساء ، فهو يشعر بالفرح- و لو سرّا - عندما يقارن حاله بحال الآخرين ممن "تحته" ، فإذن هو لا يفرح بالسياره الفخمه ، هو يفرح بهذه المقارنه ، و لذلك إذا أعطيته أفخم سياره في العالم بدون وجود أناس ينظرون إليه فيها لما فرح بها أبدا و لتساوت عنده مع أي سياره أخرى هذا إن ركب أصلا ، و كذلك لن يشعر بالفرح إن كان مع أناس أثرياء يملكون مثل سيارته ، و بالتأكيد سيشعر بالتعاسه أو لا شئ أبدا إن كان ابن تاجر و صاحبه ابن أمير فكان ابن الأمير يملك سياره أغلى سعرا من سيارته .
و قس على ذلك في كل شئ .
أما حجم المعده فواحد ، و الأكل الصحّي لا يحتاج إلى مال كثير أصلا (لا أقل في بلادنا و لله الحمد) بل أرخص طعام - و حتى على مستوى العالم - هو الطعام الصحّي البسيط الغير مركب .
أما القدره على النكاح فأيضا واحده ، بل قد تلعب أشغال قارون على أعصابه فتضعف قوّته بعكس "العادي" الذي متعته الوحيده في السرير (فكّر في العلاقه بين البلاد الفقير جمهورها و الانفجار السكاني : هند ، صين ، أفريقيا ، مصر . كما قال أحدهم " السرير أوبرا الفقير ") .
فإذن في الواقع ، المال إما أن تستعمله لنفسك ، أو تستعمله لتقارن نفسك بغيرك .

حينما تستعمله لنفسك و لمصلحتك فأنت فقيه ، و حين تستعمله لتكسب فرحه رخيصه من مقارنه نفسك بغيرك فأنت سفيه .
و من هنا ذكر القرءآن عن قارون كلمه " خرج على قومه في زينته " . هو لا يحب الزينه للزينه ، أو لما تحدثه الزينه من أثر في نفسه مباشره ، بل هو يحب الزينه حتى يقوم بعمل " خرج على قومه " ، لكي ينظر قومه إليه و يقولوا " يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ، إنه لذو حظ عظيم " هذا هو تحديدا ما يريده قارون - كل قارون و شبيه بقارون أو يرغب في أن يكون كقارون و لو في الأحلام .
و هنا نسأل القوارين - اسأل قارون نفسك : أنت تريد أن تشعر أنك متميز عن الآخرين ، و لكنك تحتقر الآخرين لأنهم أقل منك في الملك ، فإذن أنت تطلب مدح الحقراء عندك لك !
أنا أقول عنك حقير ، ثم أجد الفرحه حين تمدحني و تلتفت لي أو أقارن نفسي بك ! معقول ؟
و من جانب آخر ، و نعرف هذا من خبره مباشره ، فإن أقصا ما يعمله معظم أصحاب الأموال - خصوصا الشباب - هو أن "يجتمعوا" مع بعض في غرفه - و لو كانت في قصر - ثم "يتكلموا" في أي موضوع ، و إما أن يتعاطوا شيئا من المخدرات (تأثير نفساني بحت) ، و إما أن يكون معهم شئ من الحريم (بجماع أو بدونه)، و قد يوجد شئ من موسيقى في الخلفيه . أنا ضامن ، أن هذا هو آسلوب تمضيه الوقت " المسلي " عند أغلبيه أثرياء العالم ممن لا يحتاج حتى أن يهتم بأمور أمواله ، كأن يكون ابنا لتاجر أو أمير أو وزير أو نحو ذلك .
و الآن السؤال : اجتماع ، كلام ، تأثير نفساني بحت ، جماع ، موسيقى ، هذه هي الصلوات الخمس التي يلف و يدور حولها لب الخلاصه التي ستصل إليها و إن كنت قارون القوارين ، بكل بساطه اسأل نفسك ، كم من المال تحتاج لتعمل هذه الأمور الخمس ؟ أيا كان الرقم الذي ستصل إليه ، فلن تحتاج أن تكون فوق المتوسط بل لعله دون المتوسط يستطيع ذلك أيضا .
فإذن ، الزبده التي يعيش بها فعلا - واقعا - من يبلغ من الثراء ما بلغ ، هي أنه سيعيش في ظل سته أشياء ليستمد فرحته قدر الإمكان - مهما تعددت صور هذه الأشياء السته : مقارنه نفسه مع من يحتقرهم ممن يراهم تحته في المنزله ، الاجتماع مع الأصحاب ، الكلام ، المخدرات (السعي للراحه الذهنيه و الإثاره النفسانيه) ، جماع ، موسيقى .
أما المقارنه السابقه الذكر فسخيفه متناقضه مريضه كما ترى .
أما الاجتماع فمجاني (بل لعل الثراء يكون سبب لصحبه المنافقين لك)
أما الكلام فمجاني (بل لعل الثراء يكون سبب لجهلك و بالتالي ضعف كلامك و نوعيته و مستواه)
أما المخدرات فانتحار (و الطرق التقليديه للوصول إلى ما هو فوق ما يصل إليه أهل المخدرات بمراحل موجوده و معروفه)
أما الجماع فمجاني أو متوسط (و إلا لما وجدنا الهند و الصين و أفريقيا أصحاب الجماهير المفلسه تتسافح ليل نهار و يشكّلون نحو نصف سكان الأرض)
أما الموسيقى فشبه مجّانيه (خصوصا إذا عندك آي فون أو يوتيوب) .
انتهى !

الآن ارجع اقرأ ما ذكرته في البدايه : مشكله الفقراء ماديا و المتوسطين أنه لا مال لهم .
السبب أنهم يتوهمون أنه يوجد في المال الكثير شئ لا يوجد عندهم الآن لو عقلوا و أحسنوا استعمال ما بأيديهم من موارد و طاقات .
نعم لاشك أن للمال الواسع خصائص معينه ، هذا بديهي ، و لكن في ضوء ما سبق ، ليس الأمر بنفس الهول و الضخامه التي يتوهمها الأكثريه .
فاستعمل ما عندك ، و لا تجلب لنفسك الهم و الغم بلا فائده ، خصوصا إن كنت تملك ما يكفي بشرف و كرامه.
" و قال الذين أوتوا العلم " للذين قالوا ما قالوه لقارون " ويلكم ثواب الله خير " .

....

(انتبه أن تصلح أي شئ !)
أولا ، اعرف حقيقه الصلاح و الفساد .
ثانيا ، لا تفسد غيرك .
ثالثا ، لا تفسد نفسك .
رابعا ، اصلح نفسك .
خامسا ، اصلح غيرك .
هذا هو التسلسل الأسلم للإصلاح عند أهل العقل و الأدب .
أما عند من سواهم ، فغالبا يكون كالتالي :
أولا ، تصور ضعيف و مختزل و غير مفهوم عن معنى الصلاح و الفساد و مملوء بمصالح ضيقه خاصه يظنها "قيم إنسانيه" .
ثانيا ، السعي الحثيث في إصلاح الغير بناء على هذه القيم و الأفكار التي ركبّها من حشو ذهنه الجزئي .
ثالثا ، سب و شتم كل من لا يتطابق مع قيمه ، و هو أول من لا يتطابق معها !
انظر أي الاثنين أنت ، فلابد أنك واحد منهما ، بدرجه أو بأخرى .
" أتأمرون الناس بالبرّ و تنسون أنفسكم و أنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون " .

...

(لو كان أمامك أحد هذين ؟)
تلبس أثمن جواهر في العالم و يكون لك أجمل وجه و جسم ، و لكن يوجد أسد و نمر و كلب مسعور يجرون خلفك ،

أم أن تلبس خرقه عاديه جدا و لكن تجلس على شاطئ نهر مع أحبابك و أصحابك تغازلون الحريم و تضحكوا جميعا ؟
الأول هو رأي الغرب الحداثي ،
الثاني هو توجه الشرق التقليدي .
أما الأسد فهو الديون الماليه ، و أما النمر فهو الوظيفه القاهره طول الأسبوع ، و أما الكلب المسعور فهو الشهوات المبالغ فيها بفعل الإعلام و الأفلام و التي لا يمكن أن تتحقق في هذا العالم الحقيقي .
أما الجواهر فهي "حقوق الإنسان" ، و أما أجمل وجه و جسم فالمباني الضخمه و التكنولوجيا و ما سوى ذلك .
الغرب اختار المظهر على الجوهر ، فانتهى أمر أكثرهم إلى قهر الأشغال الشاقه حتى أنساه المظهر حتى المظهر (اللهم إلا في " الويكند " الذي هو وقت كرع الخمر حتى ينسى من أمّه و ليس فقط أشغاله-كل ما يمكن أن يُسمّى "حياه" إنما تجده في "الويكند" هذا و ما سوى ذلك فتره في سجن مع الأشغال الشاقّه) .
الشرق عرف من القديم ما الذي يهمّ فعلا : البساطه ، الجمال ، الكلام ، العقل ، التأمل ، الصحّه ، الغيب ، الإنسان .
فأسس الشرق حياته على هذه الأمور العاليه الجوهريه ، ثم فرّع الفروع عليها .
أما الغرب فأسس بنيانه " على شفا جرف هار فانهار به " عمّا قريب - إن صحّت التوقعات ، فحين يبلغ الذين يشاهدون الآن قناه "ديزني" سن إداره البلاد ، فتستطيع أن تكبّر على الغرب أربع تكبيرات الجنازه - مجازا .

...

(حريّه غير فاعله)

الفائده الوحيده لحريه التعبير و التجمع في الغرب بالنسبه للمسلمين في الخارج هي التالي :
تعليم المسلمين في الشرق الحقائق التي يمنعهم طغاه أعداء الإسلام في الشرق أن يتعلموها بحريه .
أما تعليم جمهور الغرب نفسه ، فهذا - والله أعلم و أرحم - شبه عقيم ، لأنه جمهور مشغول بدفع أقساط بيته و أقساط سيارته ، و أقساط آخر إجازه سافرها ، و أقساط السراويل الداخليه التي اشتراها قبل تسع سنوات ، و أقساط "الكورن فليكس" الذي أكله قبل تسعه شهور ، و أقساط التأخر في دفع كل الأقساط السابقه .
إنما يستفيد من وجود أولياء الله في الغرب ، النخبه من الغربيين .
ثم بعد استناره النخبه الغربيه ، يمكن أن يبدأ تأثيره هؤلاء إلى حد ما في الجماهير ،
و لكن لن يكون ذلك إلا بعد انهيار أسلوب الحياه السائد الآن ، و هو منهار إن نظرت ببصيره ،

و لا يمكن له أن يستمر إلا بحروب خارجيه مستمره ، و بما أن الهمّه الخائره و الأفكار "المتسامحه" في انتشار متسع هناك ، فإن استمراريه وجود القدره على السيطره و القهر الخارجي ستكون في انحدار متناسب عكسي مع ما سبق ذكره .

فالحاصل ، على المسلمين في الشرق الاستفاده قدر الوسع من المسلمين في الغرب .

و على المسلمين في الغرب أن يسعوا قدر وسعهم إلى العمل لإسقاط الدعم للطغاه في الشرق الذين يقهرون المسلمين .

و الله الوكيل

....

(خلاصة اللعبة الضعيفة)

أقصا ما عند أي حداثي أو صليبي أو غبي من أي صنف هو التالي :

أن يأتي بأقوال و أفعال و أحوال "السلفية" القبيحة السخيفة مثله ,

ثم يكتب تحتها " انظروا حال المسلمين "

أو " هذا هو الإسلام "

ثم الإسلاموي الحداثي يسعى لتقديم " تجديده " بناء على أنه طبيب "المسلمين" (و هم من عرفت)

و يأتي الصليبي الأسفه من السابق و يقول " اكفروا و تعالوا "

و يأتي الملحد الطامة الكبرى و يقول " اكفروا و ضيعوا " .

لا يوجد أكثر من هذا بشبر .

...

(مهما فعلت !)

أيا كانت الأقوال أو الأفعال أو الأحوال التي ستقوم بها و تكون عليها ،

ستجد دائما أمامك خمسه أنواع من ردود الفعل ،

تتناسب مع الأحكام الفقهيه الخمسه - واجب و مندوب و مباح و مكروه و محرم :

ناس سيقولوا " الله أكبر عليه ، كثّر الله من أمثاله ، نحتاج إلى هذا في هذا الزمان " (واجب)

ناس سيقولوا " جيد و لا بأس به ، فالتعدد ممتاز و ليستمر على ما هو عليه و لكن لينتبه على نفسه " (مندوب)

ناس لن يقولوا شيئا ، و إن سمعوا عنك سيقولوا " لا يهمني في شئ ، أنا مشغول ، من هذا أصلا ؟ "(مباح)

ناس سيقولوا " من الأفضل أن يترك ما هو عليه ، فالوضع حساس ، و سيصيبه ضرر بسبب حاله " (مكروه)

و أخيرا ناس سيقولوا " هذا الخبيث ! أين الدوله لمعاقبه هؤلاء المفسدين ، عليه اللعنه ، مجنون هذا ! "(محرم).
مهما فعلت ، مهما فعلت ، مهما فعلت ، ستجد دائما أمامك أنصار للأحكام الفقهيه الخمسه ، بألسنه متعدده ، بصور كثيره ، بطرق مختلفه ، إلا أنك ستجدهم دائما .
ما الفائده من معرفه ذلك ؟
الجواب : اعمل للحق تعالى و لما تجده في قلبك ، و لا يهمّك ما سوى ذلك .
" مخلصين له الدين و لو كره الكافرون " .
خذها لك يا باحثا عن .....فرحه تدوم و عزّ الأبد
اغرق نفسك بذكر الله .....فاضحك كثيرا لكل أحد.

....

(وزن الكلام)
إن كان الوجود الإنساني فلكا , فكعبته هي الكلام .
لاحظ :
علاقتك بالآخرين تتحدد بنوعية الكلام بينكم , فالقريب له نوع و الغريب له نوع و لهما درجات .
و معرفة صورة نفسية غيرك تعتمد على الكلام و ليس على صورة الأبدان , بدليل أن صورة بدنك يراها القريب و الغريب بل قد يرى الغريب بدنك و القريب الضرير لا يستطيع أن يراه و مع ذلك تشعر أنك أقرب للضرير من الغريب السليم العينين , و ذلك لأنه يرى صورتك النفسية بواسطة الصلة الكلامية معك .
علاقتك بالمرأة - و العكس - تعتمد على كلام , فغالبا يبدا بحديث عن تاريخ كل طرف و الأحداث التي وقعت له و التي تشكّل ظاهر حياته و شيء من باطنها , ثم ينتقل إلى الغزل , ثم تتأكد العلاقة , ثم قد يحدث ارتباط اجتماعي كالزواج , ثم بعد فترة - إن لم يدخل الكلام المعرفي في الصلة - يقل الكلام عن التاريخ الشخصي بسبب محدودية هذه الحوادث و كل طرف عرف عن الآخر ما يحفظه من أحداث تاريخه تقريبا فيبقى الكلام عن التاريخ اليومي (ماذا فعلت اليوم ؟ ماذا حدث في الوظيفة ؟ ..الخ) و العمل الظاهري اليومي له نمط معين بالتالي يقل الحديث عن هذا النمط (الروتين , حسب الشائع) فيقتصر الحديث على الأحداث القليلة البارزة كل فترة , ثم يبقى الغزل و هو بطبيعته محدود إذ الإكثار منه كالإكثار من العسل يجعله مرّا و هو أيضا مشروط بالمفاجأة و عدم التوقع حتى يُحدث أثره في النفس فالمكثار لا يحسن الغزل , بالتالي يقلّ الكلام بين الطرفين ثم أول مراحل الانفصال تبدأ بقلة الكلام بينهما , فلاحظ كيف بدأت العلاقة بالكلام و أول علامات موتها قلّة الكلام .

العلوم و الآداب و الثقافة تُحفظ و تُنقل بالكلام . هذه هي القاعدة . و حتى من أوتي وحيا و كشفا فإنه باستثناء صنف واحد منه , الباقي كله يمكن أن يتم التعبير عنه بكلام بدرجة أو بأخرى . و لذلك يوجد شيء اسمه "كلام الله" .

أسماء الناس و البلدان و المحلات و الشوارع و الملابس و الأطعمة و الأشربة و كل ذلك وسيلة إكماله و التواصل فيه كلام .

الحكومات و الدول إنما هي "كلمات" تشتمل على تصورات في القلب , و كثيرا ما لا تعكس واقعا معينا و مع ذلك تبقى لها قوّة معينة في النفس بسبب قوة الكلمة . و إن أردت أن تعرف قوة الكلمة , اسأل مخبارات أمن الدولة و وزارات الداخلية و الإعلام في البلاد , فهم من أخبر الناس بهذه القوة . و اسألهم لماذا يمنعون بعض الكتب أو بعض الدعاة ايا كانت دعوتهم شرقية أو غربية سماوية أو أرضية , و لماذا يمنعون اي كلمة يمنعونها إن كان "الكلمة لا تهم , المهم الفعل و ممارسة الحياة اليومية" كما يقول بعض الغافلين .

موسى الكليم - قطب العلم الأعلى - لما قال لربه تعالى " أرني أنظر إليك " قال له بعد " لن تراني " أنه عليه أن يرضى بأن اصطفاه " برسلتي و بكلامي فخذ ما آتيتك و كن من الشاكرين " . و أحد أكبر معاني هذا الموقف هو التالي : بكلامي ستراني . و من هنا قال بعض أهل العلم بلسان الرمز : صورة الرحمن صورة حروف القرءان . مشيرا إلى هذه الحقيقة المتعلقة بكشف الكلام عن الصورة الذاتية للمُتكلم , لا أقل حسب مقدار تجلي المتكلم للذي كلمه .

أخيرا , حتى بعض المستخفين بقيمة الكلام الذين يقولون " الكلام لا قيمة له , المهم الفعل " , يغفلون عن أنهم يروجون لفكرتهم الباطلة هذه عن طريق "كلام" ! .

يقولون " الكلام لا قيمة له , المهم الفعل "

نقول " نعم , كلامكم هذا لا قيمة له بالفعل " .

" و كذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا , ما كنت تدري ما الكتاب و لا الإيمان و لكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا و إنك لتهدي إلى صراط مستقيم " .

فالكلام روح , و نور , و صراط للعروج إلى نور النور لا إله إلا هو .

فالحمد لله على نعمة القرءان و العربية بنثرها و شعرها .

...

(الكيف و الكمّ في القراءه)

أيهما أفضل ، أن تقضي عشرات الساعات في مطالعه كتاب ثم تكون محصّلتك الفعليه من حيث الفكر و العمل إنما هي فكره أو فكرتين ، و إصلاح عمل أو عملين ،

أم أن تقرأ سطرا واحدا في كتاب معتبر فتتأمل فيه و تخرج منه بفكره أو فكرتين ، و تصلح في نفسك عمل أو عملين .

النظر في سطر واحد بعقل خير من المرور على ألفاظ بقدر جبل .

إن كمّيه الكتب الموجوده تجعل البعض يقول في نفسه
" لن أستطيع أن أنتهي من كل هذه ، فمن الأيسر أن لا أتعاطى معها أصلا "
و ذلك لأنه لا يريد أن يشعر بصغر نفسه في قبال هذه الجبال من العلوم و الآداب ،
فيختصر على نفسه الأمّاره الطريق و يتركها جميعا بل لا يستبعد أن ينكر قيمتها أيضا .
كمّيه الهواء في العالم كثيره ،
و إنما يكفيك من الهواء النقي الطيب الذي يحييك ،
كذلك كمّيه الكتب في العالم كثيره ،
و إنما يكفيك منها الأصول الكبرى في كل فن و المتون المشحونه في العلوم التقليديه العاليه مع حسن تأمل و نظر و تدارس و عمل .
الفتوحات و الاجتهادات الموفقه تجعل الإنسان يرى في السطر بحرا ،
كما قال أهل الفتح المطلق أن في "بسم الله الرحمن الرحيم" كل علم نزل من عند الله على نبي أو ولي من أول الدهر إلى آخره .
بل قالوا أن كل ذلك موجود في حرف الباء من البسمله .
بل أعرف عالما يقول قبل إكمال النطق بالباء يوجد كل شئ ،
فسألته كيف يُعقل هذا ؟
فقال : انطق الباء .
فأغلقت فمي لأنطق بها ..فقاطعني و قال : الصمت نهايه معرفه الحقيقه !
فقال لي : أكمل .
فكسرت حرف الباء ..فقاطعني و قال : انكسار القلب تحت عرش الله نهايه الطريقه و الشريعه !
فأغلقنا القرءان و انتهى الدرس .

...

(إذا كلمّك أحد عن العنف عندنا ، فألقي هذه عليه)
لا يحق لأحد أن يتكلم عن كيفيه بناء الدول ، إلا إن حاول هو بنفسه أن يقيم دوله ليرى مقدار " العنف الضروري " لإقامه دوله .
و أما أن تعيش داخل دوله ، ثم تلعن عنف الدول ، فهو كمن يجلس على غصن شجره و يلعن الشجره .
" جالس في حضني ، و تنتف في لحيتي " حسب المثل الشائع .
الدول في السابق كانت - في أفحش الأحوال كالمغول - قتلت مليون مسلم .
الدول في الحاضر تقتل مليون إنسان و لا تشعر .
بابا الكاثوليك و كنيسته على سبيل المثال من يوم تأسسوا في ٦٠٦ إلى يومنا هذا عدد من قتلوهم من "المجدفين" (أي الكفار و المبتدعين) بالملايين ، اقرأ ما كتبه مثلا :

Dowling in his History of Romanism says
From the birth of Popery in 606 to the present time, it is estimated by"
careful and credible historians, that more than fifty millions of the human family, have been slaughtered for the crime of heresy by popish persecutors, an average of more than forty thousand religious murders for
".every year of the existence of popery
.History of Romanism," pp. 541, 542. New York: 1871" --

الأمريكان في أمريكا - و كلهم " بيوريتانز " صليبيين من انجلترا ، و فرنسا فوق أمريكا الشماليه ، و اسبانيا في أمريكا الجنوبيه ، (كلها دول صليبيه) قتلوا من سكان تلك البلاد ما يتجاوز المائه مليون على مر تاريخهم . و لا زالوا يضطهدون السكان الأصليين .

الأوروبيين في الحرب " العالميه " الأولى و الثانيه ، أكثر من خمسين مليون بمراحل .

الأمريكان في العراق ، ملايين ، و لا ننسى نووي هيروشيما و ناغازاكي القريب ،

الانجليز في الهند ، عد و اغلط ،

الفرنسيين في الجزائر و المغرب و نحوه ، عد و اغلط .

بالمناسبه ، المغول كانوا بوديين ! (للذين يظنون أن البوديه هي الجلوس عريان و التأمل فقط) ، و جنرالات جيوشهم كان فيهم صليبيين .

الرومان بعد صليبيتهم سفكوا " دم الوثنيين " في أوروبا ، و محوا أديانها القديمه و أهلها .

الهندوس في الهند قاموا على نظام الطبقيه القاسي جدا ، بحيث يكون غالبيه الشعب "كوشتارياس" أو "المنبوذين" و هؤلاء الموت خير لهم ، و هذا أشد من القتل ، فضلا عن العقوبات المقرره عليهم إن فعلوا كثير من الأشياء " الصغيره " (هذا لمن يظن الهندوسيه هي يوغا فقط) .

اليهود مجازرهم - حسب كتبهم - و كذلك حسب الصهاينه في هذا الزمان ، عد و اغلط و لا تغلط .

الزبده : لا يوجد شرقي أو غربي ، ديني أو ملحد ، يستطيع - إن بقي عنده شئ من الحشمه و الاحترام لنفسه - أن يفتح فمه علينا بكلمه واحده لا في الماضي و بالتأكيد لا في الحاضر .

"لله الحجّه البالغه "

...

(بريطانيا "المتحضرة" - أمثلة)

قل ما تشاء عن الامبراطورية البريطانية , و لكن يجب أن تقر بحقيقة واحدة و هي التالي :

إنهم من أفضل من عرفهم التاريخ في ارتكاب أقبح الأعمال و الظهور بألطف المظاهر .

البريطاني يمكن أن يستعبد و ينهب الهند كلها , و لكنه بعد العصر يشرب الشاي و يأكل قطعة بسكويت صغيرة و يتكلم بلغة ثقيلة " من خشمه " . (شاي هندي بالمناسبة بعد احتلالهم للهند) .

من فنون البرطانيين أيضا أنهم " لا يبالون " بالاعتراضات التي يقدمها الناس ضد افعالهم الاجرامية . مثلهم مثل بقية الصليبين و الغربيين . فمثلا , عندما يقول أي سفيه لنا نحن " أنتم أصحاب عنف "

فإننا نهتم - ولو عرفنا أنه سفيه - بالرد عليه و تعليمه و تثقيفه , القرءان علمنا هذا " سيقول السفهاء من الناس ... قل " حتى لا تبقى لأحد حجّة و حتى تظهر الأمور . و لكن أهل الصلب و الغرب لا يبالون أصلا , " جلدة مؤخرتهم في وجوههم " كما يقول المثل الماجن عندنا . يتصرف كأنه لم يسمع شيئًا . يوجد ميزة خاصة في هذين النوعين من البشر , حتى إنك حين تجد واحد منا يتحول إليهم تصبح " جلدة مؤخرته في وجهه " أيضا , فيصبح يتكلم و يتكلم و لا يسمع , و إن سمع لا يرد , و إن علمته لا يريد أن يفهم .

لنأخذ أمثلة على مجازر البريطانيين في هذا القرن المنصرم . و ما قبله بقليل .

أولا في الهند . بالإضافة لنهب مجوهرات المعابد الهندية (نعم مجوهرات الملكة و غيرها كثير منها أصولها نهب ما عند الهند في معابدها الدينية - اللطيف أن "براهما" انتقم منهم على ما يبدو فأرسل الألمان ليهدموا لندن على رؤوس أصحابها) , و الإضافة إلى الاستعباد و الصفاقة و التحريش بين سكان الهند و غير ذلك , فإن من أسوأ ما قاموا به هو " خلق المجاعات " و تسبيبها , حتى هلك ملايين من الهنود بسببها , في البنغال وحدها في سنة 1943 مات 3-4 مليون بسبب مجاعات كانوا هم سببها . فضلا عن القتل للحرب و نحو ذلك مما لا يحتاج إلى تفصيل لوضوحه .

ثانيا في جنوب أفريقيا . نذكر حالة " حروب البور " , البور هؤلاء أرادوا أن يحاربوا ضد الاستعمار الأبيض البريطاني لبلادهم , ففتحت عليهم بريطانيا النار , فمما عملوه أنهم ذهبوا إلى قرى البور و أخذوا عشرات الآلاف من النساء و الأطفال و وضعوهم في مخيمات سيئة الصحة قليلة التغذية محشوة بالحشرات و تحت حر أفريقيا المعروف حتى هلك منهم 22 ألف طفل , و آلاف النساء . ثم كانوا يأخذون السود الذين يصادفونهم و يجبرونهم على العمل الشاق حتى هلك منهم 20 ألفا تقريبا بسبب الأشغال الشاقة . و لما انتشر هذا الخبر في بريطانيا , فعلوا ما يفعلونه عادة - تجاهلوه . أما بقية العنصرية - الصليبية الاصل فإن الكهنة كانوا يقولون للناس لأنكم سود فأنتم حسب قول الإله تحت البيض و في حكم العبيد لهم (هذا أصل العنصرية ضد السود حتى في أمريكا مثلا فتأمل) - و نهب البلاد و مجوهراتها و سجن و قتل الناس فحدّث و لا حرج .

ثالثا , في اليمن , في حدود 1960 , عندما بدأ أهل اليمن يطالبون و يتظاهرون لخروج البريطانيين من مرفأ عدن , استجاب " المتحضرون " البريطانيون بأن فتحوا مراكز للتعذيب . مما كان يفعلونه هو تعرية المحتجزين و يحبسونهم في غرف شديدة البرودة مثلجة , الحراس يطفئون سجائرهم في أجسامهم و ضربهم و هذا كان شائعا , الإهانة الجنسية و منها تهشيم خصية المحبوس و الجلوس على خوازيق حديدية حتى تدخل في مؤخرتهم . عندما انتشرت هذه الحقائق (الشبيهة جدا بفعل أمريكا في أبو غريب و غوانتانامو كما هو مشهور و لكن يبدو أن بعض الناس ينسون بسرعة) "اعتذرت" بريطانيا , و استمرت باستعمال التعذيب بعد ذلك لمدّة سنة فقط ! (لنعذرهم , لا يمكن الإقلاع عن العادة السيئة فورا) .

تابع

...

(بريطانيا " المحتضرة " - أمثلة أخرى)

1919 م مجزرة أمريستار , تجمع سلميا نحو ألفين إلى ثلاثة آلاف رجل و امرأة و طفل في حديقة جاليانوالا , فجاء الجيش البريطاني و أغلق البوابات , و فتح النار على جميع الحاضرين بلا استثناء , قُتل نحو ألف إنسان منهم رجال و نساء و أطفالا , و جُرح ألف و مائه إنسان , و غرق بعض النساء و الأطفال في الآبار حين أرادوا أن يهربوا من الرصاص البريطاني . ففزع البرلمان البريطاني في لندن من الحادثة , و استدعى القائد و سرحه من عمله , و لكن الشعب الانجليزي "المتحضر" سمى القائد " الرجل الذي أنقذ الهند " و جمع له مبالغ مالية تصل إلى 900 ألف دولار بعملة اليوم , و مات الرجل بسلام - لا اقل ظاهريا . جيد ؟

1955-59 م في قبرص , بدأت جماعة قبرصية تثور على البريطانيين للاستقلال , و قاموا بتفجيرات , فكان رد فعل البريطاني هو تجميع و تعذيب نحو 3000 إنسان , ضرب , "واتربوردينج" , إعدام , سجن دون محاكمة لفترة طويلة , جلد و بحديد ايضا , تكسير أيادي , جروح قوية في مناطق حساسة كالعنق . بسيطة ؟

1920 العراق , بدأت بعض القبائل تسعى للاستقلال الكلي من البريطانيين , فبدأ رد الفعل المتحضر . و فيه إلقاء قنابل بالليل على المدنيين , اسلحة كيماوية , عقوبات جماعية ضد القبائل الغير خاضعة لهم (عندما يعرفوا أن قبيلة معينة خرجت عن الخط , يختاروا عشوائيا قرية تابعة لهذه القبيلة و يدمروها بأوامر مباشرة صريحة , تدمير كل كائن حي فيها - على نمط كتابهم " المقدس " يعني , كل شيء في القرية يتنفس يجب أن يندمر) , تفتيش عشوائي للقرى فإن وجدوا سلاحا واحدا فيها فيأتي الأمر بالتالي : حرق كل مبني , إهلاك المحصول الزراعي , تسميم آبار المياه , قتل البهائم و الحيوانات . و كانوا يهاجموا الناس في الأعراس و الافراح لإلقاء الرعب في قلوبهم (ما يسمونه اليوم " عمليات إرهابية " - بعض غريبي الأطوار يظنون أن "الإرهاب" إن وقع من دولة عندها علم ملون يختلف عن أي "إرهاب" آخر) . و استمر هذا الحال اللطيف لمدّة نصف قرن تقريبا . ثم جاء الأمريكان في نهاية القرن ليكملوا هذا المشهد " الحضاري " و لكن على مستوى آخر أعلى من البريطانيين , فرعاة البقر "إنسانيتهم" اعلى بكثير , فاغتصاب النساء جماعيا من قبل الجيش الأمريكي , و قتل الأطفال , و قصف المباني و المدنيين حتى حولوا العراق إلى ما هو عليه , هذا شائع و "إنساني" جدا .

تابع لمزيد من الإنسانية .

...

(بريطانيا " المتحضرة " - أمثلة أخيرة)

تسببوا مباشرة في مقتل نحو نصف مليون إنسان بسبب سعيهم المستعجل في تقسيم الهند إلى هند و باكستان .

تسببوا في الموت بسبب المجاعة لنحو مليون أيرلندي (و لذلك و غيره يكرههم الايرلنديون) و ذلك لإرسالهم كمسؤول صليبي راسمالي مريض اسمه تشارلز ترنيليان .

1950 في كينيا , اراد أهل كينيا استرجاع بلادهم , فجمع شراب الشاي المتحضر نحو مليون و نصف كيني في مخيمات لا نحتاج أن نعلّق على مستواها , جعلوهم يعملوا حتى مات كثير منهم , إعدام عشوائي , التعذيب شائع , إدخال سكاكين في مؤخرات الرجال (تصور نفسية هؤلاء !) نزع الأعين , قطع الآذان , سلخ الجلود بأسلاك من حديد , في بعض التحقيقات يضعون التراب في فم المحقق معه ثم يدوسون على رقبته حتى يغمى عليه أو يموت , حرق الأحياء . رسميا قالوا أن نحو ألفين إنسان مات , و معلوم قيمة رسمياتهم , و لكن غيرهم يقول أن العدد بلغ عشرات أو مئات الألوف , أكثرهم مدنيين و فيهم أطفال . كل هذا بتهمة " تأييد الثوار " .

و لنكتفي بهذا فيما يتعلق بعلاقة دولة بريطانيا بما خارجها . و ندخل للداخل قليلا .

حتى القرن الثامن عشر , كان عدد الجرائم التي يستحق الإنسان عليها عقوبة القتل , تصل إلى 220 جريمة !

خذ بعض العينات : " مصاحبة الغجر " الجيبسيس " لمدة شهر " و " سرقة شيء بقيمة 12 بنس فما فوق " و "سرقة حصان أو ماشية " .

فقط ما بين 1770-1830 (60 سنة) صدر 35 ألف حكم بالقتل , و لكن تم تنفيذ 7 آلاف منها . يعني معدل أكثر من مائة إنسان كل سنة .

حتى سنة 1957 من الجرائم التي قد يُقتل فيها الإنسان قانونيا هي القتل أثناء السرقة و إن قاوم أثناء القبض عليه أو أثناء الهرب (و ليس فقط قطع اليد !) .

الخيانة الكبرى إلى قبل نحو عشرين سنة كانت معاقب عليها بالقتل . و تعريفها باختصار - في شتى الدول - هي كل ما يمكن أن يؤدي إلى سقوط الحكومة أو معاونة العدو علي ذلك بشتى صور التعاون . يعني , من كان عليه واجب الولاء للفئة الحاكمة يجوز قتله إن خالف مقتضى هذا الولاء (يعني آن "ارتد" مثلا) .

بعد أن ألغيت رسميا عقوبة القتل على الجرائم في الستينات , طالب أكثر من نصف الشعب البريطاني أن تُعاد. و أرادها أن تعود في هذه الجرائم : السرقة المسلحة (ليس فقط قطع اليد !) , اغتصاب , جرائم التحرش و العدوان ضد الأطفال , الخطف , الخيانة .

في سنة 1401 كانت عقوبة " الردة الدينية " هي الحرق .

و في القرن 16 حرقت الملكة ماري الكاثوليكية نحو 300 بروتستانتي .

في القرن 18 المرأة التي تُزوّر أو تقتل زوجها عقوبتها الحرق (يحتاجوا فعلا إلى تخويف النساء بهذه الطريقة حتى لا يقتلوا أزواجهم المملين الباردين غالبا) و توقف الحرق في سنة 1790 .

عقوبة " الساحرة " (و مسألة قتل الساحرات - و بغض النساء و الانبساط معهن - تخصص صليبي معروف , محرومين و اشباه قوم لوط و كبارهم ضعاف فماذا تتوقع) في بريطانيا كانت الشنق , و

أما في مواضع أخرى من بلدان أوروبا الصليبية و غيرها هي الحرق مع تعذيب متفنن لا يستطيع الشيطان أن يفكر بمثله .
عقوبة الخيانة ضد الدولة , الشنق , السحل , ثم تقطيع الخائن إلى أربعة أوصال (مثل فيلم بريف هارت) .
في القرن 16 كانوا يشنقون النساء في العلن .
في 1908 الشنق يقع حتى على الشباب في سن 16 , ثم في 1930 تقريبا رفعوا السن إلى 18 .
و لنكتفي بهذا . إذ الكلام عن العفن يجلب العفن , و لكن للضرورة أحكام .

....

(المناظرة - مسرح أهل العقل)
كل مناظرة قائمة على الشروط و الآداب المعتبرة , مفيدة و نافعة و مسلّية ,
بغض النظر عن موضوعها .
فإن نفس مشاهدة و استماع و قراءة الحوار فيها و كيفية ترتيب الأفكار و الحجج و التحليلات و التأويلات ,
هذا بحد ذاته رياضة للعقل و تهذيب للنفس و تقويه لها .
المناظرة تشبه و لا تشبه المصارعة ,
تشبه من حيث الاحتياج إلى القوة و الرغبة في ظهور الاقوى (و الأقوى من شرح و فصّل و برهن , و الغالب هو الذي يميل مع الدليل و يُسلّم بالكشف أيا كان الطرف الذي أخرج الدليل و ذكره) ,
و لا تشبه من حيث أن مشاهدة المصارعة سلبية بالنسبة للمُشاهد , سلبية غير فاعلة , بمعنى أنك تستعمل عينك فقط ,
و لكن المناظرة تحتاج إلى مشاركة السامع و القارئ , و حضور الأذهان في المضمون و تأملها .
و كما تضعف الأبدان بقلّة الرياضة , كذلك تضعف الأذهان و النفوس بقلّة المناظرة ,
و لذلك كانت المناظرة في عالم المسلمين التقليديين توازي في أهمّيتها و شيوعها - حسب الظاهر - أهمّية الأوبرا و المسرح و هوليوود عند الغربيين و أين ثقافة محورها الفكرة و الكلمة من ثقافة محورها السلبية والصورة , شتّان ما بينهما .
قرأت اليوم في الورد القرءاني الآية التي تردّ على من ادعى أن لله بناتا , فقالت الآية " أفمن يُنشأ في الحلية و هو في الخصام غير مبين " , ففكرت : ما علاقة " هو في الخصام غير مبين " بقصور مرتبة المخلوق ؟ فرجعت إلى تفسير مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي - رضوان الله عليه - فوجدته يذكر ما معناه أن عدم القدرة و التمّكن من فنون الكلمة و التفكير و المناظرة و حسن إيصال المطالب بوضوح و بيان هو بحد ذاته قصورا في وجود الإنسان . (و في الآية ذاتها , و كذلك في كلام الإمام الرازي , جوابا لمن يظن أنه من الكمال أن " لا ندخل في الخصومة و الجدال " . نعم , لا ندخل في السفاهة و الجهالة , و لكن ندخل في الخصومة الفكرية و المجادلات العقلية , و هل يوجد علم و أدب

بلا تمكّن في الخلاف , " و جادلهم بالتي هي أحسن " و " إلا الذين ظلموا منهم " فهؤلاء بالتي هي أخشن , " تبّت يدا أبي لهب و تبّ " , إلا أن الأصل الأكبر هو " ادفع بالتالي هي أحسن ") .
و لهذا تجد أن في لبّ كل منهج تعليمي عند المسلمين التقليديين العوامل التي تؤدي إن شاء الله إلى قدرة الإنسان على أن يكون مبين في خصامه , مرّتب في حججه , مطّلع على مذهبه و مذاهب غيره , ينصف من نفسه و ينصف غيره من إخوانه و نظرائه فإن الإنسان إما " أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق " كما قال حضرة علي عليه السلام .
تعلّم فن المناظرة , من شروط كمال الإنسانية .
و كان أرسطو يعتبر من لا يتمكن من حسن الكلام و البيان و توضيح أفكاره و الجدل الحسن , من النازل عن رتبة الإنسانية راسا . و لذلك حتى في الغرب في ما يُعرف بالعصور الوسطى كان تعليم فنون الكلام و الجدل أساسي في طريقة "المدرسيين" . و أما المدارس الحداثية ففي الغرب و مواضع الشرق التابعه له لا تُعلّم شيئًا من ذلك , لأن مهّمتها هي إخراج موظف شركة لا غير , و عبد في مؤسسة لا أكثر , و اي فائدة "للفلسفة" في هذه الأماكن التي هي أخذ الأوامر من فوق و تنفيذها تحت بلا نقاش . و لهذا نجد أن القصور الذاتي الذي ذكره القرءان " و هو في الخصام غير مبين " يكاد هو مرادف للوجود البشري في هذا الزمان .
" و قليل من عبادي الشكور " لنعمة العقل التي أعطيته إياها .
" اعملوا آل داود شكرا و قليل من عبادي الشكور " . آل داود , كل خليفة لله في الأرض .
و لذلك كانت أول النعم التي حمد الله عليها داود و سليمان هي " و لقد ءاتينا داود و سليمان علما , و قالا الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين " بالعلم .
تعلّم كيف تناظر نفسك , فالمناظرة ليست فقط مناظرة الآخرين .
تعلّم كيف تحرر نفسك من السلبيات المقترنة بكلمة "مناظرة" في هذا الزمان , فإنها ليست مجرد "شخص يريد أن يثبت أنه على صواب مهما كلّف الأمر " . فهذه ليست مناظرة , هذه سفاهة و جرأة على الله العليم الحكيم .
تعلّم كيف تصبر على المناظرات , و تحبها , و ترى في نفس عملية البحث و المقارنة و النقد السليم و الهدوء مع أهل الأدب رياضة عقلية و عبادة شرعية و شهوه نفسية و لذّة عينية .
إعادة بناء ثقافة المناظرات العلنية , أولا في المساجد كما كانت على مر القرون , ثم في غيرها , و في كل المواضيع المتعلقة بالعرش إلى الفرش كما كان الأمر على مر القرون , هذه الإعادة من شروط قيام بعثة فردية و جماعية و دولية في بلادنا .
عندما نتعلّم كيف نحلّ أمورنا بالمناظرة بوسيلة الكلمة ,
سنتوقف عن السعي في حلّ أمورنا - إلى حد كبير - بواسطة السلاح و القنبلة .
المناظرة مطلوبة لفوائدها العلوية ,
و فوائدها السفلية .
و طوبى لمن تعلّم فنا له فوائد علوية و سفلية .

" فاعلم " .

...

(المناظرة - مسرح أهل العقل)
كل مناظرة قائمة على الشروط و الآداب المعتبرة , مفيدة و نافعة و مسلّية ,
بغض النظر عن موضوعها .
فإن نفس مشاهدة و استماع و قراءة الحوار فيها و كيفية ترتيب الأفكار و الحجج و التحليلات و التأويلات ,
هذا بحد ذاته رياضة للعقل و تهذيب للنفس و تقويه لها .
المناظرة تشبه و لا تشبه المصارعة ,
تشبه من حيث الاحتياج إلى القوة و الرغبة في ظهور الاقوى (و الأقوى من شرح و فصّل و برهن , و الغالب هو الذي يميل مع الدليل و يُسلّم بالكشف أيا كان الطرف الذي أخرج الدليل و ذكره) ,
و لا تشبه من حيث أن مشاهدة المصارعة سلبية بالنسبة للمُشاهد , سلبية غير فاعلة , بمعنى أنك تستعمل عينك فقط ,
و لكن المناظرة تحتاج إلى مشاركة السامع و القارئ , و حضور الأذهان في المضمون و تأملها .
و كما تضعف الأبدان بقلّة الرياضة , كذلك تضعف الأذهان و النفوس بقلّة المناظرة ,
و لذلك كانت المناظرة في عالم المسلمين التقليديين توازي في أهمّيتها و شيوعها - حسب الظاهر - أهمّية الأوبرا و المسرح و هوليوود عند الغربيين و أين ثقافة محورها الفكرة و الكلمة من ثقافة محورها السلبية والصورة , شتّان ما بينهما .
قرأت اليوم في الورد القرءاني الآية التي تردّ على من ادعى أن لله بناتا , فقالت الآية " أفمن يُنشأ في الحلية و هو في الخصام غير مبين " , ففكرت : ما علاقة " هو في الخصام غير مبين " بقصور مرتبة المخلوق ؟ فرجعت إلى تفسير مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي - رضوان الله عليه - فوجدته يذكر ما معناه أن عدم القدرة و التمّكن من فنون الكلمة و التفكير و المناظرة و حسن إيصال المطالب بوضوح و بيان هو بحد ذاته قصورا في وجود الإنسان . (و في الآية ذاتها , و كذلك في كلام الإمام الرازي , جوابا لمن يظن أنه من الكمال أن " لا ندخل في الخصومة و الجدال " . نعم , لا ندخل في السفاهة و الجهالة , و لكن ندخل في الخصومة الفكرية و المجادلات العقلية , و هل يوجد علم و أدب بلا تمكّن في الخلاف , " و جادلهم بالتي هي أحسن " و " إلا الذين ظلموا منهم " فهؤلاء بالتي هي أخشن , " تبّت يدا أبي لهب و تبّ " , إلا أن الأصل الأكبر هو " ادفع بالتالي هي أحسن ") .
و لهذا تجد أن في لبّ كل منهج تعليمي عند المسلمين التقليديين العوامل التي تؤدي إن شاء الله إلى قدرة الإنسان على أن يكون مبين في خصامه , مرّتب في حججه , مطّلع على مذهبه و مذاهب غيره , ينصف من نفسه و ينصف غيره من إخوانه و نظرائه فإن الإنسان إما " أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق " كما قال حضرة علي عليه السلام .

تعلّم فن المناظرة , من شروط كمال الإنسانية .
و كان أرسطو يعتبر من لا يتمكن من حسن الكلام و البيان و توضيح أفكاره و الجدل الحسن , من النازل عن رتبة الإنسانية راسا . و لذلك حتى في الغرب في ما يُعرف بالعصور الوسطى كان تعليم فنون الكلام و الجدل أساسي في طريقة "المدرسيين" . و أما المدارس الحداثية ففي الغرب و مواضع الشرق التابعه له لا تُعلّم شيئا من ذلك , لأن مهّمتها هي إخراج موظف شركة لا غير , و عبد في مؤسسة لا أكثر , و اي فائدة "للفلسفة" في هذه الأماكن التي هي أخذ الأوامر من فوق و تنفيذها تحت بلا نقاش . و لهذا نجد أن القصور الذاتي الذي ذكره القرءان " و هو في الخصام غير مبين " يكاد هو مرادف للوجود البشري في هذا الزمان .
" و قليل من عبادي الشكور " لنعمة العقل التي أعطيته إياها .
" اعملوا آل داود شكرا و قليل من عبادي الشكور " . آل داود , كل خليفة لله في الأرض .
و لذلك كانت أول النعم التي حمد الله عليها داود و سليمان هي " و لقد ءاتينا داود و سليمان علما , و قالا الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين " بالعلم .
تعلّم كيف تناظر نفسك , فالمناظرة ليست فقط مناظرة الآخرين .
تعلّم كيف تحرر نفسك من السلبيات المقترنة بكلمة "مناظرة" في هذا الزمان , فإنها ليست مجرد "شخص يريد أن يثبت أنه على صواب مهما كلّف الأمر " . فهذه ليست مناظرة , هذه سفاهة و جرأة على الله العليم الحكيم .
تعلّم كيف تصبر على المناظرات , و تحبها , و ترى في نفس عملية البحث و المقارنة و النقد السليم و الهدوء مع أهل الأدب رياضة عقلية و عبادة شرعية و شهوه نفسية و لذّة عينية .
إعادة بناء ثقافة المناظرات العلنية , أولا في المساجد كما كانت على مر القرون , ثم في غيرها , و في كل المواضيع المتعلقة بالعرش إلى الفرش كما كان الأمر على مر القرون , هذه الإعادة من شروط قيام بعثة فردية و جماعية و دولية في بلادنا .
عندما نتعلّم كيف نحلّ أمورنا بالمناظرة بوسيلة الكلمة ,
سنتوقف عن السعي في حلّ أمورنا - إلى حد كبير - بواسطة السلاح و القنبلة .
المناظرة مطلوبة لفوائدها العلوية ,
و فوائدها السفلية .
و طوبى لمن تعلّم فنا له فوائد علوية و سفلية .
" فاعلم " .

....

(مشهد يوم عظيم)
خُيّل إليّ أن جمهور أمتنا الذين عاشوا في المائتين سنه الأخيره ،
كلهم قيام في صحراء القيامه و الشمس تلفح وجوههم ،

و علماء الأمّه في ظلّ عرش الرحمن ،
بعد فتره طويله ضجّ الجمهور لحضره الحق تعالى و قالوا " يا رب ، لماذا أوقفتنا في الحرّ ؟ "
فجاء الردّ بعد ألف سنه : لأنكم عذّبتم العلماء بي .
فقالوا " يا رب ، كيف عذّبناهم ؟ "
فجاء الرد بعد ألف سنه : استمعتم لأعدائي و أقبلتم على الشبهات التي ألقوها عليكم ، و لكنكم تكاسلتم عن الاستماع لأوليائي الذي أجابوا على هذه الشبهات من أجلكم .
فقالوا " يا رب ، فنعتذر إليهم "
حينها تقدّم مجدد كل قرن من القرنين ، و مدّ ظلّه على أهل القرن كلّه

...

(شلل مؤقت)

من شدّه التعب في الأيام الثلاثه الماضيه و التي لم أنم فيها إلا قليلا ، نمت اليوم بثقل شديد . فلما استيقظ في الصباح وجدت يدي اليمين مشلوله ، لا حركه ، مرميه كأنها خرقه مبلوله باليه متدلّيه ، ففزعت ، ثم خطر في بالي أن ذلك بسبب نومي عليها فقد كان كل ثقل جسمي عليها لمده طويله فكان يشكّل ضغطا جمّد الدم فيها تقريبا و حال بين المدد القادم من القلب إليها ، فهدأت ، فبدأت أمسكها باليد اليسرى و أهزّها بقوّه حتى يتحرك الدم الجامد فيها ، و بعد الهزّ الشديد لمده قليله بدأت أشعر بالحياه داخلها ، حتى تحرّك الدم الكامن فيها من جديد ، عاد الأمر سليما ، الحمد لله .
فخطر لي فورا أن ما حدث يشبه بشدّه حال طرف قوي من أمّتنا (اليمين معناها القوّه في العربيه ، "ملكت أيمانكم ") . و هو طرف رؤساء العامّه و الجماهير الذي هم بمثاله الذراع اليمنى للأمّه . و ذلك أنه بعد أن جثم عليهم لّمده طويله ثقل الجسم الغربي و رؤيته الجسمانيه المادّيه للوجود ، و استمرّ هذا الضغط لفتره طويله تقريب من نحو مائتين سنه ، و كما قال شاعر الأسرّيات الحمداني " و ما الناس إلا قطعه من زمانهم " ، فأصبح هذا الثقل عليهم لدرجه أن الدم القرءآني و الروح المحمدي فيهم كمن و توقّف عن الحركه و الحيويه ، و انقطعوا كذلك عن الصلّه بقلب الأمّه و أمدامهم الخفيه و هم رجال الغيب من الأقطاب و رجال الشهاده من الأبدال و الأولياء و العرفاء ، إذ هؤلاء يحتجبون عن الغارق في الطغيان السفلي و إن كانوا بينهم ، و من لا يأتي إليهم لا يأتون إليه غالبا اللهم إلا عملا بقوله تعالى " أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين" . بالتالي كانت النتيجه هي شلل هذا الطرف القوي في عالم الظاهر (اليد رمز العمل ، و العمل ينتمي لعالم الظاهر كما أن العلم ينتمي إلى عالم الباطن) ، فدخلنا في مرحله الشلل .
و لكن هل هو شلل دائم أم مؤقت ؟ الجواب نجده في شئ واحد و هو هذا : إن حصل فزع بسبب هذا الشلل فإنه مؤقت إن شاء الله ، و إن حصلت طمأنينه و شرح الناس صدرا به فإنه يكون دائما كاليد التي قُطعت فانفصلت عن القلب بالكلّيه (الأولياء و العلماء) أو التي تلفت أعصابها لدرجه عدم

قابليتها للاستجابه لأوامر الدماغ و الرأس (الوحي) أو التي جمد فيها الدم جمودا لا أمل في تحرّكه بعد ذلك (الكفر بالذات و إنكار الهويه و الاستسلام للعدو) .
على الأغلب هو شلل مؤقت ، و الذي يحتاجه هو أولا رفع الثقل الجسماني عن هذه اليد ، أي الانقطاع مبدأيا عن أي تأثير خارجي - بالإراده الواعيه للأفراد - حتى يستعيد الناس حسّهم بهويّتهم و حياتهم الخاصه . و ثانيا هزّ الناس هزّا شديدا من الخارج حتى تتحرك دماء القرءان في عروقهم ، و ذلك بتعليم الأولياء و خطب و مواعظ الأصفياء و تذكير العلماء و تنبيه العرفاء . ثالثا الصبر لمدّه تقلّ أو تكثر - و تقلّ إن شاء الله - حتى يستعيد الناس حيويتهم الفطريه و لا يستعجلوا النتائج فإعاده حركه اليد بعد شللها المؤقت يحتاج إلى وقت .
و بعد ذلك ستعود الحياه الغير مصطنعه ، و التقليد الأعمى ، و الحيويه النابعه من القلب للأفراد و الأمّه في معظمها إن شاء الله ، و الحمد لله .

...

(فقدت عذريّتي على "بنات الرياض")

كنت حينها في سنّ السادسه عشر تقريبا ، و لم أكن اقتربت من هذا الصنف من الكائنات من قبل ، و ذلك لأنّي نشأت في بيئه لا تعلم من هذا الصنف من الاهتمامات اللهم إلا ما كان رسميّا و مشهودا به أمام الناس ، و لذلك لم تكن لي صلّه بهذا الكائن من قبل . و لكن أثارت اهتمامي إحداهنّ ، وجدتها في مكان خاص بالصدفه ، و كنت قد سمعت أنها محرّمه و لا يجوز لمسها حسب الشرع و النظام ، ممنوعه ، و حيث أنّي كنت في سن غير واعيه و حين لا تتأدب من الصغر على الآداب العاليه ، فإن نزعه التمّرد سيطرت على نفسي ، فاقتربت منها بنشوه عامره حيث اختليت بها لبضعه أيام حتى قضيت عليها . بعد أن فرغت منها ، شعرت بالقرف ، و كأني أضعت وقتي و جهدي في هذا الأمر الذي لم أقدم عليه من قبل ، فسقط اهتمامي بهذا الصنف من الكائنات ظنا أن البقيه مثل هذه العيّنه .
هذه تجربتي في قراءه أول كتاب من الجلده للجلده !
" بنات الرياض " كتاب سخيف ، روايه محشيه بالكذب الذي لفّقته الكاتبه السعوديه "رجاء الصانع" ، و زعمت فيه أنها تتحدث عن أحداث حقيقيه تتعلق ببنات من الرياض و أحداثهن مع أصحابهن من الرجال و نحو ذلك ، و بطبيعه الحال صدر تحريم من مشايخ السلفيه ضدّه ، و كذلك نما إلى علمي بطريقه لا أذكرها أن الكتاب ممنوع. فلما كان ممنوعا ، و كان فيه نوع من الإثاره السرّيه - و الإنسان يحب كشف الأسرار بفطرته فتأمل - و وجدته ملقيا في بيتنا ، و كنّا في ذلك الزمان صغار نرغب في الدخول في خصوصيات مع المرأه و لا نجدها ، فتجمعت هذه العوامل كلها و دفعتني إلى إتمام الكتاب كله . لم يكن في بيئتي شئ اسمه " قراءه للمتعه " أو أي قراءه خارج حدود المدرسه الرسميه ، فالعلم ما تأخذ عليه شهاده و تحصل بها على وظيفه ، لا أقل كان هذا هو مستوى فهمي الشخصي لبيئتي المباشره في ذلك الزمان . فأن أجلس بالساعات على كتاب لن يمتحنّي فيه أحد و

يعطيني عليه "درجه" معيّنه ، لم يكن مفهوما موجودا عندي . للإنصاف ، فإني استمتعت بالكتاب إلى حد ما ، و في كل كتاب فائده و متعه بدرجه أو بأخرى ، إلا أني بعد أن فرغت منه و عرفت في حينها عن طريق السؤال عن الكتاب أنه قصص ملفّقه (حسب اعتراف الكاتبه نفسها على ما أذكر الآن بعد نحو عشر سنوات) شعرت بأني أضعت وقتي و جهدي في كلام فارغ . (لم نكن في حينها نعرف كيف نستنبط المعاني الجيده حتى من الكلام " الفارغ ") . و احتاج الأمر إلى فتره حتى أخذ المولى بيدنا إلى طريق آخر و عالم آخر من الكتب العاليه .

المعنى ؟

تذكرت هذه القصه حين قرأت في الأخبار الاجتماعيه قبل يومين أن إداره بلادنا الرشيده منعت كتب الإخونجيه كحسن البنّا و القرضاوي و غيرهم من أشباههم ، و طالبت كل الجامعات و المدارس بتسليم ما عندها من كتبهم، و كأني قرأت أنهم سيحرقونها . هذا عمل جوهره سليم ، و هو الرغبه في تخليص مجتمعنا العربي السعودي من آثار الإخونجيه و أشباههم الذين كانوا - من أيام استقبالهم و إعطائهم الكثير من الوظائف التعليميه خصوصا - أحد أهم أسباب سلب الروح و إضعاف العقل من جهه ، و تربيه الأولاد تربيه ثورجيه من جهه أخرى (مثلا بن لادن تثورج - إن صح التعبير - في بدء أمره بتأثير من أستاذه الإخواني في المدرسه - تشرفنا !) . فأصل الرغبه صحيح و سليم . و لكن السؤال هو التالي : هل هذه الطريقه هي الأسلم أم أنه لابد من عمل آخر بدونها أو معها ؟ هل حرق كتب فرقه من الناس - على مر التاريخ و بحسب ما نعرفه من طبيعه نفسيه النوعيه السطحيه السافله من العامّه (و هي النوعيه التي يسعى في خدمتها و التسويق لها أهل الحداثه و أشباه السلفيه و الاخونجيه) ؟ مع الأسف الجواب بحسب علم النفس هو النفي ، و بحسب التاريخ هو النفي المضاعف . فالنفس السافله ترغب في الشئ لأنه ممنوع (كنفسي أيام جاهليتها حين أرادت قراءه سخافه " بنات الرياض ") ، فالأرجح أن أتباع الإخونجيه ، و من غير أتباعهم أيضا ، سينظروا إلى هذا العمل و يتشددوا و يظنوا أنهم "مضطهدين في سبيل الله " و يستمرّوا على وهمهم بصوره أقوى ، و غير أتباعهم الذين ينظرون إلى ما تمنعه الحكومه - أي حكومه ، بالانجليزيه يسمونه Contrarian approach - على أنه خير و حق ، و ما تسمح به على أنه شر و باطل و ناتج عن " مؤامره ترغب في السيطره على الشعب و استعباده " (هذه العباره التي تمثّل تاج أفكار النفوس السافله العامّيه ، و التي يُفسّرون بها حتى ندره ورق الحمامات و عدم نزول المياه في التواليت في الوقت المناسب) . ثم بحسب التاريخ ، لم نجد فرقه مضطهده و سعت السلطات في وقتها في حرق كتبهم ، كاليهود و تلمودهم مثلا في الغرب ، و كثير من أصناف المسلمين في الشرق ، إلا ووجدنا أنهم بقوا و استمرّت كتبهم في الوجود اللهم هذا في حدود اطلاعنا المحدود .

حرق الألفاظ التي في الكتب ، لا تعني نهايه الأفكار التي في القلب .

حرق فكره واحده من القلب تُغني عن حرق جبال من الكتب التي تتحدث عن هذه الفكره .

و نحن اليوم في زمان انتهت فيه الرقابه الفعليه على الكتب و المواد و الأفكار و النظريات ،

الانترنت يجعلك تنزل أي كتاب تقريبا تريده ثم تقرأه على الشاشه أو تطبعه في مكتبه و لعله يكلّف أقل من النسخه المطبوعه رسميا .
منع الناس من الكلام ، و منع الكُتّاب من النشر الحر ، و منع التداول التام للكتب ، إنما يصبّ في المحصّله في مصلحه طرف واحد فقط و هو : الشخص الممنوع من الكلام ، و الكتاب الممنوع من النشر و التداول .
حتى أصبح تُجار أهل صنعه التأليف يعرفون هذا المعنى ، و يقولون : إذا أردت لكتابك أن ينتشر ، فاكتب فيه ما يجعله يدخل تحت مسميات " حرام " و " ممنوع " .
حرق الكتب ينشرها ، و السماح بنشر الكتب الضعيفه مع توعيه الناس يحرقها ،
فهل يمكن لأحد أن يجعلني " أنكح " بإرادتي " بنات الرياض " بعد اليوم !
" ادع إلى سبيل ربك بالحكمه و الموعظه الحسنه و جادلهم بالتي أحسن . إن ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين " .

...

(المعتزله - قمر الملّه)

المعتزله - رضوان الله عليهم - فرقه (بالمعنى الحسن للفرقه) مسلمه أصيله .
وَ مجرد خلافها مع غيرها من الفرق (أيا كان تفسيرك لهذا الخلاف) لا يدل على أنها دخيله ،
لأن كل فرقه تختلف مع كل فرقه بالضروره .
وَ دعوى أنها مستمده من فلاسفه اليونان أو غيرهم باطله ،
ابن سينا و ابن رشد و الفارابي مثلا تأثروا بالفلسفه ،
ذلك يظهر في آثارهم الفكريه و كلماتهم و أنفاس كتبهم بل في الرائحه ،
أما المعتزله فإن أنفاسهم و أساليبهم و ترتيبهم و نظامهم نظام اللغه العربيه و الملّه الإسلاميه .
وَ تمالؤ بعضهم مع السياسه ليس عليهم بحجّه ،
إذ كل فرقه خرج منها من تمالأ مع السياسه ،
بل كان و يكون ذلك في كل فرقه مؤمنه و ملحده ،
ثم إن الغالب فيهم كما هو معلوم بالتواتر هو التقوى و الاجتهاد و النسك و الرياضه ،
فضلا عن أنه ليس من الباطل مطلقا الدخول في السياسه و إداره الدوله ،
و إلا لتوجّه ذلك لكل نبي و ولي كان له ملك و دوله ،
فضلا عن أنه ليس في العقل و أحكام القيمه الأخلاقيه ما ينفي قيمه الاستعانه بالسياسه بالكلّيه .
وَ عدم وجدان قلبك و راحه نفسك في نظامهم و شجرتهم أيضا ليس عليهم بحجّه مطلقه ،
إذ الإسلام حديقه فيها أكثر من شجره ،
" و نفضَل بعضها على بعض في الأكل " و التفضيل بحسب الآكل و ليس الأكله .
فعليك بالاستفاده من المعتزله فإنهم كوكب من كواكب الملّه .
"إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون " .

...

كان النمط العام للناس هو الانشغال بالذكر و الفكر و الشعر ،
فأصبح اليوم هو النمط الخاص لأهل الذوق و معرفه السر .
قال الذين سعوا في تبديل النمط العام التقليدي :
نريد أن نتطور كالعالم الغربي .
بعد أخذ و رد على مر عقود ،
تغيّر النمط العام للوجود .
الآن تطورنا - و الشكر لإبليس و لأتباعه أشباه الخفافيش ،
فأصبح النمط العام للانشغال هو وظيفه و لعبه و سكر و تحشيش .
الثري يقضي نصف يومه في الوظيفه و نصفه في العربده ،
المتوسط يقضي نصف يومه في الوظيفه و نصفه في محاوله تقليد الثري ،
الفقير يقضي نصف يومه في الوظيفه و نصفه في لعن الحياه أو لعبه تشغله .
أخيرا تطورنا ،
و بخصوم الذوق اقتدينا ،
و بأعداء الجمال تأسينا ،
و للراغبين في تدميرنا أسلمنا .
كيف تعرف أنك منبطح تماما على أرض الضعف ؟
أنك حين تقرأ ما سبق لا تشعر بأنك وقعت في خسف .
أم لعلك تقول : صعب علينا ما يدعونا إليه التقليديون ،
فيقول لك الحق تعالى " قل نار جهنم أشد حرّا لو كانوا يعلمون " .
ما هي جهنّم الظاهره في هذه الدنيا ؟
هي نفسيه و محيط الإنسان الغافل عن الحياه العليا .
فإن قلت متبعا للوسوسه : لا تفتنّا ببغض عالم الحداثيين ،
فيقول لك الحق تعالى " ألا في الفتنه سقطوا و إن جهنّم لمحيطه بالكافرين " .
فهل من سبيل إلى الخروج من هذه النار ؟
الجواب : نعم ، بالتخلي عن كل غافل جبّار ،
و الاستغراق - في مبدأ الأمر و في كل وقت - بذكر اسم الواحد القهار ،
و بصحبه المصطفين من عشاق حضره الحق الأولياء الأبرار ،
و لا تنشغل في بدايه الطريق بالخصومات و الدعوه إلى شئ بل عليك نفسك ،
إذ " إنه لحق تخاصم أهل النار " .
بهذا إن شاء الله يصبح نمطك العام هو الانشغال بالذكر و الفكر و الشعر .

...

(هارون و قارون)

زيد و عبيد من سكان مكّة , بجانب الحرم , وقع عليهم العطش الشديد , فأرادوا أن يشربوا الماء .
أما زيد فمشى حتى خرج من مكّة , و سار في الصحراء لمدة يوم كامل , و قاسى أنواع الشدائد , و ركب مختلف وسائل النقل , حتى وصل إلى حدود الأردن , ثم ركب طيارة من الأردن إلى اسطنبول , ثم ركب سفينة حتى وصل إلى اليونان , ثم ركب الباص حتى وصل إلى ايطاليا , ثم ركب طيارة حتى وصل إلى الهند , ثم ركب القطار حتى وصل إلى كراتشي , ثم حاول أن يتعرف على بنت صاحب شركة المياه الكبرى في كراتشي , فبدأ يترصّد لها خارج محلّ عملها , و تعرض للضرب بضعة مرات بسبب ذلك , ثم بعد فترة استطاع أن يلفت انتباهها , ثم عمل ما عمل حتى تحبّه , ثم أحبّته , ثم ذهب لأبيها ليخطبها , بعد تردد و مشاكل وافق الأب , فوقع الزواج , و حين وصل إلى بيت الزوجية استطاع أن يطلب من عمّه الجديد الماء فشرب أخيرا .
أما عبيد فخرج من بيته و دخل الحرم , و توجّه إلى بئر زمزم الشريف و شرب منه مباشرة .
طريق من هو الأسلم , زيد أم عبيد ؟
كل الناس إما زيد و إما عبيد - في المحصلة .
كل إنسان يريد أن يشعر بالكبرياء و العزّة أو أنه مهمّ أو نحوه . (هذا هو الماء) .
أشباه قارون , و طلاب الدنيا للشهرة بين أناس يحتقرونهم و يعتبرونهم دونهم , هم مثل زيد .
أشباه هارون , و طلاب المعنى و المعرفة , هم مثل عبيد .
فتأمل .

...

(السلام العقلي)

على مر أربعه عشر قرنا إلى يومنا هذا ، وجد بين المسلمين ملايين من العلماء و المحققين ، و من بين هؤلاء كلهم ، لم يشتغل بمجادله خصوم الإسلام بشدّه و محاسبه أفكارهم و كلماتهم بسوء الحساب و التدقيق الشديد إلا أشخاص يمكن عدّهم على أصابع اليدين - و الرجلين أيضا .
لماذا ؟
لأننا نكره تحويل الله و الحياه المعنويه للناس إلى ساحه معركه ، فإن هذا يذهب برونق الله و السكينه ،
و لا ديانه بلا سكينه .
فلماذا نجادل أحيانا ؟
الجواب : إنما نجادل و نتشدد في الكلام حين - و فقط حين يتعرض خصوم الإسلام لعامه الناس سواء بإلقاء شبهات عليهم و مغالطات أو حين يحمل خصومنا السلاح علينا بسبب هذا الفكر أو ذاك .
مثال الذين يلقون الشبهات و المغالطات هم - في زماننا هذا - هم أهل الحداثه و الصليبيين .
و مثال الذي يحملون السلاح و يعتدون هم خوارج العصر من السلفيه بشتى أصنافهم و طبقاتهم .

لولا اعتداء هؤلاء و هؤلاء لما اشتغلنا بهم طرفه عين . و لكن بسبب انتشار أذاهم وجب على من يقدر على تبيان مغالطات الحداثيين و الصليبيين و السلفيين ، و كذلك وجب على من يقدر على رد العدوان المسلح للغربيين و السلفيين ، أن يقوم بذلك و لا يتوانى فيه .
و قريبا يزول ذلك إن شاء الله .
فلا يظن أحد أن علماء المسلمين يحبّون هذه المجادلات و المباحثات التي يُراد بها إفحام الخصم و بهته ، و كشف عورته و فضحه .
بل السائد عند أهل التحقيق منهم أنهم يعرفون إيجابيات خصومهم و يقرّون بها بلا تردد ، كما علّمنا القرءآن و السنه و منهج العرفاء .
و " السلام على من اتبع الهدى " .
" كتب عليكم القتال و هو كره لكم " .
....

(طريق " الحقيقه ")
أولا , افتح التلفزيون .
ثانيا , شاهد ما يقوله المذيعون .
هكذا تعرف " الوقائع " .
ثالثا , كلما تكرر الكلام عن شيء , فهذا يعني أنه يحدث كثيرا ,
و كلما قلّ الكلام عن شيء , فهذا يعني أنه يحدث قليلا ,
و ما لا يتحدث عنه الإعلام الرسمي الغربي فهو غير موجود .
كيف يطلب جماهير الحداثيين المعلومات عن العالم .

...

(الذكر في الزمانين)
دخل مريد على أحد العرفاء ،
و قال له : أنا في حاله غم بسبب قلّه أهل الطريقه في العالم .
فقال العارف : إنهم كثر و لكنهم مستورين ، إلا أنه على فرض قلّتهم فإن هذا خير لك .
فتعجب المريد و قال : كيف ؟
قال : ألم تسمع بغزوه بدر و شرف الأصحاب الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه و آله سلم فيها ؟
قال : نعم ، و ما علاقتها بهذا الأمر ؟
قال : إنّ من سلك الطريقه في وقت تكاثر الحجب و أهلها أعظم ممن سلكها في وقت تكاثر الأنوار و أهلها . فالسالك بين أمرين كلاهما حلو ، إما أن يكون الغالب على زمانه أهل النور فيسعد بسلوكه و يسعد بزمانه . و إما أن يكون الغالب على زمانه أهل الظلمات فيسعد بسلوكه و يعتبر صبره على

الإعراض عن حال زمانه و تقليدهم في ميزانهم مع أعظم المجاهدين المعنويين . ، شرف ذاكر الله في زمان الغفله فوق الوصف كما بيّن أطراف منه مولانا النبي عليه الصلاه و السلام . فاطلب الطريقه للحق تعالى ، و ما عليك بما سوى ذلك فإنه خير لك على أي وجه يكون . " و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و إن الله لمع المحسنين " .

...

هذا هو الفرقان الأعظم ،
كل ما يجعلك تذكر الله فهو حق و خير ،
كل ما يجعلك تغفل عنه و تنشغل بمخلوق ما فهو باطل و شر .

...

كنّا جلوسا في أحد الأيام مع مجموعه من الأصحاب ، فجاء شاب جديد مع أحدهم ، و حيث سمعنا نتكلم في موضوع تقليدي ، قال " نحن في القرن الحادي و العشرين و أنتم لا تزالون تتكلمون عن التقاليد الدينيه الباليه!"

فقلت له متبسّما : من أين أتيت بهذا الرقم " الحادي و العشرين " الذي حسبت به زماننا ؟

فقال : هو تاريخ ميلادي .

قلت : نعم ، ميلاد من ؟

قال : حسب قول المسيحيين هو ميلاد المسيح .

فقلت : ألم نتفق من البدايه على أن كلام الديانات بال ، فما بالك تآخذ بتاريخ ديانه باليه ؟

فأحرج و تلعثم .

فقلت له : ألست تتبع الحداثه الغربيه ؟

قال : نعم .

قلت : و هذه بدأت رسميا قبل نحو ثلاثمائه إلى أربعمائه سنه صحيح ؟

قال : نعم مع الثوره الفرنسيه تحديدا .

فقلت : إذن أنت حسب ميلاد حضارتك الخاصه في القرن الرابع و لست في القرن الحادي و العشرين ، ألا تشعر أنك لا تزال طفلا في ميزان الحضارات ؟

فضحكنا قليلا و ضحك هو أيضا .

ثم قلت : ما معنى أن تربط بين فتره زمنيه معينه و بين قيمه الفكره أو الموضوع ، فإن الفكره أَو الكلمه لا يِحكم عليها بأنها قديمه أو حديثه ، و إنما يُحكم عليها إن كانت تحكي عن الوجود بأنها حق أم باطل ، و إن كانت تحكي عن السلوك بأنها نافعه أم ضاره ، فأي معنى لربطك إذن بين أسلوب عدّك للزمان و بين الفكره ؟

فسكت ثم قال : المهم أننا تقدّمنا و الزمان تغيّر فلابد أن نتغيّر معه .

قلت : زمانك أنت تغيّر ، و لكن زمان مليارات من الناس التقليديين أو الراغبيين في هذه الحياه التقليديه لم يتغيّر. و نحن كلنا نعيش من حيث الظاهر على هذه الأرض و في نفس " الزمان " ، فأي جرأه هذه على أن تحتكر حق التكلم باسم الزمان ككل ، و أي سوء أدب هذا في الكلام مع الناس .

قال : كيف يتغيّر زماني و لا يتغيّر زمانك ؟

قلت : الزمان هنا عباره شخصيه ، أي هو عباره عن حالتك الذهنيه و النفسيه و الجسمانيه في وقت معيّن . فيوجد أزمان بعدد وجود أشخاص بني الإنسان . و الزمان كما قال حضره علي عليه السلام " إذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان " ثم حسب تأويل باطن قول علماء الأصول " تتغير الأحكام بتغيّر الأزمان " . بالتالي الهرم ثلاثي ، السلطان ثم الزمان ثم الأحكام - بالمعنى الواسع للأحكام . فأنتم زمانكم تغيّر لأن سلطانكم تغيّر . فلمّا أصبحت السلطنه العلميه و الحكميه بيد أناس مستواهم هو أسفل سافلين - و هم تجار الغربيين و عوامّهم و سفلتهم - أصبح زمانكم مظلما كذلك . و أما نحن فسلطنتنا تابعه للقرءان و الرسول و أولياء الله ، و هو خط مستمر منذ نزول القرءآن و بعثه الرسول إلى يومنا هذا و إلى يوم القيامه إن شاء الله . فكل زمان تابع للسلطان. فحين تقولوا للناس " نحن الآن في قرن كذا فيجب أن نؤمن بكذا و نعمل كذا " فإنكم في الحقيقه تدلسون و تضحكون على السذج لكي يقبلوا منكم سلطانكم و يخضعوا له ، لعلمكم بأنكم إن قلتم أن المعيار الحقيقي في تغيّر الأزمان هو تغيّر السلطان سيرفض كثير من الناس و يقولوا أن لهم سلطانا آخرا ، فحتى توفروا على أنفسكم عناء إخضاع الناس لسلطانكم أخفيتم هذا الأساس و نسبتم مطالبكم لعباره سخيفه لا معنى محقق لها بنفسها و هي "نحن في قرن كذا" و كأن هذا شئ له معنى أصلا .

ثم تغيّر الموضوع .

...

(على العموم)

أنا أعيش في بلد ,

أستطيع أن أعيش بمبلغ يسير شهريا بلا ضيق ,

لا أدفع ضرائب على منزلي و أشيائي ,

يوجد سكينة عامة و هدوء في المجتمع ,

أستطيع أن أفعل داخل بيتي ما أشاء و خصوصيتي محفوظة (و سمة الملوك الخصوصية)

أستطيع أن أطلب العلم و أشتري الكتب بأرخص الأثمان و أيسر الطرق ,

و أستطيع أن أرفع رأيي و شكواي إلى المسؤولين إن رغبت في ذلك في أي وقت ,

و لكني لا أقولم " بالتصويت " لانتخابات رئاسية , و لا يوجد عندنا ضجيج الأحزاب .

بينما في الطرف المقابل ,

يوجد من يملك حق "التصويت" (وهو مجرد "تصويت" بالمعنى الحرفي ! غالبا)

و لكن ينلعن جدّه في الشغل ليعيش قريب من خط الاعتدال بل يُتاخم الفقر من شهر لشهر ,
يدفع ضرائب حتى على منزله ,
يوجد ضجّة و حركة شديدة في المجتمع كالسباع المسعورة لا تعرف الهدوء إلا قليلا ,
يستطيع أن يقوم بأخص أعماله أمام الناس في العلن (و سمة الهمج العمومية)
مشغول بديونه و الاغراءات السطحية حوله و النمط العام المحموم فينشغل عن أي شيء له عمق إلا قليلا ,
يستطيع أن يقوم بمظاهرات بترتيب و تنسيق مع السلطات غالبا .
ملاحظة : إن كانت هذه هي التكلفة , فليذهب التصويت و القيام بالمظاهرات الغوغائية و كشف العورة أمام الناس للجحيم !

...

(على العموم كذلك)
بلاد الشرق الصحيح سلحفائية في المشي و نمط الأعمال ,
و هذا يضمن سكينة في المعيشة من جهة ,
و يضمن سهولة البروز و التميّز من جهة أخرى ,
و يضمن عدم شعور أكثر الناس - و الأكثرية شرقا و غربا "عاديين" - بأنهم حقراء و تافهين .
بينما
بلاد الغرب فهدية الجري و نمط الأعمال ,
و هذا يؤدي إلى غليان المجتمع من جهة ,
و صعوبة التفوق من جهة ثانية و بالتالي يميل عموم الناس إلى اليأس و التشاؤم و حب السخافات (لاحظ تقديرهم مثلا ل "نجوم" الرياضة و السينما و الغناء , مقارنة مع تقدير جماهيرهم لأرباب فكرهم و علومهم و أدبهم الصعب) . و نتيجة ذلك "العاطفية" بأسوأ صورها .
و يضمن وقوع أكثر الناس في مقت الذات و الرغبة في الهروب منها إلى ما ينسيهم أنفسهم من قبيل المخدرات بأنواعها و أشكالها و غير ذلك من صور الهروب من النفس حيث أنه" لا قيمة لها في المجتمع " .
مرة أخرى : لتذهب "الحركة" للجحيم إن كانت هذه هي التكلفة .

...

(معجزة) : القدرة على احترام إنسان يستطيع أن يجد عيوب نفسه و تقاليده و بلاده و لو كان العيب تحت سابع أرض ,
و لا يستطيع أن يجد عيوب غيره و عاداتهم و بلادهم و لو كانت أمام عينه و صفعته على وجهه ,

مثل هذا قد بلغ مرتبة الفحش المحض .

...

(مساواه .. و لكن)

للإنصاف , في الغرب مساواة رائعة بين جميع الناس و منه تعلم العالم المساواة ...
إلا في الوظائف و الشركات حيث يوجد سلّم وظيفي و طبقات في الرواتب و الامتيازات ,
و إلا في المدارس و الجامعات حيث يوجد درجات و دركات و مستويات ,
و إلا في السياسة حيث يوجد سلطات و هيئات و رئيس و مرؤوس في جميع الجهات ,
و إلا في الجيش حيث يوجد قائد و عسكري و ما بينهما من الرتب و الأوسمة و التشريفات ,
و إلا بين بلدان العالم في الأمم المتحدة حيث البعض له حق الفيتو مثلا و البعض مجرد مشاهد كالفتيات ,
و إلا في هوليوود فبالبعض يأخذ أوسكار و يُعطى نجمة في هوليود بوليفارد و لكن أكثرهم مجرد كمبرسات,
و إلا في الجمال البدني للنساء و الرجال حيث يوجد "ملكة جمال" و يوجد .... نسأل الله السلامات ,
و إلا في الثروات فـ1% في أمريكا مثلا يملكون نصف الأموال و العقارات و كثير يأكلون من الزبالات ,
و إلا في الانجازات العلمية الطبيعية و الاجتماعية فبالبعض يأخذ جائزة نوبل و الأكثر حدّه شهادات ,
و إلا في , و إلا في , و إلا في ...
لكن على كل حال , يوجد مساواة , لا تفكر و لا تسأل و لا تثير الشبهات !

...

(ليل و نهار الإنسان الكامل)

كل الحِرف متساوية من حيث حاجة الناس لها جوهريا ,
فلولا عامل النظافة لما استطاع طبيب أن يخرج من بيته بل و لا يسكن فيه ,
و لولا الطبيب لما تجرأ صاحب عمل خطر أن يعمل فيه ,
و لولا صاحب العمل الخطر لما تنظمت بعض الأمور الصعبة و تيسرت .
فلا تفتخر بحرفتك , يكفيك أن تتقنها و كفى .
العبرة ليست بالحرفة , و لكن بالمعرفة .
و لذلك كان - و لا يزال - علماء المسلمين التقليديين يعملون في "أدنى" الحرف ايضا ,
بل كان بعض كبار أولياء الله يعمل في "أحقر" الوظائف ,

بل يحمل في اسمه اسم حرفته ! (النساج , الاسكافي , الخراز , الغزالي .. الخ) .
و من علامات - و ما أكثر علامات - سفالة العالم الحداثي ,
أن أغلب البشر يقيدون تعريفهم لأنفسهم بحرفهم و كيفية كسبهم لمعيشتهم ,
بل الأسوا , أن هذا هو حديثهم و شغلهم الشاغل ليل نهار في كثير من الأحيان .
بل البعض لا يرى قيمة في الشخص إلا بحسب حرفته , و هذا الانحطاط التام .
" أين تعمل ؟ "
سؤال مستفز !
" أعمل عند ابليس ..و أنت أين تعمل ؟ " يبدو أنه جواب مناسب .
أنت بقدر معرفتك , و ليس بقدر حرفتك .
و هذا معنى " النبي الفلاني كان نجارا , و ذاك كان راعي غنم ..الخ "
حتى يُعلموا الناس أن يتقنوا حرفهم و لكن لا يتماهوا معها ذاتيا و ينحصروا في حدودها .
" يرفع الله الذين ءامنوا منكم و الذين اوتوا العلم درجات " و لم يقل : يرفع الذين درسوا الطب و القانون و الهندسة و تولوا المناصب و الإمارات . هذه كلها جيدة و لازمة , و لكن لا تجعلها سجنا بل اجعلها وسيلة .

...

(كاد أن يغلبني)

قال لي مرّه واحد قرأ شئ من كتبي و سمع شئ من كلماتي المضاده بشدّه للسلفيه و الحداثيه و الصليبيه ،
فقال لي : ألم تقل أنه يجب على الإنسان ليعرف بعض الأشياء أن يعيشها و يغوص فيها و يجربها و أن المعرفه ليست مجرد عمليه ذهنيه خالصه ، فكيف تجيز لنفسك أن تنتقد السلفيه و الحداثيه و الصليبيه ؟
فقلت : صدقت ، إلا أنه لعدم علمك بأحوالي الشخصيه صدر منك هذا الاعتراض الجميل .
أما الحداثيه فعشتها لسنوات بغير وعي و بضع سنوات بوعي ، و كذلك درستها و لا زلت أدرسها كفلسفه و كذلك أعيش وسط مجتمع فيه من الحداثيين عدد لا بأس به . فلي الحق الكامل - من حيث الممارسه و الدراسه ، المعايشه - في الكلام عنها .
أما السلفيه الأمر غني عن البيان ، فإني أعيش وسط أناس يغلب على كثير منهم النزعه السلفيه ، فضلا عن أني عشت شئ منها لفتره و إن كان الله قد عصمنا من الانجراف فيها إلا أننا عشنا شئ من أساساتها المعتبره ، و كذلك درستها و لا زلت أدرسها . فإذن أيضا لي الحق الكامل- من حيث الممارسه و الدراسه - في الكلام عنها.
فسكتّ .
فقال لي : فماذا عن الصليبيه ؟

فقلت : لي نصف حق الكلام عنها من حيث الدراسه الجادّه ، الدراسه الراغبه في الفهم كفهم أي ملّه أخرى و ليس فقط الصليبيه ، و ليس الدراسه الراغبه في الاستهبال و الرقاعه و سوء الأدب ، و كنت على ذلك لسنوات كما يعرف عنّي من يعرفني جيدا . و كنت لا أجيز لنفسي الكلام إلا من باب البيان و ضرب الأمثله في بعض المسائل ، و أما من حيث النقض و الردّ و المجادله فكنت لا أجيزه لنفسي كما لا أجيز لها التدخل في أي ملّه لا أعيشها و أمارسها فعلا لأتذوق المعاني التي تأتي من ممارستها . إلا أنه قبل بضعه سنوات ، بدأت أطّلع على جماعه من الصليبيين و سوء أدبهم الشديد مع المسلمين ، و بدأت أطلع على المغالطات و الاستهبال و المجادله الساخره التي يوجهونها نحو المسلمين و غير المسلمين أيضا . فحينها فقط أجزت لنفسي من باب "جزاء سيئه سيئه مثلها" أن أضعهم تحت نفس الموازين التي يضعون هم فيها غيرهم ، إلا أننا ننصف غالبا و هم يتعسفون غالبا إن لم يكن دائما . فإنما أتكلم عنهم بالنقض مقابله لسيئاتهم بمثلها ، و لإظهار إمكانيه ذلك منّا كمسلمين حتى لا يتوهم المتوهم أننا أضعف من أن نرد ، فكثير من الناس يظن أن عدم الرد يعني عدم القابليه على الرد ، و لا يفهم أنه سكوت من باب الشفقه و الاستصغار للخصم ، و رغبه في تجنّب نار القتال الفكري ، و تنزيها للديانه من أن يقع فيها مثل هذا خصوصا في هذا الزمان .
فرضي ، بعد أن كاد أن يغلبني باعتراضه .

...

الأشعار للإنسان ,
كالأشجار للطيور : عليها يبنون بيوت مذاهبهم و يستقرون عليها بعد طول بحوثهم و الطيران في هواء الأفكار بعقولهم .
الوحي نزول الحق للإنسان ,
الشعر صعود الإنسان للحق .
و للشعراء لسان يستمد من الغيب , و إن كانوا لا يشعرون .
الوحي رؤية الوجود بعين الرحمن ,
و الشعر رؤية الوجود بعين الإنسان ,
فإن كان الإنسان موصولا بالوحي كان شعره مصبوغا بزيت القدس,
و إن كان الإنسان غير موصول بالوحي بوعي كان شعره عظيما و لكنه دون الأول .
و من هنا : من أعظم ما يمكن أن يحصل عليه طالب معرفة هو ديوان من الشعر الأصيل .

سُئلت سؤالا بخصوص هذه الفقره يقول : كنت اقرأ في كتاب وكان فيه أن نبينا محمد كان يبغض الشعراء وقارنهم بالكهان ! ماذا ترى !
فأجبت : و يوجد أيضا روايات عن نبينا محمد أنه كان يحب استماع الشعر . المعنى ؟ الشعراء الذين يعادون الأنبياء - من حيث معاداتهم - أشرار . و أما الشعر فهو كلام عربي موزون , فهو من طرق

نشر اللغه العربية - لسان القرءان و النبي - فهي خير محض من هذه الحيثية . ثم قد يعادي البعض الشعراء من حيث أنهم يتكلمون عن الوجود من حيث رؤيتهم الإنسانية المبتورة عن الوحي حسب الظاهر , بالتالي حين يأتي الأعلى - أي الوحي - يجب أن يخضع له الشعر . فتأملي

...

القول بأن الكتاب هو حبر و ورق ،
كالقول بأن الإنسان هو ثياب و جلد ،
نظره مختزله .
لكل كتاب كامل جسم و نفس و روح و سر .
و لذلك تكفي نظره واحده على الكتاب لمعرفه كل ذلك عنه أو أكثره ، حسب مستوى الناظر .
من هنا قال الشاعر المحقق واصفا لكاتب كامل :
" و إذا دجت أقلامه ثم انتحت ... برقت مصابيح الدجى في كتبهِ
باللفظ يقرب فهمه في بعده ... منّا و يبعد نيله في قربه
و كأنها و السمع معقود بها ... وجه الحبيب بدا لعين مُحبّهِ "
فالكتابه عند الشاعر عمل أصله سماوي إشراقي ،
{ و إذا دجت أقلامه } أي غابت في المحبره ، إشاره إلى استغراق عقله في عالم الغيب ،
{ ثم انتحت } بعد أن امتلأت بالمعرفه و توجّهت لعالم الشهاده ،
كانت النتيجه هي { برقت مصابيح الدجى في كتبه } فالدجى هو ليل الجهاله ، و كلماته مصابيح كالكواكب ، و كتبه هي سماء العالم .
{ باللفظ يقرب فهمه } ففهم حقيقه الكاتب و المتكلم تكون بوسيله الألفاظ التي يعبّر بها عن روحه ،
{ في بعده عنّا } أي وإن كان بعيدا عنّا باعتبار المسافه الجسمانيه ، فالكلام صوره هويّه المتكلم ، و ملامسه كلماته هي تواصلنا مع ذاته ، و من هنا قال عن القرءآن " لا يمسّه إلا المطهرون " .
{ و يبعد نيله في قربه } النيل هو الاحاطه بذاته ، فالكلمه كما أنها تكشف الهويه فإنها تحجبها ، كشف من جهه و حجب من جهه ، و لذلك و إن كان الكاتب أو المتكلم قريبا منّا من حيث ظهوره بالكلمات أو قربه الجسماني ، فإن نفس حجاب الكلام يبعده منّا ، لأن اللفظ مهما كان لا يوصل إلى عين صاحب اللفظ كما أن قول "نار" لا يحرق اللسان حسب الظاهر .
{ و كأنها } أي كأن ألفاظه { و السمع معقود بها } فالسمع رابطه ، و بحصول هذه الرابطه التي تعقد بين المُتكلم و السامع يأتي الكشف الأكبر و هو ظهور { وجه الحبيب } و هذا سرّ القراءه ، و هو صله القارئ بوجه أي حقيقه الكاتب و المتكلم العلوي ، و لكن بشرط أن يكون القارئ حاصلا على رتبه { بدا لعين مُحبّه } أي أن يكون وجود الحب سابقا على القراءه أو السماع . فالحب صله السر بالسر ، و الوعي بالهويّه وعيا كشفيا حضوريا غيبيا ، ثم بعد ذلك يمكن للقارئ أو السامع أن يرى

{ وجه الحبيب } في عين كلامه . و هذا هو أعظم ما يمكن أن يطلبه قارئ القرءان و سامعه ، ثم كل ما هو من لدن القرءان من كتب تظهر بها وجوه الأنبياء و الأولياء الكُمّل .
هذه قيمه الكتاب ، و الكاتب ، و القراءه ، كما عقلها علماء المسلمين على مرّ القرون .
فهمت سرّ الهوس بالكتب عندهم ؟

...

قال أحد العرفاء في مجلس : أنا لا أحلم إلا بأمور قبيحه مزعجه معقده خرافيه .
فقال أحد الحاضرين : كيف يمكن ذلك لواحد في مقامكم ؟
فقال : لأني في اليقظه لا ينظر عقلي إلا في الأمور الجميله الهادئه البسيطه الحقيقيه ، فلما أنام تحتاج نفسي إلى التوازن ، فتبدأ في تصوير عكس حالتي الاعتياديه في اليقظه ، و بذلك تعيش في التوازن ، فإن النفس من رتبه الزوجيه ، و لأنها كذلك فإنها لا تصلح إلا بزوجيه الرغبه و الرهبه ، و اللطف و القهر ، و الأمن و الخوف ، و الحقيقه و الخرافه ، و لذلك لا تستقر النفس إلا بحصول شئ من هذين فيها ، فهي مثل الطائر و اللطف و القهر جناحيها ، فالعامّه يخلطون في يقظتهم غالبا بين اللطف و القهر و لذلك تختلط أحلامهم بين اللطف و القهر ، أما الخاصّه فيقطتهم خالصه للطف فتكون أحلامهم خالصه للقهر . "يابني إني أرى في المنام أني أذبحك" .

...

من أنواع الحكم على الشعر ، "مطبوع و متكلف" . المطبوع يعني أنه يخرج تلقائيا و عفويا من صلب طبع و قلب الإنسان ، المتكلّف هو الذي يصنعه صنعا بعد محاوله ذهنيه لجعل الشعر مطابقا للموازين و الأصول الموضوعه .
سأل نقاد الشعر من الأوائل : كيف نميّز بينهما ؟
فتوصلوا إلى أجوبه من أهمها هو التالي - و هنا محل الشاهد من القصه : إذا كان "كل" شعر الشاعر ممتازا فهو متكلّف ، و لكن إذا كان بعضه ممتازا و بعضه متوسطا و بعضه رديئا كان مطبوع !
و هكذا نعرف كل متكلم و كاتب إن كان مطبوعا أو متكلفا . و أنا أستعمل هذا في غربله من أريد أن أسمع لهم أو أقرأ لهم . فإن وجدته متكلفا جعلته في الدرجه الثانيه ، و إن وجدته مطبوعا يأتي بعض ما يلقيه في الدرجه الممتازه و بعضه في المتوسطه و بعضه في الرديئه كان عندي في الدرجه الأولى .
المتكلف يصدر عن الذهن فقط ، المطبوع يصدر عن الذهن و النفس و البدن ، و الحياه فقيره إن كانت فقط صوره ذهنيه .
" و فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذّ الأعين و أنتم فيها خالدون " .

....

أنا القرءان

(تمهيد)

بسم الله الرحمن الرحيم " إن الذي فرض عليك القرءآن لرآدك إلى معاد ، قل : ربي أعلم من جاء بالهدى و من هو في ضلال مبين " .

ما معنى " حور عين " ؟ على أحد الاعتبارات ، هي الحقيقه القرءآنيه التي تعقلها أنت و لم يسبقك إليها أحد . فكلمه " حور " عكس كلمه "روح " ، و الروح ما يتنزل من أعلى إلى أسفل ، " يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده " ، و بالتالي يكون العكس هو ما يصعد من أسفل إلى أعلى ، فهو "حور " في الصوره . كما أنه في المرآه تظهر اليد اليمنى يسرى ، و اليسرى يمنى . و الأعلى هو الحق الذي يتجلى في المرآه ، و أما ما يظهر في المرآه الذي هو الأسفل يعتبر الصوره المعكوسه له . و القرءآن هو الروح ، " كذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا " ، و الغايه الأساسيه من القرءآن هي عقله ، " إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون " . و العقل عين ، هي عين القلب التي بها يبصر الحقائق و يشاهد المعاني ، "صم بكم عمي فهم لا يعقلون " . فإذن ، " حور عين " هي عقل الروح . و لهذا ضرب مثل لهن فقال " كأمثل اللؤلؤ المكنون " كما ضرب المثل للقرءآن فقال " في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون " و عكس الطهاره الرجس و النجاسه ، و قال الحق " و يجعل الرجس على الذين لا يعقلون " . فالكتاب هو اللؤلؤ ، و المعنى هو المكنون ، كما أن المثل هو اللؤلؤ و الممثول هو المكنون فيه . و كذلك ضرب مثل لهن فقال " لم يطمثهن إنس قبلهم و لا جآن " ، فهو فتح بكر ، عقل خاص لم تسبق إليه . و كل قرءآني ، حتما و بضمان الله تعالى ، سيكون له " حور عين " . و هذا متفرع على حقيقه أن القرءآن هو البحر الأعظم ، بل بحار الأنوار و محيط الأسرار ، الذي لا تنقضي عجائبه ، و لا تفنى غرائبه ، و لا تنتهي معانيه ، و لا حد لما يعطيه ، " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي و لو جئنا بمثله مددا " . و الإنسان من حيث أنه فريد ، و له حقيقه متميزه عن باقي الناس فضلا عن باقي الخلق ، و لكل ذات حقيقه متميزه عن باقي الذوات ، و لولا هذه الحقيقه المميزه لما كانت "ذات" مفارقه لبقيه الذوات ، و لو بأدنى اعتبار . فالفروق السماتيه هي التي تسبب تعدد الذوات . و لا يشعر إنسان أنه كمل أو حقق نفسه بالفعل في مرتبه دنيا كما يعرف نفسه بالقوه في مرتبه عليا ، إلا إن قام بأمر لم يسبق إليه ، كائنا ما كان هذا الأمر ، و بالطبع تعلو فرحته كلما كان هذا الأمر أجل و أكبر . و بما أن العلم هو أعلى قيمه و أشرف المقامات ، و العلم له درجات ، أعلاها هو العلم المقدس النبوي المتمثل في القرءآن ، فإذن أكمل ما يكمل به الإنسان هو العقل القرءآني ، و كل العقل القرءاني عظيم ، سبقت إليه أم لم تسبق إليه ، فليس في الحقيقه تنافس سلبي من هذا النوع الطفولي الخطير ، الذي إن لم يعيه الإنسان قد يؤدي إلى أن يحرف القرءآن حتى يستخرج معنى "لم يسبق إليه" . نعم إن الإنسان قابل لأن يدخل جهنم حتى يشعر أنه متميز و متفوق . و الحمد لله فإن في بسط القرءآن سعه ، و في معارفه عظمه ، تكفي لأن تمنح كل صادق مفتوح عليه لأن يجد حور عينه الطاهره . فإن تلك المعاني التحريفيه - عن عمد أو عن شبه عمد، و شبه العمد هو الدافع اللاشعوري القائم على نمط نفساني يريد الظهور مهما كلف الأمر - هي أيضا على اعتبار " حور عين " و لكنها نجسه و مليئه بالرجس ، و قد ذكر القرءآن أن الحوريه التي لأهل الجنه طاهره و مقدسه عن مثل ذلك الرجس . و

حسب الإنسان من العظمه أن يلزم الحق و لو لم يحقق كبرياؤه ، فإن في لزوم الحق كبرياء كاف لمن عقل . أليس "أكثركم للحق كارهون " . فإذن عبد الحق من القله ، بمجرد عبادته للحق و إخلاصه له . أما الفرعنه و الابلسه ، و إن كان الفرعون أو الإبليس يشعر بأنه مميز و متفوق ، و لكنه في الواقع يسكن داخل نمط نفساني شائع و "عامي" جدا . نعم هذا الفرعون أو ذاك الابليس قد يكون أظهر و ملك من الصور السفليه ما لم يملكه غيره ، فيشعر لذلك أنه متميز و متفوق ، و لكنه- و كالعاده - هذا اعتبار سطحي جدا ، فإن النمط النفسي و الحال القلبي هو مدار الأمر ، و أما وجود صور مظهريه تكشف عن هذا النمط و الحال ، فإنه أمر ثانوي و فرعي ، الأصل هو النمط النفسي و المقام القلبي . و نمط الفرعنه و مقام الابلسه شائع و عامي جدا . "أكثركم للحق كارهون " و "إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا " . الرفعه بعباده الحق و الإخلاص للعلم المتعالي . و العلاقه بينهما متساوقه متلازمه ، فحيثما وجدت أحدهما وجدت الآخر معه بالذات ، فهي سمات لشئ واحد . لن تجد عابد للحق إلا و ستجد عنده علم الحق . و الحق أحق أن يتبع ، و إن كان ما دونه حق أيضا ، و لكن للحق مراتب ، مثل كل سمه وجوديه لها مراتب ، و الحق المتعلق بالمثل القرءآنيه هو الأعلى ، و ما دونه "دونه" حتما .

هذا الكتاب يدور حول كعبه " أنا " . أي دراسه كل " أنا " وردت في القرءآن . فاستقصيت الكتاب العزيز كله ، و ظهر لي التالي : يوجد ٢٠ ذات قالت " أنا " . في ٦٨ موضع . أول أنا هي التي صدرت - و هذا أمر بديهي في العرفان - من الله تعالى . ثم ملاك واحد . ثم ست أنبياء . ثم ثمانيه من الناس الذين يغلب عليهم الصلاح و الإيمان . ثم أربعه كفار . و هذه هي الأسماء بالترتيب : الله و ملاك مريم و النبي الخاتم و ابرهيم و هود و موسى و نوح و يوسف و ابن ءادم المقتول و زوج ابرهيم أم اسحاق و صاحب يوسف ساقي الخمر و امرأه العزيز و صاحب الجنه المؤمن في الكهف و جني سليمان و عالم الكتاب عند سليمان و مؤمن آل فرعون و كافر ابرهيم في سوره البقره و ابليس و فرعون و كافر الجنه في سوره الكهف . الله تعالى قال "أنا" ١٦ مره . و الكفار الأربعه قالوا بمجموعهم "أنا" ٩ مرات . و الأنبياء و أهل الصلاح قالوا "أنا" ٤٣ مره . و أول ما نتعلمه من هذه الاحصائيه هو أن قول "أنا" على العموم - و التفصيل سيأتي إن شاء الله في ثنايا الكتاب - يصدر من أهل الإيمان و النور أكثر مما يصدر من أهل الظلمات و الكفر . فالدين لا ينفي الأنا ، و الكفر لا يعني بالضروره الإكثار من قول أنا . مدار الأمر على سمه الأنا و ليس كثرتها أو قلتها . و هذا الكتاب هو دراسه لهذه السمه ، أو السمات . فالأنا تعبير عن الذات ، عن الوعي بالذات ، و عن تمثلات و تجليات هذه الذات . و على ذلك يمكن أن نقسم هذا الكتاب - كما هو تقسيم الوجود و الكون نفسه - إلى أربعه أقسام :

القسم الأول متعلق بالله تعالى . الذي هو المبدأ و المعاد . و كل ما دونه فهو "دونه" و منه و إليه و به . فالعلم بالله أول العلوم و مظله كل العلوم و الأحكام . إذ بحسب ما يكون في الحق يمكن أن يظهر في الخلق . و يستحيل أن يوجد في الخلق ما ليس له مبدأ في ذات الحق . " الله خلق كل شئ و هو على كل شئ وكيل " . و هو من أسرار خط اسم الخالق في نهايه سوره الحشر هكذا " الخلق " بلا ألف بعد حرف الخاء . لأن الخالق عين الخلق ، و ليس في الخلق إلا ما هو في الخالق على مستوى أرفع بالطبع . و لهذا كان دراسه "أنا" الله هي مفتاح فهم و تفسير كل أنا سواه . إذ كل أنا سواه مستمده من أناه ، بحسب مستوى الخلق و رتبته و ظروفه .

القسم الثاني متعلق بالرسل سلام الله عليهم . سواء رسل الملائكه أو الناس . و قدمنا ذكر رسل الملائكه على رسل الناس لتقديم الله إياهم في قوله " الله يجتبي من الملائكه رسلا و من الناس " ، و لكن في حال خاتم النبيين يوجد استثناء في هذا التقديم نذكره في موضعه إن شاء الله . و مجموع الرسول الذين قالوا أنا سبعه ، ملاك واحد و سته من الناس . و هذا القسم متعلق بالنفوس التي كملت ذواتهم في أنفسهم و في علاقتهم بالحق الذي فوقهم سبحانه . فمن نورانيه أنفسهم نستطيع أن نعرف كمال الأنا عند الإنسان الكامل .

القسم الثالث متعلق بالمؤمنين و البشر عموما . و هذه الفئه هي الأقرب إلى الرسل ، من حيث التبعيه لهم ، أو من حيث انعكاس شئ من أحوال الرسل فيهم . و الاستثناء الذي يمكن أن يطرح في هذا المجال هو امرأه العزيز ، و صاحب يوسف ساقي الخمر ، فإن إيمانهم و تبعيتهم ليوسف ليست ظاهره ، و لهذا قلنا " البشر عموما " ، أما الباقي فمن المؤمنين جزما . و لكن امرأه العزيز انعكس فيها شئ من أنوار يوسف ، و لم تقل أنا إلا بعد أن تابت و اعترفت بذنوبها ، " أنا راودته عن نفسه " و لهذا ألحقناها بهذه الزمره لكون عملها يشبه عمل المؤمنين و إن كان القرءان لم يبين ما سوى ذلك من شؤونها - في بادئ الرأي على الأقل و سنرى التفاصيل حين نأتي إلى موضع دراستها إن شاء الله . و كذلك القول في صاحب يوسف، و إن كان يوسف قد عرض عليه مبادئ الدين القيم ، و لكن هل قبلها أم لم يقبلها في ذلك الحين ؟ الأمر غير واضح في بادئ الرأي ، و لكن ألحقناه بهذه الزمره لأن أناه ظهرت في موضع تصديق و يقين بالعلم الرباني ليوسف " أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون " ، فيقينه يشبه يقين المؤمنين ، و لهذا ألحقناه بهم . و التفصيل في موضعه إن شاء الله . فهذا القسم يمكن تقسيمه إلى قسمين : قسم المؤمنين المتبعين ، و قسم المؤمنين المتشبهين . فيكون في القسم الأول خمسه ، و في الثاني اثنان .

القسم الرابع - و لعله أهم الأقسام من حيث مقوله " الشئ يعرف بضده " - و هو المتعلق بالنفوس الكافره المظلمه . فهو يعكس الضد الظلماتي لتلك النفوس النورانيه . فمن لم يفهم النور بالنور ، فلا أقل أن يفهم النور بالظلام ، أي بمقارنته بالظلام . و يبدو أن قرب أكثر الناس من الظلام ، يجعل فهمنا للظلام أيسر من فهمنا للنور بالنور . و الله المستعان .

فالله ثم الرسل بقسميهم ثم المؤمنون بقسميهم ثم الكفار . فتعالوا ننظر ...

الباب الأول : أنا الحق

(الاستقراء)

ذكر الكتاب العزيز عن الله تعالى سته عشر أنا . و هي هذه :
" أنا التواب الرحيم " ، " أنا معكم من الشاهدين " ، " أنا الغفور الرحيم " ، "لا إله إلا أنا فاتقون " ، " إني أنا ربك فاخلع نعليك " ، أنا اخترتك فاستمع لما يوحى " ، إنني أنا الله " ، "لا إله إلا أنا فاعبدني " ، لا إله إلا أنا فاعبدون " ، أنا ربكم فاعبدون " ، أنا ربكم فاتقون " ، يموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم " ، إني أنا الله رب العالمين " ، و ما أنا بظلم للعبيد " ، "أنا أعلم بما أخفيتم و ما أعلنتم " .

(الاستنطاق)

نلاحظ أنه يوجد تعينات للأنا الإلهيه في مواضيع شتى ، و يوجد فيها تراتبيه واضحه . فأولا يوجد الإطلاق ، و هو حين تكشف الذات عن نفسها في نفسها ، كقوله سبحانه " إنني أنا الله". و هو التعين في الإسم الجامع . ثم بعد ذلك يوجد التعين في أسماء مخصوصه ، كقوله سبحانه " أنا التواب الرحيم " و "أنا الغفور الرحيم" . و هذا كله في المقام المتعالي الفوق خلقي . ثم يبدأ التعين في ما له علاقه بالخلق ، فيبدأ بالتصريح الأكبر " إني أنا الله رب العالمين " . و هو الأكبر لأنه هو الأوسع . ثم يبدأ التخصيص في هذا المقام ، فيقرر التقييد الأسمائي فيقول " و ما أنا بظلم للعبيد " . فالربوبيه مقيده بعدم الظالميه . و باقي ظهورات الأنا الإلهيه متعلقه بعالم الناس . فيبدأ في المقام الأعلى بأعلى الناس ، و هم الأنبياء ، فيقرر في يوم أخذ الميثاق " أنا معكم من الشاهدين " . ثم يوجد ظهور أناه سبحانه لموسى . و هو الفرد الوحيد الذي ظهرت له هذه الأنا بمثل هذا الظهور الانفرادي المباشر . فيكشف له عن ربوبيته الخاصه له " إني أنا ربك " ، و اختياره الخاص له " و أنا اخترتك " و دعوته الخاصه لعبادته " لا إله إلا أنا فاعبدي " بالإضافه إلى الكشف عن تعينه في أسماء " العزيز الحكيم". ثم بعد ذلك الكلام للناس عموما ، فيقرر الألوهيه و الربوبيه و العالميه ، و يفرع عليها الأمر بالتقوى و العباده .

فالأسماء الحسنى التي تعينت فيها الذات بالتصريح سبعه : الله ، التواب ، الغفور ، الرحيم ، العزيز ، الحكيم ، رب العالمين .

و الأنا الإلهيه مقيده ، و ذكر لها قيد واحد ، و هو " و ما أنا بظلم للعبيد" .

و ظهرت الذات في الأعلميه ، " أنا أعلم بما أخفيتم و ما أعلنتم " ، و هو ليس ظهور في اسم ، فهو لم يقل : أنا العليم . و لكنه ظهور في فعل العلم ، " أنا أعلم " ثم علق موضوعه على ثنائيه " أخفيتم ..أعلنتم " و هو علم الباطن و الظاهر - باعتبار . و هي عباره تدل على علو المرتبه ، و ليس حصر العلم بالذات ، " أنا أعلم " لأن الإنسان على نفسه بصيره ، و يوجد من يعلم ما يعلنه

الإنسان ، سواء كان من الملائكه أو من الناس أو غير ذلك . فظهور الأعلميه هنا ظهور في أعلى مرتبه في العلم ، الفعلي ، المتعلق بعالمي الظاهر و الباطن ، و المختص أيضا بالنفس الإنسانيه .

و ظهرت الذات في الشاهديه النبويه ، " أنا معكم من الشاهدين " . و بهذا الظهور قال النبي بعد ذلك حين يقال له " لست مرسلا " فيقول " قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم و من عنده علم الكتاب " . و بهذا الظهور كان الرسول وجه الله ، " من يطع الرسول فقد أطاع الله " . و هذه المعيه " أنا معكم " معيه حقيقيه ، فهي ظهور خاص في عين الذات النبويه . و بهذا السر يتعلق المؤمن بذات النبي - سواء كان النبي الأول الخاتم أم الأنبياء و الرسل الذين هم له كأشعه الشمس للشعاع الكلي للشمس .

نلاحظ كذلك ثنائيه الألوهيه و الربوبيه ، و ما يقابلها من العبوديه و التقوى . فمره يقول "لا إله إلا أنا " و يفرع عليها " فاعبدون " و مره "فاتقون" ، و مره يقول " أنا ربكم " و يفرع عليها "فاعبدون" و مره "فاتقون " . فالتناسب و التناظر هنا واضح و حرفي . و لا ترادف و لا نطق عبثي . لكل مقال مقام . و لكل عباره مرتبه . إلا أنا نلاحظ أيضا أن حصر الألوهيه ينتهي بالأنا ، أنا حصر الربوبيه يبدأ بالأنا . فهو يقول " لا إله إلا أنا " ، و لكنه في الأخرى يقول "أنا ربكم" . و لا يوجد في كتاب الله كله : لا رب إلا أنا . و ذلك لأن نفس الأنا هي الألوهيه . و أما الربوبيه فهي من تجليات هذه الألوهيه ، و الربوبيه تتعدد بتعدد تجلياتها في الكون . و لهذا يقول يوسف مثلا للرسول " ارجع إلى ربك " و يقول عن نفسه " إنه ربي أحسن مثواي " و يقول بسجود الملائكه لآدم ، و سجود إخوه يوسف و أبويه له ، و يقول بإتيان الملك لمن يشاء، و يقول بأن للإنسان ماله و أملاكه و عبيده و إمائه ، و غير ذلك كثير من هذا القبيل . و لكنه لا يوجد و لا مره أنه قال " ارجع إلى إلهك " . و موسى حين نسف العجل قال " انظر إلى إلهك " و لم يقل " ارجع إلى ربك " . فالألوهيه محصورا مطلقا ، و هذا الحصر حصر وجودي ذاتي يستحيل أن يتعدد أو يتجزأ أو يتشتت . فهو الوحده المطلقه الجامعه . أما الربوبيه فإنها متعلقه بالكثره الكونيه ، فتتعدد مراتبها و ظهوراتها . و هذا طبيعي لا يستطيع أحد أن ينكره أصلا . فمن زعم أنه يستطيع أن يحيي جسمه فقط بأن يقول " يا محيي يا محيي " بدون أن يذهب إلى هذا الماء الجسماني و يشربه ، فليفعل و يخلصنا من شره . فالحاصل أن نهايه الألوهيه هي بدايه الربوبيه . فالترتيب بجمع الايتين يكون هكذا : لا إله إلا أنا ربكم . هذا هو الأصل . و الفرع يكون بالجمع هكذا : فاعبدون و اتقون . و مما يلاحظ أيضا أن الله تعالى قال لموسى " فاعبدني " و لكنه لم يقل له - في خصوص مقام ظهور الأنا - " فاتقيني " . فهو حين قال له " إني أنا ربك " فرع عليها أمر شرعي " فاخلع نعليك " . فهنا صوره التقوى ، و هي أمر شرعي و وصيه يتم تفعيلها من قبل المربرب . و لكنها ليست تصريحا باسم التقوى كما في قوله للجمع من الناس " أنا ربكم فاتقون " . و من مشاهد موسى نعلم أن أصل الألوهيه يقابله فرع العبوديه - من حيث الأولويه . و أصل الربوبيه يقابله فرع التقوى . ثم كما أن نهايه الألوهيه هي بدايه الربوبيه ، كذلك نهايه العباده هي بدايه التقوى . و لكن يؤخذ على هذا أن الله كشف لموسى عن ربوبيته له قبل ألوهيته له . فالعلاقه كما يبدو علاقه قوسي النزول و الصعود . فيمكن أن تظهر الألوهيه أولا و يتفرع عنها العبوديه ، ثم بعد ذلك تظهر الربوبيه و يتفرع عنها التقوى الشرعيه . و قد يكون الأمر بالعكس - كما وقع لموسى في سوره طه . و هذا مثله مثل شؤون هذا الوجود عموما ، و هو وجود زوجيه متقابله ، نزوليه و عروجيه ، و إحداهما مقلوب الأخرى . و من تتبع الآيات القرءآنيه - و بالاستقراء الحدسي - نجد أن التقوى فعلا أشد تعلقا بالأمور الشرعيه . كما في الآيات الجامعه من سوره الأنعام ، التي ختم فيها الوصايا الشريعه الجامعه بقوله الكريم " ذلكم

وصاكم به لعلكم تتقون " . و معلوم أن التقوى تتحمل نقيضها ، أي عدم التقوى . فقد يكون الإنسان تقيا و قد يكون فاجرا معتديا . و لكن لا يمكن لمخلوق على الإطلاق أن يخرج عن مقتضيات الألوهيه و الربوبيه العامه ، التي هي " لله يسجد من في السموات و الأرض " طوعا و كرها ، عاجلا و آجلا . إذ هو بكل شئ محيط ، و كل ما دونه فهو به و منه و له و إليه . فالربوبيه العامه شئ ، و الربوبيه الخاصه التي هي الربوبيه التي يظهرها الرسل و الورثه شئ آخر ينضوي تحت العامه حتما و لكنه مستوى آخر منها - و هي الربوبيه الرحمانيه على وجه الخصوص ، أي التي ترشد الإنسان إلى الطريق ليكون ممن يستمد من أسماء الرحمه و اللطف ، و ليس أسماء القهر و العنف . و لكن على هذا الاعتبار ، تكون الألوهيه أيضا عامه و خاصه . إذ كل مخلوق عابد لله بذاته ، و هو من نفس كونه مخلوق عابد لله حتما . إلا أن الألوهيه التي يكشفها الحق سبحانه لرسله و يحملها الورثه بعد ذلك هي ألوهيه خاصه تقتضي عبوديه خاصه . لهذا يقول الله لموسى " لا إله إلا أنا فاعبدني " فلو كان المقصود بهذه العباده تلك العباده العامه الناجزه و التي لا يمكن أصلا أن تتغير أو تزول طرفه عين ، لكان قول " فاعبدني " لا قيمه له - أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين .

فإذن ، من حيث القرءان ، العلاقه بين الألوهيه و الربوبيه ، و بين العباده و التقوى ، هي في الواقع كالعلاقه بين الأول و الآخر ، و الظاهر و الباطن ، و السماوات و الأراضين ، و الذكر و الأنثى ، و الجنه و النار ، و النبي و الشقي ، و غير ذلك من ثنائيات فيها درجات و دركات و مستويات . و لكن في الألوهيه معنى الثبات ، و في الربوبيه معنى التغير . و من نفس كلمه رب تجد هذا المعنى ، فإنه يعني فيما يعني : المربي و المنمي و المغذي و المعتني . و التربيه كما بقيه المعاني تدل دلاله واضحه على حدوث تغيير أو حفاظ على شئ ، و الحفاظ يحوي في نفسه على معني التغيير او القابليه لحدوث التغيير ، و إلا فليس ل "الحفاظ" على شئ معنى واقعي . فالحفاظ هو أن تبقي الشئ على ما هو عليه ، بدرجه أو بأخرى ، و بالتالي هو اعتراف ضمني بأنه إن لم تقم بالمحافظه بعمل ما تعمله من شؤونها فإن الشئ سيتغير . و لهذا لا تجد الرب في القرءان إلا مقرونا بشئ . و لا يوجد " الرب " هكذا مطلقا . و هو من الأخطاء العرفاني الشائعه عند بعض الناس . لا يوجد " الرب " . إنما يوجد "رب" كذا . و هذه حقيقه من الاستقراء التام للقرءآن . و بالعكس من هذا تجد " الإله " ، و ليس العكس التام . أي أنه يوجد الإله هذا قائما بنفسه ، و يوجد الإله منسوبا إلى شئ . فقيامه بنفسه من اسمه " الإله " و كالنفي التام " لا إله إلا أنا " ، و التصريح الأكبر في الألوهيه " أنا الله " . و لكن يوجد أيضا الإله منسوبا " إلهكم " و "إلهنا " . إلا أنه لا يوجد على الإطلاق كلمه " إلهي " منسوبه إلى فرد ، كوجود كلمه "ربي " المنسوبه إلى فرد ، كما في مناجاه الأنبياء أو دعوتهم لقومهم " قل ربي أعلم من جاء بالهدى " . و لكن يوجد "إلهك" منسوبه إلى فرد ، كما في أبناء يعقوب حين يقولون له " نعبد إلهك و إله آبائك " . فالإله له ثلاث مراتب ، الاستقلاليه و الفرديه و الجماعيه . و لكن الرب له مقام الاستقلاليه التام ذاك ، و له البقيه . و هنا الفرق بين الإله و الرب . فالإله له مقام الغنى عن العالمين ، و أما الرب فلا يكون إلا رب العالمين أو رب ما في العالمين . فبالاستغناء الذاتي افترق مسمى الإله عن مسمى الرب . و أما باقي الأمور - فبالرغم من وجود فروق حتما إذ لا تفترق الأسماء إلا بافتراق المسميات و لو توحدت من كل الجهات و انتفت عنها كل الفروق في السمات لكانت اسما واحدا . و على ذلك تكون التراتبيه من الأعلى إلى الأدنى هي هكذا : الإله ثم الرب ثم العالمين . فالإله هو الغني المطلق ، و له وجه للرب ، و الرب هو وجه الإله في العالمين . و الإله من حيث استغناءه عن العالمين ، موضع الزوجيه و التغيير ، يكون الحقيقه الثابته . و أما الرب فمن حيث ظهوره الدائم في الكثره فإنه يكون الحقيقه المتغيره . و بين الله و رب العالمين يوجد

خمسه أسماء تعينت فيها الأنا : التواب و الغفور و الرحيم و العزيز و الحكيم . و على ذلك يمكن أن يقال : هذه الأسماء الخمسه هي التي تحكم العالمين . و الحمد لله أن ثلاثه منها أسماء رحمه و لطف بالعبد . و الاثنان الباقيه تحتمل و تحتمل . و لكنها تظهر أن العزه و الحكمه هما أصل و تفسير ما يظهر في العالمين من قهر و عنف و ظلمات . و لكن الغلبه لأسماء الرحمه و اللطف بالعبد . و هو مقتضى "الرحمن على العرش استوى" و " كتب ربكم على نفسه الرحمه " .

و من ذلك تقييد ربوبيته بعدم الظلم - سبحانه ما أعظم شانه . " و ما أنا بظلام للعبيد " . فإن كانت بقيه ظهورات الأنا إيجابيه و إطلاقيه ، فإنها هنا سلبيه و تقييديه . و بهذا نعلم أصل وجود الأنا المطلقه و الأنا المقيده في العالمين . كما هي الحقيقه القرءانيه العرفانيه المقرره و هي أنه لا يوجد في الخلق إلا ما يوجد مسبقا في الخالق . فالمبدأ هو الكامل ، و المظاهر المتنزله منه ما هي إلا صور مشتته منه . فكل شئ يجد مبدأه في الحق سبحانه ، ثم بعد ذلك يتنزل في الخلق . " و إن من شئ إلا عندنا خزائنه و ما ننزله إلا بقدر معلوم " .

فإذن يوجد " أنا " و يوجد " ما أنا " . كلاهما في الحق سبحانه و تعالى . و لهذا ستجد في الرسول مثلا أنه يقول " أنا النذير " و يقول " و ما أنا عليكم بوكيل " . و ستجد في فرعون أنه في فرعنته يقول " أنا ربكم الأعلى " ، و لكنه لا يقيد ذاته بقيد ما ، حتى أصابه ما أصابه وقت الغرق فقيد ذاته حينها و قال " و أنا من المسلمين " و الذي يتضمن تقييد ما أطلقه من قبل . و كذلك في ابليس " أنا خير منه " ثم في جهنم حين قضي الأمر "ما أنا بمصرخكم". فمبدأ كل "أنا" ايجابيه اطلاقيه هو "أنا الله" . و مبدأ كل "ما أنا" سلبيه تقييديه هو "ما أنا بظلم للعبيد" . فما يصدر من الحق يجد صداه في الخلق . و ما كان في الحق روحه يكون في الخلق صورته . و لكن الفرق هو في هذه الصور ، فمنهم - كالرسل - ممن يقابل فاعليه الله بقابليه العبد . و منهم - كالفراعنه - من يقابله فاعليه الله بقابليه الجحد . و حتى نعرف تفاصيل ذلك ينبغي أن ندرس كل هذه الصور لنرى أين بالضبط يقع الفرق بين هذه الصور و ما هي مراتبها و بالتالي حتى يعرف كل واحد أين مقامه من الله تعالى و مركزه في الكون في الدنيا و الآخره العليا .

الباب الثاني : أنا الخلق

(أنا النبي)

" لله الأسماء الحسنى " و لكن " سبحان ربك رب العزه عما يصفون " . فلله الأسماء ، و ليس الصفات . ما الفرق بين السمه و الصفه ؟ السمه ذاتيه ، الصفه عرضيه . فلو كان لله صفات ، لكان معنى ذلك أحد أمرين - كلاهما كفر و جهل : إما أن مصدر أو نفس هذه الصفات كائنه "فوق" الله ، أي في مرتبه أعلى من مرتبته ، و مقام أكبر من مقامه ، و يكون لهذه الصفات وجود مستقل أو قائم بنفسه إلى حد ما ، ثم تفاض هذه الصفات على الله سبحانه . أو أن اكتساب هذه الصفات كان ممن هو "تحت" الله ، أي دونه في الوجود و الكون . فالأول مستحيل إذ الله هو الأعلى المتعال العلي . و الثاني مستحيل إذ ليس في الخلق إلا ما هو من فيض الخالق و عطائه و تقديره و خزائنه ، و فاقد الشئ لا يعطيه . فليس لله صفات . و أما التجريد الذهني لصفه " العلم " و "الحياه " فهو كما سميناه : تجريد ذهني . ثم يتوهم المتوهم بذهنه القاصر أن "العلم" في الله و في الإنسان و في الملاك و في ما سوى ذلك من مكونات . فيظن - شعوريا أو لا شعوريا - أن "العلم" هكذا مجردا له قيام بنفسه إلى حد ما، ثم يقوم بتفكيره بحمل هذه الصفه على ذات الله و ذات الإنسان و ذات الملاك و نحو ذلك . و هذا باطل من حيث الوجود الواقعي . ففي الواقع لا يوجد "العلم" هكذا بنفسه . و لكن يوجد "العليم" . و منه و به يتم فيض و اشراق و وهب كل علم في كل طبقه من الخلق . و هكذا في بقيه الأسماء الحسنى . السمه تقوم بعين الذات ، أما الصفه فهي تجريد ذهني لهذه السمه حين يتم رؤيتها - بغض النظر عن درجه التحقق و الرؤيه - في شتى الكائنات و المكونات ، فيحسب أن للصفه قيام بنفسها ، و هو باطل من حيث الوجود الواقعي . فالذهن له عالمه الخاص أحيانا ، و إن كان بسبب الغفله لا يدرك السمه فيقول عنها صفه ، و هي في واقعها ليست إلا سمه ، و كل سمه تتفرع عن أسماء الله ، إما تفرع مبدأ أو تفرع قلب .

تفرع المبدأ كمثل الحياه و العلم . فإن حياه كل حي إنما هي بنفس حقيقه اسم الحي ، و لكن بحسب مستوى هذا الحي أو ذاك الحي . و كذلك العلم ، فالعلم " عند الله " و وجوده في ما سوى الله إنما هو بالله ، فلا انفصال من حيث الواقع ، بل هو امتداد و اشراق ، يشبه شعاع الشمس و علاقته بنفس الشمس . و أما تفرع القلب ، فهو في الأمور التي يستحيل أن تكون في حق الله ، و لكنها قائمه من حيث الخلق ، و هي اللوازم الذاتيه للخلق . فمثلا ، كون كل مخلوق مسلم لله و عابد له و مستمد منه . هذه حقيقه ذاتيه للخلق و لازم ضروري له لا محيص عنها بحال من الأحوال . فسمه الإسلام و العبوديه ، هي من سمات الخلق ، و ليس الحق . و هي "تقلب" سمات الحق . فمثلا " لا إله إلا أنا فاعبدني " فألوهيه الحق تقتضي من حيث مقلوبها و عكسها عبوديه الخلق . فالألوهيه حين تنقلب تصبح عبوديه . و يستحيل أن يكون الله عبد لأحد من حيث أنه لا أحد فوقه بل هو الفوق المطلق " و هو القاهر فوق عباده " . و كذلك الإسلام ، فالخلق يسلم لله " و له أسلم من في السموات و الأرض طوعا و كرها " ، و بالتالي إسلام الخلق مقلوب لقاهريه و مالكيه الحق . و حيث إنه لا يوجد في الخلق إلا ما يوجد في الحق ، أو ما يجد مبدأه فوق الخلق ، و هو البرزخ بين الحق و الخلق ، فإن النتيجه هي أنه يوجد كائن بين الحق و الخلق ، و هذا الكائن هو واسطه الفيض و المسلم الأول ، و

العابد الأول للحق سبحانه . هذا المخلوق الأول ، الذي هو من التجلي المرآتي للحق سبحانه ، هو المصدر لكل اسلام من دونه من الخلق ، و لعبوديه كل من دونه من الخلق . فمن هو هذا المخلوق ؟

الجواب : هو رسول الله و خاتم النبيين . الذي هو الوحيد في القرءآن كله الذي يقول " أنا أول المسلمين " و " قل لو كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين " . " فأنا أول العابدين " لأني أول المخلوقين الموجودين . فالخلق لا ينفك من العبوديه بحال من الأحوال . كل مخلوق عابد من حيث هو مخلوق و متكون . بل نفس تكونه عباده " إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " فطاعه هذا الشئ بأن يسمع للقول و يطيع الأمر فيتكون هي عبادته الأولى بهذا الاعتبار . فهو الرسول المطلق ، و النبي المطلق . و كل رسول و نبي بعد ذلك دونه في المرتبه و مستمد منه و هو ظهور جزئي له . و لهذا هو " خاتم النبيين " و هو "النبي" . لأن الخاتم هو الأول كما أنه هو الآخر . إذ الأول من فوق هو الآخر من تحت . كمثل بنايه لها عشره طوابق، في كل طابق إنسان . إذا نزل كل هؤلاء في وقت واحد ، فأول من سيخرج من البنايه إلى الأرض سيكون الذي يسكن في الطابق الأقرب للأرض و الأدنى ، ثم يخرج بعده من يسكن في الطابق الذي فوقه ، و هكذا حتى يكون آخر السكان نزولا هو أعلاهم مسكنا . فهذا تشبيه لحقيقه النبيين . فآدم هو الأدنى مرتبه ، و المسيح هو الأعلى مرتبه ، و النبي فوق المسيح ، و لهذا " و مبشرا برسول من بعدي اسمه أحمد " ، و بما أنه فوقه فهو حتما يأتي بعده . فالوراء في الحقيقه هو الأمام في الخليقه . فالأول عين الآخر . كمثل الدائره التي نقطه بدايتها هي عين نقطه نهايتها . فهو النبي و هو أحمد و هو محمد . هو النبي من حيث مقامه العرشي ، و هو أحمد من حيث مقامه السماوي ، و هو محمد من حيث مقامه الأرضي . و لهذا لم يذكر أن النبي يموت ، و لا أن أحمد يموت ، و لكنه ذكر أن محمدا يموت . " و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفاين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم " . لأن المظهر الأرضي من طبيعه الأرض ، و من طبيعه الأرض الزوال و التغير . و من هنا المقام قال " أنا بشر مثلكم " .

و عندما احتجب البعض بصوره محمد عن حقيقه النبي ، قال لهم القرءان " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين و كان الله بكل شئ عليما " فهنا النفي ليس لأبوه محمد مطلقا ، و إنما هي نفي من حيث نسبتها إلى "محمد" . و الحق أن أبوته قائمه ، و لكن المنفي هو الحيثيه . فهم يشاهدون محمدا من حيث أنه بشر مثلهم ، يأكل مما يأكلون منه و يشرب مما يشربون ، فيكونوا من أهل " و تراهم ينظرون إليك و هم لا يبصرون " و من أهل "و تراهم ينظرون إليك ، أفأنت تهدي العمي و لو كانوا لا يبصرون " . فالنظر موجه لمحمد ، كما نظر ابليس إلى ءادم من حيث ترابيته ، و لم يبصر روحانيته ، فجحد و لم يسجد له . و أبوه محمد ليست من حيث أنه "محمد" البشر الذي يموت و يقتل ، و لكن من حيث أنه "رسول الله و خاتم النبيين " الذي هو حي لا يموت ، فإن كان الشهيد لا يموت فالصديق لا يموت ، فالنبي لا يموت ، فخاتم النبيين حتما لا يموت . النظر ينظر إلى محمد ، و البصر ينظر إلى رسول الله و خاتم النبيين . محمد بشر من خلق الله ، رسول الله و خاتم النبيين عين روح الله . فصحح لهم الاعتبار و الحيثيه . و هذا يشبه أن يوجد مواطن في دوله اسمه زيد . فيترقى زيد في السلك العسكري حتى يصبح الجنرال . فيقول أفراد الجيش " إن قائدنا هو زيد و تجب طاعته " . فيقول الملك الحكيم لهم " ليس زيد هو قائدكم ، و لكن الجنرال " . نعم ، الجنرال في هذه اللحظه هو زيد هذا ، و لكن زيد قد يموت و قد يقتل في إحدى المعارك ، و لكن مقام الجنرال محفوظ من حيث هو ، و سيحل فيه إنسان آخر ، إذ " لكل قوم هاد " و " إن من أمه إلا خلا فيها نذير " . فيصحح لهم حيثيه النظر و يقوم لهم البصر ، حتى يستقيموا على الأمر. و لكن

"محمد" في عين أهل البصيره هو مثل أحمد ، اسم لحقيقه النبي ، و هو المظهر الأعظم لتلك الحقيقه ، و لهذا أنزل عليه القرءآن العظيم الذي ليس مثله في الشرق و الغرب ، و لا في الذكر و الفكر . و حقيقه " الله نور " التي هي البرزخ الأعظم بين الحق و الخلق ، حين تنزلت في الخلق انقسمت إلى قسمين ، الرسول و القرءآن ، الكائن و الكتاب . إذ عالم الخلق عالم الأزواج ، " خلقنا زوجين " ، فافترق ذلك نور ، فظهر في نصفه في رسول الله و نصفه في كتاب الله . و بهذا تمت البينه . " رسول من الله يتلو صحفا مطهره فيها كتب قيمه " . و لهذا قال له " يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته " . إذ الرسول بدون الكتاب لا يتم ، و الكتاب بدون الرسول لا يتم . و تمام البينه كما نص عليه في سوره البينه بأمرين متعاضدين " رسول من الله يتلو صحف مطهره " . فالنور الذي هو ذات النبي و ذات القرءآن ، هو مظهر رب العالمين ، و الذي هو العابد المطلق للإله الغني عن العالمين .

لا يستطيع أحد أن ينظر في طبقه أعلى من طبقته بدرجتين ، إلا إن توسط بالنظر في هاتين الدرجتين . فالكون تراتبيه ، و " يتنزل الأمر بينهن " و " يدبر الأمر من السماء إلى الأرض " . فلا يعرج شئ من الأرض إلى السماء الثالثه مثلا ، إلا إن مر و عرج أولا إلى السماء الأولى و الثانيه . و هكذا في كل نزول من الأعلى إلى الأسفل أو عروج من الأسفل إلى الأعلى . و كذلك لا يستطيع أحد أن يعبد إلا ما هو فوق المرتبه التي هو فيها مباشره و ما فوقه يحجبه عما هو فوق فوقه . فإن كان من الحجب التي يمكن رفعها ، فإن عبادته لهذا الحجاب و بالتالي تعينه فيه و استيقاظ حقيقه هذا الحجاب فيه ، فإن نفس هذا التماهي أو اليقظه الذاتيه لوجود عين هذا الحجاب في الذات ، هذا هو الترقي . و لكن بما أن الإنسان الذي لا يزال على الطريقه محجوب عن الإله الغني عن العالمين بتوسط النور القرءاني الخاتمي ، الذي هو ذات النبي ، فإن الحاصل هو أن كل مؤمن في الواقع هو عبد للنبي . و النبي عبد الله . و لهذا ورد في الكتاب العزيز " قل يعبادي الذي أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمه الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم " . دقق أيها العاقل الحر في كلمه " قل يعبادي" فالآيه ليست : قل لعبادي الذين أسرفوا . و الآيه ليست : قل يعباد الله الذي أسرفوا . و الآيه ليست : يعبادي الذين أسرفوا ، بلا " قل " . و لكن الآيه هي " قل " فالنبي من حيث مقامه الأعلى و كونه واسطه الفيض يتكلم " يعبادي " فهم عباد النبي . و لهذا ورد الكلام عن الله بصيغه الغائب ، " لا تقنطوا من رحمه الله " و النبي هو الحاضر في الكلام و هو المتكلم هنا. و ترى هذا بصوره أوضح حين تقارنه بآيه سوره ابرهيم " قل لعبادي الذين ءامنوا يقيموا الصلوه و ينفقوا مما رزقنهم " ، فلاحظ الفرق بين " قل يعبادي " و " قل لعبادي " ، ثم لاحظ الفرق بين " لا تقنطوا من رحمه الله " و " ينفقوا مما رزقنهم " . فتأمل .

شاهد آخر على كون المؤمن الحق ، البصير الغير منافق ، عبد لرسول الله ، هو قوله " من يطع الرسول فقد أطاع الله " و "أطيعوا الله و أطيعوا الرسول " . و الطاعه من صلب العباده كما هو معلوم . فهو يطاع لأنه مظهر الله ، "الرسول" .

شاهد آخر على هذه الحقيقه هو قوله في يعقوب و أبنائه " فلما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم " فالأب له الأمر ، و الأب و الرب وجهان لحقيقه واحده ، و كذلك الرب له الأمر ، و بالتالي الابن مملوك لأبيه ، فهو عبد له . فمن له الأبوه له الربوبيه الجزئيه . و بالتالي يكون ابنه عبده أيضا . و بما أنه قد ثبت أن رسول الله و خاتم النبيين هو أبو رجال المؤمنين ، فهم عباده و أبناؤه أيضا. و بهذا كان "

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه أمهاتهم " . فأزواجه أمهاتهم فهو أب لهم . فهم " أمهات المؤمنين " و هو "أبو المؤمنين " من حيث أنه رسول الله و خاتم النبيين .

و سر عبوديتنا لرسول الله هو أنه معلمنا و منورنا . فمن علمني حرفا كنت له عبدا - كما قيل في المثل و هي مقوله حق ، و لكن ليس أي حرف ، بل الحرف القرءآني الإلهي المقدس . و إن كانت بقيه الحروف تعبر بدرجه من الدرجات عن هذا المقام الأعظم للتعليم . و لهذا ختم آيه الأبوه المحمديه بقوله " و كان الله بكل شئ عليما " . و ليست الرساله و النبوه إلا علم على التحقيق . و مدار الأمر على العلم . فالعالم " رباني " .

" قل إني أنا النذير المبين " . الإنيه التي تتلوها أنا ، أي " إني أنا " ، ذكرت في كتاب الله في حق ثلاث فقط : الله و الرسول و يوسف. فالله في قوله " إني أنا الله رب العالمين " و "إني أنا ربك " و . و النبي في قوله " إني أنا النذير المبين " . و يوسف في قوله " إني أنا أخوك " . أما يوسف فله شأن خاص نذكره إن شاء الله حين نأتي عليه . أما الملاحظ هنا هو الله و الرسول . فالرسول هو النذير المبين الكلي ، أما البقيه فهم أيضا ممن ينطبق عليه النذير المبين ، و لكن ليس له جمعيه النبي الخاتم و أصالته في المقام .

قد يقال : أليس هذا اتخاذ لأرباب من دون الله ؟ الجواب : كلا . إنما هو اتخاذ لأرباب بالله . فهذا مثله كمثل اتخاذ " أولياء من دون الله " . فالقرءآن حرم اتخاذ أولياء " من دون الله " . ما هو عكس " من دون " ؟ الجواب : هو " ب " . و لذلك القرءآن الذي حرم اتخاذ أولياء من دون الله هو نفسه القرءان الذين أوجب على المؤمنين أن يتخذوا الرسول وليا ، و الملائكه أولياء ، و بقيه أهل الإيمان أولياء ، " بعضهم أولياء بعض " ، " إنما وليكم الله و رسوله و الذين ءامنوا ". فمعنى عباره " من دون " يعني " من دون " ! و لكن حين نتولى الرسول و الملائكه الذين قالوا "نحن أولياؤكم في الحيوه الدنيا و في الآخره " ، و نتولى أهل العلم بكتاب الله من الربانيين و الأحبار و الرهبان الصادقين المخلصين الذين لا يسألون الناس أجرا و هم مهتدون ، و عموما نتولى أهل الإيمان ، فإن هذا لا يناقض اتخاذ أولياء " من دون الله " . لأنه اتخاذ لأولياء "بالله". سواء من حيث أنهم مظاهر لله ، أو أنهم يطيعون أمر الله ، أو أنهم ممن يقوم بدين الله، أو بأي حيثيه أخرى من حيثيات شؤون الله تعالى في ذاته و في تجلياته . فلا تناقض . لأن الولايه طوليه ، و ليست عرضيه . أى الله فوق ، ثم تحته الرسول ، ثم تحته الملائكه ، ثم تحته العلماء ، ثم تحتهم عموم المؤمنين ، و هكذا . و إنما تولينا الرسول لأنه " رسول الله " ، و إنما تولينا الملائكه لأنهم " ملائكه الله " ، و إنما تولينا العلماء لأنهم " العلماء بالله و بدين الله " هكذا . و المنع من اتخاذ أرباب يأتي على نفس النسق ، و في الواقع الولايه و الربوبيه تدل على شئ واحد من حيثيات مختلفه - لمن يدقق في الاعتبار . و لكن حتى على فرض أن الولايه و الربوبيه من الأمور المختلفه تماما و التي لها مصاديق مختلفه ، فإن الأمر لا يتغير . فإن كان الرب هو الذي يأمر و ينهى ، و يجب أن يطاع و يتولى - في أقل تقدير - فإنه قد ثبت أن الرسول ممن يأمر و ينهى ، و يجب أن يطاع و يتولى . و ليس كل الربوبيه هي ما يفهمه العوام من هذه العباره ، أي ربوبيه الخلق و الرزق العامه ، و حتى هذه فيها ما فيها ، و لكن على أقل تقدير يذهب النزاع المحتمل الذي قد نورده آيات اتخاذ أرباب " من دون الله " التي هي محل التساؤل الذي فرضناه و نعلم أنه سيرد حتما - خصوصا من قبل من لا يفقهون تراتبيه الخلق و علاقه الحق بالخلق .

" سيؤتينا الله من فضله و رسوله ، إنا إلى الله راغبون " . " إذ تقول للذي أنعم الله عليه و أنعمت عليه " . " و من يقنت منكن لله و رسوله " . " يغنيهم الله و رسوله من فضله " (لاحظ كيف جعل الضمير في " فضله " واحد ، و لم يقل " من فضلهما " ، و لاحظ الجمع بين الله و رسوله) هذه الآيات و أمثالها كثير هي مما يجاب به عن من يظن أن هذا الذي كشفنا عنه يعتبر من " الشرك بالله " و العياذ بالله . فها هو القرءآن يقرر ذلك كله و أكثر منه لمن يتدبر و يتفكر في كتاب الله تعالى ، بل قبل ذلك يتفكر في نفسه هو و يرى تراتبيه ذاته . فمن لا يعقل الحق من ذاته كيف يعقل الحق من خارجه . و من لا يرى ايات الله في نفسه كيف يراها في آفاقه . " و لم لم يجعل الله له نورا " في قلبه " فما له من نور " من خارجه . و إن العين تتبع القلب .

من الآيات المهمه في هذا السياق ، قول القرءآن "و الذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا و هم يخلقون . أموات غير أحياء و ما يشعرون أيان يبعثون " . و هذه الأهميه تنبع من أمرين . الأول هو كونها تتحدث عن من هم "دون الله" بأنهم " لا يخلقون شيئا " بإطلاق ظاهري واضح، فتبدو و كأنها تناقض أو تعارض ما قررناه من قبل - لا أقل بالنسبه لبعض الناس. و الأمر الثاني هو للرد على النزعه القديمه الحديثه لبعض الناس ممن يأخذ الآيات الوارده في الكافرين و ينزلها على المؤمنين . و هي نزعه معروفه و أهلها كذلك . فالسؤال الآن : ما الذي تقرره هذه الآيه ؟ الجواب : إن نفي الخالقيه عن كل من دون الله إنما هو باعتبار معين ، و لكن ثبوت الخالقيه لمن دون الله في الدرجه أو الدركيه الكونيه هو أيضا أمر ثابت و مقرر بالقرءآن فضلا عن العيان و لكن باعتبار آخر . فالقرءآن ينفي و يثبت الشئ الواحد و لكن باعتبارين مختلفين . و الخالقيه هنا مثال ممتاز . فقوله عن من هم دون الله " لا يخلقون شيئاً " هو نفي. و لكن قوله في آيه أخرى عن الله بأنه " أحسن الخالقين " يعني أنه يوجد " الخالقين " الذين هم أقل منه حسنا . فهذا كقوله في العزه " لله العزه جميعا " فينفيها عن الكل ، ثم يقول في أخرى " و لله العزه و لرسوله و للمؤمنين " فيثبتها للغير و الدون ، و لكنه إثبات بالله . و كذلك عن الخالقيه بالتحديد قول المسيح عيسى بن مريم " و أخلق لكم من الطين كهيئه الطير فيكون طيرا بإذن الله " . فإذن ثبوت الخالقيه لعيسى " بإذن الله " هو أمر مقرر . و مثال آخر هو العلم ، هو أقرب في التبيين من العزه ، و قد اقترن الخلق بالعلم " و هو الخلاق العليم " . فيقول القرءآن في العلم " و الله يعلم و أنتم لا تعلمون " . فأثبت العلم لله بإطلاق و نفاه عن الخلق - مؤمنهم و كافرهم - بإطلاق . و لكن من حيثيه أخرى قال " قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون " و " إنما يخشى الله من عباده العلماء " و " و اتقوا الله و يعلمكم الله " و " أولوا العلم " و غير ذلك من آيات كثيره تثبت العلم للخلق ، العلوي و السفلي منه ، بل أثبت وجود العلم حتى بالنسبه لكلاب الدنيا فقال " فأعرض عمن تولى عن ذكرنا و لم يرد إلا الحيوه الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم " . فإذن نفي العلم عن الخلق و اثباته لهم في الكتاب العزيز هو أمر ثابت بالنص القاطع . و هذا ليس من التناقض في شئ ، إذ جهه الإثبات ليست عين جهه النفي . و السر في ذلك هو المبدأ العرفاني الأكبر الذي يقرر بأن كل سمه كماليه في الخلق إنما تتنزل من لدن الحق . فعندما يذكر الحق و الخلق ، يفنى الخلق و يبقى الحق . و عندما ينظر القرءآن إلى الخلق - و كذلك كل صاحب عقل قرءآني - فإنه لا يرى إلى أسماء الله متنزله و متجليه فيه . و بالتالي كل سمه في الخلق تعتبر عاريه ، و عرضيه . الخلق قابليه ، و أسماء الحق هي التي لها مطلق الفاعليه . و لذلك ينفي و يثبت ، فهو ينفي من حيث الحقيقه الجوهريه ، و يثبت من حيث الحقيقه العرضيه . فالخلق ظلمه و الحق يرش عليه من نوره . الخلق كأس ، و سماء الحق تنزل فيه الماء . الخلق مريم ، و الحق هو الذي ينفخ فيه

عيسى . فالحاصل أن قوله " لا يخلقون شيئا " هو باعتبار الحقيقه الجوهريه . و هو أمر ثابت لكل من سوى الله تعالى . و لكن فيض الحقيقه العرضيه ، الذي هو القدره على الخلق ، أيضا أمر ثابت و مقرر في القرءآن و العرفان . و من هنا قال عن نفسه المتعاليه " أحسن الخالقين" . إذ الخالقيه فرع العالميه و القادريه و الجماليه و غير ذلك من سمات ، و حيث أن الله تعالى هو الذي له الأسماء الحسنى كلها ، و بالتالي حتما تكون خالقيته " أحسن " ممن هو دونه . و الواقع أن الخلق و الحياه و الرزق و الموت ، و هي الأركان الأربعه للكون كله ، هي موكوله إلى الملائكه الأربعه الكبار . فيوجد " ملك الموت الذي وكل بكم " و كذلك يوجد لبقيه أركان الكون ملك موكل به . و يوجد من جمع هذه الأسماء الأربعه للملائكه الأركان في كلمه " جامع " . أي جبرائيل (ملك الخلق) و إسرافيل (ملك الحياه) و ميكائيل (ملك الرزق) و عزرائيل (ملك الموت) . و هذا هو الترتيب الواقعي لكل شئ في الكون ، بل الكون نفسه و ما فيه . إذ أولا يتم خلقه ، ثم قد يكون حيا أو ميتا ، فتقدر له الحياه ، ثم حتى يستمر في الحياه يحتاج إلى رزق ، ثم يقدر له الموت . و أهميه الرقم أربعه من الناحيه الرمزيه ، و هو رمز متواجد في كل التقاليد العرفانيه تقريبا ، تنبع في أحد مراتبها من هذه الحقيقه الرباعيه لأركان الكون . فالملائكه الوكلاء الأربعه لهم القدره على الخالقيه و الإحياء و الرزق و الإماته ، و لكن طبعا "بالله" و ليس "من دون الله" كما ذكرنا سابقا . و لهذا هم " وكلاء " . فهم فروع لذاك المبدأ المتعالي تقدس اسمه . و على ذلك " لا يخلقون " شيئا تعني : بالأصاله . و هي تتحدث خصوصا - بقرينه الآيه التي بعدها - عن من يتم نسبه القدره على الخلق لهم ، و هم في الواقع لا يخلقون شيئا . و هنا فصل الخطاب . فالآيه لا تنكر إلا على المتشبع بما ليس فيه . أي كمثل أن يقول بعض البشر : إن فلان عنده طعام كثير . و لكن في الواقع لا طعام عنده . فنفي وجود الطعام عند فلان - من قبل العلماء بحقيقه فلان - لا تعني نفي وجود عين الطعام بالمطلق ، و لكن السياق بحد ذاته يكفي لتقييد هذا النفي المطلق في ظاهر النص . و يزداد البيان حين نرى أن النافي قد أثبت في مواضع أخرى وجود طعام عند علان . " الذي يدعون من دون الله " هم أيضا ممن يتخذون "أولياء من دون الله" . فهي آيات نازله في شأن أهل الشرك و الكفر ، و ليست في أتباع الرسل و ورثه الأنبياء ، و موضوع النفي غير موضوع الإثبات في الواقع ، و إن تشابه النص بالنسبه لمن لا عين ذوقيه و لا تحقيقات عقليه قرءآنيه عنده . ثم يأتي في الآيه التي بعدها فيعرف هؤلاء الذين لا يخلقون شيئاً فيقول " أموات غير أحياء " . فهل هذا الوصف ينطبق على الشهداء فضلا عمن سواهم ممن فوقهم ؟ القرءآن يقول في حق الشهاء - و هم تحت عموم النبيين بدرجتين ، و النبيين تحت خاتم النبيين - " و لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون " . فبغض النظر عن قدره الشهيد الحي على أن يتواصل مع أهل الدنيا - بالفهم العامي لعباره "أهل الدنيا" - فإنه لا يدخل تحت " أموات غير أحياء " التي قيد بها النص القرءآني سمه الذين يدعوهم هؤلاء الكفار و أهل الشرك . فمجرد تنزيل هذه العباره القرءآنيه على شهيد يدعوه بعض المسلمين هو تحريف لكلام الله . فإن تم تنزيلها على صديق فهو تحريف مضاعف ، فإن تم تنزيلها على نبي فهو تحريف مضاعف أضعافا كثيره ، فإن تم تنزيلها على خاتم النبيين فهو عين الكفر ببعض الكتاب و العناد لبيان أولي الألباب . فالنظره الاختزاليه - الفقيره من الذوق العقلي - تنظر إلى ما نفاه القرءآن في موضع ، و تختزل هذا الموضع فلا تراعي كل أو الاعتبارات المهمه في سياقه ، ثم تعتبر النفي نفي مطلق ، فتعقد قلوبها على هذا النفي - أو أحيانا الإثبات - ثم تكون هذه العقيده حجابا و سببا للتحريف العمدي أو اللاشعوري لنصوص الإثبات . هذا في أحسن الأحوال . و أسوأ الأحوال أن يكون صاحب النفي أو الإثبات مغرضا و ماكرا . إن القرءآن ليس كتاب للكسالى ، و لا كتاب للسذج ، أي هو ليس كتاب للعوام . و قد صدق من منع العوام من دراسه كتاب الله ، على ما

في هذا المنع من شطط و غلو ، إلا أنه مع الأسف يوجد عوام في صفوف من يلقبون أنفسهم "علماء" بلا شهاده تصدق هذا اللقب . فهؤلاء عوام و لكن لا يشعرون . و ما أكثر عوام هذا القرن . و لا قوه إلا بالله .
فإذن الخلاصه مما سبق :بالله يوجد قدره على الخالقيه لدى الخلق . و من التوحيد معرفه ذلك.

...

من الآيات المتعلقه بالمقام الأعظم للنبي كأول مخلوق و الوسيله الكبرى بين الحق و الخلق ، هي الآيات التاليه - و لسنا في مقام استقصاء و إنما استشهاد و دراسه عامه :

" و يوم نبعث في كل أمه شهيدا عليهم من أنفسهم و جئنا بك شهيدا على هؤلاء ، و نزلنا عليك الكتب تبيانا لكل شئ و هدى و رحمه و بشرى للمسلمين " التي وردت في سوره النحل . و مره أخرى في سوره النساء " فكيف إذا جئنا من كل أمه بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيدا" . (مع ملاحظه الفرق المهم بين عباره "شهيدا على هؤلاء" في الأولى ، و عباره " على هؤلاء شهيدا " في الثانيه). فإذا جمعت هذه الآيات إلى قول المسيح بن مريم في آخر سوره المائده " و كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم و أنت على كل شئ شهيد " . و أضف إليهم كذلك المعيار الأكبر الذي حدده الحق تعالى لقبول الشهاده في ذلك اليوم العظيم و هو قوله " إلا من شهد بالحق و هم يعلمون " و العلم هنا هو المشاهده الحيه للواقعه ، و هي التي بينها كذلك في قول الأسباط في سوره يوسف " ما شهدنا إلا بما علمنا " فكان علمهم هو ما ظهر لهم ، مع فارق طبعا في مستويات العلم و الكشف الواقعي عن الأمور ، إلا أن مشاهده الواقع كما هو بكماله هو تمام الشهاده . يتبين لنا التالي :

أن شهاده الكائن على كائنات - كما هو حال عيسى و قومه - مشروط ب "دمت فيهم" أي كونه حاضرا و قائما عليهم و بينهم . فلما زال هذا الحضور - بالتوفي مثلا - فإن الشهاده و حقيقتها تزول عن هذا الكائن ، فترجع إلى الرقيب الأصلي و الشهيد المطلق سبحانه ، كما أنها في الواقع لم تزل فيه و به و منه و إليه . و بناءآ على ذلك ، شهاده خاتم النبيين على كل شهداء الأمم ، تشترط بالضروره حضور و ديمومه الخاتم في كل الأمم . فيمكن أن ترى ثلاثه مقامات. مقام الخاتم و مقام الشهداء و مقام الأمم . " و يوم نبعث في كل أمه " و هذه كما هو ظاهر مطلقه . فقوله " كل أمه " يفسر نفسه بنفسه ، فهي تعني " كل أمه " من أول الأمم إلى آخرها، بل و كل أمه على الإطلاق ممن سيكون حاضرا في يوم الحساب . فلا أقل الجن و الإنس . فكل أمم الجن ، و كل أمم الإنس ، سيبعث الحق تعالى شهداء فيهم من أنفسهم ، و هؤلاء هم الشهداء النسبيون ، أي شهادتهم محصوره بأمه معينه . فهي شهاده محصوره بالزمان و المكان . و لكن القرءآن يقرر بأن الخاتم له مقام فوق هذا المقام ، إذ هو " على هؤلاء شهيدا " كما أن الله " على كل شئ شهيد " (و هنا ترى الفرق بين "شهيدا على هؤلاء" التي هي خصوص أمته التي بعث فيها ، كقوله " إن هؤلاء ليقولون " فكلمه "هؤلاء" ترد و يقصد بها خصوص أمته ، و كذلك ترد مطلقه ، و هي التي فرق بينها قوله "على هؤلاء شهيدا" و هذا أحد الاعتبارات في الآيات المباركه) . فشهادته مطلقه ، تحيط بكل زمان و مكان . و حيث إن الكليه الثابته القائله " و إن من أمه إلا خلا فيها نذير " و "لكل قوم هاد" و "لكل أمه رسول" . فإن هذا يعني أن ذات الخاتم حاضره و شاهده على كل هذه الأمم . فهو صاحب الشهاده المطلقه . و لولا حضوره و ديمومته لما كان لشهادته أي معنى و ثبات . و لا تكون شهاده

بعلم . فشرط الشهاده أن تكون بالحق و بالعلم ، " إلا من شهد بالحق و هم يعلمون " و " كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم " . قد يقال : إن الخاتم سيشهد على هذه الأمم لأن الله قص عليه في القرءآن قصصهم و كيف أن رسلهم بلغوا و أن الأمم ءامنت أو جحدت . الجواب : هذا باطل قطعا ، و أقل ما يقال في رد هذا القول هو أن هذا القرءآن ليس فيه قصص كل الأمم و كل النذر و الرسل و الشهداء ، و قد نص القرءآن على ذلك إذ قال " منهم من قصصنا عليك و منهم من لم نقصص عليك" . فلو افترضنا أن النبي ينظر في هذا القرءآن و "يعلم" بأن نوح بلغ رسالته و أن معظم قومه كفروا به ، و أن شهاده النبي ستكون بناءآ على ذلك (كما تزعم بعض روايات المنافقين جزما) فإذن هذا يعني بالضروره أن يكون في هذا القرءآن ذكر لكل قصص الأمم كلها جنها و إنسها ، قديمها و حديثها . فأما كون هذا القرءآن لا يحوي كل قصص الأولين فهو ثابت بالنص و بالاستقراء البديهي الذي يعلمه حتى أجهل البشر . و أما كونه لا يحوي كل قصص الآخرين ، فهو أوضح من سابقه ، إذ بديهي أنه ليس في هذا القرءآن ذكر لهذا العصر و أهله و ما يقومون به . و إنما ذكر في هذا القرءآن نحو ثلاثين نبي و رسول و إمام و شهيد . و كفى بنص " و منهم من لم نقصص عليك " كفاصل نهائي لهذا الاعتراض الفكري - و هو اعتراض ظاهري أجبنا عنه بإجابه على مستوى النقض و الرد الكافي للقطع عند أهله و أما جواب الحل فلا مجال للدخول فيه الآن . ثم إن شهاده الشهيد على قومه لا تكون بقراءه شئ عنهم في كتاب معين ، و إنما تكون كما قال عيسى "ما دمت فيهم" فإن ارتفع هذا الشهود الحي و الحضور الكاشف فإن ركن الشهاده الأساسي يبطل و يسقط واجب الشهاده عن الكائن . ثم إن قصص القرءآن ليست قصص تاريخيه بالمعنى السفلي الميت ، و هذا جواب من مستوى أرقى لا نريد أن ندخل في تفصيله هنا ، و لكن نذكر هذه الإشاره لمن كان له عقل راقي . فالحاصل أن الشهاده المقصوده من قوله سبحانه " و جئنا بك على هؤلاء شهيدا " تعني أن ذات الخاتم ليست كذات بقيه الأنبياء و الرسل و الأئمه و الشهداء . فذات الخاتم مطلقه (و هو دون إطلاق الحق تعالى بالبديهه و إنما المقصود الإطلاق في حدود الخلق و الشهاده و سياق كلامنا يقيد المعاني بلا حاجه لوضع تأكيدات و قيود خارجيه) و ذواتهم مقيده نسبيه . فكل واحد منهم يشهد في حدود أمته ، و لكن ذات خاتم النبيين تشهد على الجميع ، إذ هي الدائمه الحاضره الكاشفه لكل ما يدور في السموات و الأراضين و ما بينهما . و هذه كاشفيه تعلو على مجرد شهود تبليغ الرسل و الأنبياء و نحو ذلك لأمر الله و رسالاته . بل هي تشهد على حقيقه كل مخلوق و كيف أنه مسبح لله تعالى ، و اقرأ إن شئت " ألم تر أن الله يسبح له من في السموات و الأرض " . فهنا رؤيه ، و رؤيه مطلقه لكل من في السموات و الأرض ، و رؤيه مشاهده لمقام الله تعالى ، ثم كاشفه لتسبيح كل مخلوق في السموات و الأرض لذاك المقام الأقدس - تبارك اسمه . و اقرأ عن شهوده لسجود كل شئ لله ، و غير ذلك من مشاهدات الخاتم المحيطه بكل عوالم الخلق ، أي الكرسي الذي وسع السموات و الأرض .

و من الآيات كذلك آيات الأوليه . " أنا أول المسلمين " و التي لم يقلها أحد غير الخاتم . و "أنا أول العابدين " و طبيعي أن يكون أول المسلمين أيضا أول العابدين . و لكن ما قد يقال هنا هو أن " أنا أول المسلمين " تعني : أول المسلمين في زمنه هو . فما الجواب عن ذلك ؟ الجواب : إن من يفقه كل ما سبق أن ذكرناه لن يخطر بباله هذا الاعتراض أصلا . إنما يخطر هذا ببال من سبق أن قطع بالبشريه المطلقه للنبي ، فهم ورثه " إن محمدا قد مات " و لا يعرفون ما وراء ذلك . و هذا مثال جيد على كيف أن العقيده غالبا ما تحجب الإنسان عن المعرفه . و لكن لندع كل هذا جانبا ، و لندع حكمنا في نفسيه و ذهن هذا القائل و لننظر في نفس هذه المقوله ، فهل يا ترى لها وزن قرءآني . و السؤال يمكن حله بذكر آيه واحده ، إذ يقول القرءآن عن أناس في عهد النبي - كما في سوره

القصص - " الذين ءاتينهم الكتب من قبله هم به يؤمنون . و إذا يتلى عليهم قالوا ءامنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين. أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا " فالنبي - في حضوره الأرضي - لم يكن " أول المسلمين " . بل كان يوجد قبله و قبل أن يتنزل عليه هذا القرءآن مسلمون . " إنا كنا من قبله مسلمين " . و بالتالي لا يكون قوله " و أنا أول المسلمين " صادقا ، بل يتناقض مع ما ذكر في سوره القصص عن وجود مسلمين من قبله . هذا من حيث النص القرءآني . و أما من حيث النص الواقعي ، فإنه إن عرفنا أن الإسلام دين الفطره ، و أنه دين الإنسان الحي ، فإن الواقع يرجح بشده وجود أناس في الأرض ، شرقها أو غربها ، في عهد الرسول سلام الله عليه ممن تنطبق عليه حقيقه الإسلام و الفطره الإنسانيه ، لا أقل من العرفاء و العلماء في الهند أو الصين أو غير ذلك من بقاع الأرض . فالنص القرءآني و النص الواقعي المنظور له بعين النص القرءآني يشهدان على وجود مسلمين قبل بعثه النبي عليه السلام بل و بعد بعثته و نزول القرءآن عليه . و على ذلك ينتفي معنى و مصداق " أنا أول المسلمين " بحسب ذلك الرأي طبعا .

و من الآيات كذلك قوله " إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم و منك و من نوح و ابرهيم و موسى و عيسى بن مريم " . لاحظ تقديم ذكر الخاتم على نوح . و هو أول نبي أرسله الله للأرض - ممن ذكروا في القرءآن . فبعد أن ذكر جمله النبيين اختص خمسه بالذكر ، و قدم ذكر محمد الخاتم على نوح و ابرهيم و موسى و عيسى . فما معنى هذا التقدم ؟ إن نوح قال أنه "من المسلمين" و من سواه و ممن بعده كذلك . و لكن إذا قرأت قول الخاتم " أنا أول المسلمين " تبين لك سر التقديم .

و من المواضيع الكبرى - و هي من خواص العرفان المقدس - هو موضوع : مقامات الملائكه . و لعل الله يبسط لنا فنضع كتابا خاصا بهذا الموضوع الجليل ، و لكن جمله القول فيما يخص هذا الكتاب هو التالي . إن الله تعالى ذكر أن الملائكه كلهم أجمعون سجدوا لآدم ، الذي تعلم الأسماء كلها من رب النبي ، ثم أنبأ الملائكه بها . و هذا يظهر علو مقام هذا الآدم على "الملائكه كلهم أجمعون " و قد بينا في كتب أخرى أن هذا ليس بتكرار و لا "تأكيد لغوي" و ما أشبه من سذاجه الشعراء و منطقهم الفوضوي في النظر في القرءآن العظيم . و إنما هو لأن الملائكه هنا المقصود بهم مقامات مختلفه من الملائكه ، و قد ذكر القرءآن وجود ملائكه وكلاء ، كملك الموت " قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم " و بالتالي يوجد ملك حياه و ملك خلق و ملك رزق . و لكن تحت الملائكه الوكلاء يوجد ملائكه جنود ، كقوله في الموت " توفته رسلنا " و "الذين توفاهم الملائكه ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم " ، فواضح أن ملك الموت فرد ، " قل يتوفاكم ملك الموت" و لكن التوفي تم بجمع " توفته رسلنا " فهي طبقه أخرى من الملائكه دون الأولى . فالملائكه - كما قالوا هم بأنفسهم - " ما منا إلا له مقام معلوم " . و بعضهم يأمر و البعض الآخر يطيع ، كما قال عن ملك الوحي " مطاع ثم أمين " فبما أنه مطاع ثم ، فهذا يعني أنه يوجد من يطيعه ، و بالتالي من هو دونه في المقام ، كما أنه يوجد رسل و أنبياء و يوجد من أقوامهم من المؤمنين من هو دونهم في المقام فهو مأمور بطاعتهم " يأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم " . فكما أنه يوجد تفاضل في الرسل " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض " و تفاضل في النبيين " و لقد فضلنا بعض النبيين على بعض" فكذلك يوجد تفاضل في المؤمنين كما قال داود و سليمان " فضلنا على كثير من عباده المؤمنين " ، غير ذلك من درجات و دركات العالمين . فالملائكه ليسوا على نمط واحد ، و مقام واحد و شاكله واحده . فالله حين قال " فسجد الملائكه كلهم أجمعون " فبقوله " سجد الملائكه " عنى طبقه ، و بقوله " كلهم " عنى طبقه ثانيه ، و بقوله " أجمعون " عنى طبقه ثالثه . و هي الثلاثيه التي تدل على

العوالم الثلاثه الأساسيه ، العرش و السموات و الأراضين . فيوجد ملائكه العرش ، سواء الحاف منهم به أو حملته . و يوجد ملائكه السموات . و يوجد ملائكه الأراضين . و كل هؤلاء سجدوا لآدم المذكور .

فإذا سعينا وراء مزيد من التفصيل ، سنرى أن القرءآن ذكر سبعه عشر مقام من مقامات الملائكه . و هم : الصافات و الزاجرات و التاليات و الذاريات و الحاملات و الجاريات و المقسمات و المرسلات و العاصفات و الناشرات و الفارقات و الملقيات و النازعات و الناشطات و السابحات و السابقات و المدبرات . و ذكر على وزن آخر : المسبحون و المرسلون . و يمكن أن نستنبط من سوره القلم : المسطرون . و من المناسبات أن يكون عدد المقامات المذكوره للملائكه - من الصافات إلى المدبرات - هو سبعه عشر مقاما . بعدد حروف النور الوارده في آيه النور (ذكر " نور " ثلاث مرات ، و "نوره" مرتين ، فمجموع الحروف سبعه عشر حرفا - بعدد ركعات الصلوات الخمس ، بالإضافه إلى أن أجنحه الملائكه المنصوص عليها مثنى و ثلاث و رباع ، و الصلوات الخمس أيضا إما مثنى أو ثلاث أو رباع ، فليعقل أهل العقل) . فإن أضفنا المسبحون و المرسلون ، أصبح العدد تسعه عشر . و هذا عدد حروف البسمله ، و ملائكه النار . و لكن لنرجع إلى أصل الكلام . و هو أن كل هؤلاء الملائكه ، من العرش إلى الأرض ، سجدوا للخليفه . و هنا ملاحظه على ما ذكره بعض الإخوه : و هي أنهم لما وجدوا سجود كل الملائكه لآدم ، و عرفوا شئ من مقام الخاتم ، و بالتالي علو مقام الخاتم على آدم ، لم يجدوا وسيله لفهم هذه المفارقه الظاهره ، إذ كيف يمكن أن تسجد كل الملائكه لآدم و هو بنص القرءآن " لم نجد له عزما " و "عصى ءآدم ربه فغوى " . فحتى يخرجوا من هذه المفارقه قالوا بحل عجيب و هو أن آدم المذكور في هذه القصه هو ليس آدم أبو البشر الذي عصى و ليس من أولي العزم . و أن المقصود بآدم قصه السجود هو عين خاتم النبيين . و لكن هذا لا يستقيم من حيث الظاهر و إن كان لب المعنى صحيح. و قالوا أن " إني جاعل في الأرض خليفه " لا تحصر مدى الخلافه ، و لكن فقط تظهر أن للخليفه بعد أو حيثيه أرضيه بشريه - " أنا بشر مثلكم" لأنهم قد عرفوا أن مقام خاتم النبيين فوق السموات و الأراضين ، فضلا عن " الأرض " فقط المذكوره في قصه السجود. و حيث إن كل الملائكه سجدوا لهذا الآدم ، فإن هذا يعني أن لهذا الآدم حيثيات عرشيه و سماويه و أرضيه . و قالوا أيضا أن " علم ءادم الأسماء كلها " تعني الأسماء الحسنى ، و على ذلك يكون هو خليفه الأسماء الحسنى كلها و مظهرها الأتم ، أو "مظهر الإسم الأعظم " بتعبيرهم . فما الجواب عن كل ذلك ؟ الجواب : إن هذا مثال من أفضل الأمثله التي يمكن أن تضرب لإنسان عرف الحقيقه فأخطأ طريق شرحها . كل ما ذكروه عن حقيقه مقام الخاتم صحيح لا ريب فيه . و لكن ربط هذا المقام بآدم قصه السجود لا يستقيم ظاهريا . و ذلك لأن القرءآن لم يفصل هذا الذي قالوه و لم يبين وجود أكثر من آدم ، و إن هذا من أسوأ البيان إن صح ما ادعوه و منشأ لاضطراب عظيم . فلا يوجد ما يمنع أن يقول الحق تعالى " و علم محمد الأسماء كلها " و يسوق القصه على هذا النحو . ثم إننا إذا نظرنا إلى قصه آدم كلها ، و خصوصا الآيات من سوره البقره و التي هي محور القصه ، فإن تكمله القصه تظهر أن نفس هذا الآدم هو آدم الهبوط و العصيان . فتحويل الكلام من آدم إلى آدم آخر بدون أي إظهار لذلك في عموم القرءآن و خصوص آيات سوره البقره أو غيرها هو من البيان المضطرب بل البالغ الحد في الجهاله . و مما لم يلتفت له الإخوه هو أنهم حين مروا على قول الملائكه "أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء " قال الإخوه - و قد صدقوا - : إن الله لم ينكر أن هذا الخليفه سيكون ممن يفسد في الأرض و يسفك الدماء . و بناءا على عقيده الإخوه في عصمه الخليفه و طهارته التامه ، فإنه كيف استقام لهم أن يظهر الفساد

من الخليفه و لم يعقب الحق تعالى على ذلك بنقض أو رد . و مما يؤخذ كذلك على الإخوه بناءا على مبانيهم هو أنهم يروون عن النبي الخاتم أنه قال " كنت نبيا و آدم بين الروح و الجسد " فواضح أن المقصود هو آدم قصه السجود الذي كان بين " نفخت فيه من روحي " و أطوار التراب و الطين و الصلصال و ما سوى ذلك مما قصه القرءان . و بالتالي فالخاتم عليه السلام لم يماهي ذاته بذات آدم قصه السجود . و آخر ما نعلق به للإختصار هو أن مقام خاتم النبيين الذي هو "أول مخلوق" على الإطلاق ، و " الصادر الأول " بتعبيرهم ، ينفي وجود السموات و الأرض ، فضلا عن الملائكه و ابليس و الجن الذي تفترضه كله قصه السجود لآدم . و لا أدرى كيف فاتهم هذا الأمر و هو وحده يكفي لأن ينقضوا كل هذا التماهي بين آدم قصه السجود و بين خاتم النبيين الذي هو أول مخلوق إذ هو أول المسلمين و العابدين . إن قصه السجود جاءت في سياق وجود السموات و الأرض و الجن و الملائكه ، ثم جاء الأمر بخلق آدم و جعله و ذريته خليفه في الأرض . و بالتالي يستحيل أن يكون هذا الآدم هو " أول مخلوق " و "الصادر الأول " . بل لا يعقل بل يستحيل أن يكون إسلام الملائكه فضلا عن السموات و الأراضين قد وجد من قبل إسلام الخاتم الذي هو أول المسلمين . و قد علمنا أن إسلامه هو كان السبب و المدد لإسلام السموات و الأراضين و ما فيهن منذ الخلق الأول حتى الأبد و إلى ما شاء الله . كل إسلام لله و كل عبوديه لله إنما هي فيض من شمس مقام الخاتم الأول . و قصه السجود - كما في سوره البقره و غيرها - تنقض كل ذلك بناءا على نظريه الإخوه التي تماهي بين الخاتم و بين آدم . فالحاصل ، إن هذه النظريه مرفوضه تماما . و آدم القصه هو خلق جاء في نهايه سلسله المخلوقات السماويه و الأرضيه . فهو من "تراب" و كان في محضر "الملائكه" و "ابليس" الذي هو من "الجن" و غير ذلك . و مقام الخاتم الأول يسبق كل ذلك ، فلا تماهي حتما. و لكن مع ذلك يوجد دلاله تمثيليه على الحقيقه الخاتميه المحمديه في قصه آدم السجود . و الواقع أن سجود الملائكه كان لأن آدم القصه كان حاملا لنور الخاتم ، و من هذه الحيثيه صح التأويل بحسب نظريه الأخوه الذين ذكرناهم . فللخاتم مقام تعالي و حال تجلي . في قصه آدم يتم ذكر حال التجلي. و أما ما فصلناه من قبل فهو مقام التعالي . و لكل تعالي تجلي . " إنا أنزلناه في ليله القدر " .

إن كل مقامات الملائكه السبعه عشر أو التسعه عشر و كل مقام لهم يمكن أن يتم جمعه تحت آيه " بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون " ، و هذه الآيه يمكن جمعها في كلمه واحده ، و هي " عباد " . و حيث أنهم " عباد " فهذا يعني أنهم دون " أول العابدين " . و بما أنهم قد أسلموا وجههم لله تعالى ، فهذا يعني أنهم دون " أول المسلمين " . فالملائكه و الأنبياء ، و كل السموات و الأراضين و من فيهن ، كل هؤلاء عباد للخاتم الأول عليه الصلاه و السلام . و ما تظهره قصه آدم ، و هي تظهر الكثير ، و لكن من هذا الكثير هو أن الملائكه تأخذ بعض أو كل الأمور من الحق تعالى بوسيله و توسط . فكان بعض ما أخذته هو ما تعلمه آدم من الأسماء . و لكن هذا الآدم قمر استمد من شمس الخاتم . و لهذا ورد في أول القصه "إذ قال ربك للملائكه " . فقوله " ربك " يعني رب النبي الخاتم . فهو "ربك " و قد علمت أن الربوبيه لا تكون إلا لمتحقق بالعبوديه فعلا ، بالتالي فهو قائم بالعبوديه . و لولا أن لهذا المعنى مدخليه في القصه لما قال القرءآن " إذ قال ربك للملائكه " بل لقال مثلا " إذ قال الله للملائكه " أو نحو ذلك . و لكنه ذكر " ربك " في هذا المقام حتى يشير إلى هذه الحقيقه في هذا السياق . فقد كان الخاتم قبل آدم . كان عبدا مسلما و هو أول عبد و أول مسلم للحق تعالى على الإطلاق ، فهو بالتالي أول مخلوق على الإطلاق . و إن كان من مقامات الملائكه أنهم "المدبرات أمرا " فإن هذا المقام شعاع من مقام المبدأي للخاتم الذي هو مدبر كل الخلق ، و ربه هو مدبره هو . و قس على ذلك بقيه المقامات الملائكيه . فالملائكه عباد النبي . و النبي عبد الله . و كل

نبي أرضي نسبي يعتبر من حيثيته الأرضيه عبد للملاك السماوي الذي أوحى له ما أوحى . و أول آيات سوره النجم تبين ذلك بوضوح ، لولا أن العقيده الفقيره ذوقيا تدخلت مره أخرى فشوشت على قلوب بني آدم . إذ يقول " علمه شديد القوى " و هو الملاك " ذو مره فاستوى . و هو بالأفق الأعلى " أي الملاك نفسه " ثم دنا فتدلى " أي الملاك نفسه " فكان قاب قوسين أو أدنى " من الرسول " فأوحى " الملاك " إلى عبده " أي الرسول " ما أوحى " . إن الإشكاليه بدأت في أذهان الناس حين قرأوا " فأوحى إلى عبده ما أوحى " فقالوا : كيف يكون المقصود هو الملاك ، أفيكون الرسول عبد للملاك ؟ فمنهم من رفض هذا بناءآ على أن مقام الخاتم - كما عرفنا - هو بالعكس تماما إذ الملائكه عباد له ، فؤلاء رفضوا بناءآ على حقيقه خاتم النبيين التي هي فوق العرش . و لكن البعض الآخر رفض هذا بناءا على فهمهم السقيم لمعنى العبوديه و التوحيد ، فظنوا أن كون الرسول عبد للملاك يعني شرك من نوع ما . و البعض الثالث رفض بناءا على نظريه أفضليه الأنبياء على الملائكه ، و بالتالي لا يكون الفاضل عبد للمفضول ، و حيث إن الملائكه سجدت لآدم ، فإن اعتبار الرسول عبد للملاك هو قلب لهذه الموازين الثابته . و البعض قال " فأوحى إلى عبده " ترجع إلى الله تعالى ، أي الله تعالى أوحى إلى عبده بواسطه هذا الملاك ما أوحى . فضمير " عبده " يرجع إلى الله تعالى - و هذا مما لا مراء فيه ، و لكنه لا يحل شيئا . فالعبوديه ثابته لكل من يلقي العلم على من يتلقاه و يقبله . و الجواب عن كل ذلك لا يكون إلا بالتفريق بين المقامات . فمقام الخاتم الفوق عرشي ، و هو الأوليه المطلقه يختلف عن أحواله الأرضيه و ظهوراته فيها . تلك الحقيقه المتعاليه هي التي ينطبق عليها " أول المسلمين " و "أول العابدين " و بالتالي الواسطه المطلقه للفيض الإلهي . و لكن المظاهر الأرضيه ، و هي متعدده و متحوله و متغيره و زائله و ميته و ظليه ، لا ينطبق عليها نفس ما ينطبق على الحقيقه المتعاليه . و من أمراض الوثنيه نسبه المعنى المتعالي للمظهر السفلي . نعم ، إن المظهر السفلي من حيث أنه " مظهر " يعتبر بالعقل كاشف و "آيه" لتلك الحقيقه العلويه ، و لكنها لا تتطابق معها من كل الجهات . فهذا يشبه كون هذه الشمس السفليه هي أيضا حقيقه الروح . هذا من باب المثل و الممثول ، و الرمز و الحقيقه . و العقل الروحاني يرى الجوهر في الصور ، و يتعامل مع الصور إلى حد كبير و كأنه نفس الجوهر . و لكن هذا إلى "حد كبير" فقط ، و ليس بالمطلق . بالمطلق يعني الوثنيه و الصنميه ، بل هو أمر باطل عقلا و قرءانيا . و هو يشبه إلى حد ما التعاطي مع الصوره الظاهره في المرآه و كأنها نفس عين صاحب الصوره . نعم إن الصوره المرآتيه تمثل صاحب الصوره ، و لكنها ليست نفس صاحب الصوره بالتمام و الإطلاق . الفرق دقيق و يحتاج إلى بصيره ثاقبه للتفريق بين الأمرين . و لكن في كل الأحوال ، يوجد فرق في الطبقات و المقامات ، و المساواه بين هذه الأمور هو من الكفر و الفقر الذوقي . و هذا ما لم يحسن أن يعقله من يقرأ بعض الآيات التي تتحدث عن النبي بإطلاقيه ، كآيات الأوليه و الشاهديه و الأبويه الربوبيه و الخاتميه ، ثم يقرأ بعض الآيات التي تتحدث عن النبي بنسبيه ، كآيه الموت و البشريه ، فلا يجد وسيله للجمع بينهما إلا بقتل أحدهما أو الغفله عنه أو تحريفه . إن التعارض بين هذه الآيات لا يوجد إلا في ذهن الفقير . إن الأولى تتحدث عن مقام ، و الثانيه تتحدث عن مقام آخر . الأولى تتحدث عن حيثيه متعاليه على كل الخلق ، و الثانيه تتحدث عن حيثيه في حدود عوالم الخلق . فمن الطبيعي و المنطقي أن تكون للأولى أحكام و حقائق غير الثانيه . و أول هذه الأحكام هو أن الأولى مطلقه ، و الثانيه نسبيه . و لهذا ورد مره "بذلك أمرت و أنا أول المسلمين " ، و ورد مره أخرى "أمرت أن أكون أول المسلمين " . فالأولى تقول " أنا أول المسلمين " فهي مطلقه ، و تتحدث عن ذلك المقام المتعالي للحقيقه المحمديه . فهي تدل على مقام الذات من حيث هي . و لذلك وردت بصيغه " أنا " . و لكن الثانيه تتحدث عن المقام في عالم التكوين و الصيروره و التكامل ، فجاءت الصياغه " أمرت أن

أكون أول المسلمين " لاحظ قوله " أن أكون " فهي سعي للكون ، فهو ليس أمر ناجز و مفروغ منه . و هذه الثنائيه بين الأمر الناجز و بين الأمر المتكون تظهر كثيرا في العرفان لأنها تدل على حقائق وجوديه . و من أبرز الأمثله في هذا السياق مسأله الخلق . فالقرءآن مره يقول " إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " . و لكن مره أخرى يقول " خلق السموات و الأرض في سته أيام " . فلاحظ كيف أنه مره " كن فيكون" فلا زمان و لا وقت و لا شئ من هذا القبيل . و لكن مره " في سته أيام " أيا كانت حقيقه هذه الأيام السته ، و لا أقل أن يكون معناها كما هو ظاهر فيها أنها عدد معين ، و لا أقل أن هذا العدد ليس نفس مدلول "كن فيكون" . ف "كن فيكون" مطلقه ، و "في سته أيام" نسبيه . و هذه الثنائيه يمكن أن نطلق عليها ثنائيه عالمي الحق و الخلق . ففي عالم الحق إطلاق ، و في عالم الخلق نسبيه . في عالم الحق الكمال ، و في عالم الخلق التكامل . فحقيقه الشجره كائنه في عالم الحق ، و لكن ظهور الشجره و تكاملها في عالم الخلق يحتاج إلى أسباب و وقت . فتأمل . كل ما يظهر في الخلق بتدرج و تسبيب ، كامن في عالم الحق بكماله و مثاله و كينونته و حقيقته . فذلك هو الحق ، و ما هذا الظاهر في الخلق إلا ظل ممدود لأجل معدود. "و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم " . أما ذاك الحق فهو عالم الحقائق و الخلود ، و هو بحر الجود الذي يمد كل وجود في عالم القيود و الحدود . و قد ظهر هذا الاختلاف - الذي هو أول اختلاف ظهر في الأمه بعد وفاه النبي عليه السلام - بين من ينظر بعين الحق و من ينظر بعين الخلق . فقال من ينظر بعين الحق - و هو حضره علي عليه السلام - حتى بعد الوفاه الأرضيه للمظهر الأعظم للحقيقه المحمديه - " أنا عبد من عبيد محمد " . و لكن قال من ينظر بعين الخلق " من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات " . و بديهي أن أكثر الناس الذين لا يعلمون و لا يذكرون ساروا على نهج من يتحدث بعين الخلق ، فكان ما كان مما أعرفه و تعرفه ، فدقق بعقلك و تأمل في حقيقه الخبر .

إن العلاقه بين النبي المتعالي و النبي الأرضي ، هي كالعلاقه بين القرءآن المتعالي و هذا القرءآن العربي . فالأول مطلق و الثاني نسبي . الأول " الرحمن علم القرءآن " و الثاني "بلسان قومه " . الأول " و لو أن قرءآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى" و " لو أنزلنا هذا القرءآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشيه الله " و أحسب أن الجبال لا تتكلم باللسان العربي ، و الثاني " إنا جعلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون " و "لقد يسرنا القرءآن للذكر " . فالقرءان الذي تيسر للذكر ليس عين القرءان قبل التيسر للذكر . المتيسر نسبي بلسان قومه ، و الغير متيسر و هو المجرد هو الحقيقه الذاتيه للقرءآن التي قال عنها " و إنه لفي أم الكتب لدينا لعلي حكيم " و "بل هو قرءآن مجيد في لوح محفوظ " . فاعقل العلاقه بين القرءآن المطلق و النسبي ، و لعل عقل العلاقه بين النبي المطلق و النسبي تتبين بعد ذلك . و " من لم يجعل الله له نورا فما له من نور " .

...

الأنا ليست بسيطه ، بمعنى سخيفه . و إنما هي بسيطه بمعنى معقده . فهي كثره ، و إن كان لب لبها ، ككل الكون ، هو وحده وجوديه صرفه . و هذا عن كل أنا . و لهذا نجد أن تعينات الأنا في كل القرءآن - كما نرى في هذا الكتاب - هي تعينات متعدده و في مواضع شتى . فالأنا تعقيد و تركيب . و إن كانت "أنا" واحده . و لكنها وحده في عين الكثره . و هذا ينبع من الأنا المطلقه لله تعالى ، الذي جمع بين الوحده و الكثره في ذاته تعالى كما في قوله الحق في سوره طه " الله لا إله إلا هو ، له

الأسماء الحسنى " . فالشق الأول هو الوحده " لا إله إلا هو" و لكن الشق الثاني هو الكثره السماتيه " له الأسماء " . و كل ذات من بعد ذلك تعتبر دونه و هي من حيث أنها دونه تستمد وجودها منه ، و بالتالي لها الخصائص الذاتيه للذات الإلهيه إذ الله يخلق بذاته و يتجلى بذاته ، و إن كان مستوى التجلي يختلف و يتعدد . و لكن الأصل ثابت . و لهذا كان كل شئ موصول بالله ، أيا كان و مهما كان ، و هو مرتبط به بهذه الرابط الافتقاري الذاتي بغض النظر عن سمات الشئ و مستواه الوجودي و الكوني . و حيث إن أنا الله وحده في عين الكثره ، فكذلك - لا نتعجب - من كون كل أنا أخرى أيضا وحده في عين الكثره . و لهذا تجد أنا ابليس تختلف عن أنا النبي . و أنا فرعون تختلف عن أنا يوسف . فهي تختلف من حيث الكثره ، أي نوع و لون و سمات هذه الكثره . أما من حيث الوحده ، فإنه لا يمكن أن تتعدد أصلا الأنا ، لأن الألوهيه هي عين الأنا الغنيه عن العالمين ، ف "أنا" الله هي الأنا الوحيده في الوجود كله . فقوله " لا إله إلا أنا " يساوي القول : لا أنا إلا أنا . و على ذلك تكون الأنا واحده بإطلاق " هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن " . و بالتالي يكون الاختلاف في الكثره السماتيه . فحظ المكونات - و خصوصا الإنسان - من الله تعالى ، هو بحسب حظه من العلم و الصله بأسماء الله الحسنى ، و بحسب استمداده منها . فمدار الكون على كعبه الأسماء الحسنى . و هي خزائن الله . فالافتقار في الواقع هو الافتقار لهذه الأسماء الحسنى. أما عين الذات الواحده ، فإن حظك منها هو الوعي بها . و الوعي بها عين العباده لها . و لهذا قال من قال عن " يعبدون " بأنها : يعرفون . فالعباده لها جانبين : المعرفه بالمعبود و قبول الشهود . أما معرفه المعبود ، فهو عين الوعي المطلق المحض لسر الوجود . أما قبول الشهود فهو أن تقبل بقلبك - الذي هو باب سر الوجود - بأن تعترف و تعرف بأنه ليس لك "أنا" من هذه الحيثيه ، بل الأنا لله وحده من حيث الوحده المحضه . و بالتالي التمسك بأنا وهميه تظن أنها لا تتغير و لا تتبدل ، أي أنها وحده وجوديه صرفه ، فإن هذا أكبر أسباب العذاب و الجحيم ، في الدنيا و الآخره . و لهذا تبدلت أنا كل متأبلس و متفرعن . حتى يعرف أن أناه متعلقه بالكثره ، و ليس بالوحده . بل و ليس فقط أنها متعلقه و متركبه من كثره ، بل حتى أن يعرف بأن هذا التركيب هو من مدد الأسماء الحسنى ، فهو عبد و فرع لهذه الأسماء الأصليه التي هي المبادئ المقدسه للكون كله . فأنت لست مصدر ، أنت عبد . المصدر فوق ، و أنت تحت . هذا هو الدين : أن تعرف هذه الحقيقه . فإن أردنا أن نجمع الدين في حقيقته اللبيه في عباره واحده لقلنا - هو أن يقول الإنسان عن علم : لا أنا لي ، و الأسماء الحسنى مددي. الأولى هي مرآه " الله لا إله إلا هو " . و الثانيه مرآه " له الأسماء الحسنى " التي يدعوه كل مخلوق بها ، بلسان الحال أو المقال أو كلاهما . " لا أنا لي ، و الأسماء الحسنى مددي " قلها تفلح في الدنيا و الآخره . عاندها و لا تلومن إلا نفسك . " و لكل نبأ مستقر و سوف تعلمون" .

فإن أردنا أن نعرف تركيب ذات النبي ، أو أي ذات ، فإنه علينا أول ما علينا هو أن ننظر في ما نسبه لأناه و ما نفاه عنها . أي " أنا " كذا ، و " ما أنا " بكذا . و قد كنا نوينا - كما في التمهيد - أن نسير على نهج معين من أربعه أقسام بترتيب معين ، إلا أنه يخطر لنا الآن تبديل ذلك من حيثيه ما ، و هي أن ندخل في أنا الكفار ، ثم نرجع إلى الأنا المستنيره للملائكه و المؤمنين و أشباههم . و الواقع أننا لم نغير الترتيب ، إذ أنا النبي تشمل كل أنا مستنيره بالتضمن . فبمعرفه أنا النبي نكون قد فرغنا من كل ما تتضمنه من ملائكه و أنبياء و رسل و أهل إيمان بدرجاتهم المختلفه . إذ حظك من النور حظك من شمسه الذي هو رسول الله و خاتم النبيين . الرسول الخاتم الذي هو حجاب الحق و باب الألوهيه و معبود العارفين العالمين من أهل السموات و الأراضين و الوسيله القصوى و روح طه و قمر الحكمه و قلب القرءآن و الجنه.

...
(الأنا السفلى)

بعد أن عرفنا شيئا عن ذات أعلى إنسان ، فلنسير على سنه سوره التين التي بعد أن ذكرت الإنسان الذي هو في " أحسن تقويم " ، أي في المقام الأعلى ، ذكرت بعده الرد إلى " أسفل سافلين " ، حتى يتبين الحال بذكر القطبين المتضادين ، ثم بعد ذلك ذكرت المراتب المتوسطه " إلا الذين ءامنوا " .

و قد ذكر القرءآن أربعه من هؤلاء . و لنبدأ بترتيبهم على حد ظهورهم في القرءآن ، أي من سوره الفاتحه إلى سوره الناس . فيكون أولهم هو حآج ابرهيم ، " ألم تر إلى الذي حآج ابرهم في ربه ، أن ءاتاه الله الملك ، إذ قال ابرهم : ربي الذي يحيي و يميت . قال : أنا أحيي و أميت . قال ابرهم : فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . فبهت الذي كفر ، و الله لا يهدي القوم الظالمين".

التساؤل الأول : من المقصود بقوله " أن ءاتاه الله الملك " ، هل المقصود الحآج أم ابرهيم ، فإن الله قال في حق ابرهيم أنه قد آتاه ملكا عظيما ، أم أن المقصود هو هذا الحآج من حيث أنه عنده ملك دنيوي من قبيل قول القائل لآل فرعون " يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض " ، فهنا قد أثبت أن لهم الملك الظاهري الأرضي . و بالطبع يوجد فرق بين ملك ابرهيم القائم على المعنى العلوي ، و بين ملك فرعون و أمثاله القائم على المبنى السفلي . و لكن يصح قول الملك في كلاهما كما هو ظاهر في القرءآن . يقول " ألم تر إلى الذي حاج ابرهم في ربه أن ءآته الله الملك " فكلمه " أن ءاتاه" فيها دلاله على أن " أن " تفسيريه ، أي تفسر سبب هذه المحاجه . فكأن هذا الحآج أراد أن ينقض ملك ابرهيم من أساسه ، و حيث أن ملك ابرهيم قائم على الحق تعالى و ما آتاه إياه من كتاب و حكم و نبوه و إمامه ، فإن نقض أصل الدعوى نقض لكل فروعها . إلا أن قوله " ءآتاه الله الملك " فيه دلاله على أن المقصود هو ابرهيم . لأنه لا يوجد في القرءآن على حد تذكرنا أن الله تعالى عبر بأنه قد آتى أحد الظالمين الكفار ملكا من لدنه . و إن كان الأصل أن كل ما هو قائم في الخلق هو من لدن الحق حتما . و لكن هذا الإتيان إتيان خاص . و كما قال في قارون " و آتينه من الكنوز " بالرغم من أن قارون كان ظالما مشركا ، إلا أن الفرق هو أن قارون في بدئ أمره " كان من قوم موسى " و الذي يظهر أنه أوتي الكنوز في هذه الحاله ، فعبر عنها بأنه آتاه الكنوز ، و لكن لما تحول إلى حاله "فبغى عليهم" كان ما كان و يكون . إلا أنه لا يوجد أن الله آتى فرعون و آله الملك . و يزيد تأكيد هذا الاستبناط أن الذي بدأ في المحاجه هو ابرهيم ، " إذ قال ابرهم : ربي الذي يحيي و يميت . قال : أنا أحيي و أميت " . و لاحظ بدايه محاجه ابرهيم أنها كانت بكلمه " ربي " . و هو ما ذكرناه من أن أصل الدعوى قائم على هذه الربوبيه الخاصه . فابرهيم بدأ بذكر " ربي " و هو تجلي الله الخاص له بالعطاء الخاص . و لكن لما كفر الكافر بهذه الربوبيه الخاصه ، تحول ابرهيم عن ذكر ربه الخاص إلى ذكر الله العام ، " فإن الله يأتي بالشمس من المشرق " . فالظاهر أن المقصود بقوله " أن ءاته الله الملك " هو ابرهيم . و حاجه من حاجه بناءا على ذلك ، أي بناءا على أن ابرهيم قال أن الله قد آتاه الملك .

التساؤل الثاني : ما هو هذا الملك ؟ الملك يعني وجود مملوك . و الله هو " مالك الملك " . و يوجد فرق بين مالك و ملك . فمالك الشئ هو الذي يملك أصل الرقبه ، و لكن الملك هو الذي يتحكم و يتصرف في الرقبه . فمثلا ، مالك البيت هو الذي صك البيت باسمه فله الحق في بيعه وتأجيره و التصرف فيه في حدود الشرع . و لكن قد يأذن المالك لأحد أصحابه في أن يستعمل البيت لمده سته أشهر ، فيكون هذا الصاحب هو ملك البيت في هذه المده . فالمالك له حق الملك ، و لكن الملك ليس له قوه و أصل المالك . و لهذا ورد في القرءآن في سوره الفاتحه المباركه " ملك يوم الدين " و كذلك في آيه آل عمران " اللهم ملك الملك تؤتي الملك من تشاء " . في كلتا الآيتين خط المصحف هو "ملك " و لكن في الفاتحه يوجد قراءه " مالك يوم الدين " و هي المشهوره ، و كذلك في قراءه آل عمران " اللهم مالك الملك " . و السبب في خط هذه الكلمه بحيث تحتمل القراءتين هو أنها لو خطت " مالك " لما احتملت معنى " ملك " ، و لكن لو خطت " ملك " لاحتملت معنى " مالك " و هو ما وقع . لأن الله هو المالك و الملك . فمالكيته مطلقه لا يمكن أن تتحول أو تتنزل أو توهب أو تفوض بقيود أو بغير قيود لأحد . و هذا أمر يتعلق بنفس ذاته سبحانه . و أما الملك فهو ما ثبت تنزيله و إعطاؤه لعباد الله من الصالحين كابرهيم و من الكافرين كفرعون . و لهذا ورد في حق داود مثلا نفس هذه العباره و هذا مما يزيد التأكيد في الاستنباط ، إذ يقول في سوره البقره أيضا في قصه طالوت و جالوت ، "و قتل داود جالوت ، و ءآته الله الملك و الحكمه و علمه مما يشاء ". و لهذا قال مثلا في حق الأموال "و أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ". فهذا الاستخلاف هو تنزيل الملك من لدن الحق إلى الخلق . فمن كان تصرفه في حدود الله ، فهو خليفه الله و من آتاه الله الملك في شأنه الخاص . و من تعدى هذه الحدود فهو كالفرعون و أمثاله . فالملك المتنزل من عند الله للإنسان مقيد في حدود الشريعه . و إلا فليس بملك و خلافه و لكنه فرعنه . و قال الله في حق ابرهيم و آله " أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب و الحكمه و آتيناهم ملكا عظيما " .

فظاهر من قوله في ابرهيم و آله هنا ، و قوله في داود ، أن الملك غير العلم و غير الحكمه و غير الكتاب . و لا يمكن اختزال أحدهم في الآخر حتى و إن وجدت بينهم مشتركات و صلات بالطبع . فأولا آتاهم الكتاب و الحكمه ثم ذكر أنه آتاهم الملك بفصل بين الإتياء الأول و الثاني ، مما يدل على أن الأول مقدم على الثاني من جانب ، و بالتالي هو كالشرط و المقدمه له . و هذا بديهي ، إذ إن كان الملك من لدن الله يفترض التصرف في حدود الله العلميه و الحكميه و الفعليه و الشرعيه ، فإن هذا يقتضي أن يكون من آتاهم الله الملك عندهم هذا العلم و الحكمه و الكتاب و الشرع . و هل يتفرعن من يتفرعن إلا بالجهل بهذه الأمور و عدم رسوخها فيه و رسوخه فيها . و لكن في داود قدم ذكر إتيان الملك على الحكمه و التعليم ، و جعل الثلاثه في سياق إتيان واحد ، فإن كان يدل على تقديم إتيان الملك ، و لكن كون الثلاثه في سياق واحد دليل على أن الثلاثه قد جاؤوا دفعه واحده في الأصل ، و لهذا قال في داود بعد ذلك " يداود إنا جعلناك خليفه في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق و لا تتبع الهوى " . و الحق هنا هو ما أوتيه من وحي ، كما قال في النجم " و ما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى" . فكل ما لم يكن من الهوى فهو من الحق ، و كل ما كان من الحق فله حظه من الوحي بقدر حظه من الحق . فالحق و الوحي في طرف و الهوى في طرف آخر ، و العلاقه بينهما تشبه العلاقه بين المشرق و المغرب ، كلما ازداد الاقتراب من أحدهما ازداد البعد من الآخر . و لهذا المعنى و غيره يأتي ذكر النجاه دائما بالحركه صوب المشرق ، كما في موسى " فأتبعوهم مشرقين " ، و كما في مريم حيث اتخذت من أهلها " مكانا شرقيا " . فالمشرق عباره عن الحق و العقل و الوحي و المغرب عباره عن الهوى بدركاته المتعدده . و كذلك يزيد في تبيين معنى الملك قول موسى لبني اسرئيل بعد أن نجوا من آل فرعون و صاروا على أعتاب الأرض المقدسه " و جعلكم

ملوكا ". فالملك هنا هو الضد من قول فرعون من قبل في حق هؤلاء " و قومهما لنا عابدون " فالعبوديه لفرعون تعني أن أمورهم أصبحت بيده ، و حيث أنه عباره عن الهوى و دركاته ، فإن هذا يعني أن أمرهم أصبح بيد أهل المغرب و السفاله فكانوا كمن أمرهم بيده . فقول موسى لهم بعد هذا التحرر من آل فرعون " إذ جعل فيكم أنبياء ، و جعلكم ملوكا ، و آتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين " يدل على أن هذه الملكيه هي التصرف في النفس بحريه عن الأغيار . فإذن ، هل قول القرءآن في حق ابرهيم " أن ءاتاه الله الملك " المقصود به هو ملك ابرهيم على نفسه أم ملك ابرهيم على غيره أو كلاهما ؟ الأظهر من المحاجه أن القرءآن يقصد المعنى الأول ، أي ملك ابرهيم على نفسه . و سياق المحاجه يظهر هذا المعنى . فابرهيم يقول أن ربه هو الله ، و أما الذي يحاجه يريد أن يجعل ابرهيم يتخذه هو ربا له ، بناءآ على أن ما قاله ابرهيم في ربه ينطبق كذلك عليه هو . فابرهيم يقول " ربي الذي يحيي و يميت " . فكأن الذي حآجه قال : إن كان هذا هو سبب عبادتك لذلك الرب ، فإنه حيث يوجد السبب يوجد الأثر ، و هذا السبب الذي ذكرته من الإحياء و الإماته ينطبق علي كذلك ، إذ "أنا أحيي و أميت " ، بالتالي يجب عليك أن تعبدني أنا . و ابرهيم لم يعلق له على قوله هذا ، لأنه من حيثيه ما صحيح فعلا ، فإن الله تعالى قد أنزل قدره بعض الخلق على قتل البعض الآخر ، فيكون سببا للموت ، و كذلك أن يعيله و يطعمه فيكون سببا للحياه . فابرهيم نظر إلى السبب الأول و الأكبر و الذي هو في الواقع قائم في كل سبب دون ذلك أيضا ، إذ الله فعال مع الواسطه و بالواسطه و بدون الواسطه . و لكن هذا الكافر نظر إلى ما عنده من قوه و قدره فقال ما قال ، كما قال قارون " إنما أوتيته على علم عندي " ، و لسان حال كافر ابرهيم هو : أنا أحيي و أميت على قدره و طعام عندي. فهذا فيما يتعلق بعالم الأنفس ، و لكن نفس ربها ، و لكن لما ترقى ابرهيم إلى مستوى الخلق ككل ، فقال " فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب " بهت الذي كفر . قول ابرهيم " الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب " ليس المقصود به فقط هذه الشمس الجسمانيه و إن كان مثالا من حيثيه ما . و لكن المقصود الأكبر هو شمس " كن " التكوينيه كلها التي تظهرالمكنون في علم الحق سبحانه ، " إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " . فمشرق التكوين هو هذه الإراده الإلهيه و فاعليتها بقول كلمه كن . ثم المغرب هو " إليه يرجع الأمر كله " كما يخرج و يظهر منه و به . و التكوين يتم لحظه بلحظه ، " و ما أمرنا إلا وحده كلمح بالبصر " . ففي كل لحظه تشرق شمس التكوين و تغرب . و لكن توالي هذا الفلك و سرعته تبهت الغافل و تجعله يتوهم أن التكوين و الخلق هو شئ تم مره واحده و فرغ منه ، كمن ينظر إلى ضوء النهار فيظن أن هذا الضوء منفصل عن المدد اللحظي للشمس فيتوهم بأنه ضوء قابع في هذه الأرض و لا حاجه للشمس بعد ذلك .

و ابرهيم أيضا حين قال " ربي الذي يحيي و يميت " فإن المعنى الأسمى له لم يكن إحياء هذه النفس البشريه و إماتتها ، و إن كان هذا المعنى داخل في المعنى الكلي العالي الذي قصده ابرهيم . و لكن المقصود الأول هو إحياء و إماتت الكون كله ، إذ ابرهيم أطلق " ربي الذي يحيي و يميت " و لم يقل: ربي الذي يحيي ويميت هذه الأنفس أو نحو ذلك . و هذا يظهر لك الفارق الأساسي بين عقليه ابرهيم و ذهنيه هذا الكافر ، و هو أن ابرهيم ينظر بعين العقل الكلي ، و أما هذا الكافر - و بهذا سمي كافر من الكفر الذي هو التغطيه و الحجب - فإنه محصور في أسفل سافلين مع الاحتجاب عن مبدأ كل شئ و ممده . فقول الكافر " أنا أحيي و أميت " يدل على ذهنيه و رؤيه معينه . فهو لم يقلها كمظهر لحقيقه إحياء رب العالمين و إماتته ، و أن أناه هذه مندرجه في التسلسل التنزيلي لربوبيه الله تعالى . و لكنه ذكرها في مقابل تلك الربوبيه ، " ربي الذي يحيي و يميت " " قال أنا أحيي و أميت "

فهو يريد أن ينقض " ربي " بقوله " أنا " . فهو يرى الحق تعالى - حاشاه - في عرضه ، و كأن الحق تعالى يفعل و هو أيضا يفعل باستقلال عن الحق سبحانه . فهو كمن يرفض الشمس لأنه عنده شعاع منه ، و لعله يظن أن هذا الشعاع ليس من الشمس أصلا بل هو سمه ذاتيه له . فهو قد انحصر و احتجب بدعوى ألوهيته (و دعوى الألوهيه هي : دعوى الاستقلال بالسمات الوجوديه) عن معرفه الألوهيه الحقيقيه الكبرى ، فقوله " أنا أحيي و أميت " هو مجرد مظهر لقوله : أنا إله . و "إله" ظهرت عنده في مقابل قول ابرهيم ، فقال " أحيي و أميت " على سبيل التخصيص . و لكن هو في نفسه يظن أنه إله . و لهذا نقله ابرهيم من النظر في ما له عليه سلطان ما ، إلى ما ليس له علي أي سلطان ، فقال ابرهيم " فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب " . و هذه هي الحجه التي لم يستطع و لا أعتى الكفار و الملاحده أن يقف ضدها ، و أقروا بأنهم عبيد بناءا على معناها . أي عبيد بمعنى عليهم قيود وجوديه . و أما من وضع عليهم هذه القيود و لماذا و كيف و بقيه مسائل علم هذا الأمر فهم في الغالب في حجاب عن حقائقها . و لكن لا يمكن لأحد أن ينكر بأنه مقيد وجوديا و سماتيا ، أي من حيث قواه و خصائصه و قدرته و تصرف إرادته و حركته و سكنته و بقيه شؤون الوجود . فبالعجز ثبتت عبوديه الخلق في ذاته . بغض النظر عن العلم بالحق سبحانه أو أي شئ آخر . كل مخلوق يعلم من نفسه بالعلم الحضوري أنه مخلوق أي قائم و متحقق في هذا الوجود ، و كما يعلم أنه قائم في الكون ، فكذلك يعلم أنه قادر في مستوى ما و عاجز فيما وراء هذا المستوى ، و ما هو عاجز فيه أكبر بما لا يقارن بما هو قادر عليه . فمن بحر الألوهيه المالكيه إنما أعطي للناس قطره . و بهذه القطره يسكر من يسكر ، فيكون من أهل " لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون " . و لهذا لم يقل هذا الكافر لابرهيم : فاجعل ربك يأتي بالشمس من المغرب . لأن الاحتجاج لم يكن أصلا في قدره رب ابرهيم ، فهو ليس ربا من بين الأرباب حتى يكون لقدرته مجال و نحو ذلك من سخافات من لا يفقه القرءآن . و لكن ابرهيم قائم على العلم بما هو الواقع فعلا . و الواقع فعلا أن الشمس تأتي من المشرق ، من حيث ظهورها لمن هم في هذه الأرض و ما هذا إلا مثل على الشمس الحقيقيه التي ذكرناها قبل قليل . فحتى لو فهم من فهم أن المقصود بالشمس هو هذه الشمس السفليه التي ما هي إلا مثل ، فإن الجواب يكون : أولا إن هذا الفهم هو بحد ذاته احتجاب عن الحقيقه الكبرى المقصوده . و ثانيا ، إن ابرهيم يعلم الواقع كما هو و يشهد الحقائق كما هي ، و ليس الله تعالى و لا ملائكته بأدوات للتجريب حتى يقال أمثال هذا القول السفيه . و ثالثا ، من باب التلطف نقول أن هذه الأرض السفليه ، أي هذا الكوكب ، لا تأتي الشمس من جانب منه إلا من حيث أنه يدور حول الشمس ، فإن الإتيان بالشمس من المغرب يعني أن يتوقف دوران الأرض ثم ينعكس فيدور في الاتجاه الآخر ، و بمجرد حصول هذا التوقف بل اقترابه فإن كل ما على الأرض يكون قد مات و هلك . و على كل حال ، فإن العلم القرءآني لا شأن له بمثل هذه الذهنيات الضيقه و مجال كلامه أعلى من ذلك و أعمق . فلنرجع إلى أصل الأمر الذي نبحثه في هذا الباب ، و هو وصف أنا الكفار.

ابرهيم قد رجع إلى مقام الإنسان الكامل ، أي إنسان " في أحسن تقويم " . و لكن هذا الكافر مسجون في مقام " أسفل سافلين " . و لهذا ابرهيم يعبد الله تعالى الذي له كل شئ . أي يعبده في مقام الربوبيه العامه . و أما من سجن في الدركات السفلى ، فإنه لا يفقه من الله تعالى إلا المخلوقات المحيطه به في دائره معيشته ، فينظر أيها أقوى من حيث المواد المناسبه لذهنيته الطفوليه هذه ، فيعتبر أن أقواهم و أقدرهم هو الإله . و ابرهيم لما خرج عن هذه الذهنيه الضيقه ، حآجه من حاجه ليرجعه إليها . فابرهيم يسبح في مقام سعه الحق ، و الكافر يزحف في جهنم ضيق الخلق .

...

و أما عن ابليس الذي قال " أنا خير منه ، خلقتني من نار و خلقته من طين " فإنها - ككل القرءان - تحتاج إلى تدبر و تعمق . فما المحذور بالضبط فيما قاله ابليس ؟ تعالوا ننظر . بين الذوات المخلوقه يوجد أحد احتمالين لا ثالث لهما ، أي إذا قارنا ذات بذات . فإما أن يكونا متساويين ، أو أحدهما أعلى من الآخر . أما التساوي المطلق من كل الجهات ، فهو مستحيل استحاله وجوديه ، استحاله لا يمكن أن ترتفع كما أنه يستحيل تصور شريك لذات الوحده القهاريه . لا أقل أن نفس وجود ذات في موضع معين ، في طبقه معينه أو مكان معين أو زمان معين أو تسلسل معين في الوجود ، سواء كان الوجود الأزلي في العلم الإلهي أو الوجود الحادث في الخلق الرباني ، نفس هذا الوجود يستحيل أن يكون لشيئين اثنين من كل الجهات . فالمساواه التامه من كل الجهات ممتنعه بإطلاق . فلا يبقى إلا الاختلاف ، بدرجه أو بأخرى . فإذن القاعده اليقينيه الأولى هي أن مبدأ قول مخلوق لآخر " أنا خير منه " من حيث المبدأ المجرد ، بغض النظر عن الخيريه ، هو أمر مبرر عقليا و بالتالي شرعيا ، لأن العقل كاشف جوهري عن الحق و أما الشرع فهو كاشف خارجي ." فطره الله التي فطر الناس عليها " . و ابليس كان يتحدث في حدود الخلق ، " خلقتني .. و خلقته " فبالتالي يكون مدار البحث كله هو بحسب القواعد الذاتيه للخلق . لهذا ابليس لم يجادل في كون الله ربه أو أنه خلقه أو أنه منبع كل كون " رب أنظرني " أو أن الآخره باطله و الخلق عبث ، بل كل هذه أمور يقوم بها البشر و لهم قدم راسخه فيها . و السؤال الآن : هل الخلق من حيث هو خلق فيه تراتبيه أي بعضه خير من بعض أم لا ؟ الجواب : بالطبع نعم . و القرءان طافح بهذا . فقوله عن البعض أنهم " المصطفين الأخيار " و أمر بقيه الناس ممن هم دونهم باتباعهم و طاعتهم ، يعني بلسان الحال بل و المقال أن لهؤلاء أن يقولوا لأتباعهم أو غيرهم : أنا خير منك . و قد قال داود و سليمان ما حاصله ذلك ، " فضلنا على كثير من عباده المؤمنين " فضلا عن الكافرين و المنافقين . فإذن ، استعمال ابليس لمبدأ الخيريه في المفاضله أيضا - من حيث المبدأ - لا غبار عليه . و حتى قول " أنا " ليس من حيث المبدأ أمر عليه غبار أيضا ، إذ حتى النبي يقول " أنا " كقوله " أنا النذير المبين " ، و كقول يوسف " أنا يوسف " و " أنا خير المنزلين " . فهذا التهويل من كلمه " أنا " من قبل البعض ، و الظن بأن هذا هو منشأ مصيبه ابليس في غير محله . فابليس أقر بأن أناه مخلوقه لله ، " أنا خير ..خلقتني " ، فهو أيضا قد نسب خيريته هذه لله الذي خلقه . كثيرا ما يقال ، و نحن ممن كان يقول ذلك أيضا و هو في كتبنا ، أن منشأ المصيبه هو أن ابليس نظر إلى الظاهر و أغفل الباطن . لأنه قام بالمقياسه بناءا على نظره إلى ظاهره هو ، أي النار ، و ظاهر ءادم ، أي الطين . و هذا قول قوي فعلا ، و لكن إن أردنا أن نشكك فيه لقلنا أن ابليس و إن كان ظاهره ناري - مع العلم أن أي نار هذه التي خلق منها إبليس أمر يحتاج إلى تدبر فإن حجاب الله من نار كما قال جبريل للنبي عليه السلام في الحديث المشهور " لو تقدمت أنا لاحترقت و لو تقدمت أنت لاخترقت " فيوجد حرق أي نار في ذلك الموضع العالي - فإنه مع غض النظر عن ذلك ، فإنه ارتفع بنفسه و عقله من المستوى الأرضي للنار - على فرض أنها نار أرضيه - إلى المستوى الملائكي في السماء الأقرب إلى الكرسي . فمدار الأمر في الارتفاع و المعراج هو إلى العقل و النفس ، و أما كون البدن ناريا أو طينيا أو مائيا أو هوائيا لا يقدم و لا يؤخر جوهريا . فكم من طيني و هو في أسفل سافلين ، و ها هو ابليس كان في أعلى عليين . و لولا الروح التي كانت في ابليس ، لما انجذب و عرج إلى أعلى عليين و صار في صف الملائكه المكرمين . هو لم يتجرد عن خلقته الناريه حين تلقى الأمر الإلهي بالسجود و كان في صف الملائكه ، بدليل أنه قال

"خلقتني من نار" ، و لولا أنه على هذه الخلقه لما ذكرها أصلا . فإما أن طبيعته الناريه قد اندمجت في طبيعته السماويه و كمنت فيها ، و إما أنه كان بخلقته الناريه في الأرض و لكن عقله كان في السماء يتلقى الأوامر و يحيا مع الملائكه . و مما يساعد على أن النار المقصوده ليست بدنيه ، أن ابليس و الجن لا يرون بعين البدن ! و أما طين الأوادم فها هو مرئي للجميع . و أما إن قيل : إنها نار بدنيه و لكن تم إخفائها عن الأعين البدنيه الأخرى ، فإن هذا يجيز وقوع ذلك لكل ما هو بدني من أي عنصر كان من حيث المبدأ ، فإن قيل بعد ذلك أن أحد أبدان الأنبياء أو الأولياء قد اختفى عن الأعين البشريه و إن كان حاضرا بينها فإنه يكون أمرا جائز الوقوع و معقول قرءانيا . و لا يقال: إنه يوجد أمور بدنيه كثيره لا تراها العين البشريه و إن كانت تدرك وجودها كالفيروسات . لأن هذا قياس مع الفارق . فإن طبيعه العناصر التي تكون هذه الأبدان ليست كطبيعه النار التي هي شئ مرئي و يحس بالبدن . فابليس بنى الخيريه على ماده الخلقه السفليه . و أما الخلافه عن الله فقائمه على أمر آخر . و ليس أدل على أن ماده الخلقه لا مدخليه مباشره لها في الأمر ككون بعض الجن من المسلمين و بعض الإنس من الكافرين . فلو كان النار تقتضي لذاتها أمرا لوجد في كل أو غالب الناريين ، و لو كان الطين يقتضي لذاته أمرا لوجد في كل أو غالب الطينيين . و الأمر ليس كذلك . فحتى لو فرضنا أن النار خير من الطين ، و الواقع أن مسائله الله لابليس ليس فيها رد الحق تعالى على ابليس دعوى خيريه النار . فإنه تعالى سأله عن ثلاث : ما منعك ألا تكون مع الساجدين ، ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ، ما منعك أن تسجد إذ أمرتك . ففي الأولى " مع الساجدين " و الثانيه "خلقت بيدي" و الثالثه "أمرتك" . و ابليس رد على الأولى بأن آدم من صلصال ، و على الثانيه و الثالثه كرر خيريته بأنه من نار و آدم من طين . فنلاحظ هنا فرديه ابليس ، فإنه لم يبالي ما فعل الغالبيه بل كل من سواه على ما يبدو ، و ذلك لقناعه عنده أو رأي رآه في قبال الأمر الإلهي . و الله قد سأله ثلاث مرات ، لماذا ؟ لو نظرنا إلى أجوبه ابليس ، فإننا سنراه في الجواب الأول لم يذكر خلقته هو ، و لكن ذكر أنه لم يكن ليسجد لمخلوق من صلصال ، فأضمر علو خلقته عليه . فحين سأله الله تعالى مره أخرى ، كشف عن رؤيته لعلو خلقته عليه ، فلما سأله الثالثه فوجده قد كرر نفس الإجابه علم إنقطاعه و أنه ليس له جواب آخر ، فحكم عليه بما حكم . الذي يبدو لنا أن الله حكم عليه بما حكم ليس لأنه قال ما قال ، و لأنه لم يقل ما كان في قلبه . فلو قال : رب إني لا أجد في قلبي الانبعاث للسجود له و ليس في استطاعتي إلا أن أتبع ما يجده قلبي ، لعل الأمر كان سيتخذ مسارا آخر. و من ناحيه أخرى ، فإنه لم يلفت إلى أصل الأمر الإلهي ، " فإذا سويته و نفخت فيه من روحي" فأعرض عن القسم الثاني من الأمر . و لما حاوره الله تعالى ، لم يلتفت إلى ما يقوله الله له ، فمثلا حين قال له " ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي " فإنه لم يلتفت إلى أن يدي الله إن أمسكت النحاس فإنه يصبح ذهبا ابريزا . و حين قال له " إذ أمرتك " أجاب بنفس الإجابه ، و لم يلتفت إلى أن الله هو السلطه العليا في هذا الوجود ، فأمره لا يعتمد إلى ما هو أعلى منه ، فأمره و كلمته هي العليا . ثم بعد أن وقع الحكم عليه ، أظهر ما كان يضمر ، فقال " لأحتنكن ذريته " و منشأ غضب ابليس و عناده كان غيرته على تفضيل الله لآدم عليه . " أرأيتك هذا الذي فضلت علي " . فما بعث ابليس في الواقع إلا الغيره على أن يكون أحد أولى و أقرب منه إلى الله . و هي عين الغيره التي انعكست في إخوه يوسف بعد ذلك . و لكن تسميه الأمر " غيره " فيه نظر . و هذه الكلمه لم ترد في القرءآن ، و لكن الكلمه التي وردت في هذا المجال أكثر من مره هي " حسد " . و الفرق ، أن الغيره تنبع عن عشق ، و لكن الحسد ينبع عن غل . و العشق ينظر إلى المعشوق ، و الحسد ينظر إلى النفس . و لهذا نبره صوت ابليس و إخوه يوسف و اليهود و نحو ذلك في القرءآن هي نبره قبض و قهر و ضيق . و أما نبره صوت المحب العاشق فإنها نبره بسط و لطف و سعه . فعلى ذلك يكون

ابليس و حزبه هم أهل حسد ، و ليسوا أهل غيره . و لهذا تم طردهم و زجهم في جهنم . و لهذا حين سأله الحق تعالى لماذا لم يسجد ، فإنه أراد بذلك أن يخرج ما في قلبه ، فلو كان عن غيره عشاق و محبه لما تعامل معه كما تعامل . " و هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ". و لهذا كانت إجاباته كلها نفسانيه ، عفن الحسد يفوح منها . فالعاشق مغفور له ، و أما الحاسد فملعون . و الحاسد لا يقر بعلو غيره عليه في الدرجه ، فيصر على علوه هو و يسعى في إسقاط الآخر ، و سعيه في إسقاط الآخر دليل موضوعي على أنه يعتقد أن هذا الآخر خير منه ! و أما لو كان يعتقد أنه هو خير منه فعلا ، لما سعى في إسقاطه ، بل لانتظر حتى يسقط بنفسه ، كما أن الأنبياء الذي يعلمون أن رسالتهم حق فإنهم ينتظرون حتى يفتح الله بينهم و بين أقوامهم ، و رد العدوان شئ آخر لا مدخليه له في شريعه الانتظار التي هي من أهم قواعد شريعه كل نبي و رسول و ولي لله . فمصيبه ابليس عدم الإقرار بالواقع الروحاني أولا ، و السعي في تخريب الغير سعيا إراديا عمديا من أجل إثبات علو الذات ثانيا . و هذا يتمثل في كل أبناء ابليس .

جانب آخر من كون الطين أعلى من النار هو الفقر . فالطين عنصر غير منير ، و لكن النار منيره بنفسها . فالطيني فقير إلى النور ، و أما الناري قد يستغني عنه و يطغى عليه . و هو ما يقع فعلا . فآدم تاب فورا إلى الله ، و أما ابليس فعاند و تصلب و طغى على الحق . و لهذا تجد في البشر ، أنهم حين يستغنون عن النور العالي ، و المعارف المشرقيه ، و الحكمه اليمانيه ، ترى فيهم الطغيان مباشره على أهل الله و على شرائع الله . و العكس حين تجد الإنسان فقيرا إلى النور ، يغلب عليه حال " أذله على المؤمنين " . فحتى لو كان كليم الله ، فإنه يصبح عبدا للعلماء ، فيقول " هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا " . كل إنسان لا يجد فقرا قاهرا إلى النور ، فهو من أبناء إبليس و حزبه . فستجد أن سمات مثل ابليس منطبقه عليه كانطباق الخاتم على الختم . و مقام الخلافه مقام فقر إلى المستخلف ، فهو ليس مقام استقلال عنه . و هذا عين معنى " خلافه " . فالخليفه فقير بذاته إلى من استخلفه ، فقر مستمر لا ينقطع . " أنتم الفقراء إلى الله " . و لهذا كان الإنسان من طين ، و الطين عباره عن هذا الفقر الذاتي إلى حقيقه " نور السموات و الأرض " . و بما أنه غير منير بذاته، فهذا يعني أن قابليته للنور مطلقه ، لأنه لا يجد حجابا من ذاته على قابليته للنور ، على العكس من ابليس الناري ، فإنه يجد نورا من نفسه ، فيكون هذا حاجبا له عن قبول النور الإلهي ، و يسعى في التوفيق بين نوره الشخصي و النور الإلهي ، و لا يقبل من الإلهي إلا ما لم يعارض الشخصي . و لهذا لما قال الله لابليس " خلقت بيدي " لم يبالي ، و لما قال له " إذ أمرتك " أيضا لم يبالي . فهو لا يسمع إلا ما تمليه عليه حدوده الشخصيه . فهو لا يستطيع أن يسمع . و في الواقع ، قد بين الله لابليس سر عدم اختياره هو للخلافه في عين ما حاوره به ، و لكن ابليس لا يعقل ، كحزبه العنيد ، كقوله عنهم " فرحوا بما عندهم من العلم " في قبال ما جاء من العلم من لدن الله . و كقوله عنهم "و إن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين " فقبولهم للحق مشروط بقيد مسبق هو " لهم " . و هكذا بقيه القرءآن يفصل في سبيل المجرمين أي المقطوعين عن المدد اللانهائي للنور العالي . و في الحقيقه ، إن كون الإنسان أعلى المخلوقات له سر ، و هذا السر هو التالي : أنه أفقر المخلوقات ! و لأنه الأفقر كان كل مخلوق مسخر له ، مباشره أو غير مباشره . أقرب الخلق إلى الحق أفقرهم إلى الحق . و لهذا يقول أقرب الخلق إلى الحق " الفقر فخري " و لهذا كان اسمه " عبد الله " و " عبده ". و بسر الفقر كان أغنى الخلق و الخلق عباده ! " إذ أغناهم الله من فضله و رسوله " . و الشيطان من الدعاه إلى الله لمن عقل ، و هو من الدعاه بأمر الله إذ قال له " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من أتبعك من الغاويين " و هو الأمر الذي أطاعه ابليس إذ قال " لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين " .

و أساس دعوه ابليس قد نص عليها القرءآن إذ قال " الشيطان يعدكم الفقر " هذا الوعد هو لأهل الله الذين يعرفون أن الفقر فخرهم و عزهم و حقيقه خلافتهم عن الله ربهم ، فهم إن سمعوا الشيطان يعدهم الفقر قالوا : إنا لله و إنا إليه راجعون . و هذا هو الغربال الأول الذي لا يمر منه إلا أولياء الله الذين صدقوا في عبوديتهم له . و أما الطغاه من البشر ، فإنهم يهربون من الفقر ، و بالتالي يهربون من مقامهم الحقيقي الأكمل عند الله ، فيسقطوون في جهنم مع الغاوين ، لأنه ليس وراء إتباع حقيقه الذات إلا الضلال وراء أوهام خياليه يحسبها أتباعها أنها حيه تسعى و يحسبون أنهم مهتدون و أنهم أذكياء و عباقره في الدنيا و السياسه . و عما قريب يطلع صبح الموت و يصرخ الغافل " رب ارجعون " . و هؤلاء الذين لا يستجيبون لدعوه ابليس للفقر ، و التي يريد ابليس أن يثبت فيها لربه أنه كان على حق في أنه خير من هؤلاء البشر ، يصبحوا عبيدا في حزب ابليس ، ف " يأمرهم بالفحشاء " . فقوله " الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء " على قسمين . الأول مجرد وعد و دعوه ، و لكن الثاني أمر . و معلوم أن الدعوه توجه إلى نوع ، و الأمر يوجه إلى نوع آخر . فالدعوه للحر ، و الأمر للعبد . فلما فروا من وعد الفقر ، خوفا من الفقر ، أصبحوا عبيدا للمظاهر فأصبحوا عبيدا لابليس ، فصح أمره لهم بالفحشاء ، و الفاحشه ظاهر و باطن ، و حدث و لا حرج بعد ذلك . " و من يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين " . و الذكر ماء الفقر . و الذكر منشور الولايه . و الذكر تاج الفقراء . و الذكر هواء العباد . و الذكر خلاصه الشرائع . و الذكر نهايه العقل . و الذكر سر العرفان . و الذكر عرش الخلفاء . فإذن ابليس وسيله من وسائل الحق في التمييز بين الخبيث و الطيب . فابليس عبد من عبيد تلك الحضره المقدسه . " و لله يسجد من في السموات و الأرض طوعا و كرها و ظلالهم " .

...

(خاتمه مبدأيه)

شئنا أمرا و شاء الله أمرا ، و الله غالب على أمره . شئنا أن نفصل كما أوضحنا في المقدمه ، و لكن يبدو أن حد هذا الكتاب قد تم إشباعه بما ذكرناه ، و ما سوى ذلك هو تفاصيل تتبع ما أصّلناه ، فمن عقل التأصيل عقل التفريعات ، و لنترك التفريعات للقراء الكرام فعسى الله أن يفتح عليهم و ينير قلوبهم ، إنه على ما يشاء قدير و هو حسبنا و نعم الوكيل .

و سبحان ربك رب العزه عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين .

....

(مشروع معاصر عظيم)

تحويل كتب الميراث الإسلامي - من الأهم فالأهم ،
إلى تسجيلات صوتيه .
فيستفيد بذلك الناس فائده لا حصر لها :
منها أخذ اللغه و البلاغه بالسماع - و السماع شقيق القرآءه في أخذ اللغه ،
منها التعوّد على سماع المفيد و الجميل و العمق من الكلام - و هذا مقدّمه "و الذين هم عن اللغو معرضون " أيضا ،
منها استفاده من منّ الحق تعالى عليهم بأن سلبهم أنظار عيون أبدانهم ، فبدل بحثهم الخاسر غالبا عن من يقرأ لهم هذه الكتب يستطيعون سماعها في الوقت الذي يحبّون { ملاحظه : منّ من حيث انتشار الصور المظلمه و المناظر التي تقتضي اغلاق العين أمامها ، و الحمد لله على كل حال } ،
منها الاستماع لها في السياره و الطياره و أثناء المشي ، فزحمه الطرقات و بعد المسافات تأخذ معدّل ساعه أو ساعتين من وقت كل إنسان فلو قضاها في سماع الجميل من المعارف و الفنون لكان انجازا عظيما بدل سماع الفاسد أو السهو المحض .
منها استفاده من لا يصبرون على النظر في الكتاب و يفضّلون السماع عليه ، و هم كثر و ينبغي إيصال العلوم بشتى الطرق " إن السمع " طريق " و البصر " طريق و "الفؤاد" طريق "كل أولئك كان عنه مسؤولا " فينبغي أن تكون كلها مفعّله إن شاء الله .
و حسبك هذه من فوائد جمّه و منافع عظيمه .
و ليُراعي العامل المبارك على هذا المشروع الأمور التاليه :
تعدد صور التسجيلات ، بحيث يمكن تشغيلها على أكثر من مادّه و جهاز الكتروني ،
و رخص الثمن ،
و كذلك سهوله التحصيل ،
و كذلك حسن ترتيب الأبواب و الفصول ،
و أهم المهمّات عدم تسجيلها بصوت بارد ممل و مقزز فينفر الناس و أولهم أنا !
و الله المستعان .

...

مولانا جلال الدين الرومي - قدس الله سره - كان يأمر بالصمت كثيرا ، و يمدحه مدحا كبيرا ، و كان يعتبر أن الصمت هو علامه كمال العشق و المعرفه ،
و لكن يا للعجب ، منذ أن احترق وجود مولانا بالعشق و أشرقت عليه أنوار المعرفه ، نطق و أفاض على هذا الوجود دواوين شعريه تشتمل على أكثر من ستين ألف بيت شعر ، و كذلك مجالس عرفانيه و فكريه ، و كذلك رسائل متعدده ، و هذا كلّه ما وصل بالكتب ، فما ظنّك بما استودعه في قلوب الناس و الكُمّل في أيام حضوره على الأرض و ما بعد ذلك حسب حضوره المعنوي ، مما لم يصير إلى الكتب أو لا أقل لم يُكتب باسمه .
كيف يكون الصمت هو القمّه عند من نطق بمئآت الآلاف من الكلمات و الحكمه ؟
الجواب : الصمت مقام في الباطن ، و النطق مقام في الظاهر ، و إنما يقصد مولانا و غيره بالصمت صمت الباطن و ليس الظاهر الذي هو الخرس " إن شرّ الدواب عند الله الصم البكم " . كلما اكتمل صمت قلبك كلما اكتمل نطق لسانك و نطق أفعالك و نطق أحوالك .
الصمت استقرار القلوب في محضر الواحد القهار " ألا بذكر الله تطمئن القلوب " ،
النطق النابع منه هو استمداد العقول للمعارف من خزائن رحمه علّام الغيوب .
" فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين " .
ما وقر في قلبك كنتيجه لصمتك و شخوص بصرك لربّك ، فهو أمر الله لك ،
و أول المشركين هو ذهنك !
ذهنك الذي ينازع أمر ربك لك ، فأعرض عنه ، و قل " أنا من المسلمين" .

...

إن كنت تريد أن "تشعر" بالسلام و المحبّه و السكينه ،
فإنك ستظلّ عبدا للأسباب المؤقته التي تعطيك هذه العواطف .
و لكن إن كنت تريد أن تعرف الحق تعالى و الأنوار العلويه ،
فإنك ستجد هذه المشاعر حاضره دوما و بعفويه بدون أن تتكلفها و تطلبها .
العاطفه المجرده عن المعرفه إنما هي أثر لعمل جسماني و لذلك تكون مؤقته كسببها ،
و لكن العاطفه المتفرعه عن أصل المعرفه الثابته تثبت كثبات المبدأ الذي تجلى بها ،
" لهم ما يشاؤون فيها و لدينا مزيد " .

...

أي أهالي ، لا تكونوا عقبه في سعي أولادكم في طريق الحق تعالى ،
أي عبيد الدنيا ، ليكن أقل إحسانكم أن لا تقطعوا طريق طلاب الآخره العليا .
لم أجد أكثر شعورا بالاضطهاد في طريق الله مثل الأثرياء الأصحاء ،
فإن ضغط أسرهم عليهم ليحفظوا دنياهم أشد بألف مرّه من ضغط أسر الفقراء .
خذ من الدنيا الكفاف ،
و أعط أهلها العفو و الإنصاف ،
و اخل بربك لربك على هدى من ربك بلا اعتساف ،

يحيطك الولي سبحانه بشتى أنواع الألطاف .
المعصيه شؤم يُضعف العقول و القدره على التجرد ،
الذنب ثقل يجرّك للخلق و يحول بينك و بين التفرّد .
لا يدخلْن جسمك إلا الطعام الطيب و احذر المؤذيات و المخدرات ،
و لا يدخلن نفسك إلا صوره حسنه و نغمه طيبه و احذر فإن النفس موطن التجليات .
ما معنى أن تبيع نفسك للحق ؟
معناه أن ترضى بذلّها لإنصاف الخلق ،
فإن الذلّ لوجه الحبيب شريعه العشق .
" إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنّه "

...

البعض حين تقع له مصائب ,
يبدأ يطبّق على نفسه الآيات و الروايات و الأبيات التي قيلت في الأنبياء و الأولياء و العلماء و مصائبهم .
عزيزي ,
هؤلاء أناس نزلت عليهم مصائب بسبب سيرهم في طريق العلم و العدل .
أما أن نكون ممن غرق في الجهالات و المعاصي ثم تنزل علينا المصائب بسببها فنطبق على أنفسنا تلك الكلمات الشريفة ,
فهذا مما ينسينا سبب ورود هذه المصائب علينا- و هي تذكير من الحق تعالى لنا بأن نرجع
"فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون " ,
فهذا إذن ليس من حسن التدبر و العقل .
سمعت مرّة لواحد فاشل ممن يدّعي دعاوى عريضة بلا بيّنة ,
فبدأ الناس يلومونه ,
فبدل أن يراجع نفسه ,
أنشد لهم بيت المتنبي الكبير رحمه الله " و إذا أتتك مذمتي من ناقص/ فهي الشهادة لي بأني كامل" !
هذا مصداق قوله تعالى " و زيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون " .

...

(لا تستفت قلبك !)
رجل رياضي من الطراز الأول , و رجل مريض بالقلب و السكر و الضغط و انفلونزا الخنازير و العصافير ,
قال الطبيب للرياضي " لا تحتاج أن تراجعني فحصّتك ممتازة " ,
فسمع المريض ذلك و قال لنفسه " طالما أن الطبيب أفتى ذاك الإنسان - و الناس سواسية كأسنان المشط ! - فإذن أنا أيضا لا أحتاج أن أراجع الطبيب " فأخذ بعضه و خرج من العيادة .

بعد فترة من عدم العناية بالنفس , جاء عزرائيل عليه السلام ليُسافر بالمريض إلى عالم الآخرة .
هذا مثل من يأخذ حديث مولانا النبي عليه السلام , الذي قاله لواحد من أصحابه - ممن اطلع النبي على أحواله القلبيه و صلته العلوية بالحق تعالى - فقال له " استفت قلبك و لو أفتاك المفتون " ,
ثم يُطبّق هذا الحديث على نفسه , و قلبه حالته حالة ! , و يدّعي بذلك أن النبي- صلى الله عليه و سلم - كان "ضد السلطات الكهنوتية " و أن " كل واحد يتبع ما يحبه قلبه بدون الحاجة إلى مراجعة أحد " , و "الحمد لله على الإسلام الذي لا يجعل هناك واسطة بين الله و خلقه " ... (و لا أدري من أين جاء القرءان إن لم يكن هناك "واسطة" بين الله و خلقه) .
" أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم " .

...

أخطر فكرة طبقوها على الجماهير في العصر الحديث هي هذه :
" دعوا الناس تتخذ قراراتها بنفسها و تقرر وحدها كيف تريد أن تعيش " .
ظاهر هذه الألفاظ قد يبدو جميلا , و لكن واقعه شديدا و أليما .
لا يمكن أن يكون عندك "رأي" إلا بوجود مقومات هذا الراي .
و هم يعرفون ذلك , و لذلك لا تجدهم يقولون لموظفين الشركات التجارية أو المؤسسات الحكومية :
" طيب يا جماعة , كل واحد يشتغل على كيفه و بحسب ما يقضي به مزاجه فنحن في زمن الحرية "
هم يعرفون الفوضى التي ستحصل ,
و لكن الهدف من الفكرة هو هذا :
عندما تترك الغافل بحريته سيذهب و يسلم حريته لأقوى طرف موجود حوله , و الأقوى في تعريف الغافل هو الأشهر و "السائد" و نحوه , أي بعبارة أخرى " الفلسفة الحداثية " و لوازمها .. و هو ما تراه غالبا أليس كذلك.
أم يا ترى أنه من الصدفة أن جماهير البشر في شتى بلدان العالم كلهم توصلوا - كل واحد على انفراد ! - إلى نفس النتيجة و نمط المعيشة و الافكار و القيم العامة !!
" و يحسبون أنهم مهتدون " .

...

(معجزة)
في زمن الحرية الحديثة , و تقرير كل شخص لذوقه و مصيره و أسلوب معيشته بنفسه ,
جلس كل واحد من سكان أمريكا و أوروبا و مصر و سوريا و العراق و ليبيا و انجلترا ...الخ ,
و قرر كل واحد منهم بعفوية أن يكون "لباسه الرسمي" هو بنطلون ضيق , و قميص كم طويل غالبا أبيض اللون , و جاكيت , و وضع ربطة عنق تخنق الحنجرة و تصعب مرور الدم في شرايين الرقبة .
و اعتبار كل ما سوى ذلك ليس "لباسا رسميا" .
شايف الفردية بس ؟

و أمثلة هذه "الفردية" كثيرة , فتأمل .

...

أقرب طريق للصواب في هذا الزمان :
انظر ما السائد حولك و ما يقال في وسائل الإعلام , و اعتبر ذلك من الخطأ , فامحه من الاحتمالات الممكنة للصواب ثم أكمل بحثك .
و فلسفة هذا الطريق سهلة :
أصل التفكير الحداثي نشأ من " انقلاب " على النمط التقليدي ,
بمعنى أنه كان كبارهم ينظرون في العلم التقليدي و يعكسون ما يقضي به ,
فالآن إن أردت أن تعرف الصواب قم بعملية "الانقلاب" من جديد .
هذا المعيار لن يوصلك دائما للصواب , و لكنه سيجعل صوابك أكثر من خطأك بكثير إن شاء الله .
ولذلك جاء في القرءان كلمة " جهنم " , اقرأ كلمة جهنم بالعكس ستجدها " منهج " ,
فحين يعكس البشر "منهج" الحق تعالى , يصبحوا في "جهنم" .
" و جعلنا عاليها سافلها " .

...

أيهما أقوى ,
شخص يدخل في الماء فينبسط , و يدخل في النار فينقبض ,
أم شخص يدخل في الماء فينبسط , و يدخل في النار فينبسط ؟
الأول هم العامة , و الثاني هم الخاصة .
" يا نار كوني بردا و سلاما على ابراهيم " .
و من هنا قال الحكيم السكندري " ورود الفاقات , أعياد المريدين " .

...

(محشش أرسلته أمه يجيب صحن من جارتهم البخيلة... نزل أول درجة قال:يوووه الحين بتقولي دير بالك عليه!! ثاني درجة قال: بعدين بتقولي رجعه بسرعة!! ثالث درجة قال: وأكيد بتقول اغسلوه لا خلصتوا!!...وصل شقة جارتهم ودق الباب، فتحت... قالها: ...تفو عليكي وعلى صحنك)
الفكرة : لا تستبق الأحداث , كن في الشيء حين يقع فعلا .
الفكرة الثانية : إذا تفل أحد في وجهك بدون أن تعمل له أي شيء , فلا تلوم نفسك , هو عايش في أوهامه الخاصة حولك !

...

(محشش قال لأمه شريت فيديو ... قالت امه ماشاء الله و من عطاك فلوس ؟؟ قال : بعت التلفزيون)
هذه خلاصة قصّتنا مع البعد عن تقاليدنا و الأخذ بالرؤية الحداثية الغربية :
بعنا الأساسي الضروي , و اشترينا الثانوي العرضي .

...

(محششين داخلين المعهد الملكي...سألوهم وش ناويين تتخرجون ؟؟ قالوا : امراء)
بعض المقامات ذاتي , و بعضها كسبي .
لا يمكن اكتساب الذاتيات , بل هي فيض إلهي .
البعض يكفر بالذاتيات لأنه لا يستطيع اكتسابها ,
كالكفر بالنبوة و القطبية مثلا " لأني لا استطيع أنا أن أكون نبيا " ,
و البعض يظن أنه بالرياضة و الدراسة يمكن أن يكتسب شيء من هذا ,
فيضيع وقته و جهده هباءا منثورا .
أقرب صلة بالذاتيات هي الإيمان بها و قبول أهلها
"اعرف الحق تعرف أهله " .

...

(غبي قالوله 100 حاج ماتوا هالسنه .. قال : عسى مافيهم مسلمين بس !)
أظنه سلفي ,
فهؤلاء لا يعتقدون أنه يوجد مسلم غيرهم .

...

الأستاذ الأكبر / فردريك نيتشه , كتب يقول :
"ضعف الإرادة" هذا شعار قد يضللنا . لأنه ليست هناك إرادة , و بالتالي لا وجود لإرادة قوية أو ضعيفة .
تعدد الغرائز و تفككها و غياب نظام يجمع شملها , يؤدي إلى "ضعف الإرادة" .
أما تنظيم هذه الغرائز تحت سيادة غريزة واحدة فيؤدي إلى "إرادة قوية" .
في الحالة الأولى , نجد التأرجح و عدم التوازن .
وفي الحالة الثانية , نجد الدقة و وضوح التوجه " .
نفس الحقيقة التي يتكلم عنها الأستاذ , عبّر عنها السلطان العثماني محمد الفاتح - قدس الله سره - من قبل فقال :
" كما أن هناك شمسا واحدة في السماء , لابد أن تكون هناك دولة واحدة و دين واحد على هذه الأرض " .
الحداثة هي تحديدا - لا أقل بالنسبة لجماهير الناس - وسيلة إلى خلق "ضعف الإرادة" ,
لأنها تُسبب مباشرة رفض هذا النظام الواحد الذي " يجمع شملها " اي الغرائز المتعددة .

الحداثة رفض ل " السيادة " و رفض ل " الواحد " . لا أقل حسب ألفاظها و ما تشيعه في الجماهير . و الغاية واضحة , و هي إضعاف إرادة هذه الجماهير , أليس " التأرجح و عدم التوازن " هو سمة جماهير الحداثيين و ما يشعرون به . حتى أن دجل " تطوير الذات " و " طرق النجاح " و " رسم الأهداف " و "خلق المحفزات " ...الخ كلها من الأمور الشائعة جدا وسط الجماهير . كل هذه وسائل للملمة الغرائز المتفرقة و التائهة و العمى العام .
و لكن حين تكون هناك " شمسا واحدة " و " سيادة غريزة واحدة " - و هي عند المسلمين الذكر - فإنك ستجد "الدقة و وضوح التوجه " في النمط العام للفرد و الجماهير . لأن كل شيء يجد مكانه المناسب تحت ظل دولة الذكر العلية .

...

الناس أربعه :
مبطن للإيمان و مُظهر للإيمان ، و هؤلاء الأنبياء و من تبعهم بإحسان .
مبطن للإيمان و مُظهر للكفر ، و هؤلاء الساده الملامتيه .
مبطن للكفر و مظهر للكفر ، و هؤلاء الكفار أمثال أبو لهب ،
مبطن للكفر و مظهر للإيمان ، و هؤلاء أهل النفاق .
الكل يعرف ثلاثه من الأربعه ، و لكن الملاماتيه هم صنف غائب عن الوعي العام .
اسمهم مشتق من الملامه و اللوم . و هم أناس يريدون أن يثبتوا لأنفسهم أنهم من المخلصين لله تعالى ،
و حتى لا تقترب حتى أدنى شائبه شك بأنهم يُظهرون الإيمان طلبا لشهره أو سمعه أو رياءا أو سلطه ،
فإنهم يتعمدون جعل الناس تكرههم و رؤيتهم كفسآق فجّار ، و إن كان لكل عمل يعملونه مخرجا ما و لو ضيقا و بتأويل بعيد في أحكام الشرع و لكن يخفى على عموم الناس .
منهم من يقول : إن كان القرءان يقول عن المنافق " في الدرك الأسفل من النار " ، و المنافق هو الذي يبطن الكفر و يظهر الإيمان ، ألا يستتبع الأمر منطقيا أن من يعكس حاله المنافق مآله إلى أعلى درج من الجنه ، أي إظهار الكفر و إبطان الإيمان . و في أمثال الملاماتيه - حسب إحدى المستويات - يأتي قول أهل النار "ما لنا لا نرى رجالا كنّا نعدّهم من الأشرار " .
فعلا ، يحتاج الأمر إلى إخلاص مطلق ليتسبب الإنسان بنفسه في إظهار سوء حاله للبشر ، رغبه منه في أن يبقى حاله مع ربه خالصا .
و الملاماتيه قلّه دوما ، بل قلّه القلّه . و من هنا يرى الشيخ الأكبر أنهم أعلى أهل الطريق قدرا .
و الله أعلم .

...

"الإنسان" كلمه فيها سبعه أحرف ، و للإنسان -حسب أحد الاعتبارات- سبعه طبقات من الوجود .
من الأعلى إلى الأسفل هي :
العين الثابته في العلم الإلهي الأزلي الأبدي ، " و هو بكل شئ عليم " .
الخلافه الذاتيه عن الحق في جمله عالم الخلق ، " فسجد الملائكه كلهم أجمعون " .

الروح ، " و نفخت فيه من روحي " .
النفس ، " و نفس و ما سوّاها " .
الجسد ، " و ما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام " و " اهبطا منها جميعا " .
الجسم ، " و زاده بسطه في العلم و الجسم "
البدن ، " و البدن جعلناها لكم " " فذرهم يأكلوا و يتمتعوا كما تأكل الأنعام " .
لكل طبقه من طبقات وجودك عالم ،
و لكل عالم خلقه و حياته و رزقه و مماته باستثناء العين الثابته .
فغذاء الخلافه الذاتيه الوعي بها ،
و غذاء الروح ذكر الله ،
و غذاء النفس المعرفه و النغمه الطيبه و الكلمه الجميله ،
و غذاء الجسد السماوي الفكره ،
و غذاء الجسم العمل بمقتضى العلم ،
و غذاء البدن الأكل و الشراب و النوم .
كل شعور بالنقص مبني في الواقع إما على نقص بالعلم بكل طبقات وجودك ، أو عدم تغذيه و رعايه كل هذه الطبقات و إفراطك أو تفريطك .
" و أقيموا الوزن بالقسط و لا تخسروا الميزان " .

...

العالم يُفضَل أن يعيش في مصر فرعون إن كان يستطيع أن يتعلّم و يُعلّم بحريه ،
على أن يعيش في مملكه سليمان إن كان لا يستطيع أن يقوم بذلك .
في المحصّله ،
فرعون و سليمان سيذهبا ،
و لن يبقى إلا العلماء .
أين الذين قتلوا العلماء و سجنوهم و طاردوهم و حقّروهم ؟
كلهم ماتوا ، و كذلك العلماء الذين آذوهم ،
و لكن الفرق أن أرواح العلماء و أمثالهم في القلوب و آثارهم لا تزال باقيه عند ورثتهم و طلابهم في شتى الأمم.
كل فرعون كان يطغى يوهم نفسه - و توهمه حاشيته - بأنه يفعل ذلك حفظا للمصلحه العامه ،
و هو لحظتها يتوهم أنه بقتل فلان أو سجن علان أو نفيهم و نحوه سيكون سببا لبقاء مصره و مدينته ،
بينما ما لا يعرفه هذا الغافل و الصغار حوله هو التالي :
في اللحظه التي تسقط فيها شعره من رأس عالم على الأرض ظلما ،
يأتي الحكم من الأعلى بسقوط كل من تسبب في سقوط هذه الشعره .
شرقا و غربا ،
لاحظ هذه القاعده .
" لنهلكن الظالمين " قضى رب العزّه .

...

العوامل المشتركة بين فرق المسلمين أكبر و أكثر من العوامل المختلفة ,
سواء في مسائل الإحسان أو الإيمان أو الإسلام .
كل فرقة قامت بالتركيز على أصل معيّن و وصلت به إلى أقصا نتائجه المنطقية الممكنة ,
و مجموع الأصول يُشكّل الرؤية الكاملة للقرءان .
معرفة هذه الحقيقة ,
هو العلاج الوحيد لكل أنواع التعصّب المقيت .
ثم إن كان الخطأ في مسألة يقتضي الحكم بالتكفير (كما هو أسلوب السلفية مثلا)
ألا يكون الصواب في سبعين مسألة يقتضي الحكم بالإيمان ,
أي إنصاف هذا أن نُعطي السيئة قوّة أكبر من قوّة الحسنة ,
الحسنة أقوى من السيئة ,
و الصواب أقوى من الخطأ ,
فإن اجتمعا غلب الأقوى .
أما أسلوب الحداثي لعلاج التعصّب فإنه بحد ذاته مرض ,
هو يريد أن يعالج التعصّب في الملل عن طريق التعصب ضد الملل كلها !
ألم نقل أنه غبي بطبيعته ؟
الحداثي يخلق ملّة حتى يتخلص من كل الملل ,
فلم يتخلص من الملل بل أضاف إليها ملّة جديدة هي أشد الملل تعصبا و صغرا و سخافة و سطحية .
ورد في القرءان كلمة " الدين " و كذلك ورد " دينكم " . ما الفرق ؟
الدين هو الأصول الكاملة كما هي عند الحق ,
دينكم هي الأصول التي يستطيع تحمّلها كل فرقة من الخلق ,
و لذلك قال " لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا " ,
فلا يستطيع مخلوق واحد أن يحمل كل ما لدى الحق من كل الجهات ,
و من هنا تعددت الملل و الفرق لاختلاف التجليات .
فمن عرف حقيقة ملّته فكأنه عرف حقيقة كل الملل المنزلة ,
و ليس وراء ذلك - لسالك أو مفكر - منزلة .
" فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا " .
...

القرءان ينقسم - بحسب أحد الاعتبارات الكيفية - إلى قسمين :
قسم يتكلم عن الرب ,
و قسم يتكلم عن العبد .
كل ما يتعلق بالرب يرجع إلى حقيقتين , الأحدية و الغنى .
كل ما يتعلق بالعبد يرجع إلى حقيقتين , الكثرة و الفقر .
فالقرءان كله - بل كل وحي و كل معرفة - يمكن تلخيصها في جزء من آية قرءانية ,
و هي " الله الغني و أنتم الفقراء " .
فقوله " الله " عبارة عن الاسم الواحد الجامع لكل الأسماء الحسنى , أي الأحدية ,
و قوله " الغني " هو الجامع لكل ملك و مالكية و خزينة و منبع خلق و حياة و رزق و موت .
و قوله " أنتم " و ليس : أنت , بل "أنتم" إشارة إلى الكثرة ,

و قوله " الفقراء " إشارة إلى الفقر الذاتي و الاحتياج الإمكاني لكل موجود و مخلوق لله تعالى .
ثم كل ما يتعلق بالرب مجموع في قول العبد " أشهد أن لا إله إلا الله "
و كل ما يتعلق بالعبد مجموع في قول العبد " و أشهد أن محمدا عبده و رسوله " .
و لذلك كانت هذه كلمة الدخول في الإسلام , و باب الجنة ,
لأن كل ما سوى ذلك في الإسلام إنما هو تحقيق و شرح و تفصيل و عمل نابع من هاتين الشهادتين .
و ليس وراء ذلك حبّة خردل ,
لمن كان له إخلاص و عقل .

...

مثال على الآداب الباطنية للشريعة الظاهرية :
اختلف فقهاء الشرع - و الاختلاف سعة في الحقيقة - في مسألة " هل يجب على المُصلّي أن يقرأ سورة الفاتحة" ؟
فقال الجمهور نعم , و قال البعض لا .
لماذا هذا الاختلاف ؟
أحد الأسباب تشرحه القصة التالية :
كان أحد العرفاء في بداية سلوكه يقول بقول الجمهور في هذه المسألة و يحطّ و ينال ممن يقول بالقول الآخر و لا يفهم سبب وجوده في الشريعة , و لكن مع ازدياد مراقبته لقلبه و شهوده لحقائق الوجود , صار كلما قرأ سورة الفاتحة يقرأ " بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين " و يتوقف و لا يستطيع أن يكمل . تكرر هذا الموقف لأيام . و كلما وصل إلى قوله "مالك يوم الدين" يبدأ يشهق و يبكي . فقال له تلاميذه في أحد الأيام " أي شيخ , لماذا لا تستطيع أن تكمل " إياك نعبد و إياك نستعين " ؟ "
فقال لهم : إن قولنا " إياك نعبد " هو حصر كامل لعبادتنا بالحق تعالى , و قولنا " إياك نستعين " هو حصر كامل لاستعانتنا بالله عز و جل , و لكني كلما أردت أن أقرأ " إياك نعبد " تخرج أمامي كل أصنام الهوى التي أعبدها , و كلما أردت أن اقرأ " و إياك نستعين " تخرج أمامي كل أوثان الأسباب التي أعكف عليها , فإن أردت أن أتلوها سمعت صوت من جناب الحق يقول " أي عبدي , تكذب في حضرتي ! " فاستحي أن أُكمل . فالآن عرفت لماذا يوجد قول في الفقه يجيز عدم قراءة الفاتحة في الصلاة , لأنه ليس لكل أحد الجرأة أو المعرفة الكافية ليقول " إياك نعبد و إياك نستعين " .
و قس على ذلك , إن كنت من أهل ذلك .

...

تجربه لطيفه :
خذ عباره ،
و اعرضها على مختلف أصناف الناس و أصحاب الآراء المختلفه و المذاهب المتعدده ،
و في كل مرّه قم بنسبه العباره إلى شخص يبغضه صاحب الرأى .
ثم قم بنفس الأمر مع أشخاص آخرين ،
و انسب نفس العباره إلى شخص يحبّه صاحب الرأى .
و لاحظ كمّيه و نوعيه التعليقات التي ستجدها أمامك .

هذه تجربه تكفي لتبيان الكثير عن نوعيه أذهان البشر و توجهاتهم في القراءه .

...

السلفي يكثر من مقوله " نحن نتبع الكتاب و نتقدي بالنبي لا بمذاهب البشر " ،
إلا أنه ليس أهلا لاتباع الكلب الذي تناسل عن الكلب الذي رأى النبي عليه السلام .
ثم إنه يتغافل عن أنه إنما يقدّم - في أحسن الأحوال - مذهبه البشري هو في الاتباع و الاقتداء ،
فإن كان لكل واحد مثل الحق الذي يدّعيه لنفسه ،
فهذا يعني أنه بالضروره لكل صاحب مذهب مثل حقّه و بالتالي كلهم "سلفيه" - و العياذ بالله ،
فكيف يُعارضهم بأصل هو أنشأه و ارتضاه لنفسه .
" لا بمذاهب البشر " أيحسب أنه فوق البشر !
" نحن نتبع الكتاب " بمنهج مدروس أم بفوضى مرتجله ؟
إن كان بمنهج مدروس فهو مذهب ، و قد سبقتهم المذاهب التي سار عليها المسلمون ،
و إن كان بفوضى مرتجله ، فليقرّوا أنهم من الفوضويين كما حكم عليهم العلماء من قبل .
و إن قالوا أن مذهبهم عين مذهب "السلف" من القرون الثلاثه الأولى ،
فقد قالها غيرهم ممن سبقهم في الزمان و من هو أكثر منهم عددا و من هم أكبر منهم علما و أدقّ منهم فهما ،
فلا أقل لتكن المسأله خلافيه فيتسوي مذهبهم - مذهب الشرذمه الخارجيه السفيهه - مع مذهب جمهور الأمّه من أهل السنه و الجماعه أو ما سوى ذلك من مذاهب المسلمين في العقيده و الشريعه ،
فأي فضل يزعمونه لأنفسهم بعد ذلك إذا كان الأمر كذلك .
فانظر للأمر من حيث شئت ،
لن تجد للسلفيه إلا نزعه تخريبيه من الداخل ،
تسعى لإضعاف قوّه المسلمين من الداخل و فتح الأبواب للأعداء من الخارج ،
لم لا أليس " الكفار خير " من هؤلاء المشركين و الضالين و المحرفين و المعاندين و المجوس من الذين يزعمون أنهم من المسلمين !
السلفيه كالحداثيه ، غايتها واحده و محصّلتها جهنميه .
و قد أعذر من أنذر .

...

" فليرتقوا في الأسباب "
الكل تقريبا يعرف مقولة " من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت " .
أول مستوى في فهمها معلوم للجميع أيضا , فهؤلاء يفهمون القول و الصمت أنه قول لسان البدن و صمته .
و لكن مع هذا العلم فإنه يندر من نجد من يستطيع أن يحقق معنى المقولة في نفسه فعلا , لماذا ؟
لأننا لم نرتقي في الأسباب .
بمعنى ,
أليس قول لسان البدن فرع على قول لسان الذهن ؟

أي أنت تقول أولا - و لو بسرعة و خفية - في ذهنك و يجول الخاطر في قلبك ثم يخرج إلى لسان بدنك .
فإذن, القلب هو منبع القول الذي يخرج بلسان القالب ,
بالتالي , لتحقيق المقولة يجب أن نجعل لسان الذهن يرسخ في مقام " فليقل خيرا أو ليصمت " .
فإن أصبح لسان الذهن لا ينطق إلا بالخير , فإنه عفويا و بدون أن تتكلف و تتعب نفسك ستجد أن لسان البدن لن ينطق إلا بالخير أو سيصمت .
ما هو الخير ؟
من أبرز مدلولاته في هذا السياق هو المعنى الحسن و الحكمة ,
يقول القرءان الحكيم " و من يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا " .
و لهذا قيل لصاحب نوادر الأصول " الحكيم الترمذي " ,
لأنه رسخ قلبه في مقام " فليقل خيرا أو ليصمت " فأصبح كل كلامه له معنى حسن و إشارة معتبرة و حكمة بالغة , فتنزّه ذهنه عن اللغو و الكلام الفارغ , فتحقق بآية " و الذين هم عن اللغو معرضون " .
ثم يأتي السؤال : و كيف يمكن أن يصبح الذهن لا يُخرج إلا الجميل؟
الجواب : أن لا تُدخل فيه إلا الجميل, أو تجتهد في ذلك قدر الإمكان .
فالقلب إناء , و كل إناء بما فيه ينضحُ , و إنما يحلّ فيه ما صُبّ فيه .
و المداخل الأساسية لإناء الذهن هي السمع و البصر .
و لحفظ مدخل السمع قال " و الذين هم عن اللغو معرضون" ,
و لحفظ مدخل البصر قال "يغضّوا من أبصارهم" (الغضّ عن غير الجميل - و ليس فقط بالمعنى الشائع).
الآن اقرأ " من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر , فليقل خيرا أو ليصمت " .

...

نحن لا نعلم الكثير من الأمور ,
و لكني أعلم العبارة التالية بكل يقين نابع من كل مصدر ممكن للعلم برهاني و عياني :
من أراد أن يستخرج المعاني الحقيقية من أي مصدر كائنا ما كان ,
فإنه - بتوفيق الحق - يمكن أن يستخرجه منه .
هذا لا يعني أنه لا يوجد "حق" ,
و لكن يعني أن " الحق في كل مكان " بدرجة أو بأخرى .
الذي يحدث عندنا - أي عند كل الناس تقريبا - هو التالي :
عندما نحب شخصا أو كتابا أو حضارة أو دولة أو وظيفة ..الخ ,
فإننا نشتغل على استخراج الحق فيها و لو كان تحت الثرى ,
و عندما لا نحب ,
فإننا ننشغل عن رؤية الجق فيه و لو كان أظهر من الثريا .
كما قال القرءان " و إن يكن لهم الحق , يأتوا إليه مذعنين " .
تجد هذا - أشد ما تجده - في الملّة و السياسة و المصلحة المالية .

أما في الملّة , فتجد أن أصحاب الملّة يوجّهون و يهذبون و يستخرجون المعنى المناسب لأصحاب الملّة و نصوصها كائنا ما كانت . و لكن حين ينظرون في ملّة أخرى لا يقومون بنفس العمل , فيُظهرون أن تلك الملل كلها باطل في باطل . و لو قاموا معها بنفس ما قاموا به في ملّتهم - رجالا و نصوصا - لكان أقل ما يقولونه هو : فيها حق و فيها باطل و باطلها أكبر من حقّها و ضررها أكبر من نفعها .

أما في السياسة , فتجد أن الدول تبيح لأنفسها من الأمور ما لا تبيحه لغيرها , أو تستهجن من غيرها نفس ما تقوم هي به , و في أحسن الأحوال تعتبر أن ما قامت هي به من باب " اجتهد فأخطأ " , و لكن تعتبر ما يقوم به غيرها هو من باب "خبث النية و سوء التطبيق " . مثال ذلك الأمريكان , تسببوا بسياساتهم في مقتل ملايين الناس حول العالم في المائة سنة الماضية , و مع كل ذلك فإنك لا تكاد تجدهم يعتبرون أنهم يقومون بأي شيء خارج الطريق , و لكل شيء تبرير . فإن جاء أحد و تسبب في مقتل ألف أو ألفين , قامت القيامة و لم تقعد . ثم أي فرق في أن تُرسل "دولة" جيشا لإبادة بلدة , و بين أن تُرسل "مليشيا" جيشا لإبادة بلدة ؟ الإبادة إبادة , و العدوان عدوان , أيا كانت الألوان التي يحملها الجندي على لباسه . و لكن هكذا هو الكيل بمكيالين .

أما في المصلحة المالية , فحين يكون المال مالنا نريد الكل أن يكون على مستوى أمانة و مصداقية جبرائيل عليه السلام , و لكن حين يكون المال مال غيرنا نريده أن يكون متسامحا و كريما ككرم حاتم الطائي .

من يستطيع أن يخرج من دوّامة " المطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . و إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون " فإنه يمكن أن يعتبر نفسه إنسانا عظيما بحق .

...

معلومة واحدة بخصوص موضوع ما , يمكن أن تقلب مفهومك عن الموضوع بالكلية .

مثال : نحن نعرف قصة " فتح القسطنطينية " على يد السلطان محمد الفاتح - رضوان الله عليه . و نحن نظن أن القضية كانت مجرد قوّة عسكرية ترغب في التوسّع على حساب دولة الرومان بدون أن يقوم الرومان بأي شيء . و بالتالي ينقسم الناس لقسمين بخصوص هذا الموضوع , فمنهم من يعتبره نصرا عظيما و منهم من يعتبره عدوانا أثيما . و لا يرتفع الخلاف بينهما .

فإذا علمنا التالي :

لسلطان بايزيد الصاعقة - رضوان الله عليه - من قبل الفاتح , حاصر القسطنطينية أكثر من مرة . و في إحدى المرات لما انهزم الجيش العثماني في إحدى المعارك , استغلت حكومة القسطنطينية الرومية هذا لتقوم بالتنكيل بالمسلمين في أرضها , و أخرجتهم من ديارهم و قامت بما قامت به على اعتبار أنه ليس للمسلمين من يدافع عنهم . فلما وقع ذلك قام السلطان بايزيد بضرب الحصار عليها , حتى أوشك أن يفتحها , لكنه تراجع و أوقف الحصار ؟ لماذا ! إن كان همّه مجرد الفتح , فقد أوشك أن يفتح , فلماذا تراجع ؟ الجواب : لأن حاكم القسطنطينية وافق على تخصيص حي للمسلمين في بلده , و بناء جامع فيه إمام و مؤذن , و سمح بدخول قاضي مسلم للفصل في شؤون المسلمين , و بالتالي تعهد الحاكم بأن لا يتعرض للمسلمين في بلاده . فإذن , هل كان الهدف مجرد الفتح العسكري , أم كان الهدف هو ضمان حماية المسلمين ؟ لو كان الأول , لاستمر بالحصار الذي أوشك أن ينجح و عرف حاكم الرومان ذلك فتنازل و وافق على مطالب السلطان العثماني . فإذن هو الثاني , و لذلك لما وقع تراجع السلطان . و إن تأملت مطالب السلطان ستجد أنها ضمان حياة المسلمين و عدم

الاعتداء عليهم و تركهم يمارسون دينهم و يحتكمون لشريعتهم فيما بينهم , و هو نفس الشيء الذي قام به بعد ذلك السلطان الفاتح مع الصليبيين حين قام بتنظيم شؤونهم و أعطاهم نفس هذه الحقوق التي طلبها للمسلمين من قبل حين كانوا تحت حكم غيرهم , و كذلك مع اليهود و غيرهم . و على هذا النمط تأمل في كل قضية و لماذا حدثت و كيف و لا تختزل .

مثال آخر : السلطان محمد الفاتح قال أنه يريد أن يكون على الارض "دين واحد" . البعض يظن أن المقصد هو أن يصبح كل أحد من المسلمين . لو كان هذا هو مقصد الفاتح - و مقصد كل سلطان مسلم - فكيف تفسّر أن الفاتح نفسه هو الذي سمح و ترك و نظّم بقاء الملل الأخرى ؟! و إلى اليوم في تركيا , مقعد بابا الأورثوذكس مثلا في اسطنبول . لو كان يريد جبرهم أو إبادتهم , فكيف ينظّم شؤونهم بنحو يضمن بقاءهم لقرون متعددة . الخطأ يأتي حين لا نستوعب أن من صميم حكم الإسلام في الأرض هو أن يكون لبقية الملل الحق في البقاء في دوائرهم الخاصة بطريقة تضمن بقاء نزعتهم الملّية و ارتقاءها . و لهذا إلى يومنا هذا , حين تسمع حاخامات اليهود يتحدثون عن أتقى اليهود في العالم ستجد على أول القائمة يهود سوريا و اليمن والمغرب و ايران , اي يهود البلاد الإسلامية , و كذلك حس الصليبيين الديني أقوى في البلاد الإسلامية منه في بلاد الغرب مثلا , و كلما وجدت الصليبي الشرقي متصّلا بالغرب أكثر كلّما قلّ حسّه الملّي . أو لا أقل لن تجده في أي مكان أشدّ مما هو عندنا أو يقرب منه بقليل . بل إن العالم الشهير موسى بن ميمون اليهودي فضّل أن يعيش في مصر الإسلامية على أن يذهب إلى فلسطين " الأرض الموعودة " بالرغم من أنه كان بإمكانه أن يذهب و يعيش هناك. بالرغم من أن الأوامر في كتابه واضحة بوجوب الذهاب إلى فلسطين من جهة , و هو يعلم ذلك , و لذلك كان يوقّع تحت اسمه في الخطابات " موسى بن ميمون , الذي يخالف ثلاث وصايا من التوره كل يوم " أو نحوه, بالإضافة إلى الأوامر الواضحة بعدم الذهاب إلى مصر تحديدا من الجهة الأخرى . و هذا موسى بن ميمون حاخام الحاخمات . و اشتغل بالطب عند السلطان صلاح الدين الأيوبي - رضوان الله عليه بدل من أن يذهب إلى فلسطين مباشرة . هذا مجرد مثال بارز , إلا أن الفكرة واضحة . الغرب قوّة مدمّرة للمعنى , كالنار, كلما اتصلت بشيء أحرقته أو شوهّته . و بما أنا ذكرنا اليهود - و لا عداوة بيننا و بين اليهود كما يحاول الصهاينة أن يصوروا للناس بل عاشوا بيننا لأكثر من ألف سنة بينما أوروبا الصليبية و الغربية الحداثية حرقتهم و ذبحتهم و شرّدتهم - فلنذكر مثالا طريفا سمعته من أحد الحاخامات . يقول : إن يهود اليمن لألفين سنة لا يوجد عندهم أحد يخالف حكم حفظ السبت كما حددته التوره الكتابية و الشفوية , و لكن حين ذهب يهود اليمن إلى يسرائيل الصهيونية - الأرض الموعودة - فإن 80 % من يهود اليمن خالفوا هذه الوصية الكبرى بسبب علمانية الدولة الصهيونية و غيرها من الأمور . فتأمل و قس عليه .

فالحاصل , حاول قدر الإمكان أن تنظر في الموضوع من أكثر من مصدر و زاوية , قبل أن تحدد لنفسك قولا فيه . و الله المستعان .

...

المدد الأعظم

دراسات في كتاب الله الأكرم

(مقدمه)

بسم الله الرحمن الرحيم " و الله يعلم و أنتم لا تعلمون "

أن تتعلم فكره من كتاب الله خير من أن تتعلم ألف فكره من غير كتاب الله ، بل حتى لو كان من بين هذه الألف فكره نفس صوره الفكره التي تعلمتها من كتاب الله . لا أقل ، يمكن أن نقرب هذا المعنى بالمثال الآتي : ورده . لو أعطتك معشوقتك ورده واحده ، و أعطاك ألف غريب و أجنبي و عدو بل و صديق كل واحد من هؤلاء ورده من نفس صنف تلك ، هل تستوي هذه و تلك عند صاحب ذوق و حس و من له قلب حي ينبض بالشعور بالذوات و الأعماق . إن كل فكره إلهيه ، هي إلهيه من قبل أن تكون فكره . و من الأمثله الفعليه لذلك سوره الإخلاص ، التي هي لب لباب علوم الوحده المطلقه و الأحديه الذاتيه للهويه الإلهيه . فإن كل كتب العرفان و مجالس العرفاء و العلماء من شتى المشارب و الملل و الطرق ، كلها تدندن حول معاني سوره الإخلاص ، فإذا فرغت من دراسه و ممارسه كل تلك الكتب و الرياضات المعنويه ، فإنك ستجد أن كل ما كنت تطلبه هناك هو في خلاصته ذات البلاغه التامه من حيث المبنى و المعنى عين سوره الإخلاص . ثم الزياده تأتي في كون مدلول علوم التوحيد هو الذي يقول و يكشف لك عن ذاته المتعاليه ، و هذا معنى لا يمكن أن يوجد بتمامه أو مكافئ له في غير كلام الحق سبحانه . و قس على ذلك في كل ما هو تحت درجه علم الوحده المتعاليه نزولا إلى إماطه الأذى عن الطريق .

كل ما يقوله القرءان علم ، و كل ما لم يقوله أيضا باب إلى العلم . أما ما يقوله فهو أمر معروف مفروغ منه عند أهل العلم بالكتاب و الإيمان به ، و ذلك لأن كل حرف لمجرد أنه ورد في كلام الحق سبحانه يعني بالضروره أن له كل مستويات الحقيقه و هو مفتاح لشتى أبواب المعرفه ، و كل قارئ يغترف بقدر سعه واديه و حظوته عند مولاه و باريه . و أما ما لم يقوله القرءآن ، فإنه كما أن لكل حادث سبب، فكذلك لكل ما لم يحدث أيضا سبب ، إذ عدم حدوثه الواقعي بينما هو تحت الحدوث الإمكاني ، إذ كونه ممكن يقتضي أن يوجد سبب يحول بينه و بين الظهور و التحقق ، فكون الفيل له خرطوم شئ ، و كون الفيل ليس له أجنحه شئ آخر ، فقد تبحث عن معنى ما حدث فعلا ، أي عن معنى وجود خرطوم له ، و لكن قد تبحث عن معنى عدم حدوث شئ هو ممكن في ذاته ، و هو عدم وجود أجنحه له ، كذلك في القرءان ، فقد تقرأ قوله تعالى " إني جاعل في الأرض خليفه " فتسأل نفسك : لماذا جعل خليفه ؟ فهذا سؤال عن الواقع ، و هو بحث له نتائجه . و لكن قد تسأل نفسك : لماذا لم يجعل أربعه خلفاء ؟ لماذا لم يجعل الملائكه خلفاء ؟ لماذا لم يجعل ابليس خليفه ؟ و هكذا . و على مستوى المبنى ، كذلك قد تقرأ قوله تعالى " و القلم و ما يسطرون " فتسأل على مستوى الواقع: ما معنى يسطرون ؟ و لكن قد تسأل على مستوى الممكن : لماذا لم يقل " يكتبون " أو "يخطون" أو

غير ذلك من احتمالات و ممكنات من حيث المبنى ؟ و قس على ذلك . فالقرءآن بحر لا ينفد سواء على مستوى الواقع أو مستوى الممكن .

علم النبيين و المسلمين له طبقات و درجات ، أعلاها بالإجماع المطلق - و الإجماع لا يؤسس العلو و إنما هو ذكر لإقرار مفروض و موجود - هو علم القرءآن و ما خرج من القرءآن . فمن المنافع الأساسيه للدراسات القرءآنيه هي التأسيس لقواعد و حقائق مطلقه للمسلمين ، و هي مطلقه لأنها غير محدوده سواء بالنسبه للعلوم فما أثبته القرءآن في أي جهه هو حجه على كل علم آخر و العكس لا يكون و "الله يحكم لا معقب لحكمه " و " الله يعلم و أنتم لا تعلمون " ، و كذلك بالنسبه للأشخاص إذ كل فرقه و طائفه و مشرب و مذهب إسلامي قابل محض و محجوج بالقرءآن و ما أثبته القرءآن مما يثبت فعلا. فحقائق القرءآن تأسيسيه بالنسبه للعلم و الحكم . و على ذلك له الأولويه المطلقه عند كل عقلاء الأمه سواء في الدراسه أو الإحتجاج أو التأصيل لأي شئ مما تناوله القرءان بالبيان .

فالقرءآن هو القطب الفاعل ، كما أن النبي هو القطب القابل . و رسول الله هو الإسوه الحسنه لكل مسلم ، و بقدر قبولك للقرءآن و معانيه علما و عملا يكون تأسيك برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم . فكمال الإنسان في تعلم القرءآن ، و تعلّم أي علم هو في الحقيقه تعلّم للقرءآن ، عرف المتعلم أم لم يعلم ، إذ لا نور إلا نور الله ، و كل علم نور ، فكل علم حقا هو من الله بلا استثناء و لا قيد و لا شرط ، كل ما يصدق عليه أنه علم فهو داخل في سلّم مطالب الإنسان القرءاني ، و لكن وجود "سلّم" للعلم يعني بالضروره أنه يوجد أولويات ، و كذلك للعلم مركز و قطب عند أهل الله ، و من كان القرءآن ككتاب هو أولى أولوياته و مركز اهتماماته ، فكل تعلّمه سيكون حتما قرءاني ، كائنا ما كنت صورته. إن صلح القلب صلحت الأطراف ، كذلك إن صلح القطب صلح القطر .

في هذا الكتاب نريد إن شاء الله و إذنه أن نسبح في بحر القرءآن و نستخرج شئ من كنوزه ، بحسب ما يفتح لنا المُعلّم الأول للقرءان و هو الرحمن ، لا إله إلا هو ، فنحن فقرآء لهذا العلم و "إنما الصدقات للفقرآء " فتصدّق علينا أيها العزيز ، يا محب المحسنين . و الحمد لله رب العالمين .

حسبنا هذا كمقدمه ، فتعالوا ننظر .

...

(العين)

يقول الله تعالى { و تراهم ينظرون إليك و هم لا يبصرون } فالنظر للظاهر البدني ، و البصر للباطن المعنوي ، أي أنهم ينظرون إلى بشريتك ، و لا يبصرون حقيقه نبوتك و مقامك .

ثم يقول في آيه أخرى ، { فإنها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور } فهنا نفى وقوع العمى على الأبصار ، فالأبصار - و هي جمع البصر ، و ليس البصيره - هي شئ لا يمكن أن يقع عليه العمى ، { فإنها لا تعمى الأبصار } ، ثم أثبت أن العمى هو ما يقع على { القلوب التي في الصدور } . فما هو البصر هنا ؟ هو ما قال عن الوحيد { إنه فكر و قدّر . فقتل كيف قدر } فالوحيد الكافر ، أي أعمى القلب ، لم يكن بصره أعمى ، بمعنى أن بصره كان يرى من حيث أنه يفكر و يقدّر، و لكن كيفيه هذا التفكير و التقدير هي التي قيل عنه بسببها { فقتل كيف قدّر } . فالبصر يعمل دائما ما دام الإنسان حيا ، لا يمكن أن يوجد إنسان حي بلا بصر ، أي بلا وعي من حيث التفكير و التقدير بدرجه أو بأخرى ، بنحو أو بآخر ، لا أقل وعي الإنسان بذاته و أنه قائم حي ، و هو ضد الشعور الذي لا يجده حين يكون نائما في عمق النوم ، و ليس حتى حين يكون نائما في مستويات المنامات . و لكن هذا البصر يرى بكيفيه معينه ، دائما ، لابد أن تكون له كيفيه ما في تفكيره و تقديره للأمور و الأشياء و الأعيان و كل ما يمكن أن يقع عليه فكر و تقدير . و السؤال الآن: هذه الكيفيه على ماذا تقوم ؟ أي ما الذي يجعل فلان يبصر - أي يفكر و يقدر - بكيفيه أ ، بينما علان يبصر بكيفيه ب ؟ هنا يأتي الجواب الإلهي { و لكن تعمى القلوب التي في الصدور } أي بحسب هذه القلوب . فالقلب يكون ، ثم يكون البصر بحسب القلب . فالأولويه المطلقه في الوعي هي للقلب . و لذلك قال { إلا من أتى الله بقلب سليم } .

ثم نرى قوله تعالى { لا تدركه الأبصار } لم يقل : لا تدركه الأنظار . و لم يقل : لا تدركه القلوب . الآيه الكريمه تقول { لا تدركه الأبصار } . فمن باب أولى أن لا تدركه الأنظار ، ثم إن الأبصار تعني أن الفكر و وسيله الفكر لا يمكن أن تدركه . إذ لا يقع الإدراك إلا بما هو من جنس المُدرِك أو دونه في الوجود و الظهور ، و لا يقع الإدراك إلا على ما هو من جنس المُدرِك أو دونه في الوجود و الظهور . الأدنى لا يدرك الأعلى . و لكن الأعلى يدرك الأدنى . و الأبصار مرتبه التفكير و التقدير ، و لولا أن موضوع التفكير و التقدير قابل للتشكيك و الاحتمالات و مُحاط بسياج الإمكان ، لما وجد أصلا باعث على التفكير و التقدير . التفكير لا يقع إلا على ممكن أو مستحيل من حيث التصور الأولي له ، و ما كان ظاهر بذاته أي واجب مطلق فإن ظهوره - بالضروره و حسب التعريف - يكون ذاتي لا يفتقر إلى غيره ، و لا واجب إلا الواجب سبحانه ، و لا مطلق إلا المطلق تعالى . و لذلك قال { أفي الله شك } مستنكرا مُنكرا . و من هنا ربط القرءان التفكير بالخلق ، فقال في الآيه الفذه الجامعه {أولي الألباب. الذين يذكرون الله...و يتفكرون في خلق السموات و الأرض } . فالبصر لا يدركه ، فالفكر و التقدير لا

يدركه . و على ذلك هو فوق مستوى الأذهان كما أنه فوق مستوى الأبدان . و بما أنه لا تدركه الأنظار و لا الأبصار ، فلم يبق من وسائل المعرفه و العلم إلا القلب . و لذلك قال { فاعلم أنه لا إله إلا الله } و هو علم القلب ، و هو بذكر الله .

و القلب وراء الأنظار و الأبصار ، و أعلى منهما . الأنظار مستوى الأرض ، الأبصار مستوى السموات ، أما القلب فهو مستوى العرش . و من هنا قيل " قلب المؤمن عرش الرحمن " ، و قال في الحديث القدسي " ما وسعني أرضي و لا سمائي ، و لكن وسعني قلب عبدي المؤمن " .

موسى طلب النظر { رب أرني أنظر إليك قال لن تراني } لعدم إمكانيه النظر - الذي طلبه اليهود {أرنا الله جهره}- أن يتحمل ذلك التجلي الفائض من اسم الله تعالى . فالله ليس بجسم . ثم قال {لا تدركه الأبصار} فالله ليس بنفس . ثم قال { يذكرون الله } و حصر في ذلك ، و أثبت العلم بالتوحيد و الذي هو علم من وراء حجاب أيضا إذ هو العلم باستحاله الشريك أو الحد للحق سبحانه ، فكان حد القلب هو ذكر الله تعالى { و اذكر اسم ربك و تبتل إليه تبتيلا } ، فالعرش الروحي أيضا لا يمكن أن يتحمل عين ذات الحق ، و إنما تأتيته نفحات و تجليات نورانيه بحسبه ، فهذا فيما يتعلق بالله من حيث ذاته المتعاليه ، أما الله من حيث تجليه في الخليفه الأعظم للكون و هو الروح الأعلى فإن القلب يتصل به بوسيله كلامه و كلماته . فرؤيه الله هي قراءه القرءآن . { يموسى إني اصطفيتك على الناس برسلتي و بكلامي فخذ ما آتيتك و كن من الشاكرين } . القلب قابل ، و أما الفاعل فيه فهو الروح الأعلى و هو خليفه الله و مظهره في العوالم من أعلاها إلى أسفلها . و أما الفاعل على التحقيق في الوجود كله ، من الروح المخلوق نزولا إلى أسفل مخلوق ، فإنه الحق تعالى بذاته { هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شئ عليم } . و إنما كلم موسى الروح الأعلى الذي هو تجلي اسم الله في العالمين . و هو معنى { رب العالمين } ، و أما حقيقه اسم الله و ذاته الأحديه فإن { الله غني عن العالمين } . فكما أن هذا الماء الذي نشربه هو تجلي اسم الله المحيي في هذا العالم الأرضي ، فكذلك كل اسم إلهي له مراتب في تجلياته في العوالم و إن كانت حقيقه الاسم هي الفاعل الوحيد في كل المراتب .

{ الله الذي خلقكم ثم يرزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم } فتنزيل هذه الآيه هو : الروح الأعلى هو مظهر اسم الله في أقصا الخلق ، و ملك الخلق و ملك الرزق و ملك الموت و ملك الحياه هم الوكلاء الأربعه لدوره الخلق كلها و التي لها أربعه أطوار ، خلقا و رزقا و إماته و إحياءا . و أما تأويل الآيه فهو أن حقيقه الله هي الفاعله للخلق و الرزق و الإماته و الإحياء في عين المظاهر التي تتجلى بها . فالمحيي سبحانه هو الذي يحيي بالماء حين تشربه أو تتشربه الأرض ، و مع ذلك نسب القرءآن السببيه إلى الماء فقال { يحيي به الأرض بعد موتها } فتأمل { به } ، و هي سببيه حقيقيه إذ لا فصل بين الاسم الإلهي و بين الصوره التي يظهر بها في الخلق ، على التحقيق .

فمن وجه يمكن أن يُقال { فأينما تولوا فثم وجه الله } فكل نظر و بصر إنما يقع عليه سبحانه و تعالى. و من وجه يمكن أن يقال { لن تراني } و { لا تدركه الأبصار } إذ حقيقه المتعاليه و سره الأحدي فوق كل تجلي .

فمن رأى بعين التنزيل ، أي نزول الحق بالخلق ، قال { فأينما تولوا فثم وجه الله } . و من رأى بعين التأويل ، أي رجوع الخلق إلى الحق ، قال { لا تدركه الأبصار } . و الناس بين نهار التجليات و ليل الغيبيات . { يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل } . و الحمد لله .

...

(الميزان)

آيه من كتاب الله ، من عقلها و فقهها و حفظها ، كانت له ميزانا يزن به كل فكره و دعوى عامه ، و يستطيع أن يقيس بها درجات الفرق و الطوائف و الأفراد و شؤونهم فيما يتعلق بقضايا الدين كله بنحو عام بل و تفصيلي إلى حد كبير جدا ، أي من حيث المبادئ ، و معلوم أن المبادئ تتضمن النهايات لمن كان له نظر ثاقب .

أما الآيه فقوله تعالى { إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون } . هي ست كلمات فقط فيها ست موازين قسط .

{ انا } كل " إنّا " لسان الكثره في القرءآن تتضمن " أنا " لسان الوحده المختصه بالرحمن . فالمظاهر كثره ، و لذلك قال " إنّا " و لأن مبدأ الأكوان هو الأسماء الحسنى و هي وحده عينيه مع الكثره الأسمائيه بحسب التجليات و الغنى الذاتي للحق سبحانه ، فإن " إنّا " تكون حديثا بلسان الأسماء الحسنى . و أما " أنا " المفرده كقوله تعالى لموسى " إنني أنا الله " فإنها عين الحق من حيث هو هو لا من حيث تجلياته و غناه الفياض . فالميزان الأول قائم على قوله { إنّا } و حيث أن القرءآن نزل من حضره الجمع الأسمائي { إنّا } فإن اشتمال المعلول على سمات العله بالضروره ، يقتضي أمورا ، منها أن الأكوان متعدده و تحتمل التعدد و بالتالي أي فرقه تدعوا إلى توحد ظاهري أو باطني بإطلاق لا تعدديه فيه و لا تلوّن و كثره في رؤيه الأمر الواحد من زوايا و بدرجات متعدده ، فإنه يكون قد خرج عن مقتضى الحق .

{ أنزلنه } حيث أنه لا نزول إلا و يتضمن وجود طبقيه و مستويات ، فإن رؤيه الكون على أنه متعدد الطبقات الوجوديه أمر حتم و ضروره . و بالتالي أي فرقه تدعوا إلى اعتقاد - معلن أو خفي ، نظري أو عملي - أن الكون ذو طبقه واحده ، أو كالذين يعملون على أساس أنه ليس ثم إلا الله و الإنسان ، و كأنه لا يوجد عوالم متعدده فيما غير الإنسان ، و كأن عوالم الملائكه و الملكوت في حكم العدم من الناحيه العمليه بل و النظريه ، ثم قد ينحدر البعض فيرى أن الإنسان إنما هو جسم ، بل يهوي آخر فيزعم أن الحق تعالى جسم أو أنه لم يرد في الشرع ما ينفي الجسميه عن جناب الألوهيه - و هو عذر أقبح من ذنب ، و دليل موت اللب و الختم على القلب - و غير ذلك من غلو و زهد ، كله مُجاب عنه بمقتضى حقيقه { أنزلناه } و من خالف في هذا الأمر الجوهري و الأصل التأسيسي فقد خرج عن مقتضى الحق .

{ قرءانا } فالمحوريه المطلقه في كل ذكر و فكر و تأمل و نظر و تأصيل و عمل بالنسبه للمسلمين هو القرءآن . و كل ما سواه فهو مهين عليه ، و إن كان القرءآن مهيمن على كتب الله مما سواه فمن باب

أولى أن يكون مهيمنا على كتب الناس من أتباعه . فللقرءان الحاكميه و المحوريه على كل كتاب و إنسان . و من خالف في ذلك فقد خرج عن مقتضى الحق .

{ عربيا } فأهم المهمات الصوريه ، و أكبر الأولويات و المقدمات و الواجبات المعتبره في الأمه المحمديه و بحكم أنه " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " ، هو العنايه التامه باللسان العربي المبين الفصيح على لغه القرءآن و لغه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كأولويه لهذه الأولويه و غايه لكل الأبحاث اللغويه . فالقرءآن محتجب بنور العربيه ، و قد كان أعداء الله و رسوله و أمته يعملون على صرف الناس عن القرءآن " لا تسمعوا لهذا القرءآن " و ما زالوا على ذلك حتى عقود قريبه جدا و هذا هو شغلهم الشاغل ، فلما رد الله كيدهم في نحورهم و ماتوا بغيظهم و لم ينالوا خيرا ، إذ كان القرءآن هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن في حياه المسلمين من المشرق إلى المغرب و لا يوجد شئ تقريبا في حياتهم إلا و للقرءآن مدخل فيه بدرجه أو بأخرى ، فإنهم سعوا إلى هدف جديد و هو صرف الناس عن صوره القرءآن و لسانه ، أي صرفهم عن العربيه الفصحى و لغه قريش الشريفه التي دونت بها كل العلوم و الآداب المعتبره على مر القرون حتى كتب غير المسلمين - بل من أعدى أعداء المسلمين - بعض كتبهم الكبرى بالعربيه أحيانا كابن ميمون اليهودي مثلا . و خرجت دعوات تنادي بنبذ الفصحى بالكليه أو حصرها في ما يسمونه " العبادات الدينيه " أو غير ذلك من خطوات لصرف الناس عن القرءان و كل حضارتهم و بداوتهم ، لكل علومهم و آدابهم ، لأس أساسات هويتهم و عزتهم ، عن طريق صرفهم عن لسان القرءآن . و عندما يقول كافر للمسلمين - و لو كانوا من الفاسقين العاصين - " انبذوا القران ! " فإنه سيجد مقاومه بدرجه أو بأخرى ، و قد وجدوا . و لكن عندما يقول إنسان " لنتطور و نأخذ بألسنه أخرى غير العربيه الباليه " فإنه - مع الأسف و الشفقه - قد وجدوا بعض الآذان السامعه ، و إن كانت المقاومه أيضا حاضره على مختلف الأصعده . إلا أنه من الوهم الظن بأن الكثير من الناس تحب العربيه الفصيحه و آدابها ، أو لا أقل لعلها تحبها و تحترمها حتى إنك تجدهم إن نظروا إلى ورقه مكتوبه بالعربيه ملقاه على الأرض رفعوها و قبلوها و نفخوا عليها و وضعوها في مكان عال احتراما للسان كلام الله جل و علا ، و لكن مع ذلك يحتاج الأمر إلى مزيد رعايه و إقبال ، و عندما يفتح الله على عبد ليرى جمال العربيه و سرها فإن أخشى ما نخشاه عليهم حينها هو عباده العربيه و العكوف على صورها و ألفاظها و تراكيبها الأدبيه المحضه ، أليس يعبد بعض الناس الحجاب بدل رفعه و معانقه المحجوب . إلا أنه في جميع الأحوال، عباده حجاب العربيه خير من السقوط في مستنقعات الأعجميه . و حجّه أنصار العربيه في كل البلاد الإسلاميه هي قول الحضره العليه { عربيا } .

فالمسلمين اليوم - فيما يتعلق بالعربيه - على أحد قسمين ، و لكل قسم أقسام . القسم الأول هم المسلمون الذي يعيشون في بلاد أغلبيتها السكانيه من المسلمين . و القسم الثاني هم المسلمون الذين يعيشون في بلاد هم أقليه فيها . فلنسم القسم الأول دار الإسلام . و لنسم القسم الثاني دار الكفر . ثم دار الإسلام إما أن تكون ذات لسان عربي كأصل ، كالجزيره العربيه و مصر و الشام ، و

إما تكون ذات لسان أعجمي كأصل ، كإيران و تركيا و الهند . و كذلك ، دار الإسلام إما أن تكون ذات حكم إسلامي أصيل ، و إما تكون ذات حكم غربي دخيل . أما دار الكفر ، فإما أن يكون المسلمون فيها يأمنون على أنفسهم و دينهم و يعيشونه علنا كبلاد الغرب عموما ، و إما أن يكونوا في حال استضعاف و تقيه و تخفي . هذه أقسام عامه ، و أحكامها فيما يتعلق قضيه اللسان العربي و وجوب تعلمه و ممارسته في كل صغير و كبير - عاجلا أم آجلا ، أي المهم وجود العلم و العزيمه و السعي لتحصيل هذا الحال الشريف و هو أن ترجع أو تصير العربيه الفصيحه لسان الأمه - هي الأحكام التاليه .

أما دار الإسلام ، ذات اللسان العربي كأصل ، و ذات الحكم الإسلامي الأصيل : فلا عذر لهم في انعدام العربيه عن شأن من شؤون الحياه العامه و الخاصه ، بل العباده و العربده على السواء . لا عذر لهم أمام الله و رسوله لا في الدنيا و لا في الآخره . و حجّه المناصر لشرع { عربيا } هو عين هذه الآيه و أخواتها الكريمات .

أما دار الإسلام ، ذات اللسان العربي كأصل ، و ذات الحكم الغربي المُحدث الدخيل : فعلى المسلمين أن يعملوا في خاصه أنفسهم و في التعاطي في أمورهم بالعربيه الفصحى ، و لا ينتظروا شيئا من هذا الحكم المُحدث و الله تعالى سيتكفل بهلاك كل ظالم يتسلط على المسلمين كما أهلك فرعون و هامان و جنودهما و خسف بقارون و بداره الأرض فكونوا على يقين من ذلك ، و انشغلوا بأنفسكم و في هذه القضيه ، أي العربيه ، فإنه لزام على كل فرد في نفسه ، و كل رب أو ربه أسره ، و كل صاحب عمل خاص له سلطان على عماله و موظفيه ، أن يجعل اللسان العربي هو لسان الأحاديث و السمر و النقاش و الجدل بل و السب و الشتم و الهجاء أيضا . و احتملوا سخريه السفهاء منكم في البدء ، فإنكم إن استمريتم على ذلك لسنوات معدودات - إن شاء الله - فإن الهمج الرعاع - كعادتهم - سيعتادون عليكم و على لسانكم الشريف و سيملون السخريه بكم بل إن أحسنتم و دفعتم بالتي هي أحسن كان المرجو من الله أن يجعلهم في صفكم " و ما ذلك على الله بعزيز " .

أما دار الإسلام ، ذات اللسان الأعجمي كأصل ، ذات الحكم الإسلامي الأصيل : فلا عذر لهم ، إذ السلطه الحاكمه لو أرادت أن توجه الخاصه إلى عمل يتفق مع دين الناس ، و الغالب على العجم من إخواننا عشق الإسلام و ربه و رسوله و كتابه و حديثه و رموز إنسانيه من الأولين و السلف الصالحين و هؤلاء كلهم أصحاب لسان عربي أيا كانت أعراقهم فلسان من الحديث عن الأعراق في شئ ، أيا كانت الفرقه التي يتبعها و الطائفه التي يتشيع لها- و الحمد لله ، و على ذلك ، فإنه بحسن التلطف ، و توجيه العلماء و الساده و الأشراف و الأولياء رضوان الله عنهم ، فإنه يمكن الأخذ بأيدي الناس إلى بحبوحه العربيه و رياضها ، و تعليمهم ما يأخذ بلبّهم و يسبح بهم في بحار جمالها . و حجّتهم في ذلك قوله تعالى { عربيا } . و إن كانت قراءه القرءان هي أعظم العبادات و باب المعاملات ، و كانت القرءاه بلا فهم داخله ضمن " و الذي إذا ذُكّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما و عميانا " و أي

صمم و عمى أكثر من أن تقرأ كتابا لا تفهمه و تسمع كتابا لا تعقله ، و سماع التفاسير و الشروح و إن كان رافعا للذنب الذي تتضمنه الآيه المباركه السابقه إلا أنها لا ترفعه كله و كذلك هي دون الكمال المُبتغى ، و من أهم صور توحيد الأمه جمعها على لسان واحد و هو لسان القرءان ، ثم ليكن للناس بعد العربيه سبعين لسانا إن شاؤوا ، و كلامنا عن الماء الواحد و ليس عن الثمار المختلف ألوانها. و الحمد لله ، فإنه لا يوجد عالم من الخاصه في أي جماعه إسلاميه إلا و هو عالم بالعربيه ، و إلا لما كان عالما بالإسلام أصلا . إلا أن هذا دون الكمال ، و السعي إلى مزيد نشر للعربيه في كل مكان هو من أكبر أبواب الدعوه إلى الله و رسوله و كتابه و ميراث المسلمين من العلوم و الآداب على مر القرون مما يفتح أبوابا لا يوجد مثلها في غير أمتنا هذه و الحمد لله . فشكر نعمه ذلك هو بتعلم العربيه و نشرها .

أما دار الكفر ، و الأمن : فليعمل المسلمون على تقويه عربيتهم فيما بينهم ، و ليسعوا قدر الإمكان إلى أن يسكنوا في أحياء متقاربه و مناطق تجمعهم ، و هذا شبيه إلى حد ما بما يفعله الصينيون في بعض ولايات أمريكا فإن منهم من لا يعرف الانجليزيه أصلا و إن كنا لا نرى حسن هذا المسلك إلى هذه الدرجه ، و لكن لا أقل أن يكون للمسلمين مجمعات يستطيعون فيها أن يجعلوا حياتهم و مسالكهم و حواراتهم بالعربيه السليمه . فليتخذ المسلمون المغتربون قاعده فيما بينهم و هي "إذا اجتمعنا فالعربيه لساننا " . فإن التكلم بالعربيه الفصحى عباده ، و قراءه العربيه الفصحى عباده ، و هي - إن صحت النيه - كصلاه النفل في الفضل بل أكبر منها لمن كان له عقل . أيكون الوضوء - و هو باب الصلاه - عباده ، و لا تكون العربيه - و هي باب ما الصلاه معموله من أجله - ليست بعباده ! " و أقم الصلوه لذكري " ، و من لم يقرأ في صلاته بفاتحه الكتاب " فهي خداج " . و إن كان كما قال بعض الأئمه ، و هو كما قال ، أن طلب العلم خير من صلاه النافله ، و كان القرءآن أم العلوم و نهايتها ، و كانت العربيه هي أول مفتاح للقرءآن ، فإن النتيجه الحتميه هي أن ممارسه العربيه خير من صلاه النافله .

أما دار الكفر ، و الخوف : فليسع أهلها إلى الهجره من تلك البلاد أولا ، فإن لم يستطيعوا ، فليعمل كل فرد في نفسه ، و كل أسره صغيره يديرها ربها ، على جعل العربيه هي اللسان الوحيد الذي يتحدثون به في البيت ، و ليجاهدوا في تعلم الآداب العربيه قدر الإمكان . و إن كان الموت يقتل البدن، فإن الغفله عن القرءآن تقتل القلب . و إن كان موت البدن و تعذيبه مؤقت ، فإن موت القلب عاقبته عذاب غير مؤقت . و ليبشر أهل التقيه ممن يجاهد في سبيل حفظ روح الإسلام و صورته ، بجنه عرضها السموات و الأرض أعدت للمتقين . إن كانت حسنه المتعلم للعربيه في دار الإسلام ذات العربيه كأصل و ذات الحكم الإسلامي هي حسنه عظيمه جدا ، فما بالك بحسنه المتعلم للعربيه في دار الكفر ذات الأعجميه كأصل و ذات الحكم الجائر ، " فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قره أعين جزاءا بما كانوا يعملون " و " لمثل هذا فليعمل العاملون " .

فالحاصل ، أن كل من لا يرى أولويه و أهميه العربيه ، فإنه محجوج بقوله تعالى { عربيا } ، و قد خرج عن مقتضى الحق .

{ لعلكم } ليس : ستعقلون . بل " لعلكم تعقلون " . فقد يقرأ الإنسان القرءان و يخطئ ، و على ذلك - كأصل - لا عصمه لقول أحد في القرءآن ، و ليس من الواجب على من ليس له علم أن يتبع قول أحد في القرءان و يلتزمه ، اللهم إلا أن يكون " الرسول و أولي الأمر منكم " فإن حجّيه هؤلاء ثابته بالقرءآن نفسه ، و أما تعيين مصداق " أولي الأمر منكم " فراجع إلى اجتهاد ما ، إذ من الواضح أن القرءان لم يسم الأشخاص و المصاديق ، و إنما وسمهم بصفات من عرفها في شخص فقد وجبت عليه طاعته إن أراد السلامه و حجته في ذلك عين ما أنتجه له ما خرج منه من التحقيق و التطبيق . إلا أنه من المعلوم أن كل عالم بالقرءآن لا يقول فيه قولا إلا و له حجّه تثبته ، حتى لو جاءه المعنى بالكشف و الفتح الحي ، إذ من كان من أهل هذه الطبقه من العلماء سيكون حتما- إن شاء الله- ممن يمده الله تعالى بالحجج و البراهين و التفاصيل إن سأله عنها سائل متفقه و طالب متأله . ففي جميع الأحوال ، { لعلكم } تجعل الأصل في كل قارئ للقرءان هو كون أقواله بين الحق و الباطل ، بين الصواب و الخطأ ، بين الخير و الشر ، بين العدل و الظلم ، بين العلم و الجهل . ثم يميل قوله إلى إحدى الجانبين بإماله الروح و البرهان و الوجدان و النظر . و قد كان النبي عليه السلام و كُمّل أهل بيته و أصحابه يُسألون عن حجّيه أقوالهم من القرءآن فيجيبون عنها بما يسكن الغليل و يشفي العليل و يفتح عين الكليل . فمن دونه صلى الله عليه و آله أولى بذلك ، و هي سنه العلماء المعتبرين. فمن جعل الأصل في الأقوال بالنسبه لكل قارئ مجتهد في القرءان أنها صحيحه و يجب قبولها ، أو إن زعم أن مجرد قراءه القرءآن كيفما اتفق تُخرج صاحبها مكللا بتيجان الحقيقه ، فقد خالف حكمه تعالى { لعلكم } و بالتالي يكون قد خرج عن مقتضى الحق .

{ تعقلون } فأعلى قيمه في الإسلام هي عقل القرءان ، إذ هي الغايه منه . و هذا الميزان السادس يرد على من يقول بأنه يجب أن يبقى العامه و الجمهور في حاله الجهل و موت العقل بالتقليد الأعمى. و يرد كذلك على من يجيز قراءه القرءآن بغير عقل بإطلاق . و يرد على من يدعي أن تفسير القرءآن " فرض كفائي " بالمعنى الحصري الذي يؤدي - و قد أدى إلى حد كبير - إلى غفله الناس عن القرءآن مما يفتح أبواب الشيطان بل الشياطين على الأمه - أليس شيطان الغرب المُحدث قد ربض في بلدان المسلمين بسبب جهل العامه و تعرضهم لشبهات و سخافات الكفار و المنافقين من الغرب و الشرق التابع له بوعي أو بغير وعي ، بقصد أو بسهو . لا يقرب شيطان عاقل فعلي للقرءآن. كيف ، و عاقل القرءآن يمكن أن يجعل الشيطان يُسلم ! " و الشياطين كل بناء و غواص . و آخرين مقرنين في الأصفاد . هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب " . و قولنا " لا عوام في الإسلام" يقوم على { تعقلون } و أخواتها . فمن خالف في كون العقل القرءآني هو أعلى قيم الإسلام المحمدي ، و كون تعليم القرءان للناس كلهم من الصبيان إلى الشيبان ، من الجاريه إلى المُقعده ، هو

أولى أوليات العلماء ، بالأخص في زماننا هذا الذي لا يشبه الأزمنه الماضيه من حيث انحسار السلطنه الكبرى و من حيث إمكانيه بل وصول الكفار و سخافاتهم و تضليلاتهم إلى عقر ديارنا أصبح من المسلمات المعلومات المشهورات ، فإنه يكون قد ساهم في العدوان على المسلمين ، و آذى الله و رسوله و كل عمل النبيين و الصديقين و الشهاء و الصالحين ، و بالتالي يكون قد خرج عن مقتضى الحق .

فإذن ، الحق لمن أراده المعرفه ، و النجاه لمن أراد السلامه ، مكنونه في قول رب العزه { إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون } . فخذه منهما بحظك ، اللهم قد بلغت ، اللهم فاشهد .

...

القرءآن الناطق

دراسه في كتاب " خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " للحافظ النسائي .

(مقدمه)

بسم الله الرحمن الرحيم " و لقد صرّفنا للناس في هذا القرءآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا "

آه على زمن الجرأه ! زمن يجرؤ فيه واحد مثل هذا العاجز أن يتطفل على عتبه الولايه العلويه فيقول أنه سيشرح مقاماته العليه . نستغفر الله مقدما و نستمد العفو من الحضره العلويه . و لكن جرأتي هذه مبرره ، و ذلك لأني قرأت في كتاب الحق سبحانه قوله عن أهل الكهف ، أولئك الأفذاذ أصحاب مقام الفتوه و الرجوله العقليه ، أولئك الذين قال الله لنبيه " لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا و لملئت منهم رعبا " و هو صلى الله عليه و آله صاحب القلب الذي تحمل تجلى القرءان الذي لو أنزله ربه على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشيه الله ، فأصحاب الكهف على علو درجتهم و قيمتهم عند ربهم ، مع ذلك قال الله " و كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد " لا بأس أن يكون كلبهم عند بابهم ، و بكونه عند بابهم و بقدر قربه هذا منهم نال من بركات صحبتهم فأصبح كلبا مذكورا في القرءآن و يذكره أهل الله في كل جمعه و في كل مسجد في مشارق الأرض و مغاربها ، فإن كان هذا هو تعامل الحق سبحانه و إنعامه على كلب يبسط ذراعيه عند عتبه فتيه من المؤمنين به ، فويل لنا إن لم نكن على الأقل بمستوى هذا الكلب حين نبسط أيدينا استمدادا من حضره علي عليه السلام الذي قال النبي صلى الله عليه و آله فيه " لا فتى إلا علي " . فضعف الدارس لا يعني ضعف المدروس ، إذ حتى كتاب رب العالمين إنما يتنزل على كل قلب بقدر سعته " أنزل من السماء ماءا فسالت أوديه بقدرها" و ليس بقدره هو ، و كذلك نحن في هذا الكتاب نريد أن ننظر في شئ من مقامات أمير المؤمنين عليه السلام بقدرنا نحن ، لا بقدره هو . و الله الموفق و الفاتح لما أُغلق .

و إن شاء الله سنسير على تسلسل الأحاديث كما وردت في كتاب الحافظ النسائي رضوان الله عليه ، و هو كتاب مشهور معروف بين الناس ، بل كان سبب شهاده الحافظ النسائي ، إذ بعدما كتبه ذهب إلى الشام ، فسأله شيعه الأمويين ما معناه : لماذا لا تضع كتابا في فضائل معاويه كما فعلت في فضائل علي ؟ فقال : لا أعرف له منقبه سوى حديث النبي عليه السلام حين دعا عليه و قال "لا أشبع الله بطنه " ! فبدأوا يضربونه و أخرجوه من المسجد ، ثم توفي بسبب ذلك ، رحمه الله و رفع في الجنه درجته . وضع علي في قِبال معاويه ، يشبه وضع النبي في قِبال أبو سفيان ، أو وضع فاطمه في قِبال هند ، أو وضع عتبه و شيبه في قِبال حمزه ، هو سخف و سوء أدب في أحسن الأحوال . و من عدم مراعاه حرمات الله تعالى القيام بمثل هذا الخلط ، أو عدم استحضار اسم علي إلا مع استحضار الركام التاريخي و الطائفي المعروف . لن نتذكر اليهود كلما نذكر مريم، كما لن نتذكر غلو النصارى كلما نذكر المسيح عيسى ، هؤلاء أعظم و أكرم عندنا من أن نقرنهم في قلوبنا بهذا الزبد .

هم عندنا حقائق مجرده و متعاليه عن مثل ذلك ، و كتابنا هذا في أصله معمول لمن كان على مشربنا هذا فيهم ، و الإستثناء أن ندخل في ما سوى ذلك من أمور ، و الحق أننا لا نختزل القضايا ، و لا نخشى من الدخول فيها ، و لا نبالي بما قد يشعر به الموافق من تعزيز أو المخالف من عض الأنامل من الغيظ . كل قارئ حر في هذا المجال ، و إنما علينا البلاغ المبين ، و على الله الحساب الحكيم . و ليس هذا كتابا في الوعظ الأجوف ، و لا للدعاء الأهوج . هو كتاب للدراسه ، و ككل كتبي ، إنما أضعها من أجل نفسي ، و إني في كل كتاباتي لست أعمل بأكثر من قوله تعالى " الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم " . فالتعلّم بالكتابه و كتابه تسلسل الأفكار و الفتوحات في لحظتها و غير ذلك من فوائد استعمال الكتابه في الدراسه هو غايتي ، و إن كان يظهر أن الكلام موجّه لغيري ، فهو غير موجّه إلا لي ، و سبب ظهور الكلام و كأنه موجه لغيري هو لأن هذا الغير هو أنا ! فعقلي يتكلم و يكتب ، و نفسي تسمع و تقرأ . و كتبي هي شواهد على هذا التفاعل بين عقلي و نفسي . كما قال الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي - سلام الله عليه - في الفص الإدريسي " و المتكلّم واحد و هو عين السامع " .

عند عموم المسلمين ، يوجد ضعف اهتمام و معرفه بإسمين : عيسى بن مريم و علي بن أبي طالب . و السبب في تعمّد إغفالهما واحد و هو السبب التالي : حتى لا يفرح المخالف لنا ! فالعامي يظن أن كشفه عن مقامات سيدنا عيسى عليه السلام أو شئ منها يعني نقاط في صالح النصارى ، و حيث أننا لا نحب ذلك فلنغفل هذا الكشف قدر الإمكان . و حيث أن الكشف عن مقامات مولانا علي عليه السلام أو شئ منها يعني نقاط في صالح الشيعه ، فحيث أننا لا نحب ذلك فلنغفل هذا الكشف قدر الإمكان . و صدق رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حين قال في علي " إن فيك شبها من عيسى بن مريم " و النبي قد كشف عن جانب من الشبه في هذا الحديث ، و إن كان قد أسس للشبه بينهما كمبدأ و ذكر مصداقا له و هو قضيه الجفاء و المغالاه . و ينسى العامي أن عيسى عندنا هو ليس يسوع اليهودي الذي يتكلم عنه أهل الصليب ، و ينسى أيضا أن علي أمير المؤمنين و ليس أمير الشيعه فقط . و أهم ما ينساه ، و هو أولى من كلا الأمرين السابقين ، هو أنه بتركه لدراسه هذه الأسماء العاليه و الحقائق الإنسانيه ، و تركه للتعلق بها و ذكرها ، إنما هو إعراض عن الحق الذي هو الله تعالى ، و ظلم لنفسه بحبسها عن هذه الأنوار . عدم معرفتك بعلي لن تنقص من قدره ، و لكن ستنقص من قدرك أنت . و فوق رأس هؤلاء سيف ، كلما تكلم عن عيسى ارتقب مقوله " هذا نصراني" كما أنه كلما تكلم عن علي ارتقب تهمه " هذا رافضي " ، و كأن معرفه روح الله أصبحت تهمه و سبب للتعرض لسوء الظنه و على العاقل أن يبتعد عنها عملا بمقوله " على العالِم أن يتقي مواطن الشبهه". أين نحن من الله إن كان السعي لمعرفه بعض عباده المخلصين هو سعي في شبهه . و الحمد لله أن هذا الذي ذكرناه قد تجنبه أولياء الله الكمّل و العرفاء ، الذين هم الورثه حقا للعلم النبوي على مستوى الظاهر و الباطن ، و قد ذكرنا ما ذكرناه تنبيها و معذره إلى ربهم و لعلهم يتّقون .

و الآن و قد ظهر المعنى العام للكتاب ، تعالوا ننظر .

أ (ذكر صلاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

١ { عن حبه العرني قال : سمعت عليا رضي الله عنه يقول " أنا أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم " }

ما هي الصلاه ؟ هي قبول الفيض من الله . إذ إن الصله بالله من قِبل العبد ليست لله إذ " وهو يُطعِم و لا يُطعَم " و " و أمر أهلك بالصلوه و اصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك " ، و إنما الصلاه للعبد . فالفرق بين عباده الحق و عباده الخلق أن الحق يريد أن يعطيك و الخلق يريد أن يأخذ منك ما أعطاكه الحق . إذ الواحد المتعالي هو الجامع بوحدته المطلقه لكل الأسماء الحسنى و حقائقها اللامتناهيه و أعيانها السرمديه الثابته ، و ظهور عطايا الأسماء الحسنى في الكون يجرد على مراتب تشبه مراتب الأعداد ، و الفرق بين الواحد القهار و الواحد العددي ، أي الفرق بين الوحده المطلقه و الوحده العدديه ، هي أن الوحده العدديه هي أصغر الكمّيات الصحيحه ، و تزداد القيمه كلما ازدادت الكثره ، و منه " التكاثر في الأموال و الأولاد " إذ هذه من الكونيات و المخلوقات ، و لكن الوحده المطلقه هي أكبر " الأعداد " بلسان الرمز ، فالثاني أصغر من الواحد ، و الثالث أصغر من الثاني و هكذا ، كلما ازدادت الكثره كلما ابتعدت عن كمال الوحده و بالتالي قلّت صفاتها و ضعفت سماتها بشتتتها و هو حال أسفل سافلين الذي يزداد عدد أهل طبقته و لكن تقل قيمتهم و صفاتهم ، و منه قيل أن في " آخر الزمان " يكون " عدد " المسلمين كثير جدا ، و لكن قيمتهم " كغثاء السيل " ، و العكس أن في أول الزمان كان الإسلام غريبا عدد المسلمين قليل إلا أنه قيمتهم كانت " لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبا ما بلغ مُدّ أحدهم و لا نصيفه " . فالأوليه عباره عن علو الكيفيه و شده الصفه ، مع القله الكمّيه و عدد أفراد الطبقه ، و العكس في الآخريه . و من هنا نجد أن الملائكه لهم مقامات ، و كلما علا مقامهم من حيث القيمه و القوه و العلم و السلطنه قلّ عددهم من حيث الأفراد ، فنجد أن كبار الملائكه و رؤسائهم هم أربعه أي جبرائيل و اسرافيل و ميكائيل و عزرائيل ، أو ملك الخلق و ملك الحياه و ملك الرزق و ملك الموت ، ثم الروح الذي هو قطب الأربعه و إمامهم و هو الجامع لهم ، ثم إذا نزلنا إلى مقام ملائكه الأرض مثلا وجدنا أنهم أكثر من الحصر و كذلك في السماء من حيث الكثره العدديه مع نقصان نورانيتهم عن الملائكه الأربعه و الروح عليهم السلام ، أو مثلا أن حمله العرش " ثمانيه " و لكن الملائكه الحفظه هم أكثر من مليارات ، و قس على ذلك . فدائما حين تعلو الطبقه بالنسبه لقربها من الحق الأحد ، يشتد المدد و يقل العدد . فالعلاقه بين المدد و العدد عكسيه . و الصلاه هي عين قبول المدد من الواحد الأحد . " نحن نرزقك " بغض النظر عن صوره الرزق ، إذ " رزق ربك خير و أبقى " و إن كان الآخر الذي عند أهل الدنيا أيضا من ربك ، و لكن يوجد فاضل و مفضول لاعتبارات مثل " خير " و " أبقى " .

فإذن ، كل مخلوق من حيث هو مخلوق له صلاه ، " كل قد علم صلاته " و " له يسجد من في السموات و الأرض " ، و صلاته الجوهريه هي كونه قبوله المدد المتعلق بالخلق و الحياه و الرزق و الموت بعد ذلك ، بتفاصيل و درجات هذا المدد . و المخلوق يصلي أول ما يصلي حين يستجيب لأمر "كن " فيكون . إلا أن الحق سبحانه قد رتّب الكون على أسباب و مسببات علويه و سفليه و ما بين ذلك . فجعل البعض سببا في إمداد البعض من حيث الصوره و إن كان الحق هو المُمد على الحقيقه. و هذا بديهي في العيان و القرءآن و البرهان ، فلما ذكر الله أنه يحيي الأرض بعد موتها مثلا قال "يحيي به " أي بالماء النازل من السماء. فسببيه الخلق لا تتقاطع مع سببيه الحق ، و لكن هي صورتها و حجابها . و بهذه الحجب و البرازخ يضعف المدد كلها ينزل إلى أدنى ، و هو مشاهد إذ إن كون الواحد المتعالي له القدره المطلقه و الإراده النافذه بلا حد ، ثم نجد أن مخلوق ما كالنمله لها قدره متناهيه في الضعف و المحدوديه ، و كذلك في العلم نجد علم الله المطلق ثم نجد دونه بمسافات فلكيه - رمزيا - علم الملائكه ، ثم نجد أمثال الحمير الذين يحملون أسفارا لهم علم شبه منعدم بالمقارنه بالملائكه فضلا عن ما لا مقارنه فيه أصلا مع جناب الحق تعالى " و الله يعلم و أنتم لا تعلمون " ، و هكذا في كل الأسماء الحسنى ، فإن هذا يقتضي بالضروره وجود شئ يحجب ذلك الإطلاق عن هذا التقييد ، بل نفس وجود من له علم أكبر من علم ، أو له قوه أكبر من قوه في حدود الخلق كفيل بإظهار التفاوت في الدرجه مما يقتضي وجود حجب ما سببت هذه الفروق التي لا مفر منها . فثبوت المطلق و ثبوت المقيد يعني بالضروره وجود حجب ما بين المطلق و المقيد . و من علمنا بالطبقيه الكونيه و تسلسل الأعداد و ظهور الأشياء عن بعضها البعض في الكون ، و كل ذلك علّمه القرءآن إذ يوجد أول و سابق و يوجد تابع و لاحق ، و يوجد والد و مولود ، و غير ذلك مما هو في ظاهر القرءآن و باطنه مما يختص بهذا الأمر الجوهري في الرؤيه الوجوديه القرءآنيه ، فإن هذا يعني بالضروره وجود مخلوق أول ، و مسلم أول ، و عابد أول ، و قابل أول للفيض من المطلق سبحانه ، ثم جاءت الطبقات من تحته و جرت أنهار الفيض الإلهي من تحت قدمه على بقيه الخلق خلقا و حياه و رزقا و موتا . فمن أول المسلمين ؟ الجواب : هو رسول الله الذي لا يوجد في طول القرءآن و عمقه أحد غيره قال " أنا أول المسلمين " ، فنوح يقول " أنا من المسلمين " و ابرهيم على الاعتبار الظاهري من شيعه نوح ، و يخطئ من يظن أن قوله تعالى " هو سمّاكم المسلمين " أن التسميه ترجع إلى ابرهيم و إنما ترجع إلى الله تعالى ، و " إن الدين عند الله الإسلام " و الكون كله من المسلمين " و له أسلم من في السموات و الأرض " ، و هكذا في كل نبي و ولي ، و لم ترد " أنا أول المسلمين " إلا على لسان رسول الله و النبي بإطلاق صلى الله عليه و سلم . و كذلك " أنا أول العابدين " . و أول مسلم و أول عابد هو بالضروره أول مخلوق بالمعنى الأعلى للمخلوق ، و هو أول قابل للفيض ، و هو أول كل شئ من هذا القبيل . و قد فصّلنا في الأمر أكثر - مع كفايه هذا لمن تدبره - في كتابنا (أنا القرءآن) فليراجعه من يحب . و من هنا قول النبي عليه السلام " أول ما خلق الله نوري " و نحو ذلك من

أحاديث شريفه يشهد لها القرءان بل ما هي إلا من مدد القرءآن و صححها العرفاء و أول التحقيق على مر القرون و لله الحمد وهي صحيحه و إن لم يدرك صحتها من لا يعرف رأس الكون من قدمه .

في هذا الضوء نقرأ قول حضره علي عليه السلام " أنا أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه سلم " . فإنه يكشف بذلك عن حقيقته العلويه التي هي " أول من صلى مع رسول الله " رسول الله هنا بالحقيقه العاليه و ليس بالصوره الزمنيه ، و إن كانت الصوره الزمنيه تجلي للحقيقه العاليه ، فهي الرساله بحكم " و ما أرسلناك إلا رحمه للعالمين " كما أن الله " رب العالمين " . فقوله " رحمه للعالمين " هو حقيقه الرساله الكليه الكونيه ، فإسلام الكون كله على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم. و من هنا يقرن رسول الله بالله تعالى ، قرن عبوديه و خلافه ، في مثل قوله " حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله و رسوله " أو " أغناهم الله و رسوله من فضله " أو " إذ تقول للذي أنعم الله عليه و أنعمت عليه " أو " و الله و رسوله أحق أن يرضوه " بالضمير المفرد ، بل تقديم الله لذكره على ذكر نفسه - و هنا سر الحب - إذ يقول " ليغفر لك الله " و ليس : ليغفر الله لك ، كما قال يوسف لإخوته " يغفر الله لكم " . و منه أيضا قوله في الدعاء " و إذا سألك عبادي عنّي فإني قريب أجيب دعوه الدا ع إذا دعان " فإن شرطيه " إذا سألك " تعني توجه بوسيلتك ، إذ لو كانت غير ذلك لبطل المعنى ، فهل عدم سؤاله يجعل الله بعيدا ، و هل تتغير ذات الله بالقرب و البعد بهذا الاعتبار ، حاشا. بل هو كما أشار إليه أهل العلم ، من قبيل شيخنا الأكبر محيي الدين ابن عربي حين ذكر هذه الآيه في الفتوحات في باب الصيام فقال رضي الله عنه : " و إذا سألك عبادي عني " لكونك حاجب الباب "فإني قريب " . انتهى . و كذلك سيدنا ابن مشيش في صلاته على النبي عليه السلام قال "و اجعل الحجاب الأعظم " مشيرا إلى سلطاننا رسول الله صلى الله عليه و سلم . و آخرين من أهل التحقيق لا يحصون كثره و لله الحمد .

فالآن ، و إذ عرفنا أن رسول الله هو العبد الأول لله و المصلي الأول في تلك النشأه العاليه ، فمن هو العبد الثاني و المصلي الثاني و الحقيقه التاليه التي أفاض عليها رسول الله ؟ الجواب : هو حضره علي عليه السلام . و بهذا عرفه أهل التحقيق كالشيخ ابن عربي إذ قال عنه أيضا في الفتوحات في الأبواب الأولى منه "علي إمام العالم و سر النبيين أجمعين " . و لكونه التالي لرسول الله قال له رسول الله و قال للناس " من كنت مولاه فعلي مولاه " و قال " أنا مدينه العلم و علي بابها فمن أراد المدينه فليأت الباب " . فلكونه " أول من صلى مع رسول الله " يكون بالضروره هو القابل الأعظم لكل إفاضات الله و رسوله .

و شهد هذه الحقيقه من أصحاب رسول الله عليه السلام ، كما يروي الإمام النسائي رضوان الله عليه، المولى زيد بن أرقم رضي الله عنه إذ قال :

٢ { أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، علي رضي الله عنه }

و في روايه آخرى قال :

٣ { أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه }
فلاحظ العلاقه بين كلمه " صلى " و " أسلم " ، و هما يصفان معنى واحد من زوايا مختلفه ، فالإسلام وصف متعلق بكمال التوجه الذاتي للحق ، و الصلاه وصف لتلقي الفيض الناشئ من هذا الإسلام . فكل إسلام لا يثمر فيضا إلهيا لا يعوّل عليه . فما أسلم أحد إلا صلى ، و ما صلى أحد إلا فتحت له أبواب الرحمه و العلم و الحكم .

و نشير إلى أن ذكر المولى زيد بن أرقم في الروايه الثانيه لاسم أبي طالب فيه دلاله على إسلام أبي طالب ، و ذلك بالإضافه لأسباب أخرى ، يعتبر من القبيح قرن إسم المسلم بأبيه الضال أو الكافر خصوصا في مقام إظهار الحقيقه و المقام و الفضائل . و ذلك من قبيل نسبه النبي عليه السلام لنفسه إلى سيدنا حضره عبدالمطّلب عليه السلام جده الشريف الكامل و قطب السلاله النورانيه لبني هاشم في وقته، في يوم حنين إذ قال " أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب " الفقره الأولى على المستوى العالي و الثانيه على المستوى الزمني ، و لا نجد في القرءآن و لا مره و لا في سوى ذلك من روايات و شروحات أن أحدا قال : ابرهيم بن آزر ، لا في مقام مدح و لا قدح ، و ما أن تبين لابرهيم أنه عدو لله تبرأ منه و لم يستغفر له أو يذكره بعدها بشئ، و لا نجد أحدا من العلماء فضلا عن سيدهم رسول الله عليه السلام يشير إلى نوح في مقام بيان مقامه و فضله فيقول : نوح أبو ذلك الابن العاق الكافر . فالأبوه و البنوه على التحقيق لا يُشار إليها عند أهل الإسلام إلا إن كان المنسوب أو المنسوب إليه صالحا معتبرا ، بالأخص حين تتم نسبه نبي أو ولي أو نسبه أحد إليه . و ما نجده مثلا في قوله عن امرأت فرعون و كونه نسبها إليه ، إنما هو لاعتبارات تعليميه بل هو عين إظهار فضلها ، إذ إن كونها امرأه تابعه لزوجها لم يمنعها من الاستقلاليه في الدين عنه مع تبرؤها منه ، " و نجني من فرعون و عمله " ، و لا نجد و لا في روايه أن رسول الله أو علي أو أحدا ممن لهم علم من الأصحاب أو الآل بالمعنى الأعم و الأخص يفخر بالتبرؤ من حضره أبي طالب عليه السلام بل لا نجد ذكرا لمثل ذلك ، و إنما وجدنا في تاريخنا و إلى يومنا هذا أناسا يتسمون باسم أبو طالب ، كأبي طالب المكي الشيخ العارف السني رضوان الله عليه كمثال ، و إن لم تكن هذه الأخيره من قبيل الحجه و لكنها من قبيل الشاهد المعضد. و ذكرنا ذلك لسبب في هذا الموقف ، لأننا نريد أن ندرس القصيده المباركه لحضره أبي طالب عليه السلام المعروفه باللاميه ، و تذكرنا هذه المسأله و نحن في معرض النظر في كلمه زيد بن أرقم . فنرجع إلى ما كنا فيه .

...

٥{ قال عفيف : جئت في الجاهليه إلى مكه و أنا آريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها و عطرها ، فأتيت العباس بن عبد المطلب ، و كان رجلا تاجرا ، فأنا عنده جالس حيث أنظر إلى الكعبه ، و قد حلقت الشمس في السماء فارتفعت و ذهبت ، إذ جاء شاب فرمى ببصره إلى السماء ، ثم قام مستقبل الكعبه ، ثم لم ألبث يسيرا حتى جاء غلام فقام على يمينه ، ثم لم ألبث يسيرا حتى جاءت امرأه

فقامت خلفهما ، فركع الشاب ، فركع الغلام و المرأه . فقلت : يا عباس ، أمر عظيم . فقال العباس :أمر عظيم ، أتدري من هذا الشاب ؟ قلت : لا . قال : هذا محمد بن عبد الله ، أتدري من هذا الغلام ؟ هذا علي ابن أخي ، أتدري من هذه المرأه ؟ هذه خديجه بنت خويلد زوجته ، إن ابن أخي أخبرني أن ربه رب السماء و الأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه ، و لا والله ما على الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثه }

مكه عباره عن مركز العالم ، و محل قطب الإفاضه على الخلق . { جئت في الجاهليه إلى مكه } الفرق بين مكه في الجاهليه و مكه في الإسلام ، هو أنها في الجاهليه تكون مفيضه للظاهر الدنيوي، و في الإسلام تكون مفيضه للباطن المتعالي . و لذلك قال عن غايته التي جاء من أجلها { و أنا أريد أن أبتاع لأهلي من ثيابتها و عطرها } فالثياب ما يُغطى به الجسم من خارجه ، و العطر ما يدهن به الجسم من خارجه ، كلاهما عباره عن المظاهر الدنيويه ، و الصور الخارجيه للحقيقه . و هكذا كل إنسان إما أن تكون مكته جاهليه أو اسلاميه ، فإما أن يكون ممن " يعلمون ظاهرا من الحيوه الدنيا" فتكون كل الإمدادات التي تأتيه هي من هذا الصنف ، إذ الذين في قلوبهم رجس يزيدهم الله منه ، و العكس بالعكس . { فأتيت العباس بن عبد المطلب ، و كان رجلا تاجرا } العباس من ورثه حضره عبد المطلب الذي هو حامل النور المحمدي ، و الوراثه إما أن ينشأ عنها إسراف أو حسن إنفاق ، إسراف كأبي لهب و حسن إنفاق كالعباس الذي كان داعيا سرّيا للنبي عليه السلام ، و كان يتستر بالتجاره و إظهار موافقه قريش في شؤونها ، و كذلك يكون في بعض دعاه المسلمين و أهل العلم فيهم في كل زمان يتعرض أهل الإسلام فيه للاستضعاف . يتسترون بمهنه ، و لا يظهرون المخالفه ، إذ " الحرب خدعه " ، و لا يكون الخداع إلى على المستوى السياسي ، أما في شؤون المعرفه و الشريعه فلا خداع و لو تعرضت الرقاب للقطع " إلا من أكره و قلبه مطمئن للإيمان " و كان في إعلانه و تعرضه للقتل خساره قيمه للمسلمين و حينها يوخذ الإذن من الإمام القائم وقتها فإن أذن له بالقول أو يصبر ، و لذلك مثلا أذن رسول الله لسيدنا عمّار بن ياسر رضي الله عنه في أن يقول فيه بينما لم يأذن لأم عمّار و أبيه رضي الله عنهما ، إذ عمّار فاروق للأمه " تقتلك الفئه الباغيه " فضلا عن كونه سبيلا من أكبر سبل الله في أصحاب النبي عليه السلام ، كذلك مثلا لم يأذن لسيدنا بلال رضي الله عنه في أن يقول و ذلك لأن مقام بلال كان إظهار سر الأحديه ، و لهذا هو مؤذن رسول الله في الصلاه ، و الأحديه لا تظهر إلا حين يصبح الألم و النار للإنسان كاللذه و الماء ، " ينار كوني بردا و سلاما على إبراهيم " و هو شيخ الموحدين عليه السلام ، فالإكراه على القول أو التقيه ليس مرسلا و لا مرتجلا ، فلكل إنسان حكمه الخاص الذي ينبئه به الإمام ، و أما إن لم يكن ثم إمام ظاهر لإعطاء الإذن فعندها يعمل بما يفتيه به قلبه مع التوكل على الله " و من يؤمن بالله يهد قلبه ". {فأنا عنده جالس } دليل على القابليه ، في أقل تقدير لها { حيث أنظر إلى الكعبه } فهذا رجل ينظر في قلبه ، إذ الكعبه قلب الكون ، و لأنه ينظر إلى الكعبه و النبي عليه السلام و حقيقه الولايه في عين القلب ، ظهر له مشهد سماوي و مشهد أرضي ، فكان السماوي هو { و قد حلقت الشمس في

السماء فارتفعت و ذهبت } الشمس عباره عن الروح ، و ارتفاعها تجليها و إفاضتها للمعاني ، و ذهابها احتجاب المعاني وراء الصور و الأعيان ، و يعرف الحق في السماء سيعرفه في الأرض ، و لذلك ظهر له المشهد الأرضي التالي بعد ذلك فقال { إذ جاء شاب فرمى ببصره إلى السماء } فلما رأي الشمس قد ذهبت في السماء ، علم أنه يجب أن تظهر الشمس في الأرض و هو شمس الأرض عليه الصلاه و السلام " و سراجا " و " جعل الشمس سراجا " ، إذ غروب الأعلى هو احتجابه بالأدنى ، و رسول الله هو الحجاب الأعظم للروح و حقائق العرش { ثم قام } و هو الثبات ، إذ الحركه تغيير ، و التغيير دون ، و الثبات كينونه في عين الواحد { مستقبل الكعبه } إذ الثبات لا يكون إلا في المركز ، و الرحى تدور و لكن القطب ثابت ، فمن لم يبلغ الثبات في عين القلب فهو لم يستقبل الكعبه بعد { ثم لم ألبث يسيرا } الفاصله الزمنيه عباره عن الفرق في الرتبه الوجوديه { حتى جاء غلام } قال عن النبي شاب لأن الشاب من شبه الشيب الذي هو القوه في المعنى و الثبات في الكينونه كما ترى صاحب الشيبه قليل الحركه ، و أما الغلام فمن الغلمه التي هي الشهوه أي الحركه ، و المبدأ الأول ثبات ثم دونه مبدأ الحركه { فقام عن يمينه } اليمين مشرق القوه و كذلك كان حضره علي عليه السلام قوه للنبي عليه السلام ، كما قال " ملكت أيمانكم " ، و كذلك شهود علي مع النبي يكون علي دائما عن يمين النبي { ثم لم ألبث يسيرا حتى جاءت امرأه فقامت خلفهما } فالنبي خليفه اسم الله ، و علي صوره العقل ، و خديجه صوره النفس ، و بظهور اسم الله في الخليفه المطلق و العقل و النفس تكتمل الصلاه التي هي ظهور العوالم العلويه على الأرض . " لا تسجدوا للشمس و لا للقمر " أي لا للعقل و لا للنفس ، " و اسجدوا لله " أي خليفته الذي هو ظله على الأرض " من يطع الرسول فقد أطا ع الله " و لذلك قال بعدها { فركع الشاب ، فركع الغلام و المرأه } و ذلك لأن كل عالم أدنى تابع للعالم الأعلى ، و في حضور الخليفه يكون العقل و النفس تابعين له ، و أما في غياب الخليفه تكون النفس تابعه للعقل - إن كانت زكيه طاهره - و إن كانت فاجره تبعت الهوى . { فقلت : يا عبّاس ، أمر عظيم } وهو كذلك { فقال العباس : أمر عظيم } و أي عظمه فوق تجلي الأنوار القدسيه للذات الإلهيه و العرش و السماء في الأرض . { أتدري من هذا الشاب ؟ قلت لا . قال : هذا محمد بن عبد الله } الشهود القلبي يأتي بلا أسماء ، بل هو شهود لحقيقه المسمى ، ثم بعد ذلك تأتي التسميات حسب الألسنه و الألوان المختلفه . فما يسمّيه أهل لسان " علي " يسميه أهل لسان آخر " فيشنو " مثلا أو أي شئ غير ذلك مما تجلت لهم الحقيقه العلويه به . مع ملاحظه أن " علّم القرءآن " قبل " علّمه البيان " . القرءآن حقيقه ، البيان لسان . و لذلك قال عن حقيقه القرءآن " أنزلناه " و " بلسان عربي " ولولا أن حقيقته قائمه في مقام متعالي لما كان ثمه معنى لإنزاله ، و لولا أنه في تلك الحقيقه مجرد عن اللسان لما كان " بلسان " ، كما قال سبحانه مفصلا لمن يعقل " و إنه لفي أم الكتب لدينا لعلي حكيم " حكيم هنا من كونه محكم غير مفرق إلى سور و آيات و صور متعدده ، بل هو في مقام الجمع و الوحده الكليه . { محمد } الإنسان الكامل و الخليفه المطلق { بن } أي الوارث لمقام { عبد الله } أي الظاهر باسم الله ، إذ العبوديه إظهار للربوبيه ، و لكل عبد لاسم هو مظهر لحقيقه من حقائق هذا الإسم

التي لا تنتهي و لا تقع تحت العد و الإحصاء أصلا ، إذ هي كيفيات محضه . { أتدري من هذا الغلام ؟ هذا علي ابن أخي } و ذلك لعلو الروح العقلي الذي علي مظهره ، و من هنا سر بلاغته عليه السلام إذ الروح تظهر في الكلمه ، و الكلمات تتفارت بالبلاغه من حيث المعنى و المبنى و الحال الذي تفيضه الكلمه و تحيط القارئ أو السامع به ، و علي من " أمراء الكلام " كما قال عليه السلام عن نفسه و أهل بيته ، و أما وصف العباس له بأنه { ابن أخي } فإشاره إلى المقام العظيم لأبي طالب عليه السلام ، إذ كان علي صادرا منه ، و تنبيها للسامع بأن أبي طالب أيضا على هذا المشرب و الطريق حتى يعلم أين يذهب إن أراد الاستزاده من العلم التفصيلي بشأن هذا الدين ، إذ إن العباس في صور التستر و له إعطاء الظواهر فقط و الإشاره إليها بما لا يمكن أن يخرجه عن حده و وظيفته ، و أما علم الباطن فأصله من عند آل أبي طالب و علي قطبهم الأعظم . { أتدري من هذه المرأه ؟ هذه خديجه بنت خويلد زوجته } أما خديجه فمن خدج و هو النقصان ، و التأنيث عباره عن القابليه ، و كذلك النفس هي مرتبه دون الخلافه و العقل و هي قابله لما يُلقى إليها من فوقها ، و لا تخرج النار من هذه النفس الطاهره . و أما خويلد فمن الخلد الذي هو الأبد و الاستمراريه في الوجود و البقاء ، و كذلك الخلد هو الذهن كما تقول " ما يدور في خلدك " ، فذلك لأن النفس المثلثه للخليفه و العقل ستبقى مخلده بإذن الله في العالم الأعلى و ترث الأرض ، ثم إنها بالذهن تعتبر كالمرآه لنور العقل و إن كان الذهن دون العقل و لكنه مرتبط به بنحو ارتباط ، إذ ينعكس إشراق العقل بأنماطه و حقائقه على الذهن القابل إن كانت نفسه زكيه مصدقه متوجهه للأعلى . و هي زوجه رسول الله لأن النفس مملكه الخليفه من حيث فاعليته ، كما أن الخليفه عبد محض من حيث قابليته . {إن ابن أخي أخبرني } و هذه دعوه مستمره إذ قال عليه السلام " بلغوا عنّي و لو آيه " { أن ربه رب السماء و الأرض } و بحكم أن " من عرف نفسه فقد عرف ربه " فإن هذا شاهد آخر على مقام الخليفه الذي هو مقام فوق السماء و الأرض ، إذ السماء نفس و الأرض بدن ، و الخليفه بعقله التابع له ، إذ العقل للخليفه كالظاهر للباطن ، أو الولايه للنبوه ، و لأن ربه رب السماء و الأرض فهو قد جاء بالنور الجامع بين جمال السماء و الأرض ، و كمال السماء و الأرض ، " كلمه تملكون بها العرب و العجم " { أمره بهذا الدين الذي هو عليه } إذ الدين كله مجموع في هذا المشهد الذي أقامه رسول الله ككقرءان صوري لهم ، و هو عليه السلام كان قرءآنا يمشي على الأرض ، و الدين الصلاه ، و الصلاه ثلاثيه و الثلاثه أول الأفراد و هو أول صور الوحده في نظام العدد بعد الواحد المطلق ، ثم هذه الصلاه الكامله تعطي الإفاضه النورانيه و السلطويه على الأرض ، تعطي سلطان القلم و السيف، خلافه العلم و الحكم . { و لا والله ما على الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثه} و ذلك لأن الدين الظاهر على الأرض ، و إن كان الحق منه راجع كله إلى الدين المتعالي الواحد ، إلا أنه لا يمكن أن يتتطابق دينان منهما ، إذ لا تكرار في الوجود ، و لا مماثل للتجلي الكامل بحسب سعه الأرض و بين التجليات القاصره التي دخلها ما دخلها من الضعف و القصور و الانحراف و انسداد الإفاضه العلويه على أهله ، و لذلك دين محمد هو الدين الذي سيسود الأرض

كلها بإذن الله " ليظهره على الدين كله " لأنه الوحيد الذي أذن الله له بذلك السلطان المطلق . و هؤلاء الثلاثه هم الصوره الكامله للدين الذي آراده الله تعالى للأمه . فأي انحراف عنهم شذوذ إلى نار ، و كل التزام بهم هو وصول إلى جنه إن شاء الله . و الله أعلم .

...

٦{ عن عباد بن عبد الله ، قال : قال علي رضي الله عنه " أنا عبد الله ، و أخو رسول الله ، و أنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذب " آمن قبل الناس سبع سنين }

{ أنا } حديث عن عين الذات الثابته { عبد الله } أي عبد الاسم الأعظم الجامع لتجليات الجمال اللطيف و الجلال القاهر ، فكان علي مظهر حضره اسم الله تعالى ، فهو عبد كامل . و عبوديه علي لله تعالى سابقه على إخوته من رسول الله عليه السلام ، بل لولا العبوديه لما قامت الإخوه ، و قوله {أخو} تدل على أنه و رسول الله قد استمدا الحقيقه من نفس المصدر الأعلى ، فالإخوه اشتراك في الظهور عن أب واحد أو أم واحده ، فالأبوه عباره عن الظهور حسب قوس النزول ، و الأمومه عباره عن الظهور حسب قوس الصعود ، فالأبوه من الأعلى ، و الأمومه من الأسفل ، و الأخوه الكامله تكون بالاستمداد من عين المرتبه العليا ، و التكون من عين رحم المرتبه الدنيا ، و علي عليه السلام قد استمد الحقيقه العليا من ذات الحق تعالى بلا واسطه ، و كان يختلي مع رسول الله فيسمع الوحي و يرى النور فقد تكون في نفس رحم الخلوه التي تكون بها قلب رسول الله و إن كان في مرحله متأخره و بالتأخر نزلت رتبه علي عن رسول الله . و لهذا كان سيدنا محمد هو النبي ، و كان مولانا علي هو الصديق ، " مع النبيين و الصديقين " ، فقال بعدها { و أنا الصديق الأكبر } و هنا ذكر كلمه "أنا" مره أخرى ، و ذلك لأن الأنا الأولى متعلقه بالعوالم الباطنيه ، و الأنا الثانيه متعلقه بالعوالم الظاهريه، فالعبوديه و الأخوه باطن ، و التصديق متعلق بدعوى النبوه و الرساله و هي ظاهر . ثم إن قوله {الأكبر} يدل على وجود ثلاث طبقات في التصديق ، الأكبر و الأوسط و الأصغر ، و ما بين ذلك من درجات ، أما التصديق الأصغر فمتعلق بالجسمانيات ، و الأوسط فبالنفسيات ، و الأكبر فبالروحانيات العقليات . فالأصغر هو طبقه من آمن بالرسول حين وجد السلام الاجتماعي و الفتح السياسي و النعيم المالي و النظام القانوني و كل ما يتعلق بالعالم الأصغر الذي هو هذه الدنيا و الأرض ، و كما ذكر بعض العلماء فإن الكثير من العرب لم يرسخ إيمانهم بالرسول إلا بعد أن وجدوا الفتوحات الأرضيه تنهال عليهم فقالوا " لولا أن هذا الدين حق لما انتصرنا و سدنا العالم " ، فهذه طبقه و هي خير . ثم الأوسط و هو طبقه من آمن بالرسول حين وجد شعائر الإسلام و عقائده تجلب له الراحه النفسيه و العزه و الاستقلال و القوه للوقوف في العالم برأس مرفوع و غير ذلك من قوى النفس في علاقتها مع ما فوقها و ما تحتها ، و لسان حال هؤلاء " لولا أن هذا الدين حق لما تسبب لي راحه نفسيه و قوه و مكنني من الصبر على مشاكل الحياه و صعوبتها بعزه " ، فهذه طبقه و هي خير . و لكن الطبقه الأكبريه هي التي شاهدت حقائق الوحي و نالت مفاتيح غيب العلوم اللدنيه و الأسرار القرءآنيه و البحار الحديثيه و البركه المحمديه ، و هي طبقه الأولياء و العرفاء و الساده

الصوفيه الكمل من الأقطاب و الأبدال و الأوتاد و غيرهم من الساده و الأشراف سلام الله عليهم أجمعين ، و على رأس هؤلاء - إذ هم أيضا درجات كدرجات النبيين و في النبوه تفاضل كما هو معلوم و " العلماء ورثه الأنبياء " أي ورثتهم لسمات ذاتيه فيهم كما يرث الابن أباه لسبب ذاتي متعلق بمقام الابن و ليس لأي عمل اكتسبه الابن كأصل - هو سيد العرفاء و تاج الأولياء حضره علي عليه السلام . و هو قوله { أنا الصديق الأكبر } فالمقام له بالاختصاص الأعلى ، و الوهب الأسنى ، ثم يناله أتباع الشرع المحمدي الأبهى من تحت يد حضره علي عليه السلام ، و لذلك قال { لا يقولها بعدي إلا كاذب } و البعديه هنا ليست بعديه زمانيه إذ لا زمان في تلك المقامات ، و لا هي بعديه كمْيه إذ لا مزاحمه في الفضل الإلهي ، و لكنها بعديه مرتبه ، بمعنى أن مرتبتي كالصديق الأكبر في هذه الأمه منفرده ، فكل من ينالها بعدي ينالها بي ، و لذلك قال عليه السلام في أحد خطبه في فضل أهل البيت عن رفضه لتسويه من " جرت نعمتهم عليه " بهم ، فكما أنه لم ينل و لا ينال أحد من هذه الأمه فضلا ليس لرسول الله ، كذلك لا ينال أحد فضل إلا ببركه أهل بيت رسول الله و سيدهم كما هو معلوم حضره علي ، إذ هم تركه رسول الله من الإنس كما أن القرءآن تركته من الكتب ، فالإمام من أهل البيت قائم مقام رسول الله على قده - قد الإمام و ليس قد رسول الله إذ لا ينال أحد نفس مقامه البته ، و رأس علي لا تبلغ فوق كتف رسول الله . و علو مقام حضره علي يرجع إلى سبقه ، و السبق في المرتبه عاده ما يرمز له بالمده الزمنيه ، كما أن المسافه عاده ما يضرب لها المثل بالمده الزمنيه كقول النبي عليه السلام عن المسافه الفاصله بين السماء و السماء أنها " خمسمائه عام " أم نحو ذلك ، و المده بحد ذاتها لا تدل على مسافه ، و إنما يجب أن يقترن بها شئ متحرك ، فما يقطعه الفيل في عام قد يقطعه النسر في أسبوع . و في هذا الحديث الكريم يقول الراوي ، و في روايه أخرى الكلام منقول بلسان علي ، { آمن } أي علي { قبل الناس سبع سنين } على المستوى الباطني السبع سنين قد تدل على علو المرتبه عموما ، لدلاله السبعه على الكثر ، و قد تدل على السبع سموات و كل سنه طبقه ، بمعنى أن علي عباره عن مقام التصديق من حيث التعالي على سماء النفس و أرض البدن ، و { قبل الناس } أي في عالم الذر ، إذ كان أول من صدق برسول الله الذي هو النبي الأول في عالم الظهور كما أنه النبي الكامل الآخر في عالم الظاهر . و أيضا { قبل الناس } في هذا العالم ، و لا عبره بصغر سن بدن الإمام ، فإن يحيى أوتي الكتاب صبيا ، أي دون السابعه بل قيل و عمره ثلاث سنوات ، بل كعيسى إذ تكلم في المهد ، فالعقل الإلهي لا يعرف حجم جسماني أو كمّيات زمانيه سفليه . بل على العكس ، من كمال إيمان علي أنه كان صغير السن ، من حيث أنه لم يختلط بعد بالأجواء المسمومه التي حوله في الجاهليه ، هذه الأجواء التي جاهد النبي عليه السلام جهادا عظيما بالخلوات للانفصال عنها كليا ، " و ثيابك فطهر . و الرجز فاهجر " . ففاز علي بصحبه و تربيه و كفاله رسول الله عليه السلام قبل البعثه ، و الإيمان الخالص و الشهود النوراني في أول البعثه ، ثم كمال العلم و الجهاد الأكبر و الكبير و الأصغر بعد ظهور البعثه .

ثم لاحظ الأوصاف : عبد ، أخو ، الصديق ، آمن . أي العبوديه و الأخوه و الصديقيه و الإيمان . هذه أوصاف الكمال في هذا الدين . فانظر منزلتك في طلبها لتعرف منزلتك في هذه الحياه و التي بعدها. و أعلى الأوصاف هو أولها ، أي { أنا عبد الله } و كل بركه بعدها تأتي بها ، و لذلك أيضا بدأ بها عيسى بن مريم عليه السلام " إني عبد الله " و إن كان مقام الإنيه أعمق من مقام الأنانيه و يسبقه في التحقيق ، و لذلك قال الله تعالى " إني أنا الله لا إله إلا أنا " . فالإنيه أول الحقائق المتعلقه بلب لباب الهويه و سر الأسرار الذاتيه . فسيدنا عيسى عليه السلام قال " إني عبد الله " أي هويتي و حقيقتي هي " عبد الله " . فإني غيب ، و أنا شهود . و حضره علي تكلم هنا من مقام الشهود . إذ مقام الغيب فناء و سكر ، و أما الشهود فبقاء و فكر . فبالنسبه للعبد ، " إني " خمر ، و "أنا" ماء . و بسبب فناء العبد بالكليه في الله تعالى ، فإنه لا تبقى له أي " أنا " إذ لا ظهور له من حيث هو ، و من هنا قال مولانا الحلاج " أنا الحق " ، و علّق مولانا جلال الدين الرومي بأن هذا من فرط تواضع الحلاج إذ لم تبق له أي أنا . فمن كانت إنيته عبوديه الله ، كانت أناه أنا الله ، إذ لابد له من الظهور ، و إنيته تحول بينه و بين الظهور ، و " من تواضع لله رفعه " فكانت النتيجه أن الله ينطق على لسان عبده ، كما أنه يكون سمعه الذي يسمع به ، و عينه التي يبصر بها ، و يده التي يبطش بها ، و هذه كلها مظاهر لعالم الظاهر ، فالله يظهر به ، إذ كان قد انمحق فيه . و بسبب هذا المقام قيل في المسيح " الله هو المسيح " ، أخطأ القائل و إن كان يوجد في قوله بقيه من أثر رائحه الحقيقه ، و لولا علم الله و المسيح بذلك - و كل وارث لمقام عيسى في أمه محمد كالحلاج مثلا - لما اجترأ سيدنا عيسى أن يسأل المغفره أو حتى يفترض إمكانيتها بقوله " إن تعذبهم ..إن تغفر لهم " و قد عرف أن الله قال "إن الله لا يغفر أن يشرك به " و أن مثوى الكفار هو النار . و بحكم وراثه حضره علي لكل الأنبياء و المرسلين ، كما قال الإمام الحسن في تأبينه " لم يسبقه الأولون و لا يلحقه الآخرون " أو كما قال عليه السلام ، فإنه ورث حقيقه المسيح عيسى بن مريم ، فضل فيه من فرط العشق أناس فعبدوه كصوره الله و تجليه في العالم ، و كذلك فعل البعض من قبل مع سيدنا رسول الله و إن كان الكثير لا يعلم عن ذلك ، و الحق أن رسول الله و ولي الله هم مظاهر الله في العالم و لكن الله ليس محدودا فيهم ، و إنما كفر من كفر بالحصر و الحد ، كفر من قال " الله هو المسيح " و لم يكفر من قال المسيح هو الله . فرق كبير بين الأمرين ، فرق بين الكفران و العرفان . و قد فصلناه في كتب أخرى فلا نعيد . للتجليات درجات ، فآخر درجه في الجنه لا تستوي مع أعلى درجه في الجنه ، و إن كان الجميع في الجنه ، كذلك تجلي الله في الحجر ليس كتجليه في شخص الأنبياء و الأولياء ، و إن كان الجميع تجليات الحق سبحانه . " فأينما تولوا فثم وجه الله " ، إلا أنه قال بعدها " فول وجهك شطر المسجد الحرام " . فالموفق من توجه للأعلى . إن الله مع أهل جهنم ، " و هو معكم أينما كنتم" بلا قيد و شرط ، و لكن المجنون فقط من يرى معيه الله لأهل الفردوس كمعيته لأهل الدرك الأسفل من النار ، فطلب الفردوس " اسألوا الله الفردوس " متعين بل هو سجيه في من سبقت لهم من الله الحسنى و أراد أن يظلهم تحت ظل رحمته و فضله و لطفه ، فالمعيه بالخلق و البرئ و التصوير ، و

أين خلق اسرافيل من صوره الفيل ! فالحاصل ، أن { عبد الله } مطلقه و لكن يقيدها في النزول {أخو رسول الله} و هو دخول في ظل الرحمه العامه " و ما أرسلناك إلا رحمه للعالمين " ، ثم يقيدها في النزول الأخير الرحمه الخاصه { و أنا الصديق الأكبر } . و الحمد لله .

...

نقد المنهج العلمي الحداثي

(مقدمه)

يقال أن واحد من المحششين نسي مفتاح سيارته داخلها و خرج و أغلق الباب ، فحاول فتح الباب و ضرب الزجاج بيده و هو غضبان فلم ينفتح له ، فجاءه رجل معه علّاقه ملابس و فك عُقد العلّاقه و عمل منها ما يشبه العصا التي في آخرها حلقه و بدأ يدخلها من بين زجاج الشباك ليفتح القفل بالطريقه المعروفه عند من يسرقون السيارات - القديمه خصوصا - و بعد سعي من هذا الرجل انفتح القفل ففتح الباب، ففرح المحشش جدا و نظر إلى الرجل و قال له : من فضلك هل يمكن أن تصنع لي نسخه من هذه العلّاقه !

تاريخ التفكير العلمي الحداثي يشبه حاله هذا المحشش من ثلاث حيثيات على الأقل : أولا عندما رفض الغرب التقاليد العرفانيه و النبويه التي تفسّر حقائق العالم فإنه يشبه هذا المحشش الذي نسي مفتاح السياره داخلها و خرج ، و العلوم العاليه التي كانت عند كل الأقوام الشرقيه بالأخص - و الغربيه كذلك إلى حد ما - هي هذا المفتاح ، و لا يزال المفتاح عند النُخب العارفه إلى يومنا هذا و إلى ما شاء الله . و ثانيا عندما بدأوا ينظرون إلى العلم على أنه شئ يأتي من الأسفل و الخارج كأصل ، و ليس من الأعلى و الباطن ، كالمحشش عندما انتظر أن يأتي له الرجل المشابه له و الذي هو على نفس مستواه الوجودي ليفتح له الباب . و ثالثا ، و هو الأهم ، أنهم لم يفرقوا بين الوسيله و الغايه ، فجعلوا الوسيله غايه ، ثم ختموا الأمر بأن رفضوا حتى المفتاح الأصلي و استبدلوه بالوسيله المؤقته ، و ذلك عندما جعلوا المنهج الكمّي الحداثي غايه في حد ذاته بدل أن يكون مجرد وسيله بسيطه ضمن وسائل أخرى للكشف عن حقائق الكون - أو أسفل طبقه من الكون في الواقع و التي هي مدى هذا المنهج - جعلوه " الوسيله " بالمطلق ، و اعتبروا ما عداه في حكم الخرافه و اللهو و العلم الضعيف في أحسن الأحوال ، ثم آل بهم الأمر أن جعلوه غايه في نفسه لا يُقرن بها شئ ، كالمحشش عندما طلب نسخه من العلّاقه بعد فتح الباب بدل أن يأخذ المفتاح الأصلي . و حيثيه رابعه و هي مبنيه على معنى التحشيش و هو سبب للأوهام التي يعتقد صاحبها أنه مصيب لكبد الحقيقه و يؤدي إلى نشوء حاله من الحياه داخل الذهن و إسقاط ذلك على العالم الخارجي إسقاطا مرضيا و ليس طبيعيا ، و من يدرس ما يعرف بالمنهج العلمي الحداثي و فلسفته و تفاصيلها و الدعاوى العريضه لأهلها يجد انطباع التحشيش المذكور واضحا .

أما عن " تفسير " حوادث الكون الجسماني و البشر و التاريخ ، لاحظ أننا نقول " تفسير " و ليس "وصف" و الفرق واضح بينهما ، فأنت تستطيع أن تصف امرأه تبكي ، و لكن تفسير سبب بكائها شئ آخر ، كذلك وصف حوادث الكون كما تظهر للعين شئ ، و أما تفسير هذه المشاهد شئ آخر ، و إن كان الوصف أيضا فيه قيود حسب الناظر و مسبقاته المنهجيه كما سيأتي إن شاء الله ، إلا أن مستوى التفسيرات التي يقدمها أصحاب هذا المنهج ، خصوصا فيما يتعلق بشؤون الإنسان ، تشبه

أيضا قصه محشش آخر . يقال أنهم سألوا محشش : ما هو أقدم حيوان على وجه الأرض ؟ فقال : الحمار الوحشي . فقالوا له : لماذا ؟ قال المحشش : لأنه بالأبيض و الأسود !

و لعل نظره عامه لدعاوى أصحاب هذا الفكر - من العاملين فيه أو من الناشرين له بين أوساط العامه فيهم - هي من الأمور الجيده في هذه المقدمه . لنتأمل هذه الاقتباسات معا . (الترجمه لي) .

يقول كلود برنارد " في تعليم الإنسان ، العلم التجريبي يقلل من كبريائه شيئا فشيئا عن طريق إثباته له بأن الأسباب الرئيسيه ، كالحقيقه الموضوعيه للأشياء ، ستظل مخفيه عنه للأبد و أنه لا يمكن أن يعرف إلا العلاقات " .
أقول : هذه العباره تكشف ثلاثه جوانب جوهريه في رساله هذا الفكر : قيمه المنهج ، هدفه النفسي ، أثره الاجتماعي .
أما قيمه المنهج فحسبك إقراره بنفسه أن هذا المنهج يستحيل أن يصل بالسالك فيه إلى معرفه و تحقيق أهم ثلاثه أشياء يمكن لطالب علم حقا أن يريدها ، و هي أولا " الأسباب الرئيسيه " لكل ما في الكون و للكون نفسه كأصل . و ثانيا " الحقيقه الموضوعيه للأشياء " . و ثالثا " كبريائه " أو ما يسميه كبرياء و يقر بأنه رغبه أصليه في الإنسان ، فإن كان رغبه أصليه حقيقيه فيه ، فأي مرض و حقد على الإنسان هذا يدفع بعض البشر إلى تأسيس منهج يؤدي إلى طعن الإنسان في لب لبه و عمق جوهره . فمنهج يقول لك من البدء أنك لن تعرف الأسباب الرئيسيه للأشياء ، و لا الحقيقيه الموضوعيه للأشياء ، و بالإضافه لذلك لن تحقق أعلى قيمه عندك كإنسان و هي جوهرك أي الكبرياء و العزه المعنويه الناتجه عن العلم بالوجود و الصله بأصله و سببه و بسط العقل بالاتحاد به . و من هنا نعلم أيضا أن أي وعد يأتي به بعد ذلك الذين يبشّرون بهذا المنهج و يعدون الناس بمعرفه حقيقه الأشياء أو أسبابها ، فضلا عن " تحقيق الذات " أو " العزه للناس " أو نحو ذلك إنما هو من مرتبه الوعود الابليسيه التي يغري بها بني ءادم ليخرجهم من جنه المعرفه الحقيقيه .
أما الهدف النفسي ، فقد كشفه الأستاذ برنارد في ثلاث عبارات و هي " يقلل من كبريائه شيئا فشيئا" هذا أولا . و ثانيا " ستظل مخفيه عنه للأبد " . و ثالثا " لا يمكن أن يعرف إلا العلاقات ".
بعباره أخرى : تقزيم الإنسان و جعله في حكم الجاهل الحقير ، مع إقناعه بأن تقزيمه هذا هو الشئ الوحيد الذي يمكن له أبدا أن يكون عليه ، بالإضافه لسحب بساط كل أمل على الإطلاق " للأبد " من تحت قدميه حتى يتدهور على رأسه و يمكث على الأرض قزما جاهلا حسبه من العلم أن يعرف أن صياح الديك وقت الفجر يعني أنه يوجد علاقه بين صياح الديك و وقت الفجر ، أو ما يربو على ذلك من نفس النمط من العلاقات الظاهريه بين الأشياء . و لا يخفى أن نزعه تحقير الإنسان هنا - و عجبا أنها بنفس العلّه من حيث الصوره - هو وراثه غربيه للمله الصليبيه ، فأهل الصلب كانوا يحقّرون الإنسان بإبعاده عن العلم و تحقير العلم ، و أهل الغرب يحقّرون الإنسان بتقزيم العلم .

أما الأثر الاجتماعي ، فعندما يكون هذا هو حال العلم و قيمته التي يمكن أن يضيفها في الإنسان، و الناس عموما حتما لا يرضون بذلك إذ الإنسان كائن مدفوع بالكبرياء - بالمعنى السليم للكبرياء الذي هو توسع الذات و بسط العقل في الوجود و الارتفاع في العلم ، و ليس الكبرياء الذي هو بطر الحق و غمط الناس - و الإنسان يريد رفع قيمته الذاتيه ، و من أهميه العلم للإنسان في كل زمان و مكان أنه حتى الجاهل يكره أن يقال عنه جاهل و يحب أن يقال له عالم ، و العلم في كل التقاليد العلويه الإنسانيه - بالمعنى العالي للإنسان - هو الطريق إلى النبل و العزه و الكمال ، هو نفسه هذه القيم الراقيه ، و ليس فوقه شئ من حيث مستوى القلب و النفس ، فعندما يتم ضرب مفهوم العلم و إمكانياته ، و جعله عاجزا عن معرفه الأسباب الرئيسيه ، و الحقيقيه الموضوعيه للأشياء ، فضلا عن طعنه في صُلب الإنسان و قلبه ، فإن النتيجه المتوقعه تتمثل في أمرين : الأول انصراف غالبيه الناس عن العلم ، و الثاني تحويل قيمه العلم إلى قيمه خارجيه كالمال أو السيطره العسكريه أو صناعه البضائع لبيعها أو أي شئ " عملي " بالمعنى السافل للعملي . و لا يخفى تحقق كلا الأمرين في الغرب الجغرافي قبل الشرق . و خير من يلخص هذا الأثر هو الفيلسوف بيكون الذي قال "العلم قوه". فالطلب تحول من العلم إلى القوه ، و يقصد بالقوه هنا السياسيه و الماليه و غير ذلك مما لا يمس قلب الإنسان ، بل يدمر في محصله حتى بيئه الإنسان ، و لا ننسى أن من نتائج هذا المنهج هو امتلاك البشر لأسلحه ذريه يمكن أن تمحق كل مخلوق حيواني على هذه الأرض ، ضمن أمور أخرى طبعا . فعندما يكون " العلم قوه " هذا يعني أن العلم لا قيمه له إلا إن جاء بهذا القوه ، و بالتالي يصبح الاهتمام المحوري بالقوه و كل وسيله تؤدي إليها ، و من هنا تحول اهتمام الجماهير بل كثير من النخب الضعيفه إلى أي وسيله تأتي لهم بأي رائحه من هذه القوه السفليه التي يلهثون وراءها كلهث الكلب وراء العظم الميت . و هذا متوقع و طبيعي ، لأن الشعور بالعزه و البسط هو من أكبر إن لم يكن أكبر غايات الإنسان ، و لا تتحقق هذه الغايه حقا إلا بالعلم الذي هو ليس مجرد "وسيله" إليها ، بل هو عينها ، إن العلم ذاته عزه و بسط ، و الحديث عنهما كثلاثه أو أكثر إنما هو شبيه بالحديث عن الشمس كجرم و ضوء و حراره ، و طبيعي أنه عندما تغيب الشمس تشتعل النيران في الأرض ، و ما ذكره برنارد هو من عين هذا الغروب . فتأمله .

يقول بنيامين دزرائيلي " كما كان الفن للعالم القديم ، كذلك العلم للعالم الحديث : القوه المميزه . في أذهان الناس ، نجح النافع في الحلول محل الجميل " .

أقول : كميه المغالطه و المصادره في هذه العباره يجعلنا نعتبرها من " جوامع الكلم " بالمعنى المقلوب . و نشير بإشارات فقط ، و إلا فتحليل و تفكيك و إعاده تصحيح كل ذلك يحتا ج إلى مقال خاص بل كتاب إن لم يكن كتب .

أولا ، اختلاق ثنائيه (فن / علم) و (قديم / حديث) و (جميل / نافع) يعني بالضروره أنه يقصد أن كل ما كان عند غير أهل ثقافته ليس علما و ليس نافعا ، لا أقل ليس كأصل و قاعده . و هذا أساس كل تعصب و تحريف وقع من أهل الغرب مع غيرهم . فهو من حيث الجوهر مطابق لما كان يقوله أهل

الصلب " نحن على حق و الباقي في حكم الضالين و الوثنيين كائنا ما كانوا " . و إن كان يقصد بالعلم ذاك القزم الذي يعكفون عليه ، فإنه و لله الحمد كلنا و كل الأمم الشرقيه التقليديه جهله بامتياز. و أما إن كان يقصد بالعلم صناعه الأشياء ، فإن صناعه شئ كالأهرامات كمثال لا أظن أنه يمكن أن يخرج من جهله بالصنع . و الحق يقال ، إنه صادق إلى حد ما في قسمه (جميل/ نافع) لأننا إذا نظرنا إلى بناء كالتاج محل أو مسجد أصفهان أو مباني الإنكا أو الأهرامات ، ثم قارنّاها مع ناطحات السحاب ، فإنه فعلا سنجد أن الجمال في الأول و القبح في الثاني ، و إن كان كلاهما كبيرا ، و لكن الجمال الطبيعي و التلقائي للأول ، و الذي لا يشعرك أنك في مكان معادي للطبيعه و حس المقدس و لا يحارب الحياه الوجدانيه للإنسان السليم ، بل يعزز كل ذلك و يعطي طعما علويا للحياه ، لا يمكن بحال مقارنته مع هذه المباني الحديديه الصناعيه المله التي تشعر الإنسان الحي و كأنه في مقبره كبيره الحجم أو شئ خال كليا من المعنى مهما كان حجمه . و سنأتي لاحقا إن شاء الله على معيار التفريق بين مختلف العلوم و مناهجها . و لكن باختصار : العلم إما أن يُنظر إليه ككاشف للحقيقه ، أو طريق للرفعه ، أو وسيله للصناعه . و العلم الحداثي ، ليس في شئ من الأول و الثاني ، و إنما هو في المحصله مجرد وسيله للصناعه الأرضيه . و لذلك كما قال بعض أنصاره و أحسبه ماوتسي تونغ الزعيم الشيوعي الصيني ، قال ما معناه : إن نجاحنا في الصناعه هو البرهان على صحه منهجنا العلمي . فالصناعه هي الحجه إذن . و هي كذلك عند عموم البشر ممن يرى ذلك و يقبله كعقيده مسلّمه و لا يدقق في ما يقوله أو يتأمل في حجته هذه . فإنه إن كانت الصناعه حجه على حقانيه المنهج الذي أدّى إلى الصناعه ، و بالتضمن الرؤيه الكونيه التي ولد هذا المنهج في رحمها (المسرطن بالنسبه للرؤيه الغربيه) ، حسنا ، سلّمنا تنزّلا ، لنقبل أن النجاح في صناعه شئ هو حجه على القيمه الحقيقيه للرؤيه و المنهج الذي هو قاعده هذه الصناعه . و الآن نسأل : ألم يصنع الهنود الأشياء الكثيره جدا منذ آلاف السنين ، و بقوا في أرضهم و عاشوا عليها و تكاثروا و انبسطوا و فرحوا و خلقوا شئ من أجمل حضارات الإنسان و أغناها (و التي سعت بريطانيا من فقرها بعد ذلك إلى احتلالها و نهبها - يبدوا أن الحداثه لا تعلّم الإنسان تقدير الموضع الذي تحت قدمه ، و ليتهم ذهبوا ليضيفوا شيئا بل تدمير الموجود و عدم إقامه شئ ذو قيمه بدلا منه) فإن كان هذا هو حال الهند منذ آلاف السنين ، و في نهايه التحليل ، الصناعه إنما هي وسيله لمعيشه الإنسان و راحته ، أم يا ترى أن الصناعه عندهم " قيمه في ذاتها " ! و سنأتي على هذا الاحتمال لاحقا إن شاء الله . ألم تحيا الصين و اليابان و جزر آسيا كلها صناعات كثيره أدت إلى معيشتها و راحتها و مسالمتها للطبيعه و البيئه منذ آلاف السنين . ألم يصنع سكان وادي النيل الأهرامات (و التي إلي يومنا هذا لا يعرفون فعلا كيف تم صنعها ، و كل "نظريه" يضعونها ليحلوا "اللغز" كعاده أهل الحداثه في سعيهم لتسخيف كل شئ ، إنما تثبت هذه النظريه- و إن لم تثبت- عظمه عقل الذين بنوها و علمهم و حسن مهارتهم في الصناعه ، فضلا عن الجمال و غير ذلك من أمور لا يفقهها أصحاب العلوم الكمّيه) و غير ذلك من صناعاتهم الكثيره . ألم يصنع الاغريق و

الرومان ، ألم يصنع الفرس ، ألم يصنع المسلمون على مر أكثر من ألف سنه ما لا يحصى كثره من أمور في شتى المجالات ، فإذن ، ما بال كل هذه الصناعات من كل هذه الأمم ، على مر كل هذه القرون ، و هي صناعات مصالحه للبيئه - و هذه نقطه مهمه جدا - و جميله ككقاعده ، فما بال كل هذا لم يثبت صحه " علميه " رؤيه و منهجيه كل هؤلاء ، و أما الذين صنعوا صناعات من طراز آخر غالبيتها أشياء مدمره للبيئه ، سالبه لقوه الإنسان ، مسممه للجو ، ثقيله مستهلكه ، و لا ننسى قبيحه جدا في الغالب الأعم ، و بلاستيكيه ميكانيكيه ككقاعده ، ما بال الأولى لا تثبت ، و الثانيه تثبت ، و لنفترض أن سيئات الثانيه غير موجوده ، لنفترض ذلك جدلا و تنزلا ، فكيف أصبحت الأولى بعيده عن الحجيه ، و الثانيه حجه في ذاتها . طبعا لا فائده من النقاش المنطقي مع أصحاب العقائد المتعصبه كما هو معلوم للجميع ، و إنما ينفع مع هؤلاء - كما نفع مع أهل الصلب عموما في الغرب - أن يخرج منهم من يدمرهم و يمحق قيمتهم .

ثانيا ، اعتباره أن " العالم القديم " قد ولّى وهم . لأن أصحاب تلك الرؤيه و المنهاج ، هم في عداد المليارات أو على أقل تقدير مئات الملايين في العالم ، شرقا و غربا من حيث الجغرافيا . و لكن ما يتضمنه تعبيره هو أن سعي الغرب الحداثي هو إلى إفناء كل ما يقع تحت مسمى " العالم القديم" بالمعنى الفلسفي لهذه العباره . أي كل من يملك تلك الرؤيه و المنهاج و يحيا به . و هو كذلك ، فإن القوم لم يألوا جهدا في نشر قبحهم " النافع " في كل بقعه على الأرض . و هذا لن يكون إلا إلى حين، فإن الطبيعه غالبه ، و أسلوب معيشه القوم لا يمكن أن يستمر حسب السنن .

ثالثا ، قوله أن الذهن الحديث يهتم بالنافع ، و القديم يهتم بالجميل ، فيه معنى مهم ، و هو أن الذهن الحديث من شده قبحه أصبح يرى القبيح نافعا . " النافع " ليس خانه في قِبال خانه " الجميل " في الواقع ، و إنما ضد النافع هو الضار . و لكن المعنى هو أن الذهنيه الحداثيه ، و نفسيه أهلها ، تعرضت لمسخ بعد مسخ ، حتى أصبحت الكيفيه و الصفه و القيمه الجوهريه للأشياء هي من الأمور الممكن الاستغناء عنها ، لصالح الأشياء المآخوذه بالاعتبار الكمّي الساذج . مثال صغير على ذلك ، الطعام . فإن " الإنسان القديم " الذي هو " فنان " بطبعه ، و هي إشاره مهمه و ذات مغزى ، كان ينظر إلى الطعام نظره معينه ، فتجد في كل التقاليد من الهندوسيه إلى الإسلاميه اهتمام بالطعام و ما "يجوز" أكله ، و كيف يأكله ، و متى ، و ماذا يقول حين يأكل ، و غير ذلك من اعتبارات عمليه و من قبل ذلك علميه و باطنيه . أي اعتبارات كيفيه . و لكن بالنسبه للغربي ، و هي وراثه إلى حد ما من الصليبي ، لا يبالي بذلك كله . المهم عنده هو أن يأكل و يبلع ما يمكن أن يسد جوعه ، و في أحسن الأحوال أن يتلذذ لسانه بالاثارات العصبيه لبعض الاطعمه ، و إن كان من "النخبه" فإنه يهتم ب "الأكل الصحي" الموزون كمّيا بعدد السعرات الحراريه و غير ذلك من اعتبارات . انتقال من الكيفيه إلى الكمّيه ، مع فقد للذوق و المعاني العلويه . الانسان " القديم " يأكل و يعيش و يموت ، و المخلوق "الحداثي" أيضا يأكل و يعيش و يموت ، فلا كيفيه الأول خلدّته ، و لا كمّيه الثاني خلّدته ، فالصوره الساذجه المختزله للفريقين واحده . و لكن الفرق المعنوي بينهما أبعد مما بين الثريا و الثرى .

الحداثي يفكر أن المهم هو " النافع " و يقصد بالنافع ما يؤدي إلى حياه البدن و قوته إن كان من النخب الرياضيه أو الثريه أو المتوسطه المهتمه بنفسها ، فقط . و لذلك لم يسبق لأمه أن اخترعت "الوجبات السريعه" و غيرها من الأدوات البلاستيكيه التي يتم حشرها في المعده ، و هي منفعتها الوحيده إن كان لها منفعه هي أن يتم تناولها من كل فتره لفتره كسُمْ مخفف لتدريب البدن على تقويه أجهزه المناعه ! الحاصل أن من المغالطات الأساسيه في هذه العباره ، و في عبارات الكثير من المهوسيين بهذا الفكر ، هي تعريفهم للنافع . فهم يسمون أمورا معينه " نافعه " ، بل و لا يكتفون بذلك حتى يصل بهم الغلو - الغلو الفاحش الذي يتناسب مع تأليه بشر في دين الإسلام - إلى أن يقولوا أن رؤيتهم هذه للنافع و المنفعه هي " الرؤيه الوحيده " و " المعيار الوحيد " لذلك . و هل حربهم و جهادهم المستمر ضد كل التقاليد إلا صوره من صور هذا الغلو . فإن كلامهم عن كل التقاليد في المحصله يمكن وضعه في شقّين : نظري و عملي . أما النظريات فإن منهجهم العلمي يقر بعدم قدرته على الكشف عنها ، و العلوم التقليديه العاليه كلها تنظر إلى الحقائق التي يقرون هم أنهم عاجزون عن الكشف عنها ، فأقل ما يقتضيه الأدب هو أن يلتزموا بالصمت حيالها ، و لكن لا يستطيعون ، فلأنهم جهله يريدون الكل أن يكون جاهل مثلهم ، و حجتهم " أنتم لستم أفضل منّا ، فإن كنا نحن لا نعلم فأنتم أيضا لا تعلمون " ، و جوابنا المختصر على هذه الحجه : إذن أنتم تقرون أننا متساوون معكم ، فلماذا تدعون أنهم أصحاب علم أعلى منا ، و لماذا لم نصل نحن على مر القرون كلها من أقصا الشرق إلى أقصا الغرب الجغرافي (حيث الهنود الحمر الراقين الذين ذبحوتهم معنويا بتصويرهم جهله و أغبياء ، و ذبحتوهم جسديا بعد ذلك فأبدتم منهم أكثر من تسعه أعشارهم) لم نصل إلى هذه الرؤيه للوجود و هذا المنهج الذي تعملون أنتم به ؟ هذا في شق النظريات . أما في شق العمليات ، فإنه بدوره ينقسم إلى عبادات و معاملات بالمعنى العام الذي يمكن تطبيقه على كل التقاليد و الشرائع الغير إسلاميه حصرا ، فالعبادات ما يشكل علاقه الإنسان بما فوقه ، و المعاملات ما يشكل علاقه الإنسان بما هو مثله أو دونه ، و هذا لا تخلو منه أمه ، فإن الكلام عن شق العبادات ليس لهم مدخل فيه ، لأن العبادات إنعكاس أساسي و رده فعل تلقائيه للنظريات التي ثبت أن لا مدخل لهم فيها ، فهذه بالتبع لا مدخل لهم فيها و يجب إن كانوا أصحاب أدب أن لا يتدخلوا فيها (و ليتهم يخبروا المرضى النفسيين خصوصا - الذين يسمونهم أطباء نفس و أصحاب تحليل نفسي - أن لا يحشروا أنوفهم في ما لا باب لهم إليه بحسب مقتضى مناهجهم و رؤيتم و هذا إن كانوا يعرفون كيف يحترموا الحدود العقليه بين الأشياء و المجالات) ، فلا يبقى إلا شق المعاملات ، الذي يتمثل أساسا في صوره الأسلوب السياسي في الحكم و القضاء و القانون و أحكام الأحوال الشخصيه و الأسريه و اداره الأموال و التجاره و نحو ذلك من شؤون المجتمع ، فإنه بالنسبه للأمم الكامله ، كأمه الإسلام ، و أقصد بكامله أن لها تنظيما لكل جانب يتفرع تلقائيا عن نظرياتها و شق العبادات فيها، و يعتبر امتدادا لها ، ينبغي لهم أيضا أن لا يتدخلوا فيها من جانب كونها امتدادا ، و من جانب آخر ينبغي أن يحترموا خصوصيات الآخرين و آرائهم الشخصيه و اختياراتهم في هذه الأمور ، إذ بما

أنه " لا توجد حقيقه و إنما هي اختيارات بشريه " فإذن ، سلمنا جدلا ، هذه اختياراتنا البشريه ، فلماذا لم تدعوا أمه على وجه الأرض تهنأ باختياراتها و فرضتهم عليهم أنواع الحروب السياسيه و العسكريه و الاقتصاديه لتغيير كل ذلك ، و أعنتم من يتسلط عليهم و يفرض اختياراتكم أنتم . لا يخفى أن قولهم بقسمه (قديم جميل / حديث نافع) تؤدي إلى نتيجه أخرى تقول : يجب أن ننزع ما عندهم من القديم و إن كان جميلا ، و نفرض عليهم غصبا عنهم ما عندنا من حديث نافع ، و هم لكونهم أطفال في الوعي لا يعرفون الفرق بين الجميل الضار ، و النافع الذي عندنا ، فيجب أن نغزوهم بشتى أنواع الغزو و نبيد خضراؤهم و نعطيهم النافع حتى لو اضطروا أن يتجرعوه كتجرّع زقّوم جهنم ، و من يدري لعل زقّوم جهنم نافع من حيث أنه سبب للبقاء و إن لم يكن جميلا ، المهم أن يكون نافعا و سببا للبقاء إذ المعركه معركه بقاء أليس كذلك ، و تناسل . آه خرافه أخرى عند القوم ، و هي المقوله التي لا تقول شيئا ، أي " غايه كل إنسان هي أن يمرر جيناته لمن بعده " أي التناسل . سبحان الله ، و كأن الأقوام لم تتعلم التناسل إلا حين جاء هؤلاء الذين هم أنفسهم لا يحسنون التناسل و على وشك أن يصبحوا مجتمعات من العجائز من ضعف تناسلهم ، بينما الأمم "المتخلفه" و لله الحمد كالهند و بلاد العرب هي أمم متناسله من الدرجه الأولى ، و النسب التناسليه فيها طبيعيه و صحيه . فالغايه الكبرى من الحياه عندهم ، موجوده عندنا و متحققه أفضل مما هي عندهم ، بالإضافه إلى أنهم قد خسروا كل ما هو عندنا و ليس عندهم . هذا اسمه قرءانيا " خسر الدنيا و الآخره ، ألا ذلك هو الخسران المبين " .

من الأمثله اللطيفه على الفرق بين عقليه الفنان و عقليه النفعي الحداثي ، هي قضيه الصناعه اليدويه و الجمال البسيط . فإن كون الذهنيه العامله للحداثي مهتمه بالنافع دون الجميل ، اقتضت تلقائيا أن الجمال محصور في القله و هم وحدهم من يستطيع أن يعيش في وسط أشياء جميله بدرجه أو بأخرى ، و هم الطبقه الثريه كأصل . بينما الغالبيه من بقيه البشر محكوم عليها بالعيش وسط القبح و الأشياء القبيحه . و هذا سليم من حيث الواقع . و لذلك ترى الثري يقول لك : انظر إلى الشئ الفلاني إنه معمول باليد . مثلا سجّاده ايرانيه ، أو بدله رسميه أو ثياب عموما ، أو ساعه أو أي شئ من هذا القبيل . تجد الفخر و الاعتزاز و رمز الثراء هو أن يكون الشئ " مصنوع يدويا " و معمول من قبل " فنان " اهتم بهذه القطعه شخصيا و وضع فيها هو كفرد أو كجماعه تعاقبت على العمل جزءا من روحه و حياته و خصصه لهذه القطعه . إلا أن اللطيف هو ملاحظه أن في العالم القديم " كل " شئ كان مصنوع يدويا من قبل فنان ما وضع فيه جزء من روحه و وقته شخصيا و باشر العمل خيطا خيطا بنفسه و أنفاسه ! فما كان جمالا و حياه للجميع ، أصبح بسبب مبدأ النفعيه القبيحه حكرا على القله .

قال بعض أهل العلم حقا في الفرق بين الإنسان الراقي و الحداثي ما معناه " في عالم الحداثه ، الفنان هو نوع مميز من الآدميين ، و لكن في عالم السنّه ، كل إنسان هو نوع مميز من الفنانين " . فتأمله .

و من هنا قال ثوماس هكسلي " المصيبه الكبرى للعلم (يقصد الحداثي) : هي ذبح فرضيه جميله بواسطه واقعه قبيحه " . طبعا الفرضيه التي يقصدها هي ما يسميه أهل العلوم العاليه حقيقه ، و لكن هذا على النمط الذي يسمي كل نتيجه مغايره له مجرد فرضيه تشكيكا فيها و تقليلا من قيمتها. بينما يسمي " واقعه " أي (فاكت ، بالانجليزي) نتائج منهجه و رؤيه الحداثيه . و لا يخفى هذه التقوى الزائفه التي ينسبها القوم إلى أنفسهم ، و هي كونهم يسعون إلى الحقيقه و يقبلونها و لو كانت مرّه و قبيحه ، و يرفضون الأباطيل و لو كانت جميله ، فهم من شده اخلاصهم للحقيقه على استعداد أن يشربوا كأسها و لو كان المحتوى ماء مجاري فضلات البشر ، المهم أنه ماء الحقيقه بغض النظر عن طعمه و لونه و رائحته ، و أما أصحاب الذهنيه القديمه الخرافيه ، فهؤلاء ضعاف ليسوا مثلنا في الاخلاص للحقيقه ، فإنهم كانوا يفضلون الفرضيات الجميله ، و نحن عباد الحقيقه المخلصين الذين فضلناها مهما كانت . و إني لمتحيّر فعلا كيف استطاع هؤلاء - و أي نفسيه و قلب كان لهم - الذي جعلهم يعتقدون أن الحقيقه يمكن أن تكون قبيحه أصلا ! أيا كان تأويل القبح . هذا أقل ما يقال في مثل هذا المورد ، و أما قوله " فرضيه " و " واقعه " فهو من المباحث المهمه التي ستكون في موضوع الكتاب إن شاء الله فنتركها لوقتها . و نشير هنا إلى مثال آخر على هذه التقوى التي ينكرونها لكل علماء الأمم غيرهم ، و ينسبون إلى كل علماء و " كهنوت " الأمم حسب زعمهم على أنه صاحب أغراض شخصيه و دنيويه ، إلا هم فإنهم رواد الحقيقه باخلاص مطلق ، فيقول تقي آخر من القوم و هو ماكس بلانك " الاكتشاف العلمي و المعرفه العلميه إنما تحققت بواسطه أولئك الذي سعوا إليها بدون أي غايه عمليه من أي قبيل في رؤيتهم " . ماشاء الله ، لعلي لو ذكرت هذه العباره بدون اسم قائلها لحسب القارئ أنه صوفي ما ، و بالتأكيد لنفر " علماء النفس و الاجتماع" و " الفلاسفه " من كل حدب و صوب ينكرون هذه المثاليه المبالغ فيها . و لكن ما يهمنا من هذه الملاحظه من أحد كبار القوم ، أمور : منها إثباته وجود واسطه في تحصيل العلم و الاكتشاف ، بل و وضع شروط قاسيه - و لنقبلها جدلا - لهؤلاء و هي التجرد الكامل عن الغايات العلميه بل البحث المجرد نحو الحقيقيه ، بل هو يحصر حدوث هذه الاكتشافات و المعرفه " العلميه " إلا عن هؤلاء ، و لعله يقصد كقاعده مع وجود استثناءات كالعاده . فإذن لا يقال بعد ذلك أن " العلم للجميع " و أنه يجب أن لا يوجد " رجال علم " ، لأننا نرفض الكهنوت و الوساطه بين البشر و الحقيقه ، هذه الحجج السخيفه التي استعملها هؤلاء و أذنابهم في الشرق ليعبثوا بأذهان الجماهير و يقلبوهم ضد أديانهم و علماءهم و سادتهم . و منها تفريقه بين البحث للحقيقه و البحث لغايه عمليه ، مع اثباته إمكان الأول دون الثاني ، بغض النظر عن حصول غايه عمليه بعد ذلك أم لا ، فإنه في الواقع كل علم نظري يتفرع عنه شئ عملي و يستحيل غير ذلك أصلا ، و منه قولنا " العلم أم الحكم " . فلا يقال بعد ذلك أن البحث يجب أن يكون دائما محكومه برؤيه عمليه ، و غايات عمليه ، فها هو سيد من سادات هذا المنهج ، ماكس بلانك و هو أعلم منكم بهذا المجال (و ب "منكم" أقصد المستغربين خصوصا) ، و قد أثبت كقاعده بل لعله بإطلاق أن كل اكتشاف و معرفه علميه حديث بدون وضع هذه الغايه العلميه

النفعيه نصب عين الباحث . و أخيرا نشير إلى أن نفيه للغايه العمليه لهذا العلم مناقضه لأصل دستوره ، فإن دستوره لا يفهم شيئا غير الغايات العمليه الأرضيه ، و لكن لعله يقصد ما سبق و أشرنا إليه من كون الباحث ينبغي له أن يسعى ليعرف أولا ثم ليطبق ثانيا ، و هذا تسلسل منطقي سليم .

و أما مقوله أوبنهايمر " الخطيئه هي علم لا يمكن أن تخسره " . فهي تقع في سلسله ظهور نفس الفكره الواحده في ألوان متعدده ، و الفكره خلاصتها : كل معلومه يحب أن تكون قابله للقتل و التغيير و الرفض ، هذه هي القاعده ، و الاستثناء الذي يعتبر خطيئه هو العكس ، أي أن توجد معلومه لا يمكن أن تتغير و تتبدل . فهذه الفكره غرق كلي في تيار التغيير و التبديل و الصيروره اللانهائيه للأشياء ، أي بعباره تقليديه " جهنم " ! فبعد أن كان الثابت الحق و المطلق و المبادئ الجوهريه و الكليات و السنن هي أساس و صلب العلم ، و التغيرات و الصيروره هي تجليات تلك الحقيقه الثابته المتعاليه ، أصبح العكس تماما هو الصحيح و " الحسنه " ، و أصبحت تلك "خطيئه" في دينهم المنكوس على رأسه ، فيجب أن تكون قابل لقتل أي معلومه ، رفض أي معلومه . و بالطبع فإن أصحاب الأعذار و الترويج قد يقولون : إنما هذا تواضع لدوام البحث عن العلم . و الجواب : كل علماء الأمم على مختلف طبقاتهم كانوا يسعون دائما للعلم ، لم يحتج أحد إلى صياغه أسباب البحث بهذه الطرق المنكوسه التي تتضمن رؤيه معكوسه لمراتب الحقيقه و الأولويات ، و الواقع أن القوم لا يقصدون بذلك إلا ما ذكرناه و ما يحوم حوله و العذر لا قيمه فعليه له ، إذ طالما أن "العلاقات" بين الأشياء هي الشئ الوحيد الذي يمكن لهذا المنهج أن يكشفه ، و هذه أمور دائمه التغير و الملاحظه قد تبدلها لأسباب ذاتيه متعلقه بالناظر أو موضوعيه متعلقه بالمنظور إليه ، فإن النتيجه هي أن هذا العلم شئ دائم التغير و التبدل . فلا حاجه إلى الأعذار للترويج ، ما يقولونه يتناغم مع رؤيتهم و منهجهم . و عاده ما تصدر الأعذار الواهيه من غير أصحاب الرؤيه الأصليه ، مثل عندما يأتي أعرابي أو مستغرب و يروّج لتلك الرؤيه بين قومه ، و يدافع عنهم باستماته لا مبرر لها و تكشف عن ضعف ذهنه و نفسيته أكثر من كشفها عن قوه عذره و حجّيته .

قال هنري بوينكره عباره مهمه " العلم مبني من وقائع ، كما أن البيت مبني من حجاره : و لكن ركام من الوقائع ليس علما كما أن ركام من الحجاره ليس بيتا " . و الفكره الأساسيه هنا ذات محوريه جوهريه و هي التالي : العلم الحداثي ليس مجرد ملاحظه الواقع ! فما يقال عاده ، و ما هو في أذهان جماهير البشر ممن وقع تحت سحر هذا المنهج ، يظن أن هذا العلم إنما هو ملاحظه "موضوعيه" بحته لما هو واقع أمام أعينهم ، بواسطه أو بغير واسطه ، على نحو كمّي أو كيفي ، ثم يتم رؤيه النتائج " العلميه " بكل بساطه ، و نشرها لتنعم البشريه تحت ظلّها الأسود . أي هم يظنوا أن المنهج العلمي الحداثي إنما هو " تجميع تراكمي للوقائع " ، إذ كل ما يبتعد و لو بمقدار ذره من هذا التجميع و الملاحظات " الموضوعيه " البحته للمشاهدات البصريه للعلماء ، يخرج بنفس المقدار

من صبغه العلم البحت إلى مجال الفلسفه و النظريات المسبقه التي في ضوءها يتم إقامه العلاقات بين هذه المشاهدات الموضوعيه و تفسيرها - على فرض إمكانيه التفسير . و التسويق الأساسي لهذا المنهج الحداثي إنما بُني على فكره جوهريه و هي : علمنا موضوعي و علوم الآخرين ذاتيه شخصيه أو فلسفيه ذهنيه أو غير ذلك من أمور تخرج عن صراط المسطره المرقمه المستقيم . و معنى كونه موضوعيا أنه مجرد مشاهدات لما هو واقع فعلا - طبعا الكلام كله عن المستوى الأرضي السفلي البحت و لا نحتاج أن نكرر ذلك إذ القوم ليس لهم شأن بما هو فوق ذلك . و لكن الاستاذ هنري له وجهه أخرى في شرح هذه المسأله ، و هي أنه بعد تجميع المشاهدات الموضوعيه التي اختار أن يشبهها في تمثيله السابق بالحجاره - و هو اختيار يلفت النظر فتأمله - يوجد مرحله أخرى في عمل العالم و هو ترتيب هذه الحجاره في نسق و نظام معين . و السؤال الآن : لاشك أن هندسه هذا البيت لا يمكن أن تأتي من التأمل في الحجاره ! فالحجاره هي الحجاره ، و سواء جاء مهندس من الصين أو من فرنسا أو من الطائف فإنه يمكن أن يشاهد هذه الحجاره و يلمسها و يشم رائحتها و يقذفوا بها بعضهم البعض أيضا ، و حتما تجميع الحجاره من قِبل رجل غربي لا يعني أن له أربعه أيادي أو أربعه أعين و الرجل الشرقي ليس له مثل ذلك ، فالناس في الإمكانيه الأساسيه لمشاهده الحجاره و الاعتراف بوجودها و ثبوتها سواء من هذه الحيثيه . حسنا ، فما الذي يجعل هذا المهندس الشرقي يبني بيتا دائريا بهذه الحجاره ، و لكن ذاك المهندس الغربي يبني بيتا مربعا ؟ لا يمكن أن نقول أنهم استفادوا ذلك النسق من نفس الحجاره ، لأنها صامته و لا يمكن أن تُعطي مثل ذلك و لا أحد أصلا يدعي أنها تعطي مثل ذلك . فإن كانوا لم يأتوا بهذا النسق من العالم الحجري ، عالم الوقائع "الماديه" (و لنا وقفات إنشاء الله مع كلمه "ماديه " هذه) ، فهذا يعني بالتأكيد أنهم جاؤوا به من عالم غير هذا العالم المادي . فإذا نظرنا حولنا من الخارج لم نجد إلا العالم المادي ، و الإنسان ليس له إلا نافذه على الخارج الحجري ، و نافذه على الباطن النفسي ، فإن كان ليس من الخارج ، فهو من الداخل . فإن أثبتنا وجود عالم داخلي مغاير للخارجي ، فأهلا و سهلا بالعالم التقليدي "القديم". فضلا عن أمور أخرى تتعلق ليس فقط بعالم واحد بل عوالم بوابتها هو هذا الداخل و الباطن . و حتى لا نفتح بابا على المسائل العرفانيه إذ إنما نشير إلى الإشكالات التي تثيرها ملاحظات أهل هذا المنهج و كيفيه إمكانيه حلها و البناء عليها. فما يفيدنا إياه الأستاذ هنا هو أن الكشف العلمي يمر بمرحلتين : ملاحظه الوقائع وَ تنظيم الوقائع . و لنضرب مثالا تقريبيا على ذلك ، و هو قضيه العلاقه بين الكائنات الحيه الموجوده على سطح الأرض . ففي مرحله تجميع الوقائع قد يجمع الباحث عظام حيوانات و يحفر في الأرض لينظر إلى طبقاتها و ما تحتويه كل طبقه منها و غير ذلك من أمور و لنفترض أنه جمّع سلسله من الجماجم من الصغير إلى الكبير ، و وضعها كلها في صف واحد . هذه هي الحجاره . و كل أحد من أصحاب أي منهج إذا نظر إلى هذه السلسله سيرى نفس الشئ. و لكن الاختلاف يبدأ في المرحله الثانيه و هي النسق العقلي الذي به سيتم الربط بين هذه الأشياء. فيقول بعضهم : إن الجماجم الكبيره نشأت من الجماجم الصغيره . و يقول البعض الآخر : أجننت !

كيف يمكن للأكبر أن يأتي من الأصغر ، و المعقد أن يأتي من البسيط ، بدون سابق وجود للأكبر المعقد ، كيف يعقل أن تأتي الشجره من البذره إلا لو كان للشجره وجود ما سابق على وجود البذره أو أعلى منه في الدرجه الوجوديه . ثم يأتي ثالث و يقول : إن كل واحد من هذه الجماجم وجد على حده ، و ما التسلسل إلا نتيجه إيجاد التسلسل ، كمثل طباخ يصنع فطيره صغيره ثم فطيره أكبر منها بقليل ثم ثالثه أكبر بقليل و هكذا بكل الأحجام ، أو كمثل صانع أحذيه يصنع أحذيه بكل المقاسات من مقاس قَدم الطفل إلى مقاس الضخم الفحل ، فإنه من سوء التقدير أن نزعم أن الفطيره الكبيره نشأت من الصغيره ، أو أن الصغيره نشأت من الكبيره ، بل كل واحده طُبخت على حده و لكن الطباخ لسبب ما أو أسباب أراد أن يصنعها بكافه الأحجام ، و كذلك في الأحذيه فإن القول بأن مجرد وجود تسلسل في مقاسات الأحذيه يعني أن الحذاء الكبير تطور من الصغير أو حتى أن الصغير تقلص من الكبير هو دعوى غريبه و في أحسن الأحوال تحتاج إلى برهان بحد ذاتها و لا يمكن استفادتها من مجرد تحليل مكونات الفطيره أو تفكيك أربطه الأحذيه . و لكن ، و هنا يأتي دور التعصب الأعمى : حين يأتي صاحب نظريه تطور الحذاء الكبير من الحذاء الصغير ، و يقول أن تفسيره هو " التفسير العلمي الموضوعي " و باقي النظريات هي مجرد فلسفات " ذاتيه " في أحسن الأحوال و خرافات قديمه في معظم الأحوال ، هنا تبدأ الخلافات التي اختلقها الغرب . مثال آخر أقرب إلى الواقع ، يقولون بأنه يوجد تشابه كبير جدا بين جسم الخنزير و جسم الإنسان ، و يقول البعض أن جسم الإنسان هو حاله متطوره من جسم الخنزير ، أو القرد أو أي حيوان آخر ، لاحظ الفرق بين المرحلتين التي ذكرها الأستاذ أعلاه ، فلنفترض فعلا أنه يوجد هذا التشابه الكبير ، و ثبت بتحليل معين أو ملاحظات " حجريه " معينه ، هذا لا يمكن لإنسان أن يجادل فيه ، هذه المرحله الأولى، و لكن أن يقال في المرحله الثانيه : جسم الإنسان تطور لجسم الخنزير ، هو دعوى عريضه جدا ، و في أحسن الأحوال يمكن أن نقول هو " نظريه في عرض النظريات الأخرى " ، و لكن القوم لا يرضون بأن تكون مقولات دينهم " في عرض النظريات الأخرى " ، هم يريدون مخلصا واحدا لجميع البشر في كل زمان و مكان ! حتى لو كان هذا المخلص مريضا أو بائسا أو محدودا جدا أو يوجد أقوى و أعلم و أحكم و أفصح و أرجل منه ، كائنا ما كان ، لا يجوز ، مخلصنا هو المخلص ، و نظريتنا هي النظريه و لا نقاش في المسأله . و قس قضيه الخنزير أو القرد على قضيه الفطيره أو الحذاء ، و قس النمط العام لهذه الفكره على كل قضيه أخرى ، و ميّز بين مرحله تجميع الحجاره و مرحله بناء البيت ، و اعرف الفرق و تأمله و لا يغرنك دعوى مهندس ما أن الحجاره كلّمته و قالت له أنها لا تنتظم إلا في شكل مربع !

و مثال آخر ، و هو مثال لارنست رينان ، و يُعتبر هذا الرجل و فكرته قمّه التعاسه الفكريه و النفسيه التي يمكن أن يصل إليها الأوروبي الحاقد ، يقول صاحبنا " أبسط صبي في المدرسه يعرف اليوم حقائق كان ارخميدس على استعداد أن يضحي بحياته من أجل معرفتها " . طبعا قبل أن نجيب عن عبارته لنذكر عباره أخرى شهيره له ، و لعلها من الحقائق التي كان ارخميدس على استعداد أن

يضحي بحياته من أجلها ، و من يدري لعل أرسطو و أفلاطون أيضا ، يقول " خَلَقت الطبيعة عرقًا من العمال. هو العرق الصيني المتصف بشطارة يده العجيبة وبخلوه من عز النفس. احكموه بالعدل آخذين منها مقابل نعمة هذه السياسة أجرًا كبيرًا لصالح العرق المظفر يرضَ. ثم عرقًا من الفلاحين: الزنج. عاملوه بالمعروف والإنسانية يستتبُّ النظام. ثم عرقًا من الأسياد والجنود: الأوربيين. ليعمل كل واحد ما خُلق من أجله يستقِمِ الأمر " ثم يجد هذا الرجل الجرأه لأن يقول بأن "الإسلام متعصب" ! لنرجع إلى قوله عن ارخميدس و نقول : نعم قد يكون فيما قلته حقا ، و لكن الشئ الذين يستطيع نظامكم التعيس أن يعلمه هو أن تضحي بحياتك من أجل معرفه الحقائق كارخميدس . إن اعتبار العلم مجرد معلومات تحشى في الدماغ و ليس أسلوب حياه هو من أكبر مصائب الرؤيه الحداثيه و هو أمر طبيعي لها . فإن العلم عندهم معلومه تؤدي إلى قوه ماديه ، لا أكثر و لا أقل . فمن المتوقع أن يغذوا هذا الشعور المريض بأن كل الأمم السالفه بعلمائها و فلاسفتها كانوا على استعداد الموت من أجل معرفه ما يعرفونه هم ، و مما نكاد نجزم به أننا لو أرينا ارخميدس أسلوب حياه الاوروبي و ما انتجه " علمه " ، لضحى بحياته فعلا ، و لكن ليس من أجل الحقائق بل ليتخلص من هذه الحياه البائسه الفقيره معنويا . يُحكى أن طالبا للعلم دخل على فيلسوف اغريقي على ما اذكر ، فجلس التلميذ أما الفيلسوف الذي بدأ يعلمه علم الأعداد ، فقال التلميذ : ما الفائده العمليه من هذا لماذا نضيع الوقت فيه !! فقام الاستاذ و جلب بعض من النقود و رماها في وجه التلميذ و قال له : خذ هذه الفائده و اخرج من منزلي ! ما يتوهمه رينان ، هذا البغيض المنظر و المخبر ، هو أن علماء الأمم يلهثون وراء معلومه أو أخرى دون النظر إلى الرؤيه و الأسلوب العام للحياه و الفكر و التعاطي مع الأمور ، فضلا عن سوء فهمهم الشبه مطبق للعلوم التقليديه و حقيقه معناها عند أهلها ، و هم يحسبونها مجرد " محاولات بدائيه " في العلم ، ثم جاء أشباه هذا الفرنسي الذي لعله لا يعرف كيف يغتسل و يزعموا أنهم قد فُتحت لهم و أخيرا أبواب المعارف الحقه و أخيرا في عصر " نضج الإنسان " ، طبعا من مظاهر هذا النضج و التحضر أنهم بعد مقوله رينان هذه ببضعه عقود تذابح الأوروبيين مع بعضهم البعض حتى قتلوا نحو خمسين مليون من البشر ، و هو عدد لعله لا يساوي عدد كل المذابح التي حدثت في تاريخ أي سلسله حروب شنها قوم بعينهم . نعم ، ارخميدس قد يضحي بنفسه من أجل معرفه الحقائق ، و كيفيه تخريج إنسان على استعداد لذلك هو أمر يحتاج إلى تأمل جدي ، فما الذي كان في هؤلاء حتى يكونوا فعلا أو يظن فيهم الظان أنهم على استعداد أن يضحوا بحياتهم للمعرفه ، ما هي رؤيتهم لقيمه العلم حتى يكونوا يرونها بهذه الدرجه ، ألعل ارخميدس و أشباهه كانوا يرون العلم مجرد وسيله للقوه الماديه أو معلومه يتم حشوها في الدماغ ، أو كانوا يرون عقولهم لا يمكن أن تعقل شيئًا من الأسباب الرئيسيه أو الحقائق الموضوعيه للأشياء و إنما مجرد علاقات سطحيه و تخمينات كما يقترح فلاسفه هذا العلم ، أيعقل أن يأتي أحد و يضحي بنفسه من أجل مثل هذا العلم . لا ينقضي العجب من استخفاف الغرب الحداثي بكل أحد غيرهم ، بل حتى

الذين يعتبرون أنفسهم ورثتهم في العلم و الفلسفه و الروح ، طبعا لا هم ورثتهم عموما و لا يحزنون ، و لو جاء ارخميدس و سمع قول رينان هذا و أشباهه للعن اليوم الذي خُلقوا فيه .

و لنختم هذه المقدمه العامه بمقوله ميغيل دي اونامونو ، القائل " العلم (الحداثي) الحقيقي يُعلّم ، أكثر من أي شئ آخر ، الشك و أن تكون جاهلا " . و قد صدق الرجل فعلا ، فإن آخر شئ يمكن أن تحصله من هذا العلم و السير فيه هو أن تحيا في الشك و أن تكون جاهلا . و إن كان الرجل يذكر ذكر على نحو الاعتزاز و الفخر و تعليم الآخرين قيمه ممتازه في نظره ، إلا أنه قد أصاب نفسه في مقتل من حيث أراد أن يعتز ، هو و أمثاله . فمن كان علمه باقرار أهله يقول بأن آخر مستوياته هو أن يكون في حاله الشك و الجهل المستمر الذي لا ينقطع أبدا ، فمثل هذا الشكاك الجاهل لا يبنغي له أن يجرؤ على رفع رأسه في ساحه اليقين و العلم ، فليبقى في طرف جهنمه التي صنعها لنفسه و ليعكف على أصنامه التي نحتها بيد ذهنه ، و إن بقيت فيه ذره أدب - و إن كنا لا نعرف لهذه الكلمه معنى في ظل نهج القوم - فليكف يده عن التعرض للأقوام التي لها رؤى و مناهج و تفسيرات و اولويات مغايره له .

العمل في كتابنا هذا هو التالي : نقد لكتابين في صلب وصف هذه الرؤيه الغربيه للكون و منهج الكشف عنه . نقد سيسير مع موضوعات الكتاب فصلا فصلا ، و فقره فقره ، بل و قد يصل أحيانا إلى كلمه كلمه ، فكما أنهم يحاسبون غيرهم على أدق الأمور و يسومونهم سوء الحساب بحجه علمي و منطقي و عقلاني ...الخ ، فكذلك سنفعل معهم ، إلا أننا لن نفتري عليهم و لن نصخب و نشاغب باللغو الفارغ و التحكمات التي تعودناها منهم ، بل سنسير بهدوء و تأمل و تدبر في الفقرات و ندرس الكتاب معا ، لنرى ما الذي يعرضه و ما النقد الذي يمكن أن يوجه له بحق و إنصاف و اعتدال .

أما الكتاب الأول فهو للفيلسوف الانجليزي دونالد جيليز ، المسمى " فلسفه العلم في القرن العشرين". و هو من ترجمه الدكتور حسين علي .
أما الكتاب الثاني فهو للفيزيائي الشهير فيرنر هايزنبرغ ، المسمى " الفيزياء و الفلسفه " و هو مجموعه محاضرات ألقاها سنه ١٩٥٥ م ، و هو ترجمه : صلاح حاتم .
أما الكتاب الثالث فهو للدكتور حسين علي نفسه ، المسمى " منهج الاستقراء العلمي " .
فالأول لغربي أصيل فيلسوف علم و الثاني لغربي أصيل ممارس فعلي للعلم و الثالث لأعرابي ناقل و شارح و معلّق على ذلك النهج و مفتتن به على ما يبدو . و السبب في اختيارنا للكتاب الثاني كذلك هو حتى يتأمل الناس في كيفيه تسويق أمثال هذه المناهج و مدى الانصاف و المنطق و التماسك العقلي و الفلسفي و العلمي الذي فيها عندما يتم تحليلها و تفكيكها و مقارنه بعضها ببعض و نقدها فقره فقره و فكره فكره ، ثم يقيسوا الشبيه بالشبيه و يدققوا أكثر أو من زوايا جديده في ما يقرأونه أو يسمعونه في هذا المجال .

و إن كنا نحب الدراسه للدراسه و الحقيقه ، إلا أنه لهذه الدراسه بُعد آخر على مستوى الحرب الفكريه بين الغرب و الشرق ، إذ نحن اليوم في حرب فكريه كأساس ، و بالأخص كمسلمين ، فالمغول حين اجتاحوا بلادنا من قبل انما تفوقوا علينا حسب الظاهر عسكريا ، و ليس معرفيا و وجدانيا ، و لذلك انتهى بهم المطاف إلى الإسلام و بناء واحده من أعظم الدول الاسلاميه ، أما الاجتياح الغربي فإنه معرفي و وجداني أولا ، بل لعله و آخرا بحسب بعض الاعتبارات ، فالمغولي كان يقول " جيشي أفضل من جيشك " ، و لكن الغربي يقول " ديني أفضل من دينك " و " رؤيتي أفضل من رؤيتك " و " منهجي أفضل من منهجك". بعباره مولانا جلال الدين البلخي - قدس الله نفسه - فإن المعركه قد انتقلت " من جهاد الصِوَر إلى جهاد الفِكَر " . و ككل حرب ، يوجد أعداء من الخارج ، و أنصار للعدو من الداخل ، و قد ذكرنا مثالا للخارج و هو كتاب الفيلسوف جيليز ، و مثالا للداخل و هو كتاب الدكتور المذكور . و لنترك رمزيه المعركه عند هذا الحد ، فإنها مزعجه للتأمل و التدقيق الفكري الذي يحتاج إلى سكينه. و إنما ذكرتها لتبيين الموقف و ليتذكر أهل الفكر من اخواننا .

فالآن ، يوجد طرق لدراسه هذين الكتابين ، و الطريقه التي نقترحها هي التالي : الأفضل أن يشتري القارئ الكتابين - تسويق مجاني ! - و يقرأ معنا بابا بابا . و حتى لا نعيد كتابه كل الباب ثم ننقده ، فإننا سنكتفي بذكر الفقرات التي يوجد تعليق عليها ، و سنسير بالتسلسل الذي وردت فيه في الكتاب إن شاء الله ، فمن الأفضل لو يكون القارئ على علم بمحتوى الباب كله أولا ، ثم ينظر في كتابنا هذا . فإننا لو سرنا على غير هذه الطريقه ، و حاولنا أن نجعل كتابنا هذا جامع للكتابين مع تعليقاتنا عليها ، فإن الكتاب سيصل إلى أكثر من ألفين صفحه أو ألف صفحه على الأقل ، إذ كتاب جيليز وحده نحو ٥٠٠ صفحه . و لكن من لم يستطع ذلك ، فإننا سنسعى إلى شرح الفكره التي يعرضها الكاتب خلال تعليقنا ، و توضيحها أولا ، ثم التعليق عليها ، فإن الكثير جدا من أفكار الحداثه يكفي توضيحها و وضعها في نسق منطقي سليم لتبيان بطلانها أو ضعفها أو نسبيتها الشديده بعد صورتها الاطلاقيه الدغمائيه التي ترد فيها عاده . فإذن من استطاع أن يحصل على الكتابين فهو أفضل ، و من لم يستطع فإن شاء الله سيجد ما يفهمه خلال الشرح .

حسبنا هذا في المقدمه ، فتعالوا ننظر .

...

(القضايا الأساسيه المطلوب ادراكها و حلها)

يهمنا في كتابنا هذا أن ننظر في ثلاث قضايا رئيسيه أصليه ، و لها فروع كثيره و شواهد و أمثله.
أما القضايا الرئيسيه فهي التالي :
أولا ، الرد نقضا على هجوم أصحاب النزعه الحداثيه على أصحاب السنن التقليديه . فالأفكار و الأمثله التي يستعملها الحداثيون لاسقاط قيمه التقليديين الشرقيين ، موجوده بعينها في هؤلاء الحداثيين أنفسهم و رؤيتهم و منهجهم . و لكنهم كما بينا في كتابنا " أهل الغرب و الصلب " لا يرون أنفسهم ، فهم يرمون الآخرين بتهم موجوده فيهم بعينها بل بأكبر منها أحيانا ، و قد لا تكون التهم صحيحه أصلا ، فهم في مصيبه من شقين ، شق التهمه الباطله ، و شق حلول عين التهمه فيهم . و جواب النقض أو الدفع هو إظهار هذا الشق الثاني . فمثلا حين يقال " إن أصحاب الدين يختلفون فيما بينهم " و تعتبر هذه كتهمه مسقطه للاعتبار ، فإن هذا يفترض أن صاحب المقوله في أسلوب حياته و منهجه و عشيرته الفكريه لا يختلفون فيما بينهم ، و إلا فسيكون الحال كاتهام فرعون لموسى بأنه يريد الكبرياء في الأرض ! فجواب النقض هو أن نظهر من كلامهم و تاريخهم الذين يقرون به بل ينشرونه بأنفسهم وجود مثل هذه الاختلافات بينهم علماءهم أيضا . و قس على ذلك . و لنسم هذه قضيه الدفع . لأن غايتها هي دفع عدوانهم الفكري و النفسي بمثل ما اعتدوا به .

ثانيا، الكشف عن مدى القيمه العقليه العلميه لاطروحاتهم الفلسفيه المنهجيه أو حتى ما يسمونه "علميا" ، و التركيز سيكون كأصل على أصولهم و قواعدهم ، فإن الكلام عن الأمثله لا ينتهي ، و إنما الأمثله صور تُبنى على القواعد . و لنسم هذه قضيه الرفع . و السبب أن معرفه أي فكره هو رفعه للعارف . و هذا مبحث فكري خالص ليست الغايه منه إلا تمييز قيمه الافكار و الاطروحات بغض النظر عن اي اعتبار في الموافقه و المخالفه الخارجيه . و هذا صلب كتابنا . فإننا نحب أن ندرس أثناء الكتابه ، و نتأمل في المكتوب بتحليل و تأويله و التأمل فيه في نفس وقت كتابته و كتابه تسلسل تحليلنا له و تركيبنا لمعطياته و نتائجه . إذ يوجد دراسه بالقراءه ، و دراسه بالكتابه ، و دراسه بالمشاهده . أما التي بالقراءه فهي عن طريق قراءه الكتاب و التأمل فيه في حدود نفسك و عقلك . و أما التي بالمشاهده فهي الصله المباشره ، وجوديا و وجدانيا ، بالوضوع أو الذات محل النظر ، و هو أصل العلوم و المعارف كلها ، و إنما الكتب في المحصله تسجيل لهذه المشاهدات بدرجه أو بأخرى ، و كما قال مولانا جلال الدين " العلوم كلما من باطن الإنسان " ، إذ في نهايه المطاف تجميع الحجر عمل إنساني ، و ترتيب الحجر في صوره بيت عمل إنساني كذلك - أخذا بمثال الأستاذ السابق . و أما التي بالكتابه فهي جمع بين القراءه و المشاهده ، مع اضافه تركيز القوه التأمليه على الموضوع و عدم انفاق طاقه النفس في حفظ تسلسل الأفكار و غير ذلك من منافذ للطاقه تشتت الانتباه فتضعفه. و كتابنا هذا هو من هذا الصنف الثالث .

ثالثا ، مسأله العلاقه بين العلم بالشئ و صناعه شئ بناءا على هذا العلم . فإن من أكبر و أسوأ الغفلات بل الاستغفالات التي يرتكبها الكثير جدا من أهل النظر بل و العوام هو عدم التمييز بين المعرفه و الصناعه ، و يظنوا أن مجرد معرفه شئ و القدره على صناعه شئ ، تعني أن جواز أو وجوب صناعه الشئ أصبحت حتميه . و الحق أنه يوجد بينهما برزخ و سور له باب لا ينفتح إلا بشروط ، و هذه الشروط هي ما يتم اغفاله ، و الاستغفال يتم من أجل عدم وضع هذه الشروط تحت المجهر أو المكبر . بالرغم من أن كل إنسان يعلم من نفسه وجود هذا الفرقان بين الأمرين ، و هو يمارس ذلك في حياته بشكل يومي تقريبا . و صوره المسأله هي التالي : فلنفترض أنه قد ثبت أن المنهج الحداثي و رؤيته في التعاطي مع الكون الفيزيائي و باقي فروع هذا العلم و امتداداته ، هو حق و صدق و ثابت ، فبناءاَ على أي رؤيه و منهج سيتم تحديد ما يجوز و يجب عمله أو لا يجوز ؟ بمعنى ، أننا اذا اكتشفنا أن الذره يمكن أن تشطرها فتصنع قنبله مدمره ، هذه معرفه مسلم بها ، و لكن بناءا على أي منهج تم الانتقال من مرحله المعرفه إلى مرحله الصناعه فعلا ؟ إن كان لا يجوز العمل إلا بناءا على منهج " علمي " ، فلابد أن يوجد منهج علمي أيضا ليبرر مرحله الصناعه ، كما وجد منهج علمي ليبرر مرحله المعرفه ، فإن كان منهج المعرفه قد ثبت بالرياضيات و الاستقراء و التجربه و الملاحظه و نحو ذلك من أدوات " دقيقه " ، فعلى أي أساس قام المنهج الذي به تتم الصناعه ؟ و لنسم هذه قضيه الصناعه . و لم نسمها قضيه المعرفه لأن المعرفه إما أن تكون حقا أو باطلا ، و هذا يثبت بطرق خاصه به يمكن تبيينها و الكشف عن مدى قيمتها بوسائل محدده ، و أما الصناعه فهي اختيار انساني لوضع احتمال معين دون آخر محل التنفيذ و التوجيه فهو قضيه أخرى و هي محل البحث الأساسي هنا ، لأن المعرفه الثابته لا ينكرها إلا جاهل معاند ، و لسنا و لا أحد من علماء الشرق - الشرق المعرفي و ليس الجغرافي - من ذلك في شئ إن شاء الله .

فإذن ، عندنا ثلاث قضايا : الدفع و الرفع و الصناعه .

و حيث أن قضيه الصناعه متفرعه على نتائج قضيه الدفع و الرفع مباشره أو غير مباشره كما سيتبين لاحقا بإذن الله ، فندع الكلام فيها حتى يتم الفراغ من الدفع و الرفع ، اللهم إلا ما كان عرضا و إشارات مقتضبه أثناء الحديث عنهما ، فتكون من باب الإعداد و تجهيز الأرضيه للبت في القضيه .

...

أهل الغرب و الصلب

تحليل و دفع دعاوى الغرب الحداثي و الدين الصليبي
في ضوء تاريخ و واقع الأول و َ كتب و تاريخ الثاني

(مقدمه)

سؤال : ماذا تسمي الخنزير الذي يسخر من خبث الطعام الذي يأكله الطاووس أو الأسد ؟ سؤال آخر : ماذا تسمي الخفاش الذي يستهزئ من أعين النسر المحلق باتجاه الشمس و يتهمه بضعف البصر ؟ سؤال أخير : ماذا تسمي الصخره التي تقول عن بقيه الصخور أنها جامده و قاسيه القلب؟

الجواب عن الأول : خنزير يحتاج إلى مرآه .
الجواب عن الثاني : خفاش يحتاج إلى مرآه .
الجواب عن الثالث : صخره تحتاج إلى مرآه .
العامل المشترك بين الثلاثه هو أنهم لا يعرفون قدر أنفسهم ، هذا من جانب ، و من الجانب الآخر لا يعرفون قدر غيرهم ، و من جانب ثالث يرمون غيرهم بما فيهم مثله بل أسوأ منه .

إن الغرب و أهل الصليب في تعاطيهم مع بقيه الناس من أهل الشرق - و أهل الغرب كذلك قبل أن يبيدوهم و يحرقوهم و يمحقوا حضارتهم و تاريخهم بالتزييف و الكذب عليهم - هم على نمط هذا الخنزير و الخفاش و الصخره . و كتابنا هذا هو مرآه متواضعه نضعها أمامهم ، و هو صوره لهم نضعها بين أيدي الطاوس و الأسد و النسر و الصخور المستضعفه التي لا تجد ردّا عليهم .

العامل المشترك بين أهل الغرب - الغرب الفلسفي الحداثي و هو مضمون عمل الأغلبيه من سكان الغرب الجغرافي بل و اعتقادهم - و أهل الصلب ، ضمن عوامل أخرى ، و لكن نقصد العامل المشترك الأبرز ، و لا عجب أن يكون مثل هذا العامل فيهم إذ إنما الغرب ابن عاق لأهل الصلب بعد أن انقلب عليه و سفك دمه و استعمل تراب جثته كأرضيه لبيته ، هذا العامل هو التالي : كل أحد غيرنا ليس على شئ و لا قيمه حقيقيه له . بالرغم من أن هذا الآخر يملك ما يملكونه من حسنات بل أضعافها ، و فيه سيئات أقل من سيئاتهم بكثير ، و لكن كما قلنا هم لا يرون أنفسهم ، و إن رأوها فعندهم من الأعذار و التبريرات إلى ما شاء الله ، و الغالبيه من أعذارهم تقع تحت خانه " عذر أقبح من ذنب " - كما قد نرى لاحقا في الكتاب إن شاء الله . و العامل المشترك الآخر هو - بالمعنى السليم للكلمه : التطرف . و من أمثله التطرف التالي :

أهل الصلب كانوا - قولا على الأقل - يتطرفون ناحيه الروح ، و إن لم يكن عندهم منها فعلا إلا بقدر ما في ريش العصفور من ماء البحر إذا غمسه فيه ، و لكن على الأقل كانوا يتطرفون ناحيه الروح و احتقار الجسد أشد احتقار على مستوى الاعتقاد و على مستوى العمل إلى حد كبير ، و حتى يتمثل احتقارهم للجسد في نفورهم من النظافه ، حتى قال الأستاذ فريدريك نيتشه في كتابه " عدو المشيح " فقره ٢١ : المخبأ و الركن المظلم هما مشيحيان ، هنا يُحتقر الجسد ، و تُرفض مراعاه الصحه

بعدها شهوانيه . الكنيسه تقاوم حتى النظافه (المعيار الأول على المشيحيه بعد طرد المسلمين كان إغلاق الحمامات العامه ، التي كانت قرطبه وحدها تملك منها ٢٧٠ حماما) . المشييحي معنى مؤكد على الفظاظه و القسوه ضد ذاته ، و ضد الآخرين ، و على البغضاء ضد من يفكرون بطريقه مختلفه ، و على إراده الإضطهاد . انتهى . أقول : فهذا الاحتقار المتطرف للجسد ، أدى إلى رد فعل أهل الغرب بعد ذلك ، و هو تطرف إلى الجهه المقابله ، فكان تأليه الجسد الذي هو السمه المميزه للغرب ، بكل معنى تأليه الجسد الذي ينسحب حتى إلى مناهجهم العلميه في النظر للكون و تحليل الأمور .

و كمثال آخر ، أهل الصلب يعظمون الضعفاء و الفقراء المحتقرين و الفئات المنبوذه السخيفه الهمه تعظيما بل يكاد يصل إلى رفعهم إلى أرباب كما يجعلهم بولس رسولهم و القوه و الغنى و العقل و المعرفه مرادفات للشيطنه . فكانت رد الفعل مره أخرى هي إلى التطرف إلى الناحيه المقابله عند أهل الغرب ، و أبرز مثال على المتطرف في هذه الناحيه - و الذي هو عندنا يعتبر أفضل ممثل لأقصا ما يمكن أن تصل إليه الذهنيه الغربيه من رقي بحسب مستواها - أقصد الأستاذ الأكبر فريدريك نيتشه . و لنقتبس اقتباس آخر منه على نمط الاقتباس السابق ، يقول في نفس الكتاب فقره ٥٩ : إننا لنخدع أنفسنا إن اعتقدنا أن قاده الحركه المشيحيه قد نقصهم الفهم ، آه ! كانوا حاذقين ، حاذقين حتى القداسه ، أولئك الساده آباء الكنيسه ! إن ما ينقصهم كان أمرا آخر شديد الاختلاف . الطبيعه لم تكن كريمه معهم و أهملتهم ، نسيت أن تزودهم بهبه متواضعه من فطره تستحق الاحترام ، لائقه ، محتشمه ، نظيفه ... الكلام فيما بيننا : و لا حتى هم رجال... إن الإسلام لدى احتقاره المشيحيه يمتلك ألف مره الحق بأن يفعل ذلك : إن الإسلام يتطلب رجال . انتهى . أقول : إن تقديس الخنوع و الضعف و الذله و " تعليق الإله على الصليب " تطرف إلى اليمين ، و النتيجه الحتميه هي تطرف إلى اليسار عاجلا أم آجلا ، و بدأ هذا التطرف تدريجيا في العصور الوسطى لأوروبا ثم انتهى الأمر بحملات الإستعمار و الإستغلال ، و كان ختم وصولهم إلى التطرف المقابل هو إلقاء قنابل ذريه على هيروشيما و ناغازاكي قُتل و تشوه فيها ملايين من الناس إلى يومنا هذا - و هذه قمه "الحب المشيحي" و إعطاء الخد الآخر من أكبر أمه مشيحيه أي أمريكا . إن تعليق الإله على الصليب مقدمه لتعليق كل من يخالفهم على الصليب . و هذا ما يحدث إلى يومنا هذا على مختلف المستويات . و

مثال آخر ، و هو أن أهل الصلب من حيث احتقارهم لكل من سواهم و إعتبارهم إياه بلا قيمه حقيقيه على أي مستوى لأنه لم يوافقهم في عقيده أو اثنين من عقائدهم - و التي فيها ما فيها بل هم يختلفون فيما بينهم عليها - فإن النتيجه كانت هي إنغلاقهم على الإنتاج الروحي و الفكري و المعنوي و الشعري لكل من سواهم تقريبا . و هذا طبيعي و متوقع ، إذ إن كنا نحن نملك كل ما له قيمه ، فغيرها لا يملك شئ له قيمه ، فلم ننفتح عليه أصلا . و مره أخرى نقتبس من الأستاذ من نفس الكتاب الفقره ٦٠ إذ يقول : لقد حرمتنا المشيحيه من مجاني الحضاره القديمه ، و فيما بعد حرمتنا من ثمار حضاره الإسلام . العالم الغرائبي لحضاره العرب في إسبانيا ، و الذي هو في الأساس

أكثر قربا إلينا من روما و اليونان ، و الذي يتناسب أكثر مع شعورنا و ذوقنا ، قد غُمر ، و لست أقول بأيه أقدام ! لماذا ؟ لأنه صدر ، لأنه دان بمولده لغرائز أرستقراطيه ، لغرائز رجوليه ، لأنه أكّد الحياه بما فيه من الغنى النادر و المُهذب للحياه الأندلسيه . الصليبيون حاربوا في زمن آخر ضد كل أمر كان عليهم أن يرتموا أمامه فوق التراب : حضاره ، تجاهها حتى قرننا التاسع عشر يبدو بالغ الفقر ، بالغ التأخر . طبعا الصليبيون تطلعوا للقيام بتمرد: و الشرق كان غنيا . هلّا نكن غير متحيزين ؟! إذا ، فالصليبيون كانوا قرصنه رفيعه و تطّلعا إلى الغنائم ، لا أكثر ! انتهى . أقول : و لما تطرف الغرب في هذه الناحيه ، و كفروا عمليا و إلى حد كبير نظريا بالمشيحيه ، كانت النتيجه في أمرين : الأول هو العولمه ، و الثاني هو علو الثقافه الغربيه لا غير. أما علو ثقافتهم لا غير فهو استبدال للنمط الصليبي بصوره أخرى مع بقاء الجوهر ، و أما العولمه فهي رد الفعل المبالغ فيه للإنغلاق على كل شئ ، فكانت النتيجه هي الإنفتاح السخيف على كل شئ مع عدم حفظ قيمه شئ ، كمثل رجل كان مسجونا في حفره لمده طويله من الزمن فلما تحرر منها أصبح ينام في الحدائق العامه لعدم رغبته في أي قيد على نفسه .

مثال آخر ، تطرف المه الصليبيه في المستحيلات العقليه أدى إلى تطرف مقابل و هو الذهنويه المغاليه أو " راتيوناليزم " بالانجليزيه . و صور المستحيلات كثيره جدا ، ففي باب الأعداد لا يفرقون بين الواحد و الثلاثه ، و في باب الحروف لا يفرقون بين كون الكلمه " كلمه ! " و بين كونها شخص معين عاش و توفي ، و في باب الهندسه لا يفرقون بين رمزيه الخط الافقي المقطوع من وسطه تماما بخط عمودي حتى يكون رمزا إلى حقائق معينه (كما يشرحه مولانا عبد الواحد رينيه غينون في كتابه "رمزيات الصليب ") و بين كون هذا الصليب الذي يحملونه ليس بتلك الصوره بينما يساوون بينهما في المعنى ، و في باب المراتب يجعلون الأعلى يفدي الأدنى بينما الحق أن الأدنى يفدي الأعلى ، و في باب الإلهيات لا يشاهدون الوحده المطلقه التي لعين الهويه الذاتيه الأحديه و مقتضيات هذه الأحديه و كونها لا يمكن أن تلد أو تولد أو غير ذلك من تفاعلات و ازدواجيات و انحصارات ، و لا يفرقون بين تجلي الذات في طبقه الروح و النفس و الجسم ، و بين الإعتقاد بأن " الإله روح " و الذي يعني حصر تجليه في الروح ، ففضلا عن إستحالته الوجوديه ، فإنه يقتضي بالضروره شيطنه النفس و الجسم - و هو السبب العقدي للإحتقار الذي اشرنا إليه سابقها و إن كان السبب الأقرب هو سوء حظهم و حقدهم الذي ذكره الأستاذ و نقلناه سابقا - و غير ذلك من أمور تشمل لعلها الأبواب كلها من أعلاها إلى أدناها ، و ذلك لا تتعجب بعد ذلك حين يأتي أحد كبارهم و في بدايه تاريخهم ، ترتليان ، و يقول عبارته الشهيره : أؤمن لأنه مستحيل ! و هل بيده غيره ذلك ، و إن كان قد استجار من الرمضاء بالنار - كما تقول العرب . فما هي رده الفعل المتوقعه في هذه الحاله ؟ الجواب: تطرف شديد من أهل الغرب في تعريف " الواقع " ، أو ما يعتبرونه واقع . من تطرف في المستحيل إلى تطرف في الواقع ، هذا هو التاريخ الفكري لأهل الصلب و الغرب .

و مثال آخر، هو مثل الثنائيه الوجوديه . فأهل الصلب يقولون بالقسمه الثنائيه المتطرفه " روح / جسد " ، و نشأ ما نشأ بسبب ذلك من أمور لا تحصى . فلما بدأ التاريخ الفعلي للفكر الغربي بالنشوء على يد - أو دماغ - رينيه ديكارت و أمثاله ، خصوصا ديكارت الذي يعتبر حلقه مهمه جدا تشبه مقطع مفترق الطرق الذي لسكه الحديد و الذي يغير مسار القطار من جهه إلى أخرى ، فإن صاحبنا هذا - و إن كان صليبيا كعقيده و ممارسه إلى حد ما ككثير من أهل الفكر و القياس في بدايه التحول من رؤيه الصلب إلى رؤيه الغرب و منهاجه ، بل لعل صليبيته (ليس العسكريه و لكن الفكريه - بالمعنى الاعتيادي للفكر) هي أحد أهم الأسباب النفسيه لنشوء فكره الآلي الميكانيكي المحتقر فعليا للحياه الأرضيه خصوصا - و ما فوقها بالتبع إذ لا يمكن لأحد أن يحتقر الأرض إلا باحتقار السماء - فإنه قال عبارته المشهوره التي لعله لا يوجد في الفكر الغربي عباره أشهر منها و أكثر تأثيرا : أنا أفكر إذن أنا موجود . و بغض النظر عن الشروحات الكثيره التي لهذه العباره ، فإن أقل ما قامت به أنها اختلقت قسمه ثنائيه جديده و متطرفه هي " فكر / وجود " ، ثم آل الأمر إلى تحويل الطبيعه إلى كمّيات و آليات ميكانيكيه و غير ذلك من أمور سيئه يعرفها أهلها . فإن كان الجسد محتقرا ، فأي مشكله في جعله مجرد "شئ" آلي ميكانيكي تجب " السيطره عليه " كما قال بيكون و هو مؤسس مهم للمنهج " العلمي الحداثي " ، و إستغلاله اقتصاديا و شبه تدمير البيئه بالصناعه الثقيله القبيحه الملوثه للجو و الماء و البحار و قتل الحيوانات و سرطنه الطعام فضلا عن كل الآثار السلبيه - و التي تطغى على الايجابيه - التي خلقتها في الناس ، لا إشكال طبعا .

و نختم بمثال - ليس لقصور الأمثله و لكن حتي ندخل في صلب الكتاب إن شاء الله - و هو العلاقه بين الديني و السياسي . فأهل الصلب - بناءا على تفسيرهم لعباره مخلصهم " اعط ما للإله للإله و ما لقيصر لقيصر " - فرّقوا تفريقا مرضيا بين السلطه الدينيه و السلطه السياسيه ، و جعلوا بينهما حدا شبه قاطع إن لم يكن قاطعا فعلا . و ما هو إلا تطبيق تقريبي آخر لثنائيه " روح / جسد " بالنسبه لمن يعقلون العلاقات بين الأفكار في مختلف تجلياتها . و المهم في مثالنا هذا هو اعتبارهم أن قضايا السياسه و الحكم الأرضي و الشؤون الدوليه من الأمور المغايره للاهتمامات الدينيه تماما . النتيجه ؟ النتيجه أن دين الغرب أصبح دين سياسه ! أصبحت السياسه هي الدين الجديد الذي يعتقنه الجماهير ، و الاهتمامات السياسيه هي المحور و الأساس ، و متابعه أخبارها و التعليق عليها و عقد المناظرات حولها و البحث في " أسرارها " و محاوله وضع " تفسير لتاريخها " و غير ذلك من اهتمامات هي ليست أكثر من تطبيق آخر للقاعده التي ذكرناها بين دين الصلب و دين الغرب أي استبدال الصور و استبقاء الجوهر ، و على العكس تماما أصبح الاهتمام بالروحانيات هو الأمر الهامشي أو " اهتمامات العجائز و الأغبياء " . طبعا نفس القسمه المرضيه قام بها حسب ما يروون مخلصهم حين قال ما معناه " إما أن تعبد الإله أو تعبد المال ، لا يمكن أن تعبد سيدين في وقت واحد " ، و بغض النظر عن تعليقنا على هذه القسمه - اليهوديه من حيث المنشأ النفسي ، فاليهودي وحده و من شابهه من يستطيع أن ينظر إلى المال على أنه بمنزله الإله الأعلى ، فضلا عن

سخف المقارنه لاختلاف الموضوعات و شروطها ، و لا ننسى أن هذا المخلص المدعى هو نفسه كان يتسول المال مع تلاميذه و لم نقرأ إلا أنه كان نجارا في فتره ما و أما بعد ذلك فلا يذكرون إلا صندوق التبرعات الذي كانوا يحملونه ، فلعل عباده الآخرين للمال ثم التبرع به علينا هو "الخلاص" من هذه الثنائيه عند القوم - فالحاصل ، إن ما قامت به قسمه " الإله / المال " هو أيضا جعل الدين في طرف و الاقتصاد في طرف ، مع إسباغ أنواع اللعنات على طرف الاقتصاد و الاهتمام بالكليه تقريبا -نظريا على الأقل- بطرف الإله . النتيجه ؟ أحسب أن القاعده أصبحت واضحه ، فإن النتيجه هي أن أهل الغرب أصبحوا عبيد للمال بأسوأ معنى للكلمه ، لعله حتى وصل إلى مستوى حتى اليهودي المتوسط في التقوى يستحي منه .

و هنا ملاحظه مهمه : لعل بعض من قرأ قولنا في البدايه عن انغلاق أهل الصلب ثم "انفتاح" أهل الغرب ، مع قولنا عن احتقار أهل الغرب لكل ما هو مغاير لهم ، سيسأل " كيف تقول أنهم يحتقرون كل ما سواهم مع كوننا نرى في بلادهم كأمريكا و أوروبا الغربيه خصوصا قبولا لشتى أنواع الأديان و الممارسات الروحيه و الفكريه ؟ " الجواب على هذا التساؤل الذي لم يكن ليصدر ممن يدقق في الأمور هو التالي : إن الغرب لا " يحترم " الأديان ، و لكنه " لا يبالي " بالأديان . و الفرق كبير جدا بين الأمرين . على المستوى الحقيقي القاطع للأمور ، الغرب ليس له دين ، لا صليبي و لا غيره. دين الغرب يتمثل في أمرين - لنستعمل عباراتهم : قيصر و المال ، أي القوه العسكريه و القوه الماليه . فمذهبهم و دينهم العسكري يفرض أمورا معينه ، و هذه الفروض و الواجبات هي التي لا يمكن أن "يتقبلوا" أو "ينفتحوا" على غيرها ، أو " يحترموا الرأي الآخر " فيها ، بل هي من المسلمات التي لا تخضع للنقاش . مثال بسيط : قضيه النووي الإيراني . فإن حصول الجمهوريه الإسلاميه على أسلحه نوويه يعني بروزها كقوه عالميه ، فإذا أضفت القوه المعنويه و الحضاريه و الفكريه و الروحيه التي للمسلمين الإيرانيين ، و هي قوه لا يوجد ما يوازيها في البلاد الأخرى ذات التاريخ "الطفولي" في عمر الحضارات فضلا عن الشعوب الهشه عموما من حيث العقيده و الروحانيه و الصلابه و الشكر للتربيه الغربيه الحديثه بالأخص ، فإذا تدعمت إيران بسلاح نووي فإن قوتها العسكريه و السياسيه ستصل إلى مستوى لا تسمح به ديانه الغرب الحديث ، فلابد أن يكون ثمه "إله و مخلص واحد" في هذه الديانه و هي القوه المسيطره في العالم متمثله في السياسه الغربيه بالأخص ، و لذلك تسعى بكل قوتها إلى منعه ، بالرغم من أنه إذا حملنا المرآه و ناقشنا أمريكا مثلا التي تتصدر المعارضه للمشروع النووي الإيراني ، فإنه يمكن أن يُحتج عليها بأمرين : الأول أنها هي تملك أسلحه نوويه ، و من باب المساواه ينبغي أن لا تُعارض غيرها (هذا مقتضى " المساواه " التي يرفعون رايتها) ، و الثاني وهو الأهم ، إن السبب الذي تعارض به هو خشيتها من استعمال ايران للنووي على الكيان الصهيوني أو غيره ، فالسبب هو استعمال النووي ، و العجيب أن الدوله الوحيده التي استعملت النووي على أعدائها هي أمريكا نفسها حين ضربت اليابان ليس بواحد بل باثنين منهم (و اليابان كلها جزيره لعلها لا تساوي كبر بعض الولايات في أمريكا) . فمن باب " المنطق " إن كان

لهذه الكلمه معنى في دين الغرب ، و ليس لها معنى كما ليس لها معنى في دين الصلب الذي هي وريثته الشرعيه ، فلابد أن لا تعارض أمريكا بالأخص المشروع النووي الإيراني . فهل ثمه حياه لمن تنادي ؟ لا طبعا . فهذا انفتاح الغرب على المختلف السياسي العسكري . أما انفتاحه الاقتصادي فهو أبرز و أقوى ، و يتمثل في التالي : دين الغرب الاقتصادي يتمثل في الرأسماليه ، هذا دينهم بكل ما للدين من معنى عملي ، فهو رؤيه معينه للوجود يتفرع عنها منهج في التعاطي مع هذا الوجود ثم تأتي النتائج كالثمار . فالسؤال الآن بالنسبه للسائل : كيف تعامل الغرب - خصوصا أمريكا - مع من له مذهب اقتصادي مغاير تماما له في المائه سنه الماضيه إلى يومنا هذا ؟ كل من يطلع على تاريخ التعامل هذا سيجد مدى " الانفتاح " الغربي على المخالف له في الدين ، و خصوصا ما عملوه بناءا على مقتضى مذهب الطائفه " الفريدمونيه " نسبه إلى الاقتصادي اليهودي المشهور ملتون فريدمن و مدرسه شيكاغو . اطلع على ما عملوه في أمريكا الجنوبيه ، بولندا ، جنوب افريقيا ، روسيا ، آسيا ، بل في امريكا نفسها ، و طبعا مع يحدث في بلاد العرب لا يخفى . و الذي لا ينضم إلى منظماتهم لا يمكن أن يقبلوه و " ينفتحوا عليه " و يتقبوا الرأي الآخر منه و غير ذلك من خرافات تُقال فقط بالنسبه للأشياء التي لا قيمه فعليه لها . و كذلك الحال أيضا على المستوى العلمي ، فإن منهجهم العلمي الخاص بهم من حيث النشأه و التولد هو " المنهج " و ليس مجرد "منهج" ، سواء كان في التعاطي مع الأمور الطبيعيه الفيزيائيه أو غيرها من مواضيع كالاجتماعيه و النفسانيه و التي حاول أهلها أن يسحبوا ما يستطيعون سحبه من المنهج الفيزيائي ليسبغوا على مناهجهم موضه الزمان أي صبغه " علمي " ، فإن تعصبهم لمنهجهم هذا و رفضهم لاعتباريه ما سواه - على علّاته و قصوره و مسبقاته التي فيها ما فيها - هو أمر أشهر من نار على عَلَم ، بل لعله من أكبر بلايا الزمان و تستطيع أن ترجع إلى كتابنا (نقد المنهج العلمي الحداثي) لتفصيل أكثر بخصوص هذه الفقره إن لم تكن قد حدست معناها من اطلاعك الخاص بمجرد الاشاره إليها .

فالحاصل ، لا يا عزيزي ، الغرب ليس منفتح على أحد من حيث الأمور التي تهمه و تعتبر جوهريه عنده ، أي أصول دينه و شرعه ، أما بالنسبه للأمور الهامشيه عنده - كالأمور التي تسمى " دين " بالمعنى الشائع - فإن التعبير الصحيح هو أنهم لا يبالون بها ، و ليس يحترمونها . الاحترام هو أن تكون أنت حضاره قائما على دين تدعي أنه من الحق سبحانه مثلا ، ثم تسمح بوجود أصحاب أديان أخرى أيضا تدعى أنها من الحق سبحانه و تعتبر دينك باطلا و رسولك دجالا و كتابك تأليفا و تخريفا ، هذا اسمه " قبول الآخر " و يكفي أن أزهى عصور اليهود ، لعلها على الإطلاق من حيث الثبوت التاريخي المجمع عليه ، هو وجودهم في الأندلس ، بل إن عدوى " المشيحانيه " قد ظهرت بعد طردهم منها ، على اعتبار أن هذه مصيبه عظيمه جدا لابد أن يأتي المخلص بعدها ، و ظهر حينها شبتاي زفي و غيره ممن ادعى ذلك فكان ما كان ، فضلا عن أن أعظم فكري شرعي يهودي تكامل في تلك الفتره ممثلا في موشي بن ميمون الذي يقول فيه اليهود " من موشى إلى موشى ، لم يأتي مثل موشى " ، بالإضافه إلى الكابالا و الزوهار الذي يعتبر أهم كتبهم الروحيه أيضا ظهر هناك و

غير ذلك من أمور يعرفها أهلها ، و كذلك متمثلا أيضا في وجود الأقباط الصليبيين إلى يومنا هذا في مصر التي تعاقبت عليها أنواع مختلفه جدا لفرق مختلفه جدا من الدول الإسلاميه و مع ذلك تجد الكنيسه بقر المسجد ، كما هو الحال في حلب أيضا ، و إيران و المغرب ، باختصار من مشرق العالم الإسلامي في عز قوته الأرضيه العسكريه و الماليه إلى مغربه (طبعا الاستثناءا في سوء التعامل موجوده ، و لكنها استثناءات تثبت القاعده ، و في جميع الأحوال لم تصل إلى حد الإباده الجماعيه المفنيه لأمه عن آخرها أو تهجيرها كلها من بلادها ، و وجود القوم إلى اليوم دليل كاف على عدم حدوث ذلك) و مع المجوس و الصابئه و الهندوس و البوديين و الكونفسيوسيين و غيرهم . مع حفظ خصوصيات كل أمه في مستوى معيشتها بناءا على قواعدها و أحكامها الخاصه ، و أما الغرب فعلى هذا المستوى فإنه حشر أنفه القبيح في كل أمه على وجه الأرض ، و أعمل فيها مبضعه حتى لم يبقي على تقليد أمه سليما كما هو ، و لم يدع مجالات لأمه لأن تزدهر في خصوصياتها بعولته السيئه هذه ، كل الأمم و ثقافاتها تعرضت للتشويه بدرجه أو بأخرى بسبب الثقافه الغربيه ، التشويه المباشر و المتعمد و غير ذلك ، و ضمنه طبعا بل مقدمه من تعرض للتشويه هو المله الصليبيه نفسها ، ثم تتابع الأمر بعد ذلك على غيرها . الدوله الراقيه فعلا ، لا أقل بالموازين التي نعرفها و عاشها أسلافنا كالأندلسيه و العثمانيه و الفاطميه، هي دول تنظم المعيشه في المستوى العام و لكنها تترك كل أمه داخل الدوله تنمو و تزدهر و تحيا بحسب مقتضيات خصوصياتها الفكريه و المعنويه و الوجدانيه ، مع كون الجو العام يساعد على الروحانيه و العقلانيه و التفكير و الأدب و الشعر و الشعور بالمقدس و غير ذلك من شؤون بني ءدام حقا . و مجرد بقاء كل هذه الأمم و الملل إلى يوم انحلال الدوله العثمانيه ، آخر دوله إسلاميه بمعنى الكلمه من حيث التاريخ ، كاف لإثبات ذلك أيا كانت الحوادث الجزئيه التي وقعت فعلا فضلا عن الاتهامات الجزافيه التي قد يختلقها من لا خلاق لهم و لا هم يعقلون . و أما في ظل السيطره الحداثيه عموما ، فما هي النتيجه ؟ النتيجه : انقلاب كثير من الناس على تقاليدهم و أصولهم ، استغراق كامل في " الوظيفه " ، و الوظيفه بدل أن كانت وسيله في السابق - و اليوم عند من لم يزل عقلهم في محله - أصبحت هي الغايه و حلت محل الصلاه ، و " الترقي في السلم الوظيفي " أصبح هو الشغل الشاغل ليل نهار ، بدل أن كان " المعراج " عند مختلف الأمم و الترقي السلم المعنوي هو الشغل الشاغل بدرجه أو بأخرى ، و المدن أصبحت سجون حديديه من أقبح ما يكون بالنسبه لمن لم يزل ذوقه حيا ، و العيش في عوالم الكمبيوتر و الألعاب الفارغه سواء رياضيه أو الكترونيه و غير ذلك من تجريديات بالمعنى السفلي للتجريد الذي هو انحلال الكيفيه الصفاتيه و سلطنه الكمّيه العدديه ، هذه المعيشه هي السائده و هي " الحياه اليوميه " كما يسمونها ، و أمثله كثيره جدا على ثمار الشجره الخبيثه التي هي الغرب . و انفتاح الغرب على كل الدول إنما هو انفتاح من أجل أسباب اقتصاديه في الأصل ، فإنه يريد أن يجعل من تلك الدول أسواق لبضائعه ، و عمّال لشركاته ، و الشركه حلّت محل الطائفه و الفرقه - و شعوب مستهلكه كاستهلاك النار للحطب ، و لأسباب سياسيه متعلقه بالسيطره المحضه لا غير .

باختصار ، كما قال تشرتشل ما معناه " ليس للدول إلا الاهتمام بالمصالح " بأسفل معنى للمصالح طبعا لا غير و هو على النمط الذي بيناه .

و جوابنا السابق يجيب أيضا على سؤال كثيرا من يتم طرحه من قبل بعض من الضعاف من الصليبيين و غيرهم و يقولون: كما أننا نسمح لكم أن تفتحوا مساجد في أمريكا و أوروبا و تدعوا إلى دينكم بحريه ، كذلك نريدكم أن تسمحوا لنا أن نفتتح كنائس في كل البلاد العربيه و خصوصا الحجاز و ندعوا إلى ديننا بحريه هناك . فالجواب التكميلي هو التالي : " أنت " لم تسمح لنا بشئ ، و لا " دينك " الذي سمح لنا بشئ ، الذي سمح هو الحكومات الغربيه الحداثيه التي " لا تبالي " بأن يتم افتتاح مسجد أو معبد هندوسي أو كنيسه الشيطان (هذا ليس تهكما ، يوجد فعلا كنيسه بل كنائس مشهوره للشيطان في أمريكا خصوصا و لها دعاه و كتب و مؤلفات و يعلنون عن أمرهم بأريحيه عامه) . ف " أنت " يا من تتكلم باسم من لست منهم في شئ ، لم تتبرع على المسلم و لا الهندوسي و لا البودي و لا عابد الشيطان و لا حتى البروتستانتي كما في عهد الملكه ماري البريطانيه التي فعلت الأفاعيل بهم و لا حتى الكاثوليك في بعض الأماكن الأخرى من بلاد الغرب في أيام كان دينهم الصليبي يعني شئ فعلي بالنسبه لهم ، فمره أخرى " أنت " لم تسمح لأحد بشئ . الذي سمح هم أناس لا يبالون ماذا تفعل طالما أنك لم تخرج على السياسه العامه أو تخالف قانونهم الاجتماعي أو تعارض مذهبهم الاقتصادي إن كنت دوله كما سبق و ذكرنا . هذا أولا . ثانيا، الذي يوازي هذا الانفتاح الذي تذكره هو أن تسمح أوروبا العصور الوسطى في بناء مساجد في باريس و أن يوجد دعاه للإسلام أو أن يذهب الدالي لاما البودي للفاتيكان ، أو أن يذهب أحد الهندوس لأمريكا في بدايه احتلال الاوروبيين لها - طبعا تستطيع أن تعرف الاجابه فقط بالنظر إلى كيفيه معامله الاوربيين الصليبيين المحتلين لأمريكا بالهنود الحمر و سخريتهم من دينهم على أنه وثنيه و استباحه قتل عشرات الملايين منهم بكل أنواع القتل الذي يمكن أن تتصوره ، فضلا عن ذهاب الاسبان الصليبيين لأمريكا الجنوبيه و نهبهم لذهب الانكا و ارتكابهم المجازر التي لا تحصى في الشعوب التي كانت تسكن تلك المناطق ، و غير ذلك من " الانتفاح " الصليبي على الآخرين . بل حسبك أن تنظر ما فعلوه في أنفسهم ، كالمجازر بين الكاثوليك و البروتستانت في أوروبا ، فإن كان هذا هو مدى حريه التعبير الدينيه فيما بينهم ، فتستطيع أن تتنبأ كيف يمكن أن تكون فيما بينهم و بين غيرهم . فإذن ، أيها السائل المحترم ، القواعد التي بنيت عليها سؤالك باطله و أوهام و عدم دقه في ملاحظه الأشياء و عقد المقارنات . هذا أقل ما يقال .

و لنكتفي بضرب الأمثله و الاجابه عن الأسئله في هذا المقام .

العلاقه بين أهل الصلب و الغرب يمكن تلخصيها في أمرين : إستبدال صور مع بقاء الجوهر وَ تطرف إلى الجهه المعاكسه تماما .

و من الذي وقعت فوق رأسه مصيبه هؤلاء الصبيه الغير ناضجين في ميدان الحياه و البسط ، الذين امتلأت قلوبهم بالحقد و الغل على كل من سواهم ؟ الجواب : أهل الشرق و أهل الحياه الموزونه المساله للطبيعه . أهل الشرق كالهند و الصين و اليابان و بلاد المسلمين كلها ، و أهل الحياه الموزونه المساله للطبيعه كالهنود الحمر في أمريكا و القبائل الاستراليه و افريقيا ، هذه القبائل التي عاشت في أماكنها منذ عشرات الآلاف من السنين فلما جاء هؤلاء الغجر البرابره أبادوا معظمهم جسديا و يسعون في إباده البقيه معنويا و ثقافيا و دينيا - و لنا وقفات إن شاء الله مع كل هؤلاء أثناء الكتاب.

و ألطف ما في الموضوع ، أن أهل الصلب و الغرب يرمون كل سيئاتهم على هؤلاء كلهم ، و يدعون أنهم أعلى منهم بسبب أ و ب و ج و د ...الخ إلا أن كل هذه الحروف قائمه فيهم بنحو يساوي بل يربوا على قيامه في هؤلاء . و المصيبه الأكبر هي أن هذه الأمم ، حين يسمع كثير من أهلها ما يلقيه أهل الغرب و الصلب يشعرون فعلا بأنهم قد أجرموا أو أن فيهم نقصا بليغا ، أو أن علاجهم الوحيد هو في الإرتماء في أحضانهم . و أما من خرج من هذه الأمم و يريد أن يدمر و يقتل و يسفك على نفس نمط همجيه من يريد محاربتهم ، فإننا لا نتكلم مع هؤلاء في هذا المقام ، إذ ما يفعله الهمج في بعضهم البعض ليس من شأننا فضلا عن أنهم لن يسمعوا لنا . إنما كلامنا هو مع الصنف الأول فقط . و لعل الصنف الثاني إن وجد حجه قلم بيده لما احتاج أن يستعمل حجه السيف بغير حق .

و لأني أتحدث أولا باسم المسلمين ، فسأركز على قضاياهم كقاعده ، و الإستثناء ما كان غير ذلك . و أهل كل أمه يقومون بقضايا أمتهم . فلنعدد أولا ما هي أهم هذه السيئات التي يرمي بها أهل الغرب و الصلب هذه الأمم ، و خصوصا المسلمين ، ثم ننظر فيها واحده واحده باستثناء ما تم ذكره في المقدمه فتعالوا ننظر .

(القضايا المعروضه)

من أهم النقاط التي يكثر ترادادها و استعمالها هي النقاطه التاليه :

١- الحرب .
٢- العلم .
٣- العصر .
٤- العقيده .
٥- النكاح .
٦- الاختلاف .
٧- حقوق الإنسان .
٨- قيود الشريعه .
٩- حريه التفكير و الاعتقاد .
١٠- الانفتاح على الآخر .
١١- التاريخ .
١٢- التعدديه .
١٣- المساواه .
١٤- التطور و التقدم .
١٥- المشاكل و التبعيه السياسيه و الاقتصاديه و التقنيه .

لنكتفي بهذه المواضيع ، و التي إن ظهر فيها وجه الحق أو تبينت مراتب الأفكار و قيمه الأطروحه المقدمه من كل طرف سيكون تبيين ما سواها مما دونها و أشد خفاءا و استعمالا منها أيسر إن شاء الله . و لنشرع في هذا الباب بذكر صوره المسأله في كل موضوع ، ثم نفرد بابا كل موضوع بإذن الله و نذكر فيه الخلاصه المفيده و فصل الخطاب حتى يكون الكتاب مفتوحا لمختلف طبقات الناس ، إذ ما الفائده من كتابه كتاب لحل أو تبيان حال أفكار منتشره بين الجميع إن لم يكن على صوره تسمح للجميع أو للأغلبيه بالاطلاع عليه ممن له رغبه و قابليه لذلك بالطبع ، فإن عدم وجود القابليه يجعل الماء شوكا .

١- الحرب . يقولون : أنتم أهل الإسلام تحبون الحروب و تكثرون منها ، و في شريعتكم الأمر بالحرب على كل من يخالفكم في دينكم ، و تسعون إلى بسط السيطره على العالم بواسطه الحروب ، فدينكم دين عنف . فإذن ، بحكم كون التهمه لا يجوز أن تصدر على من تصدق عليه نفس التهمه أو تثبت عليه الجريمه - على فرض أنها تهمه و جريمه أصلا و سنرى ذلك لاحقا إن شاء الله - فإن صدور هذه الفكره من قِبل أهل الغرب و الصلب يعني أنهم هم ليسوا أهل حروب ، و لا توسعات ، و لا

تقتضي أفكارهم و قيمهم القيام بذلك ، و لا يسعون أو يتمنون السيطره على العالم . فإذا ثبت كل ذلك في حقهم ، فإنه من باب الدفع و النقض تكون المسأله محسومه ولا نحتاج أن نبيّن وجهه نظرنا كمسلمين - بل تفاصيل وجهات النظر التي قدمها و يحيا بها أهل الإسلام - فإن ذلك يُطلب كأصل في غير معرض الجدال و رد العدوان الفكري ، و إن اضطررنا إلى شئ من ذلك فهو كاستثناء أو زياده تبيين و مقارنه .

٢- العلم . يقولون : أنتم تكرهون العلم ، و تصوراتكم و أفكاركم غير علميه ، و غالبيه شعوبكم من الجهله بالعلم و منهجه الصحيح و تغلب عليهم الخرافه و التفكير الميتافيزيقي و الساذج . و هذا يفترض أن ما يسمونه هم " العلم " هو العلم الوحيد الممكن ، و منهجهم هو المنهج الوحيد الذي ينطبق عليه وصف " المنهج العلمي " الذي يؤدي إلى الخلاص و بلوغ الحقيقه التي كل ما وراءها خرافه إذ " ماذا بعد الحق إلا الضلال " ، و بخصوص هذا الجانب من القضيه نحيل على كتاب مخصص لها إذ ليس ذلك بالأمر الهيّن الذي نريد أن نعالجه دفعا و نقضا بل نريد أن نتأمله بهدوء و تفصيل ، و لذلك راجع كتابنا (نقد المنهج العلمي الحداثي) . و لكن الجانب الآخر هو ما يتعلق بالحاله العقليه لجماهير الشعوب المسلمه ، و هذا يفترض أن جماهير الشعوب الغربيه هم من المحبين للعلم ، و تصوراتهم و أفكارهم علميه ، و يغلب على تفكيرهم و شعورهم و قيمهم الطابع العلمي و التفكيري الطبيعي الموافق لحقيقه الأشياء و الراقي ، فهم جماهير من عشاق العلم و المعرفه ، و من أهل الإخلاص للحقيقه و السعي في طريقها . أظن أن ما ذكرته من قبل من أن مجرد شرح الفكره المقدمه من هؤلاء كاف لتبيان قيمتها و لكن لا بأس ، لنكمل .

٣- العصر . يقولون : نحن اليوم في القرن الواحد و العشرين ، و لهذا العصر قيمه و موازينه و حقائقه التي يجب أن يقبلها الجميع ممن يعيشون في هذا العصر و يتعايشون معه ، و أنتم تعيشون حياه متخلفه و بعقليه متخلفه في القرون الوسطى أو ما وراء ذلك ، و تريدون أن تطبقوا معايير العصور القديمه و ما صلح لذلك الزمان على هذا الزمان . فإذن ، هذا يفترض أن الزمان - الفكره المجرده للزمان و المعايير الاعتباطيه لتعيين رقم القرن الذي يعيش فيه الناس - هو مصدر الحقيقه و القيم و التصورات ، و أيضا أن الزمان خط عمودي له تحت و فوق ، و كلما تم الصعود إلى فوق و ازداد الرقم على المعيار الزمني الذي يشبه المعيار الحراري تتغير الأفكار و القيم و الموازين و يجب اطراح ما كان " تحت " كله و أخذ ما كان " فوق " كله أيا كان ، و الذي لا يفعل ذلك يعتبر "متخلف" و "متخلف" سبه و شتيمه لماذا ؟ هكذا لأنهم قالوا ذلك ، و لأن تصورهم عن الزمان هو حقيقه لا تقبل النقاش و لا يختلف عليها العقلاء . ثم إنهم يحتقرون القرون " الوسطى " و ما أنتجته من أمور ، أو ما قبلها على معيار الزمن الشبيه بالحراري ، لأنها " قديمه " . و هذا يعني أن معيار الحكم على الفكر و القيم و التصورات ليس لأنها حقيقيه أو باطله من حيث موافقتها للواقع الذي تتحدث عنه ، و لا لأنها نافعه أو ضاره للناس و اللبيئه في عاجل الناس أو آجلهم أو كلاهما ، بل معيار الحكم على

الأفكار هو كونها " قديمه أو حديثه " فما كان قديما يُفترض ضمنا أنه باطل و ضار ، و ما كان حديثا يفترض ضمنا أنه حق و نافع ، أو لا أقل أن وصفه لذلك أقرب إلى واقع الأشياء . و على ذلك يوجد شئ عندهم اسمه " واقع الأشياء " و " حقيقه الأشياء " و " إمكانيه الفصل بين الحق و الباطل و النافع و الضار بناءا على معايير موضوعيه خارجه عن رؤيه الإنسان الذاتيه و إشباعاته النفسيه " إذ إن ما يرفضونه من أمور " متخلفه " هو حق و نافع عن الشعوب الهندوسيه مرورا بالاسلاميه و وصولا إلى الأمريكيه الهنديه و المكسيكيه - قبل أن يذبحوهم و يستولوا على بلادهم و يبيدوا خضراءهم. فكونهم يحكمون على ذلك كله بأنه باطل و ضار ضمنيا أو علنيا حيث أنه "قديم" فهذا يعني أنهم لا يبالون بالذات ، و إنما بالموضوع ، و يفترضون أن الموضوع هو الكاشف الوحيد عن مدى حقانيه و نفعيه الشئ أو الفكره ، و حيث أنهم يعتبرون أن ما عندهم هو " حديث " النشأه ، فهذا يعني أنه بالتبع حقيقي و نافع و له وحده حق البقاء و القيام ، إذ كل ما عداه يدخل في خانه "قديم" . و هذه الاطروحه هي أقوى اطروحاتهم و أكثرها استعمالا . بالمناسبه ، أقصد ب "أقوى" اطروحاتهم ، من حيث رؤيتهم هم ، و لكن في واقع الأمر هي أيضا تدخل من الأمور التي يكفي شرحها بهدوء لتظهر قيمتها الفعليه ، أي أن لا قيمه لها . و لكن على كل حال ، لننظر في باقي المواضيع .

٤- العقيده . هذه متعلقه بأهل الصلب تحديدا ، يقولون : أنتم - و هذه تشمل كل عقيده غير صليبيه - على عقيده باطله لا تؤدي إلى الخلاص ، لأنكم لا تعتقدون بأن يسوع المسيح صُلب بتقدير إلهي منحه من الإله من شده حبّه للعالم فوهبهم ابنه الوحيد ليتم صلبه من أجل مسح خطايا العالم ، و بدون ذلك الاعتقاد لا خلاص ، فأنتم كلكم على باطل ، و بالأخص أنتم أيها المسلمون الذين تتبعون رجلا دجالا كذابا شهوانيا سفاكا للدماء مهرطقا مبتدعا فأنتم في حكم عبده الشيطان و أنتم تتبعون الشريعه التي وضعها عنّا يسوع المسيح و تعقتدون أن أعمالكم تبرركم و تنقذكم و لا تعرفون أن الانقاذ و الخلاص هو في النعمه فقط و ليس بالشريعه و العمل بأحكامها فأنتم مثل اليهود الفريسيين الذي لم يتبعوا المخلص لاهتمامهم بالأحكام و القوانين الدينيه . ثم أنتم أيها الهندوس الذين تعبدون الأوثان و الأصنام و لا تعتقدون بالإله الواحد ، و أنتم أيها البوديون أيضا ضلال و كفار لاعتقادكم أن بودا هو مخلصكم و معلمكم و ليس يسوع المخلص الوحيد للعالم ، و كذلك أنتم أيها اليهود الذين جاءكم مخلصكم فرفضتموه و صلبتموه ، و كذلك أنتم أيها الهنود الحمر في أمريكا الذين تعبدون الطبيعه الميته و مظاهر الطبيعه و تؤلهونها ، و كذلك لكل أديان العالم غير دين و طريق يسوع المخلص كلكم أصحاب عقيده باطله ، و من لا يعتقد منكم بأن يسوع المسيح اليهودي الذي جاء قبل نحو ٢٠٠٠ سنه و تم صلبه من أجل خلاص العالم من الخطيئه الأصليه و يعتبره مخلصا شخصيا له و يتوجه له بالدعاء و الصلاه باسمه و يترك كل ما سوى ذلك ، فإن مصيره سيكون الهلاك في النار الأبديه . فإذن ، بعباره واحده تلخص كل ما سبق : عندنا عقيده واحده متعلقه برجل و حدث تاريخي و تفسير عقدي لهذا الحدث ، هي الخلاص الوحيد للإنسان في كل زمان و مكان ، فكل من

كان بعد ذلك و لم يعتقد بها فهو هالك و لا قيمه له . و هنا يوجد افتراضات : منها أن إله العالم يحب العالم جدا . فهذه مقدمه مهمه . و منها أن محور الخلاص هو رجل معين بذاته و شخصه لا غير ، و هذا الرجل غير موجود في هذا العالم طبعا اليوم بل يوجد من يشكك في وجوده بالأمس من الغربيين أنفسهم و لكن مع الاقرار بأصل الوجود التاريخي ، فإن هذا يعني جعل التاريخ ذا قيمه خلاصيه و ضروريه ، إذ إن كان موضوع الخلاص تاريخي - بمعنى أنه حدث و فني و لم يبق له وجود مستمر- فهذا يعني أن أحداث التاريخ يجب أن يتم وضعها في قيمه عاليه و شبه مطلقه ، إذ لو سقطت قيمه الأحداث الماضيه من حيث هي ماضيه أو ضعفت ، فإن هذا يعني بالضروره سقوط قيمه "ذلك" الحدث التاريخي أي صلب رجل يهودي معين من قِبل الرومان قبل ٢٠٠٠ سنه . ثم تفترض الأطروحه أن " التفسير " الذي يقدمونه لحصول الصلب المذكور - على فرض ثبوته - إنما هو تفسير واحد لا غير ، و لا يحتمل أن يكون في الحقيقه إلا واحدا ، و هذا التفسير هو " تكفير خطايا العالم " ، و أما قولنا أنه لا يحتمل إلا أن يكون واحدا ، فإنما قلنا حتى نوفق بين مقدمه أن " الإله يحب هذا العالم جدا " و الناس طبعا من هذا العالم ، و بين الاعتقاد بأن الإله يمكن أن يحرق مليارات من البشر على عقيده معينه ليس لها الظهور المطلق أو الشبه مطلق بل و لا الشبه يقيني بل و لا أضعف احتمالات الظن و التخمين بل عين الباطل الذي يوجد عند بقيه الناس ما هو - على أقل تقدير - مثله في الحسن بل أعظم منه بمراحل فلكيه على مر القرون ما قبل هذه الحادثه المدعاه بتفسيرها أو ما بعدها . فأما أن تقول أن الإله يحب العالم فجعل محور الخلاص هو قضيه شديده الخفاء بل من أهلها أنفسهم من يختلفون فيها و يمكن أن ننظر في نفس الكتب التي يعتبرونها فنُظهر أن الرجل المذكور نفسه لم يقدم هذه العقيده بهذه الصوره أو ذكر ما يمكن أن ينقضها من أساسها أو جعل المحوريه في قضيه أخرى أوضح و ألصق بمختلف أنواع الناس حيثما كانوا و يمكن للنخب العاقله من كل أمه أن تقر بها بل هم يقرون بها فعلا و يعملون على أساسها خير من أهل الصلب أنفسهم أو على أقل تقدير و مع التنزلات يعملون بها مثلهم . و هذا يتفرض أيضا - حيث أن الحادثه التاريخيه فنيت و لم يبق إلا ما تذكره روايات بعض الناس عنها - أن الكتب التي تحكي هذه القصه هي كتب موثوق بها ، و مدى يقينيه هذه الكتب و ثبوتها يجب أن يكون بمستوى اليقين المطلوب بالحدث الذي تحكيه أو لا أقل قريب منه ، إذ لا يمكن للظن أن يكون الباب الضروري لليقين ، لا يولد اليقين إلا اليقين أو على الأقل قريب من اليقين . ثم الشق الآخر من القضيه هو التفسير ، فيجب أن يكون التفسير المقدم لها من قِبل أهلها هو أيضا تفسير متفق عليه بينهم أو توافق عليه الأكثريه الواعيه منهم حتى نستطيع أن ننظر فيه بجديه ، ثم يجب كذلك أن تكون هي القضيه الوحيده التي يفرزون بها الناجي من الهالك فيما بينهم ، كما يقدمون للناس ذلك ، إذ لو وجدنا مثلا أن فرق متعدده عندهم كلها تعتقد بالصلب و تفسيره الخلاصي ثم مع ذلك نجدهم يكفرون بعضهم و يذبحون بعضهم على قضايا عقديه أخرى ينبغي أن تكون دون الصلب في الأهميه فإن هذا يجعلنا نشك إن كانوا فعلا يعتقدون أن للصلب هذه الأهميه ، اللهم إلا لو ثبت أن التكفير و الذبح كان بسبب قضايا سياسيه بحته تم استغلال الدين في

سبيلها ، فعندها الإنصاف لا يبيح لنا أن نستغل أهل السياسه لنقض عقيده تهم أهل العقيده . فهذه بعض الأفكار العامه و ننظر في الباب المختص إن شاء الله في تفاصيل الأطروحه .

٥- النكاح . يقولون : أنتم أيها المسلمون تعشقون النكاح و النساء ، و عندكم إباحيه فيها ، و تجيزون نكاح البنات الصغيرات في السن و نبيكم المزعوم نكح بنت عمرها لا يتجاوز التاسعه فهو مصاب بمرض " البدوفيليا " أي التحرش بالصغيرات ، و تبيحون نكاح أربع نساء و ما لا حد له من الإماء ، و كبار أصحاب نبيكم كلهم كانوا أصحاب تعدد زوجات . فأنتم عشاق للجنس و هذا دليل أنكم دين دنيوي و ليس دين روحاني راقي . هذه الأطروحه ينبغي أن نفصلها إلى قسمين رئيسيين. قسم يفترض أنها صدرت من أهل الغرب . و قسم يفترض أنها صدرت من أهل الصلب . لأن الجواب عن كل قسم سيكون بحسب حال و مقتضيات و ضرورات هذا القسم . فمثلا لا فائده من إجابه أهل الغرب عن كون الإسلام دين دنيوي أو روحاني ، لأن الغرب لا دين له أصلا بهذا الاعتبار و لو لا يبالي به فعليا ، و من يبالي به منهم فإنما هو معدود من أهل الصلب كأصل حتى و إن كان غربيا و حداثيا في شؤونه العمليه و بعض النظريه و لكن اطروحته هذه نابعه حتما من كونه صليبيا و ليس غربيا ، و ذلك لأن الغرب هو أكثر مجتمع عرفه التاريخ من حيث الإباحيه و الدعاره و النياكه التي لا تعرف ضابطا تقريبا و كل رجل يستطيع أن ينيك أي رجل أو امرأه بشرط أن يبلغ السن القانونيه التي هي سن يحددونها اعتباطا بثمانيه عشر ، و قد يحدث نيك فيما دون ذلك و لكن بين الصغار فيما بينهم أو فيما يعتبرونه جريمه قانونيه تم الاتفاق على كونها جريمه بناءا على معايير لا نعرف بالفعل ما هو موجبها و لكن هم يتفقون عليها و قننوها فهي حقيقه قانونيه بغض النظر عن مصدر ذلك فلسفيا أو عقديا أو وجوديا أو طبيعيا أو أي شئ آخر . و بعض الأمور مشتركه بينهم مثل قضيه تعدد الزوجات أو عمر المرأه التي يجوز تزوجها ، فإن الغرب و لسبب غريب يعتبر أن التعدديه خطيئه. فالحاصل سنقسم جوابنا لكل فقره من الأطروحه بحسب ما يناسب أهل الغرب و أهل الصلب إن شاء الله . و ندع ذكر تحليل الاطروحه و تفكيكها و تبيين افتراضاتها و قيمتها لحينه بإذن الله .

٦- الاختلاف . يقولون : أنتم المسلمون مختلفون فيما بينكم ، فأي إسلام تريدون أن ندخل فيه أهو إسلام الشيعه أو إسلام السنه أو إسلام الخوارج ، أم إسلام الشيعه الاثنا عشريه أو الاسماعيليه أو الزيديه ، أم إسلام السنه الأشاعره أو الماتريديه أو السلفيه أو السنه الأحناف أو المالكيه أو الشافعيه أو الحنابله أو الظاهريه ، أي إسلام تدعوننا إليه و أنتم بينكم كل هذا الاختلاف و التفرق و التشرذم. فالقضيه هنا هي الكلام عن " ما هو الإسلام " . و كإجابه مختصره نقول : "الإسلام" هو ما يجعلكم تتوجهوا إلى كل هذه الفرق بقولكم " أنتم المسلمون " ! ثم إن هذه الاطروحه لا قيمه لها إلا إن صدرت من أهل الغرب ، لأن الاختلافات بين أهل الصلب هي مما لا يستطيع إلا الله أن يحصيه كثره و تشرذما فلا يحق لهم أصلا أن يذكروه . و هو يفترض أن الغرب هو شئ واحد من كل الجهات و أن سكان البلاد الغربيه هم أيضا وحده متماسكه في الفلسفه و القيم و السلوك و الاهداف ، و أن قولهم

" تطوروا " أو " تقدموا " على النمط الغربي يجب أن يكون شيئا واحدا لاخلاف ظاهري أو باطني فيه . إذ لو لم يكن الأمر كذلك فلما حق لهم أيضا كأهل الصلب أن يتحدثوا عن الاختلاف بين أهل المبدأ المشترك الواحد كسبب للطعن عليه بأنه لا يمكن الدخول فيه أو اعتباره من أي جهه . هل تبينت لك قيمه الأطروحه ؟

٧- حقوق الإنسان . يقولون : نحن نرعى حقوق الإنسان و أنتم لا تراعونها . و التأمل في هذه القضيه هو على مستويات ، مستوى التنظير و مستوى التفعيل على مستوى العشوب و مستوى التفعيل على مستوى الحكومات . أما مستوى التنظير فهو النظر في نفس هذه الأشياء التي يسمونها " حقوق الإنسان " و إلى هذه التسميه المتبجحه التي تفترض أنها وحدها التي عرفت ما هو الإنسان و ما هي حقوقه ، فتستعمل هذا كوسيله لاعتبار كل من يراعي ذلك على أنه يعامل الناس بحقوق الحيوان مثلا أو شئ من هذا القبيل ، بل إنه يفترض أن غيرهم من الأمم - و هذه أطروحه أهل الغرب فإن أهل الصلب ليسوا منها في شئ - لم يعينوا حقوقا للإنسان و يراعوها . و أما التفعيل على مستوى الشعوب ، فهو النظر إلى نفس هذه الحقوق و مدى اعتقاد و اهتمام أهل الشرق بها ثم مقارنتها بأهل الغرب مع أخذ أمثله بارزه من هذه الحقوق كالمساواه من حيث العنصريه أو نحو ذلك مما يميز الشعوب و ليس مما يوجد باشتراك بينها فيه مما نتفق معهم في أنه من حقوق الإنسان و ليس مما نختلف فيه ، فهو من باب إلزامهم بما ألزموا به أنفسهم و رفعوا لوائه لتدعيم دعوى تفوقهم . و أما التفعيل على مستوى الحكومات ، و هو المقصود الأبرز حين يتم الحديث عن حقوق الإنسان و عدم مراعاه أهل الشرق لها ، فإن هذا يفترض افتراضا خطيرا و كثيرا ما يتم اغفاله عمدا غالبا و سهوا أحيانا ، و هو الافتراض القائل أن الحكومات العربيه مثلا هي حكومات "عربيه" بكل معنى الكلمه أو "اسلاميه" اختارتها الشعوب المسلمه بناءا على قيمها و اعتباراتها الدينيه ، ثم لما وصلت هذه الحكومات إلى السلطه بهذا الطريق لم تراعي "حقوق الإنسان" ، و بذلك فقط يكون للأطروحه قيمه فعليه ، إذ إن عرفنا أن هذه الحكومات كلها أو بعضها لم تقم بناءا على إراده شعوبها أولا ، ثم لم تقم بمقتضى التقاليد و القيم التي تفرضها رؤيه و قيم هذه الشعوب ثانيا ، ثم إنها أصلا قامت بدعم من القوى الغربيه - و هذه النقطه الأهم - و بمساندتها في مشاريعها الدوليه و رغباتها في تحويل نفسيه و سلوكيه الشعوب المحليه ثالثا ، فإن هذه الأطروحه تشبه فرضا أن تدعم أمريكا حزب هتلر النازي أو موسوليني الشيوعي ثم تقول للشعوب الألمانيه و الإيطاليه : أنتم شعوب ساقطه عن الاعتبار لأن حكوماتكم لا تراعي حقوق الإنسان ! و مع كون دعم الغرب لهتلر و موسيليني فرضا خياليا ، إلا أن دعمه لأشباه هؤلاء في الشرق هو واقع فعلي . فينشرون الوباء بين الناس ثم يقولون لهم : ابتعدوا عنا يا من لا تراعون شروط الصحه ! أليس هذا سر نشرهم للوباء أصلا .

٨- قيود الشريعه . يقولون : شريعتكم فيها قيود على حريه الإنسان و نحن نريد تخليص الناس من القيود و دعم الحريات الفرديه ، فشريعتكم ضد الحريه الفرديه . هذا قد يصدر من أهل الصلب الذين يدعون بأن حادثه الصلب قد رفعت عنهم وجوب الالتزام بالشرائع ، و قد يصدر من أهل الغرب الذين يرفضون كل الشرائع الدينيه التقليديه . و ينبغي أن ننظر للأمر على هذا التقسيم إذ جواب الأول ليس كجواب الثاني . و لكن اللطيف في الأمر أن أهل الصلب - في قضيه النكاح مثلا - يلومون أهل الشرع على التعدديه و على سن الزواج أو غير ذلك من " أحكام شرعيه " ، بينما ما يطرحونه هم يقتضي الاباحيه بكل معنى الكلمه أي أن كل عمل شرعي يستوي مع العمل الآخر ، و بالتالي تدخل اختياراتنا كمسلمين في ضمن هذه الاباحيه . فإن لم يكن للشرع من حيث هو قيمه ، حسنا ، فإن اختيار نكاح امرأه واحده يستوي في القيمه مع اختيار نكاح ألف امراه ، و يستوي مع عدم النكاح بالمره ، طبعا و يستوي مع اللواط و السحاق و نيك البهائم أيضا إذ ما لماذا تضعون الشرائع على الناس و قد حررهم منها الصليب ، فليكن الأمر كما قال شاعرنا أبو نواس : نيك كل ما يمشي على قدمين ! و لم يكون قتل يسوعكم جرما على من قتله إذن أو قتل من قتل سلفكم من الرومان جرما ، إذ "لا تقتل" من الشريعه ، أم يا ترى الشريعه التي تهونها شريعه واجبه و التي لا تهواها أنفسكم شريعه مطروحه - كالسبت و الختان الذي ساوم فيه رسولكم بولس غير اليهود ليدخلهم في ملته مع أن يسوعكم كان يحافظ على السبت من حيث المبدأ و كان مختونا ككل يهودي حتما ؟ إن كان الصليب أسقط الشرع لأنه " حرف و الحرف يقتل " و " الشرع و العمل لا يبرر " كما هو صريح و مقتضى كلامكم ، جيد جدا ، إذن من حيث المبدأ سقط الجميع فأبيح الجميع . فلا حجه لكم . و أما أهل الغرب فإن هذا يفترض أمرين ، أنه لا يوجد عندهم أي قيود فرديه و اجتماعيه و قانونيه بالمره ، فكل شئ جائز الفعل ، و هذا باطل على المستوى الفردي و الاجتماعي و القانوني عندهم ، و إما أن يقولوا أن هذه القيود يختارها الفرد لنفسه و على نفسه و لا تُفرض عليه من الخارج من غيره ، و هذا أيضا باطل لأنه ليس كل فرد في البلاد الغربيه وافق على كل قانون بل يجب عليه أن يلتزم بالنظام العام ، و ليس كل فرد وافق على الأعراف الاجتماعيه التي ينبغي حفظها بشكل عام و ما تحويه المؤسسات الاجتماعيه كالتعليم و الوظائف و البناء و اللبس و غير ذلك من أمور يجدها جاهزه و مفروضه تلقائيا عليه بحكم النظام المسيطر و الحكم العام ، و أما على المستوى الفردي فإنه كل فرد مسلم يلتزم بالأحكام الشرعيه طوعا في نفسه من حيث أنه مسلم ، و العصاه كثر من أول عهد الصحابه إلى يومنا هذا و لا يوجد هذا الإلزام الفاشي الذي يتصورونه . ثم إنكم تقولون أننا دين إباحي مختلف ! فما بال الإباحيه هناك و القيود هنا ، أو أننا اهل اختلاف هناك و اهل توحد واحد شامل قاهر للجميع هنا . و هذه من الأمثله على أن القوم يستعملون مَثَلا خبيثا و هو : العيار إذا لم يصيب يدوش . أي اتهام الغير و إن لم يكن صحيحا فإن له أثرا مزعجا و فاعلا ، فاتهم خصمك بأي شئ و بكل شئ و من بين كل هذه الاتهامات لابد و أن يصيب بعضها و إن أخطأ الكل ، أو ستسبب إزعاجا و تشكيكا للبعض و إن كانت التهم كلها باطله .

٩- حريه التفكير و الاعتقاد . يقولون : أنتم لا تملكون حريه التفكير و الاعتقاد و نحن نملكها .

١٠- الانفتاح على الآخر . يقولون : نحن منفتحون على العالم كله و نقبل دراسه و تعلم أفكار كل أحد و نقبل في بلادنا أناس من كل الجنسيات بلا تمييز ديني آو جنسي أو عرقي .

١١- التاريخ . يقولون : تاريخنا مشرف أكثر من تاريخكم .

١٢- التعدديه . يقولون : نحن نحترم التعدديه بينما أنتم تقدسون التوحديه .

١٣- المساواه . يقولون : نحن نعتقد بالمساواه بين الناس بينما أنتم تعتقدون بالطبقيه و الامتيازات .

١٤- التطور و التقديم . يقولون : عندنا التكنولوجيا و التطور كله بينما أنتم عاله على العالم في ذلك كله ، تستهلكون و لا تنتجون .

١٥- المشاكل و التبعيه السياسيه و الاقتصاديه و التقنيه . يقولون : بلادنا آفضل من بلادكم في كل هذه الأمور الثلاثه ، و أنتم تعتمدون علينا في صلاح آحوالكم في هذه الثلاثه .

هذه هي باختصار و نبذه بسيطه عن نوعيه النقاش الذي سيدور في ثنايا هذا الكتاب قد قدمنا منها عينات للتذوق ، فمن كان محبا و أهلا للإكمال ، فليدخل معنا ، و تعالوا ننظر .

...

١- (الحرب و القتل)

يكاد كل كلام حول الإسلام في هذا الزمان ينحصر في مسألتين : القتل و النيك . و الفكره المطروحه أنه عندنا نوع من الإباحه في كلاهما . و سندع مسأله النيك لباب لاحق ، و ننظر فقط في مسأله القتل هنا .

القتل إما أن يكون داخليا أو خارجيا . داخليا كالعقوبات الحكوميه التي تتم على أفراد الشعب داخل المنظمه أو الدوله أو الجماعه . و خارجيا كالحروب سواء كانت دفاعيه أو هجوميه و كعمليات الاغتيال و حرب العصابات و ما يُعرف اليوم تحت مصطلح " الإرهاب " .

معرفه مدى إباحه أي فرد أو جماعه أو دوله للقتل و شروطها فيه يمكن أن نرده إلى ثلاث مصادر : النصوص و التاريخ و الحاضر . أما النصوص فبغض النظر عن مصدرها البشري أو المتعالي أو اعتقاد أهلها فيها ، فهو كأن ننظر في الكتب أو المراجع أو الدستور أو القوانين التفصيليه التي يعمل بها و ينفذها صاحبها ، و هي حجه على صاحبها قبل أن تكون حجه على غيره . و أما التاريخ ، فهو أن ننظر في التطبيق العملي لمضمون هذه النصوص أو الانحراف عنها و لكن الصادر من قبل من يفترض أن يكونوا من المحافظين على النصوص ، و حتى يصح الاحتجاج بواقعه تاريخيه ما يجب أن يتم الاتفاق على وقوعها من قبل من تنسب إليه أو إلى جماعته فإنه إن لم يقر بها فهو في حكم العدم عنده و بالتالي لا تعتبر مؤثره فيه فلا يمكن أن نستنبط منها أنه يقر بمضمونها و الذي يعكس نفسيته و عقليته الحاليه و نظام قيمه ، و بالطبع المقصود من إنكاره لها هو الإنكار المبني على حجج فعليه و ليس التهرب من مضمونها الثابت بحسب ما تثبت به الوقائع التاريخيه سواء حدثت قبل عشره آلاف سنه أو قبل عشره أيام . و أما الحاضر فهو النظر إلى الوضع الحالي للقوم أو الدوله في العالم السياسي و ما يقوم به .
و إذا تأملنا في هذه الثلاثه سنجد أن ترتيب قوّتها هو الحاضر ثم التاريخ ثم النصوص . و السبب هو التالي : النصوص قد يقع الاختلاف في تفسيرها ، و ليس كل أحد مؤهل للنظر في النصوص تأهيلا كاملا ، و قد يكون للنصوص نظام خاص يعرفه أهله و ليس كل مكتوب فيها يكون معمولا به بحسب ما يظهر للقارئ الساذج ، و هذه العقبات لا تنفي الاحتجاج بالنصوص بالمطلق و لكنها تضعف قوه الاحتجاج بها و لا شك بين الأطراف المتخاصمه . و أما التاريخ ، ففي إشكال الثبوت و إشكال الأسباب ، فإشكال الثبوت من اسمه هو كيفيه اثبات وقوع الحادثه فعلا ، فإن ثبتت دخلنا في إشكاليه الأسباب أي ما هي الأسباب الفعليه التي جعلت الحادثه تقع ، فقد نرى في التاريخ مثلا أن دوله هجمت على دوله فذبحت عشره آلاف من سكانها ، و قد تثبت الحادثه بما يفيد الاطمئنان بقبولها ، و لكن قد يخفى علينا أن سبب هذه المذبحه كان أن أفراد من الدوله التي ذُبح أهلها قد هجم بعضهم على قرى نائيه للدوله الذابحه و ذبحوا بدورهم آلاف من الأبرياء و اغتصبوا مئات من النساء

و الولدان ، فكانت المذبحه انتقاما عادلا و نحو ذلك من أسباب ، فالحوادث التاريخيه كالحوادث الفرديه التي تقوم بها أنت أيها القارئ قد يكون لها أسباب تبررها أو على الأقل تذهب عنها الهاله الظلاميه الفوضويه ، و إذا ظهر السبب بطل العجب ، و لأن التاريخ فيه إشكاليه الثبوت و إشكاليه الأسباب فإنه يضعف ، و إن كان الاحتجاج على خصم بما يقر هو بثبوته و أسبابه هو احتجاج سليم من باب إلزامه بما ألزم به نفسه ، ثم إذا نظرنا إلى بعض الحوادث " التاريخيه " التي حدثت في زماننا هذا ، و التي شاهدها معظم أهل الأرض تقريبا كالغزو الأمريكي للعراق أو اغتيال الرئيس الأمريكي جون كنيدي - فالحادثه ثابته بالصوت و الصوره - فإن معرفه الأسباب الفعليه لهذه الحوادث و غيرها هو أمر غامض و فيه كثير من التكهنات ، هذا و الأمر موثق بالصوت و الصوره و الشهود أحياء بل الذين عملوا العمل أحياء بيننا - لا أقل أحياء بدنيا - فإن كان هذا هو الحال في حوادث تقع في زماننا فوقوع الغموض و الاختلاف في ما وقع قبل قرن أو عشره قرون أو ألف قرن هو أشد غموضا أو لا أقل أن فيه عنصر الغموض الذي يضعف من حجّيته . و لهذا السبب فإن الحاله الحاضره للأمم و الأقوام و الدول و الفرق و الطوائف هي أكبر حجه عليهم و لهم . و أما تقديم التاريخ على النصوص ، فله سبب آخر و هو أن بني البشر لهم عاده راسخه مشهوره في مخالفه مقتضى النصوص التي يؤمنون بها و يعلنون انتماؤهم إليها ، و حيث أننا نتكلم عن القتل و هو فعل بدني مشاهد فإن صوت الفعل أعلى من صوت القول ، فتكون له الحجّيه من باب أولويه الفعل على القول . و إنما ذكرنا هذا الترتيب من باب الترجيح حين تتعارض الأدله القادمه من هذه المصادر الثلاثه ، و لملاحظه العقبات أمام كل مصدر ، مع كون الكل حجّه في نفسه في الدلاله ، بشرط أن تبقى الدلاله في حدود الحجّه ، و لا يتم استنباط أمور من الهواء و نسبتها إلى المصدر أو الشطط في الاستنباط من المصدر .

فالآن ، من هم أصحاب الدعوى ؟ هم أهل الغرب و أهل الصلب . فإن نظرنا في أهل الغرب ، فإن حاضرهم مشاهد ، و تاريخهم مدوّن ، و نصوصهم هي دساتيرهم و قوانينهم و فيما يتعلق بالقتل فإن القوانين التي يمكن النظر إليها لرؤيه موقفهم من العقوبات البدنيه هي القوانين الجنائيه للداخل و المعاهدات الدوليه بالأخص للخارج . و إن نظرنا في أهل الصلب ، فإنهم من حيث الحاضر لا دوله لهم و إنما هم أفراد و جماعات ، و تاريخهم مدوّن ، و نصوصهم هي الكتب الدينيه الرئيسيه ممثله في ما يسمونه بالعهد القديم الذي هو كتاب اليهود العبرانيين ، و ما يسمونه بالعهد الجديد و هو الكتب الأربعه من متّى إلى يوحنا و رسائل بولس و ما سوى ذلك من كتب فيه . و حيث أنهم يعتبرون كتاب العهد القديم كتاب إلهي المصدر و يقرّون بصحته و يسوعهم يقرّ بصحته و يعترف بأنه كتاب إلهي بل إن أصل دعواهم هي أن يسوعهم هو مصداق النبؤات التي يدعون وجودها في العهد القديم ككتب التعليم الخمسه و تاريخ الملوك و القضاه و المزامير و نحو ذلك ، فإنه لا يمكن أن ينكروا صحه مضمون هذا الكتاب و هم لا ينكرونه و لكنهم عموما يقولون أن الحجّيه الأساسيه هي لعهدهم الجديد، و هنا ينبغي ملاحظه أمرين : أولا كل ما ورد في العهد القديم هو حجّه عليهم في أن ربهم

قد عمله أو أذن فيه أو أن رجال ربهم و رسله قد قاموا به إن كان منسوبها إليهم ، و الحجه في تبيان معاني هذا الكتاب ترجع إلى أهل التفسير من اليهود الذين هم أصحاب الكتاب كأصل و هم حجّه على الجميع في ذلك فإن الذي يعتقد بأنه قد أنزل عليه الكتاب و لا يزال يقر به أولى به ممن يعترف بإنزاله و ينكر استمراريه حجّيته ، و ثانيا و هم الأهم فإن يسوعهم لم تكن له دوله و قدره على القتل و سلطه لذلك حتى يُقال - كما يقول السطحيون - أنه رجل مسالم ، فإن هذا كنسبه العفّه إلى رجل عنّين مخصي بل مقطوع الذكر بالكليه ، فأي كلام عن سلام الرجل أو تلاميذه بل كل أتباعه لمده ثلاثمائه سنه من تاريخهم هو كلام فارغ لا حجّه فيه على سلام أو عنف ، بينما قد تُستعمل النصوص في تلك الكتب للدلاله على الفكر و القيم الظاهره لأصحابها فيما يتعلق بمسأله العنف و القتل و العقوبه البدنيه على الذات أو على الآخرين ، و بما يمكن أن يُستنبط من هذه استنباطا معقولا مقبولا . فالقتل الذي في العهد القديم حجّه عليهم ، و السلام الذي في العهد الجديد ليس حجّه لهم - على فرض وجوده على مستوى النص التعليمي . و أما تاريخ الدوله الرومانيه من بعد قسطنطين الذي دخل في أهل الصلب و كل ما بعد ذلك حتى نهايه دولتهم في أوروبا و أمريكا و حلول عهد أهل الغرب الحداثي - باستثناء ما يصدر باسم التعاليم الصليبيه في الغرب - كله يعتبر " تاريخ " لهم ، لهم جماله و عليهم قبحه ، طبعا إلا لو أرادوا التخلي عن الاحتجاج به بسبب قبحه أو بسب عدم اعترافهم بالسلطات الحكوميه التي قامت باسمه أو لأي سبب آخر ، فإنه عندها لا يجوز لهم الاحتجاج على الآخرين بأعمال دول تاريخيه لا يقرون هم أعمالها أو لا يقرون أصل مشروعيتها من قبيل الاحتجاج على كثير من المسلمين ببعض جرائم الدوله الأمويه التي يقرون بأصل مشروعيتها و لكنهم ينكرون هذه الجرائم التي وقعت على المسلمين قبل غيرهم ، أو كالاحتجاج على الشيعه بأعمال الدوله العباسيه أو العثمانيه التي ينكرون أصل مشروعيتها كسلطه معبره عن الإسلام و المسلمين ، فليس للشيعه أن ينسبوا لأنفسهم جمال الدوله العثمانيه و لهم أن ينكروا نسبه قبحها لهم ، و قل مثل ذلك في البقيه و قس على ذلك .

ملاحظه : في اقتباساتنا من كتب أهل الصلب ، سوف نقوم بأمرين : الأول هو الاعتماد على الترجمه العربيه الصادره عن دار المشرق بيروت ٢٠٠٧ للعهد القديم ، و جمعيه الكتاب المقدس بيروت ٢٠٠٧ للعهد الجديد و المزامير . و التفاسير سنذكرها في محلها إن اقتبسنا منها . و الثاني هو عدم استعمال اسم " الله " و لا أسماء الأنبياء القرءانيين التي أقحموها في كتبهم ، و لا أسماء الكتب ، و الذي فعلوه من أجل ترويج كتبهم بين المسلمين على أنها مصاديق الأسماء القرءانيه ، و على كل حال حيث أنهم ينكرون القرءآن فلا داعي لهم لاستعمال أسماءه و " ترجمته " بزعمهم . فمثلا "الله" سنكتبها "الإله" ، و "ابراهيم" سنكتبها " ابراهام " و و لن نركز على هذا كثيرا و لكننا نقوم به من باب الفرقان بين القرءان و غيره .

...

فإذن ، لنبدأ بجواب أهل الصلب . و لنبدأ بمصدر النص . و لنبدأ بما يسمونه العهد القديم . و لنبدأ بأول كتاب من هذا العهد القديم .

١/ (تكوين ١٤/١٢) يذكر فيه أن جماعه من الملوك أسروا لوت ابن أخ ابرام العبراني ، و هاك النص { فلما سمع أبرام أن أخاه قد أُسر ، **جنّد رجاله المدرّبين** المولودين في بيته ، و عددهم ثلاث مئه و ثمانيه عشر ، و جدّ إثرهم حتى دان . **و تفرّق عليهم ليلا هو و رجاله ، فضربهم ، و تعقّبهم** حتى حوبه التي في شمال دمشق . فاسترجع جميع الأموال و اسردّ لوتا أخاه و أمواله و النساء و القوم" ثم في فقره (١٩) يقول " كاهن الإله " المسمى "ملكيصادق" في بركته لأبرام بعد هذه الحمله " على أبرام بركه الإله العلي ، خالق السموات و الأرض ، **و تبارك الإله العلي ، الذي أسلم أعدائك إلى يديك** } .

أقول : فإذن القتال جائز ، و النصر على الأعداء في القتال من دواعي البركه الإلهيه ، و الهجوم على الأعداء في الليل جائز ، و تعقّب الفار من القتال جائز ، و التدرب على القتال جائز . باختصار ، تكوين جيش و الحرب ، و إن كانت في هذه الحاله هي حرب دفاعيه لرد عدوان وقع فعلا .

٢/ (تكوين ٣٤ /١) و هذه مذبحه مهمه جدا فتأملها . و الواقعه هي أن دينه ابنه ياكوف أبو قبيله اليهود التي ينسبون أنفسهم له ، خرجت ترى بنات البلد في مدينه شكيم التي بأرض كنعان التي نزلوا بها ، فرآها شكيم رئيس البلد فأخذها { و ضاجعها و اغتصبها . و تعلّقت نفسه بدينه بنت ياكوف و أحب هذه الفتاه و خاطب قلبها . و كلّم شكيم حمور أباه قائلا : خذ لي هذه الفتيه زوجه. و سمع ياكوف أن شكيم قد دنّس دينه ابنته ، و كان بنوه مع ماشيته في البريه ، فسكت حتى رجعوا. فحرج حمور أبو شكيم إلى ياكوف ليخاطبه . و جاء بنو ياكوف من الحقل ، و لما سمعوا بالأمر شقّ على القوم و غضبوا جدا ، لأن شكيم صنع فاحشه في يسرال ، إذ ضاجع ابنه ياكوف . و مثل ذلك لا يُصنع . فتكلّم حمور معهم قائلا : إن شكيم ابني قد تعلّقت نفسه بابنتكم ، فأعطوه إياها زوجه ، و صاهرونا ، فأعطونا بناتكم و اتخذوا بناتنا ، و أقيموا معنا ، و هذه الأرض أمامكم ، أقيموا فيها و حولوا و تملّكوا . و قال شكيم لأبيها و إخوتها : أنالُ حظوه في عيونكم ، و ما يطلبونه منّي أعطيه ، أكثروا عليّ المهر و العطيه جدا ، فأعطيكم كما تطلبون منى ، و أعطوني الفتاه زوجه . فأجاب بنو ياكوف شكيم و حمور أباه و كلّموهما بمكر لأن شكيم دنّس دينه أختهم ، و قالوا لهما : لا نستطيع أن نصنع هذا ، أن نعطي أختنا لرجل أقلف ، لأنه عار عندنا ، و لا نوافقكم على ذلك إلا إذا صرتم مثلنا بأن يُختن كل ذكر منكم ، فنعطيكم بناتنا و نتخذ بناتكم و نقيم عندكم و نصير شعبا واحدا ، و إن لم تسمعوا لنا و لم تختتنوا ، نأخذ ابنتنا و نمضي . فحسن كلامهم في عيني حمور و شكيم ابنه. و لم يلبث الفتى أن صنع ذلك ، لأنه كان مشغوفا بابنه ياكوف ، و كان هو أوجه أهل بيت أبيه كلهم } ثم اقترحوا على أهل المدينه كلهم قضيه الختان و أن يصيروا شعبا واحدا { فسمع لحمور و شكيم ابنه كل من خرج من باب مدينته و اختتن كل ذكر منهم } .

أقول : إلى الآن ، الذي نراه هو وقوع عمليه مضاجعه و اغتصاب لامرأه واحده من هذه القبيله ، ثم إظهار أهلها - بمكر ، و سنرى ما هذا المكر - أنهم قد صالحوهم بشروط ، إذ كان الولد فعلا مشغوفا بالبنت و لم يغتصبها لنزوه جنسيه فقط ، اللهم إلا أنه استعجل في شأنه و هي جريمه و لاشك ، و لكنه ذهب مع أبيه إلى أهل البنت فأظهروا لهم السلام و اقترحوا عليهم التعايش و تقاسم ملكهم معهم ، و أظهروا حسن نيتهم بما لا مزيد عليه و هو أن يختتنوا فعلا كبارهم و صغارهم و هذا تصديق عملي لحسن النيه . فما الذي حدث بعد ذلك ؟

{ و كان في اليوم الثالث و هم متألمون } أي الشعب الذي اختتن متألم بسبب الختان { أن ابني ياكوف ، شمعون و لاوي } لاوي هذا الذي ستكون ذريته هم من الخواص و رجال دينهم بعد ذلك فتأمل { أخوي دينه ، أخذا كل واحد سيفه ، و دخلا المدينه آمنين ، **فقتلا كل ذكر ، و حمور و شكيم ابنه قتلاهما بحد السيف** ، و أخذا دينه من بيت شكيم و خرجا . ثم دخل بنو ياكوف على القتلى و **سلبوا ما في المدينه بسبب تدنيس أختهم . و أخذوا غنمهم و بقرهم و حميرهم و كل ما في المدينه و ما في الحقل . و سبوا كل ثروتهم و جميع أطفالهم و نسائهم و سلبوا كل ما في البيوت** }

أقول : لاحظ أن الحادثه و سببها مذكورين في النص . فالسبب هو { تدنيس أختهم } . فمجرد وقوع عمليه اغتصاب امرأه واحده ، و لا ندري حتى من النص لعلها وافقت على العمليه إذ لم يذكر النص كلامها هي و لكن لنفرض أنها فعلا تم اغتصابها قهرا كما يدّعي النص ، فإن هذه الجريمه البشعه من شكيم ، اقتضت جزاءا و هو حادثه القتل و النهب و السبي " لكل أهل المدينه " من غير الرجال . و لكن هذا عمل اثنين من إخوه البنت دينه ، فماذا قال أبوهم ياكوف و ماذا قال إلههم تعليقا على هذه المذبحه و النهب و السبي العام ؟

أما جواب الأب فهو { فقال ياكوف لشمعون و لاوي : قد جلبتما الشقاء عليّ و سودتما وجهي عند أهل البلد من كنعانيين و فرزيين ، و أنا نفر معدود ، فيجتمعون علي و يضربونني فأهلك أنا و أهل بيتي }

أما جواب إلههم فهو { ثم قال الإله لياكوف : قم فاصعد إلى بيت إيل و أقم هناك و اصنع مذبحا للإله الذي تراءى لك عند هربك من وجه عيسو أخيك } ففعل ياكوف ذلك ، ثم كانت النتيجه أن {فحل رعب الإله على المدن التي حولهم فلم يُطارد أهلها بني ياكوف } و شئ آخر ذُكر بعد ذلك هو {فباركه} انتهى !

أقول : هكذا انتهت القصه . الأب إنما غضب لأنه خشي على نفسه و أهله من انتقام الذين ذبحوهم . و لا هو علّق على جريمه القتل ، و لا على رد المسروقات و السبايا من الأطفال و النساء . و لا ربه و إلهه علّق على ذلك كله ، بل رضي بمذبح أقاموه له ثم أحل الرعب على الآخرين حتى لا ينتقموا للمجزره و النهب و السبي الذي فعلوه . ثم باركه و استمرت الحياه بسلام ، و طبعا أبقوا معهم المسروقات من المواشي و السبي من الأطفال و النساء . فبناءا على ذلك ، إن اغتصب أحد من

اليهود امرأه من أمه أخرى ، فضلا عن قتلها ، أو أحد من الصليبيين ، فإن الجزاء العادل لهم حسب كتبهم هو أن يُقتل كل رجالهم ، بمكر و غدر أو بغير ذلك ، و تُسبى كل نسائهم و أطفالهم ، و تُنهب كل أموالهم و مقتنيات بيوتهم ، بحد السيف أو أي سلاح آخر مثله .

٣/ (الخروج ١٥ /٣) يقول موشي رئيس دينهم و نبيهم الأكبر عن ربه { **الرب رجل حرب** } .

٤/ (الخروج ١٧ / ٨) يذكر هنا محاربه العمالقه ليشرائيل مع موشي في رفيديم . {فقال موشى ليشوع : اختر لنا رجالا و **أخرج لمحاربه العمالقه** } ثم كانت النتيجه حسب ما يذكرونه { فهزم يشوع عماليق و قومه بحد السيف . **و قال الرب لموشي : اكتب هذا ذكرا في كتاب** } .
أقول : و هنا شاهد آخر على وقوع حرب و استعمال سيف ، و قبول ربهم لها و نصرهم فيها و اعتبارها بركه إلهيه .

٥/ (الخروج ٢٣/ ٢٠) يذكر هنا تعاليم من ربهم خلاصتها أنه يعدهم إن عملوا أعمالا معينه أنه سينصرهم في كل غزواتهم و فتوحاتهم ، بملائكته و رعبه الذي سيرسله على الشعوب التي يسعى إلى أخذ أراضيها .

٦/ (الخروج ٣٢/ ٢٧) و هي حين عبد القوم العجل الذهبي فقال لهم موشي { كذا قال الرب إله يسرال : ليتقلّد كل واحد سيفه ، و اذهبوا و ارجعوا من باب إلى باب في المخيّم ، و **ليقتل الواحد أخاه و الآخر صاحبه و قريبه .** ففعل بنو لاوي كما أمر موشى ، فسقط من الشعب في ذلك اليوم **نحو ثلاثه آلاف رجل** . و قال موشى : لقد وقفتم اليوم أنفسكم للرب ، كل واحد لقاء ابنه و أخيه ، **ليعطيكم اليوم بركه** }

٧/ (العدد ١٣ / ١) و فيه ذكر بعث " استطلاع " أي جواسيس بالتعبير الأدق ، لينظروا في أرض كنعان و هذا هو الإرشاد من زعيم القوم موشى للقبائل { اصعدوا من النقب ، تصعدون من الجبل فتروا الأرض كيف هي ، و الشعب المقيم بها أقوي هو أم ضعيف ، أقليل هو أم كثير ..و ما المدن التي هو ساكنها أمخيمات أم حصون ..فصعدوا و استطلعوا الأرض } .
أقول : فإذن هنا إقرار بأن الأرض كان عليها سكّان ، و الكتب اليهوديه على طول الخط تقر بأنه على أرض كنعان سكان ، و لذلك يسمونها أرض "كنعان" ! ، فهم أهل الأرض ، و مع ذلك و بدعواهم أن الأرض لهم أباحوا لأنفسهم قتال أهلها و الهجوم عليهم ابتداءا لأخذ أرضهم . و أجازوا التجسس عليها لمعرفه تفاصيلها . ثم يذكرون أن ربهم غضب عليهم حين لم يستجيبوا لأمره لهم بالهجوم عليهم و أخذ الأرض منهم قهرا بالطبع . فالغزو الابتدائي جائز ، و التجسس على الأراضي و الأهالي الذين لم يقوموا بأي عمل ضدهم جائز ، و سلب الأرض من أهلها بدعوى ملكيتهم الدينيه لها جائز. و

بالتالي يحق عليهم مثل ذلك ، أي إذا كانوا هم في أرض و غزاهم غيرهم بالقهر و الدعاوى الدينيه ليسلبهم إياها قهرا .

٨/ (العدد ١٥ / ٣٢) يقول { و لما كان بنو يسرال في البريه ، وجدوا رجلا يجمع حطبا في يوم السبت . فقاده الذين وجدوه يجمع حطبا إلى موشي و آهرون و كل الجماعه . فوضعوه تحت الحراسه لأنه لم يتبيّن ما يُصنع به . فقال الرب لموشى : يُقتل الرجل قتلا ، ترجمه بالحجاره الجماعه كلها في خارج المخيّم . فأخرجته الجماعه كلها إلى خارج المخيّم ، و رجموه بالحجاره فمات ، كما أمر الرب موشى }
أقول : هذه قصه لطيفه لمن يتكلم عن رجم الناس بالحجاره ، و قتلهم تعذيبا بهذه الصوره أو ما يشابهها و التي تجمع بين المذله المعنويه العلنيه و العذاب المادي و القتل .

٩ / (العدد ٢١/ ١) يقول و تأمل ذلك { و سمع الكنعاني ملك عراد المقيم بالنقب أن يسرال قد جاء على طريق أتاريم فقاتله و أسر منه أسرى . فنذر يسرال نذرا للرب و قال : إن أسلمت هؤلاء القوم إلى يدي لأحرمن مدنهم . فسمع الرب صوت يسرال ، و أسلم إليه الكنعانيين ، فحرّمهم و مدنهم ، فسمي ذلك المكان حرمه } .
أقول : لاحظ أن الذي قاتلهم هو الكنعاني ، و هم يريدون الاستيلاء على أرض كنعان بالقتل و الحرب أيضا . ثم و لو فرضنا عدم ذلك ، فإن العقوبه التي نذر القوم أن يوقعوها بعدوهم ، و استجاب لهم ربهم فيها بعد أن سمع صوتهم ، هي تحريم مدنهم كلها . و التحريم هنا يعني الذبح العام . كما سيتبين في نص قادم أوضح من هذا في مضمون التحريم .

١٠/ (العدد ٢١/ ٢١) يقول أن القوم طلبوا من أحد الملوك { دعني أمرّ بأرضك ، و نحن لا نميل إلى حقل و لا كرم و لا نشرب ماءا بئر و إنما نسير في طريق الملك إلى أن نعبر حدودك } فلما رفض الملك و حق له أن يرفض حين يسمع وعدا من أمثال هؤلاء الذي يمكرون و يغدرون كما سبق ، فإن النتيجه كانت أن الملك خرج عليهم بجيشه { فضربه يسرال بحد السيف ، وورث أرضه ..و أخذ يسرال جميع هذه المدن ، فسكنوا في جميع مدن الأموريين في حشبون و جميع توابعها } .
أقول : هنا أيضا حرب ، و سلب أرض ، و سكنى فيها . فإما أنهم قتلوا كل النساء و الأطفال بعد قتل الرجال في الجيش و ذهابهم للسكن في المدن ، أو أنهم أخذوهم لأنفسهم ، النص لم يحدد فندع الافتراض و إن كنا نستطيع أن نقوم به بعدل و لكن لنلتزم الواضحات المنصوص عليها .

١١/ (العدد ٢٥/ ١) و هذه القصه هي أن القوم وصلوا إلى منطقه تسمى بشطّيم خارج حدود مدينه خاف ملكها منهم لأنهم عسكروا على حدوده ، { و أخذ الشعب) أي يسرال (يزني مع بنات موآب ، فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن ، فأكل الشعب و سجد لآلهتهن و تعلّق يسرال ببعل فغور ،

فاستشاط غضب الرب على يسرال . فقال الرب لموشى : خذ معك جميع زعماء الشعب و اشنقهم للرب أمام الشمس ، فينصرف اضطرام غضب الرب عن يسرال . فقال موشى للقضاه : اقتلوا كل واحد من تعلّق من قومه ببعل فغور . فإذا رجل من بني يسرال قد أقبل و قدّم إلى إخوته تلك المرأه المدينيه على عيني موشى و عيون كل جماعه بني يسرال ، و هم يبكون عند باب خيمه الموعد . فلما رأي فنحاس بن آلعازار بن آهارون الكاهن قام من وسط الجماعه و أخذ رمحا في يده و دخل وراء الرجل اليشرائيلي إلى المخدع ، **فطعنهما كليهما الرجل اليشرائيلي و المرأه في بطنها** ، فكفّت الضربه عن بني يسرال ، و كان الذين ماتوا بالضربه أربعه و عشرين ألفا . و كلم الرب موشى قائلا : إن فنحاس ابن العازار بن آهارون الكاهن قد صرف سخطي عن بني يسرال بغيره كغيرتي فيما بينهم حتى لا أفني بني يسرال بغيرتي ، فلذلك قل : هاءنذا معطيه عهد سلامي فيكون له و لنسله من بعده عهد كهنوت أبدي جزاء غيرته لإلهه و تكفيره عن بني يسرال } فهذا جزاء القاتل أي البركه الأبديه له و لنسله ، و جزاء الرجل اليشرائيلي و المرأه هو الطعن بالرمح ، فما هو جزاء قوم المرأه ؟

يقول { و كلم الرب موشى قائلا : ضيّقوا على المدينيين و اضربوهم ، لأنهم ضّيقوا عليكم بمكرهم الذي مكروه فيكم في أمر فغور و أمر كزبي بنت زعيم مدين أختهم التي قُتلت يوم الضربه لما جرى في فغور } .

أقول : فإذن لعدم قدره بعض الرجال من القوم أن يحفظوا فروجهم ، و رد مكر المدينيين الذين يريدون اتقاء شرهم و معسكرهم خارج مدينتهم ، كان الجزاء هو تضييق الحصار عليهم و ضربهم . \

/١٢ (العدد ٣١ / ١) و هذا أهم نص و حادثه في كل ما ذكرناه . و اللطيف أن عنوان هذا الفصل حسب المترجم هو " الحرب المقدسه ضد مدين " . فما هو مضمون النص ؟

{ و كلّم الرب موشى قائلا : انتقم انتقام بني يسرال من المدينيين ، و بعد ذلك تنضم إلى أجدادك} و الانتقام هو من أجل قضيه الزنا و عباده آلهتهم التي ذكرناها في الفقره السابقه . و هذا الانتقام هو آخر الأعمال التي كُلّف بها موشى كما يبدو من قول ربه في هذا النص .

{ فكلّم موشى الشعب قائلا : ليجهّز بعضكم أنفسهم للقتال و ليخرجوا إلى مدين ليحلّوا بهم انتقام الرب . و من كل سبط من أسباط يسرال تُرسلون ألفا إلى القتال } و هذا واضح . فاستجاب القوم و خرجوا للقتال .

{ **فقاتلوا مدين كما أمر الرب موشي ، و قتلوا كل ذكر ، و قتلوا أيضا زياده على قتلاهم ملوك مدين و هم خمسه ...و أما بلعام بن بعور فقتلوه بالسيف ، و سبى بنو يسرال نساء مدين و أطفالهم ، و غنموا جميع بهائمهم و مواشيهم و أموالهم ، و أحرقوا بالنار جميع مدنهم مع مساكنهم و مخيّماتهم، و أخذوا الغنيمه كلها و النهب من بشر و بهائم** } أيضا مثال آخر على الذبح الرجال ، و سبي النساء و الأطفال ، و نهب الأموال ، و لكن الإضافه هنا هي حرق المدن مع المساكن و المخيّمات . و لا أظن أنه يوجد أسوأ من هذا في مسائل

القتل و الحرب ، أليس كذلك ؟ الجواب هو كلا ، كان موشى رسول ربهم إليهم يريد أمرا آخر ، فما هو هذا الأمر الآخر ؟

{ و أتوا إلى موشى و ألعازار الكاهن و جماعه بني يسرال بالأسرى و النهب و الغنميه إلى المخيّم في عربه موآب التي على أردن أريحا . فخرج موسى و ألعازار الكاهن و كل رؤساء الجماعه لملاقاتهم إلى خارج المخيّم . **فغضب موشي على ضباط الجيش** } لماذا غضب ؟ لعله بسبب هذه المجزره و التدمير الذي قاموا به أم ماذا ؟

{ فغضب موشى على ضبّاط الجيش ، أي رؤساء الألوف و رؤساء المئات القادمين من قتال الحرب. و قال لهم موشى : **هل استبقيتم الإناث كلّهن ؟ إن هؤلاء هن اللواتي حملن بني يسرال ، بمشوره بلعام ، على أن يخونوا الرب في أمر فغور ، فحلّت الضربه في جماعه الرب ، و الآن فاقتلوا كل ذكر من الأطفال ، و اقتلوا كل امرأه عرفت مضاجعه رجل ، و أما إناث الأطفال اللواتي لم يعرفن مضاجعه الرجال فاستبقوهن لكم** }

قبل أن نذكر بعض الأمور الواضحه التي في هذا النص ، ينبغي لنا أن نذكر عدد هؤلاء كلهم ، إذ لعل القتلى كانوا قلّه فالأمر قد - مجرد قد - يهون ، فقتل طفل واحد أهون من قتل مائه طفل ، فهل ذكروا أعدادهم ؟ الجواب : نعم ، و هذه هي الإحصائيه .

{ الغنم ٧٥،٦٠٠ / البقر ٧٢،٠٠٠ / الحمير ٧١،٠٠٠ / النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعه الرجال ٣٢،٠٠٠ اثنين و ثلاثين ألفا) .

أقول : أولا لاحظ أن الحادثه مذكوره بتفصيل ، فركن الثبوت متحقق بإقرارهم في كتابهم الأقدس . و ركن السبب أيضا مذكور و هو بنص موشي و ربه هو أمر فغور المتعلق بمضاجعه نسائهم و عباده آلهتهم و الأكل من ذبائحهم ، و كل هذا تم طوعا من الذين قاموا به ، و لكن المسؤوليه حلّت على "كل" أهل النساء رجالا و أطفالا و نساءا و أموالا .

ثانيا ، لاحظ أن ضباط الجيش الذي ذبحوا كل ذكر ، غضب عليهم موشى لأنهم استبقوا الإناث كلهن و كان المفترض أن لا يقوموا بذلك ، لأن النساء كانوا السبب في ما حدث في فغور ، طبعا ليس "هؤلاء" النسوه ، و لكن تحمّل هؤلاء عاقبه ما قام به أولئك .

ثالثا ، العقوبه الأولى كانت { اقتلوا كل ذكر من الأطفال } و تستطيع أن تتخيل عدد هؤلاء الأطفال ، حين يكون الموازي لهم من الفتيات الأبكار هو اثنين و ثلاثين ألفا !! لعلك لم تقرأ الرقم ، ٣٢ ألف ، ليس اثنين و ثلاثين فردا ، بل اثنين و ثلاثين ألف إنسان . فعلى أقل تقدير يكون عدد الأطفال الذكور هو ١٥ ألفا لنقل أنهم نصف الفتيات . الذبح الإرادي المباشر لخمسه عشر ألف طفل ذكر ، كعقوبه لا دخل لهم فيها من قريب أو بعيد .

العقوبه الثانيه كانت { اقتلوا كل امرأه عرفت مضاجعه الرجال } و هنا ملاحظتين : أولا عدد الذين ذبحوهم لابد أنه يبلغ على أقل تقدير بضعه آلاف . و ثانيا كيف عرفوا أن هذه المرأه ضاجعت أم لم تُضاجع الرجال !؟ يوجد طريقين لا ثالث لهما ، إما أنهم سألوا النساء ، و حينها لابد أنهم سيكذبون

جميعا تقريبا ، و هذا غير محتمل فعليا ، و الطريق الآخر هو إدخال الأصابع في فروجهن للفحص ! و يكونوا قد فحصوا الإناث كلهن ، الذين يبلغ عدد من لم يعرف مضاجعه الرجال منهن ٣٢ ألف فتاه .
العقوبه الثالثه كانت { و أما إناث الأطفال اللواتي لم يعرفن مضاجعه الرجال ، فاستبقوهن لكم } أي خذوا الأبكار ، و اقتلوا الثيبات المستعملات .
بعد هذه الحادثه و النص ، إن تجرأ يهودي أو صليبي أن يفتح فمه بكلمه على المسلمين أو غيرهم في شأن القتال و الحرب و السبي و النهب - أو تفتيش فروج النساء لمعرفه إن ضاجعن الرجال أم لا - فإنه يستحق أن تبصق في وجهه و تحثو التراب في فمه .
و من الجيّد أيضا أن نذكر بعض تعليقات أهم اثنين من مفسري كتب التعاليم اليهوديه الخمسه ، و هم المفسر موشي بن نخمان المعروف برامبان (و الترجمه لي من تفسيره المترجم إلى اللغه الانجليزيه) ، و المفسر راشي (و الترجمه أيضا لي من تفسيره المترجم إلى اللغه الانجليزيه) .

أما رامبان . فيقول أن الرب أعطى موشى الشرف بأن ينفذ الانتقام ، حتى يفرح الصالحون بانتقام الرب . و يقول - كما توقعنا - أن أهل مدين كانوا شعب كبير . و أن الضباط و الجنود الذين خرجوا في هذه الحمله كانوا المعروفين بأنهم رجال صالحون أخيار في قومهم . و أن موشى توقع بأنه بمجرد أمره لهم بأن ينفذوا انتقام الرب أنهم " لن يدعوا أحدا يهرب " و هو نفس الانتقام الذي تم على امالك و على الأمم السبعه لكنعان . و أن موشى توقع أن يقتلوا كل النساء مباشره بحكم الانتقام الإلهي و بحكم أن التوره تقول في حكم عام أن كل ما يتسبب في الخطيئه يجب أن يُقتل " يجب أن تذبح الوحش " . و لكن عندما رأى موشى أن الشعب أراد أن يستبقي الغنائم سمح لهم بأن يستبقوا الأطفال الإناث و الغنيمه . و يذكر قاعده أن الرب هو المتحكم في مصير المعارك . و يذكر آن قتل الأطفال الذكور كانت إتماما للانتقام الإلهي .

إما راشي . فيذكر قاعده حين يفسّر معنى " انتقام الرب " ، فقال : كل من يُعارض يسرال فهو كالذي يعارض الواحد القدوس أي الرب . و هو لا يعلّق على قتل كل ذكر من الرجال . و يبرر قتل كل الملوك الخمسه بأنهم كلهم شاركوا في المؤامره (يقصد مؤامره إضلال بني يسرال التي وقعت في فغور) . و يذكر أيضا أن الجنود الذي ذهبوا هم من الصالحين و الأخيار . و يعلّق على معنى قتل كل أنثى ضاجعت الرجال فيقول " كل امرأه قادره على المضاجعه ، حتى لو لم تمارسه فعلا " و يذكر رأيا عجيبا في كيفيه معرفه من كانت كذلك ممن لم تكن كذلك فقال أنهم مرروا النساء أمام صفيحه معينه ، و المرأه القادره على المضاجعه يتحول وجهها إلى اللون الأخضر ! (لعل إشارات المرور أُخذت فكرتها من هنا) . فعلى تفسيره تنتفي فرضيه الأصابع و الفحص المباشر عن البكوريه ، و تصبح كل أنثى بالغه قادره على المضاجعه ، و في تلك الأزمنه كان الأمر يبدأ من عمر يقارب

العاشره يزيد أو ينقص ، فالأمر سيّان ، و لا ندري من أين أتى بفرضيه إشاره المرور المذكوره ، و لكنه ذكرها على كل حال و هو أعلم بكتابه منّا . فالحاصل كما تراه .

١٣/ (المزامير ١٣٧ / ١) و هو مزمور مهم جدا يتلوه اليهود كثيرا في مناسبات متكرره ، و يتغنى به حتى أهل الصلب ، و هذا هو المزمور الذي ينسب إلى الملك داويد المهم جدا عندهم { على أنهار بابل هناك جلسنا بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون . على الصفصاف في وسطها علّقنا أعوادنا . لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمه ، و معذبونا سألونا فرحا قائلين : رنّموا لنا ترنيمات صهيون . كيف نرنّم ترنيمه الرب في أرض غريبه . إن نسيتك يا أورشليم تنسني يميني . ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك ، إن لم أفضّل أورشليم على أعظم فرحي . اذكر يا رب لبني أدوم يوم أورشليم القائلين : هدّوا هدّوا حتى إلى أساسها . يا بنت بابل المخربه ، طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا . طوبى لمن يُمسك أطفالك و يضرب بهم الصخره ! }
أقول : أولا فيه مجازه السيئه بمثلها في قوله و طوبى للمجازي و هو قوله { طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا } . و ثانيا - و هو الأهم - قوله في الطوبى الثانيه - و أظن بعد الفقرات التي ذكرناها في هذا الباب لا نتعجب من مضمونها - يقول الملك " الروحاني " هذا { طوبى لمن يُمسك أطفالك و يضرب بهم الصخره } . و الذي يستطيع أن يذبح آلاف الأطفال بسبب زنى كم امرأه مع بعض رجال قبيلته ، فإن ضرب أطفال بالصخور بعد أن - حسب المقابله المذكوره - قد قام أهل هؤلاء الأطفال بضرب أطفال قبيلته بالصخور - إن فعلوا ذلك .

١٤/ العقوبات الجنائيه في تعاليم التوره العبريه اليهوديه ، التي يقول يسوع أهل الصلب أنها كتاب إلهي ، و يقول أن " الخلاص من عند اليهود " ، و يلعن من ينقض حرفا واحدا من هذا الكتاب اليهودي . فما هي أنواع العقوبات أولا ، و ما هي الأسباب لوقوع هذه العقوبات ثانيا .
{ أنواع العقوبات } أربعه و هي الرجم بالحجاره و الحرق و الذبح بالسيف و الشنق .
{ أسباب العقوبات } منها الذبح لآلهه أخرى ، الشرك في العباده ، التنبؤ الكاذب ، الكفر ، خرق السبت ، الكهانه و العرافه ، الاغتصاب ، الزنا بامرأه متزوجه ، التزوج بأم زوجتك ، زنا المحارم و له درجات و معها درجات في العقوبه ، اللواط ، نيك الحيوانات ، زنا بنت كاهن ، القتل ، ضرب الأبوين، لعن الأبوين ، الابن الذي يصر على عصيان أبويه ، الخطف ، إهانه المحكمه ، الشهاده الكاذبه في جريمه علنيه . (و هذه تجدها كلها بسهوله على الانترنت إن لم تشأ أن تنظر في الكتب و قد تراجع مضمون ما تقرأه و تقارنه بالكتب)

و نكتفي بهذا في هذا الباب . و أحسب أننا ذكرنا ما فيه الكفايه لمن أراد الهدايه . والله الهادي .

...

أشد الناس عطشا ,
من وصل إلى نهر الكوثر و لم يرتوي و انشغل باللعب على ضفافه ,
بل وصل إليه و لم يعرف كيف يشرب منه .
كذلك قال " فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله " ,
لم يقل " عن ذكر الله " , بل " من ذكر الله " ,
يعني أن سبب قسوة قلوبهم هو نفس ذكرهم لله ,
و هنا الطامّة الكبرى , لأن الذكر هو السبب الأعظم لتلطيف القلوب ,
فمن أين يتلطف قلب من قسوته بسبب الذكر. كالخوارج الجدد مثلا .
كذلك من لم يحسن قراءة الكتاب العزيز و يبني عليه مقولات غريبة قائمة على الاختزال و الغفلة .
في إحدى المرات كنّا نقرر بعض المسائل العملية فقال أحدهم : إن كلامكم مبني على الظن و القرءان يقول أن "الظن لا يُغني من الحق شيئا" فإذن تقريراتكم باطلة .
فقلت : نعم , إنك قرأت الآية و لكنك لم تقرأها , الآية تقول عن حالة وجود الظن و وجود الحق فعندها يجب ان نأخذ بالحق القاطع , و أما في أغلب المسائل العملية لا يوجد هذا الحق القاطع إنما هو ظن راجح , فالآية لا تنطبق على ما نحن فيه .
فقال : إن الله يقول " يأيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيرا من الظن , إن بعض الظن إثم " .
فقلت متعجبا : مرة أخرى , قرأت الآية و لم تقرأها , فهل قالت الآية اجتنبوا "كل الظن" , و هل قالت أن "كل" الظن إثم . إنما قالت ما يشهد به كل ناظر و هو " إن بعض الظن إثم " بالتالي بعضه الآخر من الفطنة و حسن الفهم . و إن كان ثمة أمر باجتناب "كثير من الظن" فهذا يعني ان الكثير الآخر المقابل له لم نؤمر باجتنابه , و هو ما نحن فيه .
ثم إن الآية الأولى تتكلم عن الحقائق الوجودية التي يمكن إدراكها بمحض العقل و الكشف , و الآية الثانية تتكلم عن الظن في شؤون الناس و لذلك وردت في سياق " و لا تجسسوا و لا يغتب بعضكم بعضا" و قبلها " لا يسخر قوم من قوم " و " ولا تنابزوا بالألقاب " . فالكلام فيها عن الظن تحديدا في شؤون الناس التي لا نعرفها , فيجب أن نجتنب سوء الظن بالناس و نحسن الظن فيهم قدر الإمكان .
فحتى من هذا الوجه لا علاقة بما ذكرته فيما نحن فيه .
لا تكفي قراءة القرءان لمعرفة كيفية تطبيقه . كما قال النبي عليه السلام عن الخوارج " يقرأون القرءان لا يُجاوز تراقيهم " . و اللطف من اللطيف .

...

العربي من أعرب عما في قلبه ,
الأعرابي من لا يعرف عما في قلبه .

" قالت الأعراب ءامنا . قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا . و لّما يدخل الإيمان في قلوبكم " .
أما الأعجمي فهو من يريد أن يُعرب عما في قلبه و لكن لسانه لا يساعده على ذلك .
مجرد وجود " هدف " للحياة , يقتلها ,
لأنك بالضرورة لن تكون راضيا قبل بلوغ هذا الهدف .
السعيد لا هدف له , و لكن له محور ,
هو يسبح في فلك معيّن , و لكن لحظة "هدف" بحد ذاتها ,
و مجموع اللحظات يدور حول كعبة رؤيته الوجودية .
الكلمة طاقة ,
شعاع من شمس المُلقي يُشرق على أرض سمع الآخر ,
نوعية وعيك و مستواك يتحدد بنوعية الكلمات التي تقبلها و تلقيها ,
ألا تُلاحظ أن لكل صنف من البشر نوعية معينة من الكلمات التي يتداولونها بينهم ,
اعرف كلماتهم تعرف مستوياتهم .
الحروف العربية ترمز إلى الاسماء الحسنى التي بها تكوّن و يتكوّن الخلق ,
فلما قال " إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون " ,
فإن " كن " كلمة من حرفين ,
فكان هذا هو الأساس الذي جعل الحروف رموز على قوى التكوين ,
فقال الحكيم الترمذي مُفسّرا ل " كن " أن الكاف كينونته و النون نوره ,
فكان كل مخلوق له ذات و له عمل ,
" و نجّني من فرعون و عمله " و لم تقل : نجّني من عمل فرعون (كالذين لا يعتقدون إلا بوجود الأعمال لا الذوات) ,
فأنت ذات لها عمل , لذاتك قيمة خاصة , و لعملك قيمة خاصّة ,
و كذلك كل خلق , لأنه نشأ و ينشأ كل لحظة بقول " كن " و هي زوجية ,
" و من كل شيء خلقنا زوجين " .
و من هنا قال الشيخ الأكبر أنه رأى نفسه تتزوج كل حروف اللغة العربية ,
فعرف الوجود كله نتيجة لهذا الزواج ,
لأن كل موجود كلمة ,
و الكلمات كلها حروف ,
فمن عرف الحروف و حقيقتها عرف الكلمات كلها فإذن هو عارف بالوجود كله .
و هذا من أعظم معاني فواتح السور " الم " و " كهيعص " و نحوها .
فإذن العربي هو الموصول بالوجود عن طريق عقل أعماق اللغة .
" بلسان عربي مبين " .
...

أحيانا , المُقدّمة الفكرية - المُسلّمة الخفية - الغير صحيحة , هي السبب في نشأة الكثير من الاعتراضات الغير صحيحة .

مثلا , تأمل في هذا الاعتراض على الحياة بعد الموت " أءذا متنا و كنّا ترابا , ذلك رجع بعيد " .

ما المشكلة في هذا الاعتراض ؟

يظن الأكثر أن المشكلة هي اعتقادهم بأن إعادة خلق الحق تعالى للتراب مستحيلة أو صعبة , ليس الأمر كذلك .

المشكلة الجذرية هي اعتقادهم أنهم - كبني الإنسان - مجرد تراب !

إن تصورهم المسبق أنهم مجرد تراب و بدن سفلي هو الجذر الذي أنشأ هذا الاعتراض .

و هذا الجذر غير سليم ,

لأن الإنسان ليس مجرد تراب , أي ليس من مستوى وجودي واحد ,

بل له سبع مستويات وجودية أو خمسة أو ثلاثة أو على أقل تقدير اثنين - حسب اختلاف الاعتبارات و التدقيقات - و كل الاعتبارات صحيحة .

النظر إلى فروع الأعمال و الاعتراضات دون التدقيق في جذورها الخفية - و الجذور كجذور الأشجار دائما تكون مختفية عن الأعين التي لا تنظر إلا إلى السطح - هو النظر الذي يستحق النظر فيه .

" فليرتقوا في الاسباب "

...

معظم ما تجده حولك من أفعال و أقوال في هذا الزمان في بلادنا الإسلامية و العربية ,

إنما هو تكرار - و لو لم يعرف الفاعل و القائل - لأشياء قالها بعض الغربيين قبل ثلاثمائة أو خمسمائية سنة .

حرفا بحرف !

حرفا بحرف - بطريقة مخيفة و مضحكة في آن واحد .

بل نفس أسلوب النظر و النقد و التعاطي مع التقاليد العالية .

و لو شئت التحديد :

انظر في انتاج ديكارت , و سبينوزا , و مارتن لوثر ,

و ستجد خلاصة معظم ما هو حولك .

لهذا السبب لا نأخذهم على محمل الجد .

لو رفض هؤلاء تقاليدهم الخاصة ,

و لم يقلدوا الغربيين ,

لاحترمناهم .

و لكن المشكلة أنهم يلعنون التقاليد من جهة ,

و يقلّدون كالقرود ما قام و يقوم به الغرب ,

إن كنتم فعلا تريدون التحرر - أو ما تسمونه تحررا ,
فتحرروا من الشرق و الغرب ,
و تعالوا بشيء جديد بالكلّية ,
فهل وجدتم شيء من هذا القبيل ؟
مصر أيام عبد الناصر مثلا - فما بعده - و كذلك سوريا و لبنان و العراق ,
أرادوا "التحرر" من "تقليد أي أحد" , حسنا و ممتاز جدا , فماذا فعلوا ؟
استوردوا أفكارا قومية رخيصة أنتجتها أوروبا - بل أنتجها عوام الأوروبيين ,
و قلّدوها تقليدا شديدا يجعل القرد يتعجب منهم .
و قس على ذلك في شتى البلدان بلا استثناء .
مشكلة الحداثي و السلفي ليست في أنه قرد غربي ,
و لكن المشكلة أنه قرد و يحسب نفسه إنسان سوي .

...

(مسألتين)

الأولى : ما معنى " الحق " ؟

الجواب : في كلام العرفاء ، الحق هو عين الذات الإلهيه المتعاليه عن كل قيد و تحديد و ظهور ، بالتالي هي أيضا عين كل قيد و تحديد و ظهور .

مثلا ، كل مخلوق يستمد من الحق ، و كل عابد يعبد الحق .

و لكن إذا سألت الهندوسي " هل تعبد الله ؟ " سيقول لك - غالبا : لا ، أنا أعبد براهما . و قس على ذلك .

فالأسماء الإلهيه في مختلف اللغات ، و كذلك الصفات الإلهيه التي تعرفها كل أمّه عن الحق تعالى ، تختلف عن بعضها البعض ، بالزياده و النقصان المعنوي . فالأمم في معرفه الحق تعالى درجات ، و لذلك يظهر للناظر من الخارج أن " كل أمّه تعبد إلها مختلفا " و ليس الأمر كذلك في الحقيقه .

ثم إن طبقات الموجودات تنتهي عند المبدأ الأول ، الذي هو الوجود الأعلى ، و لكن فوق الوجود الأعلى يوجد الذات المتعاليه عن الوجود و العدم ، لأن هذا الوجود نفسه قيد . و لذلك يُقال عاده عن الوجود الأعلى "الله" أو أي اسم عند أي أمّه ، و يقول العرفاء عن الذات المتعاليه عن الوجود و العدم " الحق " .

ف " الحق " عباره عن الثبات ، الإطلاق ، الذي هوّيته عين ذاته و ذاته عين هوّيته ، الذي لا يمكن و لا يتصور و لا يتخيّل أن يوجد شئ فوقه أو غيره أو مستقل عنه و لو طرفه عين و لو بقدر خرم إبره فما دون ذلك.

و قال القرءان " الله هو الحق " فهو اسم إلهي قرءاني ، بالإضافه لما سابق .

و من جانب أخير - حتى لا نطيل : كل معرفه و كل حال من أحوال أي شئ إنما يقع على شئ ما ، شئ "موضوعي" أو "ذاتي" ، و في المحصّله لا يمكن أن يُعرف إلا شئ حقيقي ، و كل شئ حقيقي إنما أصبح "حقيقيا" بحكم أنه مجلى أو صوره للحق الواحد القهار ، أي الذي يقهر وجوده كل وجود جزئي أو صوري أو نحوه ، و هذا هو " الحق " . فكل معروف فهو حق ، و كل حق يؤول إلى " الحق " .

و الله أعلم .

...

(مسألتين)

الأخرى : ليش الرسول شعره طويل ؟

الجواب : القاعده عند كل عارف كامل هي أن كل أحواله البدنيه تكون صوره و رمز على معاني علويه . فلا يوجد شئ اعتباطي و لا معنى . اللامعنى شأن الغافل - في القديم - و شأن الملحد - في الحديث . و من هنا تأتي التفاصيل الكثيره في شؤون " الحياه العاديه " - كما يسميها أهل الغفله - في مصادر الطريقه و الشريعه . فلا يوجد شئ "عادي" في حياه الإنسان المعنوي المتعلق بالجناب الإلهي .

الشعر عند الأمم التقليديه يرمز إلى السلطه و مدى المعرفه و سعه الذات .

تجد ذلك عند هوميروس مثلا الشاعر اليوناني حين يصف الآلهه فيقول " فلان ذو الشعر الطويل " .

لماذا وصفه تحديدا بالشعر الطويل و ليس القصير ؟

الرأس رمز السلطه - إلى يومنا و في كلام عموم الناس . نقول " فلان رأس الجماعه الفلانيه " .

و شعر الرأس إما أن يكون خارجا إلى أعلى ، أو إلى أسفل كاللحيه .

كذلك ما كان للأعلى يدلّ على السلطه الظاهريه ،

و ما كان للأسفل يدل على السلطه الباطنيه .

من هنا عندنا في الإسلام في الحجّ الحلق أو التقصير إنما يقع على الشعر الأعلى و ليس شعر اللحيه المتجه للقلب و الباطن . لأن كل إنسان - بحكم كونه من بني ءادم - لو قابليه لأن يكون سلطانا باطنيا بحكم خلافته الذاتيه عن الله تعالى ، إذ " ءادم روح العالم " كما قال الشيخ الأكبر .

و لكن شعر الرأس في الحجّ - و الحجّ هو العوده للمركز و مركز الوجود هو الله - إما أن يتم حلقه أو تقصيره. و ذلك لأن السلطه الظاهريه لا يمكن أن تكون للجميع ، لأنه لو كان كل واحد رئيس الدوله مثلا لما وجدت دوله أصلا ، و قس عليه . فبعض المناصب لا يمكن أن تكون إلا للقلّه فقط ، و إلا بطل أصلها . فالظاهر فيه مزاحمه، و لكن الباطن يسع الجميع . فيمكن لكل الناس أن يكونوا علماء ، و لكن لا يمكن لكل الناس أن يكونوا أثرياء إذ لو ملك جميع الناس الذهب لأصبحت قيمه الذهب كالتراب ، و قس عليه .

من زاويه أخرى ، فإن الشعر كله عباره عن "شعاع" . فعندما يكون "طويل" يعني امتداد شعاع شمس وجود الشخص إلى مستويات أبعد ، أي يرمز لهذا و ليس بالضروره كل من له شعر بدني طويل أنه كذلك .

فطول شعر الرأس يعني امتداد شعاع وعي الإنسان في العوالم العلويه ، و طول شعر اللحيه يعني امتداد شعاع وعي الإنسان في العوالم الباطنيه .

و من هنا يأتي التمثيل - في السابق تحديدا حين كان الوعي أوسع في هذه الأمور - من بعض الناس بترك اللحيه تطول حتى تكون له " هيبه عند الناس " . و ما علاقه هذا بذاك ؟ العلاقه هي ما سبق ذكره في الأصل .

و من العجيب - بالصدفه ! - أنه في الزمان الذي صفته الأساسيه حصر وجود الإنسان و وعيه في أضيق نطاق و أقصره و أصغره ، هو نفس الزمان الذي من سمه الإنسان "العادي" فيه ، من أكبر رؤوس الدول إلى أطراف أقدامها ، هو أن يكون " شعر رأسك قصيرا و شعر لحيتك شبه معدوما أو معدوما " !!

كثير من الرموز تدل علي الحقائق حين تصدر من عموم الناس بغير وعي و اتفاق مسبق . هذه قاعده ، احفظها فستنفعنا في مقالات قادمه إن شاء الله . فتأمل . و الله أعلم .

...

أربعه كلمات موجوده في أذهاننا كلنا ،
و لكن معناها - لأسباب كثيره - مشوّه :
كتاب ، قراءه ، كتابه ، دراسه .
إعاده تعريف هذه الكلمات هو حتما ،
الخطوه الأولى للقيامه المعنويه .

...

سألت مرّه أحد أهل الفكر من المسلمين ،
بعد أن رأيته لا يفعل شيئا تقريبا - فيما عدى الصلوات الخمس - إلا الفكر ،
سواء تفكّر بنفسه أو قرأ ثمار غيره أو يكتب أو ينقد أو يؤسس أو يحلل أو يشرح ،
و هو شخص عندي يحبّ الله و رسوله ، و يحب الإسلام و يشتاق إلى رؤيته مشرقا على الأرض ،
فقلت له : لماذا هذا الإغراق في الفكر و شؤونه بدل ما سوى ذلك من أعمال ؟
فقال : حالي كحال الشاعر الذي أنشد هذا البيت
فلم يُبق منّي الشوق غير تفكّري ... فلو شئت أن أبكي بكيت تفكّرا .

فتفهمت حاله العظيم و سكت .

ملاحظه : معنى البيت ، أن الشوق إلى شئ له مراتب ، فإنه عاده ما يتمثّل بالسعي البدني إليه ، و قد يتمثّل غالبا ببكاء العين ، هكذا يسعى المُشتاق إلى الشئ . و لكن الشاعر يقصّ حال شخص مطلبه باطني عقلي و ليس بدني فلا يوجد مجال لتمثّل الشوق بالسعي البدني ، و كذلك قد جفّت عينه من البكاء و نحل جسمه فأصبح بدنه خاملا خامدا لا طاقه فيه على العمل إلا قليلا و للضروره ، بالتالي يقول " فلو شئت أن أبكي بكيت تفكّرا " فإن التفكّر هو وسيلتي الوحيده للاقتراب من مطلوبي .

...

لا تحتاج إلى أكثر من كتاب واحد ، أي كتاب ، لتنطلق منه في بحر المعارف اللامحدود ،

بشرط ...

أن تتخذ الكتاب كنقطه انطلاق و ليس محيطه وصول .

النظر في أي جمله ، بل في أي كلمه ، يكفي لفتح أبواب لا نهائيه من المعرفه .

بهذا المعنى قال حضره علي عليه السلام أنه يستطيع أن يفسّر و يتكلم على سوره الفاتحه بما لو كُتب يحتاج حمل الكتب إلى سبعين بعيرا .

هذه قراءه الرجال من أهل الحق تعالى ،

و هكذا كان الأمر - و لا يزال عند الخواص - مثلا في الدوله العليّه العثمانيه حين كانت المدرسه ذات الدرجه العاليه تقوم على دراسه كتاب واحد فقط ،

و الدرس الواحد قد يبلغ خمس ساعات في اليوم ،

و قد يكون موضوع الدرس سطرا واحدا من الكتاب فقط ،

لأن الهدف من الدراسه ليس بلع معلومه و لكنه التفكير في السطر حتى يعمل العقل و ينطق في كشف سبعين معلومه و مسأله و إجابه ،

كان الشيخ الأستاذ يقرأ سطرا أو أكثر ، ثم يشرح ما يحتاج إلى شرح من أمور لغويه و نحوها ، ثم يبدأ النقاش في الحلقه ، هذا يزيد و هذا ينقص ، هذا يعترض و هذا يرد ، هذا يسأل و ذاك يجيب ، هذا يقول "لماذا قال " و ذاك يقول " و ماذا يترتب على ذلك " و ثالث يقول " كيف يمكن أن نصوغها بطريقه أوضح " و رابع و خامس و نحو ذلك .

هدف الكتاب إثاره التفكير ، و هدف الدراسه إعمال العقل ،

أما الرضاعه و السلبيه في التعاطي مع الكتب فهو شأن آخر غير معروف عند أهل التحقيق .

لذلك لم يأتي القرءان بطريقه "واضحه" بالمعنى الشائع للوضوح ،

بل جاء على طريقه يحتاج الشخص إلى أن يعقل و يربط و يحلل و يفسّر و يجمع و يؤول ليفهم ،

" إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون " و ليس : لعلكم ترضعون !

و قد كان بإمكان الله تعالى أن يأتي بسوره اسمها " العقيده " يجعل فيها العقيده الطحاويه أن النسفيه مثلا في مواد قانونيه مختصره تجمع كل شئ ،
ثم يأتي بسوره اسمها " الصلاه " مثلا فيذكر فيها كل ما يتعلق بالصلاه ،
و سوره اسمها " الحكومه " و يذكر فيها كل ما يتعلق بالحكومه ، و هكذا في باقي المواضيع .
و لكن اختيار هذه الصياغه هو تحديدا ليثير عقل القارئ و يقوّيه ،
و لذلك كان من الشائع جدا - جدا - أن تجد في علماء المسلمين من كَتب (و لا نقول قرأ ! و كل كاتب قرأ أكثر مما كتب بالضروره) عشرات الكتب ، و حين نقول كتاب واحد لا نقصد مجلدا واحدا ، فابن عقيل مثلا كتب كتابا واحدا من مائتين مجلّد ، و الكتاب المختصر في الأزمنه التقليديه قد يبلغ مئات الصفحات حسب الصوره الراهنه للكتب . و الإنسان الاستثنائي حقا عند المسلمين هو الذي كتب أربعمائه كتاب مثلا كالشيخ الأكبر ابن عربي أو نحو ستمائه كتاب كجلال الدين السيوطي (علما أن كتاب واحد للسيوطي قام بجمع وترتيب مئات الكتب فعمله) و قس على ذلك .
ضعف عقول و دراسه و انتاج و صبر المسلمين في الجانب الفكري هو مرض حديث ، نابع من الاحتكاك مع ضعاف العقول من الخارج و إقامه نظم و أساليب معيشه تؤدي إلى ضعف العقل في الداخل ،
و لا نبالغ إن قلنا أن المدارس و الجامعات الحديثه هي أكبر أسباب ضعف العقل العام .
كيف لا يكون العقل أولويه في ملّه يقول ربّها " و يجعل الرجس على الذين لا يعقلون " ؟!

...

قبل نحو سبع سنوات ، سألت أحد الأساتذه أصحاب المعنى ممن كان يُجاهر ببعض المعاني الصعبه على الجماهير في المجالس و الندوات و المناسبات الفكريه و الأدبيه ، و قلت له :
يا أستاذ ألا تعلم أن هذا قد يُعرّضك للخطر من قِبل من لا يفهمون مثل هذه المعاني الإلهيه ؟
فقال : يا ابني ، سمعت بقصه العز بن عبد السلام لما جاء الجنود إلى بيته ليأخذوه ؟
فقلت - حينها : لا .
فقال : أيام المماليك ، رفض العز رحمه الله بناء على أحكام الشريعه إلا أن يبيع المماليك السلاطين و الأمراء ثم يضع قيمتهم في بيت مال المسلمين ثم بعد ذلك يمكن لهم أن يحكموا كأحرار ، فغضبت عليه الطبقه الحاكمه بسبب ذلك ، و أرسلوا يوما جنودا إلى بيته ليأخذوه . وصل الجنود إلى باب البيت و طرقوا الباب بشدّه ، ففتح الباب ابن العز الصغير ، فلما رأى الجنود فزع و ركض إلى أبيه يقول له " يا أبت ، جنود السلطان على الباب!" فقال الأب لابنه " لماذا أراك خائفا ؟ " فقال " أخاف أن يقتلوك ! " فضحك العز و قال - و هنا محل الشاهد من القصه - " إن أبيك أقلّ قدرا عند الله من أن يكتب لي الشهاده في سبيله ! " . و فعلا لما وصل العز عند الباب - و كان من أولياء الله أصحاب

المعنى - فزع الجنود منه و لم يفعلوا شيئا . و تم للعز ما يريد من تنفيذ الحكم الشرعي في أمراء المماليك ، و من ذلك اليوم أصحاب لقبه في الأمّه هو " سلطان العلماء " .
و نحن يا ابني أقلّ قدرا بألف مرّه من أن نكون أهلا لأن يشتمنا أحد في سبيل نقل معنى ورثناه من النبي عليه السلام و علماء المسلمين إلى أحد .
ملاحظه : الرجل إلى اليوم سليم لم يمس أحد شعره من رأسه بالرغم من مواقفه " المتهوره " الكثيره .
أظن القضيه ترجع إلى كيفيه نيّه الإنسان و كيفيه نظره للأمور . و الله أعلم .

...

سكرتير فيلسوف :
في وظيفه كنت أتولّها سابقا لها علاقه بالتحقيق في الفساد الإداري و المالي ،
و بعد أن قمت بالتحقيق مع مدير مهم و استخرجنا منه المعلومات اللازمه ، غضب المدير و أراد أن يعكس القضيه علينا ، فرفع عليّ شكوى أني فعلت و قلت كذا و كذا .
فلما جاءت الشكوى إلى إدارتنا أراد منّي السكرتير أن أنفي كل ما ورد في الشكوى و أنكره باعتبار أنه لا يمكن أن يقدّم الشاكي دليلا يؤيد صحه ما ذكره فيها - و فعلا لم يكن عنده أي دليل - و لكني قلت له :
في الشكوى بعض الأمور الصحيحه فعلا ، فحتى لو لم يكن عنده دليل أنا أعرف أنها صحيحه فلا أستطيع أن أنكرها .
فقال لي ما معناه : ترى هذه الدنيا خبيثه ، و إنما جعلها الله عقابا لآدم ، فليس من الضروري أن نكون حقانيين جدا ، مشّي حالك و أنكر !
فالحاصل أني أقررت و انتهت الشكوى على خير لصالحي و لم ألتفت لهذه الفلسفه "الراقيه" التي أمدّني بها صاحبنا .
و لكن محل الشاهد هو هذا : قدره ضعاف الناس على اختراع شتى أنواع الفلسفات لتبرير كذبهم و انزواءهم و كسلهم و خوفهم و جبنهم و تعاستهم . تجد هذا كثيرا في الكبار منا سنّا خصوصا ، يحسب أنه يعطيك زبد الحياه التي لا تعرفها أنت " لأنك صغير لسّا " حين يعلّمك كيف " تعيش جنب الحيطه " ... مالت عليك حيطه و على علمك هذه الحكمه ! من أمثال هؤلاء في الخمسين سنه الماضيه وصلنا إلى حاله التيه التي نحن فيها الآن .
عندما يعيش كل أحد جنب الحيطه ، اعرف أنه لا عمران في هذه الحياه ! أي عمران و قد اكتفينا بحيطه ؟

...

كل من يريد أن يغيّر القلوب بالسلاح ،
فهو حمار لا يعرف قوانين النجاح .
الأمثله على هذه الحقيقه لا تُحصى في الماضي و الحاضر .
مثال من الماضي : المغول . كان عندهم سلاح و جيوش لا مثيل لها في وقتهم ، و أرادوا فرض أحكام جنكيز خان و نمطهم على بلاد المسلمين ، كان عندهم أسلحه و لم يكن عندهم عقل و كلمه ، النتيجه ؟ في ظرف مائه أو مائتين سنه تحوّل أكثرهم للإسلام و أقاموا إحدى أهم الإمبراطوريات الإسلاميه في التاريخ كله في الهند (تاج محل ، من آثارهم) .
مثال من الحاضر : فرنسا . حين جاءت و استعمرت بعض بلاد شمال أفريقيا مباشره أو غيره مباشره كالجزائر و المغرب و تلك المناطق ، لم تأتي بسلاح فقط ، بل جاءت بشئ من الفكر و اللغه و الآثار العلميه الطبيعيه ، و لذلك حتى بعد أن خرجوا بقيت اللغه الفرنسيه مشهوره هناك و كثير من عاداتهم و أساليب تفكيرهم و معيشتهم ، حتى قال أحد رؤوس المقاومه الجزائريه " لقد تفرنسنا بعد خروج الفرنسيين أكثر من تفرنسنا حين كانوا فوقنا" أو كما قال .
السلاح و العنف لا يغيّر ، و لكنه قد - في أفضل الأحوال النادره - يهيئ أرضيه التغيير ، و لكنه ليس السبب في التغيير .
و سلبيات القهر تمحو ايجابيات الفكر ، لذلك قلنا " حمار " .

...

أثناء قراءة وردي من الموسوعة الطبيعية - جزء الحيوانات - في الجواب عن سؤال : لماذا تجتر البقرة طعامها الممضوغ و متى ؟ وجدت الإجابة التالية - حاول أن تكتشف موضع الصواب و الخطأ .
" منذ آلاف السنين , كانت هناك حيوانات محددة لا تستطيع حماية نفسها جيدا ضد أعدائها الأقوى و الأعنف. لكي تعيش , طوّرت هذه الحيوانات طريقة خاصة للأكل . هي ستختطف بعض الطعام كلما استطاعت , و تبتلعه بسرعة بدون مضغ , و تهرب للإختباء . عندئذ عندما تكون في مخبئها , جالسة بهدوء , هي ستمضغ الطعام في وقت فراغها " .
أقول : في هذا الكلام - و ما أكثر أمثاله في هذا الزمان - يوجد ثلاثة أنواع من الكلام .
النوع الأول هو الرجم بالغيب و التكهن , و يتمثّل هذا بعبارة " منذ آلاف السنين " و كأن أصحاب هذا العلم يمكنهم أن يخترقوا الأزمنة و الأمكنة بكل سهولة و يتكلموا عن الذي حدث منذ آلاف أو ملايين السنين على مزاجهم . و هذا غير مهم جدا , المهم هو النوع التالي .
النوع الثاني هو فرض العقيدة على الطبيعة . هذا شأن حداثي بامتياز . و يتمثّل هذا بقوله " طوّرت هذه الحيوانات طريقة خاصّة للأكل " . و هذا ناتج عن عقيدة " التطور " . و لم يكلّف الباحث نفسه هذا السؤال : إن كانت تلك الحيوانات " لا تستطيع حماية نفسها جيدا " فكيف استطاعت أن تعيش أصلا ؟ إن هذا يفترض أنها عاشت لفترات طويلة جدا , و مع ذلك يفترض أنها " لا تستطيع حماية

نفسها جيدا " , يعني أنها عاشت بدون مقومات العيش ! ثم إنه يفترض أن الحيوان يمكن أن يقوم بتطوير ذاته بذاته , و هذا خيال علمي من الطراز الأول , خصوصا إذا عرفنا أن هذا التطوير الذي يتحدث عنه الكاتب - في خصوص البقرة مثلا - هو كما سيشرح بعد ذلك هو التالي - و تأمل " لدى الحيوان المجتر معدة معقّدة ذات خمسة غرف . هذه الغرف هي: الكرش و النسيج الشبكي (معدة ثانية) و القبة (معدة ثالثة) و المعدة الحقيقية , و الأمعاء " . ثم يبدأ في شرح العمليات المعقدة جدا التي تتم في هذه الغرف الخمسة . و السؤال - إن كانت الأسئلة مسموحة ! - هو : كيف تفترض وجود الحيوانات المجترة قبل وجود أعضاء الاجترار !!

كيف تفترض أن اي حيوان يمكن أن يقوم بتصميم شيء أو "تطوير" شيء داخل أمعائه (طبعا هم يستخدمون كلمة سحرية , أبراكادابرا العلم الحداثي , و هي " في فترة زمنية طويييييلللللةةةةة ") ؟

و كيف و كيف . و لا جواب . إنما هو فرض العقيدة (القائمة على غايات سياسية و اقتصادية في الواقع) على الطبيعة .

النوع الثالث هو الملاظات العلمية الصادقة فعلا , مثل وصف عمليات الاجترار و أعضائه , و هذه حق , و هذ الجزء الوحيد الصحيح من العلم الحداثي . و هو خيرهم الكبير في هذا الجانب من البحث و الذي لا يعارضه عاقل .

و قس على ذلك .

...

(مراحل النمو في المجتمع الفاشل)

يبدأ الطفل ككل طفل تقريبا باللعب ,

يصبح شابا يهتم بالمثاليات و العمل حبا في العمل و الرغبة في التنمية و الإصلاح الخالص ,

يبدأ يأكل صفعات على قفاه من "الكبار" الذين يفهمونه يوما بعد يوم " طبيعة العالم الحقيقي" ,

يُقاوم في العشرينات هذه الصفعات و يستمر و يجتهد و قد يضطر إلى تعاطي بعض الأشياء للصبر ,

يصل عمره ثلاثن سنة و يبدأ يستيقظ و يدرك " العالم الواقعي " الجاف السخيف المنافق ,

يتزوج و ينجب أولاد و يبدأ يعتبر الجفاف و النفاق و الرضا "بالواقع" كمجرد "وسيلة لحماية الأسرة" ,

يصبح في الاربعين أو الخمسين و يعتقد أن سرقة الأموال و استغلال المناصب أمر محمود أو مقبول لأنه "'إذا ما أخذتها أنا سيأخذها غيري " ,

يصبح في الستين فيشكر الله على حسن الأوضاع و " الله لا يغيّر علينا " و " الشباب لسا ما يفهموا , بس يكبروا حيفهموا " ,

يأتي عزرائيل عاجلا أم آجلا و يفهمه الواقع الحقيقي ما شكله ... في نفس "النايت كلب" الي فيه أبو لهب .
ثم يتذكره أولاده و أحفاده و يقولوا " الله يرحمه كان إنسان طيب , حاله حال نفسه , و الحمد لله تركلنا ورث جيّد و ما عمل مشاكل مع أحد " ,
و تستمر العجلة ... إلى يوم الوقت الملعوم .
ملاحظة : في المجتمع الفاشل , إذا لم يكن عندك خصوم , فأنت أحد الفاشلين .

...

إذا وجدت " مفكر إسلامي " من الذين يريدون " نبذ التراث و التجديد حسب روح العصر " ,
فهو يقينا شخص يعلم أنه لا قيمة له على مستوى الفكر حسب معايير الغرب و بما يجلب له الشهرة الكافية هناك,
فجاء إلينا ليروّج سخافاته على الضعاف عندنا ممن لا يجد من يقوده و يعلّمه تعليما منظما قويّا ,
و لذلك لا تكاد تجد منهم أو أتباعهم إلا قردا يقلّد الأخرين أو فاسقا لا يحترم إلا نزواته العاجلة .
كل من يظن أنه يمكن أن يأتي بشيء "جديد" بل ليس فقط جديدا , بل هو شيء مضاد لكل ما عرفه المسلمون في الحاضر و على مر القرون ,
فإنه يستخف بنفسه أو بالآخرين حين لا يرفض هذا الدين كلّه و يبحث لنفسه عن شيء آخر .
الملحد الصريح أحب إلى قلبي من "المجدد الإسلامي" ,
لا أقل الملحد رجل صاحب موقف واضح و جرئ و متناسق - بقدر ما في العدمية من تناسق طبعا .

...

بعض أمراض نفسي و همومها ،
لا تُمحى إلا بقراءه سيره الدوله العليّه العثمانيه .
اللهم ابعث لنا سلطانا من لدنك ،
حتى نقيم الدوله الإلهيه النبويّه .
“ اجعل لنا من لدنك وليّا و اجعل لنا من لدنك نصيرا “
آمين بجاه سيد الأولين و الآخرين ،
و الحمد لله رب العالمين .

.... انتهى ظاهر كتاب المقالات الأولى .